فتح المنعم

شرح صحيح مسلم

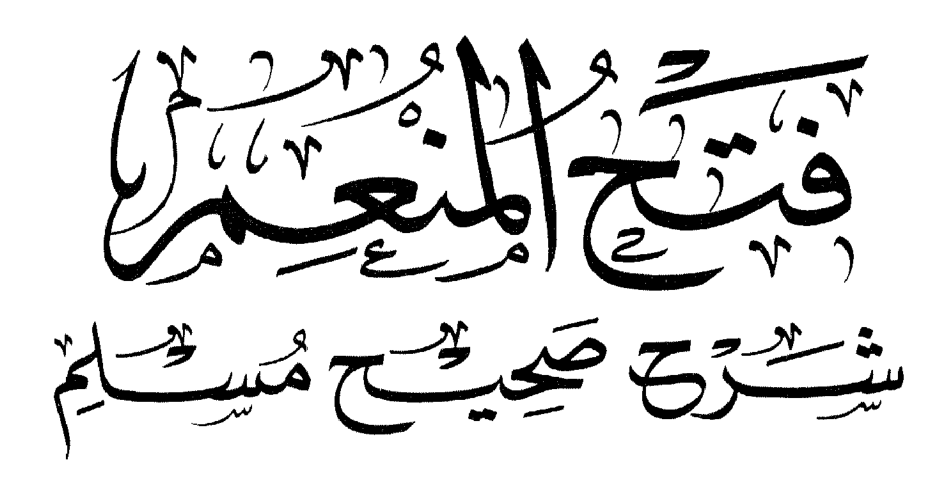
٩

جَميع حقوق النّشر والطّبع محفُوظة

الطّبعَة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

© دار الشروق

القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب.: ٣٣ البانوراما - تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
e-mail: dar@ shorouk.com www.shorouk.com
بيروت: ص.ب.: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس: ٣١٥٨٥٩ ١ (٩٦١)

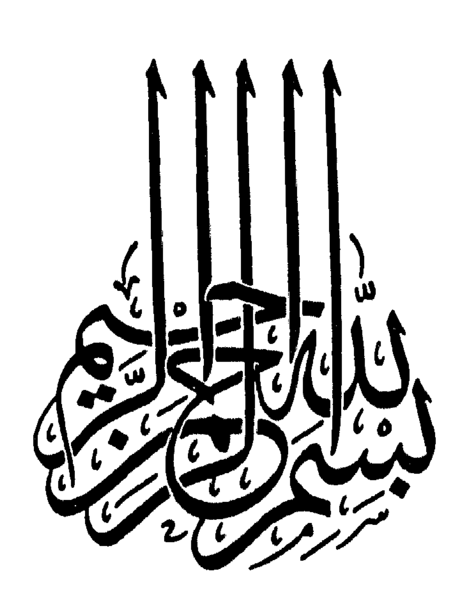


تابع كتاب الطب والمرض
كتاب الأدب من الألفاظ وغيرها
كتاب الشعر - كتاب الرؤيا - كتاب الفضائل
كتاب البر والصلة والآداب

الجزء التاسع

الأستاذ الدكتور
موسى شاهين لاشين

دار الشروق


بسم الله الرحمن الرحيم

تابع

كتاب الطب والمرض

٥٩٩- باب قتل الحيات والأبتر والوزغ والهرة وسقي البهائم.

(٥٩٩) باب قتل الحيات والأبتر والوزغ والهرة وسقى البهائم

٥٠٧٧- ١٢٧/١ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١٢٧] قَالَتْ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ ذِي الطُّفْيَتَيْنِ؛ فَإِنَّهُ يَلْتَمِسُ الْبَصَرَ وَيُصِيبُ الْحَبَلَ.

٥٠٧٨-- وَفِي رواية عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَقَالَ: الأَبْتَرُ وَذُو الطُّفْيَتَيْنِ.

٥٠٧٩- ١٢٨/٢ عَنْ سَالِمٍ[١٢٨] عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ وَذَا الطُّفْيَتَيْنِ وَالأَبْتَرَ، فَإِنَّهُمَا يَسْتَسْقِطَانِ الْحَبَلَ وَيَلْتَمِسَانِ الْبَصَرَ» قَالَ: فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقْتُلُ كُلَّ حَيَّةٍ وَجَدَهَا، فَأَبْصَرَهُ أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ أَوْ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ يُطَارِدُ حَيَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ نُهِيَ عَنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ.

٥٠٨٠- ١٢٩/٣ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١٢٩] قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِقَتْلِ الْكِلابِ يَقُولُ: «اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ وَالْكِلابَ، وَاقْتُلُوا ذَا الطُّفْيَتَيْنِ وَالأَبْتَرَ؛ فَإِنَّهُمَا يَلْتَمِسَانِ الْبَصَرَ وَيَسْتَسْقِطَانِ الْحَبَالَى» قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَنُرَى ذَلِكَ مِنْ سُمَّيْهِمَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ سَالِمٌ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: فَلَبِثْتُ لا أَتْرُكُ حَيَّةً أَرَاهَا إِلا قَتَلْتُهَا، فَبَيْنَا أَنَا أُطَارِدُ حَيَّةً يَوْمًا مِنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ، مَرَّ بِي زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ أَوْ أَبُو لُبَابَةَ وَأَنَا أُطَارِدُهَا، فَقَالَ: مَهْلا يَا عَبْدَ اللَّهِ. فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِهِنَّ. قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ نَهَى عَنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ.

٥٠٨١- ١٣٠/. وَعَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّ صَالِحًا[١٣٠] قَالَ: حَتَّى رَآنِي أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ وَزَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالا: إِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ. وَفِي حَدِيثِ يُونُسَ: «اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ وَلَمْ يَقُلْ ذَا الطُّفْيَتَيْنِ وَالأَبْتَرَ».

٥٠٨٢- ١٣١/٤ عَنْ نَافِعٍ[١٣١] أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ كَلَّمَ ابْنَ عُمَرَ لِيَفْتَحَ لَهُ بَابًا فِي دَارِهِ يَسْتَقْرِبُ بِهِ إِلَى

---

(١٢٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَابْنُ نُمَيْرٍ عَنْ هِشَامٍ ح و حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ
– وحَدَّثَنَاه إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ أَخْبَرَنَا هِشَامٌ
(١٢٨) وحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ
(١٢٩) وحَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ عَنِ الزُّبَيْدِيِّ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ
(١٣٠) وحَدَّثَنِيهِ حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ ح و حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ح و حَدَّثَنَا حَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحٍ كُلُّهُمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ غَيْرَ أَنَّ صَالِحًا قَالَ:
(١٣١) وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ ح و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ نَافِعٍ

الْمَسْجِدِ، فَوَجَدَ الْغِلْمَةُ جِلْدَ جَانٍّ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: الْتَمِسُوهُ فَاقْتُلُوهُ. فَقَالَ أَبُو لُبَابَةَ: لا تَقْتُلُوهُ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ الْجِنَّانِ الَّتِي فِي الْبُيُوتِ.

٥٠٨٣- ١٣٢/٥ عَن نَافِعٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقْتُلُ الْحَيَّاتِ كُلَّهُنَّ، حَتَّى حَدَّثَنَا أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ الْبَدْرِيُّ(١٣٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَن قَتْلِ جِنَّانِ الْبُيُوتِ فَأَمْسَكَ.

٥٠٨٤- ١٣٣/٦ عَن نَافِعٌ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا لُبَابَةَ(١٣٣) يُخْبِرُ ابْنَ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَن قَتْلِ الْجِنَّانِ.

٥٠٨٥- ١٣٤/٧ عَن أَبِي لُبَابَةَ ﷺ(١٣٤) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ح وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَعِيُّ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ، عَن نَافِعٍ، عَن عَبْدِ اللَّهِ؛ أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ أَخْبَرَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَن قَتْلِ الْجِنَّانِ الَّتِي فِي الْبُيُوتِ.

٥٠٨٦- ١٣٥/٨ عَن نَافِعٌ(١٣٥) أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ الأَنْصَارِيَّ، وَكَانَ مَسْكَنُهُ بِقُبَاءِ، فَانْتَقَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَبَيْنَمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ جَالِسًا مَعَهُ يَفْتَحُ خَوْخَةً لَهُ إِذَا هُمْ بِحَيَّةٍ مِن عَوَامِرِ الْبُيُوتِ، فَأَرَادُوا قَتْلَهَا. فَقَالَ أَبُو لُبَابَةَ: إِنَّهُ قَدْ نُهِيَ عَنْهُنَّ، يُرِيدُ عَوَامِرَ الْبُيُوتِ، وَأُمِرَ بِقَتْلِ الأَبْتَرِ وَذِي الطُّفْيَتَيْنِ. وَقِيلَ: هُمَا اللَّذَانِ يَلْتَمِعَانِ الْبَصَرَ وَيَطْرَحَانِ أَوْلادَ النِّسَاءِ.

٥٠٨٧- ١٣٦/٩ عَن عُمَرَ بْنِ نَافِعٍ(١٣٦)، عَن أَبِيهِ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَوْمًا عِنْدَ هَدْمٍ لَهُ فَرَأَى وَبِيصَ جَانٍّ، فَقَالَ: اتَّبِعُوا هَذَا الْجَانَّ فَاقْتُلُوهُ. قَالَ أَبُو لُبَابَةَ الأَنْصَارِيُّ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَن قَتْلِ الْجِنَّانِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْبُيُوتِ إِلا الأَبْتَرَ وَذَا الطُّفْيَتَيْنِ؛ فَإِنَّهُمَا اللَّذَانِ يَخْطِفَانِ الْبَصَرَ وَيَتَتَبَّعَانِ مَا فِي بُطُونِ النِّسَاءِ.

٥٠٨٨- - وفِي روايةِ عَن نَافِعٍ؛ أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ مَرَّ بِابْنِ عُمَرَ وَهُوَ عِنْدَ الأُطُمِ الَّذِي عِنْدَ دَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَرْصُدُ حَيَّةً. بِنَحْوِ حَدِيثِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ.

---

(١٣٢) وحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ حَدَّثَنَا نَافِعٌ قَالَ
(١٣٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ الْقَطَّانُ عَن عُبَيْدِ اللَّهِ أَخْبَرَنِي نَافِعٌ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا لُبَابَةَ
(١٣٤) وحَدَّثَنَاه إِسْحَقُ بْنُ مُوسَى الأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَن نَافِعٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَن أَبِي لُبَابَةَ
(١٣٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ يَعْنِي الثَّقَفِيَّ قَالَ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ أَخْبَرَنِي نَافِعٌ أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ
(١٣٦) وحَدَّثَنِي إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَهْضَمٍ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ وَهُوَ عِنْدَنَا ابْنُ جَعْفَرٍ عَن عُمَرَ بْنِ نَافِعٍ
- وحَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الأَيْلِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي أُسَامَةُ أَنَّ نَافِعًا حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ

٥٠٨٩- $\frac{١٣٧}{١٠}$ عَـن عَبْـدِ اللَّـهِ(١٣٧) قَـالَ: كُنَّـا مَـعَ النَّبِـيِّ ﷺ فِـي غَـارٍ، وَقَـدْ أُنْزِلَـتْ عَلَيْـهِ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا، فَنَحْـنُ نَأْخُذُهَـا مِـن فِيـهِ رَطْبَـةً، إِذْ خَرَجَـتْ عَلَيْنَـا حَيَّـةٌ، فَقَـالَ: «اقْتُلُوهَـا» فَابْتَدَرْنَاهَا لِنَقْتُلَهَا، فَسَبَقَتْنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَقَاهَا اللَّهُ شَرَّكُمْ كَمَا وَقَاكُمْ شَرَّهَا».

٥٠٩٠- $\frac{١٣٨}{١١}$ عَن عَبْدِ اللَّهِ(١٣٨) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ مُحْرِمًا بِقَتْلِ حَيَّةٍ بِمِنًـى.

٥٠٩١-- وفي رواية عَن عَبْدِ اللَّهِ(-) قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ فِـي غَـارٍ. بِمِثْـلِ حَدِيثِ جَرِيـرٍ وَأَبِي مُعَاوِيَةَ.

٥٠٩٢- $\frac{١٣٩}{١٢}$ عَن أَبِي السَّائِبِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ(١٣٩) أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِـي سَـعِيدٍ الْخُـدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلاتَهُ، فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ، فَوَثَبْتُ لأَقْتُلَهَا، فَأَشَارَ إِلَـيَّ أَنِ اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ. قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذْ عَلَيْكَ سِلاحَكَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ» فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلاحَهُ ثُمَّ رَجَعَ، فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً، فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ، وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ. فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي. فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ، فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمِ الْفَتَى. قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، وَقُلْنَا ادْعُ اللَّهَ يُحْيِيهِ لَنَا. فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَآذِنُوهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ».

---

(١٣٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى قَالَ يَحْيَى وَإِسْحَقُ أَخْبَرَنَا وقَالَ الآخَرَانِ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَن إِبْرَاهِيمَ عَنِ الأَسْوَدِ عَن عَبْدِ اللَّهِ
– وحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالا حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ فِي هَذَا الإِسْنَادِ بِمِثْلِهِ.
(١٣٨) وحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا حَفْصٌ يَعْنِي ابْنَ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَن إِبْرَاهِيمَ عَنِ الأَسْوَدِ عَن عَبْدِ اللَّهِ
(–) وحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بنِ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ عَنِ الأَسْوَدِ عَن عَبْدِ اللَّهِ
(١٣٩) وحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَن صَيْفِيٍّ وَهُوَ عِنْدَنَا مَوْلَى ابْنِ أَفْلَحَ أَخْبَرَنِي أَبُو السَّائِبِ

٥٠٩٣-١٤٠/١٣ عَـن أَبِـي السَّـائِبِ(١٤٠) قَـالَ: دَخَلْنَـا عَلَـى أَبِـي سَـعِيدٍ الْخُـدْرِيِّ، فَبَيْنَمَـا نَحْـنُ جُلُـوسٌ إِذْ سَـمِعْنَا تَحْـتَ سَـرِيرِهِ حَرَكَـةً، فَنَظَرْنَـا فَـإِذَا حَيَّـةٌ. وَسَـاقَ الْحَدِيـثَ بِقِصَّتِـهِ نَحْـوَ حَدِيـثِ مَـالِكٍ عَـن صَيْفِـيٍّ وَقَـالَ فِيـهِ: فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «إِنَّ لِهَـذِهِ الْبُيُـوتِ عَوَامِـرَ، فَـإِذَا رَأَيْتُـمْ شَـيْئًا مِنْهَـا فَحَرِّجُـوا عَلَيْهَـا ثَلاثًـا، فَـإِنْ ذَهَـبَ وَإِلا فَـاقْتُلُوهُ فَإِنَّـهُ كَـافِرٌ» وَقَـالَ: «لَهُـمُ اذْهَبُـوا فَـادْفِنُوا صَـاحِبَكُمْ».

٥٠٩٤-١٤١/١٤ عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ(١٤١) قَـالَ: سَـمِعْتُهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «إِنَّ بِالْمَدِينَـةِ نَفَـرًا مِنَ الْجِنِّ قَـدْ أَسْـلَمُوا، فَمَـنْ رَأَى شَـيْئًا مِـن هَـذِهِ الْعَوَامِـرِ فَلْيُؤْذِنْـهُ ثَلاثًـا، فَـإِنْ بَـدَا لَـهُ بَعْدُ فَلْيَقْتُلْـهُ فَإِنَّـهُ شَـيْطَانٌ».

٥٠٩٥-١٤٢/١٥ عَـن أُمِّ شَـرِيكٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهَـا(١٤٢) أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ أَمَرَهَـا بِقَتْـلِ الأَوْزَاغِ. وَفِـي حَدِيثِ ابْنِ أَبِـي شَـيْبَةَ: أَمَـرَ.

٥٠٩٦-١٤٣/١٦ عَن أُمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(١٤٣) أَنَّهَـا اسْـتَأْمَرَتِ النَّبِـيَّ ﷺ فِـي قَتْـلِ الْوِزْغَـانِ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهَـا. وَأُمُّ شَـرِيكٍ إِحْـدَى نِسَـاءِ بَنِي عَـامِرِ بْـنِ لُـؤَيٍّ. اتَّفَـقَ لَفْـظُ حَدِيـثِ ابْـنِ أَبِـي خَلَـفٍ وَعَبْدِ بْنِ حُمَيْـدٍ وَحَدِيثُ ابْـنِ وَهْـبٍ قَرِيـبٌ مِنْـهُ.

٥٠٩٧-١٤٤/١٧ عَن عَـامِرِ بْـنِ سَـعْدٍ، عَـن أَبِيـهِ(١٤٤) أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ أَمَـرَ بِقَتْـلِ الْـوَزَغِ وَسَـمَّاهُ فُوَيْسِـقًا.

٥٠٩٨-١٤٥/١٨ عَـن عَائِشَـةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهَـا(١٤٥) أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ قَـالَ: «لِلْـوَزَغِ الْفُوَيْسِـقُ» زَادَ حَرْمَلَةُ قَـالَتْ وَلَـمْ أَسْـمَعْهُ أَمَـرَ بِقَتْلِـهِ.

٥٠٩٩-١٤٦/١٩ عَـن أَبِي هُرَيْـرَةَ ﷺ(١٤٦) قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «مَـنْ قَتَـلَ وَزَغَـةً فِـي أَوَّلِ

---

(١٤٠) وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ سَمِعْتُ أَسْمَاءَ بْنَ عُبَيْدٍ يُحَدِّثُ عَن رَجُلٍ يُقَالُ لَـهُ السَّائِبُ وَهُوَ عِنْدَنَا أَبُو السَّائِبِ

(١٤١) وحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَن ابْنِ عَجْلانَ حَدَّثَنِي صَيْفِيٌّ عَن أَبِي السَّائِبِ عَن أَبِي سَعِيدٍ

(١٤٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرٌو النَّاقِدُ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَـا وَقَالَ الآخَرُونَ حَدَّثَنَـا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَن عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ شَيْبَةَ عَن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَن أُمِّ شَرِيكٍ

(١٤٣) وحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي ابْنُ جُرَيْجٍ ح و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلَفٍ حَدَّثَنَا رَوْحٌ حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ح وحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ شَيْبَةَ أَنَّ سَعِيدَ ابْنَ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَهُ أَنَّ أُمَّ شَرِيكٍ

(١٤٤) حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالا أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَن الزُّهْرِيِّ عَن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَن أَبِيهِ

(١٤٥) وحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرْمَلَةُ قَالا أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَن الزُّهْرِيِّ عَن عُرْوَةَ عَن عَائِشَةَ

(١٤٦) وحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَن سُهَيْلٍ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

ضَرْبَةٍ فَلَهُ كَـذَا وَكَـذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَـةِ الثَّانِيَـةِ فَلَـهُ كَـذَا وَكَـذَا حَسَنَةً لِـدُونِ الأُولَـى، وَإِنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَـةِ الثَّالِثَةِ فَلَـهُ كَـذَا وَكَـذَا حَسَنَةً لِـدُونِ الثَّانِيَـةِ».

٥١٠٠– ١٤٧/٢٠ عَـن أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ(١٤٧) عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ بِمَعْنَـى حَدِيـثِ خَـالِدٍ عَـن سُـهَيْلٍ إِلا جَرِيـرًا وَحْدَهُ فَإِنَّ فِي حَدِيثِهِ: «مَنْ قَتَـلَ وَزَغًـا فِي أَوَّلِ ضَرْبَـةٍ كُتِبَـتْ لَـهُ مِائَـةُ حَسَنَةٍ وَفِي الثَّانِيَـةِ دُونَ ذَلِـكَ وَفِي الثَّالِثَـةِ دُونَ ذَلِـكَ».

٥١٠١– ٠/٢١ عَـن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٠)، عَـنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّـهُ قَـالَ: «فِـي أَوَّلِ ضَرْبَـةٍ سَـبْعِينَ حَسَـنَةً».

٥١٠٢– ١٤٨/٢٢ عَـن أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ(١٤٨) عَـن رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ «أَنَّ نَمْلَـةً قَرَصَـتْ نَبِيًّـا مِـنَ الأَنْبِيَـاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَـةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّـهُ إِلَيْـهِ أَفِي أَنْ قَرَصَتْـكَ نَمْلَـةٌ أَهْلَكْـتَ أُمَّـةً مِـنَ الأُمَـمِ تُسَبِّحُ».

٥١٠٣– ١٤٩/٢٣ عَـن أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ(١٤٩) أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَـالَ: «نَـزَلَ نَبِـيٌّ مِـنَ الأَنْبِيَـاءِ تَحْـتَ شَـجَرَةٍ فَلَدَغَتْـهُ نَمْلَـةٌ، فَـأَمَرَ بِجِهَـازِهِ فَـأُخْرِجَ مِـن تَحْتِهَـا ثُـمَّ أَمَـرَ بِهَـا فَـأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّـهُ إِلَيْـهِ فَهَـلا نَمْلَـةً وَاحِـدَةً».

٥١٠٤– ١٥٠/٢٤ عَـن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(١٥٠) عَـن رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ فَذَكَـرَ أَحَـادِيثَ مِنْهَـا وَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ «نَـزَلَ نَبِـيٌّ مِـنَ الأَنْبِيَـاءِ تَحْـتَ شَـجَرَةٍ فَلَدَغَتْـهُ نَمْلَـةٌ، فَأَمَرَ بِجِهَـازِهِ فَـأُخْرِجَ مِـن تَحْتِهَـا، وَأَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ فِي النَّـارِ قَـالَ فَـأَوْحَى اللَّـهُ إِلَيْـهِ فَهَـلا نَمْلَـةً وَاحِـدَةً».

٥١٠٥– ١٥١/٢٥ عَـن عَبْـدِ اللَّـهِ ﷺ(١٥١) أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ قَـالَ: «عُذِّبَـتِ امْـرَأَةٌ فِـي هِـرَّةٍ سَـجَنَتْهَا

---

(١٤٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ح و حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ يَعْنِي ابْنَ زَكَرِيَّاءَ ح و حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَن سُفْيَانَ كُلُّهُمْ عَن سُهَيْلٍ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٠) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ يَعْنِي ابْنَ زَكَرِيَّاءَ عَن سُهَيْلٍ حَدَّثَتْنِي أُخْتِي عَن أَبِي هُرَيْرَةَ.

(١٤٨) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى قَالا أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٤٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِزَامِيَّ عَن أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٥٠) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَن هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا عن أَبُو هُرَيْرَةَ

(١٥١) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَعِيُّ حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ عَن نَافِعٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ

– و حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى عَن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَن نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَعَن سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ مَعْنَاهُ.

– و حَدَّثَنَاه هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَن مَعْنِ بْنِ عِيسَى عَن مَالِكٍ عَن نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِذَلِكَ.

حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِن خَشَاشِ الأَرْضِ».

٥١٠٦- $\frac{١٥٢}{٢٦}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٥٢] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ، لَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَسْقِهَا، وَلَمْ تَتْرُكْهَا تَأْكُلُ مِن خَشَاشِ الأَرْضِ».

٥١٠٧-- وفي رواية عَن هِشَامٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَفِي حَدِيثِهِمَا: رَبَطَتْهَا. وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ «حَشَرَاتِ الأَرْضِ».

٥١٠٨- $\frac{١٥٣}{٢٧}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٥٣] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ».

٥١٠٩- $\frac{١٥٤}{٢٨}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٥٤]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا، فَغُفِرَ لَهَا».

٥١١٠- $\frac{١٥٥}{٢٩}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٥٥] قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِن بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ، بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ».

المعنى العام

منذ هبط آدم من الجنة إلى الأرض كان لابد أن يتعامل مع ما حوله من المخلوقات، ليتواءم ويعيش، ذلل الله تعالى له ولبنيه بعض مخلوقاته، فاستخدمها وانتفع بها من أحياء البحر واليابسة،

---

(١٥٢) وحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَن هِشَامٍ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ
- وحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ
- وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدٌ أَخْبَرَنَا وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ قَالَ قَالَ الزُّهْرِيُّ وَحَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَن هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ.

(١٥٣) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَن مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَن سُمَيٍّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَن أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٥٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ عَن هِشَامٍ عَن مُحَمَّدٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٥٥) و حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ عَن أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ عَن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

ولم يذلل له بعضا آخر، علمه كيف يتعامل معها، وكيف يتقى شرها، ويأخذ حذره منها، أو كيف يقضى عليها، ويتخلص منها، ليكون له فى هذا الكفاح والشقاء أجر وثواب.

من هذه المخلوقات الشريرة المؤذية لبنى آدم الأفاعى والحيات والثعابين والعقارب، وشر هذا النوع ما يعرف بالأبتر، وهو ثعبان قصير الذيل، يسحب بصر الإنسان إذا وقع بصره على بصره، وما يعرف بذى الطفيتين، أى صاحب الخطين الممتدين على ظهره، وهو ثعبان إذا نظرت إليه الحامل سقط حملها، حث رسول الله ﷺ على قتل الأفاعى عامة، ووصى بقتل الأبتر وذات الطفيتين منها بصفة خاصة.

ومن هذه المخلوقات الضارة المؤذية الوزغ أو الأبرص، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله، وسماه فويسقا، وقال عنه إنه خارج عن طبيعة المخلوقات المسالمات إلى طبيعة الحشرات المؤذيات، واستنهض رسول الله ﷺ همم المسلمين لقتله، فوعد من قتله بضربة واحدة بالأجر الكبير، ودونه من قتله بضربتين، ودونه من قتله بثلاث ضربات أو ما بعدها.

أما النمل فبعضه يؤذى وبعضه لا يؤذى، فرخص الشارع قتل المؤذى فى حدود دفع الأذى.

ثم أوصى الشارع بالحيوانات الأليفة خيرا، أوصى بالإحسان إليها، وإطعامها وسقيها، وعدم إيذائها، فقد حبست امرأة هرة، فلا هى أطعمتها وسقتها، ولا هى تركتها بدون حبس، لتبحث لها عن حشرة تأكلها، وتجد لها ماء تشربه، لكنها حبستها، حتى ماتت جوعا، وعطشا، هذه المرأة أخبر الله نبيه ﷺ أنها ستعذب بالنار يوم القيامة.

وهذا رجل يمشى فى صحراء، يشتد عليه العطش، حتى كاد يهلكه، أخذ يبحث عن ماء، فوجد بئرا، نزل فشرب، فلما خرج من البئر وجد كلبا يلهث، ويخرج لسانه جافا من شدة العطش يلعق بلسانه التراب، لعله يجد فيه رطوبة تخفف عنه جفاف اللسان والعطش، فقال الرجل: لقد بلغ العطش بهذا الكلب مثل ما بلغ بى، فنزل البئر ثانية، فلم يجد ما يرفع به الماء للكلب سوى خفه، فملأ واحدا من خفيه، وأمسكه بفمه، ليتمكن من الصعود من البئر بيديه، حتى خرج من البئر، فسقى الكلب حتى روى، فشكر الله لهذا الرجل إحسانه إلى الكلب، فغفر له ذنوبه.

وهذه امرأة بغى، زانية، ترى كلبا يلهث من العطش، فتأخذها الشفقة على الكلب فتخلع حذاءها، وتملؤه ماء، وتسقى به الكلب، فيشكر الله لها، فيغفر لها زناها.

وقع ذلك فى الأمم السابقة، ويحكيه رسول الله ﷺ لأصحابه، مرغبا فى الإحسان إلى الحيوان، فيقول الصحابة: إذن لنا أجر فى سقينا دوابنا؟ فيقول صلى الله عليه وسلم: نعم. إن فى إروائكم لأى حيوان أجرا وثوابا.

المباحث العربية

(أمر رسول الله ﷺ بقتل ذى الطفيتين) أى صاحب الطفيتين، والطفيتان تثنية طفية، بضم الطاء وسكون الفاء وفتح الياء، وهى خوصة شجر المقل، بضم الميم وسكون القاف، وهو شجر

الدوم، بفتح الدال، وهو يشبه النخل، وتطلق الطفية على الخط الأبيض، أو الأسود، أو الأصفر على ظهر الحية، وتطلق عبارة « ذات الطفيتين على حية لينة خبيثة، على ظهرها خطان، وكأنهما مشبهان بخوصتى المقل، وكان حقه أن يقول: ذات الطفيتين، فهى حية، ولكنه أريد النوع، فكأنه قال: اقتلوا هذا النوع.

وفى ملحق الرواية « الأبتر وذو الطفيتين » وفى الرواية الثانية « اقتلوا الحيات، وذا الطفيتين والأبتر » فعطفهما على الحيات من عطف الخاص على العام، وفى الرواية الثالثة « اقتلوا الحيات والكلاب، واقتلوا ذا الطفيتين والأبتر » والأبتر نوع من الحيات، مقطوع الذنب، وقيل: الأبتر الحية القصيرة الذنب، وقال الداودى: هى الأفعى التى تكون قدر شبر أو أكبر قليلا، وعطف الأبتر على ذى الطفيتين يقتضى أنهما متغايران، لكن جاء فى رواية « لا تقتلوا الحيات، إلا كل أبتر ذى طفيتين »، فظاهر هذه الرواية أنهما متحدان، قال الحافظ ابن حجر: لكن لا ينفى المغايرة.اهـ.

فقد تكون ذات الطفيتين طويلة الذنب، وقد تكون قصيرة الذنب، فأمر بقتل النوعين فى رواية، وأمر بقتل نوع فى رواية.

والثعبان ذكر الحيات، وقيل: الكبير من الحيات، ذكرا كان أو أنثى، والأفاعى جمع أفعى، وهى الأنثى من الحيات، والذكر منها « أفعوان » بضم الهمزة والعين، بينهما فاء ساكنة، وكنية الأفعوان أبو حيان، وأبو يحيى، لأنه يعيش ألف سنة، وهو الشجاع الأسود، الذى يواثب الإنسان، قالوا: ومن صفة الأفعى أنها إذا فقئت عينها عادت، ولا تغمض حدقتها أبدا، والأساود جمع أسود، قال أبو عبيد: هى حية فيها سواد، وهى أخبث الحيات، ويقال له: أسود سالخ، لأنه يسلخ جلده كل عام، وفى سنن أبى داود والنسائى « أعوذ بالله من أسد وأسود » وقيل: هى حية رقيقة رقشاء، دقيقة العنق، عريضة الرأس، وربما كانت ذات قرنين، والهاء فى الحية للوحدة، كدجاجة.

(فإنه يلتمس البصر، ويصيب الحبل) والضمير لذى الطفيتين، وفى الرواية الثانية « فإنهما يستسقطان الحبل، ويلتمسان البصر » والضمير لذى الطفيتين والأبتر، وإسناد الفعل لهما لا يتعارض مع إسناده لأى منهما، والحبل بفتح الحاء والباء حمل المرأة، « ويستسقطان » أى يصيران الحمل سقطا، ومعنى « يلتمسان البصر » أى يقصدانه، فيذهبان، وفى الرواية الثالثة « ويستسقطان الحبالى » وفى الرواية التاسعة « فإنهما اللذان يخطفان البصر، ويتتبعان ما فى بطون النساء » أى يسقطانه، مجاز بذكر السبب، وإرادة المسبب. وفى الرواية الثامنة « هما اللذان يلتمعان البصر، ويطرحان أولاد النساء » وفى رواية البخارى « فإنهما يطمسان البصر » أى يمحوان نوره، وفى رواية « ويذهب البصر » وفى رواية « فإنه يسقط الولد » وفى رواية « ويذهب الحبل » وكلها بمعنى.

قال نضر بن شميل: الأبتر صنف من الحيات أزرق، مقطوع الذنب، لا تنظر إليه حامل إلا ألقت ما فى بطنها. قال النووى: معنى « يستسقطان الحبل » أن المرأة الحامل إذا نظرت إليهما، وخافت، أسقطت الحمل غالبا، وقد ذكر مسلم فى روايتنا الثالثة قول الزهرى « ونرى ذلك من سميهما » بضم نون « نرى » أى نظن، قال: وأما « يلتمسان البصر » ففيه تأويلان، ذكرهما الخطابى وآخرون، أحدهما: معناه يخطفان البصر ويطمسانه، بمجرد نظرهما إليه، لخاصة جعلها الله تعالى فى بصريهما، إذا

وقع على بصر الإنسان، ويؤيد هذا التأويل الرواية الثامنة « يلتمعان البصر» والتاسعة « يخطفان البصر» والتأويل الثانى أنهما يقصدان البصر باللسع والنهش، والأول أصح وأشهر. قال العلماء: وفى الحيات نوع يسمى الناظر، إذا وقع نظره على عين إنسان مات من ساعته.

(فكان ابن عمر يقتل كل حية وجدها) سواء كانت من ذوات البيوت أو فى الصحراء، أى يقتلها إذا قدر عليها، وفى الرواية الثالثة: « قال ابن عمر: فلبثت لا أترك حية أراها إلا قتلتها » أى إن قدرت عليها، وفى رواية البخارى « أن ابن عمر كان يقتل الحيات، ثم نهى، قال: إن النبى ﷺ هدم حائطا له، فوجد فيه سلخ حية، أى جلدها الذى غيرته - فقال: انظروا أين هو؟ فنظروا فقال: اقتلوه، قال ابن عمر: فكنت أقتلها لذلك »

(فأبصره أبو لبابة بن عبد المنذر أو زيد بن الخطاب، وهو يطارد حية) « أبو لبابة » بضم اللام، صحابى مشهور، وهو أوسى من بنى أمية بن زيد، ليس له فى الصحيح إلا هذا الحديث، وكان أحد النقباء، وشهد أحدا، ويقال: شهد بدرا، واستعمله النبى ﷺ على المدينة، وكانت معه راية قومه عند الفتح، ومات فى أول خلافة عثمان، وزيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، ليس له فى الصحيح إلا هذا الموضع، وفى الرواية الثانية والثالثة « أبو لبابة أو زيد بن الخطاب » بالشك، وفى الرواية الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة. « أبو لبابة » من غير شك، والظاهر أنهما كانا معا، ونسب القول لهما، فى ملحق الرواية الثالثة على أساس أن القائل أحدهما، وموافقه الآخر فى حكم قوله أيضا، ومعنى « يطارد حية » أى يطلبها ويتبعها ليقتلها.

(فقال: إنه قد نهى عن ذوات البيوت) فى الكلام مضاف محذوف، أى نهى عن قتل ذوات البيوت أى اللاتى يوجدن فى البيوت، وظاهره التعميم فى جميع البيوت، وعن مالك تخصيصه ببيوت المدينة، وقيل يختص ببيوت المدن، دون غيرها، وفى الرواية الرابعة والخامسة والتاسعة « نهى عن قتل الجنان التى فى البيوت » و« الجنان » بجيم مكسورة، ونون مفتوحة مشددة، جمع جان، وهى الحية الصغيرة، قيل: الرقيقة الخفيفة، وقيل: الرقيقة البيضاء، وفى الرواية الثامنة « إذا هم بحية من عوامر البيوت » وفى رواية للبخارى « إنه نهى بعد ذلك عن ذوات البيوت، وهى العوامر» قال الحافظ ابن حجر: « وهى العوامر» من كلام الزهرى، أدرج فى الحديث، قال أهل اللغة: عمار البيوت سكانها من الجن، وتسميتهن عوامر، لطول لبثهن فى البيوت، مأخوذ من العمر، وهو طول البقاء، وفى روايتنا الثالثة عشرة « إن لهذه البيوت عوامر، فإذا رأيتم شيئا منها، فحرجوا عليها ثلاثا » أى ثلاث مرات، وقيل: ثلاث ليال، ومعنى « حرجوا عليهن » بفتح الحاء وكسر الراء المشددة بعدها جيم، أى قولوا لهن: أنتن فى ضيق وحرج، إن لبثت عندنا، أو ظهرت لنا، أو عدت إلينا، قتلناك.

(يفتح خوخة له) بفتح الخاء، وإسكان الواو، وهى كوة بين دارين أو بيتين، يدخل منها، وقد تكون فى حائط منفرد. والكوة النافذة الصغيرة، وفى الرواية التاسعة « كان عبد الله بن عمر يوما عند هدم له » وفى الرواية الرابعة « أن أبا لبابة كلم ابن عمر ليفتح له بابا فى داره، يستقرب به إلى المسجد » أى ليصير به قريبا من المسجد - « فوجد الغلمة » - بكسر الغين وسكون اللام جمع غلام - « جلد جان، فقال عبد الله: التمسوه » أى ابحثوا عن الثعبان « فاقتلوه » وفى الرواية الثامنة « فبينما

عبد الله بن عمر - جالسا معه - يفتح خوخه له، إذا هم بحية » وفى ملحق الرواية التاسعة « أن أبا لبابة مر بابن عمر، وهو عند الأطم » بضم الهمزة والطاء، وهو القصر، وجمعه أطام، كعنق وأعناق « الذى عند دار عمر بن الخطاب، يرصد حية » أى يرقبها ويبحث عنها، بواسطة الغلمة، ليقتلها.

(كنا مع النبى ﷺ فى غار، وقد أنزلت عليه « والمرسلات عرفا) فى رواية البخارى « بينما نحن مع النبى ﷺ فى غار بمنى، إذ نزل عليه « والمرسلات » وفى رواية « كان ذلك ليلة عرفة، قال الحافظ ابن حجر « بمنى » أصح مما أخرجه الطبرانى فى الأوسط « على حراء ».

وقوله تعالى ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قيل فى تفسيره أن الله تعالى يقسم بمن اختاره من الملائكة عليهم السلام، يقسم بطوائف الملائكة، التى يرسلها إلى الخلق للأمر بالمعروف وتحويلهم من الظلمات إلى النور، وجواب القسم ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾.

(فنحن نأخذها من فيه رطبة) أى لم يجف ريقه منها وفى رواية للبخارى « فتلقيناها من فيه، وإن فاه لرطب بها » وفى رواية له « وإنا لنتلقاها من فيه » وفى رواية أخرى له « وإنه ليتلوها، وإنى لأتلقاها من فيه ».

(إذ خرجت علينا حية) فى رواية للبخارى « إذ وثبت علينا حية ».

(فابتدرناها لنقتلها، فسبقتنا) أى تسابقنا أينا يدركها؟ فسبقتنا كلنا، وفى رواية للبخارى « فابتدرناها فذهبت ».

(وقاها الله شركم، كما وقاكم شرها) أى إن الله سلمها منكم، كما سلمكم منها.

(أمر محرما بقتل حية بمنى) هذا مأخوذ من الرواية العاشرة، فقد كانوا محرمين بالحج، وأمرهم رسول الله ﷺ بقتلها.

(فسمعت تحريكا فى عراجين) بفتح العين، جمع عرجون بضمها، وهو الفروع التى تحمل تمر النخل.

(فلما انصرف أشار إلى بيت فى الدار) أى فلما انصرف وانتهى من الصلاة، والبيت فى الأصل ما يبيت فيه الآدمى، والدار تجمع المبانى والساحة، وكأن دارهم كانت فسيحة، تتكون من بيوت لأفراد الأسرة.

(فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق) أى إلى حفر الخندق.

(فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار) « أنصاف النهار» بفتح الهمزة منتصفه، وكأنه وقت لآخر النصف الأول وأول النصف الثانى، فجمعه لذلك، ويحتمل أن يكون جمعه لتعدده بحسب تعدد الأيام.

(فيرجع إلى أهله) أى إلى زوجته، ليطالع حالها، ويقضى حاجتها، ويؤنسها فى وحشتها فقد كانت عروسا.

(خذ عليك سلاحك، فإنى أخشى عليك قريظة، فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع) كانت

بنو قريظة قد عاهدت رسول اللّه ﷺ أن لا تعين عليه من يحاربه، فنكثت العهد، وأعانت قريشا على حربه فى غزوة الخندق، فكان صلى اللّه عليه وسلم يخشى على أصحابه من غدر اليهود، أن ينفردوا بأحد المسلمين فى المدينة، فأوصى هذا الفتى بالحذر منهم، وذكر الراوى هذه القضية ليبين كيف أن الفتى كاد يستخدم سلاحه ضد زوجته.

(فإذا امرأته بين البابين قائمة) كانت غيرة العرب على نسائهم، وبخاصة حديثة العرس، تمنع الزوجة من البروز فى فناء الدار وتحدد إقامتها فى دائرة الحريم. حجرة النوم وما حولها من حجرات، فوجد الفتى امرأته قد خرجت من الدائرة المحددة لها، ووقفت فى فناء الدار بين باب الحريم والباب العام للبيت.

(فأهوى إليها الرمح) أى رفع رمحه، وصوبه نحوها، يريد طعنها به.

(اكفف عليك رمحك) أى اضمم إليك رمحك، يقال: كف الشيء يكفه بضم الفاء، إذا ضم بعضه إلى بعض.

(فإذا بحية عظمية منطوية على الفراش) أى ملتف بعضها حول بعض، فوق فراش زوجته.

(فأهوى إليها بالرمح، فانتظمها به) أى طعنها به وضم بعضها إلى بعض، أى فصارت كومة فظنها قد ماتت، ولم تكن ماتت.

(ثم خرج فركزه فى الدار) مطمئنا، فلا حاجة له به.

(فاضطربت عليه) أى تحركت على غير نظام، وهاجمته، وأصابته بسمها، ثم وقعت ميتة ووقع الفتى ميتا.

(فما يدرى. أيهما كان أسرع موتا؟ الحية؟ أم الفتى؟) «فما يدرى» بضم الياء، مبنى للمجهول، أى فما يدرى أحد، أيهما كان أسبق موتا؟ لسرعة موتهما.

(ادع اللّه يحييه لنا) لمحبتنا له، واعتزازنا به، و«يحييه» مؤول بمصدر من غير سابك، مجرور بحرف جر، والتقدير: ادع اللّه بإحيائه لنا.

(إن بالمدينة جنا، قد أسلموا) وأنهم يتشكلون بالأفاعى والحيات.

(فإذا رأيتم منهم شيئا) على هيئة حية.

(فآذنوه ثلاثة أيام) أى آذنوه وأعلموه وأنذروه أن لا يعود للظهور، وأعطوه مهلة ثلاثة أيام، وفى الرواية الثالثة عشرة «حرجوا عليها ثلاثا» بفتح الحاء وتشديد الراء المكسورة، أى ضيقوا عليها بإنذارها.

(فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان) أى متمرد، وفى الرواية الثالثة عشرة «فإن ذهب، وإلا فاقتلوه، فإنه كافر» جواب الشرط الأول، وفعل الشرط الثانى محذوفان، والتقدير: فإن ذهب ولم يرجع سلم منكم وسلمتم منه، وإن لم يذهب ورجع إليكم فاقتلوه. قال النووى: قال العلماء: معناه إذا لم يذهب بالإنذار، علمتم أنه ليس من عوامر

البيوت، ولا ممن أسلم من الجن، بل هو شيطان، فلا حرمة عليكم فاقتلوه، ولن يجعل اللَّه له سبيلا للانتصار عليكم بثأره، بخلاف العوامر ومن أسلم.

(اذهبوا، فادفنوا صاحبكم) رد على قولهم ادع اللَّه يحييه لنا.

(أمرها بقتل الأوزاغ) جمع وزغ بفتح الواو والزاى، ووزغة، أو الوزغة الأنثى، والوزغ الذكر، سام أبرص، جلده يشبه البرص - بفتح الراء، المرض المعروف -، ويعرف « بالبرص » بضم الباء وسكون الراء، قال النووى: واتفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات، وفى الرواية السادسة عشرة « أنها استأمرت النبى ﷺ فى قتل الوزغان » بكسر الواء وسكون الزاى « فأمر بقتلها » وفى الرواية السابعة عشرة « أمر بقتل الوزغ، وسماه فويسقا » وفى الرواية الثامنة عشرة « قال للوزغ: الفويسق » واللام فى « للوزغ بمعنى « عن » والمعنى أنه سماه « فويسقا » وهو تصغير تحقير، مبالغة، والفسق الخروج عن الحد بالأذى، والرواية التاسعة عشرة والمتممة للعشرين، والواحدة والعشرون، قصد بها تكثير الثواب فى قتله بأول ضربة، ثم ما يليها، فالمقصود الحث على المبادرة بقتله، والاعتناء به، وتحريض قاتله على أن يقتله بأول ضربة، فإنه إذا أراد أن يضربه ضربات، ربما انفلت، وفات قتله.

قال النووى: وأما تقييد الحسنات فى الضربة الأولى بمائة، وفى الرواية الأخرى بسبعين، فجوابه أن هذا مفهوم العدد، ولا يعمل به عند الأصوليين وغيرهم، فذكر سبعين لا يمنع المائة، فلا معارضة بينهما، أو لعله صلى اللَّه عليه وسلم أخبرنا أولا بسبعين، ثم تصدق اللَّه تعالى بالزيادة، فأعلم بها النبى ﷺ، حين أوحى إليه بعد ذلك، ويحتمل أن ذلك يختلف باختلاف قاتلى الوزغ، بحسب نياتهم، وإخلاصهم، وكمال أحوالهم ونقصها، فتكون المائة للكامل منهم، والسبعون لغيره. واللَّه أعلم.

(أن نملة قرصت نبيا من الأنبياء) قيل: هو العزير، وروى الحكيم الترمذى فى النوادر أنه موسى عليه السلام، وبذلك جزم الكلاباذى فى معانى الأخبار، والقرطبى فى التفسير، وفى الرواية الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين « نزل نبى من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة » أى قرصته، هو بالدال والغين، وليس بالذال والعين فإن معناه الإحراق، ولا يصح هنا.

(فأمر بقرية النمل فأحرقت) المراد من قرية النمل مساكنها وموضع اجتماعها، قال الحافظ ابن حجر: والعرب تفرق فى الأوطان، فيقولون لمسكن الإنسان وطن، ولمسكن الإبل عطن، ولمسكن الأسد عرين وغابة، ولمسكن الظبى كناس، ولمسكن الضب وجار، ولمسكن الطائر عش، ولمسكن الزنبور كور، ولمسكن اليربوع نافق ولمسكن النمل قرية، وفى رواية للبخارى « ثم أمر ببيتها فأحرق ».

وفى الرواية الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين « فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، ثم أمر بها فأحرقت » ففى الكلام مضاف محذوف، تقديره: ثم أمر بقريتها، بدلالة الرواية الأخرى، وبدلالة مؤاخذة اللَّه تعالى له، والجهاز بفتح الجيم وكسرها هو المتاع، وإخراجه من تحتها، يدل على أن قرية النمل كانت فوق الشجرة، أو الضمير فى « تحتها » للشجرة، وكانت قرية النمل تحتها أيضا.

(فأوحى اللَّه إليه: أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح) « أن » وما دخلت عليه فى تأويل مصدر، مجرور بفى، متعلق بأهلكت، وجملة « أهلكت » مفعول به لفعل « أوحى » « وفى » للسببية كقوله « دخلت امرأة النار فى هرة »

والتقدير: أوحى اللّه إليه هذه الجملة: أهلكت أمة بسبب قرص نملة لك؟ والكلام على الاستفهام الإنكارى التوبيخى، أى ما كان ينبغى ذلك، وجملة «تسبح» صفة ثانية لأمة، أى أهلكت أمة من الأمم مسبحة، إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] وفى وصف الأمة بالتسبيح زيادة توبيخ، وفى الرواية الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين «فأوحى اللّه إليه: فهلا نملة واحدة؟ «فهلا» للتوبيخ والتنديم، وتختص بالدخول على الفعل الماضى، والفعل هنا مقدر، و«نملة» بالنصب مفعوله، والتقدير: هلا عاقبت نملة واحدة، فقد قرصتك نملة واحدة، و«هلا» إذا دخلت على المضارع تكون للعرض أو التحضيض، ولا يصح هنا، والنملة واحدة النمل، وجمع الجمع نمال، والنمل أعظم الحيوانات حيلة فى طلب الرزق، ومن عجيب أمره أنه إذا وجد شيئا ولو قل أنذر الباقين، ويحتكر فى زمن الصيف للشتاء، وإذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض، وإذا حفر مكانه اتخذه تعاريج لئلا يجرى إليه ماء المطر، وليس فى الحيوان ما يحمل أثقل منه غيره.

(عذبت امرأة فى هرة) الفعل الماضى مراد به الاستقبال، أى ستعذب وعبر بالماضى لتحقيق الوقوع، و«فى» للسببية، وفى الكلام مضاف محذوف، أى بسبب إيذاء أو قتل هرة، وفى رواية البخارى «دخلت امرأة النار فى هرة» وجاء فى رواية أن المرأة كانت حميرية، وفى أخرى أنها كانت من بنى إسرائيل، قال الحافظ ابن حجر: ولا تضاد بينهما، لأن طائفة من حمير كانوا قد دخلوا فى اليهودية، فنسبت إلى دينها تارة، وإلى قبيلتها أخرى.اهـ وفى رواية «من جرا هرة» و«جرا» بفتح الجيم وتشديد الراء مقصور، ويجوز فيه المد، والهرة أنثى السنور والهر الذكر ويجمع «الهر» على «هررة» كقرد وقردة، وتجمع «الهرة» على «هرر» كقربة وقرب.

(سجنتها حتى ماتت) فى ملحق الرواية السادسة والعشرين «ربطتها»

(لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها) وفى الرواية السادسة والعشرين «لم تطعمها ولم تسقها».

(ولا هى تركتها، تأكل من خشاش الأرض) وفى ملحق الرواية السادسة والعشرين «ولم تتركها تأكل من حشرات الأرض» و«خشاش الأرض» بالخاء المفتوحة والمكسورة والمضمومة، والفتح أشهر، وروى بالحاء المهملة، والصواب الأول، وهى هوام الأرض وحشراتها، وقيل: المراد به نبات الأرض قال النووى: وهو ضعيف أو غلط.اهـ

وفى رواية للبخارى «دنت منى النار، حتى قلت، أى رب، وأنا معهم؟ فإذا امرأة تخدشها هرة، قال: ما شأن هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعا».

(بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش) فى رواية «بينما رجل يمشى بفلاة» وفى رواية «يمشى بطريق مكة» ويجمع بينهما بأنه كان يمشى بفلاة بطريق مكة، وفى رواية البخارى «فاشتد عليه العطش، بالفاء الواقعة موقع «إذ» وسقطت هذه الفاء من رواية مسلم، ووقع فى رواية «فاشتد عليه العطاش» قال ابن التين: العطاش داء يصيب الغنم، فلا تروى، وهو غير مناسب هنا.

(فإذا كلب يلهث) بفتح الهاء وكسرها، واللَّهث المصدر بإسكانها، والاسم اللهث بفتحها، وهو ارتفاع النفس من الإعياء، وقال ابن التين: لهث الكلب، أخرج لسانه من العطش، ولهث الرجل إذا أعيا، ورجل لهثان، وامرأة لهثى، كعطشان وعطشى.

(يأكل الثرى من العطش) أى يكدم بفمه الأرض الندية، والجملة صفة كلب، أو حال من ضميره فى «يلهث»

(لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى) «مثل» بالفتح، أى بلغ مبلغا مثل الذى بلغ بى، وضبطه بعضهم بالرفع على أنه فاعل «بلغ» والإشارة مفعول.

(فنزل البئر، فملأ خفه ماء) فى رواية ابن حبان «فنزع أحد خفيه»

(ثم أمسكه بفيه) احتاج إلى ذلك ليعالج بيديه الصعود من البئر.

(حتى رقى) بفتح الراء وكسر القاف، كصعد وزنا ومعنى، وفى لغة طيئ يفتحون عين الفعل المعتل اللام، والأول أفصح.

(فسقى الكلب) زاد فى رواية «حتى أرواه» أى جعله ريانا.

(فشكر اللّٰه له، فغفر له) أى أثنى عليه، أو قبل عمله، أو جازاه بفعله، قال القرطبى: معنى قوله «فشكر اللّٰه له» أى أظهر ما جازاه به عند ملائكته، فالفاء فى «فغفر له» تفسيرية، أو من عطف الخاص على العام.

(قالوا...) سمى من هؤلاء السائلين سراقة بن مالك، رواه أحمد وابن ماجه.

(وإن لنا فى هذه البهائم لأجرا)؟ معطوف على محذوف، تقديره: الأمر كما ذكرت، وإن لنا، وفى الكلام مضاف محذوف، أى فى سقى هذه البهائم، أو فى الإحسان إلى هذه البهائم.

(فى كل كبد رطبة أجر) «رطبة» أى حية، فالمراد رطوبة الحياة، أو لأن الرطوبة لازمة للحياة، فهو كناية، والمعنى أجر ثابت فى إرواء كل كبد حية، والكبد يذكر ويؤنث، والعموم فى «كل كبد» قيل مخصوص ببعض البهائم، مما لا ضرر فيه، وسيأتى التفصيل في فقه الحديث.

(أن امرأة بغيا) بفتح الباء وكسر الغين، وهى الزانية، قال الحافظ ابن حجر: وتطلق على الأمة مطلقا، وفى روايتنا التاسعة والعشرين «بغى من بغايا بنى إسرائيل».

(رأت كلبا فى يوم حار، يطيف ببئر) «يطيف» بضم أوله، من أطاف، يقال: أطفت بالشيء إذا أدامت المرور حوله، وفى الرواية التاسعة والعشرين «يطيف بركية» بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد الياء، وهى البئر مطوية أو غير مطوية، وغير المطوية يقال لها: جب وقليب، ولا يقال لها بئر، حتى تطوى، وقيل: الركى البئر قبل أن تطوى، فإذا طويت فهى الطوى، يقال: طوى البئر بالحجارة، أى بناها أو عرشها.

(قد أدلع لسانه من العطش) يقال:أدلع لسانه، ودلع لسانه، لغتان، أى أخرجه لشدة العطش، وخرج من الفم واسترخى من ظمأ أو تعب.

(فنزعت له بموقها) « الموق » بضم الميم هو الخف، فارسى معرب، ومعنى « نزعت له بموقها » أى استقت له بخفها، يقال: نزعت بالدلو، إذا استقيت به من البئر.

فقه الحديث

قال النووى: قال المازرى: لا تقتل حيات مدينة الرسول ﷺ إلا بإنذارها [كما جاء فى الرواية الثانية عشرة « فإذا رأيتم شيئا منها فحرجوا عليها ثلاثا » قيل: ثلاثة أيام، وقيل ثلاث مرات، « فإن ذهب، وإلا فاقتلوه، فإنه كافر » فإن أنذرها، ولم تنصرف قتلها.

قال: وأما حيات غير المدينة، فى جميع الأرض والبيوت والدور، فيندب قتلها، من غير إنذار، لعموم الأحاديث الصحيحة فى الأمر بقتلها، ففى الرواية الثانية « اقتلوا الحيات » وفى الرواية الثالثة « اقتلوا الحيات والكلاب » وفى الرواية العاشرة « إذ خرجت علينا حية، فقال: اقتلوها » ولم يذكر إنذارا، ولا نقل أنهم أنذروها، قال: فأخذ العلماء بهذه الأحاديث فى استحباب قتل الحيات مطلقا، وخصت المدينة بالإنذار الوارد فيها، وسببه صرح به فى الحديث - روايتنا الثانية عشرة - أنه أسلم طائفة من الجن بها.

وذهبت طائفة من العلماء إلى عموم النهى فى حيات البيوت بكل بلد، حتى تنذر، وأما ما ليس فى البيوت، فيقتل من غير إنذار، وقال مالك: يقتل ما وجد منها فى المساجد.

قال القاضى: وقال بعض العلماء: الأمر بقتل الحيات مطلقا مخصوص بالنهى عن جنان البيوت، إلا الأبتر وذا الطفيتين، فإنه يقتل على كل حال (فكأنه قال: اقتلوا الحيات إلا حيات البيوت، فلا تقتلوها، إلا بعد الإنذار، و إلا الأبتر وذا الطفيتين، فاقتلوهما، وإن كانا فى البيوت بدون إنذار) وإلا ما ظهر منها بعد الإنذار.

وأما صفه الإنذار فقال القاضى: روى ابن حبيب عن النبى ﷺ أنه يقول: أنشدكن بالعهد الذى أخذه عليكم سليمان بن داود، ألا تؤذونا، ولا تظهرن لنا.

وقال مالك: يكفى أن يقول: أحرج عليك بالله واليوم الآخر أن لا تبدولنا، ولا تؤذينا.اهـ.

والذى أميل إليه جواز قتل جميع الحيات فى أى مكان بدون إنذار، لحديث البخارى « خمس من الدواب لا حرج على من قتلهن » وفى رواية « كلهن فاسق، يقتلن فى الحرم » وذكر منها العقرب فى رواية و« الحية » فى رواية أخرى، وإذا رفع الإثم فى قتلها على المحرم، وفى الحرم رفع عن الحلال من باب أولى، ثم كيف نأمن الثعبان على أطفالنا مع الإنذار؟ أعتقد أن طلب الإنذار كان لنوعية خاصة، ومكان خاص وزمن خاص، لا يقاس عليه، وكذا ما ورد عن أبى لبابة وزيد بن الخطاب. والله أعلم.

ويؤخذ من الأحاديث فوق ما تقدم

١- من قوله فى الرواية الأولى والثانية « فإنه يلتمس البصر، ويصيب الحبل » أن هناك تأثيرا بدون ملامسة، كالأشعة غير المرئية، ويحمل على مثلها إصابة العين.

٢- وأن هناك من المخلوقات ما لا نعرف فائدة فى خلقه، وأنه مؤذ دائما، اللّهم إلا أن يقال: إن من الحكمة فى خلقه تخويف العباد، والحث على توقى الشر. واللّه أعلم.

٣- ومن قتل ابن عمر لكل حية، تنفيذا لما سمع من النبى ﷺ، وكذلك إمساكه بناء على سماع أبى لبابة، مدى ما كان عليه من دقة الاستجابة لأوامر الرسول ﷺ.

٤- ومن عمل أبى لبابة وزيد بن الخطاب حرص الصحابة على التبليغ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولو من غير الأعلم للأعلم.

٥- من تعليله صلى اللّه عليه وسلم لقتل الأبتر وذى الطفيتين ما ينبغى للعالم إذا أفتى أن يسوق الدليل والتعليل لفتواه.

٦- ومن الرواية الثالثة، قتل الكلاب، وفيه تفصيل سبق.

٧- ومن الرواية العاشرة والحادية عشرة جواز قتل المحرم للفواسق الواردة.

٨- ومن قوله فى الرواية العاشرة « وقاها اللّه شركم، ووقاكم شرها ». أن الشر والخير نسبى، فقتلكم إياها شر بالنسبة لها، وإن كان خيرا بالنسبة إليكم.

٩- وفى الحديث جواز قتل الحية فى الحرم.

١٠- وجواز قتلها فى جحرها.

١١- ومن الرواية الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة استحباب قتل الوزغ والحث عليه والترغيب فيه، لكونه من المؤذيات.

١٢- والحث على المبادرة بقتله، والاعتناء به، وكثرة الثواب على قتله.

١٣- ومن الرواية الثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين جواز إحراق الحيوان المؤذى بالنار، على أساس أن شرع من قبلنا شرع لنا، إذا لم يأت فى شرعنا ما يرفعه، و لا سيما إذا ورد على لسان الشارع ما يشعر باستحسان ذلك، لكن ورد فى شرعنا النهى عن التعذيب بالنار، قال النووى: هذا الحديث محمول على أنه كان جائزا فى شرع ذلك النبى قتل النمل، وجواز التعذيب بالنار، فإنه لم يقع عليه العتب فى أصل القتل، ولا فى الإحراق، بل فى الزيادة على النملة الواحدة، وأما فى شرعنا فلا يجوز إحراق الحيوان بالنار، إلا إذا أحرق إنسان إنسانا، فمات بالإحراق، فلوليه القصاص بإحراق الجانى، للحديث المشهور « لا يعذب بالنار إلا اللّه ».

ثم قال: وأما قتل النمل فمذهبنا أنه لا يجوز، واحتج أصحابنا فيه بحديث ابن عباس « أن النبى ﷺ نهى عن قتل أربع من الدواب. النملة والنحلة والهدهد، والصرد » (بضم الصاد وفتح الراء، طائر أكبر من العصفور، ضخم الرأس والمنقار، يصيد صغار الحشرات) رواه أبو داود بإ سناد صحيح على شرط البخارى ومسلم، اهـ.

أما الخطابى وغيره فقد قيدوا النهى عن قتل النمل بالنمل السليمانى، وقال البغوى: النمل الصغير الذى يقال له الذر، يجوز قتله، وبه جزم الخطابى.

١٤- قال عياض: فى هذا الحديث جواز قتل كل مؤذ.

١٥- قال القرطبى: ظاهر هذا الحديث أن هذا النبى إنما عاتبه الله حيث انتقم لنفسه، بإهلاك جمع، أذاه منه واحد، وكان الأولى به الصبر والصفح، وكأنه وقع له - أى ظن - أن هذا النوع مؤذ لبنى آدم، وحرمة بنى آدم أعظم من حرمة الحيوان، فلو انفرد هذا النظر - وهذا الظن - ولم ينضم إليه التشفى لم يعاتب، قال: والذى يؤيد هذا التمسك بأصل عصمة الأنبياء، وأنهم أعلم بالله وبأحكامه من غيرهم، وأشد له خشية.اهـ وعلى هذا يؤخذ من الحديث قتل ما عساه يؤذى الغير، ولو لم يقع منه إيذاء للغير، لا على العقوبة، ولكن للحماية.

١٦- واستدل بقوله فى الرواية الثانية والعشرين « أهلكت أمة من الأمم تسبح » أن الحيوان يسبح الله تعالى حقيقة، وتعقب بأن ذلك لا يمنع الحمل على المجاز، بأن يكون سببا للتسبيح.

١٧- ومن الرواية الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين أن المسلم قد يعذب بأمور يراها صغيرة ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] وقيل: إن المراد من « عذبت امرأة » فى روايتنا الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين العذاب بالحساب، لأن من نوقش الحساب عذب، لكن يرد هذا القول رواية البخارى بلفظ « دخلت امرأة النار فى هرة... » قال النووى « الذى يظهر أن المرأة كانت مسلمة، وإنما دخلت النار بهذه المعصية، وهذه المعصية ليست صغيرة، بل صارت بإصرارها كبيرة، وقال القاضى عياض: يحتمل أن تكون المرأة كافرة، فعذبت بالنار حقيقة.اهـ أى عذابا فوق عذاب الكفر، قال الحافظ ابن حجر: ويؤيد كونها كافرة، ما أخرجه البيهقى فى البعث والنشور.

١٨- وفى الحديث جواز اتخاذ الهرة، وربطها، إذا لم يهمل إطعامها وسقيها، ويلتحق بذلك غير الهرة مما فى معناها. وتحريم قتل الهرة.

١٩- وأن الهر لا يملك، وإنما يجب إطعامه على من حبسه، كذا قال القرطبى، واستبعد الحافظ ابن حجر دلالة الحديث على ذلك.

٢٠- وفيه وجوب نفقة الحيوان على مالكه. كذا قال النووى، واستبعد الحافظ ابن حجر هذا المأخذ، وقال: ليس فى الخبر أنها كانت فى ملكها، لكن فى قوله « هرة لها » كما هى فى رواية ما يقرب من ذلك.اهـ والحق مع النووى، حيث إن نفقة المحبوس على حابسه واضحة فى الحديث، فمن باب أولى المملوك.

٢١- ومن الرواية السابعة والعشرين الحث على الإحسان إلى الناس، لأنه إذا حصلت المغفرة بسبب سقى الكلب، فسقى المسلم أعظم أجرا.

٢٢- واستدل به على جواز صدقة التطوع للمشركين، حيث لا يكون هناك مسلم، قال الحافظ ابن حجر: وكذا إذا دار الأمر بين البهيمة، والآدمى المحترم، واستويا فى الحاجة، فالآدمى أحق.

٢٣- وفيه جواز السفر منفردا، وبغير زاد، ومحل ذلك فى شرعنا ما إذا لم يخف على نفسه الهلاك.

٢٤- استدل بقوله « فى كل كبد رطبة أجر» على عموم الإحسان للحيوان، قال النووى: إن عمومه

مخصوص بالحيوان المحترم، وهو ما لم يؤمر بقتله، فيحصل الثواب بسقيه، ويلتحق به إطعامه وغيره من وجوه الإحسان، أما هذا الحديث، فقد كان فى بنى إسرائيل، وقال ابن التين، لا يمتنع إجراؤه على عمومه، يعنى فيسقى، ثم يقتل، لأنا أمرنا بأن نحسن القتلة، ونهينا عن المثلة.

٢٥- واستدل به على طهارة سؤر الكلب، وتعقب بأنه شرع من قبلنا، على أنه فعل بعض الناس، و لا يدرى. هل هو كان ممن يقتدى به أم لا.

٢٦- و من الرواية الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين، أن سقى الماء يكفر الكبائر.

والله أعلم

كتاب

الأدب من الألفاظ وغيرها

٦٠٠- باب سب الدهر - تسمية العنب كرمًا - قول عبدى وأمتى - استعمال المسك.

(٦٠٠) باب سب الدهر - تسمية العنب كرماً - قول: عبدى وأمتى - استعمال المسك

٥١١١-$\frac{١}{١}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١] قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ».

٥١١٢-$\frac{٢}{٢}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٢] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

٥١١٣-$\frac{٣}{٣}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٣] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَلا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا».

٥١١٤-$\frac{٤}{٤}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٤] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ».

٥١١٥-$\frac{٥}{٥}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٥]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ».

٥١١٦-$\frac{٦}{٦}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٦] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَسُبُّ أَحَدُكُمُ الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ. وَلا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِلْعِنَبِ الْكَرْمَ، فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ».

٥١١٧-$\frac{٧}{٧}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٧]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا تَقُولُوا كَرْمٌ، فَإِنَّ الْكَرْمَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ».

---

(١) وحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى قَالا أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ.
(٢) وحَدَّثَنَاه إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ وَاللَّفْظُ لابْنِ أَبِي عُمَرَ قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا و قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(٣) وحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(٥) وحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ هِشَامٍ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(٦) حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(٧) حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

٥١١٨-٨/٨ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٨]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ؛ فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ».

٥١١٩-٩/٩ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٩] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ الْكَرْمُ؛ فَإِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ».

٥١٢٠-١٠/١٠ عَن أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ[١٠]، عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِلْعِنَبِ الْكَرْمَ؛ إِنَّمَا الْكَرْمُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ».

٥١٢١-١١/١١ عَن عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ[١١] عَن أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا تَقُولُوا الْكَرْمُ، وَلَكِنْ قُولُوا الْحَبْلَةُ يَعْنِي الْعِنَبَ».

٥١٢٢-١٢/١٢ عَن عَلْقَمَةَ بْنَ وَائِلٍ[١٢]، عَن أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لا تَقُولُوا الْكَرْمُ، وَلَكِنْ قُولُوا الْعِنَبُ وَالْحَبْلَةُ».

٥١٢٣-١٣/١٣ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٣]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي، كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلامِي وَجَارِيَتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي».

٥١٢٤-١٤/١٤ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٤] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي، فَكُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ فَتَايَ، وَلا يَقُلِ الْعَبْدُ رَبِّي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ سَيِّدِي».

٥١٢٥-- وفي رواية عَنِ الأَعْمَشِ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَفِي حَدِيثِهِمَا: «وَلا يَقُلِ الْعَبْدُ لِسَيِّدِهِ مَوْلايَ» وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ: «فَإِنَّ مَوْلاكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

---

(٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَن هِشَامٍ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ
(٩) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ عَن أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ
(١٠) وحَدَّثَنَا ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَن هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا عَن أَبِي هُرَيْرَةَ
(١١) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ أَخْبَرَنَا عِيسَى يَعْنِي ابْنَ يُونُسَ عَن شُعْبَةَ عَن سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَن عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ
(١٢) و حَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن سِمَاكٍ قَالَ سَمِعْتُ عَن عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ
(١٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ عَنِ الْعَلاءِ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ
(١٤) وحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَن أَبِي صَالِحٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ
- وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ح وحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ كِلاهُمَا عَنِ الأَعْمَشِ

٥١٢٦- ١٥/١٥ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(١٥) عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَقُلْ أَحَدُكُمُ اسْقِ، رَبَّكَ أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ رَبِّي، وَلْيَقُلْ سَيِّدِي مَوْلايَ، وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي أَمَتِي، وَلْيَقُلْ فَتَايَ فَتَاتِي غُلامِي».

٥١٢٧- ١٦/١٦ عَن عَائِشَةَ رضي اللّه عنها(١٦) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي» هَذَا حَدِيثُ أَبِي كُرَيْبٍ، و قَالَ أَبُو بَكْرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَذْكُرْ: لَكِنْ.

٥١٢٨- ١٧/١٧ عَن أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ(١٧)، عَن أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلْيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي».

٥١٢٩- ١٨/١٨ عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ(١٨)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَتِ امْرَأَةٌ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ قَصِيرَةٌ تَمْشِي مَعَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِن خَشَبٍ وَخَاتَمًا مِن ذَهَبٍ مُغْلَقٌ مُطْبَقٌ، ثُمَّ حَشَتْهُ مِسْكًا وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ، فَمَرَّتْ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ فَلَمْ يَعْرِفُوهَا، فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا» وَنَفَضَ شُعْبَةُ يَدَهُ.

٥١٣٠- ١٩/١٩ عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ(١٩) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: ذَكَرَ «امْرَأَةً مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ حَشَتْ خَاتَمَهَا مِسْكًا وَالْمِسْكُ أَطْيَبُ الطِّيبِ».

٥١٣١- ٢٠/٢٠ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢٠) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلا يَرُدُّهُ؛ فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ».

---

(١٥) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَن هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا عن أَبُو هُرَيْرَةَ

(١٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ح وحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ كِلاهُمَا عَن هِشَامٍ عَن أَبِيهِ عَن عَائِشَةَ
– وحَدَّثَنَاه أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ بِهَذَا الإِسْنَادِ

(١٧) وحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرْمَلَةُ قَالا أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَن أَبِي أُمَامَةَ

(١٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَن شُعْبَةَ حَدَّثَنِي خُلَيْدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَن أَبِي نَضْرَةَ عَن أَبِي سَعِيدٍ

(١٩) حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَن شُعْبَةَ عَن خُلَيْدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَالْمُسْتَمِرِّ قَالا سَمِعْنَا أَبَا نَضْرَةَ يُحَدِّثُ عَن أَبِي سَعِيدٍ

(٢٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ كِلاهُمَا عَنِ الْمُقْرِئِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِئُ عَن سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَعْرَجِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

٥١٣٢-٢١/٢١ عَن نَافِعٍ[٢١] قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا اسْتَجْمَرَ اسْتَجْمَرَ بِالأَلُوَّةِ غَيْرَ مُطَرَّاةٍ وَبِكَافُورٍ يَطْرَحُهُ مَعَ الأَلُوَّةِ. ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا كَانَ يَسْتَجْمِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

المعنى العام

خمسة آداب تشملها أحاديث الباب، والأدب الشرعى قد يكون واجبا، أو مندوبا، وقد يكون إرشادا إلى الأولى والأفضل، وقد جمع هذه الآداب كل هذه الأنواع.

فالتحرز من سب الدهر والزمان واجب، لأن الزمان مخلوق للّه، وذم الصنعة تسيء إلى الصانع، وسب الصنعة - وهى لا ذنب لها - سب لصانعها، والظرف نعمة، خلقه اللّه وعاء للأعمال الصالحات فتضييعها، فضلا عن سبها سفه حرام، وإيذاء صانعها، وخالقها بسبها حرام يشبه الكفران.

الأدب الثانى: البعد عن تكريم ما حرم اللّه، فلا يقال للخمر كرم، ولا يقال للعنب كرم، بل الأولى أن يقال له :عنب.

الأدب الثالث: يستحب أن لا يقول السيد: عبدى وأمتى، لأننا جميعا عبيد للّه، ونساؤنا إماء للّه، ولا يتطاول القوى على الضعيف، ويستحب أن لا يقول العبد عن سيده: ربى، ولا يقول أحد للعبد: أطعم ربك، أو اسق ربك، أو وضئ ربك، لأن الرب على الحقيقة هو اللّه تعالى.

الأدب الرابع: يسن أن يبتعد المسلم عن وصف نفسه بالخبيث أو بالصفات الأخرى القبيحة.

الأدب الخامس: يستحب للمسلم استعمال الطيب فى كل مناسبة اجتماع مع الآخرين.

المباحث العربية

(يسب ابن آدم الدهر) السب الشتم، والمراد وصف الزمان بالشر و القبح، ففى الرواية الثالثة يقول «يا خيبة الدهر، فلا يقولن أ حدكم: يا خيبة الدهر» وفى رواية «واخيبة الدهر» بالنصب على الندبة، كأنه فقد الدهر، لما يصدر عنه مما يكرهه، فندبه متفجعا عليه، أو متوجعا منه، وفى رواية «وا دهره. وا دهره» والخيبة الخسران، فاتهام الزمان بالخسران والفساد، وشتمه بذلك، أو الدعاء عليه بالخيبة والخسران والحرمان من الخير خطأ وسفه، يؤدى إلي شتم اللّه تعالى، فالزمان مخلوق، وهو وعاء وظرف لأعمال الإنسان، ولا تأثير له على الاعمال، ولا يوصف بالسوء، والمظروف الذى هو العمل، هو الذى يسيئه أو يحسنه، والدهر فى اللغة مدة الحياة كلها، أو الزمن الطويل، أو ألف سنة، أو مائة سنة، أو الزمان قل أو كثر، وهو المراد هنا.

---

(٢١) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الأَيْلِيُّ وَأَبُو طَاهِرٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عِيسَى قَالَ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا و قَالَ الآخَرَانِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي مَخْرَمَةُ عَن أَبِيهِ عَن نَافِعٍ

(وأنا الدهر، بيدى الليل النهار) فى الرواية الثانية « وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار» وفى الرواية الثالثة « فإنى أنا الدهر، أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما ».

قال الخطابى: معناه أنا صاحب الدهر، ومدبر الأمور التى ينسبونها إلى الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه، الذى هو فاعلها، وإنما الدهر زمان، جعل ظرفا لمواقع الأمور، وكانت عادتهم إذا أصابهم مكروه، أضافوه إلى الدهر، فقالوا: بؤسا للدهر، وتبا للدهر.

و قال النووى: قوله « أنا الدهر» بالرفع، وهو مجاز، وذلك أن العرب كانوا يسبون الدهر عند الحوادث، فقال: لا تسبوه، فإن فاعلها هو اللّه، فكأنه قال: لا تسبوا الفاعل، فإنكم إذا سببتموه سببتمونى، أو الدهر هنا بمعنى « الداهر» فقد حكى الراغب أن الدهر فى قوله « إن اللّه هو الدهر» (فى روايتنا الرابعة) غير « الدهر» فى قوله « يسب الدهر» قال: والدهر الأول الزمان، والثانى المدبر المصرف لما يحدث، ثم استضعف الراغب هذا القول لعدم الدليل عليه، ثم قال: لو كان كذلك لعد الدهر من أسماء اللّه تعالى.اهـ.

فالحاصل أن المراد بقوله « إن اللّه هو الدهر» أو « أنا الدهر» أى المدبر للأمور، أو الكلام على حذف مضاف، أى أنا صاحب الدهر، أو التقدير: أنا مقلب الدهر، ولذلك عقب بقوله فى الرواية الثانية « أقلب الليل والنهار» وفى الرواية الثالثة « أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما » وعند أحمد « بيدى الليل والنهار، أجدده وأبليه، وأذهب بالملوك »

(يؤذينى ابن آدم، يسب الدهر) قال القرطبى: معناه يخاطبنى من القول بما يتأذى به من يجوز فى حقه التأذى، واللّه منزه عن أن يصل إليه الأذى، وإنما هذا على التوسع فى الكلام، والمراد أن من وقع ذلك منه تعرض لسخط اللّه تعالى، وقال النوى: معناه يعاملنى معاملة توجب الأذى فى حقكم.

(ولا يقولن أحدكم للعنب: الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم) وفى الرواية السابعة: « لا تقولوا: كرم، فإن الكرم قلب المؤمن » وفى الرواية الحادية عشرة « لا تقولوا: الكرم، ولكن قولوا: الحبلة، يعنى العنب »، وفى الرواية الثانية عشرة « ولكن قولوا: العنب والحبلة » وفى الرواية الثامنة « لا تسموا العنب الكرم » وعند الطبرانى والبزار « إن اسم الرجل المؤمن فى الكتب الكرم، من أجل ما أكرمه اللّه على الخليقة وإنكم تدعون الحائط من العنب الكرم » وقد حكى ابن بطال عن ابن الأنبارى أنهم سموا العنب كرما، لأن الخمر المتخذة منه تحث على السخاء، وتأمر بمكارم الأخلاق، حتى قال شاعرهم:

والخمر مشتقة المعنى من الكرم

فلذلك نهى عن تسمية العنب بالكرم، حتى لا يسموا أصل الخمر باسم مأخوذ من الكرم وجعل المؤمن، الذى يتقى شربها، ويرى الكرم فى تركها أحق بهذا الاسم. وقال الخطابى ما ملخصه إن المراد بالنهى تأكيد تحريم الخمر، بمحو اسمها، لأن فى تبقية هذا الاسم لها تقريرا لما كانوا يتوهمونه من تكرم شاربها، فنهى عن تسميتها كرما، وقال «إنما الكرم قلب المؤمن » لما فيه من نور الإيمان،

وهدى الإسلام، وحكى القرطبى عن المازرى أن السبب فى النهى أنه لما حرمت عليهم الخمر، وكانت طباعهم تحثهم على الكرم، كره صلى اللَّه عليه وسلم أن يسمى هذا المحرم باسم يهيج طباعهم إليه عند ذكره، فيكون ذلك كالمحرك لهم، قال الحافظ ابن حجر: والذى قاله المازرى ورد النهى تارة عن العنب، وتارة عن شجرة العنب، فيكون التنفير بطريق الفحوى، لأنه إذا نهى عن تسمية ما هو حلال فى الحال، بالاسم الحسن لما يحصل منه بالقوة مما ينهى عنه، فلأن ينهى عن تسمية ما ينهى عنه بالاسم الحسن أحرى.

وقال ابن أبى جمرة: لما كان اشتقاق الكرم - بسكون الراء - من الكرم - بفتحها، والأرض الكريمة هى أحسن الأرض، فلا يليق أن يعبر بهذه الصفة، إلا عن قلب المؤمن، الذى هو خير الأشياء، لأن المؤمن خير الحيوان، وخير ما فيه قلبه.اهـ.

أما « الحبلة » فهى بفتح الحاء والباء، وحكى ضم الحاء مع سكون الباء وفتحها، هى شجرة العنب، وقيل: أصل الشجرة، وقيل: فرعها.

(لا يقولن أحدكم: عبدى وأمتى، كلكم عبيد للَّه، وكل نسائكم إماء اللَّه، ولكن ليقل: غلامى، وجاريتى، وفتاى وفتاتى) فى الرواية الخامسة عشرة « وليقل: فتاى. فتاتى. غلامى » قال النووى: يكره للسيد أن يقول لمملوكة: عبدى وأمتى، لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها اللَّه تعالى، ولأن فيها تعظيما بما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه، وقد بين النبى ﷺ العلة فى ذلك، فقال: « كلكم عبيد للَّه » فنهى عن التطاول فى اللفظ، كما نهى عن التطاول فى الفعل، فى إسبال الإزار أو غيره، قال: والظاهر أن المراد بالنهى استعماله على جهة التعاظم، لا الوصف والتعريف.

(ولا يقل العبد: ربى، ولكن ليقل: سيدى) وفى ملحق الرواية « ولا يقل العبد لسيده: مولاى، فإن مولاكم اللَّه عز وجل » وفى الرواية الخامسة عشرة « لا يقل أحدكم: اسق ربك. أطعم ربك. وضئ ربك. ولا يقل أحدكم: ربى، وليقل: سيدى. مولاى » قال النووى: قال العلماء: مقصود الأحاديث نهى المملوك أن يقول لسيده: ربى، لأن الربوبية إنما حقيقتها للَّه تعالى، لأن الرب هو المالك، أو القائم بالشيء، ولا يوجد حقيقة هذا إلا فى اللَّه تعالى فإن قيل: فقد قال النبى ﷺ فى أشراط الساعة « أن تلد الأمة ربتها أو ربها »؟ فالجواب من وجهين. أحدهما: أن الحديث الثانى لبيان الجواز، وأن النهى فى الأول للأدب، وكراهة التنزيه، لا التحريم، والثانى: أن المراد النهى عن الإكثار من استعمال هذه اللفظة، واتخاذها عادة شائعة، ولم ينه عن إطلاقها فى نادر الأحوال. واختار القاضى هذا الجواب، قال النووى: ولا نهى فى قول المملوك: سيدى لقوله صلى اللَّه عليه وسلم: « ليقل: سيدى » لأن لفظة السيد غير مختصة باللَّه تعالى اختصاص الرب، ولا مستعملة فيه كاستعمالها، حتى نقل القاضى عن مالك، أنه كره دعاء اللَّه بسيدى، ولم تأت تسمية اللَّه تعالى بالسيد فى القرآن، ولا فى حديث متواتر، وقد قال النبى ﷺ: « إن ابنى هذا سيد » و« قوموا إلى سيدكم » يعنى سعد بن معاذ، وفى الحديث الآخر « اسمعوا ما يقول سيدكم » يعنى سعد بن عبادة، فليس فى قول العبد: سيدى، إشكال ولا لبس، لأنه يستعمله غير العبد والأمة، قال: ولا بأس أيضا بقول العبد لسيده: مولاى، فإن المولى وقع على ستة عشر معنى، منها: الناصر والمالك. قال القاضى: وأما رواية « ولا يقل العبد لسيده: مولاى » ملحق روايتنا الرابعة عشرة، فقد اختلف الرواة فى ذكر هذه اللفظة، وحذفها أصح.اهـ.

وأما قوله فى الرواية الخامسة عشرة «اسق ربك. أطعم ربك. وضئ ربك» فهى أمثلة، ذكرت دون غيرها لغلبة استعمالها فى المخاطبات، والألف فى لفظ «اسق» يجوز فيه الوصل والقطع.

(لا يقولن أحدكم: خبثت نفسى، ولكن ليقل: لقست نفسى) «خبثت» بفتح الخاء وضم الباء، ويقال بفتح الباء، ولكن الضم أصوب قال الراغب: الخبث يطلق على الباطل فى الاعتقاد والكذب فى المقال، والقبيح فى الفعال. وقال النووى:: قال أبو عبيد وجميع أهل اللغة وغريب الحديث وغيرهم: «لقست» و «خبثت» بمعنى واحد، وإنما كره لفظ الخبث لبشاعة الاسم، وتعليمهم الأدب فى الألفاظ، واستعمال حسنها، وهجران خبيثها، قالوا: ومعنى «لقست» غثت، وقال ابن الأعرابى: معناه ضاقت، فإن قيل: فقد قال صلى الله عليه وسلم فى الذى ينام عن الصلاة «فأصبح خبيث النفس كسلان»؟ قال القاضى وغيره: جوابه أن النبى ﷺ، مخبر هناك عن صفة غيره، وعن شخص مبهم مذموم الحال، لا يمتنع إطلاق هذا اللفظ عليه.

(فاتخذت رجلين من خشب) أى جعلت حذاءها طويلا، يرفعها.

(وخاتما من ذهب، مغلق، مطبق، ثم حشته مسكا، وهو أطيب الطيب) هكذا الرواية برفع «مغلق مطبق» خبر مبتدأ محذوف، صفة لخاتم على القطع، أى جعلت للمسك فى الخاتم غلقا، يطبق على المسك، فيغلقه حيث تشاء، وتفتحه فيفوح حيث تشاء، وعند أحمد «فكانت تسير بين امرأتين قصيرتين» وكأنها كانت تسير بين طويلتين تارة، وبين قصيرتين تارة أخرى «واتخذت خاتما من ذهب، وحشت تحت فصه أطيب الطيب، المسك، فكانت إذا مرت بالمجلس حركته» بتحريك يدها «فينفخ ريحه» وفى رواية أخرى لأحمد «ذكر نسوة ثلاثا من بنى إسرائيل، امرأتين طويلتين تعرفان، وامرأة قصيرة لا تعرف، فاتخذت رجلين من خشب، وصاغت خاتما، فحشته من أطيب الطيب، المسك، وجعلت له غلقا، فإذا مرت بالملأ أو بالمجلس، قالت به» أى فتحت غلقه «ففاح ريحه».

(فمرت بين المرأتين فلم يعرفوها) أى مرت على الناس بين المرأتين الطويلتين، فلم يعرفها الناس، ولم يميزوها عنهما.

(ونفض شعبة يده) هذا كلام أبى أسامة الراوى عن شعبة الراوى عن خليد بن جعفر عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى، يصف شعبة تحريكها يدها، ليفوح المسك، يصفه عمليا بيده، فينفضها ويحركها حركات سريعة.

(من عرض عليه ريحان فلا يرده) أى من عرض عليه ريحان هدية، والريحان بفتح الراء. قال النووى: قال أهل اللغة وغريب الحديث فى تفسير هذا الحديث، هو كل نبت مشموم، طيب الريح، قال القاضى: ويحتمل عندى أن يكون المراد به فى هذا الحديث الطيب كله، فعند أبى داود «من عرض عليه طيب» وفى صحيح البخارى «كان النبى ﷺ لا يرد الطيب».

وقوله «فلا يرده» بفتح الدال، قال النووى: قال القاضى عياض: وأنكره محققو شيوخنا من أهل العربية، وقالوا: هذا غلط من الرواة، وصوابه ضم الدال، قال: ووجدته بخط بعض الأشياخ بضم الدال،

وهو الصواب عندهم على مذهب سيبويه، فى هذا، من المضاعف إذا دخلت عليها الهاء، أن يضم ما قبلها، فى الأمر، ونحوه المجزوم، مراعاة للواو التى توجبها ضمة الهاء بعدها، لخفاء الهاء، فكأن ما قبلها ولى الواو، ولا يكون ما قبل الواو إلا مضموما، هذا فى المذكر، وأما المؤنث، مثل: ردها، ففتحة الهاء لازمة بالاتفاق. قال النووى: وأما رده ونحوه للمذكر، ففيه ثلاثة أوجه. أفصحها وجوب الضم، كما ذكره القاضى، والثانى الكسر وهو ضعيف، والثالث الفتح، وهوأضعف منه.

(فإنه خفيف المحمل، طيب الريح) «المحمل» هنا بفتح الأولى وكسر الثانية، كالمجلس، والمراد به الحمل، بفتح الحاء، أى خفيف الحمل، ليس بثقيل.

(كان ابن عمر إذا استجمر استجمر بالألوة، غير مطراة، ويكافور يطرحه مع الألوة) الاستجمار هنا: استعمال الطيب، والتبخر به، مأخوذ من المجمر، بكسر الميم الأولى وفتح الثانية، و «الألوة» بفتح الهمزة وضمها، وبضم اللام، وحكى كسرها، وهى عود، يتبخر به، فارسى معرب، وحكى «ألية» بتشديد الياء وتخفيفها، وتكسر الهمزة وتضم، وقيل: لية ولوة، وقوله «غير مطراة» بضم الميم وفتح الطاء، وتشديد الراء، أى غير مخلوطة بغيرها من الطيب، يقال: طرى الطيب، بفتح الطاء وتشديد الراء المفتوحة، أى خلطه بالأخلاط، و«الكافور» شجر معروف، يتخذ منه مادة شفافة بلورية الشكل، يميل لونها إلى البياض، رائحتها عطرية، وهو أصناف كثيرة.

فقه الحديث

تتعرض أحاديث الباب إلى خمسة آداب:

الأول: منع سب الدهر، وسب الزمان، والروايات الست الأولى تنهى عن سبه، قال القاضى عياض: زعم بعض من لا تحقيق له، أن الدهر من أسماء الله، وهو غلط، وقد تمسك الجهلة من الدهرية والمعطلة بظاهر هذا الحديث، واحتجوا به على من لا رسوخ له فى العلم، لأن الدهر عندهم حركات الفلك، وأمد العالم، ولا شيء عندهم، ولا صانع سواه، قال: وكفى فى الرد عليهم قوله فى بقية الحديث «أنا الدهر، أنا أقلب ليله ونهاره» فكيف يقلب الشيء نفسه؟ تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

وقال الشيخ محمد بن أبى جمرة: لا يخفى أن من سب الصنعة، فقد سب صانعها، فمن سب نفس الليل والنهار، أقدم على أمر عظيم، بغير معنى، ومن سب ما يجرى فيهما من الحوادث - وذلك هو أغلب ما يقع من الناس - وهو الذى يعطيه سياق الحديث، حيث نفى عنها التأثير، فكأنه قال: لا ذنب لهما فى ذلك، وأما الحوادث فمنها ما يجرى بوساطة العاقل المكلف، فهذا يضاف شرعا ولغة إلى الذى جرى على يديه، ويضاف إلى الله تعالى، لكونه بتقديره، فأفعال العباد من اكتسابهم، ولهذا ترتبت عليها الأحكام، وهى فى الابتداء خلق الله، ومنها ما يجرى بغير وساطة، فهو منسوب إلى قدرة القادر، وليس لليل والنهار فعل ولا تأثير، لا لغة، ولا عقلا، ولا شرعا، وهو المراد فى هذا الحديث، ويلتحق بذلك ما يجرى من الحيوان غير العاقل، ثم أشار ابن أبى جمرة إلى أن النهى عن سب الدهر تنبيه بالأعلى، على الأدنى، وأن فيه إشارة إلى ترك سب كل شيء مطلقا، إلا ما أذن الشرع فيه، لأن العلة واحدة.اهـ.

وقال المحققون من العلماء: من نسب شيئا من الأفعال إلى الدهر حقيقة كفر، ومن جرى هذا اللفظ على لسانه، غير معتقد لذلك فليس بكافر، لكنه يكره له ذلك، لشبهه بأهل الكفر فى الإطلاق، وهذا التفصيل يشبه التفصيل الذى قالوه، فى قولهم: مطرنا بنوء كذا، والله أعلم.

الأدب الثانى: كراهة تسمية العنب كرما، قال النووى: فى هذه الأحاديث كراهة تسمية العنب كرما، بل يقال: عنب، أو حبلة، قال العلماء: سبب كراهة ذلك أن لفظة «الكرم» كانت العرب تطلقها على شجر العنب، وعلى العنب، وعلى الخمر المتخذة من العنب، سموها كرما لكونها متخذة منه، فكره الشرع إطلاق هذا اللفظة على العنب وشجره، لأنهم إذا سمعوا اللفظة، ربما تذكروا بها الخمر، وهيجت نفوسهم إليها، فوقعوا فيها، أو قاربوا ذلك.اهـ. والتحقيق أن هذه الكراهة على التنزيه.

الأدب الثالث: كراهة قول السيد لمملوكه: عبدى وأمتى، وترجم له البخارى بباب كراهية التطاول على الرقيق، وقال العلماء بكراهية ذلك من غير تحريم، ويشهد للجواز قوله تعالى ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ [النحل: ٧٥] واتفقوا على أن النهى الوارد فى ذلك للتنزيه، حتى أهل الظاهر، وأما قول العبد: سيدى، أو ربى، أو مولاى فقد مضى فى المباحث العربية كثير مما يتعلق به، ونضيف: قال الحافظ ابن حجر: والذى يختص بالله تعالى إطلاق الرب بلا إضافة، أما مع الإضافة فيجوز إطلاقه، كما فى قوله تعالى، حكاية عن يوسف عليه السلام، ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠] فدل على أن النهى فى ذلك محمول على الإطلاق، ويحتمل أن يكون النهى للتنزيه، وما ورد من ذلك فلبيان الجواز، وقيل: هو مخصوص بغير النبى ﷺ، ولا يرد ما فى القرآن، أو المراد النهى عن الإكثار من ذلك، واتخاذ استعمال هذه اللفظة عادة، وليس المراد النهى عنها فى الجملة.

الأدب الرابع: النهى عن قول: خبثت نفسى. قال ابن بطال هو على معنى الأدب، وليس على سبيل الإيجاب، وقال ابن أبى جمرة: النهى عن ذلك للندب، والأمر بقوله «لقست» للندب أيضا، فإن عبر بما يؤدى معناه كفى، ولكن ترك الأولى، ويؤخذ من الحديث استحباب مجانبة الألفاظ القبيحة، والأسماء، والعدول إلى ما لا قبح فيه، وفيه أن المرء يطلب الخير حتى بالفأل الحسن، ويضيف الخير إلى نفسه، ولو بنسبة ما، ويدفع الشر عن نفسه مهما أمكن، ويقطع الوصلة بينه وبين أهل الشر، حتى فى الألفاظ المشتركة. قال: ويلتحق بهذا أن الضعيف إذا سئل عن حاله، لا يقول: لست بطيب، بل يقول: ضعيف، ولا يخرج نفسه من الطيبين، فيلحقها بالخبيثين.

الأدب الخامس: الطيب واستعماله، وهو مستحب بلا خلاف، والمسك أطيب الطيب وأفضله، وهو طاهر يجوز استعماله فى البدن والثوب، ويجوز بيعه، قال النووى: وهذا كله مجمع عليه.اهـ.

قال الجاحظ: المسك من دويبة تكون فى الصين، تصاد لنوافجها وسررها، فإذا صيدت شدت بعصائب، وهى مدلية، يجتمع فيها دمها، فإذا ذبحت قورت السرة التى عصبت، ودفنت فى الشعر، حتى يستحيل ذلك الدم المختنق الجامد مسكا ذكيا، بعد أن كان لا يرام من النتن. ومن ثم قال القفال: إنها تندبغ بما فيها من المسك، فتطهر، كما يطهر غيرها من المدبوغات، والمشهور أن غزال المسك كالظبى، لكن لونه أسود، وله نابان لطيفان أبيضان فى فكه الأسفل، وإن المسك دم، يجتمع

فى سرته، فى وقت معلوم من السنة، فإذا اجتمع ورم الموضع، فمرض الغزال، إلى أن يسقط منه، ويقال: إن أهل تلك البلاد يجعلون لها أوتادا فى البرية، تحتك بها ليسقط، وعن على بن مهدى الطبرى: أنها تلقيها من جوفها، كما تلقى الدجاجة البيضة. قال النووى: وهو مستثنى من قاعدة: ما أبين من حى فهو ميت. اهـ

وحكى ابن التين عن ابن شعبان من المالكية: أن فأرة المسك إنما تؤخذ فى حال الحياة، أو بذكاة من لا تصح ذكاته من الكفرة، وهى مع ذلك محكوم بطهارتها، لأنها تستحيل عن كونها دما، حتى تصير مسكا، كما يستحيل الدم إلى اللحم، فيطهر، ويحل أكله، وليست بحيوان، حتى يقال: نجست بالموت، وإنما هى شيء يحدث بالحيوان، كالبيض، وقد أجمع المسلمون على طهارة المسك إلا ما حكى عن عمر من كراهته.

وفى الرواية العشرين النهى عن رد الطيب إذا أهدى، وفى البخارى « كان أنس ﷺ لا يرد الطيب، وزعم أن النبى ﷺ كان لا يرد الطيب » وعند البخارى « ما عرض على النبى ﷺ طيب قط فرده »

قال ابن العربى: إنما كان لا يرد الطيب لمحبته فيه، ولحاجته إليه أكثر من غيره، لأنه يناجى من لا نناجى.اهـ

وفى الرواية الواحدة والعشرين استحباب الاستجمار بالبخور، واستحباب الطيب للرجال، كما هو مستحب للنساء، قال النووى: لكن يستحب للرجال من الطيب ما ظهر ريحه وخفى لونه، أما المرأة فإذا أرادت الخروج إلى المسجد أو غيره كره لها كل طيب له ريح، ويتأكد استحبابه للرجال يوم الجمعة، والعيد، وعند حضور مجامع المسلمين، ومجالس الذكر والعلم، وعند إرادته معاشرة زوجته ونحو ذلك.اهـ

وفى الرواية الثامنة عشرة جواز ستر المرأة عيوب جسمها بما هو مشروع، قال النووى: وأما اتخاذ المرأة القصيرة رجلين من خشب، حتى مشت بين الطويلتين فلم تعرف، فحكمه فى شرعنا أنها إن قصدت به مقصودا صحيحا شرعيا، بأن قصدت ستر نفسها، لئلا تعرف، فتؤذى أو نحو ذلك فلا بأس، أما إن قصدت التعاظم، أو التشبه بالكاملات، تزويرا على الرجال وغيرهم، فهو حرام.

والله أعلم

كتاب الشعر

٦٠١- باب الشعر واللعب بالنرد.

(٦٠١) باب الشعر واللعب بالنرد

٥١٣٣-$\frac{١}{١}$ عَن عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ(١)، عَن أَبِيهِ قَالَ: رَدِفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ مَعَكَ مِن شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْءٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «هِيهْ» فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا. فَقَالَ «هِيهْ» ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا فَقَالَ هِيهْ حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ.

٥١٣٤-- عَنِ الشَّرِيدِ قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ. فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

٥١٣٥-$\frac{٠٠}{٠٠}$ عَن عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ(٠٠) عَن أَبِيهِ قَالَ: اسْتَنْشَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. بِمِثْلِ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ وَزَادَ قَالَ: «إِنْ كَادَ لَيُسْلِمُ» وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: «فَلَقَدْ كَادَ يُسْلِمُ فِي شِعْرِهِ».

٥١٣٦-$\frac{٢}{٢}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَشْعَرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَتْ بِهَا الْعَرَبُ: كَلِمَةُ لَبِيدٍ.

- أَلا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلا اللَّهَ بَاطِلٌ».

٥١٣٧-$\frac{٣}{٣}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ أَلا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلا اللَّهَ بَاطِلٌ. وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ».

٥١٣٨-$\frac{٤}{٤}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٤) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَصْدَقُ بَيْتٍ قَالَهُ الشَّاعِرُ أَلا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلا اللَّهَ بَاطِلٌ. وَكَادَ ابْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ».

٥١٣٩-$\frac{٥}{٥}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٥) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَصْدَقُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الشُّعَرَاءُ أَلا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلا اللَّهَ بَاطِلٌ».

---

(١) حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ كِلاهُمَا عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ
- وحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ أَوْ يَعْقُوبَ بْنِ عَاصِمٍ عَنِ الشَّرِيدِ

(٠٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ح وحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ كِلاهُمَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطَّائِفِيِّ عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ

(٢) حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ جَمِيعًا عَنْ شَرِيكٍ قَالَ ابْنُ حُجْرٍ أَخْبَرَنَا شَرِيكٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٣) وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٤) وحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ زَائِدَةَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٥) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

٥١٤٠-٦/٦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٦] قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَصْدَقَ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ أَلا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلا اللَّهَ بَاطِلٌ» مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ.

٥١٤١-٧/٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٧] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ الرَّجُلِ قَيْحًا يَرِيهِ، خَيْرٌ مِن أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِلا أَنَّ حَفْصًا لَمْ يَقُلْ: يَرِيهِ.

٥١٤٢-٨/٨ عَنْ سَعْدٍ ﷺ[٨] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا يَرِيهِ، خَيْرٌ مِن أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا».

٥١٤٣-٩/٩ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ[٩] قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْعَرْجِ إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذُوا الشَّيْطَانَ أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ، لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِن أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا».

٥١٤٤-١٠/١٠ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ[١٠]، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ».

المعنى العام

الشعر كلام موزون مقفى، له قواعده وبحوره، اهتم به العرب وأدباؤهم، واستعملوه في أغراض كثيرة، منها الفاحش كالهجاء والغزل والتشبيب بالنساء، ومنها الحسن كالمدح المقبول والوصف السليم والدعوة للجهاد، والدفاع عن الحق وعن الإسلام، والحداء للإبل وغير ذلك واشتغلت به العرب وجعلت له ميادين وأسواقا، ينشده الشعراء، ويطلب إنشاده المحبون له، ويتغنى به المغنون ويحفظه ويردده الكثيرون، ويسير به الركبان.

وجاء الإسلام بالقرآن وبعلومه الشرعية، فكان لابد من صرف الهمم إلى الشريعة على حساب

---

(٦) وحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ عَن إِسْرَائِيلَ عَن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولا

(٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا حَفْصٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ و حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ كِلاهُمَا عَنِ الأَعْمَشِ ح وحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَن أَبِي صَالِحٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن قَتَادَةَ عَن يُونُسَ بْنِ جُبَيْرٍ عَن مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ عَن سَعْدٍ

(٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنِ ابْنِ الْهَادِ عَن يُحَنِّسَ مَوْلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ

(١٠) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَن سُفْيَانَ عَن عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ عَن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ

الشعر، وبخاصة الفاحش منه فكانت هذه الأحاديث التى تمتدح الحسن منه وتنفر من القبيح وتنفر من تضييع الوقت فيما يضر وفيما لا فائدة فيه.

المباحث العربية

(عن عمرو بن الشريد) بفتح الشين وكسر الراء مخففة، وهو الشريد بن سويد الثقفى.

(ردفت رسول اللّه ﷺ يوما) أى ركبت خلفه، يقال: ردفه بكسر الدال، يردفه بفتحها ردفا بفتح الراء وسكون الدال، وردفه بفتح الراء والدال يردفه بضم الدال، ردفا بفتح فسكون، وفى ملحق الرواية « أردفنى رسول اللّه ﷺ خلفه » أى أركبنى خلفه.

(هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شيء)؟ قال النووى: وقع فى معظم النسخ « شيئا » بالنصب، وعليها يقدر فيه محذوف، أى هل معك من شيء، فتنشدنى شيئا؟

واسم أبى الصلت ربيعة بن عوف الثقفى، كان ممن طلب الدين، ونظر فى الكتب، ويقال: إنه ممن دخل فى النصرانية، وأكثر فى شعره من ذكر التوحيد، والبعث ويوم القيامة، وزعم الكلاباذى أنه كان يهوديا، وروى الطبرانى عن أبى سفيان أنه سافر مع أمية، فذكر قصته، وأنه سأله عن عتبة بن ربيعة، وعن سنه ورياسته، فأعلمه أن متصف بذلك، فقال: أزرى به ذلك، فغضب أبو سفيان، فأخبره أمية أنه نظر فى الكتب أن نبيا يبعث من العرب، أظل زمانه، قال: فرجوت أن أكونه، قال: ثم نظرت، فإذا هو من بنى عبد مناف، فنظرت فيهم، فلم أر مثل عتبة، فلما قلت لى: إنه رئيس، وإنه جاوز الأربعين، عرفت أنه ليس هو، قال أبو سفيان: فما مضت الأيام حتى ظهر محمد ﷺ، فقلت لأمية، قال: نعم، إنه لهو، قلت: أفلا نتبعه؟ قال: أستحى من ثقيف، إنى كنت أقول لهم: إننى أنا هو، ثم أصير تابعا لغلام من بنى عبد مناف؟ وذكر أبو الفرج الأصبهانى: أنه قال عند موته: أنا أعلم أن الحنفية حق، ولكن الشك يداخلنى فى محمد. وعاش أمية حتى أدرك وقعة بدر، ورثى من قتل بها من الكفار، ومات أمية بعد ذلك سنة تسع، وقيل: مات فى حصار الطائف سنة ثمان.

(قال: هيه) بكسر الهاء، وإسكان الهاء الثانية، قالوا: والهاء الأولى بدل من الهمزة، وأصله « إيه » وهى كلمة للاستزادة من الحديث المعهود، قال ابن السكيت: هى للاستزادة من حديث أو عمل معهودين، قالوا: وهى اسم فعل أمر، مبنى على الكسر، فإن وصلتها نونتها، فقلت إيه حدثنا، أى زدنا من هذا الحديث، فإن أردت الاستزادة من غير معهود نونت، فقلت: إيه، لأن التنوين للتنكير، وأما « إيها » بالنصب، فمعناه الكف، والأمر بالسكوت، ومقصود الحديث أن النبى ﷺ استحسن شعر أمية، واستزاد من إنشاده، لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث، وفى ملحق الرواية « استنشدنى رسول اللّه ﷺ » أى طلب منى أن أنشده شعرا.

(أشعر كلمة تكلمت بها العرب) وفى الرواية الثالثة والسادسة « أصدق كلمة » وفى الرواية الرابعة والخامسة « أصدق بيت » فيحتمل أن يراد بالكلمة البيت الذى ذكر شطره، ويحتمل أن يريد

القصيدة كلها، ورواية « أشعر» لا اعتراض عليها، ولكن اعترض على رواية « أصدق » إذ كيف يوصف كل شيء - ما خلا اللّه - بالبطلان؟ مع اندراج الطاعات والعبادات فى ذلك، وهى حق، لا باطل، ويكون الكلام صادقا؟ وأجيب بأن المراد من « ما خلا اللّه » ما عداه وعدا صفاته الذاتية والفعلية، من رحمته وعذابه وغير ذلك، ثم إن الشطر الثانى عليه اعتراض أيضا، فقد ذكر ابن إسحق عن عثمان بن مظعون أنه لما رجع من الهجرة الأولى إلى الحبشة، ودخل مكة فى جوار الوليد بن المغيرة، ورأى المشركين يؤذون المسلمين، وهو آمن، رد على الوليد جواره، فبينما هو جالس فى مجلس لقريش وفد عليهم لبيد بن ربيعة - قبل أن يسلم - فقعد ينشدهم من شعره، فقال لبيد:

ألا كل شيء ما خلا اللّه باطل

فقال عثمان بن مظعون: صدقت، فقال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل.

فقال عثمان كذبت. نعيم الجنة لا يزول. اهـ فيكف يوصف قول لبيد بالصدق؟ وبالأصدق؟ وقد يجاب بأن مراد الرسول ﷺ بوصف الصدق الشطر الأول الذى ذكره، أو أن المراد من « ما خلا اللّه » أى ما عداه وعدا صفاته الذاتية والفعلية من رحمته وعذابه، بما فى ذلك الجنة والنار.

أسلم لبيد بعد ذلك، وسكن الكوفة، ومات بها فى خلافة عثمان، وعاش مائة وخمسين سنة.

وذكره البخارى فى الصحابة، قال القسطلانى: وفد على رسول اللّه ﷺ سنة وفد قومه، بنو جعفر، فأسلم، وحسن إسلامه. اهـ وقيل: إن عمر سأله عما قاله من الشعر فى الإسلام، فقال: قد أبدلنى بالشعر سورة البقرة، ولم يقل شعرا منذ أسلم.

(لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا - يريه - خير من أن يمتلئ شعرا) قال النووى: قال أهل اللغة والغريب « يريه » بفتح الياء وكسر الراء، من الورى، وهو داء يفسد الجوف، ومعناه قيحا يأكل جوفه، ويفسده.

(من لعب بالنرد شير) هو النرد، عجمى معرب، و« شير» معناه حلو، وهى لعبة معروفة باسم الطاولة، صندوق، وحجارة، و (زهر).

فقه الحديث

قال النووى عن الشعر، نظمه، واستنشاده، وإنشاده: فيه جواز إنشاد الشعر الذى لا فحش فيه، وسماعه، سواء شعر الجاهلية وغيرهم، وأما المذموم من الشعر الذى لا فحش فيه، إنما هو الإكثار منه، وكونه غالبا على الإنسان، فأما يسيره، فلا بأس بإنشاده وسماعه وحفظه.

أما عن الرواية السابعة وما بعدها، فيقول: قال أبو عبيد: قال بعضهم: المراد بهذا الشعر شعر هجى به النبى ﷺ. قال أبو عبيد والعلماء كافة: هذا تفسير فاسد، لأنه يقتضى أن المذموم من الهجاء أن يمتلئ منه، دون قليله، وقد أجمع المسلمون على أن الكلمة الواحدة من هجاء النبى ﷺ موجبة للكفر. قالوا: بل الصواب أن المراد أن يكون الشعر غالبا عليه، مستوليا عليه، بحيث يشغله عن القرآن

وغيره من العلوم الشرعية، وعن ذكر اللّه تعالى، وهذا مذموم من أى شعر كان، فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه، فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا، لأن جوفه ليس ممتلئا شعرا.

ثم قال: واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على كراهة الشعر مطلقا، قليله وكثيره، وإن كان لا فحش فيه، وتعلق بقوله صلى اللّه عليه وسلم: « خذوا الشيطان » وقال العلماء كافة: هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه، قالوا: وهو كلام، حسنه حسن، وقبيحه قبيح، وهذا هو الصواب، فقد سمع النبى ﷺ الشعر، واستنشده، وأمر به حسان فى هجائه المشركين، وأنشده أصحابه بحضرته، فى الأسفار وغيرها، وأنشده الخلفاء وأئمة الصحابة وفضلاء السلف، ولم ينكره أحد منهم على إطلاقه، وإنما أنكروا المذموم منه، وهو الفحش، ونحوه، قال: وأما تسمية هذا الرجل - الذى سمعه ينشد - شيطانا، فلعله كان كافرا، أو كان الشعر هو الغالب عليه، أو كان شعره هذا من المذموم، وبالجملة فتسميته شيطانا قضية عين، تتطرق إليها الاحتمالات المذكورة وغيرها، ولا عموم لها، فلا يحتج بها. وفى الحديث منقبة للبيد الصحابى الجليل. واللّه أعلم.

النقطة الثانية فى هذا الباب: البعد عن لعب النرد ونحوه، قال النووى: وهذا الحديث حجة للشافعى والجمهور فى تحريم اللعب بالنرد، وقال أبو إسحاق المروزى، من أصحابنا: يكره، ولا يحرم، وأما الشطرنج فمذهبنا أنه مكروه، ليس بحرام، وهو مروى عن جماعة من التابعين، وقال مالك وأحمد: حرام، قال مالك: هو شر من النرد، وألهى عن الخير وقاسوه على النرد، وأصحابنا يمنعون القياس، ويقولون: هو دونه.

نعم. التشبيه فى قوله « فكأنما صبغ يده فى لحم خنزير ودمه » ينفر منه، ويفر به من الحرمة، لذا أضاف النووى إلى النص عبارة « فى حال أكله منهما » وكأن التشبيه بالأكل من لحم الخنزير ودمه، وهو حرام باتفاق، وتشبيه الشيء بالمحرم القطعى دليل التحريم، قال بعضهم: لأن غمس اليد فى اللحم يكون غالبا فى حالة الأكل.

والتحقيق أن التشبيه ليس بالأكل، وإلا لقال: فكأنما أكل لحم خنزير، وإنما هو تشبيه حركات اللاعب، وتناوله لآلات اللعب، ونقله للحجارة « القشاط » تبعا لأرقام الزهر، بغمس اليد فى النجاسة، وغمس اليد فى النجاسة مستقذر، ليس بمحرم، فيكون التشبيه للتنفير.

والبحث الدقيق يكون فى الحكمة والعلة، أهى ما فى الألعاب من التغرير والحظ؟ فالمنع للطاولة ونحوها مما يعتمد على الحظ، دون الشطرنج والورق (الكوتشينة) والحجارة فى التراب (السيجة) و (الضمنة) والكرة بأنواعها والرمى، وسباق الجرى، ونحو ذلك، أم هى اللهو وضياع الوقت، بقدر زائد على الترويح؟ فيشمل جميع الألعاب، إذا زادت عن قدر الحاجة النافعة؟ أم هى ما تحدثه بين المتلاعبين من الحقد والغل والغضب والإثارة؟ فتمنع إذا أحدثت ذلك، أو حين توقعه؟ أم هى ما يحدث غالبا من غرامة تلحق المغلوب للغالب؟ فتمنع إن كانت كذلك.

إن اللعب فى حد ذاته ليس حراما، فقد قال الغزالى ومن بعده الزبيدى بعد أن ساق حديث لعب السودان بالدرق والحراب: فيه نص صريح على أن اللعب ليس بحرام، ولا يخفى عادة الحبشة فى الرقص واللعب، كما استدل بحديث الصحيحين « دونكم يا بنى أرفدة » وقال: هذا أمر باللعب، والتماس له، فكيف يقدر كونه حراما؟ ثم ختم الباب بقوله: فاللهو من حيث هو ليس بحرام، كيف وقد كانت الأنصار يحبون اللهو ولم يمتنعوا من محبته؟ بل أقروا عليه فى قوله صلى اللّٰه عليه وسلم « أما علمت أن الأنصار يعجبهم اللهو»؟ وقال: وأما حديث « كل شيء يلهو به الرجل باطل » فالباطل ما لا فائدة فيه، وغالب المباحات لا فائدة فيها.

قال الغزالى: على أنى أقول: اللهو مروح للقلب، ومخفف عنه أعباء الفكر، والعطلة معينة على العمل، واللهو معين على الجد، ولا يصبر على الجد المحض، والحق المر، إلا نفوس الأنبياء، عليهم السلام، فاللهو دواء للقلب من داء الإعياء والملال، فينبغى أن يكون مباحا، ولكن لا ينبغى أن يستكثر منه، كما لا يستكثر من الدواء. انتهى بتصرف، وهو كلام حسن، إذا أضيف إليه خلو اللهو من الإثارة الضارة غير الشرعية، من الحظ، والتغرير، والخداع، والحقد واللهو عن واجب دينى أو دنيوى، وتضييع الوقت مع الحاجة إليه.

والله أعلم

كتاب الرؤيا

٦٠٢- باب الرؤية والحلم ، وتأويل الرؤيا.

(٦٠٢) باب الرؤيا والحلم، وتأويل الرؤيا

٥١٤٥-١/١ عَن أَبِي سَلَمَةَ ﷺ[1] قَالَ: كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا أُعْـرَى مِنْهَـا غَـيْرَ أَنِّـي لا أُزَمَّـلُ حَتَّـى لَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَن يَسَارِهِ ثَلاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِن شَرِّهَا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ».

٥١٤٦- عَن أَبِي قَتَادَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِهِمْ قَوْلَ أَبِي سَلَمَةَ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا أُعْرَى مِنْهَا غَيْرَ أَنِّي لا أُزَمَّلُ.

- وَزَادَ فِي حَدِيثِ يُونُسَ: فَلْيَبْصُقْ عَلَى يَسَارِهِ حِينَ يَهُبُّ مِن نَوْمِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

٥١٤٧-٢/٢ عَن أَبِي قَتَادَةَ ﷺ[2] قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَن يَسَارِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِن شَرِّهَا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ» فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا أَثْقَلَ عَلَيَّ مِن جَبَلٍ، فَمَا هُوَ إِلا أَنْ سَمِعْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَمَا أُبَالِيهَا.

٥١٤٨- وفي رواية: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَإِنْ كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا: «وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ وَابْنِ نُمَيْرٍ قَوْلُ أَبِي سَلَمَةَ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ. وَزَادَ ابْنُ رُمْحٍ فِي رِوَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ: «وَلْيَتَحَوَّلْ عَن جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ».

---

(١) حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ وَاللَّفْظُ لابْنِ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَن أَبِي سَلَمَةَ.
- و حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى آلِ طَلْحَةَ وَعَبْدِ رَبِّهِ وَيَحْيَى ابْنَيْ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ عَن أَبِي سَلَمَةَ عَن أَبِي قَتَادَةَ.
- و حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ ح و حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالا أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ كِلاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِمَا أُعْرَى مِنْهَا، وَزَادَ فِي حَدِيثِ يُونُسَ
(٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ بِلالٍ عَن يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ
- و حَدَّثَنَاه قُتَيْبَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ يَعْنِي الثَّقَفِيَّ ح وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ كُلُّهُمْ عَن يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَفِي حَدِيثِ الثَّقَفِيِّ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ

٥١٤٩- ٣/٣ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه(٣) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ وَالرُّؤْيَا السَّوْءُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا فَكَرِهَ مِنْهَا شَيْئًا فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، لا تَضُرُّهُ، وَلا يُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيُبْشِرْ وَلا يُخْبِرْ إِلا مَنْ يُحِبُّ».

٥١٥٠- ٤/٤ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه(٤) قَالَ: إِنْ كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي. قَالَ: فَلَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ فَقَالَ: وَأَنَا كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلا يُحَدِّثْ بِهَا إِلا مَنْ يُحِبُّ. وَإِنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا، وَلا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ».

٥١٥١- ٥/٥ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه(٥) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ».

٥١٥٢- ٦/٦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه(٦) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ. وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا. وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِن خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ. وَالرُّؤْيَا ثَلاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ. فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ» قَالَ: «وَأُحِبُّ الْقَيْدَ وَأَكْرَهُ الْغُلَّ. وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ» فَلا أَدْرِي هُوَ فِي الْحَدِيثِ أَمْ قَالَهُ ابْنُ سِيرِينَ.

٥١٥٣- ... قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه(٠٠): فَيُعْجِبُنِي الْقَيْدُ وَأَكْرَهُ الْغُلَّ. وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ».

---

(٣) وحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ.

(٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلادٍ الْبَاهِلِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكَمِ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ.

(٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ رُمْحٍ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ.

(٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٠٠) وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ.

٥١٥٤- وفي رواية عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه(-) قَالَ: إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ النَّبِيَّ ﷺ. وحَدَّثَنَاه إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا أَبِي عَن قَتَادَةَ عَن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: وَأَدْرَجَ فِي الْحَدِيثِ قَوْلَهُ: وَأَكْرَهُ الْغُلَّ. إِلَى تَمَامِ الْكَلَامِ، وَلَمْ يَذْكُرِ «الرُّؤْيَا جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ».

٥١٥٥- $\frac{٧}{٧}$ عَن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه(٧) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ».

٥١٥٦- $\frac{٨}{٨}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه(٨) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ».

٥١٥٧- $\frac{-}{٠}$ وفي رواية عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه(٠) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُؤْيَا الْمُسْلِمِ يَرَاهَا أَوْ تُرَى لَهُ» وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مُسْهِرٍ «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ».

٥١٥٨- $\frac{٠٠}{٩}$ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه(٠٠) عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رُؤْيَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ».

- عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. بِمِثْلِ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَن أَبِيهِ.

(-) حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ وَهِشَامٌ عَن مُحَمَّدٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَأَبُو دَاوُدَ ح و حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ كُلُّهُمْ عَن شُعْبَةَ ح و حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن قَتَادَةَ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَن عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ.

- و حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ.

(٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٠) وحَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ الْخَلِيلِ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنِ الْأَعْمَشِ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَن أَبِي صَالِحٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٠٠) وحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ.

- وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا عَلِيٌّ يَعْنِي ابْنَ الْمُبَارَكِ ح وحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا حَرْبٌ يَعْنِي ابْنَ شَدَّادٍ كِلَاهُمَا عَن يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَن هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ

٥١٥٩- ٩/١٠ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰه عَنْهمَا[٩] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِن سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ».

٥١٦٠- وفي رواية، قَالَ نَافِعٌ: حَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: «جُزْءٌ مِن سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ».

٥١٦١- ١٠/١١ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[١٠] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ بِي».

٥١٦٢- ١١/١٢ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[١١] قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ، أَوْ لَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ، لا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي».

٠٠٠/٠٠٠ وَقَالَ فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ[٠٠٠]: قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ».

٥١٦٣- ١٢/١٣ عَن جَابِرٍ رضي الله عنه[١٢] أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَآنِي فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَآنِي. إِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ فِي صُورَتِي» وَقَالَ: «إِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ فَلا يُخْبِرْ أَحَدًا بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي الْمَنَامِ».

٥١٦٤- ١٣/١٤ عن جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ رَضِيَ اللّٰه عَنْهمَا[١٣] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «مَنْ رَآنِي فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَآنِي. فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِي».

---

(٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ح وحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالا جَمِيعًا حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللّٰهِ عَن نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ
– وحَدَّثَنَاه ابْنُ الْمُثَنَّى وَعُبَيْدُ اللّٰهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالا حَدَّثَنَا يَحْيَى عَن عُبَيْدِ اللّٰهِ بِهَذَا الإِسْنَادِ.
– وحَدَّثَنَاه قُتَيْبَةُ وَابْنُ رُمْحٍ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ أَخْبَرَنَا الضَّحَّاكُ يَعْنِي ابْنَ عُثْمَانَ كِلاهُمَا عَن نَافِعٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَفِي حَدِيثِ اللَّيْثِ قَالَ نَافِعٌ.

(١٠) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْعَتَكِيُّ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ وَهِشَامٌ عَن مُحَمَّدٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ.

(١١) و حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرْمَلَةُ قَالا أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قال

(٠٠٠) وحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ حَدَّثَنَا عَمِّي فَذَكَرَ الْحَدِيثَيْنِ جَمِيعًا بِإِسْنَادَيْهِمَا سَوَاءً مِثْلَ حَدِيثِ يُونُسَ.

(١٢) و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ رُمْحٍ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَن أَبِي الزُّبَيْرِ عَن جَابِرٍ.

(١٣) و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا رَوْحٌ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ إِسْحَقَ حَدَّثَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ عَن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللّٰهِ يَقُول.

٥١٦٥- ١٤/١٥ عَن جَابِرٍ ﷺ[١٤] عَـن رَسُـولِ اللّـهِ ﷺ أَنّـهُ قَـالَ لأَعْرَابِـيٍّ جَـاءَهُ فَقَـالَ: إِنّـي حَلَمْـتُ أَنَّ رَأْسِـي قُطِـعَ، فَأَنَـا أَتَّبِعُـهُ. فَزَجَـرَهُ النَّبِـيُّ ﷺ وَقَـالَ: «لا تُخْـبِرْ بِتَلَعُّـبِ الشَّيْطَانِ بِـكَ فِـي الْمَنَـامِ».

٥١٦٦- ١٥/١٦ عَن جَابِرٍ ﷺ[١٥] قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّـهِ، رَأَيْـتُ فِي الْمَنَـامِ كَأَنَّ رَأْسِي ضُرِبَ فَتَدَحْرَجَ فَاشْتَدَدْتُ عَلَى أَثَرِهِ. فَقَـالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ لِلأَعْرَابِـيِّ: «لا تُحَدِّثِ النَّـاسَ بِتَلَعُّـبِ الشَّـيْطَانِ بِـكَ فِـي مَنَـامِكَ» وَقَـالَ سَـمِعْتُ النَّبِـيَّ ﷺ بَعْـدُ يَخْطُـبُ فَقَالَ: «لا يُحَدِّثَـنَّ أَحَدُكُـمْ بِتَلَعُّبِ الشَّـيْطَانِ بِـهِ فِي مَنَامِـهِ».

٥١٦٧- ١٦/١٧ عَن جَابِرٍ ﷺ[١٦] قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَـا رَسُـولَ اللّـهِ، رَأَيْـتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي قُطِعَ. قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «إِذَا لَعِـبَ الشَّـيْطَانُ بِـأَحَدِكُمْ فِـي مَنَامِهِ فَلا يُحَـدِّثْ بِـهِ النَّـاسَ» وَفِـي رِوَايَـةِ أَبِي بَكْـرٍ «إِذَا لُعِـبَ بِـأَحَدِكُمْ وَلَـمْ يَذْكُـرِ الشَّـيْطَانَ».

٥١٦٨- ١٧/١٨ عَـن ابْـنَ عَبَّـاسٍ أَوَ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِـي اللّـه عَنْهمَـا[١٧] أَنَّ رَجُـلا أَتَـى رَسُـولَ اللّـهِ ﷺ. وفـي روايـة: أَنَّ ابْـنَ عَبَّـاسٍ كَـانَ يُحَـدِّثُ: أَنَّ رَجُـلا أَتَـى رَسُـولَ اللّـهِ ﷺ فَقَـالَ: يَـا رَسُـولَ اللّـهِ، إِنِّـي أَرَى اللَّيْلَـةَ فِـي الْمَنَـامِ ظُلَّـةً تَنْطِـفُ السَّـمْنَ وَالْعَسَـلَ، فَـأَرَى النَّـاسَ يَتَكَفَّفُـونَ مِنْهَـا بِـأَيْدِيهِمْ، فَالْمُسْـتَكْثِرُ وَالْمُسْـتَقِلُّ. وَأَرَى سَبَبًا وَاصِـلا مِـنَ السَّـمَاءِ إِلَـى الأَرْضِ، فَـأَرَاكَ أَخَـذْتَ بِـهِ فَعَلَوْتَ، ثُـمَّ أَخَـذَ بِـهِ رَجُـلٌ مِـن بَعْـدِكَ فَعَـلا، ثُـمَّ أَخَـذَ بِـهِ رَجُـلٌ آخَـرُ فَعَـلا، ثُـمَّ أَخَـذَ بِـهِ رَجُـلٌ آخَـرُ فَـانْقَطَعَ بِـهِ، ثُـمَّ وُصِـلَ لَـهُ فَعَـلا. قَـالَ أَبُـو بَكْـرٍ: يَـا رَسُـولَ اللّـهِ، بِـأَبِي أَنْـتَ، وَاللّـهِ، لَتَدَعَنِّـي فَلأَعْبُرَنَّهَـا. قَـالَ رَسُـولُ اللّـهِ ﷺ: «اعْبُرْهَـا» قَـالَ أَبُـو بَكْـرٍ: أَمَّـا الظُّلَّـةُ فَظُلَّـةُ الإِسْـلامِ. وَأَمَّـا الَّـذِي يَنْطِفُ مِـنَ السَّـمْنِ وَالْعَسَـلِ فَـالْقُرْآنُ، حَلاوَتُـهُ وَلِينُـهُ. وَأَمَّـا مَـا يَتَكَفَّـفُ النَّـاسُ مِـن ذَلِـكَ فَالْمُسْـتَكْثِرُ مِـنَ الْقُـرْآنِ وَالْمُسْـتَقِلُّ. وَأَمَّـا السَّـبَبُ الْوَاصِـلُ مِـنَ السَّـمَاءِ إِلَـى الأَرْضِ، فَـالْحَقُّ الَّـذِي أَنْـتَ عَلَيْـهِ تَأْخُذُ بِهِ، فَيُعْلِيكَ اللّهُ بِهِ، ثُمَّ يَـأْخُذُ بِـهِ رَجُـلٌ مِـن بَعْـدِكَ فَيَعْلُـو بِـهِ، ثُـمَّ يَـأْخُذُ بِـهِ رَجُـلٌ آخَـرُ فَيَعْلُـو بِـهِ

---

(١٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ رُمْحٍ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَن أَبِي الزُّبَيْرِ عَن جَابِرٍ.
(١٥) و حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَن أَبِي سُفْيَانَ عَن جَابرٍ.
(١٦) و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ قَالا حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَن أَبِي سُفْيَانَ عَن جَابرٍ.
(١٧) حَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ عَنِ الزُّبَيْدِيِّ أَخْبَرَنِي الزُّهْرِيُّ عَن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَوْ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَجُلا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ح و حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التجيبيُّ -وَاللَّفْظُ لَهُ- أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَجُلا.

ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ. فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ، أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا» قَالَ: فَوَاللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَتُحَدِّثَنِّي مَا الَّذِي أَخْطَأْتُ؟ قَالَ: «لا تُقْسِمْ».

٥١٦٩- وفي رواية، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا(-) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ مُنْصَرَفَهُ مِن أُحُدٍ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطِفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ. بِمَعْنَى حَدِيثِ يُونُسَ.

٥١٧٠- وفي رواية عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: كَانَ مَعْمَرٌ أَحْيَانًا يَقُولُ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَأَحْيَانًا يَقُولُ: عَن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَرَى اللَّيْلَةَ ظُلَّةً. بِمَعْنَى حَدِيثِهِ، رَأَيْتُ ظُلَّةً. بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ.

٥١٧١- وفِي رواية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ مِمَّا يَقُولُ لأَصْحَابِهِ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا فَلْيَقُصَّهَا أَعْبُرْهَا لَهُ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ ظُلَّةً بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ.

٥١٧٢- ١٨/١٩ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(١٨) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَأُتِينَا بِرُطَبٍ مِن رُطَبِ ابْنِ طَابٍ. فَأَوَّلْتُ الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْعَاقِبَةَ فِي الآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ».

٥١٧٣- ١٩/٢٠ عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِي اللَّه عَنْهمَا(١٩)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ. فَجَذَبَنِي رَجُلانِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ مِنْهُمَا. فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ. فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأَكْبَرِ».

(-) وحَدَّثَنَاه ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عن ابن عباس
- وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَوْ أبى هريرة.
- و حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَن عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عن ابن عباس.
- وحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ
(١٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَن ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عن أنس.
(١٩) وحَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ أَخْبَرَنِي أَبِي حَدَّثَنَا صَخْرُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ عَن نَافِعٍ أَنَّ عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ

٥١٧٤- ٢٠/٢١ عَن أَبِي مُوسَى ﷺ(٢٠) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِن مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ. فَذَهَبَ وَهْلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ. فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ. وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ. ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ. وَرَأَيْتُ فِيهَا أَيْضًا بَقَرًا، وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمُ النَّفَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، بَعْدُ وَثَوَابُ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ».

٥١٧٥- ٢١/٢٢ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا(٢١) قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ. فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الأَمْرَ مِن بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ. فَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِن قَوْمِهِ. فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ. وَفِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدَةٍ. حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ. قَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا. وَلَنْ أَتَعَدَّى أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ. وَإِنِّي لأُرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ. وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي» ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَأَلْتُ عَن قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّكَ أَرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ» فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِن ذَهَبٍ. فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا. فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنِ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا. فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ مِن بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ، صَاحِبَ صَنْعَاءَ. وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةَ، صَاحِبَ الْيَمَامَةِ».

٥١٧٦- ٢٢/٢٣ عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢٢) عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ خَزَائِنَ الأَرْضِ. فَوَضَعَ فِي يَدَيَّ أُسْوَارَيْنِ مِن ذَهَبٍ. فَكَبُرَا عَلَيَّ وَأَهَمَّانِي. فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنِ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَذَهَبَا. فَأَوَّلْتُهُمَا الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا، صَاحِبَ صَنْعَاءَ، وَصَاحِبَ الْيَمَامَةِ».

---

(٢٠) حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَّادٍ الأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَن بُرَيْدٍ عَن أَبِي بُرْدَةَ جَدِّهِ عَن أَبِي مُوسَى

(٢١) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ التَّمِيمِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

(٢٢) و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَن هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا عن أَبُو هُرَيْرَةَ

٥١٧٧- $\frac{٢٣}{٢٤}$ عَن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه(٢٣) قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمُ الْبَارِحَةَ رُؤْيَا».

المعنى العام

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] والنفس سر من أسرار الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] وتوفيها كليا أو جزئيا سر من أسراره تعالى، فلا تعلم نفس أين تذهب الروح أثناء النوم؟ ولا تعلم مدى اتصالها بجسد النائم، ولا تعلم ما يجرى منها، وما يجرى لها فى موتتها الصغرى، التى تتكرر كل يوم.

ومما هو معلوم أن الوحى الإلهى للأنبياء، منه الإلهام، ومنه المنام، فحديث الرسول ﷺ « إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس قبل أن تستوفى رزقها وأجلها » مثل للإلهام، ومثله الإيحاء إلى أم موسى أن أرضعيه، ورؤيا إبراهيم عليه السلام، أنه يذبح ولده، ورؤيا يوسف عليه السلام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له، ورؤيا رسول الله ﷺ دخول المسلمين المسجد الحرام آمنين، أمثلة للمنام.

فالرؤيا الصادقة، يراها المؤمن أو ترى له، إنما تكون إفاضة وكرما من الله تعالى، ليستبشر، أو ليأخذ حذره، فهى مبشرات ومنذرات، وهى جزء من النبوة، ولمحة من لمحاتها، حتى وإن رآها كافر، فهى نعمة، والمنعم ينعم على الكافر، لعله يعتبر ويؤمن، كما ينعم على المؤمن ليزداد إيمانا وشكرا.

وقد حكى لنا القرآن الكريم رؤيا فرعون مصر سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر، وأخر يابسات، وكيف تحقق تأويل يوسف عليه السلام لها؟ كما حكى رؤيا صاحبى السجن، وكيف تحققت؟ حقائق لا يسهل إنكارها، لكنها نوع مما يراه النائم، لا يحكم به على كل رؤيا يراها، بل قد يرى فى منامه تحقيق رغبات مكبوتة عنده أثناء يقظته، وقد يرى خليطا من مشكلات تشغله فى حياته، وقد يرى ما يوسوس به الشيطان له من أحزان ومخاوف، ومن هنا كانت النصائح النبوية:

١- إذا حلم أحدكم حلما يكرهه، فلينفث عن يساره، وليتحول عن جنبه، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها، وأن يكتمها، ولا يحدث بها إلا حبيبا لبيبا، فإنها لا تضره.

٢- وإذا رأى ما يحب فليستبشر، ويحكيها لحبيب لبيب، ليعبرها له.

٣- وإذا رأى رسول الله ﷺ فى المنام، فرؤياه خير وصادقة، فإن الشيطان لا يتمثل به.

٤- وعلى المؤمن أن يحرص على الصدق فى معاملاته، لتصدق رؤياه، فأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا.

---

(٢٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِي رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيِّ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ

٥- وعلى من يعبر الرؤيا أن يحسن الظن، وأن يتجه بتأويله إلى خير الاحتمالات، وأن يكون خبيرا ذكيا لبيبا، فهى - غالبا - تعتمد على الإشارات.

وقد رأى رسول اللّه ﷺ رؤى، وفسرها، وقصها على أصحابه، ورأى أصحابه رؤى وفسرها لهم، وفسرها بعضهم لبعض، وشجعهم وحثهم على تعبير الرؤيا، فإنها من اللّه تعالى، وإنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة.

المباحث العربية

(**كنت أرى الرؤيا**) «الرؤيا» ما يراه الشخص فى منامه، وهى على وزن فعلى، وقد تسهل الهمزة، وقال الواحدى: هى فى الأصل مصدر، كاليسرى، فلما جعلت اسما لما يتخيله النائم، أجريت مجرى الأسماء، قال الراغب: والرؤية، بالهاء، إدراك المرء بحاسة البصر، وتطلق على ما يدرك بالتخيل، نحو: أرى أن زيدا مسافر، وعلى التفكر النظرى، نحو ﴿**إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ**﴾ [الأنفال: ٤٨] وعلى الرأى، وهو اعتقاد أحد النقيضين حسب غلبة الظن. اهـ وقال القرطبى فى المفهم: قال بعض العلماء: قد تجىء الرؤية بمعنى الرؤيا، كقوله تعالى ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ**﴾ [الإسراء: ٦٠] فزعم أن المراد بها ما رآه النبى ﷺ ليلة الإسراء من العجائب، وكان الإسراء جميعه فى اليقظة. قال الحافظ ابن حجر: وعكسه بعضهم، فزعم أنه حجة لمن قال: إن الإسراء كان مناما، والأول المعتمد، قال ابن عباس: إنها رؤيا عين، قال الحافظ: ويحتمل أن تكون الحكمة فى تسمية ذلك رؤيا كون أمور الغيب مخالفة لرؤيا الشهادة، فأشبهت ما فى المنام. اهـ

وسيأتى الكلام عن حقيقة الرؤيا فى فقه الحديث، وفى ملحق الرواية الثانية «فإن كنت لأرى الرؤيا» فإن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، أى فإن القصة كنت لأرى الرؤيا.

(**أعرى منها**) بضم الهمزة، وسكون العين وفتح الراء، أى أحم، لخوفى من ظاهرها فى ظنى، يقال: عرى بضم العين وكسر الراء مخففا، يعرى بضم الياء وفتح الراء، إذا أصابه عراء، بضم العين وبالمد، وهو نفض الحمى، وفى الرواية الرابعة "قال أبو سلمة لأبى قتادة: إن كنت لأرى الرؤيا تمرضنى؟ فقال له أبو قتادة: وأنا كنت لأرى الرؤيا فتمرضنى" بزيادة اللام فى "لأرى" والأولى بدون اللام.

(**غير أنى لا أزمل**) بضم الهمزة وفتح الزاى وتشديد الميم المفتوحة، أى لا أغطى ولا ألف، كما يفعل بالمحموم، وفى الرواية الثانية «إن كنت لأرى الرؤيا أثقل على من جبل» وعند عبد الرزاق «كنت أرى الرؤيا ألقى فيها شدة».

(**حتى لقيت أبا قتادة، فذكرت ذلك له، فقال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول**) فى الرواية الثانية «سمعت أبا قتادة يقول: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول...».

(**الرؤيا من اللّه، والحلم من الشيطان**) فى الرواية الثالثة "الرؤيا الصالحة من اللّه، والرؤيا السوء من الشيطان" بفتح السين وسكون الواو، أى القبيحة، والحلم بضم الحاء

وسكون اللام، وقد تضم ما يراه النائم، ولم يحك النووى غير السكون، يقال: حلم بفتح اللام، يحلم بضمها، وأما الحلم بكسر الحاء وسكون اللام فهومن حلم يحلم، بضم اللام فيهما، وجمع الحلم والحلم بضم الحاء وكسرها أحلام.

قال النووى: قال المازرى: معناه: يخلق اللّه ما يسر بغير حضرة الشيطان، ويخلق ما علم أنه يضر بحضرة الشيطان، فينسب إلى الشيطان مجازا، لحضوره عندها، وإن كان لا فعل له حقيقة، وليس معناه أن الشيطان يفعل شيئا، فالرؤيا اسم للمحبوب، والحلم اسم للمكروه، وقال غيره: أضاف الرؤيا المحبوبة إلى اللّه، إضافة تشريف، بخلاف المكروهة وإن كانتا جميعاً من خلق اللّه تعالى وتدبيره وبإرادته، ولا فعل للشيطان فيهما، لكنه يحضر المكروهة ويرتضيها، ويسر بها. اهـ. كما أن الجميع عباد اللّه، ولو كانوا عصاة، وهو تصرف شرعى، وإلا فالكل يسمى رؤيا وحلما لغة.

وفى رواية « الصادقة » بدل « الصالحة » قال الحافظ ابن حجر: وهما بمعنى واحد، بالنسبة إلى أمور الآخرة، فى حق الأنبياء، وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا فالصالحة فى الأصل أخص، فرؤيا النبى كلها صادقة، وقد تكون صالحة، وهى الأكثر، وغير صالحة بالنسبة للدنيا، كما وقع فى رؤيا يوم أحد « بقر يذبح » وأما رؤيا غير الأنبياء فبينهما عموم وخصوص وجهى، يجتمعان فى مادة وينفرد كل منهما فى مادة أخرى، إن فسرنا الصادقة بأنها التى لا تحتاج إلى تعبير، فيجتمعان فى رؤيا سارة لا تحتاج إلى تعبير، وتنفرد الصالحة فى السارة التى تحتاج إلى تعبير فهى صالحة غير صادقة بنفسها، وتنفرد الصادقة برؤيا سوء لا تحتاج إلى تعبير، فهى صادقة، غير صالحة، وأما إن فسرنا الصادقة بأنها غير الأضغاث، فالصالحة أخص مطلقا، أى فبينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان فى مادة، وينفرد الأعم فى مادة أخرى فتجتمع الصادقة والصالحة في غير الأضغاث السارة، وتنفرد الصادقة في غير الأضغاث السيئة. وقال الإمام نصر بن يعقوب الدينورى: الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه أو ما يعبر في المنام، أو يخبر به من لا يكذب، والصالحة ما يسر. اهـ.

(**فإذا حلم أحدكم حلما يكرهه**) فى الرواية الثانية « فإذا رأى أحدكم شيئا يكرهه » وفى الرواية الثالثة « فمن رأى رؤيا فكره منها شيئا » وفى الرواية الخامسة « إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها » فالكراهة قد تكون لكل ما جاء فى الحلم، أو لبعض ما جاء فى الرؤيا.

(**فلينفث عن يساره ثلاثا، وليتعوذ باللّه من شرها، فإنها لا تضره**) وفى ملحق الرواية الثانية « وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » وفى الرواية الثالثة « ولا يخبر بها أحدا » وفى الرواية الرابعة « وليتعوذ باللّه من شر الشيطان وشرها » وفى الرواية الخامسة « وليستعذ باللّه من الشيطان ثلاثا » وفى الرواية الثالثة عشرة « إذا حلم أحدكم فلا يخبر أحدا بتلعب الشيطان به فى المنام » وفى الرواية الخامسة عشرة « لا تخبر بتلعب الشيطان بك فى المنام » وفى الرواية السادسة عشرة « لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك فى منامك » وفيها « لا يحدثن أحدكم بتلعب الشيطان به فى منامه » وفى الرواية السابعة عشرة « إذا لعب الشيطان بأحدكم فى منامه فلا يحدث به الناس ».

فمجموع الآداب المطلوبة خمسة :

١- النفث: واختلف فيه والتفل، فقيل: هما بمعنى، ولا يكونان إلا بريق، وقال أبو عبيد: يشترط فى

التفل ريق يسير، ولا يكون فى النفث، وقيل عكسه، وسئلت عائشة فى النفث، فقالت: كما ينفث آكل الزبيب، لا ريق معه، قال: ولا اعتبار بما يخرج معه من بلة بغير قصد، وقال النووى: أكثر الروايات فى الرؤيا "فلينفث" وهو نفخ لطيف، بلا ريق، فيكون التفل والبصق محمولين عليه مجازا، قال الحافظ ابن حجر: لكن المطلوب فى الرقية التبرك برطوبة الذكر، والمطلوب هنا طرد الشيطان، وإظهار احتقاره واستقذاره.

٢- الاستعاذة بالله من شر الشيطان.

٣- الاستعاذة بالله من شرها.

٤- التحول عن جنبه الذى كان عليه.

٥- كتمها وعدم التحديث بها، زاد البخارى سادسا، وهو الصلاة. ولفظه « فمن رأى شيئا يكرهه فلا يقصه على أحد، وليقم فليصل » وكذا فى روايتنا السادسة وزاد فى بعض الشروح سابعا، وهو قراءة آية الكرسى، ولم يذكر مستندا.

قال النووى: وينبغى أن يجمع بين هذه الروايات للحديث، قال الحافظ ابن حجر: ولم أر فى شىء من الأحاديث الاقتصار على واحدة، نعم أشار المهلب إلى أن الاستعاذة كافية فى دفع شرها، وكأنه أخذه من قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ۝ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٨، ٩٩] فيحتاج مع الاستعاذة إلى صحة التوجه، ولا يكفى إمرار الاستعاذة باللسان، وقال القرطبى فى المفهم: الصلاة تجمع كل ذلك، لأنه إذا قام فصلى، تحول عن جنبه، وبصق ونفث عند المضمضة فى الوضوء، واستعاذ قبل القراءة، ثم دعا الله فى أقرب الأحوال إليه، فيكفيه الله شرها بمنه وكرمه. اهـ.

وفى ملحق الرواية الأولى « فليبصق عن يساره، حين يهب من نومه » أى حين يستقيظ، ومعنى قوله « فإنها لن تضره » أن الله تعالى جعل هذا سببا لسلامته من مكروه يترتب عليها، كما جعل الصدقة وقاية للمال، وسببا لدفع البلاء، وقوله فى الرواية الثالثة « فإن رأى رؤيا حسنة فليبشر» بضم الياء وسكون الباء، من الإبشار والبشرى، قال النووى: وفى بعض الأصول بفتح الياء والنون من النشر، وهو الإشاعة، قال القاضى: وهو تصحيف، وفى بعض الأصول « فليستر» بسين، من الستر.

(**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب**) قيل: المراد إذا قارب الزمان أن يعتدل ليله ونهاره أى تصدق الرؤيا كثيرا فى هذا الوقت من السنة، وقيل: المراد إذا قارب القيامة، والأول أشهر عند أهل عبر الرؤيا، لأن صدق الحديث يقل فى آخر الزمان، قال الخطابى: وقت الربيع وقت اعتدال الطبائع غالبا، قال: ويبعده التقييد بالمؤمن، أو المسلم - فإن الوقت الذى تعتدل فيه الطبائع لا يختص به، وجزم ابن بطال بأن قرب القيامة هو الصواب، قال: فالمعنى إذا اقتربت الساعة وقبض أكثر العلم، ودرست معالم الديانة بالهرج والفتنة، فكان الناس على مثل الفترة، محتاجين إلى مذكر ومجدد لما درس من الدين، كما كانت الأمم تذكر بالأنبياء، لكن لما كان نبينا خاتم الأنبياء، وصار الزمان المذكور يشبه زمان الفترة، عوضوا بما منعوا من النبوة بعده بالرؤيا الصادقة، التى هى جزء

من النبوة بالتبشير والإنذار. اهـ. ويؤيد أن المراد اقتراب الساعة الحديث الصحيح « يتقارب الزمان ويرفع العلم » فإن المراد به اقتراب الساعة قطعا، قال الداودى: المراد بتقارب الزمان نقص الساعات والأيام والليالى.اهـ. والمراد بنقصها ضياع بركتها، والإحساس بسرعة مرورها، وذلك قرب يوم القيامة، كما ثبت فى الصحيح « يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كاحتراق السعفة » رواه مسلم، وقيل: إن المراد بالزمان المذكور زمان المهدى، عند بسط العدل، وكثرة الأمن، وبسط الخير والرزق، فإن ذلك الزمان يستقصر لاستلذاذه، فتتقارب أطرافه، وفى قوله « لم تكد » إشارة إلى غلبة الصدق على الرؤيا، وإن أمكن أن شيئا منها لا يصدق، قال الحافظ ابن حجر: والراجح أن المراد نفى الكذب عنها أصلا، لأن حرف النفى الداخل على « كاد » ينفى قرب حصوله، والنافى لقرب حصول الشيء أدل على نفيه نفسه. ذكره الطيبى.

وقال القرطبى فى المفهم: المراد -واللّه أعلم- بآخر الزمان المذكور فى هذا الحديث (المذكور فى الحديث اقتراب الزمان، وليس آخر الزمان) زمان الطائفة الباقية مع عيسى ابن مريم، بعد قتله الدجال، فكأن أهل هذا الزمان أحسن هذه الأمة حالا، بعد الصدر الأول، وأصدقهم أقوالا، فكانت رؤياهم لا تكذب، وقال ابن أبى جمرة: معنى كون الرؤيا فى آخر الزمان لا تكاد تكذب أنها تقع غالبا على الوجه الذى لا يحتاج إلى تعبير، فلا يدخلها الكذب، بخلاف ما قبل ذلك، فإنها قد يخفى تأويلها، فيعبرها العابر، فلا تقع كما قال، فيصدق دخول الكذب فيها بهذا الاعتبار، قال: والحكمة فى اختصاص ذلك بآخر الزمان أن المؤمن فى ذلك الوقت يكون غريبا ،فيقل أنيس المؤمن ومعينه فى ذلك الوقت، فيكرم بالرؤيا الصادقة.

قال الحافظ ابن حجر: وحاصل ما اجتمع من كلامهم فى معنى قوله « إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب » إذا كان المراد آخر الزمان، ثلاثة أقوال: أحدهما أن العلم بأمور الديانة يذهب، فعوضوا بالرؤيا الصادقة، الثانى: أن المؤمنين يقل عددهم، فيؤنس المؤمن ويعان بالرؤيا الصادقة، إكراما له، وتسلية، وعلى هذين القولين لا يختص ذلك بزمان معين، بل كلما قرب فراغ الدنيا تكون رؤيا المؤمن الصادق أصدق، الثالث أن ذلك خاص بزمان عيسى ابن مريم. قال: وأولها أولاها.اهـ.

(**وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا**) لأن من كثر صدقه تنور قلبه، وقوى إدراكه، فانتقشت فيه المعانى على وجه الصحة، وكذلك من كان غالب حاله الصدق فى يقظته استصحب ذلك فى نومه، فلا يرى إلا صدقا، بخلاف الكاذب والمخلط، فإنه يفسد قلبه ويظلم، فلا يرى إلا تخليطا وأضغاثا، وقد يندر العكس أحيانا، فيرى الصادق ما لا يصح، ويرى الكاذب ما يصح، ولكن الأغلب الأكثر ما تقدم. قاله القرطبى.

(**ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة**) كذا فى كثير من الأصول « خمس » وفى بعضها « خمسة » وهو الصواب، وفى الرواية السابعة والثامنة والتاسعة « جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » وفى الرواية العاشرة « جزء من سبعين جزءا من النبوة » قال النووى: فحصل ثلاث روايات، المشهور « ستة وأربعين » والثانية « خمسة وأربعين » والثالثة « سبعين » وفى

غير مسلم « من أربعين جزءا » وفى رواية « من تسعة وأربعين » وفى رواية « من خمسين » وفى رواية « من ستة وعشرين » وفى رواية « من أربعة وأربعين » قال القاضى: أشار الطبرى إلى أن هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف حال الرائى، فالمؤمن الصالح تكون رؤياه جزءا من ستة وأربعين جزءا، والفاسق جزءا من سبعين جزءا، وقيل: المراد أن الخفى منها جزء من سبعين، والجلى جزء من ستة وأربعين. اهـ

وقد استشكل كون الرؤيا جزء من النبوة، مع أن النبوة انقطعت بموت النبى ﷺ ؟ فقيل فى الجواب: إن وقعت الرؤيا من النبى ﷺ فهى جزء من أجزاء النبوة حقيقة، وإن وقعت من غير النبى فهى جزء من أجزاء النبوة على سبيل المجاز، وقال الخطابى: قيل: معناه أن الرؤيا تجىء على موافقة النبوة، لا أنها جزء باق من النبوة، وقيل: المعنى أنها جزء من علم النبوة، لأن النبوة وإن انقطعت، فعلمها باق، وتعقب بقول مالك، فيما حكاه ابن عبد البر، أنه سئل: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: أبالنبوة يلعب؟ ثم قال: الرؤيا جزء من النبوة، فلا يلعب بالنبوة، والجواب أنه لم يرد أنها نبوة باقية، وإنما أراد أنها لما أشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب، لا ينبغى أن يتكلم فيها بغير علم، وقال ابن بطال: كون الرؤيا جزءا من أجزاء النبوة مما يستعظم، ولو كانت جزءا من ألف جزء، فيمكن أن يقال: إن لفظ النبوة مأخوذ من الإنباء، وهو الإعلام لغة، فالمعنى - على هذا - أن الرؤيا خبر صادق من اللّه، لا كذب فيه، كما أن معنى النبوة بنبأ صادق من اللّه، لا يجوز عليه الكذب، فشابهت الرؤيا النبوة فى صدق الخبر. اهـ ففى الكلام تشبيه، والتقدير: الرؤيا كجزء من النبوة فى صدق الخبر.

وقال المازرى: يحتمل أن يراد بالنبوة فى هذا الحديث، الخبر بالغيب لا غير، وإن كان يتبع ذاك إنذار أو تبشير، فالخبر بالغيب أحد ثمرات النبوة، وهو غير مقصود لذاته، لأنه يصح أن يبعث نبى يقرر الشرع، ويبين الأحكام، وإن لم يخبر فى طول عمره بغيب، و لا يكون إلا صادقا، ولا يقع إلا حقا، وأما خصوص العدد فهو مما أطلع اللّه عليه نبيه، لأنه يعلم من حقائق النبوة ما لم يعلمه غيره، وقال القاضى أبو بكر بن العربى: أجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها إلا ملك أو نبى، وإنما أراد النبى ﷺ أن يبين أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة فى الجملة، لأن فيها اطلاعا على الغيب من وجه ما، وأما تفصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة.

وقال المازرى: لا يلزم العالم أن يعرف كل شيء جملة وتفصيلا، فقد جعل اللّه للعالم حدا، يقف عنده، فمنه ما يعلم المراد منه جملة وتفصيلا، ومنه ما يعلمه جملة لا تفصيلا، وهذا من هذا القبيل.

وقد حاول بعض أهل العلم أن يتلمس مناسبة للرواية المشهورة « جزء من ستة وأربعين جزءا » فقال: إن اللّه أوحى إلى نبيه فى المنام ستة أشهر، ثم أوحى إليه بعد ذلك فى اليقظة بقية مدة حياته، ونسبتها من الوحى فى المنام جزء من ستة وأربعين جزءا، لأنه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح.

قال ابن بطال: هذا التأويل يفسد من وجهين: أحدهما أنه قد اختلف فى قدر المدة التى عاشها بعد البعثة إلى موته، والثانى أن يبقى حديث السبعين جزءا بغير معنى. قال الحافظ ابن حجر:

ويضاف إليه بقية الأعداد الواردة، وأطال الحافظ ابن حجر فى توجيه المناسبات بين الأعداد الورادة وبين الواقع، مما لا يتسع له هذا المقام.

(**والرؤيا ثلاثة**) ظاهره أنه مرفوع، وكذا أخرجه الترمذى والنسائى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن ابن سيرين عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: « الرؤيا ثلاث فرؤيا حق، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه، ورؤيا تحزين من الشيطان » لكن جاء فى البخارى عن عوف قال: حدثنا محمد بن سيرين أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، وما كان من النبوة فإنه لا يكذب » - قال محمد: وأنا أقول: هذه - قال: وكان يقال: (الرؤيا ثلاث، حديث النفس، وتخويف الشيطان، وبشرى من الله..) مما يوهم أنه مدرج، والصحيح أنه مرفوع.

(**فرؤيا الصالحة بشرى من الله**) كذا فى الأصول « فرؤيا الصالحة » من إضافة الموصوف إلى صفته، كقولهم: مسجد الجامع، أى فالرؤيا الصالحة بشرى من الله.

(**ورؤيا تحزين من الشيطان**) وعند ابن ماجه « أهاويل من الشيطان ليحزن ابن آدم » وعند البخارى « وتخويف الشيطان ».

(**ورؤيا مما يحدث المرء نفسه**) وعند البخارى « حديث النفس » وعند ابن ماجه « ومنها ما يهم به الرجل فى يقظته، فيراه فى منامه » قال الحافظ ابن حجر:وليس الحصر مرادا من قوله « ثلاث » لثبوت نوع رابع، وهو تلاعب الشيطان، ونوع خامس، وهو رؤيا ما يعتاده الرائى فى اليقظة، كمن كانت عادته أن يأكل فى وقت، فنام فيه، فرأى أنه يأكل، وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص، وسابع، وهو الأضغاث. انتهى، ويمكن إدراج ما ذكره الحافظ فى الأنواع الثلاثة، بشيء من التوسع.

(**قال: وأحب القيد، وأكره الغل والقيد ثبات فى الدين**) فى ملحق الرواية قال أبو هريرة: « فيعجبنى القيد، وأكره الغل » القيد بفتح القاف حبل ونحوه يجعل فى الرجل، والغل بضم الغين وتشديد اللام طوق من حديد أو جلد، يجعل فى عنق الأسير أو المجرم، أو فى أيديهما، جمعه أغلال، وفى رواية البخارى « قال: وكان يكره الغل فى النوم، وكان يعجبهم القيد، ويقال: القيد ثبات فى الدين » قال الكرمانى: اختلف فيه. هل هو مرفوع؟ أو لا؟ فقال بعضهم: مرفوع، وقال بعضهم: هو كلام ابن سيرين، وفاعل « كان يكره » أبو هريرة، وقال الطيبى: يحتمل أن يكون مقولا للراوى عن ابن سيرين، فيكون اسم « كان » ضميرا لابن سيرين، وأن يكون مقولا لابن سيرين، واسم « كان » ضمير أبى هريرة، أو النبى ﷺ، اهـ وفى نهاية الرواية عند مسلم « فلا أدرى. هو فى الحديث؟ أم قاله ابن سيرين؟ وأخرجه الترمذى وأحمد والحاكم، وفى نهايته » قال أبو هريرة: « يعجبنى القيد..إلخ » وقال الخطيب: المتن كله مرفوع، إلا ذكر القيد، والغل، فإنه قول أبى هريرة، أدرج فى الخبر، وقال أبو عوانة عن قصة القيد: الأصح أن هذا من قول ابن سيرين، وقال القرطبى: هذا الحديث وإن اختلف فى رفعه ووقفه فإن معناه صحيح، لأن القيد فى الرجلين تثبيت للمقيد فى مكانه، فإذا رآه من هو على حالة كان ذلك دليلا على ثبوته على تلك الحالة، وأما كراهة الغل فلأن محله الأعناق، نكالا وعقوبة وقهرا، وإذلالا، وقد

يسحب على وجهه، ويخر على قفاه، فهو مذموم شرعا وعادة فرؤيته فى العنق دليل على وقوع حال سيئة للرائى، تلازمه، ولا ينفك عنها، وقد يكون ذلك فى دينه، كواجبات فرط فيها، أو معاص ارتكبها، أو حقوق لازمة له لم يوفها أهلها مع قدرته، وقد تكون فى دنياه، كشدة تعتريه أو تلازمه.

وقال المهلب: الغل يعبر بالمكروه، لأن اللّه أخبر فى كتابه أنه من صفات أهل النار بقوله تعالى **﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾** [غافر: ٧١] وقد يدل على الكفر، وقد يعبر بامرأة تؤذى.

وقال ابن العربى: إنما أحبوا القيد لذكر النبى ﷺ له فى قسم المحمود، فقال: « قيد الإيمان الفتك » وأما الغل فقد كره شرعا فى المفهوم، كقوله **﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾** [الحاقة: ٣٠] وقوله **﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾** [الإسراء: ٢٩] وقوله **﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾** [المائدة: ٦٤] وإنما جعل القيد ثباتا فى الدين، لأن المقيد لا يستطيع المشى، فضرب مثلا للإيمان، الذى يمنع عن المشى إلى الباطل.

وقال النووى: قال العلماء: إنما أحب القيد لأن محله الرجل، وهو كف عن المعاصى والشر والباطل، وأما الغل فموضعه العنق، وهو صفة أهل النار.

(من رآنى فى المنام فقد رآنى، فإن الشيطان لا يتمثل بى) فى الرواية الثانية عشرة « من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة - أو لكأنما رآنى فى اليقظة، لا يتمثل الشيطان بى » وفيها « ومن رآنى فقد رأى الحق » وفى الرواية الثالثة عشرة « من رآنى فى النوم فقد رآنى، إنه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل فى صورتى ».

قال النووى: اختلف العلماء فى معنى قوله ﷺ « فقد رآنى » فقال الباقلانى: معناه أن رؤياه صحيحة، ليست بأضغاث، ولا من تشبيهات الشيطان، ويؤيده « فقد رأى الحق » أى الرؤية الصحيحة، قال المازرى: وقال آخرون: بل الحديث على ظاهره، والمراد أن من رآه فقد أدركه - أى أدرك وتصور حقيقة ذاته وصفته- قالوا ولا مانع يمنع من ذلك، والعقل لا يحيله، حتى يضطر إلى صرفه عن ظاهره، وتعقب بأن قد يرى خلاف صفته المعروفة، كمن يراه أبيض اللحية، وقد يراه شخصان فى زمن واحد، أحدهما فى المشرق والآخر فى المغرب، ويراه كل منهما فى مكانه، فلا يكون إدراكا وتصورا حقيقيا، وأجيب بأن معنى « من رآنى فى المنام » أى على صورتى وهيئتى وصفاتى الحقيقية، فقد أدرك صورتى، والإدراك لا يشترط فيه تحديق الأبصار، ولا قرب المسافة، ولا كون المرئى ظاهرا على الأرض، لا مدفونا فيها، وإنما يشترط كونه موجودا، ولم يقم دليل على فناء جسمه صلى اللّه عليه وسلم، بل جاء فى الأحاديث ما يقتضى بقاءه، أما من رآه على غير صورته وعلى خلاف ما كان عليه صلى اللّه عليه وسلم، فهو تخيل له على غير وجهه، أو هو تخيل للصفات المخالفة، وليس إدراكا، وقد يظن الظان بعض الخيالات مرئيا مدركا، لكون ما يتخيله مرتبطا بما يرى فى العادة، فيكون ذاته صلى اللّه عليه وسلم مرئية، وصفاته متخيلة، غير مرئية، فحاصل هذا الجواب أن من رآه بصفته فقد أدركه وتصوره، فإن الشيطان لا يتشبه به، ومن رآه على خلاف صفته الحقيقية فقد أدرك ذاته وتصورها، وتخيل صفات غير صحيحة.

وقيل فى الجواب: من رآه على صفته المعروفة له فى حياته فقد رآه وأدرك صفته، ومن رآه على خلاف صفته كانت رؤيا تأويل، لا رؤيا حقيقية، ولم يرتض النووى هذين الجوابين، وقال: بل الصحيح

أن من رآه فى المنام فقد رآه حقيقة، سواء كان على صفته المعروفة أو غيرها، وقال: قال القاضى: قال بعض العلماء: خص اللّٰه تعالى النبى ﷺ بأن رؤية الناس إياه صحيحة، وكلها صدق، ومنع الشيطان أن يتصور فى خلقته، لئلا يكذب على لسانه فى النوم، كما استحال أن يتصور الشيطان فى صورته فى اليقظة، ولو وقع لاشتبه الحق بالباطل، ولم يوثق بما جاء به، مخافة من هذا التصور، فحماه اللّٰه تعالى من الشيطان ونزغه ووسوسته وإلقائه وكيده، قال: وكذا حمى رؤيتهم نفسهم. اهـ.

وهذا القول مسلم فى اليقظة أما فى النوم فالتشبه به لا يخل بالثقة فيه، فما أكثر الباطل فى المنام.

وما ضعفه النووى من الجوابين خلاف ما عليه كثير من العلماء، فقد علق البخارى على ابن سيرين قوله « إذا رآه فى صورته » و « كان ابن سيرين، إذا قص عليه رجل أنه رأى النبى ﷺ: قال: صف لى الذى رأيته، فإن وصف له صفة لا يعرفها، قال: لم تره » قال الحافظ ابن حجر: وسنده صحيح، وقال أبو بكر بن العربي: رؤية النبى ﷺ بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة، ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة، وإدراك الصفات إدراك المثل.

وقيل: الكلام على التشبيه، أى من رآنى فى المنام - بصفتى الحقيقية، أو بخلاف صفتى - فهو يشبه من رآنى، فى الثقة بى وبدينى وما يجب لي عليه، وليس يدخل فى ذلك قطعا ثبوت الصحبة له، حتى ولو كان معاصرا لحياته صلى اللّٰه عليه وسلم، ويؤيد هذا المعنى روايتنا الثانية عشرة، ولفظها « أو لكأنما رآنى فى اليقظة ».

هذا عن رواية « فقد رآنى » أما عن رواية « من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة » روايتنا الثانية عشرة، فقد قيل فى معناها: فسيرى تفسير ما رأى، لأنه حق وغيب، ألقى فيه، وقيل: معناه: فسيرانى يوم القيامة، وتعقب بأنه لا فائدة من هذا التخصيص، فكل المؤمنين يرونه يوم القيامة فى اليقظة، وقال ابن التين: المراد من آمن به فى حياته، ولم يره، لكونه حينئذ غائبا عنه، فيكون بهذا مبشرا لكل من آمن به، ولم يره، أنه لابد أن يراه فى اليقظة قبل موته. قاله القزاز، وقال المازرى: إن كان المحفوظ « فكأنما رآنى فى اليقظة » فمعناه ظاهر، وإن كان المحفوظ « فسيرانى فى اليقظة » احتمل أن يكون أراد أهل عصره، ممن يهاجر اليه، فإنه إذا رآه فى المنام جعل ذلك علامة على أنه يراه بعد ذلك فى اليقظة، وأوحى اللّٰه بذلك إليه صلى اللّٰه عليه وسلم.

أما قوله « فإن الشيطان لا يتمثل بى » ففى الرواية الثالثة عشرة « إنه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل فى صورتى » وعند الترمذى « إن الشيطان لا يستطيع أن يصير مرئيا بصورتى » وفى رواية « فإن الشيطان لا يتزايا بصورتى » وعند البخارى « فإن الشيطان لا يتكوننى » أى لا يتكون كونى فى صورتى، والمعنى أن اللّٰه تعالى وإن منح الشيطان القدرة على التصور فى أى صورة أراد، فإنه لم يمكنه من التصور فى صورة النبى ﷺ، ومحل ذلك إذا رآه على صورته التى كان عليها، فى أى وقت من أوقات حياته صلى اللّٰه عليه وسلم، ومن العلماء من ضيق الحالة، فخصها بالحالة التى قبض عليها حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التى لم تبلغ عشرين شعرة، قال الحافظ ابن حجر: والصواب

التعميم فى جميع حالاته صلى اللَّه عليه وسلم، بشرط أن تكون صورته الحقيقية فى وقت ما، سواء كان فى شبابه أو رجولته أو كهولته أو آخر عمره.

(**عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه، عن ابن عباس، أو أبى هريرة**) كذا بالترديد بين ابن عباس، وأبى هريرة، فى روايتنا الثامنة عشرة، وعن ابن عباس بدون ترديد، فى ملحقيها، وفى الملحق الثاني يذكر عبد الرزاق أن التردد كان من معمر شيخه، وليس من الزهرى شيخ شيخه، وعند عبد الرزاق: عن ابن عباس قال: كان أبو هريرة يحدث، قال البزار: لا نعلم أحدا قال: عن عبيد اللَّه عن ابن عباس عن أبى هريرة إلا عبد الرزاق عن معمر، ورواه غير واحد، فلم يذكروا أبا هريرة.اهـ. وذكر الحميدى أن سفيان بن عيينة كان لا يذكر فيه ابن عباس، قال: فلما كان صحيحه آخر زمانه أثبت فيه ابن عباس، أخرجه أبو عوانة فى صحيحه من طريق الحميدى، والتحقيق أنه من مسند ابن عباس، فقد أخرجه البخارى فى صحيحه، بلفظ « وقال ابن عباس: قال النبى ﷺ لأبى بكر: لا تقسم.... » فجزم بأنه عن ابن عباس.

(**أن رجلا أتى رسول اللَّه ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه**) فى ملحق الرواية « جاء رجل النبى ﷺ منصرفة من أحد، فقال.. » فبينت زمن الرؤيا.

(**إنى أرى الليلة فى المنام**) فيه التعبير عن الماضى بالمضارع، استحضارا للصورة، تأكيدا لتذكرها وضبطها، كأنها حاضرة أمامه وقت التكلم، والأصل: إنى رأيت الليلة فى المنام، كما جاء فى الملحق الأول.

(**ظلة، تنطف السمن والعسل**) « ظلة » بضم الظاء، أى سحابة لها ظل، والأصل كل ما أظل، من ثقيفة ونحوها، زاد فى رواية « ظلة بين السماء والأرض » ومعنى « تنطف » بكسر الطاء، ويجوز ضمها، أى تقطر قليلا قليلا.

(**فأرى الناس يتكففون منها بأيديهم**) أى يأخذون بأكفهم، قال الخليل: تكفف بسط كفه ليأخذ، وقال القرطبى: يحتمل أن يكون معنى « يتكففون » يأخذون كفايتهم، وهو أليق بقوله بعد ذلك: « فالمستكثر والمستقل » واعترض عليه الحافظ ابن حجر بأن الكفاية من كفى، والتكفف من كفف، فلا يتلاقيان. اهـ

وكلام القرطبى وجيه، فالكفاف من الكف والتكفف مقدار الحاجة من غير زيادة ولا نقصان، فالقرطبى أخذ المعنى من الكف، لا من الكفاية.

(**فالمستكثر والمستقل**) أى الآخذ كثيرا، والآخذ قليلا، وفى رواية « فمستكثر ومستقل » بدون الألف واللام، وفى رواية « فمن بين مستكثر ومستقل وبين ذلك ».

(**وأرى سببا واصلا من السماء إلى الأرض**) السبب الحبل.

(**فأراك أخذت به، فعلوت**) أى فرأيتك أمسكت به، فصعدت إلى أعلى، وفى رواية « فأعلاك اللَّه ».

(**ثم أخذ به رجل من بعدك**) فى رواية « ثم أخذه رجل من بعد ».

(**ثم أخذ به رجل آخر، فانقطع به**) فى رواية « فانقطع » وفى رواية « ثم جاء رجل من بعدكم فأخذ به، فقطع به ».

(**ثم وصل له، فعلا**) فى رواية « ثم وصل له فاتصل ».

(**بأبى أنت**) زاد فى رواية « وأمى ».

(**واللّه لتدعنى**) بتشديد النون، وفتح العين، مضارع مبنى على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد، وفى رواية « ائذن لى ».

(**فلأعبرنها**) بالتأكيد باللام والنون، وفى رواية البخارى « فأعبرها » يقال: عبر الرؤيا بفتح الباء مخففة، ويعبرها، بضم الباء، عبرا بفتح العين وسكون الباء، وعبارة إذا فسرها، وأخبر بما يئول إليه أمرها، وعبرها بتشديد الباء للمبالغة فى ذلك، والتعبير خاص بتفسير الرؤيا، وهو العبور من ظاهرها إلى باطنها، وقيل: النظر فى الشيء، فيعتبر بعضه ببعض حتى يحصل على فهمه، وأصله من العبر بفتح العين وسكون الباء، وهو التجاوز من حال إلى حال، وخصوا تجاوز الماء بسباحة أو بسفينة أو غيرها بلفظ العبور بضم العين والباء، والاعتبار والعبرة الحالة التى يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد.

(**اعبرها**) بضم الباء، فعل أمر، من الثلاثى، وعند ابن ماجه « عبرها » بتشديد الباء المكسورة، وفى رواية « فأذن له » زاد فى رواية « وكان من أعبر الناس للرؤيا بعد رسول اللّه ﷺ ».

(**أما الظلة فظلة الإسلام**) فى رواية للبخارى « أما الظلة فالإسلام ».

(**وأما الذى ينطف من السمن والعسل فالقرآن، حلاوته ولينه**) وفى رواية للبخارى « فالقرآن، حلاوته تنطف » وفى رواية « وأما العسل والسمن فالقرآن، فى حلاوة العسل ولين السمن ».

(**وأما ما يتكفف الناس من ذلك، فالمستكثر من القرآن والمستقل**) وفى رواية « فالآخذ من القرآن كثيرا وقليلا » وفى رواية « فهم حملة القرآن ».

(**ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به**) زاد فى رواية « رجل من بعدك على مناهجك ».

(**أصبت ؟ أم أخطأت؟**) فى رواية « هل أصبت يا رسول اللّه؟ أو أخطأت »؟.

(**أصبت بعضا، وأخطأت بعضا**) فى رواية « أصبت وأخطأت ».

(**فواللّه - يارسول اللّه - لتحدثنى: ما الذى أخطأت؟ قال: لا تقسم**) عائد الصلة محذوف، أى ما الذى أخطأت فيه؟ وفى رواية « ما الذى أصبت؟ وما الذى أخطأت؟ فأبى أن يخبره » وفى رواية « لتحدثنى بالذى أخطأت » وفى رواية « لتخبرنى بالذى أصبت من الذى أخطأت » قال الداودى: قوله « لا تقسم » أى لا تكرر يمينك، فإنى لا أخبرك. اهـ وقد أطنب العلماء فى تعيين ما أصاب فيه، وما أخطأ فيه، وسنعرض أقوالهم فى فقه الحديث.

(**من رأى منكم رؤيا، فليقصها، أعبرها له**) « فليقصها » الفعل مجزوم بلام الأمر، وحرك بالفتح لالتقاء الساكنين، وفعل « أعبرها » بضم الباء، وسكون الراء، مجزوم فى جواب الأمر.

(**فأتينا برطب من رطب ابن طاب**) قال النووى: نوع من الرطب معروف، يقال له: رطب ابن طاب، وتمر ابن طاب، وعذق ابن طاب، وعرجون ابن طاب، وهو مضاف إلى ابن طاب، رجل من أهل المدينة.

(**فأولت الرفعة لنا فى الدنيا، والعاقبة فى الآخرة**) مفعول « أولت » بتشديد الواو المفتوحة محذوف أى أولت الرؤيا وعبرتها بالرفعة للمسلمين فى الدنيا..

(**وأن ديننا قد طاب**) أى كمل، واستقرت أحكامه، وتمهدت قواعده.

(**أرانى فى المنام**) بفتح الهمزة من الرؤيا، أى رأيت نفسى فى المنام، وفى رواية البخارى « أرانى أتسوك بسواك، فجاءنى رجلان » وعند أبى داود عن عائشة رضى اللّٰه عنها « كان رسول اللّٰه ﷺ يستن وعنده رجلان، فأوحى إليه أن أعط السواك الأكبر» وهذا يقتضى أن تكون القضية وقعت فى اليقظة، وجمع العلماء بين روايتنا ورواية أبى داود باحتمال أن القضية وقعت فى المنام، ووقعت فى اليقظة، ولما وقعت فى اليقظة أخبرهم صلى اللّٰه عليه وسلم بما رآه فى النوم، تنبيها على أن أمره بذلك وحى متقدم.

(**فجذبنى رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر منهما**) أى جذب انتباهى، ورغبتى فى إعطاء السواك أحدهما أولا، كل منهما له وجه فى استحقاق التقديم، ولعل الأصغر سنا كان أعلم من الأكبر، أو أفضل فى التقوى، وكانا فى المواجهة مثلا، أما لو كان أحدهما على اليمين والآخر على الشمال فقد قال المهلب: السنة حينئذ تقديم الأيمن.

(**فقيل لى: كبر، فدفعته إلى الأكبر**) فى رواية لأحمد أن القائل له جبريل عليه السلام، ولفظها « إن جبريل أمرنى أن أكبر» ولفظ الطبرانى « أمرنى جبريل أن أكبر» فمعنى « فناولت السواك الأصغر منهما » أى مددت يدى بالسواك ولم يتسلمه المعطى، ففيه مجاز المشارفة، أى قاربت مناولته، ومعنى « كبر» بفتح الكاف وتشديد الباء المكسورة، أى اقصد الكبير سنا، وقدمه.

(**فذهب وهلى**) قال ابن التين: رويناه بفتح الهاء، والذى ذكره أهل اللغة بسكونها، وقال النووى: يقال: وهل بفتح الهاء، يهل بكسرها، وهلا بسكونها، مثل ضرب يضرب ضربا، أى غلط وذهب وهمه إلى خلاف الصواب، وأما وهلت بكسرها، أوهل بسكون الواو وفتح الهاء، وهلا بالتحريك كحذرت أحذر حذرا، فمعناه فزعت، والمعنى هنا ذهبت وهمى وظنى واعتقادى.

(**إلى أنها اليمامة أو هجر**) فى رواية للبخارى « أو الهجر» واليمامة مدينة كبيرة بين مكة والمدينة، و« هجر» بلد كبير معروف فى البحرين، وهى من مساكن عبد القيس، وقد سبقوا غيرهم من القرى إلى الإسلام، وقيل: هجر قرية صغيرة، كانت قرب المدينة، ورد بأن المناسب أن يهاجر إليه لابد وأن يكون بلدا كبيرا كثير الأهل.

(**فإذا هى المدينة « يثرب »**) قال الحافظ ابن حجر: كان ذلك قبل أن يسميها صلى اللّٰه عليه وسلم طيبة.

(**أنى هززت سيفا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد**) وفى

رواية للبخارى « هززت سيفى » وفى رواية عند ابن إسحق « ورأيت سيفى ذى الفقار انقصم من عند ظبته - أو قال: به فلول، فكرهته » وفى أخرى عند ابن إسحق « ورايت فى ذباب سيفى ثلما » وصدر كل شيء مقدمه، وظبة السيف بضم الظاء وتشديد الباء، حده، وذبابه حد طرفيه، والثلم الشق وكسر الحرف، قال المهلب: هذه الرؤيا من ضرب المثل، ولما كان صلى الله عليه وسلم يصول بالصحابة عبر عن السيف بهم، وبهزه عن أمره لهم بالحرب، وعن القطع فيه بالقتل فيهم. اهـ. وقيل: كان الذى رآه بسيفه ما أصاب وجهه الكريم، والثلم فى السيف رجل من أهل بيته يقتل، ويبعده صريح روايتنا، وأن ما رآه بسيفه هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد.

(**ثم هززته أخرى، فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين**) فعودة السيف إلى حالته الحسنة تعبر بفتح مكة ونصر الله واجتماع الناس على الإسلام.

(**ورأيت فيها أيضا**) أى فى الرؤيا نفسها.

(**بقرا**) بفتح الباء والقاف، جمع بقرة، وفى رواية « بقرا تذبح » وفى رواية « بقرا تنحر» وعند أحمد والنسائى وابن سعد « ورأيت بقرا منحرة » قال النووى: وبهذه الزيادة « تذبح ». « تنحر». « منحرة » يتم تأويل الرؤيا بما ذكر فنحر البقر هو قتل الصحابة رضى الله عنهم، الذين قتلوا بأحد.

(**والله خير**) مبتدأ وخبر، قال القاضى: ضبطناه عن جميع الرواة برفع الهاء والراء وهو من جملة ما حكى من الرؤيا، فهى كلمة ألقيت إليه، وسمعها فى الرؤيا، عند رؤيا البقر، بدليل تأويلها بعد، وفيه مضاف محذوف، أى وصنع الله وفعله خير على كل حال، فصنعه بالمقتولين خير لهم من بقائهم فى الدنيا، وقيل: معناه: والله عنده خير، وعند ابن إسحق « وإنى رأيت والله خيرا رأيت بقرا » وهى أوضح، والواو للقسم، « والله » بالجر مقسم به، « وخيرا » مفعول « رأيت » وفى رواية « تأولت البقر الذى رأيت بقرا يكون فينا، قال: فكان ذلك من أصيب من المسلمين » فقوله « بقرا » بفتح الباء وسكون القاف، وهو شق البطن.

(**وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد، وثواب الصدق الذى آتانا الله بعد يوم بدر**) قال القاضى عياض: ضبطنا « بعد يوم بدر» بضم الدال، ونصب « يوم » قال: وروى بنصب الدال، قالوا: ومعناه ما جاء الله به بعد بدر الثانية، من تثبيت قلوب المؤمنين، لأن الناس جمعوا لهم وخوفوهم، فزادهم ذلك إيمانا، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، وتفرق العدو عنهم، هيبة لهم، اهـ. يشير القاضى إلى أن المراد بالخير فى الحديث إلقاء الرعب فى قلب مشركى مكة، وعدم خروجهم فى العام القابل بعد بدر، كما هددوا وتوعدوا فى بدر، وتثبيت قلوب المؤمنين، وعودتهم من الغزوة لم يمسسهم سوء، وتفسير الآية بهذا شذ به مجاهد وعكرمة رحمهما الله تعالى: إذ قالا: إنما الآية نزلت فى خروج النبى ﷺ إلى بدر الصغرى، وذلك أنه خرج لميعاد أبى سفيان، إذ قال: - بعد هزيمته فى بدر الكبرى - موعدنا بدر من العام المقبل، فقال النبى ﷺ: قولوا: نعم. فلما جاء الموعد خرج صلى الله عليه وسلم قبل بدر، وجاءهم من يقول: إن قريشا قد اجتمعت لحربهم، فأشفق المسلمون من ذلك، لكنهم قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فصمموا حتى أتوا بدرا، فلم يجدوا أحدا فاشتروا من سوقها تجارة ونعما.

وجمهور المفسرين على أن الآية تشير إلى غزوة حمراء الأسد، وذلك أنه عقب انتهاء غزوة أحد، وفى اليوم الثانى منها نادى رسول الله ﷺ فى الناس باتباع المشركين، ليعلموا أن بالمسلمين قوة، وقال: لا يخرج معنا إلا من شهدها بالأمس، فنهض معه مائتا رجل من المؤمنين، ربما كان فيهم المثقل بالجراح، لا يستطيع المشى، ولا يجد مركوبا، فربما حمل على الأعناق، فلما وصلوا حمراء الأسد بلغهم أن كفار قريش قد أجمعوا أمرهم على أن يأتوا المدينة، فيستأصلوا أهلها، فقالوا: لم يخبرنا الله بشأنهم، حسبنا الله ونعم الوكيل، وشاء الله أن يذهب إلى كفار قريش من يثقون فيه وليس منهم، فيخبرهم - خداعا - أن محمدا وأصحابه بحمراء الأسد فى جيش عظيم، سيكر عليهم، فخاف أبو سفيان ومن معه، وقذف الله فى قلوبهم الرعب، فأسرعوا إلى مكة، ورجع الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

وهذا التفسير أولى فى مقامنا، لأن الخير الذى فسر فى الرؤيا كان بعد ذبح البقر، ولا يتأتى هذا على التفسير الأول، وقوله فى حديثنا «بعد يوم بدر» لا يتعارض مع ما ذهبنا إليه، فما بعد أحد هو بعد بدر.

والحاصل أن رؤياه صلى الله عليه وسلم اشتملت على قصتين، قصة هز السيف، وما وقع به من فلول وكسور، وفسرت بابتلاء المسلمين فى أحد، وعودة السيف سليما مشهورا بنصر الإسلام وعزته فيما بعد أحد، وعلى رأس هذا النصر فتح مكة، ودخول الناس فى دين الله أفواجا، القصة الثانية البقر الذى يذبح، وفسر بشهداء المسلمين فى أحد، والخير الذى يعقبه، وفسر باستعادة الثقة والأمن بعد أحد، ابتداء من غزوة حمراء الأسد.

(قدم مسيلمة الكذاب - على عهد النبى ﷺ - المدينة) «مسيلمة» بكسر اللام، مصغر، وهو ابن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث، من بنى حنيفة، وادعى بعضهم أن مسيلمة لقب، واسمه ثمامة، فإن صح كان ممن وافقت كنيته اسمه، فقد كانت كنيته أبا ثمامة، وقد ذكر ابن إسحق أن مسيلمة قدم مع وفد قومه، وأنهم تركوه فى رحالهم، يحفظها لهم، وذكروه لرسول الله ﷺ، وأخذوا منه جائزته. اهـ فهذا القدوم - إن صحت روايته، وهى ضعيفة - غير القدوم الذى فى روايتنا، فالقدوم الأول كان تابعا، وكان رئيس بنى حنيفة رجلا غيره، ولهذا أقام فى رحالة الوفد يحفظها لهم، وأسلم مع وفد قومه - وكانوا يسكنون اليمامة، بين مكة واليمن، أما القدوم الذى فى روايتنا فالمراد به قدوم وقع بعد ردته وكذبه وادعائه النبوة فبين القدومين أكثر من عام، عظم فيه قدره فى بنى حنيفة، بعد أن تزوج «سجاح» وهى امرأة من بنى تميم ادعت النبوة أيضا، وتبعها كثيرون من قومها، فخادعها مسيلمة، إلى أن تزوجها، فدان له أتباعها من قومها، واجتمعوا على طاعته حتى كان يقال له رحمان اليمامة، فادعى شركة محمد ﷺ فى النبوة، وكتب إليه «أما بعد» فإن الأرض بينى وبينك نصفين، لى نصفها، ولك نصفها، فكتب إليه النبى ﷺ «أما بعد» فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، فعدل من دعواه الشركة إلى الدعوة إلى أن يكون الخليفة من بعده صلى الله عليه وسلم وجاء المدينة، لعله يحظى بالموافقة.

وفى رواية للبخارى «أن مسيلمة الكذاب قدم المدينة، فنزل فى دار بنت الحارث - وكانت تحته بنت الحارث بن كرين، وهى أم عبد الله بن عامر، فأتاه رسول الله ﷺ، ومعه ثابت بن قيس...».

قال الحافظ ابن حجر: الصواب: وهى أم أولاد عبد اللّٰه بن عامر، لأنها زوجته، لا أمه، نعم كان لعبد اللّٰه ابن عامر ولد، يدعى عبد اللّٰه، فهى أم عبد اللّٰه بن عامر، وكانت كيسة بنت الحارث قبل عبد اللّٰه بن عامر تحت مسيلمة الكذاب، فلعله نزل دارها لكونها كانت امرأته، وقيل نزل دارها؛ لأن دارها كانت قد أعدت لنزول الوفود.

(**فجعل يقول: إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته**) أى رجعت إلى متابعته، والمراد من الأمر الخلافة والقيام بمهام الرسالة.

(**فقدمها فى بشر كثير من قومه**) قيل كانوا سبعة عشر رجلا.

(**فأقبل إليه النبى ﷺ**) يعامله معاملة الكرم، على عادته صلى اللّٰه عليه وسلم فى الاستئلاف وتوجه إليه بنفسه ليقيم عليه الحجة، ويرفع عذره بإنذاره.

(**ومعه ثابت بن قيس بن شماس**) لأنه كان خطيب الأنصار، وكان النبى ﷺ قد أعطى جوامع الكلم، فإذا دعت الضرورة الشرح والإطالة ترك ثابتا يشرح.

(**وفى يد النبى ﷺ قطعة جريد**) كعصاة صغيرة، ولعله أخذها متعمدا ليقول عنها ما قال.

(**حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه**) أى فى أصحاب مسيلمة. يقال: وقف على الشيء إذا حضره وعاينه.

(**قال: لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها**) قال هذا جوابا على سؤال مسيلمة أن يجعل له الأمر من بعده، والمعنى لو طلبت منى هذه القطعة الصغيرة التافهة من جريد النخيل، مقابل أن تتبعنى ما أعطيتكها، ففى رواية البخارى «فوقف عليه، فكلمه، فقال له مسيلمة: إن شئت خلينا بينك وبين الأمر، ثم جعلته لنا من بعدك؟ فقال النبى ﷺ: لو سألتنى هذا القضيب ما أعطيتكه».

(**ولن أتعدى أمر اللّٰه فيك**) قال النووى: كذا وقع فى جميع نسخ مسلم، ووقع فى البخارى «ولن تعدو أمر اللّٰه فيك» قال القاضى: هما صحيحان، فمعنى الأول: لن أعدو أنا أمر اللّٰه فيك، بل إنى لا أجيبك إلى ما طلبته، مما لا ينبغى لك، من الاستخلاف أو المشاركة، ومن أنى أبلغ ما أنزل إلى، وأدفع أمرك بالتى هى أحسن، ومعنى الثانى: ولن تعدو أنت أمر اللّٰه فى خيبتك فيما أملته من النبوة، وهلاكك دون ذلك، أو فيما سبق من قضاء اللّٰه تعالى، وقدره فى شقاوتك، قال الحافظ ابن حجر: وفى رواية «ولن تعد» بالجزم، وهو لغة، أى الجزم بلن.

(**ولئن أدبرت ليعقرنك اللّٰه**) أى إن أدبرت عن طاعتى وأعرضت عن دينى، ليقتلنك اللّٰه، والعقر القتل، و﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ [الأعراف: ٧٧] قتلوها. وقد قتله اللّٰه يوم اليمامة.

(**وإنى لأراك الذى أريت فيك ما أريت**) «لأراك» بضم الهمزة، أى لأظنك، و«أريت فيك ما أريت» بضم الهمزة أيضا، مبنى للمجهول، من رؤيا المنام، والمعنى وإنى لأظن أنه سيقع بك الهلاك الهائل العظيم الذى أرانيه اللّٰه تعالى عنك فى المنام، و«ما» فى قوله «ما أريت» للتهويل والتفخيم، كما فى قوله تعالى ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

(**وهذا ثابت يجيبك عنى**) إن أردت الجدل والنقاش، فهو خطيبى الذى أفوضه فى إجابة الوفود عن خطبهم وتشدقهم.

(**بينا أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب**) فى الرواية الثالثة والعشرين « فوضع فى يدى إسوارين من ذهب » والسوار بكسر السين، ويجوز ضمها، حلقة تلبس فى المعصم للحلية، وجمعه أسورة، وجمع الجمع أساور، وأساورة، بفتح الهمزة وكسر الواو، والإسوار بكسر الهمزة وسكون السين لغة فى السوار، وفى الرواية الثالثة والعشرين « فوضع فى يدى إسواران » قال عنها النووى: وقع فى جميع النسخ « فوضع فى يدى إسوارين » فيكون « وضع » بفتح الواو والضاد، وفيه ضمير الفاعل، أى وضع الآتى بخزائن الأرض فى يدى إسوارين، فهذا هو الصواب، وضبطه بعضهم « فوضع » بضم الواو، وهو ضعيف، لنصب « إسوارين » وإن كان يتخرج على وجه ضعيف، وقوله « يدى » هو بتشديد الياء على التثنية، وفى الرواية الثالثة والعشرين « بينا أنا نائم أتيت خزائن الأرض » قال النووى: وفى بعض النسخ « أتيت بخزائن الأرض »، وفى غير مسلم « مفاتيح خزائن الأرض » قال العلماء: هذا محمول على سلطانها وملكها وفتح بلادها، وأخذ خزائن أموالها، وقد وقع ذلك كله ولله الحمد.

(**فأهمنى شأنهما**) وفي الرواية الثالثة والعشرين « فكبرا على، وأهمانى » وفي رواية للبخارى « فكبر على » أى عظم أمرهما ووضعهما في يدى، وأدخلا في نفسى حزنا وهما، لكون الذهب من حلية النساء، ومن حلى ملوك الكفار.

(**فأوحى إلى فى المنام أن انفخهما، فنفختهما فطارا**) قال النووى: والنفخ بالخاء، ونفخه صلى الله عليه وسلم إياهما فطارا، دليل لانمحاقهما، واضمحلال أمرهما، اهـ وفى رواية « فذهبا » زاد فى رواية « فوقع واحد باليمامة، والآخر باليمن » وفى نفخهما إشارة إلى حقارة أمرهما، لأن شأن الذى ينفخ فيذهب بالنفخ أن يكون فى غاية الحقارة، نعم كان أمرهما وحربهما فى غاية الشدة، لكن الحقارة المعنوية قائمة بهما.

قال العلماء: والوحى إليه صلى الله عليه وسلم بنفخهما يحتمل أن يكون من وحى الإلهام، أو على لسان الملك، والله أعلم.

(**فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى**) قال القاضى عياض: لما كان رؤيا السوارين فى اليدين جميعا من الجهتين، وكان النبى ﷺ حينئذ بينهما، أول السوارين عليهما، لوضعهما فى غير موضعهما، لأنه ليس من حلية الرجال، وكذلك الكذاب، يضع الخبر فى غير موضعه. اهـ

وقال القرطبى: مناسبة هذا التأويل لهذه الرؤيا أن أهل صنعاء وأهل اليمامة كانوا أسلموا، فكانوا كالساعدين للإسلام، فلما ظهر فيهما الكذابان، وبهرجا على أهلهما بزخرف أقوالهما ودعواهما الباطلة انخدع أكثرهم بذلك، فكان اليدان بمنزلة البلدين، والسوارن بمنزلة الكذابين. اهـ

فالأسواد العنسى ظهر فى صنعاء، وادعى النبوة، وعظمت شوكته، وحارب المسلمين، وفتك بهم، وغلب على البلد، وآل أمره إلى أن قتل فى حياة النبى ﷺ، ومسيلمة ادعى النبوة فى حياة النبى ﷺ وإن لم تعظم شوكته، ولم تقع محاربته إلا فى عهد أبى بكر، وأجيب عن هذا الإشكال بجوابين: الأول

أن المراد بخروجهما من بعده قوة شوكتهما وظهورهما وخروجهما ومحاربتهما للمسلمين، وقد حصل هذا من بعده لمسيلمة، وأضيف لهما على سبيل التغليب، والثانى أن فى الكلام مضافا محذوفا، والأصل بعد نبوتى، والأول أقرب. وفى الرواية الثالثة والعشرين «الكذابين اللذين أنا بينهما» مما يفيد أنهما حين قص الرؤيا كانا موجودين، وهو كذلك.

قال ابن العربى: يحتمل أن يكون ما تأوله النبى ﷺ فى السوارين بوحى، ويحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم قد تفاءل بذلك، دفعا لحالهما، فأخرج المنام المذكور عليهما، لأن الرؤيا إذ عبرت وقعت كما عبرت غالبا. والله أعلم.

(**فكان أحدهما العنسى، صاحب صنعاء**) «العنسى» بسكون النون، وحكى ابن التين جواز فتحها، والأسود العنسى اسمه عبهلة بن كعب، وكان يقال له: ذو الخمار، بالخاء، لأنه كان يخمر وجهه، وقيل: هو اسم شيطانه، وقيل: كان يقال له: ذو الحمار بالحاء، لأنه كان له حمار علمه أن يسجد له، وكان يصحبه كمظهر من مظاهر معجزته، وكان الأسود خرج بصنعاء، وادعى النبوة، وغلب على عامل صنعاء، المهاجر بن أمية، وروى البيهقى فى الدلائل «كان باذان عامل النبى ﷺ بصنعاء، فمات، فخرج الأسود فى قومه، حتى ملك صنعاء، وتزوج المرزبانة، زوجة باذان، فواعدت فيروز وأصحابه، حتى دخلوا على الأسود ليلا، وقد سقته المرزبانة الخمر صرفا، حتى سكر، وكان على بابه ألف حارس، فنقب فيروز ومن معه الجدار، حتى وصلوا إليه فقتله فيروز، واحتز رأسه، وأخرجوا المرأة وما أحبوا من متاع البيت، وأرسلوا الخبر إلى المدينة، وكان ذلك عند وفاة النبى ﷺ، قيل: كان قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بيوم وليلة، فأتاه الوحى، فأخبره، ثم جاء الخبر إلى أبى بكر ؓ، وقيل: وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبى ﷺ».

(**كان النبى ﷺ إذا صلى الصبح أقبل علينا بوجهه**) أى بعد انصرافه من الصلاة بالسلام، وبعد التسبيح والتحميد والتكبير، وهذا الأسلوب يفيد العادة والاستمرار، لأن «إذا» لما يستقبل من الزمان، والجمع بين الماضى والاستقبال يفيد العادة والكثرة، ومنه قولهم: كان يفعل كذا، وفى رواية للبخارى «كان رسول الله ﷺ يعنى مما يكثر أن يقول لأصحابه».

(**هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا**) «البارحة» صفة لموصوف محذوف، تقديره: الليلة البارحة، أى الماضية، وإن كان قبل الزوال، وقال ثعلب وغيره: لا يقال «البارحة» إلا بعد الزوال، وهذا الحديث يرده لأن رسول الله ﷺ يقول «البارحة» إذا صلى الصبح، أى قبل الزوال، قال النووى: ويحتمل أنهم أرادوا أن هذا حقيقته، ويطلق قبل الزوال مجازا، زاد البخارى فى رواية «قال: فيقص عليه ما شاء الله أن يقص» بضم الياء وفتح القاف.

فقه الحديث

فى حقيقة الرؤيا أقوال للعلماء منها:

قال القاضى أبو بكر بن العربى: الرؤيا إدراكات، علقها الله تعالى فى قلب العبد، على يدى ملك

أو شيطان، إما بأسمائها، أى حقيقتها - وإما بكناها - أى بتعبيرها، وإما تخليط، ونظيرها فى اليقظة الخواطر، فإنها قد تأتى على نسق فى قصة، وقد تأتى مسترسلة، غير محصلة.

وذهب القاضى أبو بكر بن الطيب إلى أنها اعتقادات، واحتج بأن الرائى قد يرى نفسه بهيمة أو طائرا مثلا، وليس هذا إدراكا، فوجب أن يكون اعتقادا، لأن الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد. قال ابن العربى: والأول أولى، والذى يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل المثل، فالإدراك إنما يتعلق به، لا بأصل الذات.

وقال المازرى: كثر كلام الناس فى حقيقة الرؤيا، وقال فيها غير الإسلاميين أقاويل كثيرة منكرة، لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل، ولا يقوم عليها برهان، وهم لا يصدقون بالسمع، فاضطربت أقوالهم، فمن ينتمى إلى الطب ينسب جميع الرؤيا إلى الأخلاط، فيقول: من غلب عليه البلغم رأى أنه يسبح في الماء ونحو ذلك، لمناسبة الماء طبيعة البلغم، ومن غلبت عليه الصفراء رأى النيران والصعود فى الجو، وهكذا إلى آخره.

وهذا وإن جوزه العقل، وجاز أن يجرى اللَّه به العادة لكنه لم يقم عليه دليل، ولا اطردت به عادة، والقطع فى موضوع التجويز غلط (أى هذا إن صح فى بعض الرؤيا فلا يجوز تعميمه على كل رؤيا) ومن ينتمى إلى الفلسفة يقول: إن صور ما يجرى على الأرض هى فى العالم العلوى، كالنقوش، فما حاذى بعض النقوش منها انتقش فيها، قال: وهذا أشد فسادا من الأول، لكونه تحكما لا برهان عليه، والانتقاش من صفات الأجسام، وأكثر ما يجرى فى العالم العلوى الأعراض، والأعراض لا ينتقش فيها.

قال: والصحيح ما عليه أهل السنة أن اللَّه يخلق فى قلب النائم اعتقادات، كما يخلقها فى قلب اليقظان، فإذا خلقها فكأنه جعلها علما على أمور أخرى، يخلقها فى ثانى الحال (أى مستقبلا) ومهما وقع منها على خلاف المعتقد، فهو كما يقع لليقظان، ونظيره أن اللَّه تعالى خلق الغيم علامة على المطر، وقد يتخلف، وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك، فيقع بعدها ما يسر، أو بحضرة الشيطان، فيقع بعدها ما يضر، والعلم عند اللَّه تعالى، اهـ.

وهذا الذى عليه أهل السنة ليس عاما، ينطبق على جميع الرؤيا، وإنما هو لنوع منها.

وقال القرطبى: سبب تخليط غير الشرعيين إعراضهم عما جاءت به الأنبياء من الطريق المستقيم، وبيان ذلك أن الرؤيا إنما هى من إدراكات النفس، وقد غيب عنها علم حقيقتها، أى النفس، وإذا كان كذلك فالأولى أن لا تعلم علم إدراكاتها، بل كثير مما انكشف لنا من إدراكات السمع والبصر، إنما نعلم منه أمورا جملية، لا تفصيلية.

ونقل القرطبى فى المفهم عن بعض أهل العلم أن للَّه تعالى ملكا، يعرض المرئيات على المحل المدرك من النائم، فيمثل له صورة محسوسة، فتكون تارة أمثلة موافقة لما يقع فى الوجود، وتارة تكون أمثلة لمعان معقولة، وتكون فى الحالين مبشرة ومنذرة. قال: ويحتاج فيما نقله عن الملك إلى توقيف من الشرع، وإلا فجائز أن يخلق اللَّه تعالى تلك المثالات من غير ملك.

قال: وقيل: إن الرؤيا إدراك أمثلة، منضبطة فى التخيل، جعلها اللَّه أعلاما على ما كان أو يكون.

وقال القاضى عياض: اختلف فى النائم المستغرق، فقيل: لا تصح رؤياه، ولا ضرب المثل له، لأن هذا لا يدرك شيئا، مع استغراق أجزاء قلبه، لأن النوم يخرج الحى عن صفات التمييز والظن والتخيل، كما يخرجه عن صفة العلم، وقال آخرون: بل يصح للنائم مع استغراق أجزاء قلبه بالنوم أن يكون ظانا ومتخيلا، وأما العلم فلا، لأن النوم آفة تمنع حصول الاعتقادات الصحيحة، نعم إن كان بعض أجزاء قلبه لم يحل فيه النوم فيصح، وبه يضرب المثل، وبه يرى ما يتخيله، ولا تكليف عليه حينئذ، لأن رؤياه ليست على حقيقة وجود العلم ولا صحة المميز، وإنما بقيت فيه بقية، يدرك بها ضرب المثل، وأيده القرطبى بأن النبى ﷺ كان ينام عينه، ولا ينام قلبه، ومن هنا احترز القائل بقوله « إدراك أمثلة منضبطة فى التخيل » لأن الرائى لا يرى فى منامه إلا من نوع ما يدركه فى اليقظة بحسه، إلا أن التخيلات قد تركب له تركيبا يحصل به صورة لا عهد له بها، يكون علما على أمر نادر، كمن رأى رأس إنسان على جسد فرس، له جناحان مثلا، وأشار بقوله: « أعلاما » إلى الرؤيا الصحيحة المنتظمة الواقعة على شروطها، قال الحافظ ابن حجر: وأما الحديث الذى أخرجه الحاكم عن عبد اللّٰه بن عمر - رضى اللّٰه عنهما - قال: "لقى عمر عليا، فقال: يا أبا الحسن. الرجل يرى الرؤيا، فمنها ما يصدق، ومنها ما يكذب؟ قال نعم. سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول: « ما من عبد ولا أمة، ينام فيمتلئ نوما إلا تخرج بروحه إلى العرش، فالذى لا يستيقظ دون العرش، فتلك الرؤيا التى تصدق، والذى يستيقظ دون العرش، فتلك الرؤيا التى تكذب » قال الذهبى فى تلخيصه: هذا حديث منكر.

بعد هذه الجولة فى أقوال العلماء فى حقيقة الرؤيا نخلص إلى أن الرؤيا كصورة ذات ألوان مختلفة، أو ذات جوانب مختلفة، كل يرى لونا من ألوانها، وينظر من زاوية من زواياها، وكل قول مما عرضنا يعبر عن بعض أنواع الرؤيا، والبحث فى كيفية حصولها بجميع أحوالها بحث فى بحر لا ساحل له، فهى سر يجرى فى النوم، والنوم نفسه سر، لأنه نوع من الوفاة التى هى سر الأسرار، كما يقول تعالى ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**﴾ [الزمر: ٤٢]، وإذا أحلنا بعض ما يراه النائم إلى أسباب، كزيادة الأكل، وقربه من النوم، أو ضغط الرغبات، أو عظم الانشغال، أو الخوف، أو القلق، فإننا لا نعمم بالحكم كل الرؤى، والذى لا شك فيه أن بعض ما يراه النائم جزء من النبوة، إعلام مسبق من اللّٰه، إنذار أو تبشير، وقد فسر بعض العلماء قوله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ [الشورى: ٥١] فسره بالرؤيا فى المنام، ومنكر هذا منكر للبداهة والواقع.

قالوا: ورؤيا الأنبياء وحى، والوحى لا يدخله خلل، لأنه محروس، لكنها قد لا تحتاج إلى تأويل، فتقع كما رؤيت فى النوم، كما فى قوله تعالى ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ**﴾ [الفتح: ٢٧] وقد تحتاج إلى تأويل، كما فى قول يوسف عليه السلام ﴿**إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ [يوسف: ٤] وقوله ﴿**يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**﴾ [يوسف: ١٠٠] وكرؤيا رسول اللّٰه ﷺ انكسار سيفه والبقر تنحر فى رواياتنا.

أما رؤيا غير الأنبياء فهى على قسمين: صادقة وهى التى تقع فى اليقظة على وفق ما وقعت فى النوم، وهى كثيرة من الصالحين، قليلة أو نادرة من غيرهم، سواء احتاجت إلى تأويل، أم لم تحتج إلى تأويل، ورؤيا ملك مصر للبقرات، ورؤيا صاحبى السجن، وهم من عبدة آلهة متفرقين خير دليل.

القسم الثانى الأضغاث، وهى التى لا تنذر ولا تبشر بشيء، أى لا توحى بالوقوع فى اليقظة، وهى أنواع:

الأول: تلاعب الشيطان، ليحزن الرائى، أو يخيفه، أو يشغله، كأن يرى أنه قطع رأسه وهو يتبعه وكأن يرى أنه واقع فى هول ولا يجد من ينقذه ونحو ذلك.

الثانى: أن يرى أمرا محالا عقلا أو شرعا، كمن يرى ملكا يأمره بالزنا.

الثالث: أن يرى ما تتحدث به نفسه فى اليقظة، أو يتمناه، من الرغبات المكبوتة.

الرابع: أن يرى ما جرت به عادته فى اليقظة، أو ما يغلب على مزاجه، فالجزار يرى الحيوانات واللحوم والقطع والوزن، والبيع والشراء، والطبيب يرى الأمراض والمرض والشفاء والفلاح يرى الحرث والزرع والحصاد. وهكذا.

على أن بعض ما يظن أنه أضغاث أحلام قد يئول، ويكون من الرؤيا الصادقة، فقد قال النووى: العابرون يتكلمون فى كتبهم على قطع الرأس، ويجعلونه دلالة على مفارقة الرائى ما هو فيه من النعم، أو مفارقة من فوقه، أو يزول سلطانه، أو يتغير حاله فى جميع أموره، إلا أن يكون عبدا فيدل على عتقه، أو مريضا فيدل على شفائه، أو مديونا فيدل على قضاء دينه، أو من لم يحج فيدل على أنه يحج، أو مغموما فيدل على الفرج، أو خائفا فيدل على أمنه، اهـ.

ومن هذا نرى أن الرؤيا الواحدة يختلف تأويلها من شخص إلى شخص، ومن حال إلى حال، و أكثر التأويل يعتمد على الربط بين الرؤيا وتعبيرها بنوع رباط، فهو يعتمد على أنها إشارة إلى شيء من صفات المرئى ومتعلقاته، وارجع إلى ما فسرنا به القيد والغل، والسمن والعسل، و الظلة والسوارين ونفخهما وطيرانهما وغير ذلك فى المباحث العربية، ليظهر لك ما نقول.

ثم إن تعبير الرؤيا يعتمد على كثير من ذكاء المئول وعلمه وخبرته وحبه للرائى، كما سيأتى.

ويؤخذ من الأحاديث فوق ما تقدم

١- من الروايات الخمس الأولى نسبة أمور الشر إلى الشيطان.

٢- إذا رأى ما يكره نفث عن يساره ثلاثا.

٣- واستعاذ من الشيطان الرجيم، ومن شرها.

٤- وتحول من جنبه إلى جنبه الآخر.

٥- وصلى ركعتين. ففى كل ذلك طرد للشيطان، وتحقير له، وتغيير من حال إلى حال، وتوكل على اللّٰه، فإنه بذلك يسلم من شرها بإذن اللّٰه، وقد جعل اللّٰه ذلك سببا لسلامته منها، كما جعل الصدقة

وقاية للمال، وسببا لدفع البلاء، قال النووى: وإن اقتصر على بعضها أجزأه فى دفع الضرر، بإذن الله تعالى كما صرحت به الأحاديث.

٦- ولم يحدث بها أحدا لأنه ربما فسرها له تفسيرا مكروها، على ظاهر صورتها، فتقع كذلك بتقدير الله، أو يدخل فى نفسه هما وغما، وهى ليست كذلك، أو يتعجل الرائى باشتغال سره بمكروه تفسيرها، لأنها قد تبطئ، فإذا لم يخبر بها زال تعجيل روعها وتخويفها، ويبقى إذا لم يعبرها له أحد بين الطمع فى أن لها تفسيرا حسنا، أو الرجاء فى إنها من الأضغاث، فيكون ذلك أسكن لنفسه.

٧- واستدل بهذا على أن للوهم تأثيرا فى النفوس، لأن التفل وما ذكره معه يدفع الوهم الذى يقع فى النفس من الرؤيا، فلو لم يكن للوهم تأثير لما أرشد إلى ما يدفعه.

٨- إذا رأى ما يحب استبشر، ولا يخبر بها إلا من يحبه، لأنه إذا أخبر بها من لا يحبه، ربما حمله البغض أو الحسد على تفسيرها بمكروه، فقد يقع على تلك الصفة، وإن لم يقع على تلك الصفة حصل له فى الحال حزن ونكد من سوء تفسيرها.

٩- ومن الرواية السادسة أن الرؤيا أنواع، كما ذكرنا قريبا.

١٠- وحب القيد وكراهة الغل لا يلزم منه تأويلهما بمحبوب ومكروه، فأهل التعبير - كما يقول النووى - ينزلون هاتين اللفظتين منازل، قالوا: إذا رأى القيد فى رجليه، وهو فى مسجد، أو مشهد خير، أو على حالة حسنة، فهو دليل على ثباته فى ذلك، وكذا لو رآه صاحب ولاية كان دليلا لثباته فيها، ولو رآه مريض أو مسجون أو مسافر أو مكروب كان دليلا لثباته فيه، قالوا: ولو قارنه مكروه بأن يكون مع القيد غل، غلب المكروه، لأنه صفة المعذبين.

قال النووى: وأما الغل فهو مذموم إذا كان فى العنق، وقد يدل للولايات، إذا كان معه قرائن، كما أن كل وال يحشر مغلولا، حتى يطلقه عدله، فأما إن كان مغلول اليدين، دون العنق فهو حسن، لأنه دليل لكفهما عن الشر، وقد يدل على منع ما نواه من الأفعال.

١١- استطرد العلماء من النص على رؤية النبى ﷺ فى المنام إلى رؤية الله تعالى فى المنام، قال القاضى عياض: واتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى فى المنام، وصحتها، وإن رآه الإنسان على صفة لا تليق بحاله من صفات الأجسام، لأن ذلك المرئى غير ذات الله تعالى، إذ لا يجوز عليه سبحانه تعالى التجسم، ولا اختلاف الأحوال.

وقال ابن الباقلانى: رؤية الله تعالى فى المنام خواطر فى القلب، وهى دلالات للرائى على أمور مما كان أو يكون، كسائر المرئيات.

وقال بعضهم: لما كان الوقوف على حقيقة ذاته تعالى ممتنعا، وجميع من يعبر به يجوز عليهم الصدق والكذب، كانت رؤياه تحتاج إلى تعبير دائما.

وقال الغزالى: من يرى الله سبحانه وتعالى فى المنام فليس المراد أنه رأى ذاته، فإن ذاته منزهة عن الشكل والصورة، ولكن تنتهى تعريفاته إلى العبد، بواسطة مثال محسوس، من نور أو غيره،

ويكون ذلك المثال حقا فى كونه واسطة فى التعريف، فقول الرائى: رأيت اللّه تعالى فى المنام لا يعنى أنه رأى ذات اللّه تعالى، كما يقول فى حق غيره.

وقال أبو قاسم القشيرى ما حاصله: إن رؤياه على غير صفته لا تستلزم إلا أن يكون هو: فإنه لو رأى اللّه على وصف يتعالى عنه، وهو يعتقد أنه منزه عن ذلك لا يقدح فى رؤيته، بل يكون لتلك الرؤيا ضرب من التأويل، كما قال الواسطى: من رأى ربه على صورة شيخ، كان إشارة إلى وقار الرائى، وغير ذلك.

١٢- ومن الرواية الثامنة عشرة، من سؤال أبى بكر أن يعبر الرؤيا، وموافقة الرسول ﷺ جواز إظهار العالم ما يحسن من العلم، إذا خلصت نيته، وأمن العجب.

١٣- وجواز كلام العالم بالعلم بحضرة من هو أعلم منه، إذا أذن له فى ذلك صريحا، أو ما قام مقام الصريح.

١٤- ويؤخذ منه جواز مثله فى الإفتاء والحكم.

١٥- وأن للتلميذ أن يقسم على معلمه.

١٦- ومن قوله « لا تقسم » وعدم إجابة أبى بكر ببيان ما أخطأ فيه، أنه لا يستحب إبرار القسم، إذا كان فيه مفسدة أو مشقة ظاهرة، قال النووى: هذا الحديث دليل لما قاله العلماء، أن إبرار القسم المأمور به فى الأحاديث الصحيحة، إنما هو إذا لم تكن فى الإبرار مفسدة ولا مشقة ظاهرة، فإن كان لم يؤمر بالإبرار، لأن النبى ﷺ لم يبر قسم أبى بكر، لما رأى فى إبراره من المفسدة، ولعل المفسدة ما علمه من سبب انقطاع السبب مع عثمان ﷺ، وهو قتله، وتلك الحروب والفتن المترتبة عليه، فكره ذلك مخافة من شيوعها، أو أن المفسدة إنكاره عليه مبادرته، وتوبيخه بين الناس.

١٧- قال القاضى: وفيه أن من قال: أقسم، لا كفارة عليه، لأن أبا بكر لم يزد على قوله: أقسم. قال النووى: وهذا الذى قاله القاضى عجب، فإن الذى فى جميع نسخ صحيح مسلم أنه قال: « فواللّه يا رسول اللّه لتحدثنى. ما الذى أخطأت » وهذا صريح يمين.

١٨- وفيه الحث على تعليم علم الرؤيا.

١٩- وعلى تعبيرها، وفضيلتها، لما تشتمل عليه من الاطلاع على بعض الغيب وأسرار الكائنات.

٢٠- قال أبو هبيرة: وفى السؤال من أبى بكر، أولا وآخرا، وجواب النبى ﷺ دلالة على انبساط أبى بكر معه، وإدلاله عليه.

٢١- وفيه أنه لا يعبر الرؤيا إلا عالم ناصح أمين حبيب.

٢٢- وفيه أن للعالم بالتعبير أن يسكت عن تعبير الرؤيا، أو بعضها، عند رجحان الكتمان على الذكر.

٢٣- وفيه أن العابر قد يخطئ وقد يصيب.

٢٤- وأن الرؤيا ليست لأول عابر على الإطلاق، وإنما ذلك إذا أصاب وجهها، قال الحافظ ابن حجر: وحديث « والرؤيا لأول عابر» ضعيف، لكن له شاهد عند أبى داود والترمذى وابن ماجه بسند حسن، وصححه الحاكم، عن أبى رزين، رفعه « الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت » لفظ أبى داود، ولفظ الترمذى « سقطت » وعند عبد الرزاق « الرؤيا تقع على ما يعبر، مثل ذلك، مثل رجل رفع رجله، فهو ينتظر متى يضعها » وعند سعيد بن منصور بسند صحيح عن عطاء « كان يقال: الرؤيا على ما أولت » وعند الدارمى بسند حسن عن عائشة رضى اللّه عنها قالت: « كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر، يختلف - أى يسافر فى التجارة - فأتت رسول اللّه ﷺ، فقالت: إن زوجى غائب، وتركني حاملا، فرأيت في المنام أن سارية ببيتى انكسرت، وأنى ولدت غلاما أعور، فقال : خير. يرجع زوجك - إن شاء اللّه - صالحا، وتلدين غلاما بارا، فذكرت ذلك ثلاثا. فجاءت ورسول ﷺ غائب، فسألتها، فأخبرتنى بالمنام، فقلت: لئن صدقت رؤياك ليموتن زوجك، وتلدين غلاما فاجرا، فقعدت تبكى فجاء رسول اللّه ﷺ، فقال: مه يا عائشة. إذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير، فإن الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها » وفى رواية « فرجع زوجها سالما ».

قال العلماء: فمعنى « الرؤيا لأول عابر» أى إذا كان العابر الأول عالما، فعبر، فأصاب وجه التعبير، وإلا فهى لمن أصاب بعده، إذ ليس المدار إلا على إصابة الصواب فى تعبير المنام، ليتوصل بذلك إلى مراد اللّه فيما ضربه به من المثل، فإذا أصاب الأول فلا ينبغى أن يسأل غيره، وإن لم يصب فليسأل الثانى، وعلى الثانى أن يخبر بما عنده، ويبين ما جهل الأول، ولعل حديث وقوع الرؤيا بأول عابر أريد به أن يتحرى الرائى اختيار من يعبر له رؤياه، ولا يكثر من التردد على المعبرين.

٢٥- أن العالم مهما وصل علمه قد يخطئ، فأبو بكر من أعلم الصحابة بتأويل الرؤيا، ومع ذلك أخطأ فى تأويل بعض وقائعها، بصريح كلام رسول اللّه ﷺ، وقد اختلف العلماء فى تحديد موطن خطئه اختلافا متشعبا، لا يسلم أكثره من التعقيب.

فقال ابن المهلب: كان ينبغى لأبى بكر أن يقف حيث وقفت الرؤيا ولا يذكر الموصول له، فإن المعنى أن عثمان انقطع به الحبل، ثم وصل لغيره، أى وصلت الخلافة لغيره. اهـ يقصد أن الرؤيا فى رواية للبخارى قالت عن الرجل الثالث « ثم أخذ به رجل آخر، فانقطع، ثم وصل » مما قد يحمل على أنه يوصل لغيره، لا له، وتفسير أبى بكر ذكر أن الموصول له هو نفسه الذى انقطع به، حيث قال فى التعبير « ثم يأخذ به رجل آخر، فينقطع به، ثم يوصل له، فيعلو به » فكأن أبا بكر أخطأ، فزاد فى التعبير ما ليس فى الرؤيا ينقطع به الحبل، ثم يوصل له نفسه، ولفظها « فانقطع به، ثم وصل له، فعلا » فالمعنى على هذا أن عثمان كاد ينقطع عن اللحاق بصاحبيه، بسبب ما وقع له من تلك القضايا التى أنكروها عليه، فعبر عنها بانقطاع الحبل، ثم وقعت له الشهادة، فاتصل بهما، فعبر عنه بالحبل، وصل له، فاتصل، فالتحق بهما، وليس فى ذلك خطأ فى التعبير، كما توهم ابن المهلب.

وقال ابن قتيبة ووافقه جماعة على قوله: إن الرجل لما قص على النبى ﷺ رؤياه كان يرجو أن

يعبرها له رسول اللَّه ﷺ، وكان رسول اللَّه ﷺ أحق بتعبيرها من غيره، فلما طلب أبو بكر تعبيرها كان ذلك خطأ، فقال له: «أخطأت بعضها» لهذا المعنى، فقد أخطأ فى مبادرته بتفسيرها قبل أن يأمره به، وتعقبه النووى، فقال: هذا فاسد، لأنه ﷺ قد أذن له فى ذلك وقال: اعبرها، وحاول الحافظ ابن حجر أن يدافع عن ابن قتيبة، فقال: مراد ابن قتيبه أنه لم يأذن له ابتداء، بل بادر هو، فسأل أن يأذن له فى تعبيرها، فأذن له، فكأنه قال: أخطأت فى مبادرتك للسؤال أن تتولى تعبيرها، لا أنه أراد: أخطأت فى تعبيرك، لكن فى إطلاق الخطأ على ذلك نظر، لأنه خلاف ما يتبادر للسمع من جواب قوله: هل أصبت؟ فإن الظاهر أنه أراد الخطأ فى التعبير والإصابة فيه، لا لكونه التمس التعبير، ومن هنا قال ابن التين وغيره الأشبه بظاهر الحديث أن الخطأ فى تأويل الرؤيا، أى أخطأت فى بعض تأويلك. قال الحافظ ابن حجر: ويؤيده تبويب البخارى للحديث بقوله: باب من لم ير الرؤيا لأول عابر، إذا لم يصب.

ومثل هذا التعقيب يصلح تعقيبا لقول ابن هبيرة: إنما كان الخطأ لكونه أقسم ليعبرنها بحضرة النبى ﷺ، قال: ولو كان الخطأ فى التعبير لم يقره عليه، وترد الفقرة الأخيرة بأنه صلى اللَّه عليه وسلم لم يفصح عن الخطأ لمصلحة أهم، أو لدرء المفسدة، والمفسدة فى ذلك ما علمه صلى اللَّه عليه وسلم من سبب انقطاع الحبل بعثمان، وهو قتله، وتلك الحروب والفتن المترتبة عليه، فكره ذكرها خوف شيوعها.

وقيل: أخطأ لكون المذكور فى الرؤيا شيئين: السمن والعسل، ففسرهما بشيء واحد، وكان ينبغى أن يفسرهما بالقرآن والسنة. ذكر ذلك ابن التين عن الطحاوى، وحكاه الخطيب عن أهل العلم بالتعبير، وجزم به ابن العربى.

وقد اختلف فى المراد بالقطع والوصل، فقيل: القطع قتل عثمان، والوصل بولاية على، ورد بأن عمر قتل، ولم يكن قطعا، وولى عثمان وليس وصلا، وقيل: ما اتهم به عثمان وقيل عنه ومحاولة خلعه، والوصل شهادته.

ويعجبنى قول الحافظ ابن حجر: وجميع ما تقدم من لفظ الخطأ والتوهم والتأديب وغيرها، إنما أحكيه عن قائله، ولست راضيا عنه، ولا بإطلاقه فى حق الصديق. اهـ.

واعتذر الكرمانى عن هذا البحث، فقال: إنما أقدموا على تبين موطن خطأ أبى بكر، مع كون النبى ﷺ لم يبينه، لأنه كان يلزم من تبيينه مفسدة إذ ذاك، فزالت بعده، مع أن جميع ما ذكره، إنما هو بطريق الاحتمال، ولا جزم فى شيء من ذلك.

٢٦- ومن ملحق الرواية الثامنة عشرة الحث على علم الرؤيا.

٢٧- والسؤال عنها. قال النووى: قال العلماء: وسؤالهم محمول على أنه صلى اللَّه عليه وسلم يعلمهم تأويلها، وفضيلتها، واشتمالها على ما شاء اللَّه تعالى من الغيب.

٢٨- ومن الرواية العشرين قال ابن بطال: فيه تقديم ذى السن فى السواك، ويلتحق به الطعام والشراب والمشى والكلام، قال المهلب: هذا ما لم يترتب القوم فى الجلوس، فإذا ترتبوا فالسنة حينئذ تقديم الأيمن.

٢٩- وفيه أن استعمال سواك الغير ليس بمكروه، إلا أن المستحب أن يغسله، ثم يستعمله، قال الحافظ ابن حجر: وفيه حديث عن عائشة فى سنن أبى داود، قالت «كان رسول اللّه ﷺ يعطينى السواك، لأغسله، فأبدأ به، فأستاك، ثم أغسله، ثم أدفعه إليه»، وهذا دال على عظيم أدبها، وكبير فطنتها، لأنها لم تغسله ابتداء حتى لا يفوتها الاستشفاء بريقه صلى اللّه عليه وسلم، ثم غسلته تأدبا وامتثالا، ويحتمل أن يكون المراد بأمرها بغسله تطييبه وتليينه بالماء قبل أن يستعمله.

وعندى أن استعمال سواك الغير مكروه، خوف انتقال الأمراض عن طريقه، ولا يقاس على سواك الرسول ﷺ.

٣٠- ومن الرواية الواحدة والعشرين تسمية المدينة «يثرب» وهو اسمها فى الجاهلية، وسماها اللّه تعالى المدينة، وسماها رسول اللّه ﷺ: طيبة وطابة، وقد جاء فى حديث النهى عن تسمتها «يثرب» لكراهة لفظ التثريب، ولأنه من تسمية الجاهلية، وتسميتها فى هذا الحديث «يثرب» قيل: يحتمل أن هذا كان قبل النهى، وقيل: لبيان الجواز، وأن النهى للتنزيه، وليس للتحريم، وقيل: خوطب به من يعرفها به، ولهذا جمع بينه وبين اسمها الشرعي، فقال «المدينة يثرب».

٣١- وأن كسر السيف فى المنام قد يكون شرا، وإنذارا بشر. قال النووى: لأن سيف الرجل أنصاره، الذين يصول بهم، كما يصول بسيفه، وقد يفسر السيف فى غير هذا بالولد، والوالد، والعم والأخ أو الزوجه، وقد يدل على الولاية، أو الوديعة، وعلى لسان الرجل وحجته، وقد يدل على سلطان جائر، وكل ذلك بحسب قرائن تنضم، لتشهد لأحد هذه المعانى، فى الرائى أو فى الرؤية.

٣٢- ومن قوله صلى اللّه عليه وسلم «ولئن أدبرت ليعقرنك اللّه» علم من أعلام النبوة، فقد كان مصير مسيلمة الكذاب العقر والقتل، إذ تولى وكفر.

٣٣- ومن قوله «وهذا ثابت يجيبك» استعانة الإمام بأهل البلاغة، فى جواب أهل العناد ونحو ذلك.

٣٤- وأن السوار وسائر أنواع الحلى اللائقة بالنساء، تعبر للرجال بما يسوؤهم ولا يسرهم.

٣٥- وأن النفخ لما لا يليق تغلب عليه، وانتصار على الأعداء، قال ابن بطال: يعبر بإزالة الشيء المنفوخ بغير تكلف شديد، لسهولة النفخ على النافخ، ويعبر بالكلام.

٣٦- وفى ذهاب رسول اللّه ﷺ إلى مسيلمة توجه الإمام بنفسه إلى من يريد استئلافه وإقامة الحجة عليه، وإنذاره، إذا كان فى ذلك مصلحة للمسلمين.

٣٧- ومن التمثيل بالعصا، وقطعة الجريد، ضرب المثل بالتافه، على المستحيل.

٣٨- وفى الحديث منقبة لأبى بكر الصديق ﷺ، لأن النبى ﷺ تولى نفخ السوارين بنفسه، حتى طارا، فأما الأسود فقتل فى زمنه، وأما مسيلمة فقد قتله أبو بكر الصديق، فقام مقام رسول اللّه ﷺ فى ذلك.

٣٩- ومن الرواية الواحدة والعشرين والثالثة والعشرين أن رسول اللّه ﷺ كان يجيد تعبير الرؤيا، لأن الإكثار من هذا القول لا يصدر إلا ممن تدرب فيه، ووثق بإصابته.

٤٠- وفيها استحباب إقبال الإمام المصلى بعد سلامه على أصحابه.

٤١- وجواز استدبار القبلة فى جلوس العالم للعلم.

٤٢- واستحباب السؤال عن الرؤيا.

٤٣- والمبادرة إلى تأويلها.

٤٤- وتعجيلها فى أول النهار، لقرب عهد الرائى بها، قبل أن يطرأ على ما يشوش الرؤيا عليه، ولأنه قد يكون فيها ما يستحب تعجيله كالحث على خير، أو ما ينبغى أن يأخذ الأهبة له.

٤٥- وإباحة الكلام فى العلم وتفسير الرؤيا ونحوهما بعد صلاة الصبح، قال الحافظ ابن حجر: وفيه إشارة إلى ضعف ما أخرجه عبد الرزاق بلفظ « لا تقصص رؤيا على امرأة، ولا تخبر بها حتى تطلع الشمس ».

٤٦- وفيه إشارة إلى الرد على من قال من أهل التعبير: إن المستحب أن يكون تعبير الرؤيا بعد طلوع الشمس، ومن العصر إلى قبل المغرب.

والله أعلم

كتاب الفضائل

(٦٠٣) باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة وتفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق

٥١٧٨- ١/١ عَن وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رضي الله عنه[1] قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِن وَلَدِ إِسْمَعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِن كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِن قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِن بَنِي هَاشِمٍ».

٥١٧٩- ٢/٢ عَن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه[2] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ».

٥١٨٠ ٣/٣ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[3] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ».

المعنى العام

كان العرب فى الجاهلية يتفاخرون بالأنساب بالدرجة الأولى، ثم تأتى الفضائل فى الدرجة الثانية، فلما جاء الإسلام كانت الفضيلة الأولى، التى يفاخر بها هى الإسلام والتقوى، ونحيت الأنساب عن التفاخر، واعتبرت وسيلة لا غاية، وتابعة لا أصلية، فقال تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣] وأكد هذا المعنى رسول الله ﷺ، حين خطب يوم فتح مكة، فقال: «يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها، يا أيها الناس، الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله، وفاجر شقى هين على الله» وحين مر عليه ومعه أصحابه رجل غنى ذو حسب، قال لهم: ما تقولون فى هذا الرجل؟ قالوا: جدير إن خطب بنت أحدنا أن ينكح ويقبل ولا يرد، وجدير إن شفع وتوسط فى أمر من الأمور أن يشفع، ولا يرفض له طلب، وجدير إن تكلم وسط جماعة أن يسكتوا حتى يتكلم، وأن يستمع لكلامه، فسكت صلى الله عليه وسلم. فمر بهم رجل فقير، غير ذى حسب لكنه مسلم تقى، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : ما تقولون فى هذا الرجل؟ قالوا: جدير إن خطب أن لاينكح، وإن شفع أن لايشفع، وإن قال أن لا يستمع. فقال لهم صلى الله عليه وسلم هذا الفقير خير من ملء الأرض من ذلك الغنى.

---

(١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْمٍ جَمِيعًا عَنِ الْوَلِيدِ قَالَ ابْنُ مِهْرَانَ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ عَن أَبِي عَمَّارٍ شَدَّادٍ أَنَّهُ سَمِعَ وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ يَقُول

(٢) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ عَن إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ حَدَّثَنِي سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ عن جابر بن سمرة.

(٣) حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى أَبُو صَالِحٍ حَدَّثَنَا هِقْلٌ يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ عَنِ الأَوْزَاعِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو عَمَّارٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ

نعم. حول الإسلام مقاييس الناس، لكنه لم يغفل الحسب فى الموازين، وإنما جعله مكملا مجملا لفضيلة الإسلام. فقال صلى اللّه عليه وسلم « تجدون الناس معادن، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » ولما كان الزواج من أهم الأحداث التى يطلب فيها ميزان الرجال والنساء، قال صلى اللّه عليه وسلم « تنكح المرأة لأربع: لمالها، وجمالها، وحسبها، ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك ».

ولما استقر مبدأ التفاضل بالدين، وأمن من عدم مزاحمة الأنساب له، أعطيت قدرها، وظهرت فى ساحة التفاخر، فالناس معادن، شعوب لها أصالة ومكارم متوارثة من جيل إلى جيل تفضل شعوبا، ومن داخل كل شعب قبائل أو بطون، لها أخلاق وعادات حميدة متوارثة من جيل إلى جيل تفضل قبائل أو بطونا، فقال صلى اللّه عليه وسلم « الناس تبع لقريش، كافرهم تبع لكافرهم، ومسلمهم تبع لمسلمهم » وقال « إن اللّه اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم » وقال: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع » فضله اللّه تعالى بالرسالة، كما فضله بالنسب، فهو أفضل بنى آدم وسيدهم، وهو أفضل المرسلين وخاتمهم، أكرمه اللّه تعالى قبل البعثة بتسليم الجماد عليه، وأكرمه بعد البعثة بمعجزات كثيرة، نتعرض لها فى الباب القادم. يقول صلى اللّه عليه وسلم « إنى لأعرف حجراً بمكة، كان يسلم على قبل أن أبعث، إنى لأعرفه الآن ».

المباحث العربية

(إن اللّه اصطفى كنانة من ولد إسماعيل) « كنانة » بن خزيمة بن مدركة (واسمه عمرو) ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. قال الحافظ ابن حجر: والمشهور أن بين عدنان وبين إسماعيل أربعة آباء أو خمسة، وقيل: أربعين أبا، وقد وقع فى ذلك اضطراب شديد، واختلاف متفاوت، حتى أعرض الأكثر عن سياق النسب بين عدنان وإسماعيل.

(واصطفى قريشا من كنانة) « قريش » ولد النضر بن كنانة، وقيل: هم ولد فهر بن مالك بن النضر، قال الحافظ ابن حجر:وهذا قول الأكثر، وبه جزم مصعب،قال: ومن لم يلده فهر فليس قرشيا، بل كنانى، وقيل: أول من نسب إلى قريش قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر، روى ابن سعد أن عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبير: متى سميت قريش قريشا؟ قال: حين اجتمعت إلى الحرم بعد تفرقها، فقال: ما سمعت بهذا، ولكن سمعت أن قصيا كان يقال له: القرش، ولم يسم أحد قريشا قبله، وروى ابن سعد، من طريق المقداد « لما فرغ قصى من نفى خزاعة من الحرم، تجمعت إليه قريش، فسميت يومئذ قريشا، لحال تجمعها، والتقرش التجمع، وقيل: لتلبسهم بالتجارة، وقيل: من التقرش، وهو أخذ الشيء أولا فأولا، وقيل: سميت قريش قريشا بدابة فى البحر، هى سيدة الدواب البحرية، وكذلك قريش سادة الناس، ولعله مصغر حوت القرش المعروف، وقيل: سموا بذلك لمعرفتهم بالطعان، والتقريش وقع الأسنة، وقيل: التقرش التنزه عن رذائل الأمور، وقيل غير ذلك، وقد أكثر ابن دحية من نقل الخلاف فى سبب تسمية قريش قريشا، وأول من تسمى به، قال الحافظ ابن حجر: وإلى النضر تنتهى أنساب قريش، وإلى كنانة تنتهى أنساب أهل الحجاز.

(**واصطفى من قريش بنى هاشم**) واسمه عمرو بن عبد مناف (واسمه المغيرة) بن قصى (واسمه زيد) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وعند ابن سعد « ثم اختار بنى هاشم من قريش، ثم اختار بنى عبد المطلب من بنى هاشم ».

(**واصطفانى من بنى هاشم**) قال الحافظ ابن حجر: ونسب النبى ﷺ إلى عدنان متفق عليه، وهو: من محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب، بن مرة ابن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

(**إنى لأعرف حجراً بمكة، كان يسلم على قبل أن أبعث**) قال النووى: فى هذا إثبات التمييز فى بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى فى الحجارة ﴿ **وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ٧٤] وقوله تعالى ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** ﴾ [الإسراء: ٤٤] وفى هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة، ويجعل الله تعالى فيه تمييزاً بحسبه، ومنه الحجر الذى فر بثوب موسى عليه الصلاة والسلام.

(**إنى لأعرفه الآن**) من بين أحجار مكة، أى أعرف مكانه وصفاته.

(**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**) قال الهروى: السيد هو الذى يفوق قومه فى الخير، وقال غيره: هو الذى يفزع إليه فى النوائب والشدائد، فيقوم بأمرهم، ويتحمل منهم مكارههم.

قال النووى: وأما قوله « يوم القيامة » مع أنه سيدهم فى الدنيا والآخرة، فسبب التقييد أنه فى يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد ولا يبقى معاند، بخلاف الدنيا، فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار، وزعماء المشركين.

قال: وهذا التقييد قريب من معنى قوله تعالى ﴿ **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ [غافر: ١٦] مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك، لكن كان فى الدنيا من يدعى الملك، أو من يضاف إليه مجازا، فانقطع كل ذلك فى الآخرة.

(**وأول شافع، وأول مشفع**) لم يكتف بالجملة الأولى عن الثانية، لأنه قد يشفع اثنان، فيشفع الثانى منهما قبل الأول، قاله النووى: أى لا يشفع ولا يؤذن بالشفاعة لأحد قبله ولا معه، ولايقوم بالشفاعة قبله ولا معه أحد.

فقه الحديث

قال النووى: عن الرواية الأولى: استدل بهذا الحديث أصحابنا على أن غير قريش من العرب ليس بكفء لهم، ولا أحد من غير بنى هاشم كفء لهم، إلا بنى المطلب، فإنهم هم وبنو هاشم شيء واحد، كما صرح به فى الحديث الصحيح. اهـ

والحديث الذى أشار إليه النووى أخرجه البخارى عن جبير بن مطعم ﷺ قال: « مشيت أنا وعثمان بن عفان، فقال: يا رسول اللَّه، أعطيت بنى المطلب، وتركتنا؟ وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة؟ فقال النبى ﷺ: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد » أى نحن فى درجة بنى المطلب، فعثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي. وجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل ابن عبد مناف القرشى، فهما من حيث الآباء، والأجداد فى درجة واحدة، لكنهما ليسا من بنى هاشم ولا من بنى عبد المطلب.

وقال الحافظ ابن حجر:قال عياض: استدل الشافعية بحديث البخارى « الناس تبع لقريش » على إمامة الشافعى، وتقديمه على غيره، ولا حجة فيه، لأن المراد به هنا الخلفاء، وقال القرطبى: صحبت المستدل بهذا غفلة مقارنة لصميم التقليد، وتعقب بأن مراد المستدل أن القرشية من أسباب الفضل والتقدم، كما أن من أسباب التقدم الورع مثلا، فالمستويان فى خصال الفضل إذا تميز أحدهما بالورع مثلا كان مقدما على رفيقه، فكذلك القرشية، فثبت الاستدلال بها على تقدم الشافعى وميزته على من ساواه فى العلم والدين، لمشاركته فى الصفتين، وتميزه بالقرشية، وهذا واضح، ولعل الغفلة والعصبية صحبت القرطبى فللَّه الأمر.

وأما قوله صلى اللَّه عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم » فى روايتنا الثالثة فليس من قبيل الفخر المنهى عنه، بل صرح صلى اللَّه عليه وسلم بنفس الفخر فى غير مسلم فى الحديث المشهور « أنا سيد ولد آدم ولا فخر» قال النووى: وإنما قاله لوجهين:

أحدهما: امتثال قوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

والثانى: أنه من البيان الذى يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه، ويعملوا بمقتضاه، ويوقروه صلى اللَّه عليه وسلم بما تقتضى مرتبته، كما أمرهم اللَّه تعالى.

قال: وهذا الحديث دليل على تفضيله صلى اللَّه عليه وسلم على الخلق كلهم، لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة (أى المؤمنين المتقين منهم) وهو صلى اللَّه عليه وسلم أفضل الآدميين وغيرهم.

قال: وأما الحديث الآخر « لا تفضلوا بين الأنبياء » (وسيأتى فى ملحق الرواية ١٦٠) فجوابه من خمسة أوجه:

أحدها: أنه صلى اللَّه عليه وسلم قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به.

والثانى: قاله تأدبا وتواضعا.

والثالث: أن النهى إنما هو عن تفضيل يؤدى إلى نقص المفضول.

والرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدى إلى الخصومة والفتنة، كما هو المشهور فى سبب الحديث.

والخامس: أن النهى مختص بالتفضيل فى نفس النبوة، فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل

بالخصائص وفضائل أخرى، ولابد من اعتقاد التفضيل، فقد قال اللّه تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وعند الترمذى وحسنه « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم، وصاحبَ شفاعتهم، غير فخر» وعنده أيضا « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، ما من نبى يومئذ -آدم فمن سواه - إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر» قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

وعنده أيضا « إن بمكة حجرًا، كان يسلم على ليالى بعثت، إنى لأعرفه الآن ».

والله أعلم

(٦٠٤) باب في معجزات النبي ﷺ

٥١٨١- ٤/١ عَـنِ أَنَـسٍ رضي الله عنه(٤) أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ دَعَـا بِمَـاءٍ، فَـأُتِيَ بِقَـدَحٍ رَحْـرَاحٍ، فَجَعَـلَ الْقَـوْمُ يَتَوَضَّـؤُونَ، فَحَـزَرْتُ مَـا بَيْـنَ السِّـتِّينَ إِلَـى الثَّمَـانِينَ. قَـالَ: فَجَعَلْـتُ أَنْظُـرُ إِلَـى الْمَـاءِ يَنْبُـعُ مِن بَيْـنِ أَصَابِعِـهِ.

٥١٨٢- ٥/٢ عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه(٥) أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَـانَتْ صَلَـاةُ الْعَصْرِ، فَـالْتَمَسَ النَّـاسُ الْوَضُـوءَ فَلَـمْ يَجِـدُوهُ. فَـأُتِيَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ بِوَضُـوءٍ، فَوَضَـعَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ فِـي ذَلِـكَ الإِنَـاءِ يَـدَهُ، وَأَمَـرَ النَّـاسَ أَنْ يَتَوَضَّـؤُوا مِنْـهُ. قَـالَ: فَرَأَيْـتُ الْمَـاءَ يَنْبُـعُ مِـن تَحْـتِ أَصَابِعِـهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّـى تَوَضَّـؤُوا مِـن عِنْـدِ آخِرِهِـمْ.

٥١٨٣- ٦/٣ عَـنِ أَنَـسُ بْـنُ مَـالِكٍ رضي الله عنه(٦) أَنَّ نَبِـيَّ اللَّـهِ ﷺ وَأَصْحَابَـهُ بِـالزَّوْرَاءِ(قَـالَ: وَالـزَّوْرَاءُ بِالْمَدِينَـةِ عِنْـدَ السُّـوقِ وَالْمَسْـجِدِ فِيمَـا ثَمَّـهْ) دَعَـا بِقَـدَحٍ فِيـهِ مَـاءٌ، فَوَضَـعَ كَفَّـهُ فِيـهِ، فَجَعَـلَ يَنْبُـعُ مِـن بَيْـنِ أَصَابِعِـهِ، فَتَوَضَّـأَ جَمِيـعُ أَصْحَابِـهِ. قَـالَ: قُلْـتُ: كَـمْ كَـانُوا يَـا أَبَـا حَمْزَةَ؟ قَـالَ: كَـانُوا زُهَـاءَ الثَّلَاثِمِائَـةِ.

٥١٨٤- ٧/٠٠ عَنِ أَنَسٍ رضي الله عنه(٧) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَـانَ بِـالزَّوْرَاءِ، فَـأُتِيَ بِإِنَـاءِ مَـاءٍ لَـا يَغْمُـرُ أَصَابِعَـهُ، أَوْ قَدْرَ مَا يُوَارِي أَصَابِعَهُ. ثُـمَّ ذَكَـرَ نَحْوَ حَدِيثِ هِشَامٍ.

٥١٨٥- ٨/٤ عَنِ أُمِّ مَـالِكٍ رَضِـيَ اللَّـه عَنْهَـا(٨) كَـانَتْ تُهْـدِي لِلنَّبِـيِّ ﷺ فِـي عُكَّـةٍ لَهَـا سَـمْنًا. فَيَأْتِيهَـا بَنُوهَـا فَيَسْـأَلُونَ الأُدْمَ، وَلَيْـسَ عِنْدَهُـمْ شَـيْءٌ، فَتَعْمِـدُ إِلَـى الَّـذِي كَـانَتْ تُهْـدِي فِيـهِ لِلنَّبِـيِّ ﷺ، فَتَجِـدُ فِيـهِ سَـمْنًا فَمَـا زَالَ يُقِيـمُ لَهَـا أُدْمَ بَيْتِهَـا حَتَّـى عَصَرَتْـهُ. فَـأَتَتِ النَّبِـيَّ ﷺ فَقَـالَ: «عَصَرْتِيهَا؟» قَـالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «لَـوْ تَرَكْتِيهَـا مَـا زَالَ قَائِمًـا».

---

(٤) وحَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْعَتَكِيُّ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَن أَنَسٍ
(٥) وحَدَّثَنِي إِسْحَقُ بْنُ مُوسَى الأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا مَعْنٌ حَدَّثَنَا مَالِكٌ ح و حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَن مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَن إِسْحَقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
(٦) حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ حَدَّثَنَا مُعَاذٌ يَعْنِي ابْنَ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَن قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ
(٧) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَن قَتَادَةَ عَن أَنَسٍ
(٨) وحَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ عَن أَبِي الزُّبَيْرِ عَن جَابِرٍ أَنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي

٥١٨٦- ٩/٥ عَنِ جَابِرٍ ﷺ[٩] أَنَّ رَجُلا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَطْعِمُهُ. فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ. فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُمَا، حَتَّى كَالَهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ، وَلَقَامَ لَكُمْ».

٥١٨٧- ١٠/٦ عَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ[١٠] قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ. فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلاةَ. فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا. حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا أَخَّرَ الصَّلاةَ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا. ثُمَّ دَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ. فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلا يَمَسَّ مِن مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ» فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلان. وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِن مَاءٍ. قَالَ: فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ مَسَسْتُمَا مِن مَائِهَا شَيْئًا؟» قَالا: نَعَمْ. فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ. قَالَ: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلا قَلِيلا، حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ. قَالَ وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ. أَوْ قَالَ غَزِيرٍ- شَكَّ أَبُو عَلِيٍّ أَيُّهُمَا قَالَ- حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ. ثُمَّ قَالَ: «يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا».

٥١٨٨- ١١/٧ عَنِ أَبِي حُمَيْدٍ ﷺ[١١] قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ. فَأَتَيْنَا وَادِيَ الْقُرَى عَلَى حَدِيقَةٍ لامْرَأَةٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخْرُصُوهَا» فَخَرَصْنَاهَا. وَخَرَصَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ. وَقَالَ: أَحْصِيهَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» وَانْطَلَقْنَا حَتَّى قَدِمْنَا تَبُوكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ. فَلا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ. فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ» فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ. فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ. وَجَاءَ رَسُولُ ابْنِ الْعَلْمَاءِ صَاحِبِ أَيْلَةَ. إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِكِتَابٍ، وَأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْدَى لَهُ بُرْدًا. ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا وَادِيَ الْقُرَى. فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَرْأَةَ عَن حَدِيقَتِهَا: «كَمْ بَلَغَ ثَمَرُهَا؟» فَقَالَتْ: عَشَرَةَ أَوْسُقٍ. فَقَالَ

---

(٩) وحَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ عَن أَبِي الزُّبَيْرِ عَن جَابِرٍ

(١٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَنَفِيُّ حَدَّثَنَا مَالِكٌ وَهُوَ ابْنُ أَنَسٍ عَن أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَخْبَرَهُ قَالَ

(١١) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ عَن عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَن عَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ عَن أَبِي حُمَيْدٍ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي مُسْرِعٌ. فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِيَ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ» فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: هَذِهِ طَابَةُ. وَهَذَا أُحُدٌ. وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» ثُمَّ قَالَ: إِنَّ خَيْرَ دُورِ الأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ» فَلَحِقَنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ. فَقَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَيَّرَ دُورَ الأَنْصَارِ فَجَعَلَنَا آخِرًا، فَأَدْرَكَ سَعْدٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَيَّرْتَ دُورَ الأَنْصَارِ فَجَعَلْتَنَا آخِرًا. فَقَالَ: «أَوَ لَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْخِيَارِ».

٥١٨٩- $\frac{١٢}{١١}$ وَفِي رواية عَنِ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى[١٢] بِهَذَا الإِسْنَادِ، إِلَى قَوْلِهِ «وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ» وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ مِن قِصَّةِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ. وَزَادَ فِي حَدِيثِ وُهَيْبٍ: فَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَحْرِهِمْ. وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِ وُهَيْبٍ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

المعنى العام

المعجزة أمر خارق للعادة، تظهر على يد من يدعى النبوة والرسالة، تأييدا له.

وفى بداية البشرية، حيث كانت العقول ضيقة المعلومات، قليلة الثقافة، قريبة العهد بالفطرة والبداهة، بعيدة عن عمق الفكر، وعن غور البحث والنظر كانت معجزات الرسل مادية حسية، فى ميدان ما برع فيه أقوامهم فعهد موسى كان السحر، فكانت معجزته اليد والعصا، ثم فرق البحر. ومعجزة عيسى فى عهد الطب كانت إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن اللَّه. ومعجزة إبراهيم أن كانت النار برداً وسلاماً عليه، ومعجزة صالح ناقة تسقى الناس جميعهم من لبن لا ينضب، لهم يوم تروى القوم كلهم، ولها يوم تشرب هى فيه.

وكان عصر الرسول محمد ﷺ عصر الرقى العقلى والبلاغى، فكانت معجزته الكبرى القرآن الكريم الذى تحدى به فحول البلاغة أن يأتوا بمثل سورة منه، وهو الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب فعجزوا.

نعم كان فريق كبير من العرب أميين، فكانت حاجتهم شديدة إلى المعجزة الحسية المادية، يوثقون بها إيمانهم، ويزيدون عن طريقها يقينهم، فأجرى اللَّه تعالى على يدى محمد ﷺ مجموعة من المعجزات الحسية، بل أجرى له بعض الخوارق قبل بعثته صلى اللَّه عليه وسلم، إعدادًا وتمهيدًا للنبوة، فجعل حجراً من حجارة مكة يسلم عليه كلما مر صلى اللَّه عليه وسلم به، حتى أصبح صلى اللَّه عليه وسلم يميزه من بين الأحجار، ويعرفه حق المعرفة، معرفة ظلت تلازمه بعد الهجرة وحتى لقاء

---

(١٢) و حَدَّثَنَاه أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ ح و حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيُّ قَالا حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بِهَذَا الإِسْنَادِ

ربه، ومن تلك المعجزات الحسية حنين الجذع الذى كان يخطب عليه، وتسبيح الحصى فى يده، وتكليم الذراع المسمومة فى غزوة خيبر، وتكثير الطعام ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم، وقد تعرضنا لهذه المعجزة فى كتاب الأطعمة والأشربة، باب الضيف يستتبعه غيره واستحباب الاجتماع على الطعام، كما تعرضنا لفوران عين الحديبية بعد أن نضب ماؤها.

وهذا باب يتعرض لنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وفوران عين تبوك لسد حاجة المسلمين، ومعجزات مادية أخرى، صلى الله عليه وسلم.

المباحث العربية

(**أن النبى ﷺ دعا بماء**) بينت الرواية الثانية سبب الحاجة إلى الماء، فى هذه الحادثة، ففيها « رأيت رسول الله ﷺ، وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء (بفتح الواو الماء الذى يتوضأ به) فلم يجدوه، وبينت الرواية الثالثة مكان هذه الحادثة، وفيها « أن نبى الله ﷺ وأصحابه بالزوراء) قال الراوى: والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيما ثمه.

قال النووى: هكذا هو فى جميع النسخ « ثمة » قال أهل اللغة « ثم » بفتح الثاء، و « ثمة » بالهاء بمعنى هناك، وهنا، فثم للبعيد، وثمة للقريب. اهـ والزوراء مكان معروف بالمدينة، عند السوق.

(**فأتى بقدح رحراح**) « أتى » بضم الهمزة، مبنى للمجهول، والرحراح بفتح الراء، وإسكان الحاء، ويقال له: رحرح، بحذف الألف، وهو الواسع القصير الجدار، وفى الرواية الثانية « فأتى رسول الله ﷺ بوضوء (بفتح الواو، أى بماء) وفى ملحق الرواية الثالثة « فأتى بإناء ماء، لا يغمر أصابعه، أو قدر ما يوارى أصابعه » وعند أبى نعيم عن أنس أنه هو الذى أحضر الماء، وأنه أحضره إلى النبى ﷺ من بيت أم سلمة، وأنه رده بعد فراغهم إلى أم سلمة، وفيه قدر ما كان فيه أولا.

(**فجعل القوم يتوضئون**) فى الكلام طى، والفاء عاطفة على محذوف، بينته الرواية الثانية، وفيها « فوضع رسول الله ﷺ فى ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضئوا منه ».

(**فحزرت ما بين الستين إلى الثمانين**) أى فقدرت العدد ما بين الستين إلى الثمانين، وفى الرواية الثالثة « فتوضأ جميع أصحابه، قال: قلت: كم كانوا يا أبا حمزة ؟ قال: كانوا زهاء الثلاثمائة » قال النووى: قال العلماء: هما قضيتان، جرتا فى وقتين، ورواهما أنس. اهـ ويحتمل أن تكون قضية واحدة، وأنه أخذ يعد حتى وصل إلى الثمانين، وترك العد منشغلا بالنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه، فلما سئل عن عدد القوم قدرهم بثلاثمائة، « وزهاء » بضم الزاى، وبالمد، أى قدر ثلثمائة، مأخوذ من زهوت الشيء إذا حصرته، وهى تفيد تقريب العدد، لا تحديده، وفى رواية بالتحديد، « قال :ثلاثمائة » بدون « زهاء » قال النووى: « الثلاثمائة » بالألف واللام. هكذا هو فى جميع النسخ وهو صحيح.

(**فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه**) « ينبع » بضم الباء وفتحها وكسرها،

ثلاث لغات، قال النووى: وفى كيفية هذا النبع قولان: أحدهما: أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه صلى الله عليه وسلم، وينبع من ذاتها ويؤيد هذا رواية «فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه».

والثانى: يحتمل أن الله كثر الماء فى ذاته، فصار يفور من بين أصابعه، لا من نفسها، فهو يفور من بين أصابعه بالنسبة إلى رؤية الرائى، وهو فى نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر، وكفه صلى الله عليه وسلم فى الماء فرآه الرائى نابعا من أصابعه، وكلاهما معجزة، والأول أبلغ فى المعجزة، وليس فى الأخبار ما يرده، قال الحافظ ابن حجر: وهو أولى.

وفى الرواية الثانية «فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم» قال النووى: هكذا هو فى الصحيحين، وهو صحيح، و«من» هنا بمعنى «إلى» وهى لغة. اهـ. وهى بمعنى ما جاء فى الرواية الثالثة بلفظ «فتوضأ جميع أصحابه».

(**أن أم مالك**) الأنصارية، وعند ابن أبى عاصم «أن أم مالك الأنصارية جاءت بعكة سمن إلى رسول الله ﷺ، فأمر بلالا بعصرها، ثم دفعها إليها، فإذا هى مملوءة، فجاءت، فقالت: أنزل فى شيء، قال: وما ذاك؟ قالت: رددت على هديتى. فدعا بلالا، فسأله، فقال: والذى بعثك بالحق. لقد عصرتها، حتى استحييت، فقال: هنيئا لك هذه البركة يا أم مالك. هذه بركة عجل الله لك ثوابها».

(**كانت تهدى للنبى ﷺ - فى عكة لها -سمنا**) أى فيأخذ رسول الله ﷺ السمن، ولا يستأصلها، بل يبقى فى العكة بقايا، لا يغسلها و لا يمسحها، ثم يعيدها. والعكة بتشديد الكاف وبضم العين، وتفتح، وعاء صغير من جلد، يجز شعره ولا ينتف، يحفظ فيه السمن والشراب.

(**فتعمد إلى الذى كانت تهدى فيه للنبى ﷺ**) أى فتذهب إلى الإناء الراجع من عند رسول الله ﷺ، فتمد يدها فيه، فتجد فيه سمنا، فتأخذ منه أدماً لأولادها.

(**حتى عصرته**) يقال عصر الشيء، بفتح الصاد، يعصره بكسرها، إذا استخرج ما فيه من دهن أو ماء، ونحوه.

(**فأتت النبى ﷺ**) أى فأخبرته بما حصل.

(**لو تركتيها ما زال قائما**) أى لو تركت العكة بدون عصر لظل السمن فيها باقيا موجودًا حاضرًا.

(**يستطعمه، فأطعمه شطر وسق شعير**) أى يطلب منه طعامًا له ولأهله، فأعطاه شعيرا، قدر كيلة، جزءًا من وسق. والوسق بفتح الواو وكسرها، وسكون السين، ستون صاعًا.

(**حتى كاله**) أى كال ما بقى منه ليعرف مقداره، فذهبت البركة بالكيل.

(**لو لم تكله لأكلتم منه، ولقام لكم**) أى لأكلتم منه زمنا طويلا، ولقام عندكم طعاما لكم.

(**عام غزوة تبوك**) وهى غزوة العسرة، وكانت فى شهر رجب، سنة تسع من الهجرة، قبل حجة الوداع.

وتبوك مكان معروف، فى نصف المسافة بين المدينة ودمشق، واللفظ ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث على المشهور به.

(**حتى إذا كان يوما، أخر الصلاة**) أى جمع جمع تقديم فى يوم، وجمع جمع تأخير فى اليوم الثانى.

(**وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار**) حدد لهم ساعة الوصول، وأنها بعد الضحى.

(**فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا حتى آتى**) النهى عن المس نهى عن الشرب منها أو لمس مائها عموما.

(**والعين مثل الشراك، تبض بشيء من ماء**) « الشراك » بكسر الشين سير النعل، ويضرب به المثل فى القلة، أى ماؤها قليل جدا، وقال النووى « تبض » هكذا ضبطناه هنا بفتح التاء وكسر الباء، وتشديد الضاد، ومعناه تسيل. قال: ونقل القاضى اتفاق الرواة هنا على أنه بالضاد، واختلفوا فى ضبطه هناك، فضبطه بعضهم بالضاد، وبعضهم بالصاد المهملة، أى تبرق وتلمع، قال الحافظ ابن حجر: وهذا المعنى مستبعد، فإن فى نفس الحديث « تكاد تبض من الملء » بكسر الميم وسكون اللام بعدها همزة، فكونها تكاد تسيل من الملء ظاهر، وأما كونها تلمع من الملء فبعيد.

(**فسألهما رسول الله ﷺ**) معطوف على مطوى محذوف،تقديره: وعلم الرسول ﷺ فجيء بهما، فسألهما.

(**هل مسستما من مائها شيئا؟ قالا: نعم**) يحتمل أنهما فهما النهى عن التنزيه، وكانا فى حاجة شديدة للماء، والظاهر أنه لم يكن ثمة عذر يعتذران به، فيقبل، لهذا سبهما صلى الله عليه وسلم.

(**وقال لهما ما شاء الله أن يقول**) من ألفاظ اللوم والتعنيف.

(**ثم غرفوا بأيديهم من العين، قليلا قليلا**) بناء على أمره صلى الله عليه وسلم.

(**حتى اجتمع فى شيء**) أى حتى تجمع هذا القليل فى الإناء.

(**ثم أعاده فيها**) أى ثم أعاد الماء الذى غسل به وجهه ويديه مع ما بقى فى الإناء إلى البئر.

(**فجرت العين بماء منهمر - أو قال غزير - شك أبو على. أيهما قال**) أصل السند: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى حدثنا أبو على الحنفى حدثنا مالك عن أبى الزبير أن أبا الطفيل أخبره أن معاذ بن جبل ﷺ قال... الحديث. فالقائل: شك أبو على، هو عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى.

والمنهمر كثير الصب والرفع.

(**يوشك يا معاذ - إن طالت بك حياة - أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا**) أى بساتين وعمرانا جمع جنة.

(**فأتينا وادى القرى**) بضم القاف، مدينة قديمة، بين المدينة والشام.

(**على حديقة لامرأة**) كانت حديقة من نخل، وفى رواية البخارى « إذا امرأة فى حديقة لها »

(**فقال رسول اللّه ﷺ: اخرصوها**) بضم الراء وكسرها، والضم أشهر أى اخرصوا بالحديقة، أى قدروا ثمرها وخمنوا كم وسقا يكون؟ وذلك امتحان لهم، وتمرين وتعليم.

(**فخرصناها، وخرصها صلى اللّه عليه وسلم عشرة أوسق**) والظاهر أن خرصهم وافق خرص رسول اللّه ﷺ.

(**وقال: أحصيها حتى نرجع إليك**) أى قال للمرأة صاحبة الحديقة: أحصى وعدى كيلها واجمعى ما تأكلينه وما تهدينه وما تبيعينه حتى نرجع إليك، لنعرف صحة خرصنا وتقديرنا، فلما رجعوا، وسألها تبين صحة خرصهم.

(**فمن كان له بعير فليشد عقاله**) لئلا ينفلت، فيحتاج صاحبه إلى القيام فى طلبه، فيلحقه ضرر الريح، و فى وراية البخارى « ومن كان معه بعير فليعقله ».

(**فقام رجل**) مخالفا أمر رسول اللّه ﷺ، وفى رواية ابن إسحق « ففعل الناس ما أمرهم، إلا رجلين من بنى ساعدة، خرج أحدهما لحاجته، وخرج آخر فى طلب بعير له، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه، أى خنقه الريح فى طريقه، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى ألقته بجبل طيّئ، فأخبر رسول اللّه ﷺ، فقال: ألم أنهكم أن يخرج رجل إلا وصاحب له معه »؟ ثم دعا للذى أصيب على مذهبه، فشفى، ولعل قيامه كان لضرورة قضاء الحاجة، أو غير ذلك، وأما الآخر فإنه وصل إلى رسول اللّه ﷺ حين قدم من تبوك.

(**فحملته الريح**) أى دفعته دفعا لا يستطيع مقاومته.

(**حتى ألقته بجبلى طيّئ**) جبلان مشهوران، يقال لأحدهما أجاء بفتح الهمزة والجيم به وبالهمز، والآخر سلمى بفتح السين، وطيّئ بياء مشددة بعدها همزة، على وزن سيد، وهو أبو قبيلة من اليمن، وهو طيئ بن أدر بن زيد بن كهلان بن سبأ. وقال صاحب التحرير: « طيئ » يهمز ولا يهمز، لغتان.

(**وجاء رسول ابن العلماء، صاحب أيلة إلى رسول اللّه ﷺ بكتاب**) « العلماء » بفتح العين وإسكان اللام وبالمد، و « أيلة » بفتح الهمزة واللام، بلدة قديمة بساحل البحر، وفى رواية البخارى « وأهدى ملك أيلة"(*).

(**وأهدى له بغلة بيضاء**) قال النووى: هذه البغلة هى « دلدل » بغلة رسول اللّه ﷺ، لكن ظاهر لفظه هنا أنه أهداها للنبى ﷺ فى غزوة تبوك، وقد كانت غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة، وقد كانت

(*) وفى مغازى ابن إسحق «ولما انتهى رسول اللّه ﷺ إلى تبوك، أتاه يوحنا بن.روبة، صاحب أيلة، فصالح رسول اللّه ﷺ، وأعطاه الجزية».

هذه البغلة عند رسول اللّه ﷺ قبل ذلك، وحضر عليها غزوة حنين، كما هو مشهور في الأحاديث الصحيحة، وكانت حنين عقب فتح مكة، سنة ثمان، قال القاضي: ولم يرو أنه كان للنبي ﷺ بغلة غيرها، قال: فيحمل قوله على أنه أهداها له قبل ذلك، وقد عطف الإهداء على المجيء بالواو، وهي لا تقتضي الترتيب، اهـ. فالمعنى: وكان ابن العلماء قد أهدى له بغلة بيضاء. (فكتب إليه رسول اللّه ﷺ) ردًا على كتابه، وسلمه رسوله، وفي ملحق الرواية « فكتب له رسول اللّه ﷺ ببحرهم » أي ببلدهم أي بأهل بحرهم، أي أنه أقره عليهم بما التزموه من الجزية.

(**وأهدى إليه بردًا**) ظاهره أنه في مقابل إهداء البغلة، مما يبعد كلام القاضي السابق، ولا مانع من أن يكون أهدى إليه ابن العلماء بغلة بيضاء في تبوك، فأهداها النبي ﷺ في الحال لأحد أصحابه، وعدم رواية ذلك لا يدل على عدم وقوعه.

(**إني مسرع، فمن شاء منكم فليسرع معي، ومن شاء فليمكث**) في رواية البخاري « إني متعجل إلى المدينة، فمن أراد منكم أن يتعجل معي فليتعجل » أي إني سالك الطريق القريبة، الشاقة، فمن أراد فليأت معي، يعني ممن له اقتدار على ذلك، دون بقية الجيش.

(**إن خير دور الأنصار دار بني النجار**) قال القاضي: المراد أهل الدور، والمراد القبائل، وإنما فضل بني النجار لسبقهم في الإسلام، وآثارهم الجميلة في الدين. ومناسبة هذه المفاضلة عودته صلى اللّه عليه وسلم من سفر، وغربة عن المدينة، فحين أشرف عليها ذكرها، وذكر جبلها، وحبه لها وله، فناسب ذكر محبته لأهلها، ومحبة أهلها له وجهادهم في سبيل الإسلام.

والمراد من المفاضلة بين الدور المفاضلة بين أهل الدور، ففي رواية للبخاري « خير الأنصار بنو النجار» وبنو النجار هم الخزرج، قيل سمي الجد بالنجار لأنه ضرب رجلا، فنجره، وهو ابن ثعلبة بن عمرو.

وبنو النجار هم أخوال جد رسول اللّه ﷺ، لأن والدة عبد المطلب منهم، وعليهم نزل لما قدم المدينة، فلهم مزية على غيرهم.

(**ثم دار بني عبد الأشهل**) في رواية للبخاري « ثم بنو عبد الأشهل » وهم من الأوس، وهو عبد الأشهل من جشم بن الحارث بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة، وهم رهط سعد بن معاذ، وجاء في رواية تقديم بني عبد الأشهل على بني النجار قال الحافظ ابن حجر: رواية أنس في تقديم بني النجار لم يختلف عليه فيها، وكان أنس منهم، فله مزية عناية بحفظ فضائلهم.

(**ثم دار بني عبد الحارث**) قال النووي: هكذا هو في النسخ « بني عبد الحارث » وكذا نقله القاضي، قال: وهو خطأ من الرواة، وصوابه « بني الحارث » بحذف لفظة « عبد ».

(**ثم دار بني ساعدة**) ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر، وسعد بن عبادة من بني ساعدة، وكان كبيرهم يومئذ.

(**وفي كل دور الأنصار خير**) « خير» الأولى أفعل تفضيل، والثانية اسم، أي الفضل حاصل في جميع الأنصار، وإن تفاوتت مراتبه.

(**فقال أبو أسيد**) لسعد بن عبادة، وهما من بنى ساعدة.

(**ألم تر أن رسول اللّه ﷺ خير دور الأنصار**) أى فاضل بينها.

(**فجعلنا آخرا**) فى رواية البخارى « أخيرا » فى رواية « فوجد سعد بن عبادة فى نفسه، فقال: خلفنا، فكنا آخر الأربعة ».

(**فأدرك سعد رسول اللّه ﷺ، فقال: يا رسول اللّه، خيرت دور الأنصار، فجعلتنا آخرا؟**) فى رواية « وجد فى نفسه، وأراد كلام رسول اللّه ﷺ فى ذلك، فقال له ابن أخيه سهل: أتذهب لترد على رسول اللّه ﷺ أمره؟ ورسول اللّه أعلم؟ أو ليس حسبك أن تكون رابع أربعة؟ فرجع » قال الحافظ ابن حجر: ويمكن الجمع بأنه رجع حينئذ عند قصده رسول اللّه ﷺ لذلك خاصة، ثم إنه لما لقى رسول اللّه ﷺ فى وقت آخر ذكر له ذلك، أو الذى رجع عنه أنه أراد أن يورده مورد الإنكار، والذى صدر منه ورد مورد المعاتبة المتلطفة.

(**أوليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار؟**) أى من الأفاضل ؟ لأنهم بالنسبة إلى من دونهم أفضل، وكأن المفاضلة وقعت بينهم بحسب السبق إلى الإسلام، وبحسب مساعيهم فى إعلاء كلمة اللّه، ونحو ذلك، قاله الحافظ بن حجر.

فقه الحديث

ترجم الإمام النووى لهذا الحديث بقوله: باب فى معجزات النبى ﷺ، وترجم الإمام البخارى له بقوله: باب علامات النبوة فى الإسلام، وقال الحافظ ابن حجر: العلامات جمع علامة، وعبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة، بما يشمل الكرامة، والفرق بينهما أن المعجزة أخص، لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبى ﷺ من يكذبه، بأن يقول: إن فعلت كذلك أتصدق بأنى صادق؟ أو يقول من يتحداه: لا أصدقك حتى تفعل كذا، ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر فى العادة المستمرة، وقد وقع النوعان للنبى ﷺ فى عدة مواطن، وسميت المعجزة معجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها.

ثم قال: وما عدا القرآن، من نبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام، وانشقاق القمر، ونطق الجماد، فمنه ما وقع التحدى به ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحد، قال: ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده صلى اللّه عليه وسلم من خوارق العادات شيء كثير، كما يقطع بجود حاتم، وشجاعة على، وإن كانت أفراد ذلك ظنية، وردت مورد الآحاد مع أن كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهر وانتشر، ورواه العدد الكثير والجم الغفير، وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسير والأخبار، وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه الرتبة، لعدم عنايتهم بذلك، بل لو ادعى مدع أن غالب هذه الوقائع مفيدة للقطع بطريق نظرى، لما كان مستبعدا، وهو أنه لا مرية أن رواة الأخبار فى كل طبقة قد حدثوا بهذه الأخبار فى الجملة، ولا يحفظ عن أحد من الصحابة ولا من بعدهم مخالفة الراوى، فيما حكاه من ذلك، والإنكار عليه فيما هنالك، فيكون الساكت منهم كالناطق،

لأن مجموعهم محفوظ من الإغضاء على الباطل، وعلى تقدير أن يوجد من بعضهم إنكار، أو طعن على بعض من روى شيئا من ذلك فإنما هو من جهة توقف فى صدق الراوى، أو تهمته بكذب، أو توقف فى ضبطه، ونسبته إلى سوء الحفظ أو جواز الغلط، ولا يوجد من أحد منهم طعن فى المروى.

وذكر النووى فى مقدمة شرح مسلم أن معجزات النبى ﷺ تزيد على ألف ومائتين، وقال البيهقى فى المدخل: بلغت ألفا، وقال الزاهرى من الحنفية: ظهر على يديه ألف معجزة، وقيل: ثلاثة آلاف، وقد اعتنى بجمع ما وقع من ذلك قبل البعثة، بل قبل المولد الحاكم فى الإكليل، والنيسابورى فى شرف المصطفى، وأبو نعيم، والبيهقى فى دلائل النبوة، وغيرهم.

قال القرطبى: ونبع الماء من بين أصابعه صلى اللّه عليه وسلم معجزة لم يسمع بمثلها من غير نبينا ﷺ، حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه.

وقد نقل ابن عبد البر عن المزنى أنه قال: نبع الماء من بين أصابعه صلى اللّه عليه وسلم أبلغ فى المعجزة من نبع الماء من الحجر، حيث ضربه موسى بالعصا، فتفجرت منه اثنتا عشرة عينا، لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم.

وبالإضافة إلى روايتنا فى نبع الماء من بين أصابعه صلى اللّه عليه وسلم ذكر البخارى روايات أخرى فعن أنس ﷺ قال: « خرج النبى ﷺ فى بعض مخارجه، ومعه ناس من أصحابه، فانطلقوا يسيرون، فحضرت الصلاة، فلم يجدوا ماء يتوضئون، فانطلق رجل من القوم، فجاء بقدح من ماء يسير، فأخذه النبى ﷺ، فتوضأ، ثم مد أصابعه الأربع - أى ما عدا الإبهام - على القدح، ثم قال: قوموا فتوضئوا، فتوضأ القوم، حتى بلغوا ما يريدون من الوضوء، وكانوا سبعين أو نحوه ».

وعن أنس ﷺ قال: « حضرت الصلاة، فقام من كان قريب الدار من المسجد يتوضأ، وبقى قوم، فأتى النبى ﷺ بمخضب من حجارة، فيه ماء، فوضع كفه، فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه، فضم أصابعه، فوضعها فى المخضب، فتوضأ القوم كلهم أجمعون ».

وعن عبد اللّه بن مسعود ﷺ قال: « كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفا، كنا مع رسول اللّه ﷺ فى سفر، فقل الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناء، فيه ماء قليل، فأدخل يده فى الإناء ثم قال: حى على الطهور المبارك، والبركة من اللّه، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول اللّه ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ».

قال القرطبى: قضية نبع الماء من بين أصابعه صلى اللّه عليه وسلم تكررت منه فى عدة مواطن، فى مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة، يفيد مجموعها العلم القطعى، المستفاد من التواتر المعنوى.

قال الحافظ ابن حجر: وحديث نبع الماء من بين أصابعه جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق، وعن ابن مسعود عند البخارى والترمذى، وعن ابن عباس عند أحمد والطبرانى، وعن ابن أبى ليلى عند الطبرانى، وفى ذلك رد على ابن بطال، حيث قال هذا الحديث شهده جماعة كثيرة من الصحابة، إلا أنه لم يرو إلا من طريق أنس ثم قال الحافظ ابن حجر:وأما

تكثير الماء، بأن يلمسه بيده، ويتفل فيه، أو يأمر بوضع شيء فيه، كسهم من كنانته فجاء فى حديث عمران بن حصين فى الصحيحين، وعن البراء ابن عازب عند البخارى وأحمد من طريقين، وعن أبى قتادة عند مسلم، وعن أنس عند البيهقى فى الدلائل، فالطرق كثيرة من حيث الراوى الأعلى، وأما من رواها من أهل القرن الثانى فهم أكثر عددا.

ثم ساق الحافظ ابن حجر حديث جابر عند أحمد، ولفظه « سافرنا مع رسول اللّه ﷺ، فحضرت الصلاة، فقال رسول اللّه ﷺ: أما فى القوم من طهور؟ فجاء رجل بفضلة فى إداوة، فصبه فى قدح، فتوضأ رسول اللّه ﷺ، ثم إن القوم أتوا ببقية الطهور، فقالوا: تمسحوا. تمسحوا. فسمعهم رسول اللّه ﷺ، فقال: على رسلكم، فضرب بيده فى القدح، فى جوف الماء، ثم قال: أسبغوا الطهور. قال جابر: فوالذى أذهب بصرى، لقد رأيت الماء يخرج من بين أصابع رسول اللّه ﷺ، حتى توضئوا أجمعون. قال: حسبته قال: كنا مائتين وزيادة » وجاء عن جابر قصة أخرى، أخرجها مسلم، من وجه آخر عنه فى أواخر الكتاب، فى حديث طويل، فيه « أن الماء الذى أحضروه له، كان قطرة فى إناء من جلد، لو أفرغها لشربها يابس الإناء- أى لشربها سطح الإناء الجاف- وأنه لم يجد فى الركب قطرة ماء غيرها، قال: فأخذه النبى ﷺ، فتكلم، وغمز بيده، ثم قال: ناد بجفنة الركب، فجيء بها، فقال بيده فى الجفنة، فبسطها، ثم فرق أصابعه، ووضع تلك القطرة فى قعر الجفنة، فقال:خذ يا جابر، فصب على، وقل: بسم اللّه. ففعلت، قال: فرأيت الماء يفور من بين أصابعه، ثم فارت الجفنة، ودارت حتى امتلأت، فأتى الناس، فاستقوا، حتى رووا، فرفع يده من الجفنة وهى ملأى ».

قال الحافظ ابن حجر: وهذه القصة أبلغ من جميع ما تقدم، لاشتمالها على قلة الماء، وعلى كثرة من استسقى منه، اهـ

ويؤخذ من أحاديث الباب فوق ما تقدم

١- ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته من قلة الماء.

٢- وأنهم كانوا يقدمون الوضوء بما تيسر لهم منه على بقية حاجاتهم إليه.

٣-ومن الرواية الرابعة « المرأة التى عصرت العكة » والخامسة « الرجل الّذى كال الشعير» قال النووى: ومثله حديث عائشة، حين كالت الشعير ففنى، قال العلماء: الحكمة فى ذلك أن عصرها وكيله مضاد للتسليم والتوكل على رزق اللّه تعالى، ويتضمن التدبير والأخذ بالحول والقوة. وتكلف الإحاطة بأسرار حكم اللّه تعالى وفضله، فعوقب فاعله بزواله.

٤- وفيهما بركة النبى ﷺ فيما يعطى، وبركة فضلته.

٥- ومن الرواية السادسة، من قوله « فكان يجمع الصلاة... » الجمع بين الصلاتين فى السفر.

٦- ومن الإخبار عن موعد وصولهم تبوك قبل حصوله معجزة.

٧- ومن الإخبار عن مائها وحاله قبل وصولهم إليها معجزة.

٨- ومن سبه الرجلين تأنيبه صلى اللّه عليه وسلم للمخطئ، وبخاصة إذا فعل ما يضر المجتمع، ويخالف أمر رسول اللّه ﷺ.

٩- ومن الإخبار عن تحول تلك الصحراء إلى جنات، وقد حصل، معجزة.

١٠- ومن الرواية السابعة، من طلبه صلى اللّٰه عليه وسلم أن يخرص أصحابه ثمر نخل الحديقة استحباب امتحان العالم أصحابه بمثل هذا التمرين.

١١- ومن خرصه صلى اللّٰه عليه وسلم وصحته ودقته ما كان عليه صلى اللّٰه عليه وسلم من العلم وبعد النظر.

١٢- ومن إخباره بالريح قبل هبوبها معجزة.

١٣- وفيه خوف المؤمن من هبوب الريح، وما تحدث من ضرر.

١٤- وما كان عليه صلى اللّٰه عليه وسلم من شفقته على أمته، والرحمه لهم، والاعتناء بمصالحهم، وتحذيرهم مما يضرهم فى دين أو دنيا.

١٥- ومن قبول البغلة جواز قبول هدية الكافر.

١٦- ومن إهدائه صلى اللّٰه عليه وسلم البرد مكافأة الهدية.

١٧- وميزة جبل أحد، وفضيلة المدينة.

١٨- وتفاضل قبائل الأنصار، ومناقبهم.

١٩- ومن سؤال سعد تنافسهم فى الخير.

٢٠- قال الحافظ ابن حجر: ولا يعد هذا التفاضل من قبيل الغيبة أصلا، إلا إن أخذ من أن المفضل عليهم يكرهون ذلك، فيستثنى ذلك من عموم قوله «ذكرك أخاك بما يكره» ويكون محل الزجر إذا لم يترتب عليه حكم شرعى، فأما ما يترتب عليه حكم شرعى فلا يدخل فى الغيبة، وإن كرهه المحدث عنه، ويدخل فى ذلك ما يذكر بقصد النصيحة، من بيان غلط من يخشى أن يقلد، أو يغتر به فى أمر ما، فلا يدخل ذكره بما يكره من ذلك فى الغيبة المحرمة.

٢١- قال ابن التين: وفى الحديث دليل على جواز المفاضلة بين الناس، لمن يكون عالما بأحوالهم لينبه على فضل الفاضل، ومن لا يلحق بدرجته فى الفضل، فيتمثل أمره صلى اللّٰه عليه وسلم بتنزيل الناس منازلهم.

٢٢- وترجم البخارى للرواية السابعة بباب خرص التمر، قال الحافظ ابن حجر: أى مشروعيته، وحكى الترمذى عن بعض أهل العلم أن تفسير الخرص أن الثمار إذا أدركت من الرطب والعنب، مما تجب فيه الزكاة بعث السلطان خارصا، ينظر، فيقول: يخرج من هذا كذا وكذا زبيبا، وكذا وكذا تمرا، فيحصيه، وينظر مبلغ العشر، فيثبته عليهم، ويخلى بينهم وبين الثمار، فإذا جاء وقت الجذاذ أخذ منهم العشر. اهـ

وفائدة الخرص التوسعة على أرباب الثمار، فى التناول منها، والبيع من زهوها، وإيثار الأهل والجيران والفقراء، لأن فى منعهم منها تضييقا لا يخفى.

وقال الخطابي: أنكر أصحاب الرأى الخرص، وقال بعضهم: إنما كان يفعل تخوينا للمزراعين، لئلا يخونوا، لا ليلزم به الحكم، لأنه تخمين وغرور، أو كان يجوز قبل تحريم الربا والقمار، وتعقبه الخطابي بأن تحريم الربا، والميسر متقدم، والخرص عمل به في حياة النبي ﷺ حتى مات، ثم أبو بكر وعمر ومن بعدهم، ولم ينقل عن أحد منهم ولا من التابعين تركه، إلا عن الشعبي، قال: وأما قولهم: إنه تخمين وغرور، فليس كذلك، بل هو اجتهاد في معرفة مقدار التمر، وإدراكه بالخرص الذي هو نوع من المقادير.

وحكى أبو عبيد عن قوم منهم أن الخرص كان خاصا بالنبي ﷺ، لأنه كان يوفق من الصواب ما لا يوفق له غيره، وتعقبه بأنه لا يلزم من كون غيره لا يسدد لما كان يسدد له سواء، أن تثبت بذلك الخصوصية، ولو كان المرء لا يجب عليه الاتباع إلا فيما يعلم أنه يسدد فيه، كتسديد الأنبياء لسقط الاتباع، وترد هذه الحجة أيضا بإرسال النبي ﷺ الخراص في زمانه.

واعتل الطحاوى بأنه يجوز أن يحصل للثمرة آفة، فتتلفها، فيكون ما يؤخذ من صاحبها مأخوذا بدلا مما لم يسلم له، وأجيب بأن القائلين به لا يضمنون أرباب الأموال ما تلف بعد الخرص، قال ابن المنذر: أجمع من يحفظ عنه العلم أن المخروص إذا أصابته جائحة قبل الجذاذ فلا ضمان. و ذكر الحافظ ابن حجر تعريفات الفقهاء في مسألة الخرص لا يتسع لها المقام، فمن أرادها فليرجع إليها.

والله أعلم

(٦٠٥) باب توكله صلى الله عليه وسلم على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس

٥١٩٠- ١٣/١ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١٣] قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ. فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ. فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِن أَغْصَانِهَا. قَالَ: وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَجُلا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ. فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللَّهُ. قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ. فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ» ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

٥١٩١- ١٤/.. عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيِّ[١٤] وَكَانَ مِن أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ. فَلَمَّا قَفَلَ النَّبِيُّ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ. فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ يَوْمًا. ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ وَمَعْمَرٍ.

٥١٩٢- ../.. عَن جَابِرٍ ﷺ[..] قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرِّقَاعِ. بِمَعْنَى حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ وَلَمْ يَذْكُرْ: ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

المعنى العام

صدق رسول الله ﷺ، إذ يقول «احفظ الله يحفظك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ما ضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك» وصدق الله العظيم، إذ يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وأخشى بنى آدم لله، وأتقاهم له محمد بن عبد الله ﷺ، فكافأه ربه بقوله ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

(١٣) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَن أَبِي سَلَمَةَ عَن جَابِرٍ ح و حَدَّثَنِي أَبُو عِمْرَانَ مُحَمَّدُ ابْنُ جَعْفَرِ بْنِ زِيَادٍ وَاللَّفْظُ لَهُ أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَن سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيِّ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

(١٤) وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَقَ قَالا أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ حَدَّثَنِي سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيُّ وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله أخبرهما

(..) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَن أَبِي سَلَمَةَ عَن جَابِرٍ

النَّاس﴾ [المائدة: ٦٧] عصمة هلاك واستئصال، لا عصمة إيذاء وبلاء، فكم أوذى من الكفار، وكم تحمل من جهل الجاهلين، وكذلك الأنبياء، يبتلون فيصبرون، وإذا كان بعض الأنبياء قد قتلوا فإن محمدًا ﷺ عصم من الناس بوعد الله، وظهر هذا اليقين بهذا الوعد فى هذه القصة.

كانت الجولات الحربية بين الإسلام والكفر على أشدها، وما رجع رسول الله ﷺ من غزوة إلا ورى بغيرها، ليبقى المسلمون على استعداد دائم، وكان الكفار متربصين بالمسلمين وبرسول الإسلام، لا يدعون فرصة للنيل منهم إلا ويقتنصونها.

وسنحت لهم فرصة العمر فى ظن أحدهم، حيث تعقب جيش المسلمين العائد من غزوة ذات الرقاع، لعله ينفرد بأحدهم، فيغتاله، ورأى من بعيد صحابة رسول الله ﷺ، فى نحر الظهيرة، وفى شدة الحر ينزلون للقيلولة، فى واد كثير الشجر، كثير الظل، ينزلون للراحة، ويتفرقون تحت الشجر، ورأى من بعيد رسول الله ﷺ، وقد انفرد بشجرة مظلة، علق على غصن من أغصانها سلاحه وسيفه، ثم افترش الأرض، فنام، وتسلل الأعرابى فى غفلة من الصحابة لنومهم واستراحتهم، حتى وصل إلى شجرة رسول الله ﷺ فسحب سيفه، وأخرجه من غمده، وأشهره، وقال: يا محمد. من يمنعك منى الآن؟ من يحول بينى وبين قتلك بسيفك؟ فقال صلى الله عليه وسلم بهدوء الواثق الشجاع: الله يمنعنى. ونزلت الكلمة على قلب الأعرابى كالصاعقة. أعاد التهديد مرة أخرى، وأعاد الرسول ﷺ لفظ الله مرة أخرى، وزاد الرعب فى قلب الأعرابى فكرر التهديد للمرة الثالثة وكرر رسول الله ﷺ الجواب، وارتجف الأعرابى، وسقط السيف من يده، وتناوله رسول الله ﷺ، وتسمر الأعرابى فى مكانه لا يتحرك، لا يفكر فى الجرى والفرار، وأصابه ذهول الموقف وغطاه الخوف. قال له رسول الله ﷺ: اجلس. فجثا خاضعاً على ركبتيه، قال له رسول الله ﷺ من يمنعك أنت منى الآن؟ قال: لا أحد. فنادى رسول الله ﷺ أصحابه، فجاءوا، فقص عليهم ما جرى، فحاولوا قتل الرجل، فمنعهم رسول الله ﷺ، وقال للرجل: اذهب إلى حال سبيلك. قال الرجل: أنت خير منى، أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أعين عليك من يقاتلك، فلما ولى دخل الإسلام قلبه، فرجع إلى قومه، فقال لهم: جئتكم من عند خير الناس، وقص عليهم القصة، فآمن بإيمانه خلق كثير، وهكذا أسلم الكافرون، لأن رسول الإسلام كان قدوة، كان رحمة للعالمين.

المباحث العربية

(غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد) الضمير فى «غزونا» لجابر ومن كان معه من الصحابة، و«قبل نجد» بكسر القاف وفتح الباء، أى جهتها، وقد وقع القصد إلى جهة نجد فى عدة غزوات وفى رواية البخارى تحديد الغزوة، ولفظها «كنا مع النبى ﷺ بذات الرقاع....» وذكر القصة.

وكذا فى الملحق الثانى لروايتنا، ولفظه «حتى إذا كنا بذات الرقاع» وعند ابن إسحق «أقام رسول الله ﷺ بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع وبعض جمادى - يعنى من سنته - وغزا نجدا، يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان، حتى نزل نخلا، وهى غزوة ذات الرقاع. وقد سبق الكلام عنها فى الغزوات.

(**فأدركنا رسول الله ﷺ**) بفتح الكاف، و « رسول الله » فاعل، وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يكون فى مؤخرة الجيش العائد، تواضعا، وحراسة، وكانت القصة فى العودة من الغزوة، ففى رواية البخارى « أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة..... » الحديث، وكذا فى الملحق الأول لروايتنا.

(**فى واد كثير العضاه**) بكسر العين وفتح الضاد، آخره هاء، وهى كل شجرة ذات شوك، وقيل هو العظيم من السمر مطلقا، والسمرة الشجرة الكثيرة الورق.

(**فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة**) زاد فى رواية « فاستظل بها » أى من حر الشمس فى القائلة، وفى رواية « فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبى ﷺ ».

(**فعلق سيفه بغصن من أغصانها**) وفرش فراشه، ونام تحتها، من التعب.

(**وتفرق الناس فى الوادى يستظلون بالشجر**) المراد من الناس الجيش.

(**فقال رسول الله ﷺ: إن رجلا أتانى وأنا نائم، فأخذ السيف، فاستيقظت، وهو قائم على رأسى، فلم أشعر إلا والسيف صلتا فى يده**) « صلتا » بفتح الصاد وضمها وسكون اللام، أى مجردا من غمده، أى مسلولا، وهو منصوب على الحال، و« السيف » مبتدأ، و « فى يده » خبر، وفى رواية للبخارى « فجاء رجل من المشركين، وسيف النبى ﷺ معلق بالشجرة، فاخترطه » أى استله من غمده، وفى رواية « فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه فإذا عنده أعرابى جالس » وفى رواية « فإذا أعرابى قاعد بين يديه » وفى رواية « قال جابر: فنمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه » فهذا القدر من الرواية لم يحضره الصحابة، وإنما سمعوه من النبى ﷺ، بعد أن دعاهم واستيقظوا.

وهذا الرجل اسمه غورث على وزن جعفر، وقيل: بضم الغين، من الغرث، وهو الجوع، ووقع عند الخطيب « غورك » بالكاف بدل الثاء، وحكى الخطابى غويرث بالتصغير، وهو غورث بن الحارث، قال القاضى: وقد جاء حديث آخر مثل هذا الخبر، وسمى الرجل فيه « دعثوراً ».

(**فقال لى: من يمنعك منى؟ قال: قلت: الله. ثم قال فى الثانية: من يمنعك منى؟ قال: قلت الله**) فى رواية « فقال: تخافنى ؟ قال: لا » وفى رواية كرر « من يمنعك منى » ثلاث مرات، وهو استفهام إنكارى بمعنى النفى، أى لا يمنعك منى أحد، لأن الأعرابى كان قائما، والسيف فى يده، والنبى ﷺ جالس، لا سيف معه، ولفظ « الله » خبر لمبتدأ محذوف أى مانعى منك الله.

(**فشام السيف**) أى أعاده فى غمده، وألقاه، وهذه الكلمة تستعمل فى الأضداد، يقال: شامه إذا استله، وشامه إذا أغمده، وعند ابن إسحق « فدفع جبريل فى صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه النبى ﷺ، وقال: من يمنعك أنت منى؟ قال: لا أحد. قال: قم، فاذهب لشأنك، فلما ولى قال: أنت خير منى ».

(**فها هو ذا جالس. ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ**) فى رواية البخارى « لم يعاقبه رسول الله ﷺ » فيجمع بين هذا، وبين رواية ابن إسحق السابقة، بأن قوله « فاذهب » كان بعد أن أخبر الصحابة بقصته، فمنَّ عليه، لشدة رغبة النبى ﷺ فى استئلاف الكفار، ليدخلوا فى الإسلام، وقد ذكر

الواقدى أنه أسلم، وأنه رجع إلى قومه، فاهتدى به خلق كثير، وفى رواية للبخارى « فتهدده أصحاب النبى ﷺ » أى فمنعهم صلى الله عليه وسلم.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- جواز تفرق العسكر فى نزولهم ونومهم، ومحله إذا لم يكن هناك من يخافون منه.

٢- جواز الاستظلال بأشجار البوادى.

٣- وتعليق السلاح وغيره فيها.

٤- وجواز المنّ على الكافر الحربى، وإطلاقه.

٥- وفرط شجاعة النبى ﷺ.

٦- وقوة يقينه.

٧- وصبره على الأذى.

٨- وحلمه وعفوه عن الجهال.

٩- ومقابلة السيئة بالحسنة.

١٠- وفيه الحث على مراقبة الله تعالى، وحفظه فى الرخاء ليحفظ فى الشدة.

١١- وفيه عصمته سبحانه وتعالى لرسوله من القتل.

والله أعلم

(٦٠٦) باب بيان مثل ما بعث به صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم

٥١٩٣- ١٥/١ عَن أَبِي مُوسَى ﷺ(١٥) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا. فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ. وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا. وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ ،فَعَلِمَ وَعَلَّمَ. وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

المعنى العام

البشرية منذ خلق الله آدم وحواء وأنزلهما إلى الأرض، يتبعها إبليس، ومنذ كثرت ذرية آدم، فى حاجة بين الحين لتذكيرها بربها، لتتحقق الحكمة الإلهية التى نوه عنها جل شأنه بقوله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وتلك حكمة إرسال الرسل عليهم السلام، وإنزال الكتب والشرائع، وكلما تقدمت البشرية نحو الحضارة، وكلما كثر عددها على وجه البسيطة، وكلما اتسعت آفاقها وآفاق علمها، كلما كان التذكير والتوجيه والتشريع فى دائرة أوسع، وكلما كانت حاجتها إلى التفصيل أشد وأعظم، فإذا ما أضيف إلى ذلك أن كل رسول، كان يبعث إلى قومه خاصة، وإلى فترة زمنية مؤقتة كانت رسالة محمد ﷺ العامة الخاتمة، الصالحة لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة، أكثر الرسالات شمولا للأحكام، وأوسعها فى التعاليم والتشريعات، وقد جاءت فى فترة زمنية وصلت البشرية فيها إلى انحدار وانحطاط، فكانت غيثا مغيثا، وعلاجا لأمراض انتشرت وتنوعت، وكانت كالنور في حالك الظلام، كانت كصيب من السماء، فيه غيث ونفع للأرض الطيبة الصالحة للزراعة، النقية من الحشائش والحجارة، ينبت به الزرع والنخيل والأعناب، ومن كل الثمرات والكلأ والأعشاب ويسقط على حجارة ملساء، أو أرض سبخة لا تنبت، فلا ينتفع به، وكذلك الناس بالنسبة لدعوة الإسلام، منهم من يسمع فيستجيب، ويتعلم فيتفقه، ويتعمق فى العمل، ويعمل بما يعلم ثم يعلم غيره ما علم، فينفع نفسه، وينفع غيره، ومنهم من يسمع فيحفظ، ولا يعمل لكنه يعلم غيره فهو كالأرض المنخفضة، كالوديان، تحفظ الغيث

---

(١٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو عَامِرٍ الأَشْعَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ وَاللَّفْظُ لأَبِي عَامِرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى.

والمطر، حتى يأخذه من ينتفع به ومنهم من يسمع فيعرض، فلا يحفظ ولا يعمل ولا يعلم غيره، فيكون كالأرض الملساء الجرداء، لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ.

فالعاقل من انتفع ونفع، والويل لمن أعرض، ولم يرفع بذلك رأسا. ومن عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها.

المباحث العربية

(**إن مثل ما بعثنى الله به عزوجل من الهدى والعلم**) « مثل » بفتح الميم والثاء، والمراد به الصفة العجيبة الشأن، وليس القول السائر، والمراد من « الهدى » الدلالة الموصلة إلى المطلوب، أى وسيلة الهداية، من الدعوة إلى الله بالحجة، والموعظة الحسنة، والمراد من العلم حصول المعلومات عنده صلى الله عليه وسلم وإيصالها للأمة، ولذا ترجم البخارى للحديث بباب فضل من علم وعلم، « علم » الأولى بكسر اللام و الثانية بفتحها وتشديدها.

(**كمثل غيث أصاب أرضا**) المراد من الغيث المطر، وتنكير « أرضا » لتنوعها، كما سيأتى.

(**فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء**) قال النووى: هكذا هو فى جميع نسخ مسلم « طائفة طيبة » ووقع فى البخارى « فكان منه نقية قبلت الماء » بنون مفتوحة، ثم قاف مكسورة، ثم ياء مشددة، وهو بمعنى طيبة، هذا هو المشهور فى روايات البخارى، ورواه الخطابى وغيره « ثغبة » بالثاء والغين والباء، قال الخطابى: هو مستنقع الماء فى الجبال والصخور. قال القاضى وصاحب المطالع: هذه الرواية غلط من الناقلين، وتصحيف، وإحالة للمعنى، لأنه إنما جعلت هذه الطائفة الأولى مثلا لما ينبت، والثغبة لا تنبت، اهـ وروى « بقعة » وهى بمعنى « طائفة » وروى « بقية » بالباء بدل النون، والمراد القطعة الطيبة، كما يقال: فلان بقية الناس، ومنه قوله تعالى ﴿ **فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ** ﴾ [هود: ١١٦] والمراد من قبول الماء قبوله سقيا لزرع بقدر الحاجة.

قال إسحق بن راهويه، حين روى هذا الحديث « قيلت الماء » بفتح القاف وتشديد الياء المفتوحة، قيل: وهو تصحيف، من إسحق، وقيل: بل صواب، ومعناه شربت، والقيل شرب نصف النهار.

(**فأنبتت الكلأ والعشب الكثير**) قال النووى: « الكلأ » بالهمز يقع على اليابس والرطب، وقال الخطابى وابن فارس: الكلأ يقع على اليابس، وهذا شاذ ضعيف، قال: والعشب والكلأ، مقصوراً غير مهموز، مختصان بالرطب. اهـ وقال الحافظ ابن حجر: « العشب » هنا من ذكر الخاص بعد العام، لأن الكلأ يطلق على النبت الرطب واليابس معا، و« العشب » للرطب فقط. اهـ.

والمقصود - على أى حال - أنبتت الزرع النافع على الأمد القريب والبعيد.

(**وكان منها أجادب أمسكت الماء**) قال النووى: بالجيم والدال، وهو الأرض التى تنبت كلأ، وقال الخطابى: هى الأرض التى تمسك الماء، فلا يسرع إليه النضوب، قال ابن بطال وصاحب المطالع وآخرون: هو جمع جدب على غير قياس: كما قالوا فى حسن: جمعه محاسن، والقياس أن

محاسن جمع محسن، وكذا قالوا: مشابه جمع شبه، وقياسه أن يكون جمع مشبه. قال الخطابى: وقال بعضهم: « أحادب » بالحاء والدال. قال: وليس بشيء. قال: وقال بعضهم « أجارد » بالجيم والراء والدال، قال: وهو صحيح المعنى، إن ساعدته الرواية، قال الأصمعى: الأجارد من الأرض ما لاينبت الكلأ، معناه أنها جرداء هزرة، لا يسترها النبات، قال: وقال بعضهم: إنما هى « أخاذات » بالخاء والذال وبالألف، وهو جمع « أخاذة » وهى الغدير الذى يمسك الماء، وذكر صاحب المطالع هذه الأوجه الذى ذكرها الخطابى، فجعلها روايات منقولة، وقال القاضى فى الشرح: لم يرد هذا الحرف فى مسلم ولا فى غيره إلا بالدال المهملة، من الجدب، الذى هو ضد الخصب، قال: وعليه شرح الشارحون.

(**فنفع اللّه بها الناس، فشربوا منها، وسقوا، ورعوا**) « سقوا » قال النووى: قال أهل اللغة: سقى وأسقى بمعنى، لغتان، وقيل: سقاه ناوله ليشرب، وأسقاه جعل له سقيا، وأما « رعوا » فهو بالراء من الرعى، كذا هو فى جميع نسخ مسلم، ووقع فى البخارى « وزرعوا » وكلاهما صحيح.

(**وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هى قيعان، لا تمسك ماء ولاتنبت كلأ**) « قيعان » بكسر القاف، جمع قاع، وهو الأرض المستوية التى لا تنبت، والتى إذا أصابها الماء لا يستقر فيها، وجمع فى المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين، لاشتراكهما فى الانتفاع بهما، وأفرد الطائفة الثالثة، المذمومة - بقوله « وأصاب طائفة منها أخرى » لعدم النفع بها.

(**فذلك مثل من فقه فى دين اللّه، ونفعه بما بعثنى اللّه به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى اللّه الذى أرسلت به**) « من فقه » بضم القاف، أى صار فقيها، وقال ابن التين: رويناه بكسرها، والضم أشبه.

قال القرطبى وغيره: ضرب النبى ﷺ لما جاء به من الدين مثلا، بالغيث العام، الذى يأتى الناس فى حال حاجتهم إليه، وكذا حال الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيى البلد الميت، فكذا علوم الدين، تحيى القلب الميت، فتعاليم الإسلام، وما جاء به صلى اللّه عليه وسلم مشبه، والغيث مشبه به. ثم شبه السامعين لتعاليم الدين بالأرض المختلفة التى ينزل بها الغيث، فمنهم:

العالم العامل المعلم غيره: فهو بمنزلة الأرض الطيبة، شربت فانتفعت فى نفسها، وأنبتت، فنفعت غيرها، انتفعت فى نفسها بالحياة بعد أن كانت ميتة، وكذلك علم العالم يحيى قلبه، وعمله بعلمه يبرزه بمظهر الجمال والزينة، وينفعه كالنبات للأرض، وينفع الناس بالقدوة، كما ينفعهم وينفعه تعليمه لهم.

ومنهم الجامع للعلم: الذى يشغل زمانه فيه، المعلم لغيره، لكنه لم يعمل بعلمه، فهو جمع العلم، وأداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التى يستقر فيها الماء وتمسكه، ولا تنتفع به، فينتفع به الناس، فهى لم تشرب الماء، فتنتفع بشربها، وإن انتفعت بسقى الماء لغيرها.

وجعل النووى هذا التمثيل لناس لهم قلوب حافظة، لكن ليست لهم أفهام ثاقبة، ولا رسوخ لهم فى العقل، لسيتنبطوا به المعانى والأحكام، فهم يحفظونه، حتى يأتى طالب محتاج، متعطش لما عندهم من العلم، أهل للنفع والانتفاع، فيأخذه منهم، فينتفع به، اهـ ويمكن أن يشار إلى هذا النوع بحديث

« نضر اللّه امرأ سمع مقالتى، فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع » ويمكن أن يراد الأمران: عدم العمل بالعلم، وعدم العمل فى العلم.

والصنف الثالث: من يسمع العلم فلا يحفظه، ولا يعمل به، ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التى لا تقبل الماء، أو تفسده على غيرها، فمعنى « من لم يرفع بذلك رأسا » أى أعرض عن العلم، فلم ينتفع به، ولم ينفع به، ومعنى « ولم يقبل هدى اللّه الذى جئت به » أى بلغه وكفر به.

قال الطيبى: بقى من أقسام الناس قسمان: أحدهما الذى انتفع بالعلم فى نفسه، ولم يعلمه غيره، والثانى من لم ينتفع به فى نفسه، وعلمه غيره، قال الحافظ ابن حجر: الأول داخل فى الأول، لأن النفع حصل فى الجملة، وإن تفاوتت مراتبه، وكذلك ما تنبته الأرض، فمنه ما ينتفع به الناس، ومنه ما يصير هشيما.اهـ.

قلت: والثانى داخل فى الثانى، كما أوضحنا.

فقه الحديث

ويؤخذ من الحديث

١- ضرب المثل تقريبا للمعقول وتشبيهه بالمحسوس.

٢- فضل العلم والتعليم.

٣- شدة الحث عليهما.

٤- ذم الإعراض عن العلم.

والله أعلم

(٦٠٧) باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم وإذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها

٥١٩٤- ١٦/١ عَن أَبِي مُوسَى رضي الله عنه[١٦] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ. وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ».

٥١٩٥- ١٧/٢ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[١٧] قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ. فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ» وحَدَّثَنَاه عَمْرٌو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَن أَبِي الزِّنَادِ بِهَذَا الإِسْنَادِ، نَحْوَهُ.

٥١٩٦- ١٨/٣ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[١٨] عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا. فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا. وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا. قَالَ فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ. أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ. فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا».

٥١٩٧- ١٩/٤ عَن جَابِرٍ رضي الله عنه[١٩] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِن يَدِي».

٥١٩٨- ٢٠/٥ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٢٠] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ

---

(١٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَّادٍ الأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لأَبِي كُرَيْبٍ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَن بُرَيْدٍ عَن أَبِي بُرْدَةَ عَن أَبِي مُوسَى

(١٧) وحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيُّ عَن أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَن هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا عن أَبُو هُرَيْرَةَ

(١٩) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا سَلِيمٌ عَن سَعِيدِ بْنِ مِينَاءَ عَن جَابِرٍ

(٢٠) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَن أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ. فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ، يَقُولُونَ مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِن هَذَا، إلا هَذِهِ اللَّبِنَةَ. فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ».

٥١٩٩- ٢١/٦ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢١) عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِن قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَكْمَلَهَا، إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زَاوِيَةٍ مِن زَوَايَاهَا. فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيُعْجِبُهُمُ الْبُنْيَانُ فَيَقُولُونَ: أَلا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبِنَةً! فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ» فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ «فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ».

٥٢٠٠- ٢٢/٧ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِن قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زَاوِيَةٍ مِن زَوَايَاهُ. فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ! قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ».

٥٢٠١- ../.. وفِي رواية عَن أَبِي سَعِيدٍ ﷺ(٠٠) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ النَّبِيِّينَ» فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

٥٢٠٢- ٢٣/٨ عَن جَابِرٍ ﷺ(٢٣) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ. فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ!» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ جِئْتُ فَخَتَمْتُ الأَنْبِيَاءَ».

٥٢٠٣- .../... وفِي رواية بِهَذَا الإِسْنَادِ(٠٠٠) مِثْلَهُ وَقَالَ: بَدَلَ أَتَمَّهَا أَحْسَنَهَا.

٥٢٠٤- ٢٤/٩ عَن أَبِي مُوسَى ﷺ(٢٤) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِن عِبَادِهِ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا. وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا، وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ».

---

(٢١) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَن هَمَّام بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ

(٢٢) و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَن أَبِي صَالِحٍ السَّمَّان عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَن الْأَعْمَشِ عَن أَبِي صَالِحٍ عَن أَبِي سَعِيدٍ

(٢٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٠٠٠) وحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا سَلِيمٌ بِهَذَا الإِسْنَادِ

(٢٤) قَالَ مسلِم وَحُدِّثْتُ عَن أَبِي أُسَامَةَ وَمِمَّنْ رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنِي بُرَيْدُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ عَن أَبِي بُرْدَةَ عَن أَبِي مُوسَى

المعنى العام

صدق الله العظيم، إذ يقول ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨].

نعم كل نبى يحرص على إجابة قومه لدعوته لمصلحتهم، ويبذل فى سبيل ذلك جهده، ويتحمل من مكذبيهم وسفهائهم قدر الطاقة، لكن من الرسل من ضاق ذرعه بعصيانهم، ومنهم أولو العزم الذين طال صبرهم، وعظم بلاؤهم، وعلى رأسهم محمد بن عبد الله ﷺ.

قد ينفد الصبر، فيدعو الرسول على العاصين، وقد يتمكن من أعدائه فينتقم منهم، بحكم الطبيعة البشرية، أما أن يقابل السيئة بالحسنة فى عامة أحواله فهذه هى الخصوصية.

يذهب إلى الطائف، يدعو أهله، لصالحهم، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، فيسخرون منه، ويهزءون به، ويغرون به سفهاءهم وصبيانهم يجرون خلفه، يسبونه ويقذفونه بالحجارة، حتى أدموا قدميه، ولما تعبوا رجعوا، فاستند إلى سور حديقة مجهدا متعبا مغتاظا، فينزل عليه ملك الجبال يعرض عليه أن يطبق عليهم الجبال،، فيقول: لا. اللَّهم اهد قومى، فإنهم لا يعلمون.

يغتال وحشى الكافر أعز أعمامه، أسد اللَّه حمزة بن عبد المطلب، وتبقر هند زوجة أبى سفيان بطنه، وتخرج كبده، تلوكها فى فمها، فيقدر عليهما، فيعفو عنهما. يفتح مكة، فيمكنه اللَّه ممن آذوه وآذوا أصحابه، وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم، فيقول لهم: ما تظنون أنى فاعل بكم؟ فيقولون أخ كريم وابن أخ كريم، فيقول لهم: لا أقول لكم إلا كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم. اذهبوا فأنتم الطلقاء.

يذهب إليه أعرابى، يطلب إحسانه من بيت المال، فيمسك بخناق ثوبه، ويجذبه منه حتى يؤثر الثوب فى رقبته، وهو يقول: يا محمد، أعطنى من مال اللَّه الذى عندك، فإنه ليس من مالك ولا من مال أبيك، ويثور عمر، فيجرد سيفه، ويقول لرسول ﷺ: دعنى أدق عنق هذا المنافق، فيمنعه صلى اللَّه عليه وسلم، ويدخل إلى بيت المال، فيخرج له ما شاء اللَّه، ثم يقول له: أأحسنت؟ فيقول الأعرابى: ما أحسنت وما أجزلت. فيثور عمر ثانية، فيمنعه صلى اللَّه عليه وسلم، ويدخل، فيزيد الرجل، ثم يقول له: أأحسنت؟ فيقول له: لا. ما أحسنت وما أجزلت، ويثور عمر حتى لا يكاد يملك نفسه فيمنعه صلى اللَّه عليه وسلم، ويدخل، فيزيد الرجل، ويقول صلى اللَّه عليه وسلم: إن مثلى ومثلكم ومثل هذا كرجل شردت ناقته، فجرى الناس خلفها، يمسكونها، فكلما رأتهم يطاردونها زادت شروداً، فقال لهم صاحبها: خلوا بينى وبين ناقتى، ثم أخذ فى يده شيئا من حشيش الأرض، وتقرب به إليها، فجاءت وبركت واستناخت. صلى اللَّه عليه وسلم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ منع العصاة أن يقعوا فى النار، يبذل جهده الخارق فى الحيلولة بينهم وبين المعاصى، لكن كثيرا منهم، تغلبهم شهوتهم ونفسهم الأمارة بالسوء، فينهمكون فى الشهوات، فيقعون فى نار الآخرة، كالفراش الجاهل الذى يحارب النار بالوقوع فيها، ولقد كانت رسالته صلى اللَّه عليه وسلم خاتمة الرسالات، وقمتها، فكل نبى جاء بشرع، أصلح الإنسانية بعض الإصلاح، فكان الأنبياء السابقون كمن يبنى جزءاً من بيت، حتى كاد يكتمل

البناء، إلا زاوية من زواياه، لو بنيت لاكتمل، فكان صلى اللّه عليه وسلم ممثلا فى البناء هذه الزاوية، محققا تمام البناء، واكتمال الشرائع، ووصول البشرية إلى أرقى عباداتها وصلاحها، بما جاء به من شرع حكيم، صالح لكل زمان ومكان إلى يوم الدين.

المباحث العربية

(**إن مثلى ومثل ما بعثنى اللّه به**) بفتح الميم والثاء، والمثل الصفة العجيبة الشأن، يوردها البليغ، على سبيل التشبيه، لإرادة التقريب والتفهيم.

(**كمثل رجل أتى قومه**) فى رواية للبخارى « أتى قوما » والتنكير فيه للشيوع، وروايتنا أوضح، لأن قومه هم الأولى بقبول خبره، ولأنهم الذين يحرص عليهم بالدرجة الأولى.

(**إنى رأيت الجيش بعينى**) تثنية عين، وذكر هذا اللفظ لزيادة التأكيد، فالرؤية إنما تكون بالعينين، أى تحقق عنده جميع ما أخبر عنه، تحقق من رأى شيئا بعينيه، لا يعتريه وهم، ولا يخالطه شك، وفى رواية « بعينى » بالإفراد، و« ال » فى « الجيش » للعهد، أى جيش عدوكم.

(**وإنى أنا النذير العريان**) مثل يضرب للناصح الأمين الحريص على مصلحة قومه، الخائف المشفق عليهم، والجملة من كلام الرجل، داخلة فى المشبه به، وأكدها بإن واسمية الجملة، وإعادة الضمير « أنا » قال العلماء: وأصل ا لمثل أن رجلا من خثعم حمل عليه رجل يوم ذى الخلصة، فقطع يده ويد امرأته، فانصرف إلى قومه، فحذرهم من العدو، مقدما لهم نفسه وامرأته كدليل على تحقق الخبر، واستبعد أن يكون ذلك أصل المثل، لعدم اشتماله على ا لعرى، وقيل أصل المثل أن رجلا لقى جيشا، فسلبوه، وأسروه، فانفلت إلى قومه، فقال: إنى رأيت الجيش، فسلبونى فرأوه عريانا، فتحققوا صدقه، لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه فى النصيحة، ولا جرت عادته بالتعرى، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن.

وقال النووى: قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه، وإعلامهم بما يوجب المخافة، نزع ثوبه، وأشار به إليهم، إذا كان بعيدا منهم، ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا طليعتهم ورقيبهم وعينهم، قالوا: وإنما يفعل ذلك، لأنه أبين للناظر، وأغرب، وأشنع منظراً، فهو أبلغ فى استحثاثهم على التأهب للعدو، وقيل: معناه أنا النذير الذى أدركنى جيش العدو، فأخذ ثيابى، فأنا أنذركم عريانا. اهـ.

أما المشبه، فقد ضرب صلى اللّه عليه وسلم لنفسه ولما جاء به مثلا بذلك، لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على صدقه، تقريبا لأفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه، وعند أحمد بسند جيد « خرج النبى ﷺ ذات يوم، فنادى ثلاث مرات: أيها الناس. مثلى ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً أن يأتيهم، فبعثوا رجلا يترايا لهم، فبينما هم كذلك إذ أبصر العدو، فأقبل لينذر قومه، فخشى أن يدركه العدو، قبل أن ينذر قومه، فأهوى بثوبه: أيها الناس. أتيتم. أتيتم. أتيتم. » فالعريان على ما سبق من العرى والتعرى، وهو المعروف فى

الرواية، وحكى الخطابى أن بعضهم رواه بالباء الموحدة، فإن كان محفوظا فمعناه الفصيح بالإنذار، لا يكنى ولا يورى، بل يعرب ويبين، يقال: رجل عريان، أى فصيح اللسان.

(**فالنجاء**) بالمد مفعول مطلق، أو مفعول به لفعل محذوف، تقديره: انجوا، أو الزموا واطلبوا،قال القاضى عياض: المعروف فى النجاء، إذا أفرد، المد وحكى أبو زيد فيه القصر أيضا فإذا ما كرروه، فقالوا: النجاء. النجاء ففيه المد والقصر معا، وروايتنا بالإفراد، ورواية البخارى بالتكرار، قال الحافظ ابن حجر: بالمد فيهما، وبمد الأولى وقصر الثانية، وبالقصر فيهما تخفيفا. وفيه إشارة إلى أنهم لا يطيقون مقاومة ذلك الجيش.

(**فأطاعه طائفة من قومه**) فى طلبه الفرار من وجه العدو، أى صدقوه، فأطاعوه، والتذكير فى « فأطاعه » مع أن الفاعل مؤنث « طائفة » على تقدير بعض القوم، وفى رواية « فأطاعته » بالتأنيث .

(**فأدلجوا**) بهمزة قطع فسكون، أى ساروا أول الليل، أو ساروا الليل كله، على الاختلاف فى مدلول هذه اللفظة، قال الحافظ ابن حجر: وأما بالوصل والتشديد، على أن المراد به سير آخر الليل، فلا يناسب هذا المقام.

(**فانطلقوا على مهلتهم**) قال النووى: هكذا هو فى جميع نسخ مسلم « مهلتهم » بضم الميم وإسكان الهاء وبتاء بعد اللام وفى الجمع بين الصحيحين « على مهلهم » بفتح الميم والهاء الأولى، وبحذف التاء، قال: وهما صحيحان، اهـ. والمعنى انطلقوا وساروا على هينة وراحة، ونجوا من عدوهم.

(**وكذبت طائفة منهم**) أى كذبت النذير فى خبره عن جيش العدو، أى فلم يطيعوه، ولم يأخذوا حذرهم، ولم يهربوا من بطشه، وعبر عن الطائفة الأولى بالطاعة لأنها مسبوقة بالتصديق، مستلزمة له، فإثباتها إثبات له، وفى الثانية بالتكذيب، لأنه الأساس فى عدم الطاعة، فاستتبع العصيان، والمراد الأمران فى كل منهما، تصديق وطاعة فى جانب، وتكذيب وعصيان فى جانب، فحذف من كل لازمه.

(**فأصبحوا مكانهم**) تصريح بما دل عليه اللازم.

(**فصبحهم الجيش فأهلكهم، واجتاحهم**) معنى « صبحهم » أتاهم صباحا مبكرا وهم نائمون، ثم كثر استعماله، حتى استعمل فيمن طرق بغتة، فى أى وقت كان، ومعنى « اجتاحهم » استأصلهم، من جحت الشيء، أجحته، إذا استأصله، والاسم الجائحة، وهى الهلاك، وأطلقت على الآفة، لأنها مهلكة، وذكر الاجتياح بعد الإهلاك لتأكيده وقوته.

قال الطيبى: شبه صلى اللّه عليه وسلم نفسه بالرجل، وشبه ما جاء به من الوعد والوعيد بإنذار الرجل قومه بالجيش، وشبه من أطاعه من أمته بمن أطاع الرجل وصدقه، وشبه من عصاه من أمته بمن كذب الرجل فى إنذاره، والنتيجة شبيهة بالنتيجة.

(**إنما مثلى ومثل أمتى**) من حيث موقف الأمة مما جاء به صلى اللّه عليه وسلم، والقصر بإنما قصر إضافى، لأن مثله صلى اللّه عليه وسلم مع أمته ليس مقصورا على هذا، فقد سبق مثل، وسيأتى غيره.

(**كمثل رجل استوقد نارًا**) أى أوقد نارا، واستوقد أبلغ من أوقد، فزيادة المبنى تفيد زيادة المعنى، زاد فى الرواية الثالثة « فلما أضاءت ما حولها » والإضاءة فرط الإنارة، والمراد بذلك ظهور الحق ووضوحه، مما يرفع عذر المعتذر.

(**فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه**) أى فى هذا الشيء الموقد، وفى الرواية الثالثة والرابعة « يقعن فيها » والدواب كل ما يدب على الأرض ولو لحظة، فيشمل الطير ويكون ذكر الفراش وغيره بعده من ذكر الخاص بعد العام، ويحتمل أن يراد بالدابة ما من شأنه يمشى على الأرض، فيكون عطف الطير عليه من العطف المغاير، وعلى كل فالمراد من الدواب التى تسقط فى النار بعضها مما من شأنه أن يجرى نحو النار يجهل عاقبتها، فيسقط فيها، كالخنافس والصرار وبعض الحشرات، أما الفراش فالمراد منه النوع المعروف من الطير، ذو الأجنحة التى هى أكبر كثيرا من جثته، وأنواعه مختلفة فى الكبر والصغر، وكذا أجنحته، وأغرب ابن قتيبة فقال: المراد من الفراش ما يتهافت فى النار من البعوض، وقال الخليل: الفراش كالبعوض، يلقى بنفسه فى النار، وقال بعضهم: الفراش ما تراه كصغار البق، يتهافت فى النار، وقال المازرى: المراد من الفراش الجنادب. اهـ ربما لأنه ورد فى الرواية الرابعة، ولفظها « فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها » فجعله من عطف التفسير، وتعقب بأن الجنادب جمع جندب، وفيها ثلاث لغات، ضم الجيم مع ضم الدال وفتحها، وكسر الجيم مع فتح الدال، وهو الصرار الذى يشبه الجراد، وقال أبو حاتم: الجندب على خلقة الجراد، له أربعة أجنحة، كالجرادة وأصغر منها، يطير ويصر بالليل صرا شديدا.

وفى الرواية الثالثة « جعل الفراش، وهذه الدواب التى فى النار، يقعن فيها » ومعنى الموصول وصلته التى من شأنها الدخول فى النار.

(**وجعل يحجزهن، ويغلبنه، فيتقحمن فيها**) « جعل » هنا للصيرورة، والحجز المنع، والتقحم أصله القحم والإقدام والوقوع فى الأمور الشاقة من غير تثبت، ويطلق على رمى الشيء بغتة، ومثله الاقتحام، يقال: اقتحم الدار هجم عليها، وفى الرواية الثانية « فأنا آخذ بحجزكم، وأنت تقحمون فيه » بفتح التاء والقاف، وتشديد الحاء، وحذف إحدى التاءين، أى تتقحمون، قال النووى: « آخذ » روى بوجهين، أحدهما اسم فاعل، بكسر الخاء، وتنوين الذال، والثانى فعل مضارع بضم الخاء والذال، وهما صحيحان، والأول أشهر. اهـ

« وحجزكم » بضم الحاء وفتح الجيم وضمها جمع حجزة بضم الحاء وسكون الجيم، وهى معقد الإزرار من وسط الإنسان، ومن السراويل موضع التكة، وفى الرواية الرابعة « فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبهن عنها - أى يدفعهن ويبعدهن عنها - وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدى » قال النووى: روى بوجهين: أحدهما فتح التاء والفاء واللام المشددة، وأصله تتفلتون، حذفت إحدى التاءين، والثانى ضم التاء، وإسكان الفاء وكسر اللام، وكلاهما صحيح، يقال: أفلت منى، وتفلت منى، إذا نازعك الغلبة، والهرب، ثم غلب وهرب وفى الرواية الثالثة « أنا آخذ بحجزكم عن النار. هلم عن النار. هلم عن النار. فتغلبونى، تقتحمون فيها » و « هلم » اسم فعل أمر،

تفرد على كل حال، تقول: هلم يا رجلان وهلم يا رجال وقد تلحقها علامات التثنية والجمع، والمعنى هنا تعالوا عن النار، أى تعالوا إلى، وابتعدوا عن النار.

ومقصود الحديث أنه صلى اللّه عليه وسلم شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم فى نار الآخرة، وحرصهم على الوقوع فى ذلك، مع منعه إياهم، وقبضه على مواضع المنع منهم، بتساقط الفراش فى نار الدنيا، لهواه وضعف تمييزه، وكلاهما حريص على هلاك نفسه، ساع فى ذلك لجهله.

(**مثلى ومثل الأنبياء**) فى الرواية السادسة والسابعة « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى ».

(**كمثل رجل بنى بنيانا، فأحسنه وأجمله**) قيل: المشبه به واحد والمشبه جماعة، فكيف صح التشبيه؟ وأجيب بأنه جعل الأنبياء كرجل واحد، لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل، وكذلك الدار، لا تتم إلا باجتماع البنيان - أى فهو من تشبيه مفرد بمفرد، وقيل: هو من تشبيه التمثيل، بأن نجعل أوصاف المشبه به فى حكم مفردات، يشبه بها أجزاء وأوصاف المشبه، فكأنه شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس، ببيت أسست قواعده، ورفع بنيانه، وبقى منه موضع، به يتم صلاح ذلك البيت، وفى الرواية السادسة « كمثل رجل ابتنى بيوتا، فأحسنها وأجملها وأكملها ».

(**فجعل الناس يطيفون به، يقولون: ما رأينا بنيانا أحسن من هذا. إلا هذه اللبنة، فكنت أنا اللبنة**) يقال: طاف حوله، وبه، وعليه، وفيه، يطوف، طوفا، بفتح الطاء وسكون الواو، وطوفانا، بفتح الواو، دار وحام. وأطاف به، وعليه، طاف، فيطيفون من أطاف، وفى الرواية السادسة والسابعة « يطوفون » من طاف. وفى الرواية السادسة « فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان، فيقولون: ألا وضعت ههنا لبنة؟ فيتم بنيانك؟ » « فألا » بتشديد اللام للتحضيض، و« وضعت » بفتح الواو، والضاد وسكون العين وتاء المخاطب.

وفى الرواية السابعة « ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة »؟ فهلا بتشديد اللام للتحضيض أيضا والتاء للمخاطب، واللبنة بفتح اللام وكسر الباء، بعدها نون، وبكسر اللام، وسكون الباء، هى القطعة من الطين، تعد للبناء، ويقال لها ذلك ما لم تحرق، فإذا أحرقت فهى آجرة، وفى الرواية الثامنة، كما فى البخارى « لولا موضع اللبنة » قال الحافظ ابن حجر: « موضع » بالرفع على أنه مبتدأ، وخبره محذوف، أى لولا موضع اللبنة، يوهم النقص لكان بناء الدار كاملا، ويحتمل أن تكون « لولا » تحضيضية، وفعلها محذوف، تقديره لولا أكمل موضع اللبنة؟.

وزعم ابن العربى أن اللبنة المشار إليها كانت فى رأس الدار المذكورة، وأنها لولا وضعها لانقضت تلك الدار. قال: وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور، قال الحافظ ابن حجر: وهذا إن كان منقولاً فهو حسن، وإلا فليس بلازم (ففى روايتنا السادسة والسابعة « إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها ») نعم ظاهر السياق أن تكون اللبنة فى مكان يظهر عدم الكمال فى الدار بفقدها .

(**فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها**) الفرط بفتح الفاء والراء، والفارط، هو الذى يتقدم الوارد، ليصلح له الحياض، والدلاء ونحوها من أمور الاستسقاء.

فقه الحديث

ويؤخذ من أحاديث الباب

١- ترجم البخارى للروايات الأربع بباب الانتهاء عن المعاصى، أى تركها أصلا ورأساً والإعراض عنها بعد الوقوع فيها.

٢- وفيها إشارة إلى أن الإنسان فى حاجة شديدة إلى النذير.

٣- وفيها ما كان فيه صلى اللّه عليه وسلم من الرأفة والرحمة والحرص على نجاة الأمة، كما قال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

٤- وفيها مبالغة الرسول ﷺ فى تحذير الأمة مما يضرهم.

٥- ومن الرواية الخامسة والسادسة فضيلته صلى اللّه عليه وسلم.

٦- ومن الرواية السابعة والثامنة أنه خاتم النبيين.

٧- ومن مجموع الروايات جواز ضرب الأمثال فى العلم وغيره.

٨- أن إهلاك الأمم واستئصال مكذبيها إنما يكون فى حياة نبيهم.

٩- تبشير الأمم التى يموت نبيها قبلها بشفاعته لأمته ووساطته لهم عند ربهم.

١٠- وفى ذلك تبشير بشفاعة محمد ﷺ لأمة الإسلام.

واللّه أعلم

(٦٠٨) باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته

٥٢٠٥- ٢٥/١ عَــن جُنْــدَبٍ رضي الله عنه[٢٥] قَــالَ: سَــمِعْتُ النَّبِــيَّ ﷺ يَقُــولُ: «أَنَــا فَرَطُكُــمْ عَلَــى الْحَــوْضِ».

٥٢٠٦- ٢٦/٢ عَــن سَــهْلٍ رضي الله عنه[٢٦] قَــالَ: سَــمِعْتُ النَّبِــيَّ ﷺ يَقُــولُ: «أَنَــا فَرَطُكُــمْ عَلَــى الْحَــوْضِ. مَــنْ وَرَدَ شَــرِبَ. وَمَــنْ شَــرِبَ لَــمْ يَظْمَــأْ أَبَــدًا. وَلَــيَرِدَنَّ عَلَــيَّ أَقْــوَامٌ أَعْرِفُهُــمْ وَيَعْرِفُونِــي. ثُــمَّ يُحَــالُ بَيْنِــي وَبَيْنَهُــمْ» قَــالَ أَبُــو حَــازِمٍ فَسَــمِعَ النُّعْمَــانُ بْــنُ أَبِــي عَيَّــاشٍ وَأَنَــا أُحَدِّثُهُــمْ هَــذَا الْحَدِيــثَ. فَقَــالَ: هَكَــذَا سَــمِعْتَ سَــهْلًا يَقُــولُ؟ قَــالَ فَقُلْــتُ: نَعَــمْ. قَــالَ: وَأَنَــا أَشْــهَدُ عَلَــى أَبِــي سَــعِيدٍ الْخُــدْرِيِّ لَسَــمِعْتُهُ يَزِيــدُ فَيَقُــولُ «إِنَّهُــمْ مِنِّــي. فَيُقَــالُ: إِنَّــكَ لا تَــدْرِي مَــا عَمِلُــوا بَعْــدَكَ. فَــأَقُولُ: سُــحْقًا سُــحْقًا لِمَــنْ بَــدَّلَ بَعْــدِي».

٥٢٠٧- ٢٧/٣ عَــن عَبْــدُ اللَّــهِ بْــنُ عَمْــرِو بْــنِ الْعَــاصِ رَضِــيَ اللَّــهُ عَنْهُمَــا[٢٧] قَــالَ: قَــالَ رَسُــولُ اللَّــهِ ﷺ: «حَوْضِــي مَسِــيرَةُ شَــهْرٍ. وَزَوَايَــاهُ سَــوَاءٌ. وَمَــاؤُهُ أَبْيَــضُ مِــنَ الْــوَرِقِ. وَرِيحُــهُ أَطْيَــبُ مِــنَ الْمِسْــكِ. وَكِيزَانُهُ كَنُجُــومِ السَّــمَاءِ. فَمَــنْ شَــرِبَ مِنْــهُ فَــلا يَظْمَــأُ بَعْــدَهُ أَبَــدًا».

٥٢٠٨- ٠٠/٤ وَعَــن أَسْــمَاءَ بِنْــتِ أَبِــي بَكْــرٍ رَضِــيَ اللَّــهُ عَنْهَــا[٠٠] قَــالَتْ: قَــالَ رَسُــولُ اللَّــهِ ﷺ: «إِنِّــي عَلَــى الْحَــوْضِ حَتَّــى أَنْظُــرَ مَــنْ يَــرِدُ عَلَــيَّ مِنْكُــمْ. وَسَــيُؤْخَذُ أُنَــاسٌ دُونِــي. فَــأَقُولُ: يَــا رَبِّ! مِنِّــي وَمِــنْ أُمَّتِــي. فَيُقَــالُ: أَمَــا شَــعَرْتَ مَــا عَمِلُــوا بَعْــدَكَ؟ وَاللَّــهِ مَــا بَرِحُــوا بَعْــدَكَ يَرْجِعُــونَ عَلَــى أَعْقَــابِهِمْ» قَــالَ: فَكَــانَ ابْــنُ أَبِــي مُلَيْكَــةَ يَقُــولُ: اللَّهُــمَّ إِنَّــا نَعُــوذُ بِــكَ أَنْ نَرْجِــعَ عَلَــى أَعْقَابِنَــا أَوْ أَنْ نُفْتَــنَ عَــن دِينِنَــا.

---

(٢٥) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ حَدَّثَنَا زَائِدَةُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ قَالَ سَمِعْتُ جُنْدَبًا يَقُولا
– حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ح و حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ بِشْرٍ جَمِيعًا عَنْ مِسْعَرٍ ح و حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَا حَدَّثَنَا شُعْبَةُ كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ جُنْدَبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.
(٢٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ سَهْلًا يَقُولا
– و حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي أُسَامَةُ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ يَعْقُوبَ.
(٢٧) وحَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيُّ حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ الْجُمَحِيُّ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو
(٠٠) وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: وَقَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

٥٢٠٩- ٢٨/٥ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهَا[٢٨] قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ يَقُولُ، وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ، أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ. فَوَاللّٰهِ! لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ، فَلأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ! مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ. مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ».

٥٢١٠- ٢٩/٦ عَن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهَا[٢٩] زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ. وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِن رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِن ذَلِكَ، وَالْجَارِيَةُ تَمْشُطُنِي، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ» فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي. قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ. فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ. فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ. فَإِيَّايَ! لا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ. فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا».

٥٢١١- ٠٠/٠٠ وَفِي رواية عَنَ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا[٠٠] أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ، عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهِيَ تَمْتَشِطُ «أَيُّهَا النَّاسُ» فَقَالَتْ لِمَاشِطَتِهَا: كُفِّي رَأْسِي. بِنَحْوِ حَدِيثِ بُكَيْرٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبَّاسٍ.

٥٢١٢- ٣٠/٧ عَن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ[٣٠] أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ. ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ. فَقَالَ «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ. وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ. وَإِنِّي، وَاللّٰهِ! لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ. وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ. وَإِنِّي. وَاللّٰهِ! مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي. وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا».

٥٢١٣- ٣١/٨ عَن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ[٣١] قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ. فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ. وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ

---

(٢٨) و حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ عَنِ ابْنِ خُثَيْمٍ عَن عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عُبَيْدِ اللّٰهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ
(٢٩) و حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى الصَّدَفِيُّ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرٌو وَهُوَ ابْنُ الْحَارِثِ أَنَّ بُكَيْرًا حَدَّثَهُ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبَّاسٍ الْهَاشِمِيِّ عَن عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ عَن أُمِّ سَلَمَةَ
(٠٠) وحَدَّثَنِي أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ وَهُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو حَدَّثَنَا أَفْلَحُ ابْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ رَافِعٍ قَالَ كَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ تُحَدِّثُ
(٣٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَن يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَن أَبِي الْخَيْرِ عَن عُقْبَةَ
(٣١) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا وَهْبٌ يَعْنِي ابْنَ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَيُّوبَ يُحَدِّثُ عَن يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَن مَرْثَدٍ عَن عُقْبَةَ

أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ. إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي. وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا، كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ.

٥٢١٤- ٣٢/٩ عَن عَبْدِ اللَّهِ(٣٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ. وَلَأُنَازِعَنَّ أَقْوَامًا ثُمَّ لَأُغْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أَصْحَابِي، أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

.. عَن حُذَيْفَةَ ﷺ(..) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. نَحْوَ حَدِيثِ الأَعْمَشِ وَمُغِيرَةَ.

٥٢١٥- ٣٣/١٠ عَن حَارِثَةَ ﷺ(٣٣) أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «حَوْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ» فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْرِدُ: أَلَمْ تَسْمَعْهُ قَالَ «الأَوَانِي»؟ قَالَ: لا. فَقَالَ الْمُسْتَوْرِدُ «تُرَى فِيهِ الآنِيَةُ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ».

٥٢١٦- ... وَفِي رواية عَن حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ ﷺ(...) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: وَذَكَرَ الْحَوْضَ. بِمِثْلِهِ. وَلَمْ يَذْكُرْ قَوْلَ الْمُسْتَوْرِدِ وَقَوْلَهُ.

٥٢١٧- ٣٤/١١ عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٣٤) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَا وَأَذْرُحَ».

٥٢١٨- .... عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(....) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ الْمُثَنَّى «حَوْضِي» و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ.

---

(٣٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَن شَقِيقٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ

(..) وحَدَّثَنَاه عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَن جَرِيرٍ عَنِ الأَعْمَشِ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَلَمْ يَذْكُرْ أَصْحَابِي أَصْحَابِي حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ كِلَاهُمَا عَن جَرِيرٍ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ جَمِيعًا عَن مُغِيرَةَ عَن أَبِي وَائِلٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِ الأَعْمَشِ وَفِي حَدِيثِ شُعْبَةَ عَن مُغِيرَةَ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ وحَدَّثَنَاه سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الأَشْعَثِيُّ أَخْبَرَنَا عَبْثَرٌ ح و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ كِلَاهُمَا عَن حُصَيْنٍ عَن أَبِي وَائِلٍ عَن حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ حَدِيثِ الأَعْمَشِ وَمُغِيرَةَ

(٣٣) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَزِيعٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَن شُعْبَةَ عَن مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ عَن حَارِثَةَ

(...) وحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَرْعَرَةَ حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ أَنَّهُ سَمِعَ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ الْخُزَاعِيَّ يَقُولُ

(٣٤) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ قَالا حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَن نَافِعٍ عَن ابْنِ عُمَرَ

(....) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ الْقَطَّانُ عَن عُبَيْدِ اللَّهِ أَخْبَرَنِي نَافِعٌ عَن ابْنِ عُمَرَ

– حَدَّثَنَا أَبِي ح وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ قَالا حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ

٥٢١٩- - وَفِي رواية عَن عُبَيْدِ اللَّهِ[-]، بِهَذَا الإِسْنَادِ، مِثْلَهُ. وَزَادَ: قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: قَرْيَتَيْنِ بِالشَّأْمِ. بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ ثَلاثِ لَيَالٍ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بِشْرٍ: ثَلاثَةِ أَيَّامٍ.

٥٢٢٠- ٣٥/١٢ عَن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ[٣٥] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ. فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ. مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ، لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا».

٥٢٢١- ٣٦/١٣ عَن أَبِي ذَرٍّ ﷺ[٣٦] قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِن عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا أَلا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ. آنِيَةُ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ. يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ. مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ. عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ. مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ. مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

٥٢٢٢- ٣٧/١٤ عَن ثَوْبَانَ ﷺ[٣٧] أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي، أَذُودُ النَّاسَ لأَهْلِ الْيَمَنِ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ» فَسُئِلَ عَن عَرْضِهِ فَقَالَ: «مِن مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» وَسُئِلَ عَن شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ. يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ. أَحَدُهُمَا مِن ذَهَبٍ، وَالآخَرُ مِن وَرِقٍ» وحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى. حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَن قَتَادَةَ. بِإِسْنَادِ هِشَامٍ. بِمِثْلِ حَدِيثِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عِنْدَ عُقْرِ الْحَوْضِ».

٥٢٢٣- ٣٨/١٥ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٣٨] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لأَذُودَنَّ عَن حَوْضِي رِجَالا كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الإِبِلِ».

(-) وحَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ عَن مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَن نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ عُبَيْدِاللَّهِ.

(٣٥) وحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَن نَافِعٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ

(٣٦) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ وَاللَّفْظُ لابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا و قَالَ الآخَرَان حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِّيُّ عَن أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَن أَبِي ذَرٍّ

(٣٧) حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ قَالُوا حَدَّثَنَا مُعَاذٌ وَهُوَ ابْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَن قَتَادَةَ عَن سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَن مَعْدَانَ ابْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ عَن ثَوْبَانَ

- وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن قَتَادَةَ عَن سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَن مَعْدَانَ عَن ثَوْبَانَ عَن النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثَ الْحَوْضِ فَقُلْتُ لِيَحْيَى بْنِ حَمَّادٍ هَذَا حَدِيثٌ سَمِعْتَهُ مِن أَبِي عَوَانَةَ فَقَالَ وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا مِن شُعْبَةَ فَقُلْتُ انْظُرْ لِي فِيهِ فَنَظَرَ لِي فِيهِ فَحَدَّثَنِي بِهِ.

(٣٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَلامٍ الْجُمَحِيُّ حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ يَعْنِي ابْنَ مُسْلِمٍ عَن مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

- وحَدَّثَنِيهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِهِ.

٥٢٢٤- ٣٩/١٦ عَن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ(٣٩) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَدْرُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ. وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

٥٢٢٥- ٤٠/١٧ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(٤٠) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي. حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ، اخْتُلِجُوا دُونِي. فَلأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ! أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي. فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

٥٢٢٦- ٠٠/٠٠ وَفِي رواية عَن أَنَسٍ ﷺ(٠٠) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: بِهَذَا الْمَعْنَى. وَزَادَ «آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ».

٥٢٢٧- ٤١/١٨ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(٤١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ».

٥٢٢٨- ٤٢/١٩ عَن أَنَسٍ ﷺ(٤٢) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. بِمِثْلِهِ. غَيْرَ أَنَّهُمَا شَكَّا فَقَالا: أَوْ مِثْلَ مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَعَمَّانَ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ «مَا بَيْنَ لابَتَيْ حَوْضِي».

٥٢٢٩- ٤٣/٢٠ عَن قَتَادَةَ(٤٣) قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

٥٢٣٠- ٠٠٠/٠٠٠ وَفِي رواية عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(٠٠٠) أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ مِثْلَهُ، وَزَادَ «أَوْ أَكْثَرُ مِن عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

٥٢٣١- ٤٤/٢١ عَن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ(٤٤) عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلا إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ. وَإِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ. كَأَنَّ الأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ».

---

(٣٩) و حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُ

(٤٠) و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ الصَّفَّارُ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ صُهَيْبٍ يُحَدِّثُ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ

(٠٠) و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالا حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ ح و حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ جَمِيعًا عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ عَنْ أَنَسٍ

(٤١) وحَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّيْمِيُّ وَهُرَيْمُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى وَاللَّفْظُ لِعَاصِمٍ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ سَمِعْتُ أَبِي حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ

(٤٢) وحَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا هِشَامٌ ح وحَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ كِلاهُمَا عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ

(٤٣) وحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرُّزِّيُّ قَالا حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ

(٠٠٠) وحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ

(٤٤) حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعِ بْنِ الْوَلِيدِ السَّكُونِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ خَيْثَمَةَ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ جَابِرٍ

٥٢٣٢- ٤٥/٢٢ عَن عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ(٤٥) قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ مَعَ غُلامِي نَافِعٍ: أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ فَكَتَبَ إِلَيَّ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ «أَنَا الْفَرَطُ عَلَى الْحَوْضِ».

المعنى العام

إن أفضل ما يقدم إلى العطشان الظمآن جرعة ماء، فإذا كان الظمأ شديداً لم يسبق له مثيل، وإذا كانت الشربة بما هو أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك، فى أباريق من ذهب وفضة، صافية لامعة كالنجوم فى الليل، وإذا كان الساقى هو أحب حبيب كان فى الدنيا، وإذا كان الشراب يروى رياً، لا يظمأ شاربه بعده أبدا. إذا كان الأمر كذلك كانت المنة أعظم منه، والفضل خير الفضل، والإحسان أفضل إحسان.

فى الموقف العظيم يوم القيامة يشتد الحر، وتدنو الشمس من الرءوس، فيعرق الناس، فمنهم من يبلغ عرقه عقبه، ومنهم من يبلغ عرقه نصف ساقه، ومنهم من يبلغ ركبته، ومنهم من يبلغ فخذه، ومنهم من يبلغ خاصرته، ومنهم من يبلغ منكبه، ومنهم من يبلغ فاه، ومنهم من يغطيه عرقه، حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعا، تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين، ثم تدنو من جماجم البشر، حتى تكون قاب قوسين، فيعرقون، حتى يرشح العرق فى الأرض قامة، ومن هذا الظمأ الشديد يتفرق الناس إلى الصراط، فيجد المؤمنون فى طريقهم حوضًا من شراب، مربع المساحة، طوله كعرضه، ضلعه مئات الأميال، يتسع لكل الواردين عليه، دون زحام، عليه أباريق وكيزان، كعدد النجوم فى السماء الصافية التى لا غيم فيها ولا قمر، إذا مد المؤمن يده إلى الإبريق، أسرع الإبريق مملوءا إلى يده، ثم إلى فمه، لا عناء، ولا مشقة، إذا نظر إلى مائه وجده أشد بياضاً من اللبن، وإذا وصلت رائحة الشراب إلى أنفه أحس أنه أطيب من المسك، وإذا تذوقه وجده أحلى من العسل، وأبرد من الثلج، متعة لم تخطر على قلب بشر، بعد حرمان وحاجة إليها لم تخطر على قلب بشر، ولمن هذا الحوض؟ ومن أين شرابه، إنه لمحمد ﷺ، أكرمه ربه به، ليكرم به أمته، إن صاحبه الرءوف الرحيم واقف، يرحب بالواردين، وملائكة اللّه تحيط بهم فى بهجة وسرور، تقول لهم: اشربوا هنيئا بما كنتم تعملون، محمد ﷺ يقف بجوار الحوض، وعلى قمته، وفى يده عصا صغيرة، أعظم من عصا موسى، بإشارتها يبتعد عن الحوض من لا يستحق الشرب، ويقرب من الحوض من هو أهل له، وبإشارتها يقدم إلى الحوض أناس على أناس، على أساس صالح أعمالهم وجهادهم فى الدنيا، ينظمهم وينظم ورودهم بإشارة عصاه، وهو فرح بهم، مسرور بكثرتهم، لكن فى غمرة هذا السرور يفاجأ بمنظر رهيب، جماعة ممن كانوا أصحابه، يعرفهم ويعرفونه، يردون نحو الحوض، ينادون: أنقذنا يا محمد. عطاشى يا محمد. ويتجه الرسول ﷺ نحوهم ليساعدهم، فتحول الملائكة بينه وبينهم، فيقول للملائكة: هؤلاء

(٤٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالا حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَعِيلَ عَنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ مِسْمَارٍ عَن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ

أصحابى. هؤلاء أصحابى. هم منى ومن أمتى، إننى أعرفهم ويعرفوننى؟ إلى أين تذهبون بهم، فتقول الملائكة: إلى النار، فيقول: ولماذا؟ فيقولون: إنك لا تدرى ماذا أحدثوا فى دينهم بعد موتك، إنهم بدلوا، وغيروا، وكفروا، وارتدوا، فيقول: سبحانك ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

ونرجع إلى المنظر البديع، منظر الحوض والشاربين، إن ماءه لا يغيض، ولا يفيض، لا يرتفع و لا يزيد ولا ينخفض عن مستواه، ولا ينقص رغم شرب الملايين وملايين الملايين، إن مدده من نهر الكوثر الذى يجرى فى الجنة، يصب فيه، فإذا رفعت بصرك إلى أعلى رأيت عجبا، ميزابين فى الفضاء، أحدهما من ذهب، والآخر من فضة، يمسكهما الله، ما يمسكهما من أحد من بعده، إنهما يمتدان فى السماء إلى الجنة، فيلقيان من شرابها فى هذا الحوض قطعا قطعا، لا تسأل: كيف؟ ولا تعجب، فإنها أحوال الآخرة، فإنها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، سقانا الله من حوضه صلى الله عليه وسلم، شربة لا نظمأ بعدها أبداً.

المباحث العربية

(**أنا فرطكم على الحوض**) الفرط بفتح الفاء والراء، والفارط هو الذى يتقدم الوارد، ليصلح له الحياض، والدلاء، ونحوها من أمور الاستسقاء، فمعنى: « أنا فرطكم على الحوض »، أى سابقكم لأهيئ وأعد لكم حوضى للشرب منه.

و « الحوض » « ال » فيه للعهد، أى حوض النبى ﷺ، وجمع الحوض حياض وأحواض، وهو مجمع الماء، وهل للنبى ﷺ حوض واحد؟ أو أكثر؟ وهل للأنبياء أحواض؟ وأين مكان الحوض من أحداث يوم القيامة قبل الصراط؟ أو بعده؟ سيأتى تفصيل ذلك فى فقه الحديث.

وقد تكلمت الروايات عن مساحته، وعن مائه، وعن أكوابه، وعمن يرده، وعمن يحال بينهم وبينه، فعن مساحته: تقول الرواية الثالثة « حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء » وتقول الرواية الثامنة « إن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة » و « أيلة » بفتح الهمزة وسكون الياء، مدينة، كانت عامرة، بطرف بحر القلزم، من طرف الشام، قال الحافظ ابن حجر: وهى الآن خراب، يمر بها الحاج من مصر، فتكون شماليهم، ويمر بها الحاج من غزة وغيرها، فتكون أمامهم، وإليها تنسب العقبة المشهورة عند المصريين، وبينها وبين المدينة النبوية نحو الشهر، بسير الأثقال، إن اقتصروا كل يوم على مرحلة.

وهى من مصر على أكثر من النصف من ذلك، وهى دون الثلث بين مصر ومكة، وهى أقرب لمصر. وقد مر قريبا أن صاحب أيلة جاء إلى رسول الله ﷺ وصالحه، وقال النووى: بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق نحو اثنتى عشرة مرحلة، وبينها وبين مصر نحو ثمان مراحل، فهى متوسطة بين المدينة، ودمشق ومصر.

أما الجحفة فهى على نحو سبع مراحل من المدينة، فى الطريق إلى مكة، أو ثلاث مراحل من مكة، والمسافة بالمراحل لم تكن محددة، لأن المقصود بها كان المسافة التى تتعب عندها الإبل فى

مسيرها، فينزل الركب ليستريح ويريح الرواحل، فبعضهم يقدرها بأربعة برد، وبعضهم يقدرها ببريدين، وحتى البريد بعضهم يقدره بفرسخين، وبعضهم يقدره بأربعة فراسخ، وحتى الفرسخ بعضهم يقدره بثلاثة أميال، وبعضهم يقدره بستة أميال، فما بين أيلة والجحفة يزيد على ثنتين وعشرين مرحلة، ولو قدرنا المرحلة بأربعة برد، والبريد بأربعة فراسخ، والفرسخ بثلاثة أميال، تصبح المسافة بين أيلة والجحفة ستة وخمسين ميلا وألف ميل، وإذا كان هذا عرض حوضه صلى الله عليه وسلم، وزواياه سواء، أى مربع الشكل كانت مساحته نحو مليون ومائة وخمسة عشر ألف ومائة وستة وثلاثين ميلا.

وفى الرواية الحادية عشرة « إن أمامكم حوضا، ما بين ناحيتيه، كما بين جربا وأذرح » وجرباء بفتح الجيم وسكون الراء، تأنيث أجرب، جاءت فى البخارى ممدودة، وقال النووى: الصواب أنها مقصورة، قال: والمد خطأ، وأثبت صاحب التحرير المد، وجوز القصر، وأما « أذرح » فبهمزة مفتوحة، ثم ذال ساكنة، ثم راء مضمومة، بعدها حاء، قال النووى: هذا هو الصواب المشهور، ورواه بعضهم بالجيم، وهو تصحيف، وهى مدينة فى طرف الشام، فى قبلة الشوبك، بينها وبينه نحو نصف يوم، وهى فى طرف الشراط -بفتح الشين - فى طرفها الشمالى، و« تبوك » فى قبلة « أذرح » بينهما نحو أربع مراحل، وبين « تبوك » ومدينة النبى ﷺ نحو أربع عشرة مرحلة.

يقول الراوى عن هاتين المدينتين (جربا وأذرح) « قريتين بالشام، بينهما مسيرة ثلاث ليال » وقد غلطه الحافظ صلاح الدين العلائى، وقال: ليس كما قال، بينهما غلوة سهم، وهما معروفتان بين القدس والكرك، قال: وقد ثبت القدر المحذوف عند الدارقطنى وغيره، بلفظ « ما بين المدينة، وجرباء وأذرح »، اهـ فالمسافة نحو أربع عشرة مرحلة.

وفى الرواية الثالثة عشرة « عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة » قال النووى: وأما عمان فبفتح العين وتشديد الميم، وهى بلدة بالبلقاء من الشام، والمعروف فى روايات الحديث وغيرها ترك صرفها. وتنسب إلى البلقاء لقربها منها، والبلقاء بلدة معروفة فى فلسطين، والظاهر أن فيه مقدراً محذوفا، كسابقه أى ما بينهما وبين المدينة، ففى الرواية المتممة للعشرين « مثل ما بين المدينة وعمان »، وفى الرواية السادسة عشرة « قدر حوضى كما بين أيلة وصنعاء من اليمن » وكذا فى الرواية الثانية والعشرين، وقوله « من اليمن » احتراز من صنعاء التى بالشام، وفى رواية « مثل عدن وأيلة » وفى أخرى « أبعد من أيلة إلى عدن » وفى رواية « ما بين عمان إلى أيلة » و« عمان » هذه بضم العين وفتح الميم مخففة، بلد معروف على ساحل البحر من جهة البحرين، وفى رواية كما بين صنعاء إلى المدينة وفى رواية ما بين بصرى إلى صنعاء أو ما بين أيلة إلى مكة وبصرة بضم الباء وسكون الصاد بلد معروف بطرف الشام من جهة الحجاز وفى رواية ما بين « مكة وعمان » وفى رواية « ما بين صنعاء ومكة » وفى رواية « كما بين البيضاء إلى بصرى » والبيضاء بالقرب من الربذة، البلد المعروف بين مكة والمدينة.

قال الحافظ ابن حجر: وهذه المسافات متقاربة، وكلها ترجع إلى نحو نصف شهر، أو تزيد قليلا

أو تنقص، وقد جمع العلماء بين هذا الاختلاف، فقال عياض: هذا من اختلاف التقدير، لأن ذلك لم يقع فى حديث واحد، حتى يعد اضطراباً من الرواة، وإنما جاء فى أحاديث مختلفة، عن غير واحد من الصحابة، سمعوه فى مواطن مختلفة.

وكان النبى ﷺ يضرب فى كل منها مثلا لبعد أقطار الحوض وسعته، بما يسنح له من العبارة، ويقرب ذلك، للعلم ببعد بين البلاد النائية، بعضها عن بعض، لا على إرادة المسافة المحققة. قال: فبهذا يجمع بين الألفاظ المختلفة من جهة المعنى، وتعقبه الحافظ ابن حجر، من جهة أن ضرب المثل والتقدير إنما يكون فيما يتقارب، وأما هذا الاختلاف المتباعد، الذى يزيد تارة على ثلاثين يوما، وينقص إلى ثلاثة أيام، فلا.

وقال القرطبى: ظن بعض الجاهلين أن الاختلاف فى قدر الحوض اضطراب، وليس كذلك، ثم نقل كلام القاضى عياض، وزاد: وليس اختلافا، بل كلها تفيد أنه كبير، متسع، متباعد الجوانب، ثم قال: ولعل ذكره للجهات المختلفة بحسب من حضره، ممن يعرف تلك الجهة، فيخاطب كل قوم بالجهة التى يعرفونها.

وأجاب النووى بأنه ليس فى ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكبيرة، والأكثر ثباتا بالحديث الصحيح، فلا معارضة، قال الحافظ ابن حجر: وحاصله أنه يشير إلى أنه أخبر أولا بالمسافة اليسيرة، ثم أعلم بالمسافة الطويلة، فأخبر بها، كأن اللّٰه تفضل عليه باتساعه، شيئا بعد شيء، فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة، واللّٰه أعلم.

وعن مائه وأكوابه تقول الرواية الثالثة « ماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء » قال النووى: هكذا هو فى جميع النسخ « الورق » بكسر الراء، وهو الفضة، قال: والنحويون يقولون: إن فعل التعجب الذى يقال فيه: هو أفعل من كذا (يقصد أفعل التفضيل فهو هنا أفعل تفضيل، وليس أفعل تعجب، وإن كان هذا الشرط واحدا فيهما) إنما يكون فيما كان ماضيه على ثلاثة أحرف، فإن زاد لم يتعجب من فاعله - أى ولم يصغ منه أفعل التفضيل إلا بواسطة - وإنما يتعجب من مصدره، فلا يقال: ما أبيض زيدا، ولا زيد أبيض من عمر، وإنما يقال: ما أشد بياضه، وهو أشد بياضا من كذا، وقد جاء فى الشعر أشياء من هذا الذى أنكروه، فعدوه شاذا، لا يقاس عليه، وهذا الحديث يدل على صحته، وهى لغة، وإن كانت قليلة الاستعمال، ومنها قول عمر: ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

وفى الرواية الثانية عشرة « فيه أباريق كنجوم السماء » وفى الرواية الثالثة عشرة « لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا فى الليلة المظلمة المصحية، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل » وفى الرواية الرابعة عشرة « وسئل عن شرابه فقال: أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، يغت فيه ميزابان، يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من الورق » وفى الرواية السادسة عشرة « وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء » وفى الرواية الواحدة والعشرين « ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء » زاد فى ملحق الرواية « أو أكثر من عدد نجوم السماء » وفى الرواية الثانية والعشرين « كأن الأباريق فيه النجوم ».

فتحصل لنا من أوصاف أوانيه:

من حيث العدد: هى أكثر من عدد نجوم السماء، زاد فى الرواية الثالثة عشرة « ألا فى الليلة المظلمة المصحية » و « ألا » للتنبيه والتأكيد، ورؤية النجوم فى الليلة المظلمة التى لا قمر فيها أكثر وضوحا ولمعانا، وأكثر عددا. قال النووى: المختار والصواب أن هذا العدد للآنية على ظاهره، وأنها أكثر عددا من نجوم السماء، ولا مانع عقلى ولا شرعى يمنع من ذلك، بل ورد الشرع به مؤكدا، كما قال صلى الله عليه وسلم « والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء » كذا فى الرواية الثالثة عشرة - وقال القاضى عياض: هذا إشارة إلى كثرة العدد، وغايته الكثرة، من باب قوله صلى الله عليه وسلم « لا يضع العصا عن عاتقه » - كناية عن كثرة السفر - وهو من باب المبالغة، معروف فى الشرع واللغة، ولا يعد كذبا إذا كان المخبر عنه فى حيز الكثرة والعظم ومبلغ الغاية فى بابه، بخلاف ما إذا لم يكن كذلك، قال: ومثله « كلمته ألف مرة » و « لقيته مائة كرة » فهذا جائز إذا كان كثيرا، وإلا فلا. قال النووى: هذا كلام القاضى، والصواب الأول.

من حيث الجنس: الذهب والفضة.

من حيث النوع والشكل: آنية. إبريق. كوز وكلها إناء له عروة، وكأن اختياره هنا لأن الشارب سيغمسه فى الحوض بيده، فناسبه ما له عروة، بخلاف الشراب فى الجنة، فإنه فى كأس أو كوب، يملأ من غيب إلى عبد.

من حيث اللون: أشد بياضا من اللبن، وأبيض من الفضة اللامعة.

من حيث الطعم: أحلى من العسل.

من حيث الرائحة: أطيب من المسك.

من حيث البرودة: عند أحمد « أبرد من الثلج » وعند البزار والترمذى « وماؤه أشد برداً من الثلج ».

من حيث الليونة: عند ابن أبى عاصم وابن أبى الدنيا « وألين من الزبد ».

من حيث مصدر مائه: فى روايتنا الرابعة عشرة « يغت فيه ميزابان، يمدانه من الجنة، أحدهما ذهب، والآخر من الورق » ومعنى « يغت » بفتح الياء وضم الغين وكسرها، وتشديد التاء، أى يدفقان فيه من أعلى، وقيل: يصبان فيه دائما صبا شديدًا، ووقع فى بعض النسخ « يعب » بضم العين، بعدها باء، والعب الشرب بسرعة فى نفس واحد، ووقع فى رواية « يثعب » بثاء وعين وباء، أى ينفجر.

و« ميزابان » تثنية ميزاب، وأصله « مئزاب » بهمز فخففت إلى ياء، وهو أنبوب أو قناة يصرف بها الماء من سطح بناء إلى وضع عال، وفى الرواية الثالثة عشرة « آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة » يشخب بضم الخاء وفتحها، والشخب السيلان وأصله ما خرج من تحت يد الحالب عند كل غمرة، وعصرة لضرع الشاة.

وقال الحافظ ابن حجر: الكوثر نهر داخل الجنة، ماؤه يصب فى الحوض، ويطلق على الحوض كوثر، لأنه يمد منه، فهو مادة الحوض، كما جاء صريحاً فى حديث البخارى « بينما أن أسير فى

الجنة، إذا أنا بنهر، حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، فإذا طيبه – أو طينه – مسك أزفر».

وأما عمن يرده، ويشرب منه، ومن يحال بينهم وبينه: فتقول الرواية الثانية « من شرب لم يظمأ أبداً، وليردن علىَّ أقوام أعرفهم ويعرفونى، ثم يحال بينى وبينهم، فأقول: إنهم منى؟ فيقال: إنك لا تدرى ما عملوا بعدك، فأقول: سحقا. سحقا لمن بدل بعدى » وتقول الرواية الرابعة « إنى على الحوض، حتى أنظر من يرد علىَّ منكم، وسيؤخذ أناس دونى، فأقول: يا رب. منى ومن أمتى؟ فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم » وفى الرواية الخامسة « إنى على الحوض أنتظر من يرد علىَّ منكم، فوالله، ليتقطعن دونى رجال فلأقولن: أى رب منى ومن أمتى؟ فيقول: إنك لا تدرى ما عملوا بعدك، مازالوا يرجعون على أعقابهم » وفى الرواية السادسة « إنى لكم فرط على الحوض، فإياي، لا يأتين أحدكم فيذب عنى، كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقا » وفى الرواية التاسعة « أنا فرطكم على الحوض، ولأنازعن أقواما، ثم لأغلبن عليهم، فأقول: يا رب. أصحابى؟ أصحابى؟ فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » وفى الرواية الرابعة عشرة « إنى لبعقر حوضى » أى لواقف فى قاعدته « أذود الناس لأهل اليمين » أى أدفع الناس، لأوسع لأهل اليمين أن يشربوا « أضرب بعصاى حتى يرفض عليهم » بفتح الياء وسكون الراء وفتح الفاء وتشديد الدال، أى حتى يتفرقوا عنهم، ويخلص لهم، وفى الرواية الخامسة عشرة « لأذودن عن حوضى رجالا، كما تذاد الغريبة من الإبل » وفى الرواية السابعة عشرة « ليردن علىَّ الحوض رجال، ممن صاحبنى، حتى إذا رأيتهم، ورفعوا إلى، اختلجوا دونى » بضم التاء وكسر اللام وضم الجيم، أى جذبوا وانتزعوا بعيدا عنى « فلأقولن: أى رب. أصيحابى؟ أصيحابى؟، فليقالن لى: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » وفى رواية للبخارى « إنى فرطكم على الحوض، من مر علىَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردن علىَّ أقوام، أعرفهم و يعرفونى، ثم يحال بينى وبينهم » وفى رواية له « يرد على يوم القيامة رهط من أصحابى، فيجلون عن الحوض » بضم الياء وسكون الجيم وفتح اللام، أى يطردون ويبعدون وفى رواية « فيحلئون عنه » بضم الياء وفتح الحاء، وتشديد اللام المفتوحة، بعدها همزة مضمومة، أى يطردون « فأقول: يارب أصحابى؟ فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى » وفى رواية له « بينا أنا قائم، فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بينى وبينهم، فقال: هلم. فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بينى وبينهم، فقال: هلم. قلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل الغنم » أى لا يخلص من هؤلاء الذين وفدوا من الحوض، وكادوا يردونه فصدوا عنه، والهمل بفتحتين الإبل بلا راع أو الضالة، أى لا يرد منهم إلا القليل، لأن الهمل فى الإبل قليل بالنسبة لغيره.

من هذه الروايات يتبين:

– أن من شرب من الحوض لا يظمأ أبداً. قال القاضى: ظاهره أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار، فهذا هو الذى لا يظمأ بعده، قال: وقيل: لا يشرب منه إلا من قدر له السلامة من

النار، قال: ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة، وقدر عليه دخول النار، لا يعذب فيها بالظمأ، بل يكون عذابه بغير ذلك، لأن ظاهر هذا الحديث أن جميع الأمة يشرب منه، إلا من ارتد، وصار كافرا، وسيأتى مزيد لهذه المسألة فى فقه الحديث.

(**من ورد شرب**) أى من ورد حوضى، وفى الكلام قيد ملاحظ، أى من ورد الحوض ومكن من الشرب، ففى الأحاديث السابقة أن قوما يردون، فيذادون، فلا يشربون، ففى الرواية السابعة عشرة « ليردن على الحوض رجال » وفى روايتنا الثانية عشرة « من ورد فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدا » أو المراد من الورود الورود المفضى إلى الشرب الموصل إليه فعلا، والمراد من الورود مع الذود، والطرد، القرب والدنو منه.

(**ليردن علىَّ أقوام أعرفهم ويعرفونى**) بعلامات، وليست المعاصرة والرؤية الدنيوية شرطاً للمعرفة، ففى الرواية الرابعة والخامسة « منى ومن أمتى » لكن فى الرواية السابعة عشرة « ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى » وفى الرواية التاسعة « فأقول: يارب، أصحابى. أصحابى؟ فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » فالظاهر أن المراد المعرفة بالرؤية والصحبة الشرعية، ويكونون ممن قتلوا فى حروب الردة مثلا.

(**ثم يحال بينى وبينهم**) بينت رواية البخارى السابقة أحداث هذه الحيلولة، وإلى أين يذهبون، وفى الرواية التاسعة « ولأنازعن أقواما، ثم لأغلبن عليهم ».

(**إنك لا تدرى ما عملوا بعدك**) فى الرواية الرابعة « أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم » كناية عن الردة والرجوع عن الإسلام، وفى الرواية السادسة والتاسعة « إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ».

(**فأقول: سحقا. سحقا. لمن بدل بعدى**) « سحقا » بسكون الحاء، ويجوز ضمها، ومعناه بعدًا بعدًا، ونصب بتقدير فعل، أى ألزمهم الله سحقا، يقال: سحقه الله وأسحقه، أى أبعده، وسحقته الريح، أى طردته، وأبعدته، والجملة خبرية.

(**فقالت لماشطتها: كفى رأسى**) بضم الكاف وتشديد الفاء، أى اجمعى شعرى وضميه بعضه إلى بعض، لأغطيه، وأخرج.

(**صلى على أهل أحد صلاته على الميت**) قال النووى: أى دعا لهم بدعاء صلاة الميت.

(**وإنى قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض**) قال النووى: هكذا هو فى جميع النسخ « مفاتيح » فى اللفظين، بالياء، قال القاضى: وروى « مفاتح » بحذف الياء، فمن أثبتها فهو جمع مفتاح، ومن حذفها فهو جمع مفتح، وهما لغتان فيه.

وفى الرواية الثامنة « ثم صعد المنبر، كالمودع للأحياء والأموات » أى خرج إلى قتلى أحد، ودعا لهم، دعاء مودع، ثم دخل المدينة، فصعد المنبر، فكانت خطبته هذه آخر ما خطب، خطبة مودع، حتى قال النواس بن سمعان: قلنا: يارسول الله، كأنها موعظة مودع.

وتوديع الأحياء ظاهر، لأن سياقه يشعر بأن ذلك كان فى آخر حياته صلى الله عليه وسلم، وأما

توديع الأموات، فيحتمل أن يكون الصحابى أراد بذلك انقطاع زيارته الأموات بجسده، لأنه بعد موته -وإن كان حيا - فهى حياة أخروية، لا تشبه الحياة الدنيا، ويحتمل أن يكون المراد بتوديع الأموات، استغفاره لهم.

(**فكانت آخر ما رأيت رسول اللّه ﷺ على المنبر**) أى فكانت هذه الخطبة آخر خطبه صلى اللّه عليه وسلم على المنبر، واكتفى بنفى الرؤية ليكون صادقا، إذ يحتمل أنه صلى اللّه عليه وسلم لم يره.

(**فقال له المستورد: ألم تسمعه قال: الأوانى؟ قال: لا**) أى قال المستود لشيخه: ألم تسمع شيخك يذكر فى الحديث وصف أوانى الحوض؟ قال الشيخ: لا. لم أسمع.

(**فقال المستورد: ترى فيه الآنية مثل الكواكب**) « ترى » بضم التاء، مبنى للمجهول، بمعنى « تظن » و « الآنية » نائب فاعل، وهى للجنس، فما صدقها متعدد، و « مثل » مفعول منصوب، والمعنى تظن الأوانى فى الحوض مثل الكواكب، يخيل لرائيها أنها كواكب فى الكثرة والصفاء واللمعان.

(**إن أمامكم حوضا**) بفتح الهمزة، أى قدامكم زمنا، وفى رواية « حوضى ».

(**والذى نفسى بيده. لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا فى الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة، من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه**) أى آخر حياته، أى أبدا، قال النووى: وأما قوله صلى اللّه عليه وسلم « آنية الجنة » فضبطه بعضهم برفع « آنية » وبعضهم بنصبها، وهما صحيحان فمن رفع فخبر مبتدأ محذوف، أى هي آنية الجنة، ومن نصب فبإضمار « أعنى » أو نحوه.

(**إنى لبعقر حوضى**) العقر بضم العين وفتحها، مع سكون القاف، وهو أصل كل شيء، وعقر الدار وسطها.

(**أذود الناس لأهل اليمن**) أى أدفعهم بعيدا، لأخلى الحوض أو أوسع لشرب أهل اليمن، لسبقهم إلى الإسلام، وتمسكهم به، وإخلاصهم له، ورقة قلوبهم فيه.

(**أضرب بعصاى، حتى يرفض عليهم**) أى حتى يسيل عليهم، ويتمكنوا منه، قال القاضى: وعصاه المذكورة فى هذا الحديث هى المكنى عنها بالهراوة فى وصفه صلى اللّه عليه وسلم فى كتب الأوائل بصاحب الهراوة، قال أهل اللغة: الهراوة بكسر الهاء العصا، قال: ولم يأت لمعناها فى صنعه صلى اللّه عليه وسلم تفسير إلا ما يظهر فى هذا الحديث، قال النووى: وهذا الذى قال فى تفسير الهراوة بهذه العصا بعيد أو باطل، لأن المراد بوصفه بالهراوة تعريفه بصفته، يراها الناس معه، فيستدلون بها على صدقه، وأنه المبشر به، المذكور فى الكتب السابقة، فلا يصح تفسيرها بعصا تكون فى الآخرة، والصواب فى تفسير صاحب الهراوة ما قاله الأئمة المحققون أنه صلى اللّه عليه وسلم كان يمسك القضيب بيده كثيرا، وقيل: لأنه كان يمشى والعصا بين يديه، وتغرز له، فيصلى إليها، وهذا مشهور فى الصحيح.

(لأذودن عن حوضى رجالا، كما تذاد الغريبة من الإبل) قال النووى: معناه كما يذود الساقى الناقة الغريبة عن إبله، إذا أرادت الشرب مع إبله. اهـ والحكمة فى الذود المذكور، أنه صلى اللّٰه عليه وسلم يريد أن يرشد كل أحد إلى حوض نبيه، على ما تقدم أن لكل نبى حوضا، وبأنهم يتباهون بكثرة من يتبعهم، فيكون ذلك من جملة إنصافه، ورعاية إخوانه من النبيين، لا أنه يطردهم بخلا عليهم بالماء، ويحتمل أنه يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض. كذا قال الحافظ ابن حجر، وفيه نظر، فليس فى الحديث إشارة إلى الدلالة على حوض آخر، وكل ما فيه الإبعاد عن حوضه، والاحتمال الثانى صحيح، ولا شىء فيه، والظاهر أن هؤلاء الرجال من أمم أخرى غير الإسلام، لتشبيههم بالإبل الغريبة.

(حتى إذا رأيتهم، ورفعوا إلىَّ اختلجوا دونى) «ورفعوا إلى» بالبناء للمجهول، أى أظهرهم اللّٰه حتى أعرفهم اقتطعوا وانتزعوا بعيدا عنى.

(ما بين لابتى حوضى) أى ما بين ناحيتى حوضى، كما جاء فى الرواية الثامنة عشرة، وأصلها الأرض ذات الحجارة السود، فأطلقت على مطلق شاطئ الحوض.

فقه الحديث

قال النووى: قال القاضى عياض رحمه اللّٰه: أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول، ولا يختلف فيه، قال القاضى: وحديثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة، فذكره مسلم من رواية ابن عمرو بن العاص وعائشة وأم سلمة، وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب، والمستورد وأبى ذر، وثوبان وأنس وجابر بن سمرة، ورواه غير مسلم من رواية أبى بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبى أمامة وعبد اللّٰه ابن زيد، وأبى برزة وسويد بن جبلة، وعبد اللّٰه بن الصنابحى والبراء بن عازب وأسماء بنت أبى بكر وخولة بنت قيس وغيرهم. قال النووى: ورواه البخارى ومسلم أيضا من رواية أبى هريرة، ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو وآخرين، وقد جمع ذلك كله الإمام الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتابه البعث والنشور، بأسانيده وطرقه المتكاثرات، قال القاضى: وفى بعض هذا ما يقتضى كون الحديث متواتراً، اهـ وزاد الحافظ ابن حجر طرقا أخرى، ثم قال:

فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفسا، وزاد عليه النووى ثلاثة، وزدت عليهم أجمعين قدر ما ذكروه، فزادت العدة على الخمسين، ولكثير من هؤلاء الصحابة زيادة على الحديث الواحد، كأبى هريرة وأنس وابن عباس وأبى سعيد وعبد اللّٰه بن عمرو، وأحاديثهم بعضها فى مطلق ذكر الحوض، وفى صفته قال:وبلغنى أن بعض المتأخرين وصلها إلى رواية ثمانين صحابيا.

وقال القرطبى فى المفهم: مما يجب على كل مكلف أن يعلمه، ويصدق به أن اللّٰه تعالى قد خص نبيه محمدا ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه فى الأحاديث الصحيحة الشهيرة التى يحصل بمجموعها العلم القطعى، وقد أجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف، وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة، وأحلوه عن ظاهره، وغالوا فى تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية، تلزم من

حمله على ظاهره وحقيقته، ولا حاجة تدعو إلى تأويله، فخرق من حرفه إجماع السلف، وفارق مذهب أئمة الخلف، قال الحافظ ابن حجر: أنكره الخوارج وبعض المعتزلة.

وقد اختلف العلماء فى موقع الحوض والشرب منه من أحداث الآخرة، فبعضهم يرى أنه بعد الصراط، وبعضهم يرى أنه قبل الصراط، وبعضهم يرى أن للنبى ﷺ حوضين أحدهما قبل الصراط والآخر بعد الصراط فى الجنة.

قال الحافظ ابن حجر: وإيراد البخارى لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة، وبعد نصب الصراط إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط، والمرور عليه، وقد أخرج أحمد والترمذى عن أنس قال: « سألت رسول اللّه ﷺ أن يشفع لى، فقال: أنا فاعل، فقلت: أين أطلبك؟ قال: اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: أنا عند الميزان. قلت فإن لم ألقك؟ قال: أنا عند الحوض ».

وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط، بما جاء فى بعض أحاديث الباب من أن جماعة يدفعون عن الحوض، بعد أن يكادوا يردون، ويذهب بهم إلى النار، ووجه الإشكال أن الذى يمر على الصراط إلى أن يصل إلى الحوض، يكون قد نجا من النار، فكيف يرد إليها؟ قال الحافظ: ويمكن أن يحمل على أنهم يقربون من الحوض، بحيث يرونه ويرون النار، فيدفعون إلى النار، قبل أن يخلصوا من بقية الصراط. اهـ وهذا احتمال بعيد مستبعد.

وذهب القرطبى إلى أن الحوض يكون قبل الصراط، فإن الناس يردون الموقف عطاشى، فيرد المؤمنون الحوض، وتتساقط الكفار فى النار، بعد أن يقولوا: ربنا عطشنا؟ فترفع لهم جهنم، كأنها سراب، فيقال: ألا ترون؟ فيظنونها ماء، فيتساقطون فيها، وقد رد عليه الحافظ ابن حجر بأن الصراط جسر جهنم، وأنه بين الموقف والجنة، وأن المؤمنين يمرون عليه، لدخول الجنة، فلو كان الحوض دونه لحالت النار بينه وبين الماء الذى يصب من الكوثر فى الحوض، وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة، لينصب فيه الماء من النهر الذى داخلها.

قال القرطبى: والصحيح أن للنبى ﷺ حوضين، أحدهما فى الموقف، قبل الصراط، والآخر داخل الجنة، وكل منهما يسمى كوثرا.

ويؤخذ من الأحاديث فوق ما تقدم

١- من قوله فى الرواية السابعة « وإنى واللّه لأنظر إلى حوضى الآن » قال النووى: هذا تصريح بأن الحوض حوض حقيقى، على ظاهره، وأنه مخلوق موجود الآن.

٢- وفيه جواز الحلف من غير استحلاف، لتفخيم الشيء وتوكيده.

٣- ومن قوله « أعطيت مفاتيح خزائن الأرض » معجزة لرسول اللّه ﷺ، فإن معناه الإخبار بأن أمته تملك خزائن الأرض، وقد وقع ذلك والحمد للّه.

٤- ومن قوله « وإنى واللّه ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى » أن الأمة لا ترتد جملة، وقد عصمها اللّه تعالى من ذلك.

٥- ومن قوله « ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها » أن الأمة ستتنافس فى الدنيا، وقد وقع ذلك أيضا.

٦- وأنها ستتقاتل من أجل الدنيا، ويهلك بعضها بعضها، وقد وقع.

٧- ومن قوله فى الرواية السابعة أيضا « وأنا شهيد عليكم » أن الرسول ﷺ شهيد على أمته.

٨- ومن حديث أم سلمة، روايتنا السادسة، من قولها « إنى من الناس » دليل لدخول النساء فى خطاب الناس، وهذا متفق عليه، وإنما اختلفوا فى دخولهن فى خطاب الذكور، قال النووى: ومذهبنا أنهن لا يدخلن فيه.

٩- وفيه إثبات القول بالعموم.

١٠- قال الحافظ ابن حجر: وقد اشتهر اختصاص نبينا ﷺ بالحوض، لكن أخرج الترمذى من حديث سمرة، رفعه « إن لكل نبى حوضا » وقد أشار الترمذى إلى أنه اختلف فى وصله وإرساله، وأن المرسل أصح. قال الحافظ ابن حجر: والمرسل أخرجه ابن أبى الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ « إن لكل نبى حوضا، وهو قائم على حوضه، بيده عصا، يدعو من عرف من أمته، إلا أنهم يتباهون أيهم أكثر تبعا، وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم تبعا » وعند ابن أبى الدنيا، من حديث أبى سعيد، رفعه « وكل نبى يدعو أمته، ولكل نبى حوض، فمنهم من يأتيه الفئام » - الجماعة الكثيرة فوق الأربعين - « ومنهم من يأتيه العصبة » - من العشرة إلى الأربعين - « ومنهم من يأتيه الواحد، ومنهم من يأتيه الاثنان، ومنهم من لا يأتيه أحد، وإنى لأكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة » قال الحافظ ابن حجر: فإن ثبت فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر، الذى يصب من مائه فى حوضه، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه به فى السورة المذكورة.

١١- ومن الرواية الرابعة عشرة كرامة لأهل اليمن، فى تقديمهم للشرب منه.

١٢- ومن قوله « أصحابى؟ أصحابى؟ » فى الرواية التاسعة، وقوله فى الرواية الثانية « أعرفهم ويعرفونى » دليل لصحة تأويل من تأول أنهم أهل الردة، ولهذا قال فيهم: « سحقا. سحقا » ولا يقول ذلك فى مذنبى الأمة بل يشفع لهم، ويهتم لأمرهم.

١٣- ومن حديث أم سلمة، روايتنا السادسة الخطبة عند الأمر الهام.

والله أعلم

(٦٠٩) باب إكرامه صلى الله عليه وسلم بقتال الملائكة معه

٥٢٣٣- ٤٦/١ عَن سَعْدٍ ﷺ(٤٦) قَالَ: رَأَيْتُ عَن يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَن شِمَالِهِ، يَوْمَ أُحُدٍ، رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيَاضٍ. مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلا بَعْدُ. يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلام.

٥٢٣٤- ٤٧/٢ عَن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ(٤٧) قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ يَوْمَ أُحُدٍ، عَن يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَن يَسَارِهِ، رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ. يُقَاتِلانِ عَنْهُ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ. مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلا بَعْدُ.

المعنى العام

يقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ۝ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ ءَالافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ۝ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ۝ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٧]

إن كفار قريش فى غزوة بدر لم يكونوا يتجاوزون الألف، ولم تكن هزيمتهم فى حاجة إلى مثل هذا العدد من الآدميين، فضلا عن الملائكة، ولكنه التكريم، وزف البشرى للنبى ﷺ والمؤمنين، وزيادة اطمئنان لهم بالنصر منذ الضربة الأولى، وليعلم المؤمنون أن النصر من عند الله.

لكن تكريما آخر من نوع جديد، ليس له مثيل فى تاريخ البشرية، ينهزم جيش المسلمين فى أحد، ويولون الأدبار، وقد أعلن أعداء الإسلام أن محمدا قتل، فر بعضهم حتى وصل إلى المدينة، وفر بعضهم فى شعاب الجبال، لينجو بنفسه، ويقف رسول الله ﷺ وليس معه، أو حوله سوى سبعة من الأنصار، وسبعة من قريش، أربعة عشر أمام جيش الكفر، كل أمنيتهم أن يقتلوا محمدا، كيف لم يصلوا إليه؟ كيف لم يقتلوه؟ أين رماتهم؟ ونبالهم؟ وسيوفهم؟ ورماحهم؟ لقد روى عبد الرزاق أنهم ضربوا وجه النبى ﷺ يومئذ بالسيف سبعين ضربة » كيف طاشت هذه الضربات؟ أو من الذى حماه منها؟ جواب كل ذلك فى هذا الحديث.

يقول سعد بن أبى وقاص ﷺ لقد رأيت يوم أحد، عن يمين رسول الله ﷺ، وعن يساره

---

(٤٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ وَأَبُو أُسَامَةَ عَن مِسْعَرٍ عَن سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَن أَبِيهِ عَن سَعْدٍ

(٤٧) وحَدَّثَنِي إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ حَدَّثَنَا سَعْدٌ عَن أَبِيهِ عَن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ

رجليـن، عليهمـا ثيـاب بيـض، يقـاتلان عنـه، كأشـد القتـال، مـا رأيتهمـا قبـل هـذا اليـوم، ومـا رأيتهمـا بعـد انتهـاء المعركـة.

إنهما جنديان من جنود اللّه ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١] وأى تكريم لمحمد ﷺ يفوق هذا التكريم؟ وأى حماية تعلو هذه الحماية؟ وصدق اللّه العظيم إذ يقول ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] صلى اللّه وسلم وبارك عليه.

المباحث العربية

(**رأيت عن يمين رسول اللّه ﷺ، وعن شماله يوم أحد رجلين**) الكلام على التوزيع، أى عن يمينه رجل، أى ملك فى صورة رجل، وعن شماله رجل، أو كانا يتبادلان المواقع، فكل منهما عن يمينه وشماله والظاهر الأول.

(**ما رأيتهما قبل ولا بعد**) كناية عن كونهما غريبين، وجبريل وميكائيل بالنسبة له كذلك.

(**يقاتلان عنه، كأشد قتال**) فرق بين « يقاتلان عنه » أى يدافعان عنه، ويصدان ضربات الكفار الموجهة إليه، ويحميانه ويعصمانه، وبين يقاتلان معه، أى يضربان الكفار، ويحاربونهم معه ومع أصحابه، وقوله « كأشد قتال » صفة لمصدر محذوف، أى قتالا مشبها أشد القتال.

فقه الحديث

ترجم النووى - رحمه اللّه - لهذا الحديث بباب إكرامه صلى اللّه عليه وسلم بقتال الملائكة معه صلى اللّه عليه وسلم، ولا يؤخذ هذا من الحديث، إذ لفظه « يقاتلان عنه » وفرق بين اللفظين، كما ذكرنا فى المباحث العربية.

وقتال الملائكة أو نزول الملائكة فى المعارك ثابت بنص القرآن الكريم، إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ۞ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ ءَالافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ۞ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ۞ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ۞ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٧] قال الحافظ ابن حجر: اختلف أهل التأويل فى متعلق قوله ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فمنهم من قال: هى متعلقة بقوله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ فهى فى قصة بدر، وعليه عمل البخارى، وهو فى قول الأكثر، وبه جزم الداودى، وقيل: هى متعلق بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] فعلى هذا هى متعلقة بغزوة أحد، وهو قول عكرمة وطائفة. اهـ.

وعلى كل. هل قاتلت الملائكة؟ أو نزلت للتثبيت والمدد وتكثير العدد؟ فقيل: إنها لم تقاتل أصلا، إذ لو قاتلت ما كانت هناك موازنة بين جيش المسلمين والكفار، ولما حصلت الهزيمة فى أحد، ولما

كان للمجاهدين فضل، بل كان يكفى قتال ملك واحد، فجبريل عليه السلام قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه، وقيل: قاتلت قتالا يحفظ التوازن فى الصورة، ليكون الفعل فى الظاهر للنبى ﷺ وأصحابه، وقيل: قاتلت فى بدر، وكانت مددا فى أحد، وقد روى البخارى عن ابن عباس - رضى اللّٰه عنهما- قال: « قال النبى ﷺ يوم أحد: هذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب » قال الحافظ ابن حجر: هذا الحديث وهم من وجهين، أحدهما أن هذا الحديث تقدم بسنده ومتنه فى باب شهود الملائكة بدرا، ولهذا لم يذكره هنا أبو ذر ولا غيره من متقنى رواة البخارى، ولا استخرجه الإسماعيلى و لا أبو نعيم، ثانيهما أن المعروف فى هذا المتن « يوم بدر » لا يوم أحد.

قال القرطبى فى تفسيره: فإن قيل: قد ثبت عن سعد بن أبى وقاص أنه قال: « رأيت عن يمين رسول اللّٰه ﷺ يوم أحد، رجلين عليهما ثياب بيض، يقاتلان عنه أشد القتال، ما رأيتهما من قبل ولا بعد » قيل: لعل هذا مختص بالنبى ﷺ، وخصه بملكين يقاتلان عنه، لا يقاتلان عن الصحابة، اهـ.

وقيل: إن فى حديث سعد بن أبى وقاص وهما، ففى بعض النسخ « يوم بدر » لا يوم أحد، على أن الغرض من نزول هذين الملكين فى « أحد » حماية الرسول ﷺ من الكفار، كما أوضحنا، واللّٰه أعلم.

ويؤخذ من الحديث

١- فضيلة الثياب البيض.

٢- وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء.

٣- ومنقبة لسعد بن أبى وقاص، الذى رأى الملائكة.

٤- وفيه كرامة للنبى ﷺ على اللّٰه تعالى، وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل عنه.

٥- وبيان أن الملائكة تقاتل.

٦- وأن الملائكة تنزل فى صورة الرجال.

واللّٰه أعلم

(٦١٠) باب من شجاعته صلى الله عليه وسلم

٥٢٣٥- ٤٨/١ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(٤٨) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ. وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ. وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ. وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ. فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا» قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا. أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ» قَالَ وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ.

٥٢٣٦- ٤٩/٢ عَن أَنَسٍ ﷺ(٤٩) قَالَ: كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَزَعٌ. فَاسْتَعَارَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَسًا لأَبِي طَلْحَةَ يُقَالُ لَهُ مَنْدُوبٌ. فَرَكِبَهُ فَقَالَ «مَا رَأَيْنَا مِن فَزَعٍ. وَإِنْ وَجَدْنَاهُ لَبَحْرًا».

٥٢٣٧- وَفِي رواية عَن شُعْبَةُ، بِهَذَا الإِسْنَادِ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: فَرَسًا لَنَا. وَلَمْ يَقُلْ: لأَبِي طَلْحَةَ. وَفِي حَدِيثِ خَالِدٍ: عَن قَتَادَةَ، سَمِعْتُ أَنَسًا.

المعنى العام

الشجاعة صفة محمودة، ما لم تصل إلى حد التهور، والإقدام بدون حكمة، والجبن صفة مذمومة كان الرسول ﷺ يقول: اللهم إنى أعوذ بك من الجبن.

وللرسول ﷺ مواقف تشهد له بالشجاعة، بل مواقف شجاعة انفرد بها من بين أصحابه، وهذا الحديث صورة من صور شجاعته صلى الله عليه وسلم، يسمع ويسمع أصحابه أصواتا خارج المدينة، وهم يتوقعون أن يهاجمهم الأعداء فى أى لحظة، فيظنون الأصوات هجوما، فيبادر صلى الله عليه وسلم بسيفه نحو مصدر الصوت، ويسبق إليه جميع الصحابة، حتى إنه ليكتشف الأمر ثم يعود، قبل أن يصل إليه السابقون من الصحابة، فيقابلهم، هو فى طريق العودة، وهم فى طريق الذهاب، برغم أن الفرس الذى ركبه لهذه المهمة كان مستعاراً مشهوراً بالبطء فى سيره، لكن الله أكرمه، فحول الفرس من بطء إلى سرعة وجودة سير.

ومواقف شجاعته صلى الله عليه وسلم لا تحصى، ويكفينا مثلا عليها ما رواه البخارى فى غزوة

---

(٤٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا و قَالَ الآخَرَان حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَن ثَابِتٍ عَن أَنَسٍ

(٤٩) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَن شُعْبَةَ عَن قَتَادَةَ عَن أَنَسٍ

– وحَدَّثَنَاه مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ح وحَدَّثَنِيهِ يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ قَالا حَدَّثَنَا شُعْبَةُ

حنين، فقد ولى المسلمون وفروا حين رشقتهم هوازن بالنبال، عشرة آلاف أو يزيدون، يفرون ويقف صلى اللّه عليه وسلم وحده على بغلته البيضاء، وهو يقول: أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، ويضرب بالسيف، ويبعث من ينادى على الفارين، فيعودون، ويقاتلون، فينتصرون.

لقد سأل رجل البراء بن عازب سؤالا خبيثا، فقال له: يا أبا عامر، أوليتم مع النبى ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول اللّه ﷺ لم يفر، لقد كانت هوازن رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا على الغنائم، فاستقبلنا بالسهام، ولقد رأيت رسول اللّه ﷺ على بغلته البيضاء، وهو يقول أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب صلى اللّه عليه وسلم.

المباحث العربية

(**أحسن الناس**) خلقا وخلقا.

(**وأشجع الناس**) الشجاعة وسط بين التهور والجبن، بضم الجيم وسكون الباء.

(**ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة**) الفزع الخوف الشديد المفاجئ، وكان خوفهم من إغارة أعدائهم الكفار من حولهم، الذين يتربصون بهم، وكان فزعهم لسماعهم أصواتا خارج المدينة، ظنوها جيش أعداء، وفى الرواية الثانية « كان بالمدينة فزع » أى وجد بالمدينة فزع.

(**فانطلق ناس قبل الصوت**) بكسر القاف وفتح الباء، أى جهة الصوت، لاستطلاع الخبر، ولرد الاعتداء.

(**فتلقاهم رسول اللّه ﷺ راجعا، وقد سبقهم إلى الصوت**) إلى مكان مصدر الصوت، فلم يجد ما يخيف، فرجع إلى المدينة سريعا، ليطمئنهم، فالتقى فى طريق عودته بالناس المنطلقين نحوه.

(**وهو على فرس لأبى طلحة عرى**) بضم العين وسكون الراء، أى ليس عليه سراج ولا أداة، قالوا: ولا يقال فى الآدميين: رجل عرى، إنما يقال: عريان، قال الحافظ ابن حجر: وحكى ابن التين أنه ضبط فى الحديث بكسر الراء وتشديد الياء، وليس فى كتب اللغة ما يساعده، اهـ وفى رواية « استقبلهم على فرس عرى، ما عليه سرج » بضم السين والراء، وأبو طلحة هو أبو زيد بن سهل، زوج أم سليم، أم أنس، وفى الرواية الثانية « فاستعار النبى ﷺ فرسا لأبى طلحة، يقال له: مندوب، فركبه » وفى ملحق الرواية الثانية يقول أنس « استعار فرسا لنا » وهو كذلك، فأبو طلحة زوج أمه. والظاهر أن رسول اللّه ﷺ لم يكن عنده فرس و لا بغلة حينئذ، وهو فى حاجة إلى الإسراع.

قال النووى: وقع فى هذا الحديث تسمية هذا الفرس مندوبا، قال القاضى: وقد كان فى أفراس النبى ﷺ « مندوب » فلعله صار إليه، بعد أبى طلحة. هذا كلام القاضى، قلت: ويحتمل أنهما فرسان، اتفقا فى الاسم

(**فى عنقه السيف**) تعليق السيف فى العنق يحتاجه الفارس كثيرا، ليكون أعون له على مهامه الأخرى، وهو يشير إلى أنه لم يخرج أعزل مخاطرا، بل مسلحا مقداما.

(**وهو يقول: لم تراعوا. لم تراعوا**) مرتين، وفى رواية مرة واحدة، و « تراعوا » بضم التاء، مبنى للمجهول، مجزوم بحذف النون، يقال: راع، يروع، روعا بفتح الراء، فزع، وراع الأمر فلانا أفزعه، ثلاثى، وأراعه أفزعه أيضا من الرباعى. والمعنى لم يخفكم أحد، وليس فى الأمر شيء يفزعكم، وفى الرواية الثانية « ما رأينا من فزع » أى من شيء يفزع، قال النووى: « لم تراعوا » أى روعا مستقرا، أو روعا يضركم. اهـ يجيب بذلك عما قد يقال: كيف ينفى عنهم الروع، وقد حصل لهم الروع؟ وقد أجبنا بأن النفى موجه إلى سبب الروع، لا إلى الروع نفسه، حتى يجيب بما أجاب، وجوابنا أقرب إلى المراد.

(**قال: وجدناه بحرا - أو إنه لبحر - قال: وكان فرسا يبطأ**) أى كان فرس أبى طلحة فرسا يتهم بالبطء، ويوصف بسوء السير، وفى الكلام تقديم وتأخير، والأصل: وكان فرس أبى طلحة فرسا يبطأ - بضم الياء وفتح الباء، وجدناه بعد أن ركبه النبى ﷺ بحرا، أى واسع الخطو، سريع الجرى، قال الأصمعى: يقال للفرس: بحر، إذا كان واسع الجرى، أو لأن جريه لا ينفد، كما لا ينفد البحر، أى التشبيه بالبحر إما فى السعة، وإما فى الكثرة وعدم الانقطاع.

وفى الرواية الثانية « وإن وجدنا لبحراً » قال الخطابى: « إن » هى النافية، واللام فى « لبحراً » بمعنى « إلا » أى ما وجدناه إلا بحراً، قال ابن التين: هذا مذهب الكوفيين، وعند البصريين « إن » مخففة من الثقيلة، واللام زائدة. وهذه الجملة من مقوله صلى الله عليه وسلم، ثناء على الفرس الذى كانوا يتندرون ببطئه، وفى رواية البخارى « فلما رجع قال: ما رأينا من شيء، وإن وجدناه لبحرا » وفى روايتنا الثانية « ما رأينا من فزع، وإن وجدناه لبحراً ».

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- من شدة عجلته صلى الله عليه وسلم فى الخروج إلى العدو، قبل الناس كلهم، وتعريض نفسه لمواجهة العدو بمفرده، شجاعته صلى الله عليه وسلم.

٢- وفيه جواز سبق الإنسان وحده فى الكشف عن أخبار العدو، ما لم يتحقق الهلاك.

٣- واستحباب تقلد السيف فى العنق.

٤- واستحباب تبشير الناس بعدم الخوف، وبث الاطمئنان فيهم إذا ذهب ما يخيف.

٥- وفيه عظيم بركته صلى الله عليه وسلم ومعجزته فى انقلاب الفرس سريعا، بعد أن كان يبطأ.

٦- وفيه جواز ركوب الفرس العرى.

٧- وتواضعه صلى الله عليه وسلم.

٨- وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الفروسية البالغة، فإن الركوب المذكور، لا يفعله إلا من أحكم الركوب، وأدمن على الفروسية.

٩- وأنه ينبغي للفارس أن يتعاهد الفروسية، ويروض طباعه عليها، لئلا يفجأه شدة، فيكون قد استعد لها. قاله الحافظ ابن حجر.

١٠- وجواز استعارة الفرس ونحوه، والعارية بتشديد الياء ويجوز تخفيفها هي هبة المنافع، دون الرقبة، قال الحافظ ابن حجر:ويجوز توقيتها، وإذا تلفت في يد المستعير ضمنها، إلا فيما إذا كان ذلك من الوجه المأذون فيه.

والله أعلم

(٦١١) باب جوده صلى اللّه عليه وسلم

٥٢٣٨- ٥٠/١ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٥٠] قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ. وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلام كَانَ يَلْقَاهُ، فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ. فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ. فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.

المعنى العام

يراجع المعنى العام لأحاديث باب فى سخائه صلى اللّه عليه وسلم الآتى بعد باب واحد.

المباحث العربية

(**كان رسول اللّه ﷺ أجود الناس بالخير**) « أجود » بالنصب، خبر « كان » والمعنى كان أكثر الناس جودا، والجود الكرم، وهو من الصفات المحمودة، وقدم ابن عباس هذه الجملة على ما بعدها على سبيل الاحتراس من مفهوم ما بعدها، لئلا يتخيل من قوله « وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان » أن الأجودية منه خاصة برمضان، فأثبت له الأجودية المطلقة أولا، ثم عطف عليها زيادة ذلك فى رمضان، وقوله « بالخير » أعم من الصدقة ومن المال، إذ الجود فى الشرع إعطاء ما ينبغى لمن ينبغى، وعند الترمذى عن أنس، رفعه « أنا أجود ولد آدم، وأجودهم بعدى رجل علم علما، فنشر علمه، ورجل جاد بنفسه فى سبيل اللّه ».

(**وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان**) برفع « أجود » فى أكثر الروايات، على أنه اسم « كان » وخبره محذوف، وهو نحو أخطب ما يكون الأمير فى يوم الجمعة، أو هو مرفوع على أنه مبتدأ، مضاف إلى المصدر، وهو « ما يكون » فما مصدرية، وخبره « فى شهر رمضان » والتقدير: أجود أكوان رسول اللّه ﷺ فى رمضان.

وفى رواية « أجود » بالنصب، على أنه خبر « كان » وتعقب بأنه يلزم منه أن يكون خبرها اسمها، وأجيب بجعل اسم « كان » ضمير النبى ﷺ، و « أجود » خبرها، والتقدير: كان رسول اللّه ﷺ مدة كونه

---

(٥٠) حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ ح و حَدَّثَنِي أَبُو عِمْرَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ زِيَادٍ وَاللَّفْظُ لَهُ أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ
– و حَدَّثَنَاه أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ مُبَارَكٍ عَنْ يُونُسَ ح و حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ كِلاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

فى رمضان أجود منه فى غيره. قال النووى: الرفع أشهر، والنصب جائز، قال الحافظ ابن حجر: ويرجح الرفع وروده بدون « كان » عند البخارى فى الصوم .

(**إن جبريل عليه السلام كان يلقاه**) الجملة مستأنفة استئنافا تعليليا، لبيان سبب الأجودية المذكورة، ففى رواية للبخارى « لأن جبريل كان يلقاه فى كل ليلة فى شهر رمضان » وفى رواية أخرى له « وكان أجود ما يكون فى رمضان، حين يلقاه جبريل » وفى آخر روايتنا « فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة ».

(**فى كل سنة فى رمضان، حتى ينسلخ**) أى شهر رمضان، أى حتى ينقضى، قال النووى: هكذا فى جميع النسخ « فى كل سنة » ونقله القاضى عن عامة الروايات والنسخ، قال: وفى بعضها « كل ليلة » بدل « كل سنة » قال: وهو المحفوظ، لكنه بمعنى الأول، لأن قوله « حتى ينسلخ » بمعنى كل ليلة اهـ. فالمراد من الروايتين: فى كل سنة فى كل ليلة من رمضان، أى بالإضافة إلى لقاءات أخرى فى السنة، لأسباب أخرى.

(**فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن**) أى ما نزل منه، وفى هذه الرواية أن رسول الله ﷺ هو الذى كان يعرض، وفى رواية للبخارى « كان جبريل يعرض القرآن على النبى ﷺ » والمعنى يستعرضه ما أقرأه إياه، فيحمل الأمر على أن كلا منهما كان يعرض على الآخر، ويؤيده رواية للبخارى « فيدارسه القرآن ».

(**فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة**) مبالغة فى التشبيه، وذلك أنه أثبت له أولاً وصف الأجودية، ثم أراد أن يصفه بأزيد من ذلك، فشبه جوده بالريح المرسلة، بل جعله أبلغ فى ذلك منها، لأن الريح قد تسكن، ووصفها بالمرسلة المبشرة بالخير، المطلقة ليحترس بذلك عن الريح العقيم الضارة، والمرسلة يستمر إرسالها مدة إرسالها، وكذا كان عمله صلى الله عليه وسلم فى رمضان، ديمة لا ينقطع، فشبهه بريح الرحمة التى يرسلها الله تعالى، لإنزال الغيث العام، الذى يكون سببا لإصابة الميتة وغير الميتة، أى فيعم خيره وبره من هو بصفة الفقر والحاجة، ومن هو بصفة الغنى والكفاية، عموما أكثر من عموم الغيث الناشئ عن الريح المرسلة.

واستعمل أفعل التفضيل فى الإسناد الحقيقى والمجازى، لأن الجود من النبى ﷺ حقيقة، والجود من الريح مجاز، فكأنه استعار للريح جودا، باعتبار مجيئها بالخير، فأنزلها منزلة من جاد، وفى تقديم معمول « أجود » وهو « بالخير » على المفضل عليه نكتة لطيفة، وهى أنه لو أخره، لظن تعلقه بالمرسلة، وهذا وإن كان صحيح المعنى، إلا أنه تفوت به المبالغة، لأن المراد وصفه بزيادة الأجودية على الريح المرسلة مطلقا. قاله الحافظ ابن حجر.

فقه الحديث

ويؤخذ من الحديث فوق ما تقدم

١- استحباب زيارة الصلحاء وأهل الخير فى رمضان.

٢- وتكرار ذلك إذا كان المزور لا يكرهه.

٣- واستحباب الإكثار من القراءة فى رمضان، لأن رمضان موسم الخيرات، ونعم اللّه على عباده زائدة فيه، وفيه تضاعف الحسنات.

٤- وأن قراءة القرآن أفضل من سائر الأذكار، إذ لو كان الذكر أفضل أو مساويا، لفعله رسول اللّه ﷺ وجبريل عليه السلام، فاجتمع بذلك أفضلية النازل، وأفضلية المنزول عليه، والمنزول به، والوقت.

٥- قال الحافظ ابن حجر:وفيه إشارة إلى أن ابتداء نزول القرآن كان فى شهر رمضان، لأن نزوله إلى السماء الدنيا جملة واحدة كان فى رمضان، كما ثبت من حديث ابن عباس، فكان جبريل يتعاهده فى كل سنة، فيعارضه بما نزل عليه، من رمضان إلى رمضان، فلما كان العام الذى توفي فيه عارضه به مرتين، كما ثبت فى الصحيح.

٦- وفيه أن القرآن يطلق على بعضه، وعلى معظمه، كما يطلق على كلمه، لأن أول رمضان من البعثة لم يكن نزل من القرآن إلا بعضه، ثم كذلك كل رمضان بعده إلى رمضان الأخير، فكان قد نزل كله، إلا ما تأخر نزوله بعد رمضان المذكور، وكان فى سنة عشر، إلى أن مات رسول اللّه ﷺ فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة، ومما نزل فى تلك المدة قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فإنها نزلت يوم عرفة، والنبى ﷺ فى عرفة، بالاتفاق، وكأن الذى نزل فى تلك الأيام لما كان قليلا بالنسبة لما تقدم اغتفر أمر معارضته، قال الحافظ ابن حجر: فيستفاد من هذا أن القرآن يطلق على البعض مجازا، ومن ثم لا يحنث من حلف: ليقرأن القرآن، فقرأ بعضه، إلا إن قصد الجميع، قال: ويحتمل أنه صلى اللّه عليه وسلم كان يقسم ما نزل من القرآن فى كل سنة على ليالى رمضان أجزاء، فيقرأ كل ليلة جزءا فى جزء من الليلة، ثم يشتغل فى ليلة بسوى ذلك من تهجد بالصلاة ومن راحة بدن، ومن تعاهد أهل، ولعله كان يعيد الجزء مرارا، وبتعدد الحروف المأذون فى قراءتها، لتستوعب بركة القرآن جميع الشهر، ولولا التصريح بأنه كان يعرضه مرة واحدة، وفى السنة الأخيرة عرضه مرتين، لجاز أنه كان يعرض جميع ما نزل عليه كل ليلة، ثم يعيده فى بقية الليالى، وفى هذه المعارضة يحكم اللّه ما يشاء، وينسخ ما يشاء.

٧- وفيه أن مداومة تلاوة القرآن توجب زيادة الخير.

٨- وفيه المذاكرة مع الفاضل فى القرآن والعلم، وإن كان الفاضل لا يخفى عليه ما يذاكره للعبادة، وزيادة الاتعاظ.

٩- وفيه أن فضل الزمان إنما يحصل بزيادة العبادة فيه.

١٠- وأن ليل رمضان أفضل من نهاره.

١١- وأن المقصود من التلاوة الحضور والفهم، لأن الليل مظنة ذلك، لما فى النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية.

١٢- وفيه جواز قول « رمضان » من غير « شهر».

١٣- وفيه الحث على الجود فى كل وقت.

١٤- واستحباب زيادة الجود فى رمضان، وعند الاجتماع بأهل الصلاح.

١٥- وفيه تشبيه المعقول بالمحسوس، لتقريبه إلى الأذهان.

١٦- وفيه جوده صلى اللّه عليه وسلم.

١٧- وفيه استحباب تكثير العبادة فى آخر العمر.

وسيأتى بعد باب واحد أمثلة ووقائع
من جوده صلى اللّه عليه وسلم

(٦١٢) باب حسن خلقه صلى اللَّه عليه وسلم

٥٢٣٩- ٥١/١ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه(٥١) قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ. وَاللّهِ! مَا قَالَ لِي: أُفًّا قَطُّ. وَلا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلا فَعَلْتَ كَذَا؟ زَادَ أَبُو الرَّبِيعِ لَيْسَ مِمَّا يَصْنَعُهُ الْخَادِمُ وَلَمْ يَذْكُرْ قَوْلَهُ وَاللّهِ.

٥٢٤٠- ٥٢/٢ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه(٥٢) قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، أَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي. فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، إِنَّ أَنَسًا غُلامٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ. قَالَ: فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ. وَاللّهِ! مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ: لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟.

٥٢٤١- ٥٣/٣ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه(٥٣) قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ. فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَكَذَا وَلا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ.

٥٢٤٢- ٥٤/٤ عَن أَنَسٌ رضي الله عنه(٥٤): كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِن أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا. فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ. فَقُلْتُ: وَاللّهِ! لا أَذْهَبُ. وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللّهِ ﷺ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ. فَإِذَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِن وَرَائِي. قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ: فَقَالَ«يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللّهِ.

– قَالَ أَنَسٌ: وَاللّهِ! لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ. مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: هَلا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا.

٥٢٤٣- ٥٥/٥ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه(٥٥) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا.

---

(٥١) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ قَالا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَن ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
– وحَدَّثَنَاه شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا سَلامُ بْنُ مِسْكِينٍ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ عَن أَنَسٍ بِمِثْلِهِ.

(٥٢) وحَدَّثَنَاه أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعًا عَن إِسْمَعِيلَ وَاللَّفْظُ لأَحْمَدَ قَالا حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ عَن أَنَسٍ

(٥٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ حَدَّثَنِي سَعِيدٌ وَهُوَ ابْنُ أَبِي بُرْدَةَ عَن أَنَسٍ

(٥٤) حَدَّثَنِي أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ زَيْدُ بْنُ يَزِيدَ أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ قَالَ قَالَ إِسْحَقُ قَالَ أَنَسٌ

(٥٥) وحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ وَأَبُو الرَّبِيعِ قَالا حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَن أَبِي التَّيَّاحِ عَن أَنَسٍ

المعنى العام

يقول صلى الله عليه وسلم « خير ما أعطى الناس خلق حسن » ويقول « إن أفضل شيء فى الميزان الخلق الحسن » ويقول « إن لكل دين خلقا، وخلق الإسلام الحياء » ويقول « إن خياركم أحسنكم خلقا » ويقول « إن أحبكم إلى، وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون » ويقول « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ».

وكان صلى الله عليه وسلم على قمة مكارم الأخلاق، حتى قال عنه ربه عز وجل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وأبرز المواطن التى تظهر فيها الأخلاق المحمودة، والمذمومة مواطن التعامل مع الخلق، وأبرز هذه المواطن معاملة السيد للخادم.

ومن هنا ساق العلماء - دليلا على حسن خلقه صلى الله عليه وسلم - أحاديث معاملته صلى الله عليه وسلم لخادمه أنس، فقد هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ولا خادم له، وأسلمت أم سليم، أم أنس وهو ابن عشر سنين، ومن حبها لرسول الله ﷺ، ورغبة منها فى توثيق العلاقة والصلة به، قدمت ابنها هذا لرسول الله ﷺ خادما، فكان نعم الخادم، عند خير مخدوم. خدم عشر سنين، فرأى رسول الله ﷺ لم يضرب بيده الكريمة امرأة ولا خادما قط، بل كان عف اللسان، ليس فاحشا ولا متفحشا، ولا سبابا، ولا لعانا، حتى عند الغضب، وعند وقوع ما يستحق اللوم والعقاب، وعند رؤيته ما يكره، لدرجة أنه ما عاب طعاما قط، بل كان إذا اشتهاه أكله، وإن عافه تركه، وما أنّب خادمه يوما، وما زجره، أو عنفه، بل ما قال له يوما عن شيء فعله وهو غير مرضى: لم فعلت كذا؟ وما قال له يوما عن شيء لم يفعله، وهو مطلوب: لم لم تفعل كذا؟ بل كان يبتسم و يوجه، ويألف ويؤلف، ويحلم ويتواضع، ويعفو ويحسن صلى الله عليه وسلم.

المباحث العربية

(**خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين**) فى الرواية الثالثة وملحق الرابعة « خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين » ولا تعارض، لأن ابتداء خدمته له صلى الله عليه وسلم كان بعد قدومه المدينة، وبعد تزويج أم سليم بأبى طلحة، أى بعد قدومه صلى الله عليه وسلم ببضعة أشهر، فرواية العشر جبرت الكسر، ورواية « التسع » ألغت الكسر، والحقيقة تسع سنين وبضعة أشهر.

وفى الرواية الثانية « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة بيدى، فانطلق بى إلى رسول الله ﷺ، فقال: يارسول الله، إن أنسا غلام كيس » - بفتح الكاف وتشديد الياء المكسورة أو المخففة الساكنة بعدها سين، أى عاقل فطن، متوقد الذكاء، ضد الأحمق - « فليخدمك، قال: فخدمته فى السفر والحضر» وأشار بالسفر إلى ما حصل من أنه خرج معه صلى الله عليه وسلم إلى خيبر يخدمه، ففى البخارى « أن النبى ﷺ طلب من أبى طلحة - لما أراد الخروج إلى خيبر - من يخدمه، فأحضر له أنسا » أى طلب من أبى طلحة من يكون أسن من أنس، وأقوى على الخدمة فى السفر، وكان أنس إذ ذاك ابن ست عشرة سنة، فعرف أبو طلحة من أنس القوة على ذلك فأحضره له، فخرج معه، فلهذا

قال: خدمته فى الحضر والسفر، وفى رواية للبخارى أيضا عن أنس « كنت ابن عشر سنين، مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فكان أمهاتي -يقصد أمه وخالته ومن فى معناهما - يواظبننى - أى يرغبننى ويحثثننى - على خدمة النبى ﷺ، فقدمته أمه، أم سليم للنبى ﷺ.

(**والله ما قال لى: أفا قط**) قال الراغب: أصل الأف كل مستقذر من وسخ، كقلامة الظفر وما يجرى مجراها، ويقال ذلك لكل مستخف به، ويقال أيضا عند تكره الشيء، وعند التضجر من الشيء، واستعملوا منها الفعل، يقولون: أففت بفلان.

وفى « أف » عدة لغات: الحركات الثلاث للهمزة مع تشديد الفاء، بغير تنوين، وبالتنوين، وهى فى روايتنا « أفا » بالنصب والتنوين، على المصدرية، وهى موافقة لبعض القراءات الشاذة، وهى هنا مع ضم الهمزة والتشديد، وعلى ذلك اقتصر بعض الشراح، وذكر أبو الحسن الرمانى فيها لغات كثيرة، بلغها تسعا وثلاثين، ونقلها ابن عطية، وزاد واحدة، أكملها أربعين، ومنها الستة المتقدمة، وبتخفيف الفاء كذلك ستة أخرى، وبالسكون مشددا ومخففا، وبزيادة هاء ساكنة فى آخره مشددا ومخففا، و « أفى » بالإمالة، وبين بين، وبلا إمالة...إلخ.

وساقها الحافظ ابن حجر، فمن أرادها فليطلبها.

وأما « قط » ففيها لغات: بفتح القاف وضمها، مع تشديد الطاء المضمومة، وبفتح القاف وكسر الطاء المشددة، وبفتح القاف وإسكان الطاء، وبفتح القاف وكسر الطاء المخففة، وهى لتوكيد نفى الماضى.

(**ولا قال لى لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟ ليس مما يصنعه الخادم**) أى هذا الذى صنعت ليس مما يقبل من الخادم وفى الرواية الثانية « والله ما قال لى لشيء صنعته: لم صنعت هذا هكذا ؟ ولا لشيء لم أصنعه: لم لم تصنع هذا هكذا؟ وفى الرواية التالية « فما أعلمه قال لى قط: لم فعلت كذا وكذا ؟ ولا عاب على شيئا قط » وفى الرواية الرابعة « فما أعلمه قال لى قط: لم فعلت كذا وكذا ؟ ولا عاب على شيئا قط » وأما قوله فى الرواية الثالثة « أذهبت حيث أمرتك » ؟ فليس من قبيل ما نفاه، لأن الاستفهام هنا، وإن كان إنكاريا توبيخيا، ومعناه ما كان ينبغى أن لا تذهب، لكنه ظاهر فى العتب برفق، ويحتمل أن المراد ما قال لى كذا وكذا بغضب. بخلاف ما فى الرواية الثالثة، فقد قال وهو يضحك، فالمنفى اللوم والتأنيب كما يفعل مع الخادم، والمثبت الحض والعرض والتوجيه، كما يفعل مع الأبناء والأحبة.

(**كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا**) بضم الخاء واللام، ويجوز إسكان اللام، قال الراغب: الخلق بفتح الخاء، والخلق بضمها، فى الأصل بمعنى واحد، كالشرب والشرب، لكن خص الخلق بالفتح، بالهيئات والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق بالضم، بالقوى والسجايا، المدركة بالبصيرة، اهـ. وقد كان النبى ﷺ يقول: « اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى » وقال القرطبى فى المفهم: الأخلاق أوصاف الإنسان التى يعامل بها غيره، وهى محمودة ومذمومة، فالمحمودة على

الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك، فتنصف منها، ولا تنصف لها، وعلى التفصيل العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتوادد ولين الجانب، ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك.

(**فأرسلنى يوما لحاجة**) أى لأقضى حاجة له.

(**فقلت: واللّه لا أذهب**) الآن عاجلا، أى قلت فى نفسى ذلك، رغبة منى فى اللعب قليلا، فقد كان فوق العاشرة بقليل.

(**وفى نفسى أن أذهب لما أمرنى به نبى اللّه ﷺ**) أى لم يكن موقفى عصيان الأمر، وعدم تنفيذه، بل تأجيله قليلا وتأخيره، مع عزمى أن أنفذه.

(**فخرجت حتى أمر على صبيان، وهم يلعبون فى السوق**) أى فلعبت معهم، وانشغلت بلعبهم، وفى قوله « حتى أمر» تعبير عن الماضى بالمضارع، استحضاراً للصورة، والأصل: حتى مررت، وفى ذلك إشارة إلى أنه لم يقصد اللعب ابتداء ، بل وقع ذلك مصادفة فى مروره بهم، وهو فى طريقه لقضاء الحاجة.

(**يا أنيس: أذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت: نعم. أنا أذهب يا رسول اللّه**) الآن، فذهب و« أنيس » بضم الهمزة وفتح النون، تصغير « أنس » والجواب نعم تصديق للمخبر بنفى أو إيجاب، والاستفهام التقريرى خبر موجب، والمعنى هنا: أقر بأنك لم تذهب، فيكون الجواب نعم. أقر أننى لم أذهب، وسأذهب الآن، « وحيث » هنا ظرف مكان، مبنى على الضم فى محل نصب، كما فى قوله تعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

فقه الحديث

اختلف العلماء فى: هل حسن الخلق غريزة ؟ أو مكتسب ؟ فذهب جماعة إلى أنه غريزة، واستدلوا بحديث ابن مسعود « إن اللّه قسم أخلاقكم، كما قسم أرزاقكم » رواه البخارى، فى الأدب المفرد، وقال القرطبى فى المفهم:الخلق جبلة فى نوع الإنسان، وهم فى ذلك متفاوتون، فمن غلب عليه شيء منها، إن كان محمودا فحسن، وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه، حتى يصير محموداً، وكذا إن كان ضعيفا، فيرتاض صاحبه، حتى يقوى. اهـ

وذهب جماعة إلى أن الخلق مكتسب، لأنه يقوم، وهو بالسلوك والتعود يصبح سجية وذهب المحققون إلى أن منه ما هو غريزة، ومنه ما هو مكتسب، ويؤيدهم ما رواه أحمد والنسائى والبخارى فى الأدب المفرد وصححه ابن حبان « أن النبى ﷺ قال لأشج عبد القيس: إن فيك لخصلتين، يحبهما اللّه. الحلم والأناة، فقال: يا رسول اللّه، قديما كانا فى ؟ أو حديثا ؟ فقال: قديما. قال: الحمد للّه الذى جبلنى على خلقين يحبهما » فترديده السؤال، وتقريره عليه، يشعر بأن فى الخلق ما هو جبلى، وما هو مكتسب.

ويؤخذ من الحديث

١- بيان كمال خلقه صلى اللّه عليه وسلم، وحسن عشرته، وحلمه وصفحه.

٢- وترك العقاب على ما فات، لأن هناك مندوحة عنه باستئناف الأمر به، إذا احتيج إليه.

٣- وتنزيه اللسان عن الزجر واللوم والذم.

٤- واستئلاف خاطر الخادم.

قال الحافظ ابن حجر: وكل ذلك فى الأمور التى تتعلق بحظ الإنسان، وأما الأمور اللازمة شرعا، فلا يتسامح فيها، لأنها من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

واللّه أعلم

(٦١٣) باب في سخائه صلى الله عليه وسلم

٥٢٤٤- ٥٦/١ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٥٦) قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ، فَقَالَ: لا.

٥٢٤٥- ٥٧/٢ عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ ﷺ عَنْ أَبِيهِ(٥٧) قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الإِسْلامِ شَيْئًا إِلا أَعْطَاهُ. قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا. فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لا يَخْشَى الْفَاقَةَ.

٥٢٤٦- ٥٨/٣ عَنْ أَنَسٍ ﷺ(٥٨) أَنَّ رَجُلا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، أَسْلِمُوا. فَوَاللَّهِ! إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلا الدُّنْيَا. فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا.

٥٢٤٧- ٥٩/٤ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ(٥٩) قَالَ: غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَتْحِ مَكَّةَ. ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ. فَنَصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ. وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ، ثُمَّ مِائَةً، ثُمَّ مِائَةً. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: وَاللَّهِ! لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ. فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ.

٥٢٤٨- ٦٠/٥ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٦٠) وَزَادَ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَقَدْ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» وَقَالَ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا. فَقُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ. فَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بَعْدَهُ. فَأَمَرَ مُنَادِيًا

---

(٥٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرٌو النَّاقِدُ قَالا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
– و حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا الأَشْجَعِيُّ ح وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ مَهْدِيٍّ كِلاهُمَا عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولا مِثْلَهُ سَوَاءً.

(٥٧) و حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّيْمِيُّ حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ ﷺ عَنْ أَبِيهِ

(٥٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ

(٥٩) وحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ

(٦٠) حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ح وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ وَعَنْ عَمْرٍو عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ جَابِرٍ أَحَدُهُمَا يَزِيدُ عَلَى الآخَرِ ح وحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ وَاللَّفْظُ لَهُ قَالَ قَالَ سُفْيَانُ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ يَقُولُ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سُفْيَانُ وَسَمِعْتُ أَيْضًا عَمْرَو بْنَ دِينَارٍ يُحَدِّثُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ

فَنَادَى: مَنْ كَانَتْ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِ. فَقُمْتُ فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» فَحَثَى أَبُو بَكْرٍ مَرَّةً. ثُمَّ قَالَ لِي: عُدَّهَا. فَعَدَدْتُهَا فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِائَةٍ.فَقَالَ: خُذْ مِثْلَيْهَا.

٥٢٤٩- ٦١/٦ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٦١) قَالَ: لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ جَاءَ أَبَا بَكْرٍ مَالٌ مِن قِبَلِ الْعَلاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَيْنٌ، أَوْ كَانَتْ لَهُ قِبَلَهُ عِدَةٌ، فَلْيَأْتِنَا. بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ عُيَيْنَةَ.

المعنى العام

الجود والكرم والسخاء، خلق أصيل من أخلاق العرب قبل الإسلام، كانوا يتفاخرون به، ويتنافسون فيه، حتى قال شاعرهم:

أوقد فإن الليل ليل قر   والريح يا غلام ريح صر

لعل أن يبصرها المعتر   إن جلبت ضيفا فأنت حر

لكنهم كانوا يتخلقون بهذا الخلق للرياء والسمعة والفخر والثناء الجميل، لا بقصد الثواب الأخروى، ولا بقصد رفعة الإسلام، لذلك يقول الطائى:

أماوى إن المال غاد ورائح   ويبقى من المال الأحاديث والذكر

أماوى إنى لا أقول لسائل   إذا جاء يوما حل فى مالى الدهر

وقد ضرب رسول اللَّه ﷺ المثل الأعلى فى السخاء والعطاء، يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، لأنه معتمد متوكل على ربه، يجيئه الكثير، فلا يبقى منه شيئا بل يخاف أن يبيت عنده ثلاثة دنانير للغد، تنتظر الإنفاق فيخشى أن يموت فى ليلة وهى فى بيته، فينصرف من صلاة العشاء، فزعا لينفقها على الفقراء، كان معطاء للمستحقين من الأمة، حاشا أهله الذين كانوا يمر عليهم الشهر والشهران، ثلاثة أهلة فى شهرين، وما توقد فى بيت من بيوته نار، لعدم وجود ما يطهى بالنار، بينما يعطى بالمائة بعير، والمائتى بعير، وبالثلاثمائة بعير، هل رأيتم من يستدين ليتصدق ويعطى؟ كان محمد ﷺ يستدين ليتصدق ويعطى، هل رأيتم من يخنقه السائل ليعطيه، ويأمره بغلظة وجفاء وقلة أدب، فيبتسم للسائل ويعطيه؟ كان محمد ﷺ يفعل ذلك، يروى البخارى عن أنس ﷺ قال: «كنت أمشى مع النبى ﷺ، وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبى ﷺ، قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لى من مال اللَّه الذى عندك، فالتفت إليه صلى اللَّه عليه وسلم، فضحك، ثم أمر له بعطاء».

---

(٦١) مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

ويروى البخارى أيضا عن جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول اللّه ﷺ، ومعه الناس، مقبلا من حنين، تعلقت الأعراب برسول اللّه ﷺ، يسألونه أن يعطيهم، حتى اضطروه إلى أن يحتمى بشجرة، فخطفوا رداءه، فوقف رسول اللّه ﷺ، فقال: أعطونى ردائى، فلو كان عندى عدد هذه الأشجار إبلا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوننى بخيلا، ولا كذوبا، ولا جبانا ».

ويروى البخارى عن سهل بن سعد ﷺ قال: جاءت امرأة إلى النبى ﷺ ببردة، فقالت: يارسول اللّه، أكسوك هذه، فأخذها النبى ﷺ، محتاجا إليها، فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يارسول اللّه، ما أحسن هذه، فاكسنيها. فقال نعم، فأعطاها له، فلما قام النبى ﷺ لامه أصحابه، فقالوا ما أحسنت حين رأيت النبى ﷺ أخذها محتاجا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبى ﷺ، لعلى أكفن فيها » صلى اللّه وسلم وبارك على هذا الجواد الكريم.

المباحث العربية

(**سخاؤه صلى اللّه عليه وسلم**) قال أهل اللغة: السخاوة والسخاء والجود، والسخى الجواد، يقال: سخا يسخو، وسخى بكسر الخاء وفتح الياء، يسخى بفتح الخاء، وسخو الرجل بضم الخاء وفتح الواو يسخو سخاء.

وعلى هذا فذكر باب سخائه صلى اللّه عليه وسلم بعد باب جوده تفنن، وكأنه ذكر فى الباب الأول إثبات صفة الجود، وفى الباب الآخر أمثلة لهذا الجود، وقال الحافظ ابن حجر: والسخاء بمعنى الجود، وهو بذل ما يقتنى بغير عوض، وضده البخل، وهو منع ما يطلب مما يقتنى، وشره ما كان طالبه مستحقا، ولاسيما إن كان من غير مال المسئول.

(**ما سئل رسول اللّه ﷺ شيئا قط فقال: لا**) فى رواية للبخارى « ما سئل النبى ﷺ عن شيء قط فقال: لا » قال الكرمانى: معناه ما طلب منه شيء من أمر الدنيا، فمنعه، قال الحافظ ابن حجر: وليس المراد أنه يعطى ما يطلب منه جزما، بل المراد أنه لا ينطق بالرد، بل إن كان عنده أعطاه، إن كان الإعطاء سائغا، وإلا سكت، فعند ابن سعد « إذا سئل فأراد أن يفعل قال: نعم، وإذا لم يرد أن يفعل سكت » وهو قريب من حديث أبى هريرة، الماضى فى الأطعمة « ما عاب طعاما قط، إن اشتهاه أكله، و إلا تركه ».

وقال العز بن عبد السلام: معناه لم يقل: لا. منعا للعطاء، ولا يلزم من ذلك أن لا يقولها اعتذارا كما فى قوله تعالى قلت **﴿لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾** [التوبة: ٩٢] ولا يخفى الفرق بين قوله **﴿لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾** وبين لا أحملكم. اهـ وقول الفرزدق: ما قال: لا. قط إلا فى تشهده- أى فى قوله: أشهد أن لا إله إلا اللّه - من مبالغات للشعراء.

قال الحافظ ابن حجر: وفهم بعضهم من لازم عدم قول « لا » إثبات « نعم » وليس كذلك. وسيأتى مزيد لهذه المسألة فى فقه الحديث، عند الكلام على حكم البخل.

(**ما سئل رسول اللَّه ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه**) أي ما سئل في مقابل الإسلام مالا إلا أعطاه، تأليفا لقلوب الضعفاء، الذين يهمهم المال فوق أي شيء، وقد كان يعلم - بعلم من اللَّه - أن هذا الذي يعطى من أجل أن يسلم سيشرح اللَّه صدره للإسلام بعد أن يسلم، وهذا معنى قول أنس في الرواية الثالثة « إن كان الرجل ليسلم، ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها » أي فما يلبث بعد إسلامه إلا يسيراً، حتى يكون الإسلام أحب إليه، والمراد أنه يظهر الإسلام أولا للدنيا، لا بقصد صحيح بقلبه، ثم من بركة النبي ﷺ، ونور الإسلام، لا يلبث إلا قليلا، وينشرح صدره بحقيقة الإيمان، ويتمكن من قلبه، فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها،

قال النووي: هكذا هو في معظم النسخ « فما يسلم » وفي بعضها « فما يمسي » وكلاهما صحيح. اهـ

وتصديقا لهذا يصرح صفوان - في الرواية الرابعة - بأن إعطاء رسول اللَّه ﷺ له، بدأ ومحمد أبغض الناس إليه، ولم ينته حتى كان محمد أحب الناس إليه .

(**فجاءه رجل، فأعطاه غنما بين جبلين**) أي فجاءه رجل ليسلم في مقابل غنم، فأعطاه غنما كثيراً، تشغل وتملأ ما بين جبلين، فالكلام كناية عن الكثرة، وفي الرواية الثالثة « أن رجلا سأل النبي ﷺ غنما بين جبلين، فأعطاه إياه » كان الظاهر أن يقول « إياها » لأن الغنم اسم مؤنث، موضوع للجنس يقع على الذكور، وعلى الإناث، وعليهما جميعا، فإذا صغرتها أدخلت الهاء، فقلت: غنيمة، لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها، إذا كانت لغير الآدميين، فالتأنيث لها لازم، يقال: له خمس من الغنم ذكور، فيؤنث العدد، وإن قصدت الكباش، إذا كان يليه « من الغنم » لأن العدد يجري في تذكيره وتأنيثه على اللفظ، لا على المعنى، والإبل كالغنم في جميع ما ذكر، كذا في لسان العرب، فتذكير الضمير في الحديث باعتباره قطيعا، فالغنم القطيع من العنز والضأن.

(**فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم، أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاء، لا يخشى الفاقة**) في الرواية الثالثة « فأتى قومه، فقال: أي قوم. أسلموا، فواللَّه. إن محمداً ليعطي عطاء، ما يخاف الفقر».

(**وأعطى رسول اللَّه ﷺ يومئذ صفوان بن أمية....**) كانت غنيمة حنين أربعة وعشرين ألفاً من الإبل، وأربعين ألفا من الغنم، وكان صفوان بن أمية ممن خرج إلى حنين وهو لم يسلم بعد، وأعطاه رسول اللَّه ﷺ من الفيء تأليفا لقلبه، ليسلم، كما أعطى بعض كبراء قريش، قريبي عهد بكفر، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة، وأعطى عيينة بن حصن مائة، وأعطى مالك بن عوف مائة، وأعطى الأقرع بن حابس مائة، وأعطى علقمة بن علاثة مائة وأعطى العباس بن مرداس مائة.

وصفوان بن أمية بن خلف. قتل أبوه يوم بدر كافراً، قالوا: إنه هرب يوم فتح مكة، وأسلمت امرأته، فأخذ له ابن عمه أمانا من النبي ﷺ، فحضر، وحضر وقعة حنين قبل أن يسلم، قال يوم حنين: لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن، وكان صفوان أحد العشرة الذين انتهى إليهم شرف الجاهلية، ووصله لهم الإسلام من عشر بطون، ونزل صفوان - بعد حنين - على العباس بالمدينة، ثم أذن له النبي ﷺ في الرجوع إلى مكة، فأقام بها، حتى مات بها، مقتل عثمان رضي الله عنه .

(**لو قد جاءنا مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا، وقال بيديه جميعا**) أى وأشار بكفيه، وهو يقول: هكذا، والمقصود من مال البحرين مال الجزية، فقد كان رسول الله ﷺ قد صالح أهل البحرين، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمى، وكان من أهل حضرموت، وكان ذلك سنة الوفود، سنة تسع، وبعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح، فأتى بمال الجزية، فوزعه صلى الله عليه وسلم، ثم وعد جابراً أن يعطيه من جزية العام القابل.

(**فقبض رسول الله ﷺ قبل أن يجيء مال البحرين**) الموعود به.

(**فقدم على أبى بكر بعده**) أى فقدم مال البحرين على أبى بكر، بعد وفاة رسول الله ﷺ، من أميرها العلاء بن الحضرمى.

(**فأمر مناديا فنادى: من كانت له على النبى ﷺ عدة أو دين فليأت**) العدة الوعد، وفى الرواية السادسة « من كان له على النبى ﷺ دين، أو كانت له قبله » بكسر القاف وفتح الباء، أى جهته « عدة فليأتنا ».

(**فقمت فقلت...إلخ**) أى قال جابر: فذهبت إلى أبى بكر، فقلت له كذا وكذا.

(**فحثى أبو بكر مرة**) أى حثوه، يقال: حثا التراب يحثوه، حثوا، وحثى التراب يحثيه حثيا، والحثوة والحثية الغرفة والحفنة.

(**خذ مثليها**) عدا، لا حفنا وحثيا، فيكون مجموع ما أعطى جابر ألف وخمسمائة، وفى رواية للبخارى « قال جابر: فعد فى يدى خمسمائة، ثم خمسمائة، ثم خمسمائة ».

فقه الحديث

ويؤخذ من أحاديث الباب

١- جود النبى ﷺ وسخاؤه، وعدم رده للسائل، قال الحافظ ابن حجر: لكن يشكل عليه أن فى حديث الأشعرى، لما سأل الأشعريون الحملان، قال النبى ﷺ « والله لا أحملكم » قال: فيمكن أن يخص من عموم حديث جابر، بما إذا سئل ما ليس عنده، والسائل يتحقق أنه ليس عنده ذلك، أو حيث كان المقام لا يقتضى الاقتصار على السكوت، من الحالة الواقعة، أو من حال السائل، كان يكون لم يعرف العادة، فلو اقتصر فى جوابه على السكوت، مع حاجة السائل، لتمادى على السؤال مثلا، ويكون القسم على ذلك تأكيدا لقطع طمع السائل.

٢- استنبط بعضهم من الحديث تحريم البخل، لأنه من لازم عدم قول لا: إثبات نعم، ومن القواعد أنه صلى الله عليه وسلم إذا واظب على شيء، أن ذلك علامة وجوبه، فواظب على قول نعم، أو على عدم « لا » فالبخل حرام، لكن هذا الاستنباط لا يتم، لأن الذى يحرم من البخل ما يمنع الواجب، ولو سلمنا أنه يدل على الوجوب، فلنا أن نقول: إنه يختص بالنبى ﷺ، والتحقيق أن من البخل ما يحرم، ومنه ما يكره، ومنه ما يباح بل منه ما يستحب، بل ما قد يجب. والله أعلم.

٣- ومن الرواية الثانية والثالثة والرابعة إعطاء المؤلفة قلوبهم، وقد سبق، قال النووى: ولا خلاف فى إعطاء مؤلفة المسلمين، لكن هل يعطون من الزكاة؟ فيه خلاف، والأصح عندنا أنهم يعطون من الزكاة، ومن بيت المال، والثانى: لا يعطون من الزكاة، بل من بيت المال خاصة، أما مؤلفة الكفار فلا يعطون من الزكاة، وفى إعطائهم من غيره خلاف، الأصح عندنا لا يعطون، لأن اللّٰه تعالى قد أعز الإسلام عن التألف، بخلاف أول الأمر، ووقت قلة المسلمين.

٤- ومن الرواية الخامسة أخذ البخارى أن من تكفل عن ميت دينا، فليس له أن يرجع عن الكفالة، وقد استقر الحق فى ذمته، وذلك أن أبا بكر لما قام مقام النبى ﷺ تكفل لما كان عليه، من واجب أو تطوع، فلما التزم ذلك لزمه أن يوفى جميع ما عليه من دين أو عدة، وكان صلى اللّٰه عليه وسلم يحب الوفاء بالوعد، فنفذ أبو بكر ذلك.

وقد عد بعض الشافعية من خصائصه صلى اللّٰه عليه وسلم وجوب الوفاء بالوعد، أخذاً من هذا الحديث، قال المهلب: إنجاز الوعد مأمور به، مندوب إليه عند الجميع، وليس بفرض. وقال ابن عبد البر: أجل من قال بوجوبه عمر بن عبد العزيز، وعن بعض المالكية إن ارتبط الوعد بسبب، وجب الوفاء به، وإلا فلا، فمن قال لآخر: تزوج ولك كذا، فتزوج لذلك وجب الوفاء به، وخرج بعضهم الخلاف على أن الهبة هل تملك، بالقبض، أو قبله؟

٦- وفيه قبول خبر الواحد المعدل من الصحابة، ولو جر ذلك نفعا لنفسه، لأن أبا بكر لم يطلب من جابر شاهداً على صحة دعواه.

٧- قد يستدل به على جواز حكم الحاكم بعلمه، على احتمال أن أبا بكر كان يعلم هذه العدة، فحكم بعلمه.

٨- وفيه فضيلة عظمى لأبى بكر، لتحمله ما تحمل صلى اللّٰه عليه وسلم، ووفائه بالوعد الذى وعده صلى اللّٰه عليه وسلم.

واللّٰه أعلم

(٦١٤) باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال، وتواضعه وفضل ذلك

٥٢٥٠- ٦٢/١ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(٦٢) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وُلِدَ لِيَ اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفٍ امْرَأَةِ قَيْنٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو سَيْفٍ فَانْطَلَقَ يَأْتِيهِ وَاتَّبَعْتُهُ فَانْتَهَيْنَا إِلَى أَبِي سَيْفٍ وَهُوَ يَنْفُخُ بِكِيرِهِ قَدِ امْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَانًا فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا أَبَا سَيْفٍ أَمْسِكْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَمْسَكَ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبِيِّ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ فَقَالَ أَنَسٌ لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلا نَقُولُ إِلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ.

٥٢٥١- ٦٣/٢ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(٦٣) قَالَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ قَالَ عَمْرٌو فَلَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ.

٥٢٥٢- ٦٤/٣ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٦٤) قَالَتْ قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ فَقَالُوا نَعَمْ فَقَالُوا لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ و قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ مِن قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ.

٥٢٥٣- ٦٥/٤ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٦٥) أَنَّ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُ

---

(٦٢) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ وَشَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ كِلَاهُمَا عَن سُلَيْمَانَ وَاللَّفْظُ لِشَيْبَانَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

(٦٣) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ وَهُوَ ابْنُ عُلَيَّةَ عَن أَيُّوبَ عَن عَمْرِو ابْنِ سَعِيدٍ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

(٦٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ عَن هِشَامٍ عَن أَبِيهِ عَن عَائِشَةَ

(٦٥) وحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ جَمِيعًا عَن سُفْيَانَ قَالَ عَمْرٌو حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَن أَبِي سَلَمَةَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

– حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ

الْحَسَنَ فَقَالَ إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ.

٥٢٥٤- ٦٦/٥ عَن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ(٦٦) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ لا يَرْحَمِ النَّاسَ لا يَرْحَمْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

المعنى العام

أنجب صلى اللّٰه عليه وسلم من خديجة رضى اللّٰه عنها سبعة، ثلاثة ذكور، وأربع إناث، أما الذكور فهم القاسم، وبه كان يكنى، والطاهر والطيب، وقيل: إن الطاهر هو الطيب، وأما الإناث فهن فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم، وقد مات الذكور صغارا بمكة فى عهد أمهم، ومات الإناث كلهن قبله، إلا فاطمة، التى عاشت بعده ستة أشهر، ولما أهديت إليه مارية القبطية أسكنها عوالى المدينة وضواحيها بعيدة عن نسائه، ولم يقسم لها، بل كان يأتيها بدون قسم، فهى مملوكة، وشاء اللّٰه أن لا تلد له امرأة من التسع، مع أن بعضهن كانت ولوداً عند غيره، وشاء اللّٰه أن تلد الأمة ولداً، قبل وفاته صلى اللّٰه عليه وسلم بعامين، وكأى بشر كبير السن، ليس له ولد حى، فرح بالولد الجديد، فرحا كفرح زكريا بيحيى، أو كفرح إبراهيم بإسماعيل، وفى أول ليلة بشر به سماه إبراهيم، واختار له مرضعة بجوار سكن أمه، وكانت المرضعة زوجة حداد، يملأ بيته دائما بالدخان، ونفخ الكير، وأخذ رسول اللّٰه ﷺ يزور ابنه هذا بين الحين والحين، فيأخذه، فيشمه ويضمه ويقبله، ثم يسلمه لمرضعته، ويعود إلى المدينة، وكثيراً ما كان يأخذ معه أنس بن مالك خادمه، أو بعض الصحابة كعبد الرحمن بن عوف.

وشاء القدر أن لا تطول فرحة الأب بابنه، فقد مرض الطفل وعمره ثمانية عشر شهرا، وشق على الوالد مرض ولده، فذهب إليه وهو يحتضر، فأخذه وضمه وشمه وقبله، ونفسه فى حشرجة الموت، يعلو فى صدره وينخفض، إن قلب الأب يتقطع، فهو بشر، و لا يملك لفلذة كبده شيئا، وهو أرحم الناس بالناس، فكيف بابنه الوليد، لقد سقطت دمعتان من عينيه أمام أصحابه، وكان عبد الرحمن بن عوف قد سمعه ينهى عن البكاء عند الميت، فقال له: رسول اللّٰه. ما هذا الذى أرى؟ أنت تبكى؟ وكنت تنهى عن البكاء؟ فأتبع رسول اللّٰه ﷺ الدمعتين بدمعتين أخريين، وقال: إنما هذه رحمة، وشفقة، لا سخط و لا اعتراض على قدر، لكنه حزن الإنسان، الذى لا يملك دفعه أو كتمانه، وحزنى على موت

---

(٦٦) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ كِلاهُمَا عَن جَرِيرٍ ح و حَدَّثَنَا إِسْحَقُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ قَالا أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ ح و حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ح و حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ حَدَّثَنَا حَفْصٌ يَعْنِي ابْنَ غِيَاثٍ كُلُّهُمْ عَنِ الأَعْمَشِ عَن زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ وَأَبِي ظَبْيَانَ عَن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
– وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ عَن إِسْمَعِيلَ عَن قَيْسٍ عَن جَرِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ح و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ قَالُوا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَن عَمْرٍو عَن نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ عَن جَرِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ الأَعْمَشِ

إبراهيم شديد، وعاش صلى اللّٰه عليه وسلم بعده ثلاثة أشهر، وكان صلى اللّٰه عليه وسلم عطوفا رحيما بالأطفال، لدرجة تلفت النظر، فى البيئة العربية، يصحب معه فى المسجد أمامة بنت أبى العاص، ابنة ابنته زينب، تقام الصلاة، فيحملها ويقف، ويقرأ فإذا ركع وضعها على أرض المسجد، يخشى عليها أن تقع منه عند الركوع، ويسجد بجوارها، فإذا قام للركعة الثانية حملها، وهكذا حتى يكمل صلاته، وابنة ابنته على كتفه وصدره، وأمام الوفود، وأكابر القوم يقبل الحسن والحسين، ابنى فاطمة، فيعجب الكبراء ويقولون: أهكذا تقبلون أطفالكم؟ فيقول: نعم، فيقول أحدهم: إن لى عشرة من الأبناء، ما قبلت واحداً منهم، فيقول صلى اللّٰه عليه وسلم: وماذا أفعل؟ وما ذنبى، إذا كان اللّٰه قد نزع من قلوبكم الرحمة؟ أما نحن فقد غرس اللّٰه الرحمة فى قلوبنا. صلى اللّٰه عليه وسلم.

المباحث العربية

(**ولد لى الليلة غلام، فسميته باسم أبى إبراهيم**) وكان إبراهيم من مارية القبطية، قال الحافظ ابن حجر: على أنه ولد فى ذى الحجة، سنة ثمان.

(**ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين، يقال له: أبو سيف**) فى الكلام مجاز المشارفة، أى أراد أن يدفعه إلى مرضعة، تسمى أم سيف، وزوجها يقال له: أبو سيف، وكان حدادا، ينفخ للحديد فى كير، والقين بفتح القاف، وسكون الياء بعدها نون، هو الحداد، ويطلق على كل صانع، ولكن المراد هنا الحداد، وأم سيف اسمها أم بردة خولة بنت المنذر، من بنى عدى بن النجار، وعند ابن سعد فى الطبقات « لما ولد إبراهيم للنبى ﷺ تنفاست فيه نساء الأنصار، أيتهن ترضعه؟ فدفعه صلى اللّٰه عليه وسلم إلى أم بردة ».

(**فانطلق يأتيه، واتبعته**) الظاهر أن جارية حملته، وسارت مع رسول اللّٰه ﷺ ومعهما أنس ابن مالك.

(**فانتهيا إلى أبى سيف**) أى قربنا من بيت أبى سيف.

(**وهو ينفخ بكيره، قد امتلأ البيت دخانا**) هكذا رأوه قبل أن يدخلوا.

(**فأسرعت المشى بين يدى رسول اللّٰه ﷺ**) لأوقف أبا سيف عن العمل، ليخف الدخان، حتى يدخل رسول اللّٰه ﷺ.

(**فقلت: يا أبا سيف، أمسك**) عن نفخ الكير، وإثارة الدخان.

(**فدعا النبى ﷺ بالصبى**) من حاملته.

(**فضمه إليه**) أى سلمه لأبى سفيان، لترضعه أم سيف، وليبقى فى بيتها مدة إرضاعه.

وفى الرواية الثانية « كان إبراهيم مسترضعا له فى عوالى المدينة » وهى قرى على مشارف المدينة، وكانت مارية تسكنها « فكان ينطلق » صلى اللّٰه عليه وسلم من المدينة إلى هذه العوالى بين الحين والحين، ليرى ابنه « ونحن معه، فيدخل البيت، وإنه ليدخن، وكان ظئره قينا » أى وكان زوج

المرأة التى ترضعه حدادا، والظئر بكسر الظاء وسكون الهمزة بعدها راء هو المرضع، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة، وأصل الظئر من ظأرت الناقة، إذا عطفت على غير ولدها، فقيل ذلك للتى ترضع غير ولدها، وأطلق ذلك على زوجها، لأنه يشاركها فى تربيته غالبا، فلفظة « الظئر » تطلق على الأنثى والذكر « فيأخذه، فيقبله، ثم يرجع » إلى المدينة.

(**قال أنس: لقد رأيته - أى رأيت إبراهيم - وهو يكيد بنفسه، بين يدى رسول الله ﷺ**) فى رواية للبخارى « قال أنس: ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه » أى يموت، أى يخرج نفسه، ويدفعها، كما يدفع الإنسان ماله، ومعنى « وهو يكيد بنفسه » أى يسوقها.

(**فدمعت عينا رسول الله ﷺ**) فى رواية للبخارى « فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان » أى يجرى دمعهما. وعند البخارى « فقال له عبد الرحمن بن عوف ﷺ: وأنت يا رسول الله؟ » أى الناس لا يصبرون على المصيبة، وأنت تفعل كفعلهم؟ كأنه تعجب من ذلك، مع عهده منه أنه يحث على الصبر، وينهى عن الجزع.

(**فقال: تدمع العين، ويحزن القلب، و لا نقول إلا ما يرضى ربنا والله - يا إبراهيم - إنا بك لمحزونون**) « ما يرضى » بفتح الياء وسكون الراء وفتح الضاد، و « ما » موصولة، والعائد مفعول « يرضى » محذوف، أى ما يرضاه ربنا وفى رواية للبخارى « فقال يا ابن عوف. إنها رحمة - أى الحالة التى شاهدتها منى هى رقة القلب على الولد، لا ما توهمته من الجزع -"أى أتبع الدمعة الأولى بدمعة أخرى » وقيل: أتبع الكلمة الأولى المجملة، وهى قوله « إنها رحمة » بكلمة أخرى مفصلة، وهى قوله « إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون » وفى رواية « قال عبد الرحمن ابن عوف: تبكى يا رسول الله؟ أو لم تنه عن البكاء؟ وزاد فيها » قال صلى الله عليه وسلم: إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين. صوت عند نغمة لهو، ولعب ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة، خمشة وجوه، وشق جيوب، ورنة شيطان » قال: إنما هذا رحمة، ومن لايرحم لا يرحم » وفى رواية « إنما أنا بشر» وفى رواية « أنهى الناس عن النياحة، أن يندب الرجل بما ليس فيه » وفى رواية « ولانقول ما يسخط الرب » فى رواية « لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وسبيل نأتيه، وإن آخرنا سيلحق بأولنا، لحزنا عليك حزنا هو أشد من هذا ».

(**فيدخل البيت وإنه ليدخن**) بضم الياء وتشديد الدال المفتوحة وفتح الخاء، يقال: ادخنت النار البيت، بهمزة وصل وتشديد الدال المفتوحة وفتح الخاء والنون أى ملأته دخانا.

(**إن إبراهيم ابنى، وإنه مات فى الثدى، وإن له لظئرين، تكملان رضاعه فى الجنة**) مات إبراهيم وهو ابن ثمانية عشر شهراً، وجزم الواقدى بأنه مات يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر، وقال ابن حزم: مات قبل النبى ﷺ بثلاثة أشهر، ومعنى « وإنه مات فى الثدى » أى فى سن رضاع الثدى، أو فى حال تغذيه بلبن الثدى، ومعنى « وإن له لظئرين تكملان رضاعه فى الجنة » أى إن له مرضعتين تتمان رضاعه سنتين، فإنه تمام الرضاعة بنص القرآن، قال صاحب التحرير: وهذا الإتمام لإرضاع إبراهيم ﷺ يكون عقب موته، فيدخل الجنة، متصلا بموته، فيتم رضاعه، كرامة له ولأبيه صلى الله عليه وسلم.

(**قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ، فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم. فقالوا: لكنا - والله - ما نقبل**) وفى الرواية الرابعة « أن الأقرع بن حابس أبصر النبى ﷺ يقبل الحسن، فقال: إن لى عشرة من الولد، ما قبلت واحدا منهم » وعند البخارى « قبل رسول الله ﷺ الحسن بن على، وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالساً، فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد، ما قبلت منهم واحداً » وفى رواية للبخارى « جاء أعرابى إلى النبى ﷺ، فقال: تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم » قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون المراد بالأعرابى الأقرع المذكور فى الحديث الذى قبله، ويحتمل أن يكون المراد به قيس ابن عاصم التميمى السعدى، فقد أخرج أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى ما يشعر بذلك، ووقع نحو ذلك لعيينه بن حصن بن حذيفة الفزارى، أخرجه أبو يعلى فى مسنده بسند رجاله ثقات، ويحتمل أن يكون قد وقع ذلك لجميعهم - فرادى أو مجتمعين - فقد روى مسلم « قدم ناس من الأعراب، فقالوا...."

(**وأملك؟ إن كان الله نزع منكم الرحمة**) الكلام على الاستفهام الإنكارى، بمعنى النفى، وحذفت أداة الاستفهام، وأصلها: أو أملك؟ بفتح الواو والهمزة الأولى، كما هى فى رواية البخارى، أى ماذا أملك لك؟ أى لا أملك لك شيئا، وقد نزع الله الرحمة من قلبك، أى لا أقدر أن أجعل الرحمة تملأ قلبك، بعد أن نزعها الله منه، وفى رواية « وما أملك »؟ وفى رواية « ما ذنبى إن كان.. »؟ وفى روايتنا « إن كان الله نزع منكم الرحمة » بكسر همزة « إن » وهى أداة شرط، وما بعدها فعل الشرط، وجوابه محذوف، دل عليه ما قبله، أى إن كان الله قد نزع منكم الرحمة فلا أملك لكم شيئا.

وفى رواية للبخارى « أن نزع الله من قلبك الرحمة » بفتح همزة « أن » مصدرية، والمصدر مفعول « أملك ».

(**من لا يرحم لا يرحم**) وفى الرواية الخامسة « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عزوجل"قال القاضى عياض: هو للأكثر بالرفع فيهما على الخبر، فمن موصولة، وقال أبو البقاء: يجوز أن تكون شرطية، فيقرأ بالجزم فيهما، قال السهيلى: جعله على الخبر أشبه بسياق الكلام، لأنه سيق للرد على من قال: إن لى عشرة من الولد...إلخ » أى الذى يفعل هذا لا يرحم، ولو كانت شرطية لكان فى الكلام بعض انقطاع، لأن الشرط وجوابه كلام مستأنف، قال الحافظ ابن حجر: لكن الشرط أولى من جهة أخرى، لأنه يصير من نوع ضرب المثل، ورجح بعضهم كونها موصولة، لكون الشرط إذا أعقبه نفى ينفى غالبا بلم، قال الحافظ: وهذا لا يقتضى ترجيحا إذا كان المقام لائقا لكونها شرطية.

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب

١- من الرواية الأولى جواز تسمية المولوديوم ولادته.

٢- وجواز التسمية بأسماء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

٣- ومن الأولى والثانية استتباع العالم الكبير بعض أصحابه، إذا ذهب إلى منزل قوم ونحوه.

٤- من قول أنس « واتبعته » الأدب مع الكبار.

٥- ومن قوله فى الرواية الثانية « فيأخذه فيقبله » مشروعية تقبيل الأطفال الرضع.

٦- ومن الروايتين مشروعية الرضاع بغير الأم.

٧- وعيادة الصغير.

٨- والحضور عند المحتضر.

٩- والرحمة بالعيال.

١٠- قال ابن بطال وغيره: هذا الحديث يفسر البكاء المباح، والحزن الجائز، وهو أبين شيء وقع فى هذا المعنى.

١١- وفيه جواز الإخبار عن الحزن، وإن كان الكتمان أولى.

١٢- ومن مخاطبة الرسول ﷺ ولده، مع أنه فى تلك الحالة لم يكن ممن يفهم الخطاب، لصغره واحتضاره مخاطبة الإنسان وإرادة غيره بذلك الخطاب.

١٣- قال بعضهم: فيه دليل على تقبيل الميت، ورده ابن التين بأن القصة إنما وقعت قبل الموت.

١٤- وفيه فضيلة وخاصة لإبراهيم ﷺ، لتكملة إرضاعه فى الجنة بمرضعتين.

١٥- ومن الرواية الثالثة وما بعدها جواز تقبيل الولد الصغير فى كل عضو منه، قال ابن بطال: كذا الكبير عند أكثر العلماء، ما لم يكن عورة، فقد ثبت أن النبى ﷺ كان يقبل فاطمة، وكذا كان أبو بكر يقبل عائشة رضى الله عنهم.

١٦- قال الحافظ ابن حجر: وفى جواب النبى ﷺ للأقرع إشارة إلى أن تقبيل الولد وغيره من الأهل والمحارم وغيرهم من الأجانب إنما يكون للشفقة والرحمة، لا للذة والشهوة، وكذا الضم والشمة والمعانقة اهـ

أى إن كان للشفقة والرحمة جاز، و إلا منع.

والله أعلم

(٦١٥) باب حيائه صلى الله عليه وسلم

٥٢٥٥- ٦٧/١ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ(٦٧) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ.

٥٢٥٦- ٦٨/٢ عَنْ مَسْرُوقٍ(٦٨) قَالَ دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو حِينَ قَدِمَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْكُوفَةِ فَذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا وَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ مِن خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا قَالَ عُثْمَانُ حِينَ قَدِمَ مَعَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْكُوفَةِ.

المعنى العام

يراجع المعنى العام لأبواب الحياء فى كتاب الإيمان.

المباحث العربية

(**كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها**) العذراء البكر، وجمعه عذارى بفتح الراء، وعذار، ويقال: درة عذراء، أى لم تثقب، ورملة عذراء، أى لم توطأ، والعذرة بضم العين وسكون الذال البكارة، وعذر الطبيب الغلام والجارية عذرا بفتح العين وسكون الذال ختنها، والخدر بكسر الخاء، وسكون الدال الستر يجعل للبكر جنب البيت، وقوله « فى خدرها » من باب التتميم لما قبلها، لأن العذراء فى الخلوة يشتد حياؤها، أكثر مما تكون خارجة عنه، لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها، فالظاهر أن المراد تقييده بما إذا دخل عليها فى خدرها، لاحيث تكون منفردة فيه.

(**وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه**) أى لا يتكلم به لحيائه، بل يتغير وجهه، فنفهم نحن كراهيته.

وقد ساق البخارى هذه الجملة كحديث مستقل، وهى إشارة إلى تصحيح أنه لم يكن يواجه أحداً بما يكرهه، بل يتغير وجهه، وعند أبى داود « كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء، لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولونه؟ »

---

(٦٧) حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن قَتَادَةَ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي عُتْبَةَ يُحَدِّثُ عَنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ح وحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَأَحْمَدُ بْنُ سِنَان قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍ عَن شُعْبَةَ عَن قَتَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي عُتْبَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ عن أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولا

(٦٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَا حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَن شَقِيقٍ عَن مَسْرُوق – وحَدَّثَنَاه أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي ح و حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ يَعْنِي الأَحْمَرَ كُلُّهُمْ عَنِ الأَعْمَشِ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

هذا وللحياء باب، بل أبواب مضت فى كتاب الإيمان.

(**لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا، ولا متفحشا**) أى ناطقا بالفحش، وهو الزيادة على الحد فى الكلام السيئ، والمتفحش المتكلف لذلك، أى لم يكن الفحش له خلقا، ولا مكتسبا، وعند الترمذى « سئلت عائشة عن خلق النبى ﷺ؟ فقالت: لم يكن فاحشا، ولا متفحشا، ولا سخابا فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح » وللبخارى فى الأدب المفرد « لم يكن رسول الله ﷺ سبابا، ولا فحاشا، ولا لعانا ».

(**إن من خياركم أحاسنكم أخلاقا**) فى رواية البخارى « أحسنكم أخلاقا » وحسن الخلق اختيار الفضائل، وترك الرذائل، وقد سبق قبل ثلاثة أبواب باب حسن خلقه صلى الله عليه وسلم.

فقه الحديث

سبق فى كتاب الإيمان شرح الحياء اللغوى والشرعى والممدوح منه والمذموم بما يغنى عن الشرح والإعادة.

والله أعلم

(٦١٦) باب تبسمه صلى اللَّه عليه وسلم وحسن عشرته

٥٢٥٧- ٦٩/١ عَـن سِـمَاكِ بْـنِ حَـرْبٍ[٦٩] قَـالَ قُلْـتُ لِجَـابِرِ بْـنِ سَـمُرَةَ أَكُنْـتَ تُجَـالِسُ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ قَـالَ نَعَـمْ كَثِيرًا كَـانَ لا يَقُـومُ مِـن مُصَـلاهُ الَّـذِي يُصَلِّـي فِيـهِ الصُّبْـحَ حَتَّـى تَطْلُـعَ الشَّـمْسُ فَـإِذَا طَلَعَـتْ قَـامَ وَكَـانُوا يَتَحَدَّثُـونَ فَيَـأْخُذُونَ فِـي أَمْـرِ الْجَاهِلِيَّـةِ فَيَضْحَكُـونَ وَيَتَبَسَّـمُ صَلَّـى اللَّـه عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ.

المعنى العام

يقول اللَّه تعالى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣] أى خلق فى الإنسان الضحك والبكاء، فالضحك خاصة من خواص الإنسان، قد يشاركه فيه بقدر ضعيف بعض الحيوانات، وهو تعبير عن وجدان داخلى بالسرور أو الإعجاب أو الدهشة أو الرضا.

وكلما كان تعبيراً دقيقا عن درجة هذا الوجدان، وكلما كان صادقا مطابقا لهذا الشعور الداخلى كان مقبولا شرعا وعرفا فإن زاد، أو انحرف، بأن تكرر من غير سبب، كان علامة على قلة الأدب، وإن كثر وزاد - ولو بسبب - أمات القلب، وصار عادة تغلب صاحبها عند عدم السبب.

وللضحك والابتسامة آداب وحدود، يحكم بها العرف والشرع، فالضحك استهزاء وسخرية ذميم، وضحك المرأة وابتسامتها للأجنبى مطمع فيها، والضحك فى وقت الجد وأمام الكبراء غير حميد، والضحك فى مواقف الحزن كريه ومعيب وزيادة الضحك عن حدودها، برفع الصوت واستمرار القهقهة كما يفعل الحشاشون والسكارى أمر مشين.

وما أحسن ما كان عليه صلى اللَّه عليه وسلم، إذ كان يضحك فى المناسبة وبقدر الحاجة، ولا يزيد على التبسم.

المباحث العربية

(**قال: نعم. كثيرا**) صفة لمفعول مطلق محذوف، والتقدير: كنت أجالسه جلوسا كثيرا.

(**وكانوا يتحدثون، فيأخذون فى أمر الجاهلية**) الضمير للصحابة الجالسين معه بعد الصلاة، والمراد بأمر الجاهلية أخبارها وأحوالها التى يمجها العقل، كمن صنع إلهاً له من عجوة، فلما جاع أكله.

---

(٦٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ عَن سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ

(**فيضحكون، ويبتسم صلى اللَّه عليه وسلم**) قال أهل اللغة: التبسم مبادئ الضحك، والضحك انبساط الوجه، وانفراج الفم حتى تظهر الأسنان، فإن كان بصوت بحيث يسمع من بعد فهو القهقهة، وإلا فهو الضحك، وإن كان بلا صوت فهو التبسم، وتسمى الأسنان فى مقدم الفم الضواحك، وهى الثنايا والأنياب وما يليها، وتسمى النواجذ جمع ناجذة، وهى الأضراس.

فالضحك يطلق على مراحل إظهار السرور فى الوجه، وتبدأ بانبساط الأسارير، وانبساط الشفتين دون فتحهما، وبدون صوت يسمعه من بجوارك، المرحلة الثانية تزيد على الأولى انفتاح الشفتين دون ظهور الأسنان، المرحلة الثالثة كالثانية مع ظهور الرباعيات، أى الأسنان الأربع الأمامية علويا وسفليا، المرحلة الرابعة ظهور الأنياب، المرحلة الخامسة ظهور الأضراس، المرحلة السادسة ظهور اللَّهوات، جمع لهاة، وهى اللحمة المشرفة على الحلق، وتطلق على الجزء الأخير من سقف الحلق، المطبق على الفك الأسفل، وكل هذه المراحل الست تدخل فى التبسم، ما دامت بلا صوت يسمع، فإن صاحبها صوت ضحك فهى القهقهة، ولو كانت بدون فتح الشفتين، فكل ابتسامة ضحك، وليس كل ضحك ابتساما.

وكل ما حصل منه صلى اللَّه عليه وسلم ابتسام بمراحله الست، كما سنوضح ذلك فى فقه الحديث، ولم يحصل منه قهقهة أصلا، ففى البخارى « وما يزيد رسول اللَّه ﷺ على التبسم ».

فقه الحديث

كان الأغلب فى أحواله صلى اللَّه عليه وسلم التبسم بالمراحل الثلاث الأوليات، وقلما استعمل المرحلة الرابعة والخامسة وندر استعماله للمرحلة السادسة، ويحمل وصفه صلى اللَّه عليه وسلم بالضحك أو التبسم على المرحلة الأولى والثانية والثالثة، كل حسب المقام، كما فى حديث الأعرابى الذى جذبه من ثوبه، حتى أثر الجذب فى صفحة عنقه صلى اللَّه عليه وسلم، وقال له: أعطنى من مال اللَّه الذى عندك، فالتفت إليه صلى اللَّه عليه وسلم، فضحك، ثم أمر له بعطاء » وكما فى حديثنا، وحين المبالغة فى التبسم تذكر المرحلة، وينص عليها غالبا، ففى حديث الرجل الذى جامع فى رمضان، حين قال: واللَّه ما بين لابتيها أهل بيت أفقر منا، « ضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه » وفى رواية « حتى بدت أنيابه » نعم فى حديث لعائشة رضى اللَّه عنها قالت: ما رأيه صلى اللَّه عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا، حتى أرى منه لهواته » فنفت عنه المرحلة السادسة، لكن قال ابن بطال: المثبت مقدم على النافى.

قال الحافظ ابن حجر: والذى يظهر من مجموع الأحاديث أنه صلى اللَّه عليه وسلم كان فى معظم أحواله لا يزيد على التبسم - أى فى مراحله الثلاث الأخيرة - قال: والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه، أو الإفراط فيه، لأنه يذهب الوقار، قال ابن بطال: والذى ينبغى أن يقتدى به من فعله، ما واظب عليه من ذلك، فقد روى البخارى فى الأدب المفرد وابن ماجه من وجهين عن أبى هريرة، رفعه « لا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب »

ويؤخذ من الحديث فوق ما تقدم

١- استحباب الذكر بعد صلاة الصبح.

٢- وملازمة مجلس صلاة الصبح ما لم يكن عذر، قال القاضى: هذه سنة، كان السلف وأهل العلم يفعلونها، ويقتصرون فى ذلك الوقت على الذكر والدعاء، حتى تطلع الشمس.

٣- جواز الحديث بأخبار الجاهلية وغيرها من الأمم.

٤- وجواز الضحك المحدود، فقد أقر صلى اللّه عليه وسلم صحابته على ضحكهم، والمكروه إكثاره، وهو فى أهل المراتب والعلم أقبح.

٥- حسن عشرته صلى اللّه عليه وسلم.

واللّه أعلم

(٦١٧) باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالنساء، والرفق بهن

٥٢٥٨- ٧٠/١ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه(٧٠) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَغُلَامٌ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ يَحْدُو. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ، سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ».

٥٢٥٩- ٧١/٢ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه(٧١) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى عَلَى أَزْوَاجِهِ، وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ. فَقَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ! رُوَيْدًا سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ» قَالَ: قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَلِمَةٍ لَوْ تَكَلَّمَ بِهَا بَعْضُكُمْ لَعِبْتُمُوهَا عَلَيْهِ.

٥٢٦٠- ٧٢/٣ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه(٧٢) قَالَ: كَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُنَّ يَسُوقُ بِهِنَّ سَوَّاقٌ. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «أَيْ أَنْجَشَةُ! رُوَيْدًا سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ».

٥٢٦١- ٧٣/٤ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه(٧٣) قَالَ: كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَادٍ حَسَنُ الصَّوْتِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُوَيْدًا يَا أَنْجَشَةُ! لا تَكْسِرِ الْقَوَارِيرَ! يَعْنِي ضَعَفَةَ النِّسَاءِ».

٥٢٦٢- ٠٠/٠٠ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه(٠٠) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَلَمْ يَذْكُرْ: حَادٍ حَسَنُ الصَّوْتِ.

المعنى العام

يقول صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى » ويقول « اتقوا الله فى النساء، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً ».

ومن مسلمات الحياة أن المرأة ضعيفة البنية، ناعمة الصوت والملمس، رقيقة الحس، مرهفة العواطف، كالزجاجة الرقيقة، بل كزجاجة المصباح، فائدتها فى شفافيتها وصفائها، وفى وقايتها والحفاظ عليها، وفى صيانتها وحمايتها من أدناس البيئة وعواصف الأهواء، ولذا شبهوها بالزجاجة

(٧٠) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَحَامِدُ بْنُ عُمَرَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو كَامِلٍ جَمِيعًا عَن حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَن أَبِي قِلَابَةَ عَن أَنَس
– وحَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَحَامِدُ بْنُ عُمَرَ وَأَبُو كَامِلٍ قَالُوا حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَن ثَابِتٍ عَن أَنَس بِنَحْوِهِ.

(٧١) وحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ كِلَاهُمَا عَن ابْنِ عُلَيَّةَ قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَن أَبِي قِلَابَةَ عَن أَنَس

(٧٢) وحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ عَن سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ح و حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ حَدَّثَنَا التَّيْمِيُّ عَن أَنَس.

(٧٣) وحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنِي هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَن أَنَسٍ

(٠٠) و حَدَّثَنَاه ابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَن قَتَادَةَ عَن أَنَسٍ

والقارورة، يقول صلى اللَّه عليه وسلم فى الوصاية بها « رفقا بالقوارير» والقوارير يضرب بها المثل فى سرعة الكسر، وعدم قبول الإصلاح والجبر، يقول الشاعر:

ارفق بعمرو إذا حركت نسبته ∴ فإنه عربى من قوارير

والإسلام يعتز بالمرأة، ويصونها، ويعتبر حصانتها أساس حياتها، من هنا أحاطها بسياج من وسائل الحفظ والتكريم، حتى فى الجنة، وصفها القرآن الكريم بقوله ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ۝ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾[الصافات: ٤٨-٤٩]، ﴿وَحُورٌ عِينٌ۝ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾[الواقعة: ٢٢-٢٣] حرص الإسلام على راحتها إن هى أقامت، فأوجب لها على الرجل السَكنى والنَفقة والكسوة والمعاشرة بالمعروف وإن هى سافرت، حتى لا تسافر مسافة قصر بدون زوج أو محرم، تركب ويمشى الرجل، وعليه أن يهيئ لها فى مركبها ما يريحها من هودج وفراش وثير، ومشى وئيد، بل وأن يحدو لها الحادى، ويغنى لها لينعشها فى سفرها، كالطفل تغنى له أمه، وتحننه، وتهدهده، وها هو رسول اللَّه ﷺ، يسافر ببعض نسائه، فيهيئ لهن الركائب، ويعد لهن الهوادج، ويخصص لهن عبدا خادما، يقودهن، ويراعى مصالحهن، ويحدو لهن، ولا يكتفى صلى اللَّه عليه وسلم بذلك، بل يرعى بنفسه شئونهن، ويتعهد أحوالهن، فيذهب إلى رحلهن بنفسه، يطمئن عليهن، ويوصي بهن وبراحتهن، فيقول للخادم: يا أنجشة، ارفق بهن فى سوقك، وارفق بهن فى حدوك وغنائك، فإنهن كالقوارير. فهل رأيت حنانا ورقة وعطفاً على النساء مثل هذا؟ صلى اللَّه عليه وسلم.

المباحث العربية

(كان رسول اللَّه ﷺ فى بعض أسفاره، وغلام أسود، يقال له: أنجشة، يحدو) فى الرواية الثانية « أن النبى ﷺ أتى على أزواجه، وسواق يسوق بهن، يقال له: أنجشة » وفى الرواية الثالثة « كانت أم سليم مع نساء النبى ﷺ، وهن يسوق بهن سواق » وفى الرواية الرابعة « كان لرسول اللَّه ﷺ حاد حسن الصوت » وفى رواية البخارى « أتى النبى ﷺ على بعض نسائه » وفى رواية « وكان معهم سائق وحاد » وفى أخرى « كان أنجشة يحدو بالنساء، وكان البراء يحدو بالرجال » وفى رواية « وأنجشة غلام النبى ﷺ يسوق بهن » وفى رواية « وكان يحدو بأمهات المؤمنين ونسائهم » أى نساء المؤمنين.

فمن هذه الروايات يتبين أن الرحلة كانت رحلة سفر، وفيها رجال ونساء، من غير اختلاط، فللرجال حاد، وللنساء حاد، وكان فى ركب النساء بعض أزواج النبى ﷺ، كل واحدة فى هودج على بعير، وأن أنجشة كان سائق ركب النساء وحاديه، وكان غلاما أسود، حبشيا حسن الصوت، قيل: كان يكنى أبا مارية، وأنه كان ممن نفاهم النبى ﷺ من المخنثين.

وأن أم سليم، أم أنس، كانت مع نساء النبى ﷺ وأن النبى ﷺ أراد أن يطمئن على ركب النساء، فأتى عليهن، والظاهر أنه أحس بركبهن ما يشغله عليهن، ففى رواية « فاشتد عليهن السياق » أى أسرع بركبهن بسبب انسجام الإبل بالحداء، وفى رواية « فإذا أعنقت الإبل » أى أسرعت.

(**فقال له رسول الله ﷺ: يا أنجشة. رويدك، سوقا بالقوارير**) فى الرواية الثانية « فقال: ويحك يا أنجشة، رويدا، سوقك بالقوارير» و فى الرواية الثالثة « أى أنجشة: رويداً، سوقك بالقوارير» و فى الرواية الرابعة « رويدا يا أنجشة، لاتكسر القوارير» يعنى ضعفة النساء.

وفى رواية « يا أنجش » على الترخيم، وفى رواية « ارفق » وفى رواية « رويدك ارفق » وفى رواية « كذلك سوقك » أى كفاك سوقك، وفى رواية « رويدك سوقك، ولا تكسر القوارير» والقواير جمع قارورة، وهى الزجاجة، قيل: سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها، كنى عن النساء بالقوارير، لرقتهم وضعفهن عن الحركة، والنساء يشبهن بالقوارير فى الرقة واللطافة وضعف البنية، والكناية لفظ أطلق، وأريد منه لازم معناه، فكأنه قال: رفقا بالضعيفات المحمولات على الإبل، وقيل: شبهن بالقوارير لسرعة انقلابهن عن الرضا، وقلة دوامهن على الوفاء، كالقوارير، يسرع إليها الكسر ولا تقبل الجبر، والأول أولى فى هذا المقام، وقيل: أراد بالقوارير الإبل، وكان فى سوق أنجشة لها عنف، فأمر أن يرفق بالمطايا، وهذا أبعد من سابقه، والهدف من الأمر بالرفق أحد احتمالين أو هما معا، الأول أن الحداء دفع الإبل إلى الإسراع، أو أن سوقه العنيف دفع الإبل إلى الإسراع، مما يقلق الراكبات، ويزعزعهن، ويحول دون راحتهن، فأمر بالعمل على راحة الراكبات، والرفق بهن، والثانى أن أنجشة كان حسن الصوت، وأكثر من الحداء، وحسن صوته يحرك نفوس النساء، ويضعف عزائمهن، فخشى من سماعهن النشيد أن يقع بقلوبهن منه شىء، فأمر بالكف عن الحداء.

قال عياض: وقوله « رويدا » منصوب على أنه صفة لمحذوف، دل عليه اللفظ السابق، أى سق سوقا رويدا، أو احد حدوا رويدا، أو منصوب على المصدر، أى أورد رويدا، مثل ارفق رفقا، أو على الحال، أى سر رويدا، و« رويدك » منصوب على الإغراء، أو مفعول بفعل مضمر، أى الزم رفقك، وقيل: « رويدك » إما مصدر، والكاف فى محل خفض، وإما اسم فعل والكاف حرف خطاب، وقال الراغب: يقال: أورد، يورد كأمهل يمهل لفظا ومعنى، وهو من الرود بفتح الراء، وسكون الواو، وهو التردد فى طلب الشيء برفق ويقال: راد، وارتاد، والرائد طالب الكلأ، ورادت المرأة، ترود، إذا مشت على هنيتها، وقال الرامهرمزى: رويدا تصغير رود، وهو مصدر فعل الرائد، وهو المبعوث فى طلب الشيء، ولم يستعمل فى طلب المهلة، إلا مصغرا، وقال السهيلى: قوله « رويدا » أى أرفق، جاء بلفظ التصغير لأن المراد التقليل، أى ارفق قليلا.

و« سوقك » منصوب على نزع الخافض، أى ارفق فى سوقك، أو سقهن كسوقك، وقال القرطبى فى المفهم: « سوقك » مفعول به، وفى الرواية الأولى « سوقا » وهو منصوب على الإغراء، أو على المصدر.

وجاء فى الرواية الثانية « ويحك يا أنجشة، رويدا سوقك بالقوارير» قال النووى: هكذا وقع فى مسلم « ويحك » ووقع فى غيره « ويلك » قال سيبويه « ويل » كلمة تقال لمن وقع فى هلكة، و « ويح » زجر لمن أشرف على الوقوع فى هلكة، وقال الفراء: ويح، وويك، وويس بمعنى، وقيل: « ويح » كلمة لمن وقع فى هلكة لا يستحقها، أى فيرثى له، ويترحم عليه، و « ويل » ضده، قال القاضى: قال بعض أهل اللغة: لا يراد بهذه الألفاظ حقيقة الدعاء، وإنما يراد بها المدح والتعجب، اهـ ولا يصلح هذا القول فى هذا المقام.

(قال أبو قلابة: تكلم رسول اللَّه ﷺ بكلمة، لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه) كذا ورد فى الرواية الثانية، وأبو قلابة الرواى عن أنس، وأراد بالكلمة، قوله صلى اللَّه عليه وسلم « بالقوارير» وهى كلمة تشبه النساء بالقوارير، وقد يفهم منها الغزل والهزل، وقد تعاب على قائلها عند المتنطعين، وكان أهل العراق كذلك فى زمن أبى قلابة، يميلون إلى التكلف وكثرة الجدل والمراء ومعارضة الحق بالباطل، فلو قال كبير مثلها لعابوها عليه، وقيل: مراد أبى قلابة أن هذه الكلمة غير واضحة الدلالة على المراد، لأن وجه الشبه بين القارورة والمرأة ليس جليا، فلو قالها أحد من أهل العراق، لعابها العراقيون، معترضين عليها من حيث البلاغة، وقيل: إن مراد أبى قلابة أن هذا التعبير مثل فى البلاغة، ومن أرقى أساليبها التى لا يمسها أهل العراق، ولا يفهمونها، فيدفعهم جهلهم إلى عيبها، لو صدرت من أحدهم.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- جواز الحداء، والحداء شعر، يجرى عليه من الأحكام ما يجرى على الشعر، وقد بوب البخارى لهذا الحديث بباب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء، والشعر فى الأصل اسم لما دق، واستعمل فى ا لكلام المقفى الموزون قصدا، والرجز بفتح الراء والجيم نوع من الشعر عند الأكثر، والحداء بضم الحاء، وتخفيف الدال، يمد، ويقصر، سوق الإبل بضرب مخصوص من الغناء، ويكون فى الغالب بالرجز، وقد يكون بغيره من الشعر، وقد جرت عادة الإبل أنها تسرع السير، إذا حدى بها.

ونقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء، وفى كلام بعض الحنابلة إشعار بنقل خلاف فيه، قال الحافظ ابن حجر: ومانعه محجوج بالأحاديث الصحيحة، ويلتحق بالحداء هنا الحجيج المشتمل على التشوق إلى الحج بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد، ونظيره ما يحرض أهل الجهاد على القتال، ومنه غناء المرأة، لتسكين الولد فى المهد، أقول: ومثله غناء عمال البناء وملاحى السفن الشراعية وغيرهم، وأخرج الطبرى من طريق ابن جريج، قال: سألت عطاء عن الحداء والشعر والغناء؟ فقال: لا بأس به ما لم يكن فاحشا.

٢- وفيه جواز السفر بالنساء.

٣- واستعمال المجاز

٤- وفيه مباعدة النساء من الرجال، قال النووى: ومن سماع كلامهم إلا الوعظ ونحوه.

٥- ذكر البخارى هذا الحديث تحت باب: المعاريض مندوحة عن الكذب، والمعاريض جمع معراض من التعريض بالقول، وهو خلاف التصريح، وهو التورية بالشيء عن الشيء، قال الراغب: التعريض كلام له وجهان فى صدق وكذب، أو باطن وظاهر، قال الحافظ ابن حجر: والأولى أن يقال: كلام له وجهان، يطلق أحدهما ويراد لازمه، والمراد هنا قوله « رفقا بالقوارير» فإنه كنى بذلك عن النساء.

واللَّه أعلم

(٦١٨) باب قربه صلى اللّه عليه وسلم من الناس، وتبركهم به، وتواضعه لهم

٥٢٦٣- ٧٤/١ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(٧٤) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ، فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا. فَرُبَّمَا جَاءُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا.

٥٢٦٤- ٧٥/٢ عَن أَنَسٍ ﷺ(٧٥) قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْحَلاقُ يَحْلِقُهُ. وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ. فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلا فِي يَدِ رَجُلٍ.

٥٢٦٥- ٧٦/٣ عَن أَنَسٍ ﷺ(٧٦)، أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلان، انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ. حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ» فَخَلا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِن حَاجَتِهَا.

المعنى العام

كان صلى اللّه عليه وسلم متواضعا، قريبا من الناس، يمشى بين أصحابه كواحد منهم، ويجلس بينهم لا يكاد يعرف عنهم، يدخل الداخل الغريب فيقول: أيكم محمد؟ يضع يده فى يد رفيقه فى الطريق، ويردف على ناقته هذا تارة، وهذا تارة، يأكل معهم من إناء واحد، ويشرب معهم من كوب واحد، بل كان يشرب بعد أن يشرب الناس، إذا صافح مسلما لم ينزع يده من يده حتى ينزع صاحبه، إذا طلب منه شيء أجاب، ولم يقل: لا، مهما شق عليه المطلب، لقد كان الصحابة يتبركون بالماء الذى يلامس أصابعه صلى اللّه عليه وسلم، فكانوا فى الفجر يبعثون بمائهم فى أوانيهم مع خدمهم إلى رسول اللّه ﷺ، ليضع يده فى مائهم، فما تذمر، ولا تكبر على الخدم، ولا رفض لهم مطلبهم، بل لم يتأفف، ولم يتضجر من برد الماء فى شدة الشتاء.

ولقد كانوا يتبركون بالاحتفاظ بشعره صلى اللّه عليه وسلم، فإذا جاءه الحلاق أسرعوا إليه، يحيطون به، يتلقفون شعره قبل أن يسقط على الأرض، ويحتفظون بما يلتقطون من شعره تبركا به فى بيوتهم.

(٧٤) حَدَّثَنَا مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جَمِيعًا عَن أَبِي النَّضْرِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ يَعْنِي هَاشِمَ بْنَ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَن ثَابِتٍ عَن أَنَسٍ

(٧٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ عَن ثَابِتٍ عَن أَنَسٍ

(٧٦) و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَن حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَن ثَابِتٍ عَن أَنَسٍ

والعجب أن توقفه امرأة فى الطريق تسأله، فيقف دون مصاحبيه ويناديها بكنيتها، ويستمع لها، فتطلب منه أن تختلى به بعيدا عن مسامع أصحابه، لتسر إليه بمسألتها، فلا يختار المكان، بل يطلب إليها أن تختار هى المكان الذى تحبه، فيذهب معها إليه، ويقف معها طويلا، لا يمل، ولا يتضجر، وهو يعلم أن فى عقلها ضعفاً، ومع ذلك يظل يتكلم معها فى حاجتها حتى تكتفى هى، وتنصرف راضية شاكرة، وصدق الله العظيم إذ يقول فيه: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِن أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

المباحث العربية

(**كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة**) أى إذا صلى الفجر، وهذا الأسلوب يفيد التكرار والاستمرار والشأن والعادة والغالب.

(**جاء خدم المدينة بآنيتهم**) فى الكلام حذف مضافين، والأصل: خدم أهل المدينة، بآنية آسيادهم، والمراد من الآنية الجنس، الصادق بالجمع، فالمراد بأوانيهم، فيتقابل الجمع بالجمع، فيقتضى القسمة أحاداً، فيئول المعنى إلى: جاء خدم المدينة كل واحد بإناء سيده، والمراد المجموع والكثيرون، وليس كل خادم.

(**فيها الماء**) جملة حالية.

(**فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها**) أعاد الضمير مؤنثاً باعتبار أن الإناء والآنية شيء واحد، و« يؤتى » بضم الياء، بالبناء للمجهول، والمعنى فما يطلب منه وضع يده فى إناء به ماء تبركاً بيده، إلا وأجاب.

(**فربما جاءوه فى الغداة الباردة، فيغمس يده فيها**) أى فى الأوانى، وهذه الجملة تصوير للمبالغة فى الإجابة، أى حتى ولو صاحبت الإجابة مشقة شديدة، والغداة الباردة وقت الفجر والصبح فى الشتاء.

(**وأطاف به أصحابه**) يقال: طاف به، وأطاف به أصحابه، أى أحاطوا به، والجملة حال بتقدير « قد » عند من يشترطها.

(**فما يريدون أن تقع شعرة إلا فى يد رجل**) أى فيسارعون إلى التقاط شعره صلى الله عليه وسلم الذى يتساقط من الحلاق، قبل أن يصل إلى الأرض، ونفى الإرادة، ولم ينف وقوع شعرة إلى الأرض، لأن الموجود الكائن فعلا الحرص، وقد يفلت من حرصهم شعرات، تقع فيرفعونها.

(**أن امرأة كان فى عقلها شيء**) من الخفة والضعف، يقصد بذلك بيان عذرها فى مطلبها من رسول الله ﷺ.

(**فقالت: يارسول الله، إن لى إليك حاجة**) أى أريدك فى خلوة، بعيداً عن الناس وعن أصحابك الذين هم معك الآن.

(**فقال: يا أم فلان**) منطوقه صلى اللّٰه عليه وسلم كنيتها الحقيقية، وهو ظاهر فى أنه كان يعرفها جيدًا.

(**انظرى أى السكك شئت**) أى اختارى مكانا فى أى طريق من الطرق.

(**حتى أقضى لك حاجتك**) أى حتى أجيبك إلى طلبك بعيدا عن سماع الناس.

(**فخلا معها فى بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها**) معطوف على محذوف، أى فاختارت مكانا، فوافقها عليه، فخلا معها، والتعبير بـ « معها » فيه إشارة أنه لم يقصد الخلوة بها.

فقه الحديث

قال النووى فى هذه الأحاديث

١- بيان بروزه صلى اللّٰه عليه وسلم للناس، وقربه منهم، ليصل إليه أهل الحقوق، ويرشد مسترشدهم، وليشاهدوا أفعاله وحركاته، فيقتدى بها، وهكذا ينبغى لولاة الأمور.

٢- وفيها صبره صلى اللّٰه عليه وسلم على المشقة فى نفسه لمصلحة المسلمين،وإجابته من سأله حاجة، أو تبريكا بمس يده، وإدخالها فى الماء.

٣- وفيه التبرك بآثار الصالحين.

٤- وبيان ماكانت الصحابة عليه من التبرك بآثاره صلى اللّٰه عليه وسلم.

٥- وتبركهم بإدخال يده الكريمة فى أوانيهم.

٦- وتبركهم بشعره الكريم.

٧- وإكرامهم إياه أن يقع شيء منه إلا فى يد رجل منهم.

٨- وبيان تواضعه صلى اللّٰه عليه وسلم، بوقوفه مع المرأة الضعيفة، ليقضى لها حاجتها، قال: ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية، فإن هذا كان فى ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها، لكن لا يسمعون كلامها، لأن مسألتها كانت مما لا تظهرها الناس.

هذا. ومن التبرك بآثاره حديث أبى أيوب الأنصارى (رقم/٢١) فى باب أكل التمر والثوم.

ومن التبرك بشعره صلى اللّٰه عليه وسلم حديث حلقه صلى اللّٰه عليه وسلم فى الحج وتوزيع شعره على الصحابة وقد سبق فى كتاب الحج.

والله أعلم

(٦١٩) باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله تعالى عند انتهاك حرماته.

٥٢٦٦- ٧٧/١ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٧٧)، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا. فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، إلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٥٢٦٧- ٧٨/٢ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٧٨) قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الآخَرِ إلا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا. فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ.

٥٢٦٨- ٠٠/٠٠ عَن هِشَامٍ(٠٠) بِهَذَا الإِسْنَادِ، إِلَى قَوْلِهِ: أَيْسَرَهُمَا. وَلَمْ يَذْكُرَا مَا بَعْدَهُ.

٥٢٦٩- ٧٩/٣ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٧٩) قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ. وَلا امْرَأَةً وَلا خَادِمًا. إلا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِن صَاحِبِهِ، إلا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِن مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

المعنى العام

نعم. دين الإسلام يسر، قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ويقول صلى الله عليه وسلم « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » وقال لمعاذ ﷺ لما أطال القراءة فى الصلاة، وهو إمام: قال له: أفتان أنت يا معاذ؟ من أمَّ الناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة،

(٧٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَن مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ ح و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَن ابْنِ شِهَابٍ عَن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَن عَائِشَةَ
– وحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعًا عَن جَرِيرٍ ح و حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ كِلاهُمَا عَن مَنْصُورٍ عَن مُحَمَّدٍ فِي رِوَايَةِ فُضَيْلٍ بْنُ شِهَابٍ وَفِي رِوَايَةِ جَرِيرٍ مُحَمَّدٌ الزُّهْرِيُّ عَن عُرْوَةَ عَن عَائِشَةَ.
– و حَدَّثَنِيهِ حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَن ابْنِ شِهَابٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِكٍ.
(٧٨) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَن هِشَامٍ عَن أَبِيهِ عَن عَائِشَةَ
(٠٠) وحَدَّثَنَاه أَبُو كُرَيْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ جَمِيعًا عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ
(٧٩) حَدَّثَنَاه أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَن هِشَامٍ عَن أَبِيهِ عَن عَائِشَةَ
– و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالا حَدَّثَنَا عَبْدَةُ وَوَكِيعٌ ح وحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ كُلُّهُمْ عَن هِشَامٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ يَزِيدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

ولما أراد جماعة التشديد على أنفسهم فى العبادة وقال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبداً، وقال الآخر: وأما أنا فأصوم الدهر أبداً، وقال الثالث: وأما أنا فسأتبتل، وأعتزل النساء غضب صلى اللّه عليه وسلم، وخطب فى الناس، وقال: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وكذا؟ أما واللّه إنى لأخشاكم للّه وأتقاكم له،لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى.

ومن هذا المنطلق كان صلى اللّه عليه وسلم فى عباداته ومعاملاته يميل إلى اليسر، ويتباعد عن العسر، ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن هذا الأيسر إثما، أو يؤدى إلى الإثم، فإن كان إثما أو يؤدى إلى الإثم بعد عنه، بل كان أبعد الناس عنه، وعمل بغير اليسر مهما كان صعبا وشاقا.

وكان صلى اللّه عليه وسلم - من باب التخفيف على الأمة، والتسامح معها - يعفو عمن ظلمه، ولا ينتقم ممن أذاه حين القدرة عليه، ولقد قال لأهل مكة بعد أن فتحها ونصره اللّه عليهم: ما تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم. قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فما انتقم لنفسه صلى اللّه عليه وسلم ممن آذاه، وما ضرب بيده الكريمة امرأة ولا خادما قط، وما آذى إلا للّه، وإلا ما انتهكت حرمات اللّه، صلى اللّه عليه وسلم.

المباحث العربية

(ما خير رسول اللّه ﷺ بين أمرين) «خير» بضم الخاء وكسر الياء المشددة، مبنى للمجهول، وأبهم الفاعل، ليعم ما كان من قبل اللّه، وما كان من قبل المخلوقين، والأمران إما أن يكونا من أمور الدنيا، وإما أن يكونا من أمور الأخرة، وإما أن يكون أحدهما من أمور الدنيا، والثانى من أمور الآخرة.

(إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثما) أى ما لم يكن الأيسر إثما.

(فإن كان إثما كان أبعد الناس منه) أى فإن كان الأيسر إثما تركه وبعد عنه، وأخذ الأصعب الذى لا إثم فيه، وعند الطبرانى فى الأوسط «إلا اختار أيسرهما ما لم يكن للّه فيه سخط».

قال العلماء: وقوع التمييز بين ما فيه إثم، وبين ما لا إثم فيه من العباد واضح وواقع كثيرا، وخصوصا إذا وقع من الكفار، كما وقع فى الحديبية، بين أن يرجع من عام، ثم يعود العام القابل معتمرا، وبين القتال، فاختار الأول. وبين أن يمحو من الوثيقة كلمة «رسول اللّه» وبين أن يرفض الصلح، فاختار الأول.

أما وقوع التمييز من اللّه فلا يكون بين ما فيه إثم، وما لا إثم فيه، وإنما يكون التمييز منه تعالى بين جائزين، ويصير المعنى ما خيره اللّه بين أمرين جائزين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فالمستثنى ليس من جنس المستثنى منه، فالاستثناء منقطع، ومثل له بعضهم بالفطر للصائم المسافر، وصلاة الفرض قاعدا للعاجز الذى يشق عليه القيام، وبول الأعرابى فى المسجد، صب ذنوب

من ماء، أو إزالة التراب المتنجس، لكن إذا حملناه على ما يفضى إلى الإثم، أمكن أن يخير الشارع بين ما لا يفضى إلى الإثم وبين ما يفضى إلى الإثم غالبا، ومثلوا له بأن يخير بين أن يفتح عليه من كنوز الأرض، وما يخشى من الاشتغال به عن العبادة مثلا، وبين أن لا يؤتيه من الدنيا إلا الكفاف، فيختار الكفاف، وإن كانت السعة أسهل منه، والإثم على هذا أمر نسبى، لا يراد منه معنى الخطيئة، لثبوت العصمة له صلى اللّٰه عليه وسلم، بل هو من قبيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، ويكون المراد ما لم يكن إثما أو يخشى منه أن يفضى إلى خلاف الأولى، فيختار الأشق حينئذ، ويترك الأيسر، والاستثناء على هذا متصل، فالمستثنى من جنس المستثنى منه.

وقال ابن التين: المراد التمييز بين أمرين من أمور الدنيا، وأما أمر الآخرة، فكلما صعب كان أكثر ثوابا، كذا قال. وفيه نظر، فإنه صلى اللّٰه عليه وسلم كان يصوم ويفطر ويصلى ويرقد، ويتزوج النساء.

(**ما انتقم رسول اللّٰه ﷺ لنفسه**) فى بعض الروايات « ما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه » و« نيل » بكسر النون، مبنى للمجهول، أى ما أصيب بأذى من قول أو فعل، وقد استشكل عليه أمره بقتل عقبة ابن أبى معيط وعبد اللّٰه بن خطل، وغيرهما ممن كان يؤذيه، ولتفادى هذا الإشكال وضع بعضهم قيدا، فقال: وما انتقم لنفسه خاصة، أما هؤلاء فقد كانوا ينتهكون محارم اللّٰه مع إيذائه، أو أن إيذاءه كان من حيث هو رسول اللّٰه، فهو انتهاك لمحارم اللّٰه، لذا لم ينتقم لنفسه من الأعرابى الذى جفا فى رفع صوته عليه، ولا من الذى جذبه بردائه، حتى أثر فى كتفه.

وحمل الداودى عدم الانتقام على ما يختص بالمال، قال: وأما العرض فقد اقتص ممن نال منه، قال: واقتص ممن لده فى مرضه، بعد نهيه عن ذلك، حيث أمر بلدهم، مع أنهم كانوا فى ذلك متأولين، بأنه إنما نهاهم بسبب كراهة النفس للدواء، بحكم العادة البشرية. كذا قال: وفيه نظر.

فقه الحديث

ويؤخذ من الحديث

١- الحث على ترك الأخذ بالعسير من الأمور.

٢- والاقتناع باليسير.

٣- وترك الإلحاح فيما لا يضطر إليه.

٤- والندب إلى الأخذ بالرخص، ما لم يظهر الخطأ.

٥- والحث على العفو، إلا فى حقوق اللّٰه تعالى.

٦- والندب إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، قال الحافظ ابن حجر: ومحل ذلك ما لم يفض إلى ما هو أشد منه.

٧- وفيه ترك الحكم للنفس، وإن كان الحاكم متمكنا من ذلك، بحيث يؤمن منه الحيف على المحكوم عليه، لكن لحسم المادة.

٨- وفيه الحث على الحلم واحتمال الأذى.

٩- والانتصار لدين الله تعالى ممن فعل محرما أو نحوه.

١٠- ومن الرواية الثالثة أن ضرب الزوجة والخادم والدابة وإن كان مباحا للأدب، فتركه أفضل.

والله أعلم

(٦٢٠) باب طيب رائحته صلى الله عليه وسلم، ولين مسه وطيب عرقه، والتبرك به

٥٢٧٠- ٨٠/١ عَن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه[٨٠] قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الأُولَى. ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ. فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ. فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا. قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي. قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِن جُؤْنَةِ عَطَّارٍ.

٥٢٧١- ٨١/٢ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه[٨١] قَالَ: مَا شَمَمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ وَلا مِسْكًا وَلا شَيْئًا أَطْيَبَ مِن رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَلا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ دِيبَاجًا وَلا حَرِيرًا أَلْيَنَ مَسًّا مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٥٢٧٢- ٨٢/٣ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه[٨٢] قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ. كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ. إِذَا مَشَى، تَكَفَّأَ. وَلا مَسِسْتُ دِيبَاجَةً وَلا حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِن كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَلا شَمِمْتُ مِسْكَةً وَلا عَنْبَرَةً أَطْيَبَ مِن رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٥٢٧٣- ٨٣/٤ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[٨٣] قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ عِنْدَنَا. فَعَرِقَ. وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلِتُ الْعَرَقَ فِيهَا. فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟» قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا وَهُوَ مِن أَطْيَبِ الطِّيبِ.

٥٢٧٤- ٨٤/٥ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[٨٤] قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا، وَلَيْسَتْ فِيهِ. قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا، فَأُتِيَتْ فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ ﷺ نَامَ فِي بَيْتِكِ، عَلَى فِرَاشِكِ. قَالَ: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدِيمٍ، عَلَى الْفِرَاشِ. فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا. فَفَزِعَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَقَالَ مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا. قَالَ: «أَصَبْتِ».

---

(٨٠) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَّادِ بْنِ طَلْحَةَ الْقَنَّادُ حَدَّثَنَا أَسْبَاطٌ وَهُوَ ابْنُ نَصْرٍ الْهَمْدَانِيُّ عَن سِمَاكٍ عَن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ

(٨١) وحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَن ثَابِتٍ عَن أَنَسٍ ح و حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا هَاشِمٌ يَعْنِي ابْنَ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ الْمُغِيرَةِ عَن ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ أَنَسٌ

(٨٢) وحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ صَخْرٍ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا حَبَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَن أَنَسٍ

(٨٣) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا هَاشِمٌ يَعْنِي ابْنَ الْقَاسِمِ عَن سُلَيْمَانَ عَن ثَابِتٍ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

(٨٤) وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ عَن إِسْحَقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

٥٢٧٥- ٨٥/٦ عَـن أُمِّ سُـلَيْمٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهَـا[٨٥]، أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ كَـانَ يَأْتِيهَـا، فَيَقِيـلُ عِنْدَهَـا، فَتَبْسُـطُ لَـهُ نِطْعًا، فَيَقِيلُ عَلَيْـهِ. وَكَـانَ كَثِيرَ الْعَـرَقِ. فَكَـانَتْ تَجْمَـعُ عَرَقَـهُ، فَتَجْعَلُـهُ فِـي الطِّيـبِ وَالْقَوَارِيرِ. فَقَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «يَـا أُمَّ سُلَيْمٍ! مَـا هَـذَا؟» قَـالَتْ: عَرَقُـكَ أَدُوفُ بِـهِ طِيبِي.

٥٢٧٦- ٨٦/٧ عَن عَائِشَـةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهَـا[٨٦] قَـالَتْ: إِنْ كَـانَ لَيُـنْزَلُ عَلَـى رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ فِـي الْغَدَاةِ الْبَـارِدَةِ، ثُـمَّ تَفِيـضُ جَبْهَتُـهُ عَرَقًـا.

٥٢٧٧- ٨٧/٨ عَـن عَائِشَـةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهَـا[٨٧]، أَنَّ الْحَـارِثَ بْـنَ هِشَـامٍ سَـأَلَ النَّبِـيَّ ﷺ: كَيْـفَ يَـأْتِيكَ الْوَحْـيُ؟ فَقَـالَ: «أَحْيَانًـا يَـأْتِينِي فِـي مِثْـلِ صَلْصَلَـةِ الْجَـرَسِ وَهُـوَ أَشَـدُّهُ عَلَـيَّ. ثُـمَّ يَفْصِـمُ عَنِّـي وَقَدْ وَعَيْتُهُ. وَأَحْيَانًا مَلَـكٌ فِـي مِثْـلِ صُـورَةِ الرَّجُـلِ. فَـأَعِي مَـا يَقُـولُ».

٥٢٧٨- ٨٨/٩ عَـن عُبَـادَةَ بْـنِ الصَّـامِتِ ﷺ[٨٨] قَـالَ: كَـانَ نَبِـيُّ اللَّـهِ ﷺ إِذَا أُنْـزِلَ عَلَيْـهِ الْوَحْـيُ، كُرِبَ لِذَلِـكَ، وَتَرَبَّـدَ وَجْهُـهُ.

٥٢٧٩- ٨٩/١٠ عَـن عُبَـادَةَ بْـنِ الصَّـامِتِ ﷺ[٨٩] قَـالَ: كَـانَ النَّبِـيُّ ﷺ إِذَا أُنْـزِلَ عَلَيْـهِ الْوَحْـيُ نَكَـسَ رَأْسَهُ، وَنَكَسَ أَصْحَابُـهُ رُءُوسَـهُمْ. فَلَمَّـا أُتْلِيَ عَنْـهُ، رَفَـعَ رَأْسَـهُ.

المعنى العام

مجموعة من صفاته الخلقية والخلقية صلى اللّه عليه وسلم، فقد كان لون بشرته أبيض بياضا مشوباً بحمرة أو سمرة، وخاصة الوجه واليدين والقدمين، بسبب المهنة والتعرض للشمس والهواء، وكان جلده ناعم الملمس كالحرير، وكان طيب الرائحة من غير طيب، وكان عرقه أبيض صافيا كاللؤلؤ، وأطيب ريحا من المسك، حتى كانت أم سليم تجمعه وتتطيبُ به، وكانت مشيته موجهة إلى الجهة التى يقصدها، لا يتوجه ولا يتلفت يمينا ولا شمالا، وكان ينام على فراش غيره، من غير أنفة أو غضاضة، وكان رحيما بالصبيان، يمسح خدودهم بيده الكريمة، إذا تعرضوا له فى الطريق، يطلبون بركة يده وملامسته.

---

(٨٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ

(٨٦) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ

(٨٧) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ح و حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَابْنُ بِشْرٍ جَمِيعًا عَنْ هِشَامٍ وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ

(٨٨) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ حِطَّانَ بْنِ عَبْدِاللَّهِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ

(٨٩) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ حِطَّانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَاشِيِّ عَنْ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ

وكان جميل الوجه، منفرج الأسارير، لكن إذا أتاه الوحى ثقل عليه، فتغير وجهه، وتصبب العرق من جبينه، وأخذه غطيط كغطيط النائم، فإذا ذهب الوحى عاد كما كان. صلى اللّٰه عليه وسلم.

المباحث العربية

(**صليت مع رسول اللّٰه ﷺ صلاة الأولى**) قال النووى: يعنى صلاة الظهر. اهـ.

وهو من إضافة الموصوف إلى صفته وقد أجازه النحويون الكوفيون وتأوله البصريون، على أن فيه محذوفا، تقديره: صلاة الساعات الأولى.

(**ثم خرج إلى أهله**) أى خرج من المسجد نحو بيوت أزواجه.

(**فاستقبله ولدان**) بكسر الواو، وسكون اللام، وتنوين النون، جمع وليد، بفتح الواو، وكسر اللام، وهو المولود حين يولد، والمراد هنا وصف الصبية بالصغر، والتعبير باستقبله يشعر بأنهم تعمدوا استقباله، ليمسح عليهم تبركا، وصاهم بذلك آباؤهم.

(**فجعل يمسح خدى أحدهم واحداً واحداً**) « خدى » بفتح الخاء والدال المشددة، مثنى خد، وكأنه صلى اللّٰه عليه وسلم كان يمسح الخدين بكفيه، أو كان يمسح الخدين باليمنى، وواحداً واحداً يشعر بأنه كان يستوعبهم جميعا.

(**وأما أنا فمسح خدى**) بالإفراد، وكان جابر إذ ذاك صبيا، ومات سنة ست وستين.

(**فوجدت ليده بردا أو ريحا**) « برداً » بفتح الباء وسكون الراء، ضد الحر، والظاهر أن هذا المسح كان فى الصيف، وفى شدة الحر، وقد يراد من البرد الراحة والسكون، والمراد من الريح هنا الطيب و « أو » بمعنى الواو.

(**كأنما أخرجها من جؤنة عطار**) قال النووى: هى بضم الجيم والهمزة بعدها، ويجوز ترك الهمزة، بقلبها واوا، كما فى نظائرها، وقد ذكرها كثيرون أو الأكثرون فى الواو، قال القاضى: هى مهموزة، وقد يترك همزها، وقال الجوهرى: هى بالواو، وقد تهمز، وهى السفط الذى فيه متاع العطار، هكذا فسره الجمهور، وقال صاحب العين: هى سليلة مستديرة، مغشاة أدماً. أى جلداً، والمراد هنا إناء الطيب.

(**ما شممت عنبراً قط، ولا مسكاً، ولا شيئاً أطيب من ريح رسول اللّٰه ﷺ**) « شممت » بكسر الميم الأولى، وفتحها لغة، حكاها الفراء، ويقال فى مضارعه أشمه بالفتح على الأفصح، وبالضم على اللغة المذكورة.

والعنبر طيب معروف، وكذا المسك « وشيئاً » أى من الطيب، من ذكر العام بعد الخاص، وفى رواية للبخارى « ولا شممت ريحاً قط - أو عرفاً قط - أطيب من ريح - أو عرف النبى ﷺ » وفى روايه له « مسكة ولا عنبرة أطيب رائحة من ريح رسول اللّٰه ﷺ » قال الحافظ ابن حجر: وقوله « عنبرة » ضبط بوجهين، أحدهما بسكون النون، بعدها باء، والآخر « عبيرا » بكسر الباء بعدها ياء، والأول معروف،

والثانى طيب معمول من أخلاط، يجمعها الزعفران، وقيل: هو الزعفران نفسه، وعند البيهقى « ولا شممت مسكًا، ولا عنبرًا، ولا عبيرًا » ذكرهما جميعا، والعرف بفتح العين وسكون الراء، الريح الطيب،ووقع فى بعض الروايات « عرقا » بفتح العين والراء والقاف، و« أو» فى روايات « أو» للتنويع.

(**ولا مسست شيئا قط، ديباجاً، ولا حريراً، ألينّ مسًّا من رسول اللَّه ﷺ**) فى الرواية الثالثة « ولا مسست ديباجة، ولا حريرة ألين من كف رسول اللَّه ﷺ» « مسست » السين الأولى مكسورة، ويجوز فتحها، والثانية ساكنة، وقد استشكل هذا بما جاء فى البخارى « إنه كان ضخم اليدين » وفى رواية « والقدمين » وفى رواية « شثن القدمين والكفين » فسره الأصمعى بغليظهما فى خشونة، قال الحافظ ابن حجر: والجمع بينهما أن المراد اللين فى الجلد، والغلظ فى العظام، فيجتمع له نعومة البدن، وقوته، أو حيث وصف باللين واللطافة، أريد حيث لا يعمل بهما شيئا، أو بالنسبة إلى أصل الخلقة، وحيث وصف بالغلظ والخشونة فهو بالنسة إلى امتهانهما بالعمل، فإنه كان يتعاطى كثيرًا من أموره بنفسه، صلى اللَّه عليه وسلم.اهـ.

ولم يوافق كثير من اللغويين الأصمعى على تفسير « شثن » بالخشونة، وفسروه بالغلظ فقط، وقال ابن بطال: كانت كفه صلى اللَّه عليه وسلم ممتلئة لحماً، غير أنها مع خضامتها كانت لينة، اهـ. وقد نقل ابن خالويه أن الأصمعى لما فسر الشثن بما مضى، قيل له: إنه ورد فى صفة النبى ﷺ؟ فآلى على نفسه أنه لا يفسر شيئا فى الحديث. اهـ

وعندى أن حديث أنس يصف كفه صلى اللَّه عليه وسلم باللين والنعومة، وهذا الوصف أمر نسبى، يرتبط بكف من يمس كفه صلى اللَّه عليه وسلم، فإن كان خشنا أحس فى المقابل بنعومة ولين، كما يرتبط بالأكف التى يمسها أنس، فإن كانت خشنة - كما هى العادة فى العرب الأوائل - أحس بنعومة كفه صلى اللَّه عليه وسلم - والظاهر أن كفه صلى اللَّه عليه وسلم كانت بين النعومة والخشونة، فالنعومة واللين بإطلاق وصف حسن فى النساء، والخشونة بإطلاق وصف امتهان، والممدوح فى الرجال الوسطية بين النعومة والخشونة. واللَّه أعلم.

والديباج نوع من الحرير، فعطف الحرير عليه هنا من عطف العام على الخاص. وفى رواية للبخارى « حريرًا ولا ديباجًا ».

(**كان رسول اللَّه ﷺ أزهر اللون**) أى أبيض مشربا بحمرة، فعند الترمذى والحاكم « كان أبيض، مشرباً بياضه بحمرة » وعند البيهقى فى الدلائل « كان رسول اللَّه ﷺ أبيض، بياضه إلى السمرة » وعند أحمد والبزار بإسناد صحيح « إن النبى ﷺ كان أسمر» وفى الروايات الصحيحة إطلاق كونه أبيض، فعند البزار بإسناد قوى « كان شديد البياض » وعند الطبرانى « ما أنسى شدة بياض وجهه، مع شدة سواد شعره » وفى شعر أبى طالب: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه. وعند أحمد « فنظرت إلى ظهره، كأنه سبيكة فضة » قال الحافظ ابن حجر: وتبين من مجموع الروايات أن المراد بالسمرة الحمرة التى تخالط البياض، وأن المراد بالبياض المثبت ما يخالطه الحمرة. وجمع البيهقى بأن المشرب بحمرة وسمرة من جلده صلى اللَّه عليه وسلم ما تعرض للشمس، وأما تحت الثياب فهو أبيض أزهر. اهـ يريد أبيض خالصا، غير مشرب بسمرة، فمن معانى الأزهر الأبيض الصافى المشرق.

(**كأن عرقه اللؤلؤ**) فى الصفاء والبياض، و « اللؤلؤ » بهمزتين، وقد يترك همزه.

(**إذا مشى تكفأ**) أى مال يمينا وشمالا، كما تكفأ السفينة، قال الأزهرى: هذا خطأ، لأن هذا صفة المختال، وإنما معناه أن يميل إلى سمته وقصد مشيه، وقال القاضى محبذاً التفسير الأول: ولا يعد اختيالا إذا كان خلقة وجبلة، والمذموم منه ما كان مستعملا مقصودا، قلت: وإن صح ما يقوله القاضى، لكن خلقة رسول الله ﷺ خالية من السوء، ومما يوهم السوء، فقول الأزهرى أسلم.

(**دخل علينا النبى ﷺ، فقال عندنا**) أى فنام نومة القيلولة، ففى الرواية الخامسة « كان النبى ﷺ يدخل بيت أم سليم، فينام على فراشها، وليست فيه، فجاء ذات يوم، فنام على فراشها » فجاءت، وقبل أن تدخل عليه « فأتيت » بضم الهمزة وكسر التاء وفتح الياء، مبنى للمجهول، أى أتاها آت من داخل البيت « فقيل لها: هذا النبى ﷺ نام فى بيتك، على فراشك » والظاهر أن هذه القيلولة لم تكن الأولى ففى الرواية السادسة « عن أم سليم رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يأتيها، فيقيل عندها » بفتح الياء وكسر القاف « فتبسط له نطعا » بكسر النون وسكون الطاء، وكسرها وفتحها، بساط من جلد مدبوغ، والمراد هنا الفروة « فيقيل عليه » أى فجاء ذات يوم، فنام على فراشها الذى كانت تفرشه له، فجاءت فقيل لها، فدخلت عليه، وقد عرق « وكان كثير العرق » واستنقع عرقه على قطعة أديم، على الفراش، ففتحت عتيدتها » بفتح العين، وكسر التاء بعدها ياء فدال، وهى كالصندوق الصغير، تجعل المرأة فيها ما يعز من متاعها، وكان فيه قوارير طيبها، فأخرجت منه قارورة « فجعلت تنشف ذلك العرق » بخرقة أو نحوها « فتعصره فى قواريرها » « فتجعله فى الطيب والقوارير».

وفى رواية البخارى « أخذت من عرقه وشعره، فجعلته فى قارورة » وفى ذكر الشعر فى هذه الرواية غرابة، وقد حمله بعضهم على ما ينتشر من شعره صلى الله عليه وسلم عند الترجل، وحمله بعضهم على أنها كانت قد أخذت من شعره سابقا، فوضعته فى القارورة، فعند ابن سعد بسند صحيح عن أنس ﷺ « أن النبى ﷺ لما حلق شعره بمنى، أخذ أبو طلحة، زوج أم سليم، أم أنس، أخذ شعره، فأتى به أم سليم، فجعلته فى سكها » والسك بضم السين وتشديد الكاف طيب مركب، فيستفاد من هذه الرواية أنها لما أخذت العرق وقت قيلولته أضافته إلى الشعر الذى عندها، لا أنها أخذت من شعره لما نام، ويستفاد منها أيضا أن القصة المذكورة كانت بعد حجة الوداع، لأنه صلى الله عليه وسلم إنما حلق رأسه بمنى فيها.

(**ففزع النبى ﷺ**) حين أحس بحركة يدها تحته وهو نائم، فاستيقظ، فرأى ما تصنع.

(**فقال: ما تصنعين يا أم سليم**)؟ فى الرواية السادسة « يا أم سليم، ما هذا؟ »

(**فقالت: يارسول الله. نرجو بركته لصبياننا. قال: أصبت**) فى الرواية السادسة « قالت: عرقك، أدوف به طيبى » قال النووى « أدوف » بالدال وبالذال، ومعناه: أخلط به طيبى.

ولا معارضة بين قولها للبركة، وبين أنها كانت تجمعه لطيبها، فإنها تفعل ذلك للأمرين معا.

(**عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن كان لينزل على رسول الله ﷺ فى الغداة الباردة، ثم تفيض جبهته عرقا**) هذا الحديث وصله البخارى بالرواية الثامنة، وقد أخرجه

الدارقطنى مفصولا، كمسلم، والغداة الصباح و« إن » مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، و« ينزل » بضم الياء وسكون النون وفتح الزاى، مبنى للمجهول. وفى رواية البخارى « ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا ».

(**كيف يأتيك الوحى**)؟ يحتمل أن يكون المسئول عنه، صفة الوحى نفسه، أى صفة الإيحاء ويحتمل أن يكون صفة حاملة، ويحتمل أن يكون المسئول عنه الأمرين معا.

(**فقال: أحيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس**) « أحياناً » جمع « حين » ويطلق على كثير الوقت وقليله، والمراد به هنا مجرد الوقت، فكأنه قال: أوقاتاً يأتينى، وهو منصوب على الظرفية، وعامله « يأتينى » مؤخر عنه، و « صلصلة الجرس » فى الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين، والمراد من الجرس هنا الجلجل الذى يعلق فى رءوس الدواب.

(**وهو أشده على**) أى أشد حالاته.

(**ثم يفصم عنى وقد وعيته**) « يفصم » بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد، أى يقلع، وينجلى ما يغشانى، ويروى بضم الياء وكسر الصاد، من الرباعى، ويروى بضم الياء وفتح الصاد، مبنى للمجهول، وأصل الفصم القطع .

(**وأحيانا ملك فى مثل صورة الرجل**) فى رواية للبخارى « وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا » والمراد من الملك جبريل، وقد صرح به فى رواية ابن سعد، والحق أن تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلا، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه.

(**فأعى ما يقول**) زاد فى رواية « وهو أهونه على »

(**كان النبى ﷺ إذا أنزل عليه الوحى نكس رأسه، ونكس أصحابه رءوسهم**) أى خفض رأسه من شدة الوحى، وخفضوا رءوسهم خشوعا ورهبة، وفى الرواية التاسعة « كرب لذلك، وتربد وجهه » « كرب » بضم الكاف وكسر الراء، أى أصابه الكرب والشدة و« تربد » بفتح التاء والراء وتشديد الباء المفتوحة، أى تغير، وصار كلون الرماد، ولا يتعارض هذا مع ما روى من « أن يعلى بن أمية نظر إليه حال نزول الوحى، وهو محمر الوجه » لأن المراد منه أنه حمرة كدرة، وهذا معنى التربد، ويحتمل أنه يتربد فى أول الوحى، ثم يحمر، أو بالعكس.

(**فلما أتلى عنه رفع رأسه**) قال النووى: هكذا هو فى معظم نسخ بلادنا « أتلى » بضم الهمزة وسكون التاء وكسر اللام، بعدها ياء، ومعناه ارتفع عنه الوحى، هكذا فسره صاحب التحرير وغيره، ووقع فى بعض النسخ « أجلى » بالجيم، وفى رواية البخارى « انجلى » ومعناهما أزيل عنه، وزال عنه.

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب

١- من الرواية الأولى عطفه صلى الله عليه وسلم على الصبيان ولطفه بهم، وصبره عليهم، ورحمته بهم.

٢- تبرك الصبية بمصافحته صلى اللّه عليه وسلم، بتوجيه من آبائهم، ومسحه صلى اللّه عليه وسلم خدودهم.

٣- تبريكه صلى اللّه عليه وسلم جابر بن سمرة ﷺ. ومسحه خده.

٤- طيب ريحه صلى اللّه عليه وسلم - ومع أنه صلى اللّه عليه وسلم كان يستعمل الطيب، لكن ريحه صلى اللّه عليه وسلم من غير تطييب كان طيبا، كما سيأتى عن عرقه، وقد روى أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح عن أنس ﷺ «كان رسول اللّه ﷺ إذا مر فى طريق من طرق المدينة، وجد منه رائحة المسك، فيقال: مر رسول اللّه ﷺ» وعند أحمد «أتى رسول اللّه ﷺ بدلو من ماء، فشرب منه، ثم مج فى الدار ثم فى البئر، ففاح منه مثل ريح المسك».

٥- ومن الرواية الثالثة لين كفه، ونعومة ملمسه صلى اللّه عليه وسلم.

٦- وبياض وصفاء عرقه صلى اللّه عليه وسلم.

٧- و من الرواية الرابعة والخامسة والسادسة طيب عرقه صلى اللّه عليه وسلم، وأنه أطيب الطيب وأخرج أبو يعلى الطبرانى من حديث أبى هريرة، فى قصة الذى استعان به صلى اللّه عليه وسلم على تجهيز ابنته «فلم يكن عنده شيء، فاستدعى بقارورة، فسلت له فيها من عرقه، وقال له: مرها فلتطيب به، فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب، فسموا بيت المطيبين»

٨- قال المهلب: وفيها طهارة شعر الآدمى وعرقه، وقال بعضهم: لا دلالة فيه، لأنه من خصائصه صلى اللّه عليه وسلم، ودليل ذلك متمكن فى القوة، ولا سيما إن ثبت الدليل على عدم طهارة كل منهما .

٩- وفيها جواز نوم الرجل الأجنبى على فراش المرأة الأجنبية، وفيه نظر، لما سيأتى فى علاقته صلى اللّه عليه وسلم بأم سليم.

١٠- قال المهلب: وفيه مشروعية القائلة للكبير فى بيوت معارفه، لما فى ذلك من ثبوت المودة. وتأكد المحبة. اهـ وقال بعضهم: بشرط الإذن، وأمن الفتنة.

١١- وفيها خدمة المرأة الأجنبية للضيف، وتمهيدها لفراشه.

١٢- وفيها إباحة ما قدمته المرأة للضيف من مال زوجها، لأن الأغلب أن الذى فى بيت المرأة هو من مال الرجل كذا قال ابن بطال.

١٣- وفيها أن الوكيل والمؤتمن، إذا علم أنه يسر صاحبه ما يفعله من ذلك جاز له فعله، ولا شك أن زوج أم سليم كان يسره ذلك.

وقد أثار هذا التصرف من رسول اللّه ﷺ مع أم سليم، ومع أختها أم حرام بنت ملحان، فقد ثبت أنه كان ينام فى حجرها، وأنها كانت تفلى شعر رأسه، أثار هذا للعلماء توجيهات:

- فقال ابن عبد البر: أظن أن أم حرام أرضعت رسول اللّه ﷺ، أو أختها أم سليم، فصارت كل منهما أمه أو خالته من الرضاعة، فلذلك كان ينام عندها، وتنال منه ما يجوز للمحرم أن يناله من محارمه.

- ونقل ابن عبد البر عن بعضهم أن أم حرام كانت منه ذات محرم، من قبل خالاته، لأن أم عبد المطلب جده كانت من بنى النجار. قال ابن وهب: قال بعضهم: إنما كانت خالة لأبيه أو جده عبد المطلب.
- وقال ابن الجوزى: سمعت بعض الحفاظ يقول: كانت أم سليم أخت آمنة بنت وهب، أم رسول الله ﷺ من الرضاعة. اهـ. وبالغ الدمياطى فى الرد على من ادعى المحرمية.
- وقال بعضهم: بل كان النبى ﷺ معصوما، يملك أربه عن زوجته، فكيف عن غيرها، مما هو المنزه عنه، وهو المبرأ عن كل فعل قبيح، فيكون ذلك من خصائصه، ورده القاضى عياض بأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال، وثبوت العصمة مسلم، لكن الأصل عدم الخصوصية، وجواز الاقتداء به فى أفعاله، حتى يقوم على الخصوصية دليل.
- وقال بعضهم: ثبت فى الصحيح « أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يدخل على أحد من النساء، إلا على أزواجه، وإلا على أم سليم، فقيل له...، فقال: أرحمها، قتل أخوها معى يعنى حرام بن ملحان، وكان قتل يوم بئر معونة » وأم حرام وأم سليم أختان، كانتا فى دار واحدة، كل واحدة منهما فى بيت من تلك الدار، وحرام بن ملحان أخوهما معا، فالعلة مشتركة فيهما، وتعقب بأن الشهداء كثيرون، ولم يثبت أنه فعل مع أخت أحدهم ما فعله مع أم سليم وأختها، وقد أضاف بعضهم إلى العلة المذكورة أن أنساً ابن أم سليم كان خادم النبى ﷺ، وقد جرت العادة بمخالطة المخدوم خادمه وأهل خادمه، ورفع الحشمة التى تقع بين الأجانب عنهم. قلت: جريان العادة لا يغير حكم الشرع، ولا يرخص فيه.
- وقال بعضهم: يحتمل أن يكون ذلك قبل الحجاب، ورد بأن ذلك كان بعد الحجاب قطعا، فقد مضى أنه كان بعد حجة الوداع.
- وقال بعضهم: ليس فى الحديث ما يدل على الخلوة بأم أنس أو أم حرام، ولعل ذلك كان مع وجود ولد أو خادم أو زوج أو تابع، قال الحافظ ابن حجر: وهو احتمال قوى، لكنه لا يدفع الإشكال من أصله، لبقاء الملامسة فى تفلية الرأس، وكذا النوم فى الحجر. قال: وأحسن الأجوبة دعوى الخصوصية، ولا يردها كونها لا تثبت إلا بدليل، لأن الدليل على ذلك واضح، اهـ. قلت: ليس بأحسن الأجوبة، لأنها لو كانت خصوصية له صلى الله عليه وسلم لاستخدمها مع غيرهما، أما الاقتصار عليهما فالأشبه أنها خصوصية لهما، ولأمر خاص بهما، فأحسن الأجوبة القول بالمحرمية.

١٤- يؤخذ من الرواية الثامنة أن مثل صلصلة الجرس كانت علامة على قدوم الوحى، إشعاراً للرسول ﷺ، ليتفرغ له، ويستعد للقائه ويتهيأ لاستقباله، وقد استشكل هذا بأن الجرس مذموم، لصحة النهى عنه، والتنفير من مرافقة ما هو معلق فيه، والإعلام بأنه لا تصحبهم الملائكة، كما سبق فى الأحاديث، فكيف يشبه ما فعله الملك بأمر تنفر منه الملائكة؟ والجواب أن الصوت الذى يصاحب الملك ليس صوت جرس، حتى ينفر منه، إنما هو شبيه به، فى وجه ما، فذكر ما ألفه السامعون سماعه تقريبا للأفهام، ولا يشترط فى التشبيه تساوى المشبه والمشبه به فى الصفات كلها، بل ولا فى أخص وصف له، بل يكفى اشتراكهما فى صفة ما.

وأما مصدر هذا الصوت فقيل: هو صوت الملك بالوحى، أى صوت متدارك بسمعه، ولا يتبين حروفه، حتى يصل، وقيل: بل هو صوت حفيف أجنحة الملك. والله أعلم.

١٥- وفيها أن الوحى كله شديد، لقوله «وهو أشده على» قالوا: لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أصعب من الفهم من كلام الرجل للرجل بالتخاطب المعهود، قالوا: والحكمة فيه أن العادة جرت بوجود مناسبة بين القائل والسامع، وهى هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل، بغلبة الروحانية، وهو النوع الأشد، وإما باتصاف القائل بوصف السامع، وهو البشرية، وهو النوع الثانى، وليس بالأشد.

١٦- ومن الرواية السابعة والتاسعة والعاشرة صفات النبى ﷺ الجسمية فى غير حالة نزول الوحى، وفى حالة نزول الوحى.

والله أعلم

(٦٢١) باب فى صفاته الخلقية، وصفة شعره وشيبته

٥٢٨٠- ٩٠/١ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٩٠] قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ أَشْعَارَهُمْ. وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ، فَسَدَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاصِيَتَهُ. ثُمَّ فَرَقَ بَعْدُ.

٥٢٨١- ٩١/٢ عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ[٩١] قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلا مَرْبُوعًا. بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ. عَظِيمَ الْجُمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ. عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ. مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ﷺ.

٥٢٨٢- ٩٢/٣ عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ[٩٢] قَالَ: مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَعْرُهُ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ. بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ. لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلا بِالْقَصِيرِ. قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: لَهُ شَعَرٌ.

٥٢٨٣- ٩٣/٤ عَنِ الْبَرَاءَ ﷺ[٩٣] يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا. وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا. لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الذَّاهِبِ وَلا بِالْقَصِيرِ.

٥٢٨٤- ٩٤/٥ عَنْ قَتَادَةَ ﷺ[٩٤] قَالَ: قُلْتُ لأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: كَيْفَ كَانَ شَعَرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: كَانَ شَعَرًا رَجِلا. لَيْسَ بِالْجَعْدِ وَلا السَّبْطِ، بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقِهِ.

٥٢٨٥- ٩٥/٦ عَنْ أَنَسٍ ﷺ[٩٥]؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَضْرِبُ شَعَرُهُ مَنْكِبَيْهِ.

٥٢٨٦- ٩٦/٧ عَنْ أَنَسٍ ﷺ[٩٦] قَالَ: كَانَ شَعَرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ.

---

(٩٠) حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ مَنْصُورٌ حَدَّثَنَا و قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِيَانِ ابْنَ سَعْدٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ
– وحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(٩١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَقَ قَالَ سَمِعْتُ عَنِ الْبَرَاءَ يَقُولا

(٩٢) حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالا حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنِ الْبَرَاءِ

(٩٣) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يُوسُفَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ سَمِعْتُ عَنِ الْبَرَاءِ

(٩٤) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ

(٩٥) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ هِلالٍ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ قَالا حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ

(٩٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالا حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ

٥٢٨٧- $\frac{٩٧}{٨}$ عن جَـابِرِ بْـنِ سَـمُرَةَ ﷺ(٩٧) قَـالَ: كَـانَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ ضَلِيـعَ الْفَـمِ. أَشْـكَلَ الْعَيْـنِ. مَنْهُـوسَ الْعَقِبَيْـنِ. قَـالَ: قُلْـتُ لِسِـمَاكٍ: مَا ضَلِيـعُ الْفَمِ؟ قَـالَ: عَظِيمُ الْفَـمِ. قَـالَ: قُلْـتُ: مَـا أَشْكَلُ الْعَيْنِ؟ قَالَ: طَوِيـلُ شَـقِّ الْعَيْـنِ. قَـالَ: قُلْـتُ: مَـا مَنْهُـوسُ الْعَقِـبِ؟ قَـالَ قَلِيـلُ لَحْـمِ الْعَقِـبِ.

٥٢٨٨- $\frac{٩٨}{٩}$ عَـن أَبِي الطُّفَيْـلِ ﷺ(٩٨) قَـالَ: قُلْـتُ لَـهُ: أَرَأَيْـتَ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ؟ قَـالَ: نَعَـمْ. كَـانَ أَبْيَضَ. مَلِيـحَ الْوَجْـهِ. رَضِـي اللَّهـم تَعَـالَى عَنْهَـا. مَـاتَ أَبُـو الطُّفَيْـلِ سَـنَةَ مِائَـةٍ. وَكَـانَ آخِـرَ مَـنْ مَـاتَ مِـن أَصْحَـابِ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ.

٥٢٨٩- $\frac{٩٩}{١٠}$ عَـن أَبِي الطُّفَيْـــلِ ﷺ(٩٩) قَـالَ: رَأَيْـتُ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ. وَمَـا عَلَـى وَجْـهِ الْـأَرْضِ رَجُلٌ رَآهُ غَيْرِي. قَـالَ: فَقُلْـتُ لَـهُ: فَكَيْـفَ رَأَيْتَـهُ؟ قَـالَ: كَـانَ أَبْيَـضَ مَلِيحًـا مُقَصَّـدًا.

٥٢٩٠- $\frac{١٠٠}{١١}$ عَـنِ ابْـنِ سِـيرِينَ(١٠٠) قَـالَ: سُـئِلَ أَنَـسُ بْـنُ مَـالِكٍ: هَـلْ خَضَـبَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ؟ قَـالَ: إِنَّـهُ لَـمْ يَكُـنْ رَأَى مِـنَ الشَّـيْبِ إِلا. قَـالَ ابْـنُ إِدْرِيـسَ: كَأَنَّـــهُ يُقَلِّلُـــهُ. وَقَـدْ خَضَـبَ أَبُـو بَكْـرٍ وَعُمَـرُ بِالْحِنَّـاءِ وَالْكَتَـمِ.

٥٢٩١- $\frac{١٠١}{١٢}$ عَـنِ ابْـنِ سِـيرِينَ(١٠١) قَـالَ: سَـأَلْتُ أَنَـسَ بْـنَ مَـالِكٍ: هَـلْ كَـانَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ خَضَبَ؟ فَقَالَ: لَـمْ يَبْلُـغِ الْخِضَـابَ. كَـانَ فِـي لِحْيَتِـهِ شَـعَرَاتٌ بِيـضٌ. قَـالَ: قُلْـتُ لَـهُ: أَكَـانَ أَبُـو بَكْـرٍ يَخْضِبُ؟ قَـالَ: فَقَـالَ: نَعَـمْ. بِالْحِنَّـاءِ وَالْكَتَـمِ.

٥٢٩٢- $\frac{١٠٢}{١٣}$ عَـن مُحَمَّـدِ بْـنِ سِـيرِينَ(١٠٢) قَـالَ: سَـأَلْتُ أَنَـسَ بْـنَ مَـالِكٍ: أَخَضَـبَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ؟ قَالَ إِنَّهُ لَـمْ يَـرَ مِـنَ الشَّـيْبِ إِلا قَلِيـلا.

٥٢٩٣- $\frac{١٠٣}{١٤}$ عَـن ثَـابِتٍ(١٠٣) قَـالَ: سُـئِلَ أَنَـسُ بْـنُ مَـالِكٍ: عَـن خِضَـابِ النَّبِـيِّ ﷺ؟ فَقَـالَ: لَـوْ

---

(٩٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لابْنِ الْمُثَنَّى قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّـدُ ابْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ
(٩٨) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْجُرَيْرِيِّ عَن أَبِي الطُّفَيْلِ
(٩٩) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى عَنِ الْجُرَيْرِيِّ عَن أَبِي الطُّفَيْلِ
(١٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ وَعَمْرٌو النَّاقِدُ جَمِيعًا عَنِ ابْنِ إِدْرِيسَ قَالَ عَمْرٌو حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ الأَوْدِيُّ عَن هِشَامٍ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ
(١٠١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارِ بْنِ الرَّيَّانِ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ عَن عَاصِمٍ الأَحْوَلِ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ
(١٠٢) وحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ حَدَّثَنَا وُهَيْبُ بْنُ خَالِدٍ عَن أَيُّوبَ عَن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ
(١٠٣) حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ

شِئْتُ أَنْ أَعُدَّ شَمَطَاتٍ كُنَّ فِي رَأْسِهِ فَعَلْتُ. وَقَالَ: لَمْ يَخْتَضِبْ. وَقَدِ اخْتَضَبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ. وَاخْتَضَبَ عُمَرُ بِالْحِنَّاءِ بَحْتًا.

٥٢٩٤- $\frac{١٠٤}{١٥}$ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(١٠٤) قَالَ: يُكْرَهُ أَنْ يَنْتِفَ الرَّجُلُ الشَّعْرَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ. قَالَ: وَلَمْ يَخْتَضِبْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. إِنَّمَا كَانَ الْبَيَاضُ فِي عَنْفَقَتِهِ، وَفِي الصُّدْغَيْنِ، وَفِي الرَّأْسِ نَبْذٌ.

٥٢٩٥- $\frac{١٠٥}{١٦}$ عَنْ أَنَسٍ ﷺ(١٠٥)، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ شَيْبِ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا شَانَهُ اللَّهُ بِبَيْضَاءَ.

٥٢٩٦- $\frac{١٠٦}{١٧}$ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ(١٠٦) قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، هَذِهِ مِنْهُ بَيْضَاءَ. وَوَضَعَ زُهَيْرٌ بَعْضَ أَصَابِعِهِ عَلَى عَنْفَقَتِهِ. قِيلَ لَهُ: مِثْلُ مَنْ أَنْتَ يَوْمَئِذٍ؟ فَقَالَ: أَبْرِي النَّبْلَ وَأَرِيشُهَا.

٥٢٩٧- $\frac{١٠٧}{١٨}$ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ(١٠٧) قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبْيَضَ قَدْ شَابَ. كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يُشْبِهُهُ.

٥٢٩٨- وفي رواية عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ بِهَذَا. وَلَمْ يَقُولُوا: أَبْيَضَ قَدْ شَابَ.

٥٢٩٩- $\frac{١٠٨}{١٩}$ عن جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ ﷺ(١٠٨) سُئِلَ عَنْ شَيْبِ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ: كَانَ إِذَا دَهَنَ رَأْسَهُ لَمْ يُرَ مِنْهُ شَيْءٌ. وَإِذَا لَمْ يَدْهُنْ رُئِيَ مِنْهُ.

المعنى العام

صان الله تعالى رسله من الصفات الذميمة والمنفرة فى الخلقة، لأن رسالتهم تستدعى رغبة الناس فيهم، وعدم نفورهم منهم، وليس فى صفات أجسامهم تشريع يمكن أن يعمل به ويقتدى، وإنما التشريع فى ذلك هو الحكم بحسن ما كانوا عليه من صفات، وعدم ذم مثيلاتها عند البشر.

---

(١٠٤) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
– وحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى بِهَذَا الإِسْنَادِ.

(١٠٥) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَأَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جَمِيعًا عَنْ أَبِي دَاوُدَ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ خُلَيْدِ بْنِ جَعْفَرٍ سَمِعَ أَبَا إِيَاسٍ عَنْ أَنَسٍ

(١٠٦) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَقَ ح و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ

(١٠٧) حَدَّثَنَا وَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ إِسْمَعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ
– و حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ وَخَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ كُلُّهُمْ عَنْ إِسْمَعِيلَ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ

(١٠٨) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سِمَاكِ ابْنِ حَرْبٍ قَالَ سَمِعْتُ عَنْ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ يَقُولا

فالطول البائن والقصر البائن ليسا هو الوضع الأحسن فى الخلقة، بل الأحسن الوسطية المائلة قليلا نحو الطول.

والنحافة وغلظ الجسم ليسا من الوضع الأحسن، اللَّهم إلا نحافة العقبين، لما فى ذلك من يسر المشى والجرى.

والشيب علامة على ظهور الضعف بعد القوة، وعدمه هو الأحسن.

والشعر للإنسان من سمات الجمال، وقد كان صلى اللَّه عليه وسلم يحافظ على نظافته ودهنه وتطييبه، وتسريحه، وفرقه، بعد أن كان يسدله.

وللعرف والعادة والبيئة دخل كثير فى الصورة التى تنبغى للمسلم بالنسبة إلى شعره، فقد تحبذ بيئة طول شعر الرجل، وتستنكر حلقه، وقد تحبذ بيئة أخرى حلق شعر الرجل وتستنكر طوله.

كذلك خضاب الشعر بالسواد أو بالصفرة، أو بالحمرة، للبيئة أثر كبير فى قبوله أو رفضه.

وقد تتأثر البيئة بتقليد الكافرين، فتحب ما هم عليه، وفى هذه الحالة لا تجيز الشريعة التشبه بهم، واستصحاب قصد ذلك يسىء إلى إسلام المسلم.

فللَّه العزة ولرسوله وللمؤمنين، ومن العزة استقلال الشخصية حتى فى المظهر واللباس. واللَّه الهادى سواء السبيل .

(ملحوظة) سبق فى كتاب اللباس ما له صلة بهذا الباب فمن شاء فليراجعه.

المباحث العربية

(كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم) أى يرسلون شعر رءوسهم على جباههم. قال النووى: قال العلماء: المراد هنا إرساله على الجبين، واتخاذه كالقصة، بضم القاف وتشديد الصاد المفتوحة، و« يسدلون » بفتح الياء، يقال: سدل بفتح الدال يسدل بضمها وكسرها، أى أرسل، وسدل شعره وثوبه إذا أرسله ولم يضم جوانبه، قال القاضى: والمراد به هنا إرساله على الجبين.

« وأشعار» بفتح الهمزة جمع شعر بفتح الشين مع سكون العين وفتحها، مذكران، وهو ما ينبت على الجسم مما ليس بصوف ولا وبر، للإنسان وغيره، ويجمع أيضا على شعور، والواحدة من الشعر شعرة، بفتح الشين وسكون العين.

(وكان المشركون يفرقون رءوسهم) « يفرقون » بفتح الياء وضم الراء وكسرها، وفرق رأسه وشعره بفتح الفاء والراء، أى ألقى شعره إلى جانبى رأسه، فلم يترك منه شيئا على جبهته، وفى الكلام مضاف محذوف، أى يفرقون شعر رءوسهم.

(وكان رسول اللَّه ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به) لصلتهم بالشرائع والكتب، وهل الحب كان بوحى أو من نفسه؟ وهل كان ذلك على الوجوب أو الندب؟ سيأتى تفصيله فى فقه الحديث.

(**فسدل رسول اللَّه ﷺ ناصيته**) أى شعر ناصيته.

(**ثم فرق بعد**) أى فرق شعر رأسه بعد أن كان يسدل.

(**كان رسول اللَّه ﷺ رجلا مربوعا**) وعند البخارى « كان ربعة » بفتح الراء وسكون الباء، أى مربوعا، والتأنيث باعتبار النفس، يقال: رجل ربعة، وامرأة ربعة، وقد فسر فى الحديث بأنه ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير والمراد بالطويل البائن المفرط فى الطول، مع اضطراب القامة، وفى رواية « كان ربعة، وهو إلى الطول أقرب » وفى رواية « رجل بين رجلين » وعند ابن أبى خيثمة « لم يكن أحد يماشيه من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول اللَّه ﷺ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان، فيطولهما، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول، ونسب رسول اللَّه ﷺ إلى الربعة » و فى الرواية الرابعة « ليس بالطويل الذاهب، ولا بالقصير».

(**بعيد ما بين المنكبين**) أى عريض الظهر.

(**عظيم الجمة، إلى شحمة أذنيه**) « الجمة » بضم الجيم وتشديد الميم المفتوحة الشعر الذى نزل إلى المنكبين، وفى رواية « كان شعر رسول اللَّه ﷺ فوق الوفرة، ودون الجمة » « الوفرة » أقل من الجمة وهى الشعر النازل إلى شحمة الأذنين، و « اللحمة » التى ألمت بالمنكبين.، و« شحمة الأذن » الجزء اللين فى أسفلها، وهو معلق القرط منها، وفى الرواية الثالثة « شعره يضرب منكبيه » وفى الرواية الخامسة « كان شعرا رجلا » بفتح الراء وكسر الجيم وقد تسكن، « أى سلسا متسرحا بين الجعودة والسبوطة « ليس بالجعد ولا السبط » والجعودة فى الشعر أن لا يتكسر ولا يسترسل، والسبوطة ضده، فى رواية للبخارى « ليس بجعد قطط ولا بسط ». « بين أذنيه وعاتقه » وفى الرواية السابعة « كان شعر رسول اللَّه ﷺ إلى أنصاف أذنيه » قال القاضى والجمع بين هذه الروايات أن ما يلى الأذن هو الذى يبلغ شحمة أذنيه وهو الذى بين أذنيه وعاتقه، وما خلفه هو الذى يضرب منكبيه، قال: وقيل: ذلك لاختلاف الأوقات، فإذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب، وإذا قصرها كانت إلى أنصاف الأذنين، فكان الشعر يقصر ويطول بحسب ذلك، والعاتق ما بين المنكبين والعنق.

(**كان رسول اللَّه ﷺ أحسن الناس وجها، وأحسنه خلقا**) بفتح الخاء. قال النووى: قال أبو حاتم وغيره: هكذا تقول العرب « وأحسنه » - أى كان الظاهر أن يقول: وأحسنهم - يريدون: وأحسنهم، ولكن لا يتكلمون به، وإنما يقولون: أجمل الناس وأحسنه، ومنه الحديث « خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، وأشفقه على ولد، وأعطفه على زوج » وحديث أبى سفيان « عندى أحسن نساء العرب وأجمله » أى وأجمل هذا الجنس.

(**كان رسول اللَّه ﷺ ضليع الفم**) فسره الراوى فى الحديث بعظيم الفم. قال النووى: كذا قاله الأكثرون، وهو الأظهر، قالوا: والعرب تمدح ذلك الرجل، وتذم فيه صغر الفم، وهو معنى قول ثعلب: واسع الفم، وقال شمر: عظيم الأسنان.

(**أشكل العين**) بسكون الشين وفتح الكاف، وفسره الراوى فى الحديث بطول شق العين، قال القاضى: وهذا من الراوى باتفاق العلماء، غلط ظاهر، وصوابه، ما اتفق عليه العلماء أن الشكلة حمرة فى بياض العينين، وهو محمود، والشهلة بالهاء حمرة فى سواد العين.

(**منهوس العقبين**) فسره الراوى بقليل لحم العقبين، و« منهوس » بالسين عند الجمهور، وروى بالشين، وهما متقاربان.

(**كان أبيض مليح الوجه**) فى الرواية العاشرة « كان أبيض مليحا مقصدا » بفتح القاف والصاد المشددة، وهو الذى ليس بجسيم ولا نحيف، ولا طويل ولا قصير.

(**هل خضب رسول الله ﷺ ؟**) « خضب » بفتحات يخضب بكسر الضاد خضبا وخضبة، يقال: خضب الشيء غير لونه بحمرة أو صفرة أو غيرهما، ويقال: اختضب الرجل واختضبت المرأة، من غير ذكر الشعر، والمراد هنا تغيير لون شعر الرأس واللحية بالحناء والأصابع الأخرى.

(**إنه لم يكن رأى من الشيب إلا...**) وكأنه أشار بأصابعه إلى قلة الشيب، لسيتغنى بالإشارة عن العبارة، وفى الرواية الثانية عشرة « لم يبلغ الخضاب » أى لم يبلغ شيبه ما يحتاج إلى الخضاب.

(**كان فى لحيته شعرات بيض**) وفى الرواية الثالثة عشرة « إنه لم ير من الشيب إلا قليلا » وفى الرواية الرابعة عشرة « لو شئت أن أعد شمطات كن فى رأسه فعلت. لم يختضب » يقال: شمط بفتح الشين وكسر الميم وأشمط، أى صار سواد شعره، مخالطاً لبياضه، والمراد هنا الشعرات البيضاء، والمراد من الرأس هنا جزؤها، وحددته الرواية الثانية عشرة باللحية، وحددته الرواية الخامسة عشرة بالعنفقة وبالصدغين، وقالت « وفى الرأس نبذ » أى شعرات منبوذة نادرة شاذة، وحددته الرواية السابعة عشرة بالعنفقة إشارة، وفى الرواية التاسعة عشرة « كان إذا دهن رأسه لم ير منه شيء » أى شيب « وإذا لم يدهن رئى منه » قال النووى: اختلاف الروايات فى قدر شيبه صلى الله عليه وسلم يجمع بينها بأنه كان شيئا يسيراً، فمن أثبت شيبه أخبر عن ذلك اليسير، ومن نفاه أراد أنه لم يكثر فيه.

(**وقد خضب أبو بكر وعمر بالحناء والكتم**) بفتح الكاف والتاء المخففة، قال النووى: هذا هو المشهور، وقال أبو عبيده: هو بتشديد التاء وهو نبات يصبغ به الشعر، يحول بياضه أو حمرته إلى الدهمة، وقوله « بالحناء والكتم » أى مخلوطين، وقوله « واختضب عمر بالحناء بحتا » أى منفرداً، غير مخلوط بالكتم أو غيره.

(**ما شانه الله ببيضاء**) « ما شانه » بدون همز، أى ما شانه الله بشعرات بيضاء كثيرة.

(**كنت أبرى النبل وأريشها**) « أبرى » بفتح الهمزة وسكون الباء، كبرى القلم ليدخل النبل فى جسم المرمى، و« أريشها » بفتح الهمزة وكسر الراء وإسكان الياء، أى أجعل للنبل ريشا.

والريش السن والنصل المدبب الذى يركب فى طرف النبل والسهم.

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب

١- من الرواية الأولى مشروعية فرق الشعر، قال النووى: قال العلماء: والفرق سنة، لأنه الذى رجع إليه النبى ﷺ، قالوا: فالظاهر أنه رجع إليه بوحى، لقوله « إنه كان يوافق أهل الكتاب فيما لم يؤمر به » أى إنه لم يعدل عن موافقتهم إلا بأمر، قال القاضى: حتى قال بعضهم: نسخ السدل، فلا يجوز فعله، ولا اتخاذ الناصية والجمة. قال: ويحتمل أن المراد جواز الفرق، لا وجوبه، أى ولا استحبابه، قال: ويحتمل أن الفرق كان باجتهاد فى مخالفة أهل الكتاب، لا بوحى، ويكون الفرق مستحبا، ولهذا اختلف السلف فيه، ففرق شعره جماعة منهم، واتخذ الجمة آخرون، قال: وقد جاء فى الحديث « أنه كان للنبى ﷺ لمة، فإن انفرقت فرقها، وإلا تركها » قال مالك: فرق الرجل أحب إلىّ. هذا كلام القاضى عياض: قال النووى: والحاصل أن الصحيح المختار جواز السدل والفرق، وأن الفرق أفضل.

٢- استحباب مخالفة أهل الكتاب فيما لم يرد عنه شيء فى شرعنا، قال القاضى: واختلف العلماء فى تأويل موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه شيء، فقيل: فعله استئلافاً لهم فى أول الإسلام، وموافقة لهم على مخالفة عبدة الأوثان، فلما أغنى الله تعالى عن استئلافهم، وأظهر الإسلام على الدين كله، صرح بمخالفتهم فى غير شيء، منها صبغ الشيب، وقال آخرون: يحتمل أنه أمر باتباع شرائعهم فيما لم يوح إليه شيء، وإنما كان هذا فيما علم أنهم لم يبدلوه، إذ كانوا فى زمانه متمسكين ببقايا من شرائع الرسل، فكانت موافقتهم أحب إليه من موافقة عبدة الأوثان، فلما أسلم غالب عباد الأوثان أحب صلى الله عليه وسلم حينئذ مخالفة أهل الكتاب.

٣- استدل بعضهم بالحديث على أن شرع من قبلنا شرع لنا، ما لم يرد شرعنا بخلافه، وقال آخرون: بل هذا دليل على أنه ليس بشرع لنا، لأنه قال: يحب موافقتهم، فأشار إلى خيريته، ولو كان شرعاً لنا لتحتم اتباعه، وعلى التسليم ففى نفس الحديث أنه رجع عن ذلك آخراً.

٤- ومن الرواية الثانية والثالثة والرابعة أن جسمه صلى الله عليه وسلم لم يكن بالطويل المفرط، ولا بالقصير الظاهر، بل كان وسطاً، يميل إلى الطول.

٥- ومن الرواية الثانية والثالثة أنه صلى الله عليه وسلم كان عريض الظهر، بعيد ما بين المنكبين.

٦- ومن الرواية الثانية والثالثة والخامسة والسادسة السابعة أنه صلى الله عليه وسلم كان طويل الشعر، يصل شعره أحياناً منكبيه.

٧- ومن الرواية الخامسة أن شعره صلى الله عليه وسلم كان سلسا، ليس جعدا ولا بسطة.

٨- ومن الرواية الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة أن الشيب فى شعره كان قليلا، وفى رواية لأنس « توفي رسول الله ﷺ وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ».

٩- وأن رسول الله ﷺ لم يخضب الشيب.

١٠- وأن أبا بكر وعمر رضى اللّه عنهما خضبا بالحناء والكتم.

١١- ومن الرواية الثامنة أنه كان أشكل العين، أى فى بياضها حمرة.

١٢- وأنه كان عظيم الفم والأسنان.

١٣- وأنه كان قليل لحم العقب.

١٤- ومن الرواية التاسعة والعاشرة أنه كان أبيض مليح الوجه، وفى الباب السابق تفصيل للون بشرته صلى اللّه عليه وسلم.

١٥- ومن الرواية الخامسة عشرة كراهة أن ينتف الرجل الشعرة البيضاء من رأسه ولحيته، قال النووى: وهذا متفق عليه، قال أصحابنا وأصحاب مالك: يكره ولا يحرم.

١٦- ومن الرواية السادسة عشرة أن الشيب ليس ممدوحا، وليس من الجمال.

١٧- ومن الرواية السابعة عشرة أن الشعرات البيضاء كانت على عنفقته صلى اللّه عليه وسلم.

١٨- ومن الرواية الثامنة عشرة أن الحسن بن على رضى اللّه عنهما كان يشبهه صلى اللّه عليه وسلم فى الخلقة.

١٩- ومن الرواية التاسعة عشرة أن رسول اللّه ﷺ كان يدهن شعره.

واللّه أعلم

(٦٢٢) باب إثبات خاتم النبوة، وصفته، ومحله من جسده صلى الله عليه وسلم

٥٣٠٠- ١٠٩/١ عن جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ رضي الله عنه[١٠٩] قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ. وَكَانَ إِذَا ادَّهَنَ لَمْ يَتَبَيَّنْ. وَإِذَا شَعِثَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ. وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ. فَقَالَ رَجُلٌ: وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ؟ قَالَ: لا. بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. وَكَانَ مُسْتَدِيرًا. وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشْبِهُ جَسَدَهُ.

٥٣٠١- ١١٠/٢ عن جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ رضي الله عنه[١١٠] قَالَ: رَأَيْتُ خَاتَمًا فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَأَنَّهُ بَيْضَةُ حَمَامٍ.

٥٣٠٢- ١١١/٣ عن السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ رضي الله عنه[١١١] قَالَ: ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ! اللَّهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ. فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ. ثُمَّ تَوَضَّأَ. فَشَرِبْتُ مِن وَضُوئِهِ. ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زِرِّ الْحَجَلَةِ.

٥٣٠٣- ١١٢/٤ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ رضي الله عنه[١١٢] قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ. وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا. أَوْ قَالَ: ثَرِيدًا. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَلَكَ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ، فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، عِنْدَ نَاغِضِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى. جُمْعًا. عَلَيْهِ خِيلَانٌ كَأَمْثَالِ الثَّآلِيلِ.

المعنى العام

كثير من العلماء يرون أن خاتم النبوة من صنع الملكين، وهو قطعة لحم مستديرة بارزة فى ظهره صلى الله عليه وسلم، بين كتفيه، أقرب ما تكون إلى الكتف الأيسر فى حجم بيضة الحمامة، وأنه علامة من علامات نبوته.

(١٠٩) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَن إِسْرَائِيلَ عَن سِمَاكٍ أَنَّهُ سَمِعَ عن جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ يَقُول
(١١٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن سِمَاكٍ قَالَ سَمِعْتُ.
– وحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا حَسَنُ بْنُ صَالِحٍ عَن سِمَاكٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ.
(١١١) وحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ قَالا حَدَّثَنَا حَاتِمٌ وَهُوَ ابْنُ إِسْمَعِيلَ عَنِ الْجَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ سَمِعْتُ عن السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ يَقُول
(١١٢) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ ح و حَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ كِلاهُمَا عَن عَاصِمٍ الأَحْوَلِ ح و حَدَّثَنِي حَامِدُ بْنُ عُمَرَ الْبَكْرَاوِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ.

ونحن نؤمن ببروز هذه المضغة من اللحم بين كتفيه فى صدره صلى اللّه عليه وسلم لثبوت رؤية الصحابة لها فى الأحاديث الصحيحة، ولكن لم يثبت فى حديث صحيح أنها علامة النبوة، نعم فى بعض الأحاديث أن بعض اليهود كشفوا عن كتفيه صلى اللّه عليه وسلم، فلما رأوها عرفوا رسالته، لكن فى هذه الروايات مقال.

وعلى الرغم من أن البخارى وغيره ذكر أحاديث الخاتم فى علامات النبوة، وفى مناقب الرسول ﷺ، وعلى الرغم من روايات ضعيفة ذكرها علماء السير فى وصف الخاتم، فقد قال الحافظ ابن حجر: ما ورد فى أنها كأثر محجم، أو كالشامة السوداء، أو الخضراء، أو مكتوب عليها « محمد رسول اللّه » أو « سر، فأنت المنصور» أو نحو ذلك، فلم يثبت منها شيء، وقد أطنب الحافظ قطب الدين استيعابها، فى شرح السيرة، وتبعه مغلطاى فى الزهر الباسم، ولم يبين شيئا من حالها، والحق ما ذكرته ولا تغتر بما وقع منها فى صحيح ابن حبان، فإنه غفل، حيث صحح ذلك . واللّه أعلم

المباحث العربية

(فقال رجل: وجهه مثل السيف. قال جابر: لا. بل كان مثل الشمس والقمر، وكان مستديرا) فى رواية للبخارى « سئل البراء: أكان وجه النبى ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر» كأن السائل أراد أنه مثل السيف فى الطول، فرد عليه البراء، فقال: بل مثل القمر فى التدوير، ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف فى اللمعان والصقال؟ فقال: بل فوق ذلك، وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين، من التدوير واللمعان، وفى رواية « أكان وجه النبى ﷺ حديدا مثل السيف؟ والسؤال فى رواية البخارى وجه إلى البراء بن عازب ﷺ، وهو الذى أجاب، وفى روايتنا وجه السؤال إلى جابر بن سمرة ﷺ، وهو الذى أجاب، ولا مانع من تعدد القصة، ولا من أن يكون السائل واحداً، وتعدد المسئولون. وقد زاد جابر فى التشبيه عن البراء « مثل الشمس » وقد جرى التعارف فى أن التشبيه بالشمس إنما يراد به غالبا الإشراق، والتشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحة، دون غيرها، ولهذا جاء فى الجواب « وكان مستديراً، للتنبيه على أنه جمع الصفتين معا، الحسن والاستدارة، وعند أحمد وابن سعد وابن حبان عن أبى هريرة « ما رأيت شيئا أحسن من رسول اللّه ﷺ، كأن الشمس تجرى فى جبهته » قال الطيبى: شبه جريان الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه صلى اللّه عليه وسلم، وهو من التشبيه المقلوب، وعند الطبرانى والدارمى عن الربيع بنت معوذ « لو رأيته لرأيت الشمس طالعة ».

(ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة، يشبه جسده) فى الرواية الثانية « كأنه بيضة حمام » لكن وقع عند ابن حبان « كبيضة نعامة » ونبه على أنها غلط، وعند ابن حبان من حديث ابن عمر « مثل البندقة من اللحم » وعند الترمذى « كبضعة ناشزة من اللحم » وفى رواية للبخارى « كانت بضعة ناشزة » أى مرتفعة على جسده، ومعنى « يشبه جسده » فى روايتنا أى فى اللون، قال الحافظ ابن حجر: وأما ما ورد من أنها كانت كأثر محجم، و كالشامة السوداء أو الخضراء، أو مكتوب عليها « محمد رسول اللّه » أو « سر. فأنت المنصور» أو نحو ذلك، فلم يثبت منها شيء. اهـ

ولا تنافى بين قوله « عند كتفه » وقوله فى الرواية الثانية « فى ظهر رسول اللّه ﷺ وقوله فى الرواية الثالثة والرابعة « بين كتفيه » فقد كان فى ظهره وبين كتفيه، عند كتفه الأيسر، قال القرطبى: اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئا بارزا أحمر، عند كتفه الأيسر قدره إذا قل بيضة الحمامة، وإذا كبر جمع اليد.

(**عن السائب بن يزيد**) فى البخارى عن الجعيد بن عبد الرحمن. قال: رأيت السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين، جلداً معتدلا، فقال: قد علمت ما متعت به، سمعى وبصرى، إلا بدعاء رسول اللّه ﷺ. إن خالتى ذهبت بى إليه .... ولد سنة أربع من الهجرة.

(**ذهبت بى خالتى إلى رسول اللّه ﷺ، فقالت: يا رسول اللّه، إن ابن أختى وجع**) بفتح الواو، وكسر الجيم وتنوين العين، وفى رواية للبخارى « وقع » بوزن « وجع » وبمعناها، وجاء بلفظ الفعل الماضى المبنى للمعلوم، والمراد أنه كان يشتكى رجله، كما ثبت فى بعض الطرق.

(**فمسح رأسى، ودعا لى بالبركة**) أى فهذا سر طول عمرى، وتمتعى بسمعى وبصرى.

(**ثم توضأ فشربت من وضوئه**) بفتح الواو، أى من الماء الذى تجمع بعد أن تساقط من وضوئه.

(**ثم قمت خلف ظهره**) أى وقفت خلف ظهره حين قام إلى الصلاة بعد الوضوء.

(**فنظرت إلى خاتمه، بين كتفيه، مثل زر الحجلة**) « زر» بكسر الزاى وتشديد الراء، و« الحجلة » بفتح الحاء والجيم، واحدة الحجال، وهى بيوت تزين بالثياب، فيكون لها عرى وأزرار كبار، وتستعمل كذلك فى دوائر الأسرة وتعرف بالكلة، وفى الستائر، وزرها فى حجم بيضة الحمامة غالبا. هذا هو الصواب المشهور الذى قاله الجمهور، وقال بعضهم: المراد بالحجلة الطائر المعروف، وزرها بيضتها، وقيل: من حجل الفرس، وهو البياض بين عينيه، ورد بأن التحجيل إنما يكون فى القوائم، وأما الذى فى الوجه فهو الغرة، وأجيب بأنه قد يطلق على ذلك مجازا، واعترض بأن الغرة لا زرلها، وكون هذه الكلمة مقحمة تكلف دون موجب، وجزم الترمذى بأن المراد بالحجلة الطير المعروف، وأن المراد بزرها بيضها، ويقال لهذا الطير اليعقوب، ويقال للأنثى منه حجلة.

وجاء فى رواية « رز» بتقديم الراء على الزاى، وهو مأخوذ من ارتز الشىء إذا دخل فى الأرض، والمراد بها هنا البيضة، يقال: ارتزت الجرادة، إذا أدخلت ذنبها فى الأرض لتبيض، وعلى هذا فالمراد بالحجلة الطير المعروف أيضا .

(**استغفر لك النبى ﷺ؟ قال: نعم. ولك**) يا عاصم. وهو الراوى عن عبد اللّه بن سرجس، ويقصد بالاستغفار لهما دخولهما فى عموم المؤمنين والمؤمنات فى الآية.

(**فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه، عند ناغض كتفه اليسرى جمعا**) « ناغض»

بكسر الغين، بعدها ضاد، قال الجمهور: النغض بسكون الغين وفتحها والناغض أعلى الكتف، وقيل: هو العظم الرقيق الذى على طرفه، وقيل: ما يظهر منه عند التحرك.

وأما قوله « جمعا » فبضم الجيم، وسكون الميم، ومعناه أنه كجمع الكف، وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها.

(**عليه خيلان، كأمثال الثآليل**) « خيلان » بكسر الخاء جمع « خال » وهو الشامة فى الجسد، أى على الخاتم، أو حوله خيلان، كأمثال الثآليل، والثآليل، بفتح الثاء ممدودة جمع ثؤلول بضم الثاء، وهو خراج أو الحبة تظهر فى الجلد كالحمصة فما دونها، ويطلق على حلمة الثدى، وهو المناسب هنا.

فقه الحديث

قال الحافظ ابن حجر: كان الخاتم الذى بين كتفى النبى ﷺ علامة من علامات النبوة، التى كان أهل الكتاب يعرفونه بها، قال: وادعى عياض هنا أن الخاتم هو أثر شق الملكين لما بين كتفيه، وتعقبه النووى: فقال: هذا باطل، لأن الشق إنما كان فى صدره وبطنه، وأثره إنما كان خطا واضحا من صدره إلى مراق بطنه، كما فى الصحيحين، قال: ولم يثبت قط أنه بلغ بالشق، حتى نفذ من وراء ظهره، ولو ثبت للزم عليه أن يكون مستطيلا من بين كتفيه إلى قطنته، لأنه الذى يحاذى الصدر، من سرته إلى مراق بطنه. قال: فهذه غفلة من هذا الإمام، ولعل هذا وقع من بعض نساخ كتابه، فإنه لم يسمع عليه، فيما علمت.

ودافع الحافظ ابن حجر عن القاضى عياض، وقال: وقد وقفت على مستند القاضى، وهو حديث عتبة بن عبد السلمى، أخرجه أحمد والطبرانى، وغيرهما عنه، أنه سأل رسول اللّٰه ﷺ: كيف كان بدء أمرك؟ فذكر القصة فى ارتضاعه فى بنى سعد، وفيه أن الملكين لما شقا صدره قال أحدهما للآخر: خطه، فخاطه، وختم عليه بخاتم النبوة. اهـ. قال: فلما ثبت أن خاتم النبوة كان بين كتفيه حمل ذلك عياض على أن الشق لما وقع فى صدره، ثم خيط، حتى التأم كما كان، ووقع الختم بين كتفيه كان ذلك أثر الشق، وفهم النووى وغيره منه، أن قوله « بين كتفيه » متعلق بالشق، وليس كذلك، بل هو متعلق بأثر الختم. ثم ساق الحافظ ابن حجر أحاديث ضعيفة لا يحتج بها، دفاعا عن القاضى عياض، ولسنا معه، والقول هنا قول النووى.

وقد ذكر البخارى حديث السائب بن يزيد، وروايتنا الثالثة فى باب استعمال فضل وضوء الناس من كتاب الطهارة، مستدلا بشرب السائب من ماء وضوئه صلى اللّٰه عليه وسلم.

قال الحافظ ابن حجر: أراد البخارى الاستدلال بهذا الحديث على رد قول من قال بنجاسة الماء المستعمل وهو قول أبى يوسف، وعن أبى حنيفة ثلاث روايات: الأولى طاهر، لا طهور، وهو قول الشافعى فى الجديد، وهو المفتى به عند الحنفية، الثانى نجس نجاسة خفيفة، الثالثة نجس نجاسة غليظة، وهذه الأحاديث ترد عليه، لأن النجس لا يتبرك به.

قال ابن المنذر: وفى إجماع أهل العلم على أن البلل الباقى على أعضاء المتوضئ، وما قطر منه على ثيابه طاهر، دليل قوى على طهارة الماء المستعمل.

كما ذكر البخارى هذا الحديث تحت باب المسح على رأس المريض، والدعاء له بالبركة فى كتاب الدعوات. وذكره أيضا تحت باب من ذهب بالصبى المريض ليدعى له، فى كتاب المرضى.

كما ذكره تحت باب خاتم النبوة، من كتاب المناقب.

والله أعلم

(٦٢٣) باب قدر عمره صلى الله عليه وسلم، وإقامته بمكة والمدينة

٥٣٠٤- ١١٣/١ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[١١٣] قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلا بِالْقَصِيرِ. وَلَيْسَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ وَلا بِالآدَمِ. وَلا بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ وَلا بالسَّبِطِ. بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً. فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً. وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ.

٥٣٠٥- - وَفِي رواية عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، بِمِثْلِ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَزَادَ فِي حَدِيثِهِمَا: كَانَ أَزْهَرَ.

٥٣٠٦- ١١٤/٢ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[١١٤] قَالَ: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ. وَأَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ. وَعُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ.

٥٣٠٧- ١١٥/٣ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا [١١٥]؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. و قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ. بِمِثْلِ ذَلِكَ.

٥٣٠٨- ١١٦/٤ عَن عَمْرٍو[١١٦] قَالَ قُلْتُ لِعُرْوَةَ كَمْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ؟ قَالَ: عَشْرًا. قَالَ: قُلْتُ: فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: ثَلاثَ عَشْرَةَ.

٥٣٠٩- ٠٠/٠٠ عَن عَمْرٍو[٠٠] قَالَ: قُلْتُ لِعُرْوَةَ: كَمْ لَبِثَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ؟ قَالَ: عَشْرًا. قُلْتُ: فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: بِضْعَ عَشْرَةَ. قَالَ: فَغَفَّرَهُ، وَقَالَ: إِنَّمَا أَخَذَهُ مِن قَوْلِ الشَّاعِرِ.

---

(١١٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَن رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ
– و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ ح و حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بلال كِلاهُمَا عَن رَبِيعَةَ يَعْنِي ابْنَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
(١١٤) حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الرَّازِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو حَدَّثَنَا حَكَّامُ بْنُ سَلْمٍ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ زَائِدَةَ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
(١١٥) وحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ حَدَّثَنِي أَبِي عَن جَدِّي قَالَ حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَن عُرْوَةَ عَن عَائِشَةَ
– وحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَبَّادُ بْنُ مُوسَى قَالا حَدَّثَنَا طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى عَن يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ بِالإِسْنَادَيْنِ جَمِيعًا مِثْلَ حَدِيثِ عُقَيْلٍ.
(١١٦) حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ إِسْمَعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْهُذَلِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَن عَمْرٍو
(٠٠) و حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَن عَمْرٍو

٥٣١٠- ١١٧/٥ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١١٧]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ. وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ.

٥٣١١- ١١٨/٦ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١١٨] قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ. وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا. وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

٥٣١٢- ١١٩/٧ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ[١١٩] قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُتْبَةَ. فَذَكَرُوا سِنِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَكْبَرَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ. وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ. وَقُتِلَ عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ. قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، يُقَالُ لَهُ عَامِرُ ابْنُ سَعْدٍ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ. فَذَكَرُوا سِنِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ. وَقُتِلَ عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ.

٥٣١٣- ١٢٠/٨ عَنْ جَرِيرٍ[١٢٠] أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ فَقَالَ: مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ. وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَأَنَا ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ.

٥٣١٤- ١٢١/٩ عَنْ عَمَّارٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ[١٢١] قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: كَمْ أَتَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ؟ فَقَالَ مَا كُنْتُ أَحْسِبُ مِثْلَكَ مِنْ قَوْمِهِ يَخْفَى عَلَيْهِ ذَاكَ. قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي قَدْ سَأَلْتُ النَّاسَ فَاخْتَلَفُوا عَلَيَّ. فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَ قَوْلَكَ فِيهِ. قَالَ: أَتحْسُبُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمْسِكْ أَرْبَعِينَ بُعِثَ لَهَا. خَمْسَ عَشْرَةَ بِمَكَّةَ. يَأْمَنُ وَيَخَافُ. وَعَشْرَ مِنْ مُهَاجَرِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

---

(١١٧) حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَوْحِ بْنِ عُبَادَةَ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ إِسْحَقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاس

(١١٨) وَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

(١١٩) و حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبَانَ الْجُعْفِيُّ حَدَّثَنَا سَلَامٌ أَبُو الأَحْوَصِ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ

(١٢٠) وحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَقَ يُحَدِّثُ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ الْبَجَلِيِّ عَنْ جَرِيرٍ

(١٢١) و حَدَّثَنِي ابْنُ مِنْهَالٍ الضَّرِيرُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ عَمَّارٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ
– و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ يُونُسَ بِهَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ.

٥٣١٥- ١٢٢/١٠ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١٢٢]؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ.

٥٣١٦- ١٢٣/١١ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١٢٣] قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً. يَسْمَعُ الصَّوْتَ، وَيَرَى الضَّوْءَ، سَبْعَ سِنِينَ، وَلا يَرَى شَيْئًا. وَثَمَانَ سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ. وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرًا.

المعنى العام

يشتهر العرب بالمعمرين الذين يبلغون ما فوق السبعين، ربما لبيئة الصحراء، قليلة الأمراض، نقية الهواء، وربما لقلة مشاغلهم ومشاكلهم.

والأعمار الحقيقية لا تقاس بالسنين، فالأزمنة ظروف لما يحدث فيها، وقيمتها بقيمة ما يشغلها.

فلو أن عملا ما تم فى شهر مع إنسان، وتم هو نفسه مع إنسان آخر فى عام كانت قيمة العام عند هذا مساوية لقيمة الشهر عند ذاك.

ومن هنا نعجب كل العجب لما أحدثه رسول اللَّه ﷺ فى الإنسانية من نهضة وتطور فى زمن يقل عن ثلاثة وعشرين عاما، فقد أوحى إليه صلى اللَّه عليه وسلم وهو ابن أربعين، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين.

كانت ساعاته بأيام عند غيره، وما رجع من غزوة إلا ورى بأخرى، وما جلس فى المسجد إلا دعا ونصح وبلغ، يلقى جبريل، ويلقى أصحابه، ويلقى أعداءه، ويدير مملكة يحاربها خصوم ألداء من جهات متعددة، ويطبق شريعة اللَّه، ويقضى بين الناس، وهو القائد فى الحرب، الوالد فى السلم، ولقد عظمت المسئولية لعظمة المسئول.

حقا. إن المرء ليعجب، ولا يعجب من سؤال الصحابة بعضهم بعضا عن عمره صلى اللَّه عليه وسلم، ما قضاه منه فى مكة بعد البعثة وقبل الهجرة، وما قضاه صلى اللَّه عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة.

صلى اللَّه وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١٢٢) و حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا بِشْرٌ يَعْنِي ابْنَ مُفَضَّلٍ حَدَّثَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ حَدَّثَنَا عَمَّارٌ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ – و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ خَالِدٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ.

(١٢٣) و حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ أَخْبَرَنَا رَوْحٌ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

المباحث العربية

(**بعثه الله على رأس أربعين سنة**) أى أوحى إليه عند تمامه أربعين سنة.

(**فأقام بمكة عشر سنين**) أى بعد بدء الوحى.

(**وبالمدينة عشر سنين**) ابتداء من الهجرة، حتى الوفاة.

(**وتوفاه الله على رأس ستين سنة**) من تاريخ ولادته.

(**كم كان النبى ﷺ بمكة ؟**) أى كم سنة أقام بمكة بعد أن بعث؟ وفى ملحق الرواية الرابعة « كم لبث النبى ﷺ بمكة »؟

(**فإن ابن عباس يقول: بضع عشرة**) فسر البضع فى الرواية السادسة بثلاث ولفظها « مكث بمكة ثلاث عشرة » أى بعد أن بعث.

(**قال: فغفره**) بفتح الغين، وتشديد الفاء المفتوحة، أى دعا عروة لابن عباس بالمغفرة، قال النووى: هكذا هو فى جميع نسخ بلادنا « فغفره » أى قال: غفر الله له، وهذه اللفظة يقولونها غالبا لمن غلط فى شيء. فكأنه قال: أخطأ غفر الله له. قال القاضى: وفى رواية ابن ماهان « فصغره » بصاد ثم غين، أى استصغره عن معرفة هذا، وعن إدراكه وضبطه.

(**وقال: إنما أخذه من قول الشاعر**) أى استمد ابن عباس هذا القول من قول الشاعر، وليس له علم بذلك، والشاعر المقصود هنا هو أبو قيس، صرمة بن أبى أنس، حيث يقول:

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة ∴ يذكر، لو يلقى خليلا مواتيا

أى يتمنى أن يلقى صاحبا يسلم ويتبعه، قال القاضى: وقد وقع هذا البيت فى بضع نسخ صحيح مسلم، وليس هو فى عامتها. قال النووى: وأبو قيس هذا أنصارى من بنى النجار، كما قال ابن إسحق، قال: كان قد ترهب فى الجاهلية، ولبس المسوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة، واتخذ بيتا له مسجداً، لا يدخل عليه حائض ولا جنب، وقال: أعبد رب إبراهيم، فلما قدم النبى ﷺ المدينة أسلم، فحسن إسلامه، وهو شيخ كبير، وكان قوالا بالحق، وكان معظما لله تعالى فى الجاهلية يقول الشعر فى تعظيمه سبحانه وتعالى. اهـ

(**فذكروا سنى رسول الله ﷺ**) بكسر السين وكسر النون مخففة، وأصلها « سنين » حذفت النون للإضافة، لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، أى تذاكروا عمر النبى ﷺ، وعدد السنين التى عاشها.

(**كان أبو بكر أكبر من رسول الله ﷺ**) وهذا خطأ باتفاق الجمهور.

(**مات رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، وأبو بكر وعمر**) الخبر محذوف للعلم به من المقام، أى وأبو بكر وعمر ماتا وكل منهما ابن ثلاث وستين .

(**وأنا ابن ثلاث وستين**) يقول معاوية: وأنا الآن ابن ثلاث وستين. والجملة مستأنفة، يقصد وأنا أتوقع موافقتهم، فأموت فى سنتى هذه، قيل: عاش سبعا وسبعين سنة.

(**عن عمار مولى بنى هاشم، قال: سألت ابن عباس: كم أتى لرسول الله ﷺ يوم مات؟**) أى كم من الدهر والسنين أتى على حياته صلى الله عليه وسلم يوم مات؟

(**ما كنت أحسب مثلك من قومه يخفى عليه ذاك**) ظن ابن عباس أن عماراً يسأل لخفاء الأمر عليه، ليعلم، والحقيقة أن عماراً كان يسأل للتقرير، وليتأكد من الخبر الشائع عن شذوذ ابن عباس بقوله. ولذلك كان جوابه: إنى قد سألت الناس - أى الصحابة - فاختلفوا على، فأحببت أن أعلم قولك فى هذا الأمر.

(**قال: أتحسب**) بضم السين، من الحساب، أى أتعرف الجمع؟

(**أربعين بعث لها**) أى بعث عندها. أضف إليها.

(**خمس عشرة بمكة، يأمن ويخاف**) أى بعد أن أوحى إليه أقام بمكة خمس عشرة سنة، يسر بالدعوة ويجهر بها.

(**وعشر من مهاجرة إلى المدينة**) «عشر» غير منون، على نية الإضافة، أى وعشر سنين، مبتدئة من تاريخ هجرته إلى وفاته.

(**أقام النبى ﷺ بمكة خمس عشرة سنة، يسمع الصوت، ويرى الضوء سبع سنين، ولا يرى شيئا، وثمان سنين يوحى إليه**) قال القاضى: أى يسمع صوت الهاتف به من الملائكة، ويرى نور الملائكة، أو نور آيات الله، حتى رأى الملك بعينيه، وشافهه بوحى الله تعالى.

فقه الحديث

يحسن بنا أن نسرد الأقوال منضبطة، ثم نرجح أو نجمع بينها، أو نختار.

فعن تاريخ ميلاده صلى الله عليه وسلم يقول النووى: ولد عام الفيل على الصحيح المشهور، وقيل: بعد الفيل بثلاث سنين، وقيل: بأربع سنين، وادعى القاضى عياض الإجماع على عام الفيل، وليس كما ادعى.

واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين فى شهر ربيع الأول، واختلفوا: هل هو ثانى الشهر؟ أم ثامنه؟ أم عاشره؟ اهـ وهذه الأقوال غير منسجمة، فإذا كان هناك اتفاق على يوم الاثنين أمكن تحديد وضعه من الشهر هكذا. ثانيه أو تاسعه؟ أو سادس عشره؟، أما أن يكون الاثنين ثانياً أو ثامناً أو عاشراً أو ثانى عشره فغير معقول.

وسبب هذا الاختلاف أن العرب لم يكونوا يكتبون، ولا يقيدون المواليد، والإنسان يحتاج تاريخ الميلاد غالبا عندما يصبح مهماً، أى بعد ميلاده بفترة، تنسى تاريخ الميلاد غالبا.

أما تاريخ وفاته صلى اللّه عليه وسلم فقد اتفقوا على أنه توفي يوم الاثنين، الثانى عشر من شهر ربيع الأول، ضحى.

وأما متى بعث؟ وعند أى سنة من عمره أوحى إليه، فالصواب المشهور أنه صلى اللّه عليه وسلم بعث على رأس أربعين من عمره، وحكى القاضى عياض عن ابن عباس وسعيد بن المسيب رواية شاذة « أنه صلى اللّه عليه وسلم بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة.

ولعل هذه الرواية حسبت البعثة من تاريخ عودة الوحى بعد أن فتر.

واتفقوا على أنه صلى اللّه عليه وسلم أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين.

والخلاف الواضح فى الروايات إنما هو فى المدة التى أقامها بمكة بعد البعثة، مما ترتب على هذا الخلاف خلاف فى عمره صلى اللّه عليه وسلم ككل.

فالرواية الأولى تصرح بأنه صلى اللّه عليه وسلم أقام بمكة بعد البعثة عشر سنين، وبعث على رأس الأربعين، وأقام بالمدينة عشر سنين، فتوفى على رأس الستين، وهى مروية عن أنس ﷺ.

وفى البخارى عن عائشة وابن عباس.

والرواية الرابعة وملحقها تنسب لعروة أنه صلى اللّه عليه وسلم أقام بمكة بعد البعثة عشر سنين وأن عروة أنكر على ابن عباس قوله « ثلاث عشرة » وعليه فعروة يعتبر عمره صلى اللّه عليه وسلم حين وفاته ستين سنة، على خلاف ما عليه الجمهور، وما نسب إلى ابن عباس فى الرواية الرابعة والخامسة والسادسة يتفق مع قول الجمهور، وقد روى أيضا فى البخارى عن عائشة رضى اللّه عنها.

أما الرواية التاسعة فتنسب لابن عباس أن الإقامة بمكة بعد البعثة خمس عشرة سنة، والبعثة على رأس الأربعين، فيكون عمره صلى اللّه عليه وسلم حين الوفاة خمساً وستين، وقد صرحت بذلك الرواية العاشرة، فيكون هذا رأياً لابن عباس مخالفا للجمهور.

فتحصل من هذا:

قول بأنه صلى اللّه عليه وسلم توفى وهو ابن ستين سنة.

وقول بأنه صلى اللّه عليه وسلم توفى وهو ابن خمس وستين سنة.

وقول بأنه صلى اللّه عليه وسلم توفى وهو ابن ثلاث وستين سنة.

قال النووى: وهو أصح الأقوال وأشهرها، رواه مسلم هنا من رواية عائشة وأنس وابن عباس. رضى اللّه عنهم.

وتأول الجمهور الروايات الأخرى، تأول رواية الستين بأنه اقتصر فيها على العقود، وترك الكسر، وتأول روايات الخمس والستين بالجبر إلى نصف العقد، أو أن هذه الروايات حصل فيها اشتباه، فلصاحبها روايات بخلافها.

قال الحافظ ابن حجر: والحاصل أن كل من روى عنه من الصحابة ما يخالف المشهور - وهو ثلاث وستون - جاء عنه المشهور، وهم ابن عباس وعائشة وأنس.

ثم قال: ومن الشذوذ ما رواه عمر بن شبة أنه عاش إحدى أو اثنتين وستين، ولم يبلغ ثلاثا وستين، وكذا رواه ابن عساكر من وجه آخر أنه عاش اثنتين وستين ونصفا، وهذا يصح على قول من قال: ولد في رمضان، وهو قول شاذ.

والله أعلم

(٦٢٤) باب فى أسمائه صلى الله عليه وسلم

٥٣١٧- ١٢٤/١ عن مُحَمَّدَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ(١٢٤)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ. وَأَنَا أَحْمَدُ. وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ. وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي. وَأَنَا الْعَاقِبُ». وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ.

٥٣١٨- ١٢٥/٢ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ(١٢٥)؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً. أَنَا مُحَمَّدٌ. وَأَنَا أَحْمَدُ. وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ. وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ. وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ». وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رَءُوفًا رَحِيمًا.

٥٣١٩- ٠٠/٠٠ وَفِي حَدِيثِ شُعَيْبٍ وَمَعْمَرٍ(٠٠): سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وَفِي حَدِيثِ عُقَيْلٍ: قَالَ: قُلْتُ: لِلزُّهْرِيِّ: وَمَا الْعَاقِبُ؟ قَالَ: الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ. وَفِي حَدِيثِ مَعْمَرٍ وَعُقَيْلٍ: الْكَفَرَةَ. وَفِي حَدِيثِ شُعَيْبٍ: الْكُفْرَ.

٥٣٢٠- ١٢٦/٣ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ(١٢٦) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً. فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ».

المعنى العام

كثير من الأسماء يلحظ واضعوها مشتقها ومعناها، تيمناً وتفاؤلاً ورغبة فى أن يكون المسمى له نصيب من اسمه، ولهذا كان النبى ﷺ يغير الأسماء القبيحة أو التى تبعث الشؤم فى نفس السامع إلى أسماء حسنة مبشرة.

لقد توفي عبد الله والد محمد ﷺ ومحمد فى بطن أمه، فلما ولد سماه جده عبد المطلب محمداً، رجاء أن يحمد فى السموات وفى الأرض، وكان الرهبان يبشرون الناس بأن نبيا فى ذاك الزمان

---

(١٢٤) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا و قَالَ الآخَرَانِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ سَمِعَ عن مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ

(١٢٥) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عن مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ

(٠٠) وحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ ح و حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ح و حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ كُلُّهُمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَفِي حَدِيثِ شُعَيْبٍ وَمَعْمَرٍ

(١٢٦) وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ

سيبعث، واسمه محمد، فبدأ الآباء يسمون أبناءهم محمداً، أملاً فى أن يكون هو النبى ﷺ المنتظر، حتى بلغ اسم محمد فى تلك الآونة خمسة عشر، بعد أن لم يكن معروفا عند العرب، وكانت توراة عيسى بشرت بهذا النبى ﷺ وسمته « أحمد » قال عيسى عليه السلام ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وقد جرت العادة بأن يسمى العظماء أسماء مشتقة من مجال عظمتهم، تسجيلا لهذه الأعمال مرتبطة بأصحابها فى سجل التاريخ، فسمى عمر رضي الله عنه بالفاروق، وسمى أبو بكر رضي الله عنه بالصديق، وهكذا كان من أسمائه صلى الله عليه وسلم « الماحى » لأنه يمحو ظلام الكفر عن رقعة كبرى من الأرض، و « الحاشر » الذى سيقود العالم فى الحشر يوم القيامة، و« العاقب » الذى كان بعد الأنبياء ولا نبى بعده، و« المقفّى » أى التابع للرسل السابقين، والمتبوع من أمته، و « نبى التوبة » و « نبى الرحمة » لما تفضل الله به على أمته من قبول توبتهم إذا عصوا فتابوا رحمة بهم.

وهو المبشر المنذر الداعى إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولو ذهبنا نسمى رسول الله ﷺ بما وصفه الله به من صفات المجد والشرف لبلغنا بأسمائه ألفاً أو يزيد، صلى الله وسلم وبارك عليه.

المباحث العربية

(**أنا محمد**) قال أهل اللغة: يقال: رجل محمد، ومحمود، إذا كثرت خصاله المحمودة، فهذا منقول من صفة الحمد، من باب التفعيل، يقال: حمد بتشديد الميم المكسورة وضم الحاء، وهو بمعنى محمود، وفيه معنى المبالغة، أى الذى حمد مرة بعد مرة، أو الذى تكاملت فيه الخصال المحمودة. قال القاضى عياض: لم يكن العرب يسمون محمداً، إلا قرب ميلاده ﷺ، لما سمعوا من الكهان والأحبار، أن نبيا سيبعث فى ذلك الزمان، يسمى محمداً، فرجوا أن يكون فى أبنائهم، فسموا أبناءهم بذلك، قال: وهم ستة لا سابع لهم، ورد الحافظ ابن حجر هذا الحصر، وأوصلهم خمسة عشر نفسا، وسردهم فى فتح البارى، وقد تكرر اسم محمد فى القرآن الكريم،

(**وأنا أحمد**) وذكر هذا الاسم فى القرآن، حكاية عن قول عيسى عليه السلام ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وهو أفعل تفضيل فى الأصل، ثم صار علماً منقولا من صفة، ومعناه أحمدُ الحامدين، قالوا: وسبب ذلك ما ثبت فى الصحيح أنه يفتح عليه فى المقام بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله، وقيل: الأنبياء حمادون، وهو أحمدهم، أى أكثرهم حمدا، أو أعظمهم فى صفة الحمد.

قال القاضى عياض: كان رسول الله ﷺ « أحمد » قبل أن يكون « محمدا » كما وقع فى الوجود، لأن تسميته « أحمد » وقعت فى الكتب السالفة، وتسميته « محمدا » وقعت فى القرآن العظيم، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وكذلك فى الآخرة، يحمد ربه، فيشفعه، فيحمده الناس، وقد خص بسورة الحمد، وبلواء الحمد، وبالمقام المحمود، وشرع له الحمد بعد الأكل والشرب، وبعد الدعاء، وبعد القدوم من السفر، وسميت أمته الحمادين، فجمعت له معانى الحمد وأنواعه، صلى الله عليه وسلم.

(**وأنا الماحى الذى يمحى بى الكفر**) فى الرواية الثانية « وأنا الماحى الذى يمحو اللّه بى الكفر» قيل: المراد إزالة الكفر من جزيرة العرب، فـ« ال » فى « الكفر» عهدية، أى كفر أهل الجزيرة، والتقييد بذلك لأن الكفر لم ينمح به من جميع البلاد، وقيل: إنه محمول على الأغلب، أى ينمحى به أغلب الكفر، وفى رواية « يمحو اللّه به الكفرة » والمراد كفر الكفرة، ففى الكلام مضاف محذوف، وقيل المراد من المحو المحو العام، بمعنى الظهور بالحجة والغلبة، كما قال اللّه تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الصف: ٩] وجاء فى حديث آخر تفسير الماحى بأنه الذى محيت به سيئات من اتبعه، ففى الكلام مضاف محذوف أيضا، أى محيت به سيئات الكفر السابقة على الإيمان، فهو كقوله تعالى ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] والحديث الصحيح « الإسلام يهدم ما قبله ».

(**وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبى**) وفى الرواية الثانية « على قدمى » قال النووى: اتفقت النسخ على أنها « على قدمى » لكن ضبطوه بتخفيف الياء على الإفراد، وتشديدها على التثنية، وأما الرواية الأولى فهى فى معظم النسخ، وفى بعضها « قدمى » كالثانية، قال العلماء: معناهما يحشرون على أثرى، وزمان نبوتى ورسالتى، ولبس بعدى نبى، وقيل: يتبعونى، وقيل: معناه إنه أول من يحشر، كما جاء فى الحديث الآخر « أنا أول من تنشق عنه الأرض »، وفى رواية « وأنا حاشر، بعثت مع الساعة » وهى تؤيد الرأى الأول.

(**وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد**) من الأنبياء، ففى الرواية الأولى يفسرها الراوى بقوله « والعاقب الذى ليس بعده نبى » وفى ملحق الرواية الثانية « قال عقيل: قلت للزهرى: وما العاقب؟ قال: الذى ليس بعده نبى » فهذا التفسير ظاهره الإدراج. بخلاف ما فى الرواية الأولى، ويؤيدها رواية الترمذى، ولفظها « الذى ليس بعدى نبى » .

(**وقد سماه اللّه رءوفا رحيما**) قال البيهقى فى الدلائل: هذه العبارة مدرجة من قول الزهرى.

(**والمقفى**) بكسر الفاء المشددة، قال شمر: هو بمعنى العاقب، وقال ابن الأعرابى: هو المتبع للأنبياء، يقال: قفوته، أقفوه، وقفيته بتشديد الفاء المفتوحة، أقفيه، إذا اتبعته، وقافية كل شيء آخره.

(**ونبى التوبة، ونبى الرحمة**) أى النبى الذى جاء بالتوبة لأمته، وبالتراحم أكثر من أى نبى آخر، قال تعالى ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

فقه الحديث

ذكر أبو بكر بن العربى فى كتابه: الأحوذى فى شرح الترمذى عن بعضهم أن للّه تعالى ألف اسم، وللنبى ﷺ ألف اسم، ثم ذكر منها على التفصيل بضعة وستين، وفى رواية للبخارى « لى خمسة أسماء » وذكر الخمسة التى فى الرواية الأولى، وزاد عند ابن سعد « الخاتم » لكن فسر عند البيهقى

« العاقب » بالخاتم، وزعم بعضهم أن حصر العدد ليس من قوله صلى اللّه عليه وسلم، وإنما ذكره الراوى بالمعنى، قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظر، لتصريحه فى الحديث بقوله « إن لى خمسة أسماء » والذى يظهر أنه أراد أن لى خمسة أسماء أختص بها، لم يسم بها أحد قبلى، أو خمسة أسماء معظمة، أو مشهورة فى الأمم الماضية، لا أ نه أراد الحصر فيها.

قال: ومما وقع من أسمائه فى القرآن بالاتفاق: الشاهد، والمبشر والنذير، والمبين، والداعى إلى اللّه، والسراج المنير، وفيه أيضا: المذكر والرحمة، والنعمة، والهادى، والشهيد، والأمين، والمزمل، والمدثر، وله فى الأحاديث: المتوكل، قال: ومن أسمائه المشهورة: المختار، والمصطفى، والشفيع، والمشفع، والصادق، والمصدوق.

قال: وغالب الأسماء التى ذكرها المصنفون وصف بها صلى اللّه عليه وسلم، ولم يرد الكثير منها على سبيل التسمية، مثل « اللبنة » لحديث « فكنت أنا اللبنة ».

وفى بعض الأحاديث « نبى الملحمة » و « نبى الجهاد ».

واللّه أعلم

(٦٢٥) باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله، وشدة خشيته له

٥٣٢١- ١٢٧/١ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١٢٧] قَالَتْ: صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرًا فَتَرَخَّصَ فِيهِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ نَاسًا مِن أَصْحَابِهِ، فَكَأَنَّهُمْ كَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ. فَبَلَغَهُ ذَلِكَ. فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: «مَا بَالُ رِجَالٍ بَلَغَهُمْ عَنِّي أَمْرٌ تَرَخَّصْتُ فِيهِ. فَكَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ. فَوَاللَّهِ! لأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً».

٥٣٢٢- ١٢٨/٢ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١٢٨] قَالَتْ: رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَمْرٍ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَغَضِبَ حَتَّى بَانَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْغَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ. فَوَاللَّهِ! لأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً».

المعنى العام

يقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي إلا ليعبدوه لمصلحتهم هم، فيثابون، وينعمون، فالله سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة المطيعين، ولا تضره معصية العاصين، ولو أن أهل السموات والأرض كانوا على أتقى قلب رجل واحد، ما زاد ذلك فى ملكه شيئا، ولو أن أهل السموات والأرض كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكه شيئا، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦] ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧] ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

فعبادة العابدين علامة على السمع والطاعة والاعتراف بالعبودية والخضوع، وظاهرة من ظواهر شكر المنعم على ما أنعم، وهى من هذه الحيثية لا تتأثر بالزيادة والمبالغة والغلو، بل ترتبط ارتباطا وثيقا بالعلم القلبى، والتصديق القلبى، فقد سبق درهم ألف درهم عند الله، كما قال رسول الله ﷺ.

ومهما بالغ الإنسان فى العبادة فلن يبلغ عشر معشار من عبادة الملائكة الذين منهم الراكع أبدا، ومنهم الساجد أبدا، ومنهم الذاكر أبدا، ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وللإنسان طاقة، إذا استنفدها - ولو فى العبادة - وفى وقت قصير، خلت بقية الأوقات، وإن خير الأعمال ما داوم عليها فاعلها، وإن قلت، فالمداومة وحدها ارتباط متصل بين

---

(١٢٧) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي الضُّحَى عَن مَسْرُوق عَن عَائِشَةَ
- حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ حَدَّثَنَا حَفْصٌ يَعْنِي ابْنَ غِيَاثٍ ح و حَدَّثَنَاه إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ قَالا أَخْبَرَنَا عِيسَى ابْنُ يُونُسَ كِلاهُمَا عَنِ الأَعْمَشِ بِإِسْنَادِ جَرِيرٍ نَحْوَ حَدِيثِهِ.
(١٢٨) وحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَن مُسْلِمٍ عَن مَسْرُوقٍ عَن عَائِشَةَ

العبد وربه، وقد قيل: قليل دائم، خير من كثير ينقطع، والمبالغة، والغلو يعقبهما - غالبا - الملل، والملل من العبادة معصية، قد تأتى على ثواب ما قبلها، وفى الحديث « أوغل فى الدين برفق، فإن المنبت لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى » ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحج: ٧٨] ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

من هنا كان صلى اللَّه عليه وسلم حريصا على عدم مغالاة أصحابه فى دين اللَّه، بل كان يريد عبادة ربه بشيء، فيتركه، مخافة أن يقتدى به أصحابه، فيشق عليهم، كما فعل صلى اللَّه عليه وسلم فى قيام رمضان، وكان إذا رأى تعمقا أو رغبة فى التعمق من أصحابه غضب، ولجأ إلى المنبر ينبه الجميع إلى الترفق بأنفسهم، ويدعو إلى الترخص برخص اللَّه، اقتداء به صلى اللَّه عليه وسلم، فهو أعلم الناس باللَّه، وهو أتقاهم، وأخشاهم للَّه، ولكنه صلى اللَّه عليه وسلم ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، كان يصوم ويفطر مع أنه قادر على الصوم أبداً، إذ يطعمه ربه ويسقيه، ويقوم وينام، ويتمتع بالنساء كما يتمتع بالصلاة، فهو رسول اللَّه وسط لدين وسط، لأمة وسط. صلى اللَّه عليه وسلم ورضى عن آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المباحث العربية

(**صنع رسول اللَّه ﷺ أمراً، فترخص فيه**) أى فاختار الرخصة واليسر، وقد أومأ ابن بطال إلى أن الذى صنعه صلى اللَّه عليه وسلم وتنزهوا عنه هو القبلة للصائم، وقال غيره: لعله الفطر فى السفر.

(**فبلغ ذلك ناساً من أصحابه، فكأنهم كرهوه، وتنزهوا عنه**) فى الرواية الثانية بدون تشبيه، بل بالجزم، ولفظها « فتنزه عنه ناس من الناس » أى جماعة من الصحابة، بحجة أنه صلى اللَّه عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإذا ترخص فى شيء لم يكن غيره مثله، ممن لم يغفر له ذلك، إذ يحتاج الذى لم يغفر له إلى الأخذ بالعزيمة، والشدة لينجو.

(**ما بال رجال بلغهم عنى أمر، ترخصت فيه، فكرهوه وتنزهوا عنه ؟**) البال هو الحال، والاستفهام إنكارى توبيخى، أى ما كان ينبغى أى يكون حالهم كذلك، وفى الرواية الثانية « فغضب، حتى بان الغضب فى وجهه، ثم قال: ما بال أقوام يرغبون عما رخص لى فيه »؟

(**فواللَّه لأنا أعلمهم باللَّه، وأشدهم له خشية**) معناه: أنهم يتوهمون أن تنزههم عما فعلت أقرب لهم عند اللَّه، وإن فعلت خلاف ذلك، وليس كما توهموا، بل أنا أعلمهم باللَّه، وأشدهم له خشية وإنما يكون القرب إليه سبحانه وتعالى، والخشية له على حسب ما أمر، لا بمخيلات النفوس، وتكلف أعمال لم يأمر بها، قاله النووى.

وجمع بين العلم باللَّه، وشدة الخشية له، ليجمع بين القوة العلمية، والقوة العملية.

فقه الحديث

كان رسول اللّه ﷺ رحيما بأمته، يعز عليه عنتهم ومشقتهم، فكان يباعد بينهم وبين المغالاة فى الدين، كما كان يخفف عنهم العقاب، إذا فعلوا ما يجوز لهم من الأخذ بالشدة، فلا يواجه المتعمق، ولا يحرجه، حياء منه صلى اللّه عليه وسلم، وسترا عليه، فلا يعين الشخص عند العتاب، كأن يقول له: ما بالك يا فلان فعلت كذا؟ أو ما بال فلان يفعل كذا؟ فهو فى هذه الحالة التى يستخدمها صلى اللّه عليه وسلم كأنه لم يواجه المخطئ وإن كان موجودا فى جملة المخاطبين.

وقد أخرج مسلم فى كتاب الصيام عن عائشة رضى اللّه عنها « أن رجلا قال: يا رسول اللّه، إنى أصبح جنبا، وأنا أريد الصيام، فأغتسل وأصوم؟ فقال رسول اللّه ﷺ: وأنا تدركنى الصلاة، وأنا جنب، فأصوم، فقال: يارسول اللّه، إنك لست مثلنا؟ قد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فغضب رسول اللّه ﷺ، وقال: إنى أرجو أن أكون أخشاكم للّه، وأعلمكم بما أتقى » ونحو هذا فى حديث أنس المذكور فى كتاب النكاح، « أن ثلاثة رهط سألوا عن عمل رسول اللّه ﷺ فى السر» الحديث. وفيه قولهم « وأين نحن من رسول اللّه ﷺ؟ قد غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» وفيه قوله لهم « واللّه إنى لأخشاكم للّه، وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء ».

ويؤخذ من الحديث

١- الحث على الاقتداء بالنبى ﷺ فى أفعاله وأقواله. والأصل فيه قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وقد ذهب جمع إلى وجوبه، لدخوله فى عموم الأمر، بقوله تعالى ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] وبقوله ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وبقوله تعالى ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣، ١٥٥] فيجب اتباعه فى فعله، كما يجب اتباعه فى قوله، حتى يقوم دليل على الندب أو الخصوصية، وقال آخرون: يحتمل الوجوب والندب والإباحة، فيحتاج إلى القرينة، والجمهور للندب، إذا ظهر وجه القربة، وقيل: ولو لم يظهر، ومنهم من فصل بين التكرار وعدمه، وقال آخرون: ما يفعله صلى اللّه عليه وسلم. إن كان بيانا لمجمل، فحكمه حكم ذلك المجمل، وجوبا أو ندبا أو إباحة، فإن ظهر وجه القربة فللندب، وما لم يظهر فيه وجه التقرب فللإباحة.

وأما تقريره صلى اللّه عليه وسلم على ما يفعل بحضرته فيدل على الجواز، وإذا تعارض فعله وقوله. قيل: يقدم القول، لأن له صيغة، تتضمن المعانى، بخلاف الفعل، وقيل: يقدم الفعل، لأنه لا يطرقه من الاحتمال ما يطرق القول، ثالث الأقوال: يلجأ إلى الترجيح، وكل ذلك ما لم تقم قرينة تدل على الخصوصية.

وذهب الجمهور إلى القول الأول والحجة له أن القول يعبر عنه عن المحسوس والمعقول، بخلاف الفعل، فيختص بالمحسوس، فكان القول أتم، وبأن القول متفق على أنه دليل، بخلاف الفعل، ولأن القول يدل بنفسه، بخلاف الفعل، فيحتاج إلى واسطة، وبأن تقديم

الفعل يقضى إلى ترك العمل بالقول، والعمل بالقول يمكن معه العمل بما دل عليه الفعل، فكان القول أرجح بهذه الاعتبارات.

قال ابن بطال - بعد أن حكى الاختلاف فى أفعاله صلى اللّٰه عليه وسلم -محتجا لمن قال بالوجوب بحديث الخاتم، فقد خلع خاتمه، فخلعوا خواتيمهم، ونزع نعله فى الصلاة، فنزعوا، ولما أمرهم فى الحديبية بالتحلل، وتأخروا عن المبادرة، رجاء أن يؤذن لهم فى القتال، وأن ينصرفوا، فيكملوا عمرتهم، قالت له أم سلمة: اخرج إليهم، واحلق واذبح، ففعل، فتابعوه مسرعين، فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول، ولما نهاهم عن الوصال، قالوا: إنك تواصل، فقال: إنى أطعم وأسقى، فلولا أن لهم الاقتداء به لقال: وما فى مواصلتى ما يبيح لكم الوصال، لكنه عدل عن ذلك، وبين لهم وجه اختصاصه بالمواصلة.اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: وليس فى جميع ما ذكره ابن بطال ما يدل على المدعى، من الوجوب، بل على مطلق التأسى به صلى اللّٰه عليه وسلم.

٢- وذم التعمق، والمغالاة فى الدين، لقوله تعالى ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء : ١٧١] والغلو هو المبالغة فى الشيء، والتشديد فيه، بتجاوز الحد، وعند النسائى وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، عن ابن عباس، رضى اللّٰه عنهما، قال: قال رسول اللّٰه ﷺ « إياكم والغلو فى الدين، فإنما أهلك من قبلكم الغلو فى الدين »

٣- وأن الخير فى الاتباع، سواء كان ذلك فى العزيمة، أو الرخصة.

٤- وأن استعمال الرخصة، بقصد الاتباع، فى المحل الذى وردت فيه، أولى من استعمال العزيمة، بل ربما كان استعمال العزيمة حينئذ مرجوحاً، كما فى إتمام الصلاة فى السفر، وربما كان مذموما، إذا كان رغبة عن السنة.

ونقل ابن التين عن الداودى أن التنزه عما ترخص فيه صلى اللّٰه عليه وسلم من أعظم الذنوب، لأنه يرى نفسه أتقى للّٰه من رسوله، وهذا إلحاد.

قال الحافظ ابن حجر: لا شك فى إلحاد من اعتقد ذلك، ولكن الذى اعتل به من أشير إليهم فى الحديث أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلا يكون إلحاداً.

٥- وفى الحديث الغضب عند انتهاك حرمات الشرع، وإن كان المنتهك متأولا تأويلا باطلا.

٦- وفيه حسن المعاشرة، بإرسال التعزير، والإنكار فى الجمع، من غير تعيين الفاعل.

٧- وأن القرب إلى اللّٰه تعالى سبب لزيادة العلم به، وشدة خشيته.

ولهذا الباب علاقة بالباب بعده

واللّٰه أعلم

(٦٢٦) باب وجوب اتباعه صلى اللَّه عليه وسلم، وتوقيره، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه

٥٣٢٣- ١٢٩/١ عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ﵁[١٢٩] حَدَّثَهُ؛ أَنَّ رَجُلا مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ. فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: سَرِّحِ الْمَاءَ يَمُرُّ فَأَبَى عَلَيْهِمْ. فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ» فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ! فَتَلَوَّنَ وَجْهُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ قَالَ: «يَا زُبَيْرُ، اسْقِ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ! إِنِّي لاحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾.

٥٣٢٤- ١٣٠/٢ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁[١٣٠] أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ. وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ. فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ».

٥٣٢٥- ١٣١/٠٠ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁[١٣١]. كُلُّهُمْ قَالَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ» وَفِي حَدِيثِ هَمَّامٍ «مَا تُرِكْتُمْ. فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

٥٣٢٦- ١٣٢/٣ عَن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَن أَبِيهِ ﵁[١٣٢] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ

---

(١٢٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ

(١٣٠) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عن سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ قَالا كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ
و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلَفٍ، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ، وَهُوَ مَنْصُورُ بْنُ سَلَمَةَ الْخُزَاعِيُّ، أَخْبَرَنَا لَيْثٌ، عَن يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ. بِهَذَا الإِسْنَادِ. مِثْلَهُ سَوَاءً.

(١٣١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ح وحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي كِلاهُمَا عَنِ الأَعْمَشِ عَن أَبِي صَالِحٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ح و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي الْحِزَامِيَّ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ كِلاهُمَا عَن أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ح وحَدَّثَنَاه عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَن هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ
– ثُمَّ ذَكَرُوا نَحْوَ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ عَن سَعِيدٍ وَأَبِي سَلَمَةَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ.

(١٣٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَن أَبِيهِ

الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَن شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِن أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ».

٥٣٢٧- ١٣٣/٤ عَن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَن أَبِيهِ(١٣٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَن أَمْرٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ عَلَى النَّاسِ مِن أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ».

– وَزَادَ فِي حَدِيثِ مَعْمَرٍ: «رَجُلٌ سَأَلَ عَن شَيْءٍ وَنَقَّرَ عَنْهُ» وَقَالَ: فِي حَدِيثِ يُونُسَ عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ سَعْدًا.

٥٣٢٨- ١٣٤/٥ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(١٣٤) قَالَ: بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَن أَصْحَابِهِ شَيْءٌ. فَخَطَبَ فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ. فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ. قَالَ: غَطَّوْا رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ. قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلام دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. قَالَ: فَقَامَ ذَاكَ الرَّجُلُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: أَبُوكَ فُلانٌ» فَنَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

٥٣٢٩- ١٣٥/٦ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(١٣٥) قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ فُلانٌ»وَنَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ تَمَامَ الآيَةِ.

٥٣٣٠- ١٣٦/٧ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(١٣٦) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ. فَصَلَّى لَهُمْ صَلاةَ الظُّهْرِ. فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ. فَذَكَرَ السَّاعَةَ. وَذَكَرَ أَنَّ قَبْلَهَا أُمُورًا

---

(١٣٣) و حَدَّثَنَاه أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا عَن سُفْيَانُ قَالَ أَحْفَظُهُ كَمَا أَحْفَظُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الزُّهْرِيُّ عَن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَن أَبِيهِ

– وحَدَّثَنِيهِ حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ ح و حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ كِلاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَزَادَ فِي حَدِيثِ مَعْمَرٍ

(١٣٤) حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلانَ وَمُحَمَّدُ بْنُ قُدَامَةَ السُّلَمِيُّ وَيَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ اللُّؤْلُؤِيُّ وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ قَالَ مَحْمُودٌ حَدَّثَنَا النَّضْرُ ابْنُ شُمَيْلٍ و قَالَ الآخَرَانِ أَخْبَرَنَا النَّضْرُ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَنَسٍ عَن أَنَسٍ

(١٣٥) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرِ بْنِ رِبْعِيٍّ الْقَيْسِيُّ حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَنَسٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ يَقُول

(١٣٦) وحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَرْمَلَةَ بْنِ عِمْرَانَ التُّجِيبِيُّ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ

عِظَامًا. ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَنِي عَن شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ. فَوَاللَّهِ! لا تَسْأَلُونَنِي عَن شَيْءٍ إِلا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ، مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا» قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ حِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ «سَلُونِي» فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ» فَلَمَّا أَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِن أَنْ يَقُولَ «سَلُونِي» بَرَكَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً. قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْلَى. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ. فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ حُذَافَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ: مَا سَمِعْتُ بِابْنٍ قَطُّ أَعَقَّ مِنْكَ؟ أَأَمِنْتَ أَنْ تَكُونَ أُمُّكَ قَدْ قَارَفَتْ بَعْضَ مَا تُقَارِفُ نِسَاءُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَتَفْضَحَهَا عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ: وَاللَّهِ! لَوْ أَلْحَقَنِي بِعَبْدٍ أَسْوَدَ، لَلَحِقْتُهُ.

∴ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ(٠٠).

٥٣٣١- ١٣٧/٨ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(١٣٧) أَنَّ النَّاسَ سَأَلُوا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْفَوْهُ بِالْمَسْأَلَةِ. فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: «سَلُونِي، لا تَسْأَلُونِي عَن شَيْءٍ إِلا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ» فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ الْقَوْمُ أَرَمُّوا وَرَهِبُوا أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيْ أَمْرٍ قَدْ حَضَرَ. قَالَ أَنَسٌ: فَجَعَلْتُ أَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالاً فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لافٌّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي. فَأَنْشَأَ رَجُلٌ مِنَ الْمَسْجِدِ، كَانَ يُلاحَى فَيُدْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ. فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ» ثُمَّ أَنْشَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِي اللَّهم عَنْهم فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، عَائِذًا بِاللَّهِ مِن سُوءِ الْفِتَنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ قَطُّ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. إِنِّي صُوِّرَتْ لِيَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَرَأَيْتُهُمَا دُونَ هَذَا الْحَائِطِ».

---

(٠٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ح و حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ كِلاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ عَن أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَحَدِيثُ عُبَيْدِ اللَّهِ مَعَهُ غَيْرَ أَنَّ شُعَيْبًا قَالَ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِن أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ قَالَتْ بِمثل حديث يونس

(١٣٧) حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ حَمَّادٍ الْمَعْنِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى عَن سَعِيدٍ عَن قَتَادَةَ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

∴ عَن أَنَسٍ[٠٠] بِهَـذِهِ الْقِصَّـةِ.

٥٣٣٢- $\frac{١٣٨}{٩}$ عَن أَبِي مُوسَى[١٣٨] قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَن أَشْيَاءَ كَرِهَهَا. فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ. غَضِبَ. ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: «سَلُونِي عَمَّ شِئْتُمْ» فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ» فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: قَالَ: مَنْ أَبِي؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «أَبُوكَ سَالِمٌ، مَوْلَى شَيْبَةَ».

المعنى العام

إن الإيمان بمحمد ﷺ نبيا ورسولا، يستلزم الإجابة لما جاء به، وقبول أوامره ونواهيه، وامتثال قراراته وأحكامه، وفى ذلك يقول جل شأنه ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

لقد طبع العرب على العصبية القبلية، ونصر القريب والدفاع عنه، والحكم له، وإن كان ظالما، ومن الصعب انتزاع العادات والطبائع فى زمن يسير، وقد لاقى رسول اللَّه ﷺ من هذه الطبيعة ما لاقى، وتحمل فى سبيل تقويمها ما تحمل.

فهذا رجل من الأنصار، تجاور أرضه ونخيله أرض ونخيل الزبير بن العوام، ابنة عمة رسول اللَّه ﷺ ومياه سقيه لابد لها أن تمر فى أرض الزبير، والمياه، كما يقول العامة: لا تمر على العطشان، فلا يشرب، لكن قانون القوة، وقانون العصبية لا يلتزم الحقوق، لقد حاول الأنصارى أن تمر المياه فى أرض الزبير، دون أن يسقى نخيله، فمنعه من فتح القناة فى أرضه، وطلب منه أن يترك القناة مغلقة الجوانب حتى يصل الماء أرضه فيروى أولا، ورفعا الأمر إلى رسول اللَّه ﷺ، فكان حكم اللَّه أن يسقى الأعلى الأقرب إلى مصدر المياه أولا حتى يكتفى، لكن رسول اللَّه ﷺ رغب فى أن يتنازل الزبير عن بعض حقه، وأن يسقى الضرورى فقط، وأن يسمح للماء بالمرور إلى أرض الأنصارى قبل أن يشبع الزبير أرضه، فقال: اسق يا زبير قدر الضرورة وأرسل الماء لجارك، وكان الأنصارى مشبعا بالعادة، فقال لرسول اللَّه ﷺ: ألأنه ابن عمتك حكمت لمصلحته؟ وغضب صلى اللَّه عليه وسلم، وبان الغضب فى وجهه، فأعطى الزبير حقه، وقال: اسق يا زبير حتى يشبع بالماء نخلك، ثم اترك الماء، ونزلت الآية الكريمة، تدعو الأمة إلى قبول حكمه صلى اللَّه عليه وسلم، والتسليم به.

وكان لابد من توقيره صلى اللَّه عليه وسلم، وتهيب الأمة لمقامه، وإن تواضع، لكن الطبيعة العربية

---

(٠٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ كِلاهُمَا عَنْ هِشَامٍ ح وحَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّيْمِيُّ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي قَالا جَمِيعًا حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عن أنس

(١٣٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَّادٍ الأَشْعَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ الْهَمْدَانِيُّ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَن بُرَيْدٍ عَن أَبِي بُرْدَةَ عَن أَبِي مُوسَى

الخشنة جعلتهم يعاملونه بما لا يليق بمقامه، ينادونه باسمه، ويطلبون منه ما يطلبون من سوقة الناس، فيقولون: يا محمد، اخرج إلينا، فينزل اللّٰه تعالى ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

يكثرون أسئلته بما لا ينفع، وبما لا يعني، ويتوافه الأمور، حتى من ضاعت ناقته يسأل: أين ناقتي؟ وحتى يسأل من يشك في نسب نفسه: من أبي؟ فيتأذى رسول اللّٰه ﷺ من ذلك، وينزل قوله تعالى ﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١].

إن الرسالة تكريم وتشريف وتفضيل للرسل، وطاعتهم طاعة اللّٰه، من يطع الرسول فقد أطاع اللّٰه، وتكريمهم والتسلم لهم تكريم لأوامر اللّٰه، وتسليم لأحكام اللّٰه.

المباحث العربية

(**أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند رسول اللّٰه ﷺ**) في رواية « خاصم الزبير رجلا » والمخاصمة مفاعلة من الجانبين، فكل منهما مخاصم للآخر، كذا قال الحافظ ابن حجر: قلت: لكن جعل أحدهما فاعلا، والآخر مفعولا يشير إلى أن الفاعل هو الشاكي والمدعي، وهو هنا كذلك وأن الأنصاري هو الشاكي.

وفي رواية « أن رجلا من الأنصار قد شهد بدراً » وفي رواية « أنه كان من بني أمية بن زيد، وهم بطن من الأوس، وحكى ابن بشكوال عن شيخه أبي الحسن بن مغيث أنه ثابت بن قيس بن شماس، ولم يأت على ذلك بشاهد، قال الحافظ ابن حجر: وليس ثابت بدرياً، وحكى الواحدي أنه ثعلبة بن حاطب الأنصاري، الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ ﴾ [التوبة: ٧٥] ولم يذكر مستنده، ولم يكن بدرياً أيضاً، وحكى الواحدي أيضا أنه حاطب بن أبي بلتعة، وتعقب بأن حاطباً وإن كان بدرياً لكنه من المهاجرين، ومال الحافظ ابن حجر إلى ترجيح هذا الرأي، فقال: لكن يؤيد هذا ما أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب، في قوله تعالى ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥]، قال: نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة، اختصما في ماء » الحديث. وإسناده قوي مع إرساله. وعلى هذا فيئول قوله « من الأنصار» على إرادة المعنى الأعم، كما وقع ذلك في حق غير واحد، كعبد اللّٰه بن حذافة، وأما قول الكرماني بأن حاطبا كان حليفا للأنصار ففيه نظر، وأما قوله من « بني أمية بن زيد، فلعله كان مسكنه هناك، كعمر، قال: وذكر الثعلبي بغير سند أن الزبير وحاطبا لما خرجا، مرا بالمقداد، قال: لمن القضاء؟ فقال: حاطب: قضى لابن عمته، ولوى شدقه، ففطن له يهودي، فقال: قاتل اللّٰه هؤلاء، يشهدون أنه رسول اللّٰه ويتهمونه. قال الحافظ: وفي صحة هذا نظر، قال: ويترشح بأن حاطبا كان حليفا لآل الزبير بن العوام، من بني أسد، وكأنه كان مجاورا للزبير، أي في الحائط والزراعة.

وأما قول الداودي وغيره: إن خصم الزبير كان منافقا - للكلمة التي قالها - فقد وجهه القرطبي بأن قول من قال إنه كان من الأنصار، يعني نسبا، لا دينا. قال: وهذا هو الظاهر من حاله، ويحتمل أنه لم يكن منافقا، ولكن صدر منه ذلك ببادرة النفس، كما وقع لغيره ممن صحت توبته، وقوى هذا

شارح المصابيح التوربشتى، ووهى ما عداه، وقال: لم تجر عادة السلف بوصف المنافقين بصفة النصر - قولهم: من الأنصار- التى هى المدح، ولو شاركهم فى النسب، قال: بل هى زلة من الشيطان، تمكن به منها عند الغضب، وليس ذلك بمستنكر من غير المعصوم فى تلك الحالة. اهـ.

وقال الداودى - بعد جزمه بأنه كان منافقا - وقيل: كان بدريا، فإن صح فقد وقع ذلك منه قبل شهودها، لانتفاء النفاق عمن شهدها.

وقال ابن التين: إن كان بدريا فمعنى قوله ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ لا يستكملون الإيمان.

(**فى شراج الحرة التى يسقون بها النخل**) « شراج » بكسر الشين وفتح الراء مع المد، بعدها جيم، جمع شرج، بسكون الراء، مثل بحر وبحار، ويجمع أيضا على شروج، وحكى ابن دريد « شرج » بفتح الراء، وحكى القرطبى « شرجة » والمراد بها هنا مسيل الماء، أى مجراه، والحرة بفتح الحاء وتشديد الراء موضع معروف فى المدينة، وهو فى الأصل الأرض الملساء، فيها حجارة سود، قال أبو عبيد: كان بالمدينة واديان يسيلان بماء المطر فيتنافس الناس فيه.

وأضيف « شراج » إلى الحرة لأنه فيها، والمعنى اختصما بشأن الماء الجارى فى مسيل الحرة.

وقوله « التى يسقون بها النخل » أى توصل الماء إلى نخيلهم، وفى رواية « كانا يسقيان بها كلاهما » أى كان هذا المجرى يسقى لهما، لكن أرض الزبير أعلى من أرض الرجل، أى أقرب إلى مصدر الماء، ولا يصل الماء للرجل إلا بعد أن يمر فى أرض الزبير.

(**فقال الأنصارى: سرح الماء يمر**) « سرح » فعل أمر من التسريح، أى قال الرجل للزبير: أطلق الماء يمر، وفى الكلام طى، أى فحبس الزبير الماء فى أرضه، حتى يسقى، فقال الأنصارى لا تحبس الماء عنى، وأطلقه يمر من أرضك إلى أرضى، لنسقى سويا، وفى رواية فى آخرها « وكان النبى ﷺ قد أشار على الزبير برأى فيه سعة له وللأنصارى » والحقيقة أن الرأى كان فيه سعة للرجل.

(**فأبى عليهم**) أى امتنع الزبير من إجابة مطلب الرجل، والجمع باعتبار أهله معه.

(**فاختصموا عند رسول اللَّه ﷺ**) أعاد الجملة لطول الفصل عن الأولى، والجمع فى « اختصموا » باعتبار أفراد وأهل كل منهما، كقوله تعالى ﴿ **هَـٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ** ﴾ [الحج: ١٩].

(**اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك**) أى اسق شيئا يسيرا، دون قدر حقك، ثم أرسله إلى جارك.

(**أن كان ابن عمتك ؟**) الزبير بن العوام، أمه صفية بنت عبد المطلب، عمة النبى ﷺ، وأصل الكلام: ألأنه كان ابن عمتك حكمت له؟ فحذف الاستفهام وحرف الجر لام التعليل قبل « أن » وهو كثير، وحذف الضمير، اسم « أن » و « ابن » بالنصب، خبر « كان » كما فى قوله تعالى ﴿ **أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ** ﴾ [القلم: ١٤] أى ألأنه كان ذا مال وبنين كذب؟ وحكى القرطبى تبعا لعياض أن همزة « أن » ممدودة، قال: لأنه استفهام على جهة الإنكار، قال الحافظ ابن حجر: ولم يقع لنا فى الرواية مد، لكن يجوز حذف همزة الاستفهام، وحكى الكرمانى « إن كان » بكسر الهمزة على أنها شرطية، والجواب

محذوف، أي وإن كان ابن عمتك فاعدل، وقريب من هذا رواية « فقال: يا رسول اللَّه، اعدل وإن كان ابن عمتك » وفى رواية للبخارى « إنه ابن عمتك » قال ابن مالك: يجوز فى « إنه » فتح الهمزة وكسرها، لأنها وقعت بعد كلام تام، معلل بمضمون ما صدر بها، فإذا كسرت قدر ما قبلها بالفاء، وإذا فتحت قدر قبلها اللام.

(**فتلون وجه نبى اللَّه** ﷺ) أى تغير، وهو كناية عن الغضب، وفى رواية « حتى عرفنا أن قد ساءه ما قال ».

(**ثم قال: يا زبير، اسق، ثم احبس الماء، حتى يرجع إلى الجدر**) أى حتى يصير إلى الجدر، و« الجدر» ضبط فى أكثر الروايات بفتح الدال، وفى بعضها بالسكون، وهو الذى فى اللغة، وهو أصل الحائط، اهـ.

وهو بفتح الجيم فيهما، ويروى بضم الدال والجيم، جمع جدار، ويروى بكسر الجيم، وهو الجدار، والمراد حتى يرتفع الماء فى أصول النخيل، إلى أن يصير إلى حافة الجدار الترابى، الذى يحيطون به النخلة، ليحجز الماء لها، حتى تشرب كثيراً، فتصير به النخلة فى مثل حفرة، وفى رواية للبخارى « اسق يا زبير، حتى يبلغ الماء الجدر، ثم أمسك » أى أمسك نفسك عن السقى، وأرسل الماء لجارك.

وحكى الخطابى « الجذر» بسكون الذال، والمراد حتى يبلغ الجذر تمام الشرب، وفى رواية للبخارى « اسق، ثم احبس، حتى يرجع الماء إلى الجدر- واستوعى له حقه » بفتح العين، أى استوعى الرسول ﷺ للزبير حقه، واستوفاه له.

(**قال الزبير: واللَّه إنى لأحسب هذه الآية نزلت فى ذلك ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**) وفى رواية « واللَّه إن هذه الآية أنزلت فى ذلك » بالجزم بدل الظن، وفى رواية « ونزلت **﴿فَلا وَرَبِّكَ...﴾** الآية » قال الحافظ ابن حجر: والراجح رواية الأكثر، وأن الزبير كان لا يجزم بذلك.

وجزم مجاهد والشعبى بأن الآية إنما نزلت فيمن نزلت فيه الآية التى قبلها، وهى قوله تعالى **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ...﴾** الآية، فروى إسحق بن راهويه فى تفسيره بإسناد صحيح عن الشعبى قال: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فدعا اليهودى المنافق إلى النبى ﷺ، لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة، ودعا المنافق اليهودى إلى حكامهم، لأنه علم أنهم يأخذونها، فأنزل اللَّه هذه الآيات، إلى قوله **﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾** وروى الكلبى فى تفسيره عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية فى رجل من المنافقين، كان بينه وبين يهودى خصومة، فقال اليهودى: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل نأتى كعب بن الأشرف، فذكر القصة وفيها أن عمر قتل المنافق، وأن ذلك سبب نزول هذه الآيات. قال الطبرى: ولا مانع أن تكون قصة الزبير وخصمه، وقعت فى أثناء ذلك، فيتناولها عموم الآية.

زاد البخارى « قال ابن جريج: فقال له ابن شهاب « فقدرت الأنصار والناس قول النبى ﷺ » اسق، ثم احبس، حتى يرجع إلى الجدار « وكان ذلك إلى الكعبين » يعنى أنهم لما رأوا أن الجدار

يختلف بالطول والقصر، قاسوا ما وقعت فيه القصة، فوجدوه يبلغ الكعبين، فجعلوا ذلك معيارا لاستحقاق الأول فالأول. وسيأتى توضيح هذا الحكم فى فقه الحديث.

(**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم**) وفى الرواية الثالثة « ذرونى ما تركتكم » وفى ملحقها « ما تركتم » بالبناء للمجهول، وفى رواية للبخارى « دعونى » والكلمتان أمات العرب ماضيهما، واسم الفاعل منهما، واسم مفعولهما، وأثبتوا الفعل المضارع والأمر، فقالوا: يدع، دع، ويذر، ذر، و« ما » فى « ما تركتكم » مصدرية ظرفية زمانية، أى مدة تركى إياكم بغير أمر بشيء، ولا نهى عن شيء، قال: ولم يقل: اتركونى ما تركتكم، على سبيل التفنن فى العبارة، وأطلق فى النهى، ولم يقيده بالاستطاعة، كما قيد الأمر، لأن المقصود النهى العام عن جميع المناهى، قال الفاكهى: لا يتصور امتثال اجتناب المنهى حتى يترك جميعه، فلو اجتنب بعض شرب الخمر أو بعض الزنا لم يعد متمثلا، بخلاف الأمر المطلق، فإن من أتى بأقل ما يصدق عليه الاسم كان متمثلا.

وقد أخرج مسلم سبب هذا الحديث، عن أبى هريرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ: لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذرونى ما تركتكم... » الحديث.

(**فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم**) يريد بالذين من قبلهم بنى إسرائيل، ويريد أن كثرة التنقيب قد تفضى إلى المشقة، فقد أمروا أن يذبحوا بقرة، فلو ذبحوا أى بقرة كانت، لامتثلوا، ولكنهم شددوا فشدد عليهم.

وسيأتى فى فقه الحديث أقوال العلماء فى المراد من المسائل المشار إليها.

(**إن أعظم المسلمين فى المسلمين جرماً من سأل عن أمر لم يحرم، فحرم على الناس**)، قال القاضى عياض: والمراد بالجرم هنا الحرج على المسلمين، لا أنه الجرم الذى هو الإثم المعاقب عليه، لأن السؤال كان مباحا. اهـ

ورده النووى، فقال: وهذا الذى قاله القاضى ضعيف، بل باطل، والصواب ما قاله الخطابى وجماهير العلماء فى شرح هذا الحديث، وأن المراد بالجرم الإثم والذنب، قال: ويقال منه جرم بالفتح واجترم وتجرم إذا أثم. اهـ

وسيأتى فى فقه الحديث تفصيل القول فى نوعية السؤال.

(**ورجل سأل عن شيء، ونقر عنه**) أى بالغ فى البحث والاستقصاء عنه.

(**بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب، فقال**) يحتمل أن يكون الشيء هو الرغبة فى أسئلة لا حاجة إليها.

(**عرضت على الجنة والنار**) أى وما فيهما من نعيم وعذاب، وفى الرواية الثامنة « إنى صورت لى الجنة والنار، فرأيتهما دون هذا الحائط »

(**فلم أر كاليوم فى الخير والشر**) أى لم أر خيرا أكثر مما رأيته اليوم فى الجنة، ولا شرا أكثر مما رأيته اليوم فى النار.

(**ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا**) أى ولو رأيتم ما رأيت، وعلمتم ما علمت لأشفقتم على أنفسكم إشفاقا بليغا، ولقل ضحككم، وكثر بكاؤكم.

(**فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه**) أى من هذا اليوم الذى أنذرهم فيه بهذا الإنذار، والمراد ما حصل لهم ساعتها من الخوف.

(**غطوا رءوسهم، ولهم خنين**) قال النووى « خنين » بالخاء فى معظم النسخ ولمعظم الرواة، ولبعضهم بالحاء، قالوا: ومعناه بالخاء صوت البكاء، وهو نوع من البكاء، دون الانتحاب، قالوا: وأصل الخنين خروج الصوت من الأنف، والحنين خروجه من الفم، وقال الخليل: الخنين بالخاء صوت فيه غنة، وقال الأصمعى: إذا تردد البكاء فصار فيه غنة فهو خنين، وقال أبو زيد: الخنين مثل الحنين، شدة البكاء.

(**فقام عمر، فقال: رضينا بالله ربا**) هذا معطوف على محذوف، مطوى، أبرزته الرواية السابعة وفيها « خرج حين زاغت الشمس، فصلى لهم صلاة الظهر، فلما سلم قام على المنبر، فذكر الساعة، وذكر أن قبلها أموراً عظاماً، ثم قال: من أحب أن يسألنى عن شيء فليسألنى عنه، فوالله لا تسألونى عن شيء، إلا أخبرتكم به، ما دمت فى مقامى هذا، فأكثر الناس البكاء، حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ، وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول: سلونى » فلما أكثر رسول الله ﷺ من أن يقول: سلونى، برك عمر، فقال: « رضينا بالله رباً » وفى الرواية الثامنة « أن الناس سألوا نبى الله ﷺ، حتى أحفوه بالمسألة » أى أكثروا فى الإلحاح والمبالغة فيه، يقال: أحفى وألحف، وألح بمعنى « فخرج ذات يوم، فصعد المنبر، فقال: سلونى، لا تسألونى عن شيء إلا بينته لكم » قال القاضى: وظاهر الحديث أن قوله « سلونى » إنما كان غضبا، كما قال فى الرواية التاسعة « سئل النبى ﷺ عن أشياء كرهها، فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس: سلونى عم شئتم » قال: وكان اختياره صلى الله عليه وسلم ترك تلك المسائل، لكن وافقهم فى جوابها، لأنه لا يمكن رد السؤال، ولما رآه من حرصهم عليها، قال: وأما بروك عمر ﷺ، وقوله « رضينا...إلخ » فإنما فعله أدبا وإكراما لرسول الله ﷺ، وشفقة على المسلمين، لئلا يؤذوا النبى ﷺ، فيهلكوا.

وفى الرواية الثامنة « فلما سمع ذلك القوم أرموا » بفتح الهمزة والراء وتشديد الميم المضمومة، أى سكتوا، وأصله من المرمة، وهى الشفة، أى ضموا شفاههم، بعضها على بعض، فلم يتكلموا، « ورهبوا » أى خافوا « أن يكون بين يدى أمر قد حضر » أى أن يكون الرسول ﷺ عنده أمر خطير، كالساعة وبوادرها، قد آن أوانه، « قال أنس: فجعلت ألتفت يمينا وشمالا، فإذا كل رجل لاف رأسه » أى قد لف رأسه « فى ثوبه يبكى ».

(**رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا**) أى رضينا بما عندنا من كتاب الله تعالى، وسنة نبينا ﷺ، واكتفينا به عن السؤال، ففيه أبلغ كفاية.

(**قال: فسكت رسول اللَّه ﷺ، حين قال عمر ذلك**) أى سكت عن قول « اسألونى ».

(**أولى**) بفتح الهمزة وسكون الواو، وفتح اللام، وهى لفظة تهديد ووعيد، وقيل: كلمة تلهف، فعلى هذا يستعملها من نجا من أمر خطير، والصحيح المشهور أنها للتهديد، ومعناها قرب منكم ما تكرهونه، ومنه قول تعالى ﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾ [القيامة : ٣٤] أى قاربك ما تكره، فاحذره، مأخوذ من الولى، وهو القرب.

(**آنفا**) أى قريبا، أى هذه المسألة، والمشهور فيها المد، ويقال بالقصر، وقرئ بهما فى السبع، والأكثرون بالمد.

(**فى عرض هذا الحائط**) عرض الحائط بضم العين جانبه.

(**فقام ذاك الرجل، فقال: من أبى؟ قال: أبوك فلان**) فى الرواية السابعة « فقام عبد اللَّه بن حذافة، فقال: من أبى؟ يا رسول اللَّه، قال: أبوك حذافة » وفى الرواية الثامنة « فأنشأ رجل من المسجد » أى بدأ رجل الكلام من المسجد « كان يلاحى » بضم الياء، وفتح الحاء، أى كان يخاصم ويجادل « فيدعى لغير أبيه » بضم الياء وسكون الدال وفتح العين، أى ينسب لغير أبيه، زاد فى الرواية التاسعة « فقام آخر، فقال: من أبى؟ يا رسول اللَّه. قال: أبوك سالم، مولى شيبة » هذا الرجل هو سعد ابن سالم مولى شيبة بن ربيعة، وزاد الطبرى فى رواية عن أبى هريرة ﷺ، قال: خرج رسول اللَّه ﷺ غضبان محمارا وجهه، حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجل، فقال أين أنا؟ قال: فى النار» وعند أحمد « فقال رجل: يا رسول اللَّه، فى الجنة أنا أو فى النار؟ قال: فى النار».

(**ما سمعت بابن قط أعق منك**) أى أنت أكثر الأبناء عقوقا لأمك.

(**أأمنت أن تكون أمك قد قارفت بعض ما تقارف نساء أهل الجاهلية الزنا فتفضحها على أعين الناس؟**) « قارفت » أى ارتكبت، والمراد بما تقارف نساء أهل الجاهلية الزنا، والجاهلية من كانوا قبل النبوة، ومعنى « فتفضحها » أى لو كنت من زنا، فنفاك عن أبيك حذافة فضحتنى.

(**واللَّه لو ألحقنى بعبد أسود للحقته**) وآمنت بصدق كلامه، فإنه لا ينطق عن الهوى.

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب

١- من الرواية الأولى حق الأعلى فى الشرب قبل الأسفل، قال العلماء: الشرب من نهر أو مسيل غير مملوك، يقدم الأعلى فالأعلى، ولا حق للأسفل حتى يستغنى الأعلى، وحدُّه أن يغطى الماء الأرض، حتى يظهر على سطحها، ويرجع إلى الجدار، ثم يطلق، وقد أمر صلى اللَّه عليه وسلم الزبير أولا أن يسامح ببعض حقه، إيثارا لحسن الجوار، فلما جهل الخصم واعترض استوفى لصاحب الحق حقه.

والمراد بالأول هنا عند الجمهور من يكون مبدأ الماء من ناحيته، وقال بعض المتأخرين من الشافعية: المراد به من لم يتقدمه أحد فى الغراس، بطريق الإحياء، والذى يليه من أحيا بعده، وهلم جرا. اهـ ويمكن قبول هذا الترتيب إذا كانوا متساوين فى القرب من مصدر الماء، أو كان مصدره فى وسط أراضيهم، وقضيتنا فى ماء يخترق أرضا، ليصل إلى أخرى.

قال ابن التين: الجمهور على أن الحكم أن يمسك الأول الماء حتى يصل فى الأرض إلى الكعبين، الحد الواجب فى الوضوء، وخصه ابن كنانة بالنخل والشجر، قال: وأما الزروع فإلى الشراك - أى السير الذى فوق القدم من النعل - وقال الطبرى: الأراضى مختلف، فيمسك لكل أرض ما يكفيها، لأن الذى فى قصة الزبير واقعة عين.

واختلف أصحاب مالك: هل يرسل الأول جميع الماء بعد أن يبلغ الكعبين - فتصفى الأرض؟ أو يرسل ما زاد على الكعبين؟ والأول أظهر، إذا لم يبق له به حاجة.

٢- وفى الحديث إشارة الإمام بالصلح بين المتخاصمين، قبل أن يحكم، فما أشار به صلى اللّٰه عليه وسلم أولا كان على سبيل الصلح، ولا يلزم الخصم به إلا إذا رضى.

٣- وأن الحاكم يستوفى لصاحب الحق حقه، ولو لم يسأله صاحب الحق.

٤- وحكى الخطابى أن فيه دليلا على جواز فسخ الحاكم حكمه، لأنه صلى اللّٰه عليه وسلم حكم أولا بالإحسان إلى الجار، فلما اعترض الخصم، رجع عن حكمه الأول إلى الحقوق، ليكون ذلك أبلغ فى زجر الخصم، وتعقب بأن الحكم الأول لم يثبت، حتى يرجع عنه، فقد كان إشارة إلى المصالحة.

٥- قيل: إن الحكم والحق هو الحكم الأول، أما الثانى فكان عقوبة على ما بدر منه، وكان ذلك لما كانت العقوبة بالأموال جائزة، حكاه ابن الصباغ من الشافعية، ووافق عليه، وهو بعيد، وسياق طرق الحديث يأباه، لا سيما قوله «واستوفى للزبير حقه» فى صريح الحكم، فمجموع الطرق دال على أنه أمر الزبير أولا أن يترك بعض حقه، وثانيا أن يستوفى جميع حقه.

٦- وفيه أن من سبق إلى شيء من مياه الأودية والسيول التى لا تملك، فهو أحق به، لكن ليس له إذا استغنى أن يحبسه عن الذى يليه.

٧- وفيه توبيخ من جفا على الحاكم ومعاقبته.

٨- ويمكن أن يستدل به على أن للإمام أن يعفو عن التعزير المتعلق به، لكن محل ذلك ما لم يؤد إلى هتك حرمة الشرع، وإنما لم يعاقب النبى ﷺ صاحب القصة، لما كان عليه من تأليف الناس، قال القرطبى: فلو صدر مثل هذا من أحد فى حق النبى ﷺ، أو فى حق شريعته قتل قتلة زنديق، ونقل النووى نحوه عن العلماء.

٩- وفيه صحة حكم الحاكم وهو غضبان، إذا أمن الخطأ والغلط، والنبى ﷺ مأمون، لعصمته من ذلك حال السخط.

١٠- وفيه ما تحمله رسول اللّٰه ﷺ من إيذاء، والحث على الصبر على الأذى.

١١- وفيه وجوب اتباعه صلى اللّٰه عليه وسلم، والرضا بحكمه، والتسليم لأمره.

١٢- وفيه إدلال الرسول ﷺ على بعض أصحابه، فإن ما أشار به صلى اللّٰه عليه وسلم على الزبير كان إدلالاً عليه، لعلمه بأنه يرضى بذلك، ويؤثر الإحسان.

١٣- ومن الرواية الثانية والثالثة النهى عن كثرة الاستفصال، وعن كثرة التنقيب الذى قد يفضى إلى مثل ما وقع لبنى إسرائيل.

١٤- استدل قوم بإطلاق النهى، وتقييد الأمر بالاستطاعة على عموم النهى، وقالوا: الإكراه على ارتكاب المعصية لا يبيحها. قال الحافظ ابن حجر: والصحيح عدم المؤاخذة، إذا وجدت صورة الإكراه المعتبرة، واستثنى بعض الشافعية من ذلك الزنا، فقال: لا يتصور الإكراه عليه، وكأنه أراد التمادى فيه، وإلا فلا مانع أن ينتشر الرجل بغير سبب، فيكره على الإيلاج حينئذ، فيولج فى الأجنبية، فإن مثل ذلك ليس بمحال، ولو فعله مختارا كان زانيا، فتصور الإكراه على الزنا فى الرجل، أما فى المرأة فإكراهها على الزنا ممكن.

١٥- واستدل به من قال: لا يجوز التداوى بشىء محرم كالخمر، ولا دفع العطش بالخمر، ولا إساغة الغصة بالخمر، قال الحافظ ابن حجر: والصحيح عند الشافعية جواز الثالث، حفظا للنفس، فصار كأكل الميتة لمن اضطر، بخلاف التداوى، فإنه ثبت النهى عنه نصا، ففى مسلم « إنه ليس بدواء، ولكنه داء » وعند أبى داود « ولا تداووا بحرام » و« إن اللّٰه لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها » وأما العطش، فإنه لا ينقطع بشربها، ولأنه فى معنى التداوى. والتحقيق أن الأمر باجتناب المنهى على عمومه، ما لم يعارضه إذن فى ارتكاب منهى، كأكل الميتة للمضطر، وقال الفكهانى: لا يتصور امتثال اجتناب المنهى، حتى يترك جميعه، فلو اجتنب بعضه لا يعد متمثلا، بخلاف الأمر.

وقال هنا ابن فرج إن النهى يقتضى الأمر، فلا يكون متمثلا لمقتضى النهى حتى لا يفعل واحدا من آحاد ما يتناوله النهى، بخلاف الأمر، فإنه على عكسه، ومن ثم نشأ الخلاف، هل الأمر بالشىء نهى عن ضده؟ وهل النهى عن الشىء أمر بضده؟ والتفاصيل فى كتب الأصول.

١٦- وعن قوله « وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم » قال النووى: هذا من جوامع الكلم، وقواعد الإسلام، ويدخل فيه كثير من الأحكام، كالصلاة لمن عجز عن ركن منها أو شرط، فيأتى بالمقدور، وكذا الوضوء، وستر العورة، وحفظ بعض الفاتحة، وإخراج بعض الزكاة لمن لم يقدر على الكل، والإمساك فى رمضان لمن أفطر بالعذر، ثم قدر فى أثناء النهار، إلى غير ذلك من المسائل التى يطول شرحها. وقال غيره: إن من عجز عن بعض الأمور لا يسقط عنه المقدور، وعبر عنه بعض الفقهاء بأن الميسور لا يسقط بالمعسور.

١٧- قال الحافظ ابن حجر: واستدل به على أن من أمر بشىء، فعجز عن بعضه، ففعل المقدور، أنه يسقط عنه ما عجز عنه، وبذلك استدل المزنى على أن « ما وجب أداؤه لا يجب قضاؤه » ومن ثم كان الصحيح أن القضاء بأمر جديد.

١٨- واستدل بالحديث على أن اعتناء الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه بالمأمورات، لأنه أطلق الاجتناب فى المنهيات، ولو مع المشقة فى الترك، وقيد فى المأمورات بقدر الطاقة.

فإن قيل: إن الاستطاعة معتبرة فى النهى أيضا، إذ يقول اللّه تعالى ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فجوابه أن الاستطاعة تطلق باعتبارين. قال الحافظ ابن حجر: كذا قيلَ، والذى يظهر أن التقييد فى الأمر بالاستطاعة لايدل على اعتناء الشرع بالنهى، بل هو من جهة أن النهى كف، وكل واحد قادر على الكف، لولا داعية الشهوة مثلا، فلا يتصور عدم الاستطاعة عن الكف، بل كل مكلف قادر على الترك، بخلاف الفعل، فإن العجز عن تعاطيه محسوس، فمن هنا قيد فى الأمر بحسب الاستطاعة، دون النهى، قال: وعبر الطوفى فى هذا الموضع بأن ترك المنهى عنه عبارة عن استصحاب حال عدمه، أو الاستمرار على عدمه، وفعل المأمور به عبارة عن إخراجه من العدم إلى الوجود. وقد نوزع بأن القدرة على استصحاب عدم النهى عنه قد تتخلف، وقال الماوردى: أن الكف عن المعاصى ترك والترك سهل، وعمل الطاعة فعل، وهو يشق.

فالحكمة فى تقييد الحديث بالاستطاعة فى جانب الأمر، دون النهى، أن العجز يكثر تصوره فى الأمر، بخلاف النهى، فإن تصور العجز فيه محصور فى الاضطرار.

١٩- واستدل به على أن المكروه يجب اجتنابه، لعموم الأمر باجتناب المنهى عنه، فشمل الواجب والمندوب، وأجيب بأن قوله « فاجتنبوه » يعمل به فى الإيجاب والندب بالاعتبارين ويجيء مثل هذا الجواب فى الجانب الآخر، وهو الأمر.

٢٠- واستدل به على أن المباح ليس مأموراً به،و أجيب بأن من قال: المباح مأمور به لم يرد الأمر بمعنى الطلب، وإنما أراد المعنى العام، هو الإذن.

٢١- واستدل بقوله « فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم » النهى عن إكثار السؤال، والسؤال أنواع، ولكل نوع منه حكمة.

أ- فالسؤال عما لم يحدث تكلفا أو تعنتا، فيما لا حاجة إليه منهى عنه، فقد يؤدى إلى المشقة بالمسلمين، ويكون سببا لتحريم شيء عليهم، لم يكن ليحرم، لولا السؤال، كما أشير إليه فى الرواية الرابعة والخامسة، وهذا النوع قد يكون مأمونا اليوم، بعد أن ثبت التحليل والتحريم، واستقرت الشريعة، وأكمل اللّه الدين، لكنه قد يتصور فى المنقبين المشددين المتنطعين، الذين يسألون أمثالهم، فيجيبونهم بما يشق عليهم، وقد أخرج البزار « ما أحل اللّه فى كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من اللّه عافيته، فإن اللّه لم يكن ينسى شيئا، ثم تلا هذه الآية ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾ [مريم: ٦٤] وأخرج الدارقطنى « إن اللّه فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدد حدودا فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء، رحمة بكم، غير نسيان، فلا تبحثوا عنها » ومن أمثلة ما وقع من الصحابة ﷺ من هذا النوع قبل نزول الآية، سؤالهم عن وجوب طاعة الأمراء، إذا أمروا بغير طاعة، والسؤال عن أحوال يوم القيامة، وما قبلها من الملاحم والفتن، وسؤالهم عن الكلالة والخمر والميسر، والقتال فى الشهر الحرام، واليتامى، والمحيض، والنساء، والصيد، فكثير من هذه الأسئلة كانت سببا للتكليف بما يشق.

ب- وقد يؤدى إلى الإساءة إلى السائل، كالذى سأل: أين أنا؟ فقيل له: فى النار.

جـ- وقد يؤدى السؤال إلى فتح باب الإلحاح والإلحاف والكثرة التى تعنى و لا تعنى، وتضر أكثر مما تنفع، فتحرج المسئول وتؤذيه، كما تشير إلى ذلك الرواية السادسة وما بعدها، وكسؤال الرجل تضل ناقته: أين ناقتى؟.

د- وقد يكون السؤال من منطلق التقعر والتشدق والتظاهر بالعلم والتعمق فيه، مما يسيء إلى العلم والعلماء، وعليه ينطبق حديث ابن مسعود عند مسلم، رفعه « هلك المتنطعون ».

هـ- وقد يكون السؤال جرياً وراء أمور غيبية، ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها، كالسؤال عن وقت الساعة، وعن الروح، وعن مدة هذه الأمة، إلى أمثال ذلك مما لا يعرف إلا بالنقل الصرف، والكثير منه لم يثبت فيه شيء، فيجب الإيمان به من غير بحث فى تفصيله، وصرف الزمان فى غيره مما ينفع أولى.

و- وقد يؤدى السؤال إلى الإضرار بالسائل، أو وقوعه فى الشك والحيرة، ومثلوا له بسائل يسأل عن السلع المجهول مصدرها فى الأسواق، فيجاب بجواز شرائها ممن هى فى يده، من غيره بحث عن طريق مصيرها إليه، فيعود ويسأل: أخشى أن تكون هذه السلعة من نهب حصل قريبا، فيجاب بكراهة أو تحريم الشراء، من ذلك ما يحكى أن ماء سقط على عالم من نافذة بيت، فنادى العالم صاحبة النافذة. أهذا الماء طاهر أم نجس؟ فقالت له: نجسته بسؤالك أيها الفقيه.

أما الممدوح من الأسئلة فهو ما كان فى العلم للعلم، وبقدر الحاجة، وبدون إضرار أو إيذاء، أو مضايقة أو رياء، وبالجملة أن يجر نفعا، ولا يشوبه ضرر.

٢٢- ومن الرواية السادسة من عرض الجنة والنار، أن الجنة والنار مخلوقتان. قاله النووى.

٢٣- ومن قوله « لو تعلمون ما أعلم » عدم كراهة استعمال لفظة « لو » فى مثل هذا.

٢٤- وقد يؤخذ من قول عبد الله بن حذافة « لو ألحقنى بعبد للحقته » أن الزنا يثبت به نسب، مع أنه ليس كذلك، وأجيب بأنه يحتمل وجهين: أحدهما: أن ابن حذافة ما كان بلغه هذا الحكم، وكان يظن أن ولد الزنا يلحق بالزانى، قال النووى: وقد خفى هذا على أكبر منه، وهو سعد بن أبى وقاص، حين خاصم فى ابن وليدة زمعة، فظن أنه يلحق أخاه بالزنا، والثانى أنه يتصور الإلحاق بعد الوطء بشبهة، فيثبت النسب منه.

٢٥- ومن بروك عمر ﷺ جواز بروك الطالب، كمظهر من مظاهر الانزعاج والاهتمام، فقد فهم عمر أن تلك الأسئلة قد تكون على سبيل التعنت أو الشك، فخشى أن تنزل العقوبة بسبب ذلك، فقال: رضينا بالله ربا: إلخ.

٢٦- وفيه فضيلة لعمر وذكائه وإدلاله على رسول الله ﷺ، إذ رضى النبى ﷺ بقول عمر. فسكت.

٢٧- وفيه جواز الغضب عند الموعظة والتعليم.

٢٨- وفيه دقة ملاحظة الصحابة لأحوال النبى ﷺ فى الرضا والغضب.

٢٩- وحرصهم على رضاه، وخوفهم من غضبه.

٣٠- وقد يتمسك القدرية بالرواية الرابعة والخامسة فى أن اللَّه تعالى يفعل شيئا من أجل شيء، قال المهلب: وليس كذلك، بل هو على كل شيء قدير، وهو فاعل السبب والمسبب، كل ذلك بتقديره، ولكن الحديث محمول على التحذير مما ذكر، فعظم جرم من فعل ذلك، لكثرة الكارهين لفعله، وقال غيره: أهل السنة لا ينكرون إمكان التعليل، وإنما ينكرون وجوبه، فلايمتنع أن يكون المقدر: الشيء الفلانى تتعلق به الحرمة إن سئل عنه، فقد سبق القضاء بذلك، لا أن السؤال علة التحريم.

٣١- ويؤخذ منه أن من عمل شيئا أضر به غيره كان آثما، وإن كان العمل فى أصله مباحا، فالسؤال عن تكرير الحج فى أصله مباح، لكن لما كان سببا لمشقة الآخرين حرم ومنع .

والله أعلم

(٦٢٧) باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأى

٥٣٣٣- ١٣٩/١ عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ(١٣٩) قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ. فَقَالَ: مَا يَصْنَعُ هَؤُلاءِ؟» فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ. يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الأُنْثَى فَيَلْقَحُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا» قَالَ: فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ. فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ. فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا. فَلا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ. وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا، فَخُذُوا بِهِ. فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

٥٣٣٤- ١٤٠/٢ عَن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ ﷺ(١٤٠) قَالَ: قَدِمَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ. يَقُولُونَ: يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ. فَقَالَ: «مَا تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَصْنَعُهُ. قَالَ: «لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا» فَتَرَكُوهُ. فَنَفَضَتْ أَوْ فَنَقَصَتْ. قَالَ: فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ. إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِن دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ. وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِن رَأْيٍ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ» قَالَ عِكْرِمَةُ: أَوْ نَحْوَ هَذَا. قَالَ: الْمَعْقِرِيُّ: فَنَفَضَتْ. وَلَمْ يَشُكَّ.

٥٣٣٥- ١٤١/٣ عَن أَنَسٍ ﷺ(١٤١) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ» قَالَ: فَخَرَجَ شِيصًا. فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: «مَا لِنَخْلِكُمْ» قَالُوا: قُلْتَ: كَذَا وَكَذَا. قَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ».

المعنى العام

جاءت الرسالة المحمدية رسالة وسطا، تحرص على خيرى الدنيا والآخرة، بدرجة لا تطغى إحداهما على الأخرى، جاءت تأخذ بالأسباب بالدرجة التى تعتمد فيها على القضاء والقدر «اعقلها

---

(١٣٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ وَهَذَا حَدِيثُ قُتَيْبَةَ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَن سِمَاكٍ عَن مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَن أَبِيهِ

(١٤٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرُّومِيِّ الْيَمَامِيُّ وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمَعْقِرِيُّ قَالُوا حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا أَبُو النَّجَاشِيِّ حَدَّثَنِي رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ

(١٤١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرٌو النَّاقِدُ كِلاهُمَا عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ ابْنُ سَلَمَةَ عَن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَن أَبِيهِ عَن عَائِشَةَ وَعَن ثَابِتٍ عَن أَنَسٍ

وتوكل » يستعد صلى اللّه عليه وسلم للّهجرة، ويخفى أمرها، ويخرج بليل، ويختبئ فى الغار، فى الوقت الذى يقول فيه « ما ظنك باثنين اللّه ثالثهما ».

لقد جاء الإسلام والناس على عنصر واحد، هو عنصر الأسباب المادية، والمتطرف إذا أريد له الوسطية شد إلى الطرف الآخر، ليعود برغبة منه إلى الوسط، وهذا هو ما وقع فى قصتنا.

كان صلى اللّه عليه وسلم بمكة ثلاثا وخمسين سنة، حوله جبال وصحراء، وهاجر إلى المدينة، بلاد نخل وزروع، وبينما هو يمشى فى طرقاتها بين النخيل، ومعه بعض أصحابه، رأى رجالا تسلقوا النخل، حتى وصلوا إلى سعفها، ورأى شيئا فى أيديهم، يتحركون به، ولم يتبين ماذا يعملون، فسأل من معه: ماذا يصنع هؤلاء؟ قالوا: يلقحون النخل. لأن النخل فى موسم معين يخرج طلعا، قوالب بداخلها فروع بيضاء على جانبيها بروز الثمر، ومليئة بما يشبه الدقيق، يخرج هذا فى النخل الذكر ولا يثمر، ويخرج فى الأنثى وهو أصل التمر، لكن بشرط أن يوضع شيء من طلع الذكر فى طلع الأنثى، فأراد صلى اللّه عليه وسلم أن يربطهم بالقضاء والقدر، فقال: لا أظن أن ذلك ينفعهم إلا بإرادة اللّه وقدرته، وأظن أنهم لو لم يفعلوا ذلك واعتمدوا على اللّه وسألوه لصلح، وكان من الممكن أن تحمل الريح طلع الذكر إلى الأنثى، وتقوم مقامهم، كما يحصل فى كثير من الفواكه، مصداقا لقوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] لكن اللّه تعالى أراد أن يربط المسببات بالأسباب فى هذه القصة، فلما سمعوا كلام الرسول ﷺ، ولم يلقحوا، خرج البلح شيصا، فلم رآه كذلك صلى اللّه عليه وسلم قال لهم: ما لتمركم هذا العام خرج شيصا؟ قالوا: لأننا لم نلقحه، استجابة لقولك كذا وكذا، قال: إنما قلت لكم ذلك من عند نفسى ظنا، ولست فى ذلك مبلغا عن اللّه، فإذا أمرتكم بأمر مبلغا فالتزموه، وإذا أمرتكم بأمر من نفسى فأنتم وشأنكم، فأنتم أعلم بأمور دنياكم، وما دام فى ذلك خير لكم فافعلوه.

فعادوا إلى تلقيح نخلهم، وعادت المدينة خير بلد، وتمرها خير تمر.

المباحث العربية

(**مررت مع رسول اللّه ﷺ بقوم على رءوس النخل**) مقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة آحادا، أى على كل نخلة رجل، والمراد من رأس النخلة أعلاها.

(**فقال: ما يصنع هؤلاء**)؟ أى سأل طلحة ومن معه عما يفعلون؟ وقد رآهم لا يقطعون سعفا كما يعهد، وكان ذلك أول قدومه المدينة، التى هى ذات نخل، ولم تكن مكة ذات نخل، ففى الرواية الثانية « قدم نبى اللّه ﷺ المدينة، وهم يأبرون النخل » فسر ذلك بقوله « يقولون: يلقحون النخل » وليس المراد أنه رأى ذلك فى طريق قدومه، بل المراد أنه رأى ذلك فى أوائل وصوله، حين خرج إلى المزارع، و« يأبرون » بسكون الهمزة، وكسر الباء وضمها، يقال: أبر يأبر، ويأبر، كبذر يبذر ويبذر، ويقال: أبر بتشديد الباء يؤبر تأبيرا، والمراد به التلقيح، ومعناه إدخال شيء من طلع الذكر، فرع أو دقيق، فى طلع الأنثى، فتعلق الأنثى، ويصلح ثمرها، بإذن اللّه تعالى، « فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر فى الأنثى، فيلقح ».

(**فقال: ما أظن يغنى ذلك شيئا**) أى ما أظن أن ذلك العمل يغنى عن قدر اللّه شيئا إذا أراد عدم صلاحه « لو لم تفعلوا » التأبير وأراد اللّه صلاحه « لصلح » ولعله أراد صلى اللّه عليه وسلم أن يوجههم إلى الاعتماد على اللّه بدلا من الاعتماد الكلى على الأسباب.

(**فأخبروا بذلك**) أى أخبر الذين على رءوس النخل بما قاله صلى اللّه عليه وسلم، وكانوا مسلمين.

(**فتركوه**) أى تركوا التأبير، اعتماداً على إشارته صلى اللّه عليه وسلم.

(**فأخبر رسول اللّه ﷺ**) معطوف على محذوف، أبرزته الرواية الثانية والثالثة، والأصل: « فتركوه، فنفضت - أو فنقصت - فذكروا ذلك له » « فنفضت » بالفاء والضاد، أى أسقطت النخل ثمرها، ويقال لذلك المتساقط: النفض، بفتح النون والفاء، بمعنى المنفوض، كالخبط، بمعنى المخبوط، وأنفض القوم فنى زادهم، وأما « نقصت » بالقاف والصاد فمعناه نقص صلاحها وهو المعبر عنه فى الرواية الثالثة بقوله « فخرج شيصا، فمر بهم، فقال ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا » والشيص بكسر الشين هو البسر الردىء، الذى إذا يبس صار حشفا.

(**فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإنى إنما ظننت ظنا، فلا تؤاخذونى بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن اللّه شيئا، فخذوا به، فإنى لن أكذب على اللّه عز وجل**) فى الرواية الثانية « قال: إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم، فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيى، فإنما أنا بشر» وفى الرواية الثالثة « قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم ».

قال النووى: قال العلماء: قوله « من رأيى » أى فى أمر الدنيا ومعايشها، لا على التشريع، فأما ما قاله باجتهاده صلى اللّه عليه وسلم، ورآه شرعا، يجب العمل به، وليس إبار النخل من هذا النوع، بل من النوع المذكور قبله، قال: مع أن لفظة « الرأى » إنما أتى بها عكرمة على المعنى، لقوله فى آخر الحديث: قال عكرمة أو نحو هذا، فلم يخبر بلفظ النبى ﷺ محققا، قال العلماء: ولم يكن هذا القول خبرًا، وإنما كان ظنا، كما بينه فى هذه الروايات، قالوا: ورأيه صلى اللّه عليه وسلم فى أمور المعايش، وظنه كغيره، فلا يمتنع وقوع مثل هذا، ولا نقص فى ذلك، وسببه تعلق هممهم بالآخرة ومعارفها. اهـ

فقه الحديث

هذا الحديث يتعلق به كل من يحاول التحلل من كثير من أحكام الشرع، مما يتعلق بالحياة، والمعاملات ويتمسك بقوله صلى اللّه عليه وسلم « أنتم أعلم بشئون دنياكم » فبعضهم يدخل تحته كل ما يتعلق بالأكل والشرب والنوم واللبس والجلوس والمشى، وغير ذلك من الأمور الخاصة بالحاجة والطبيعة البشرية.

فالشيخ شلتوت يقول: ما ورد عن النبى ﷺ، ودون فى كتب الحديث من أقواله وأفعاله وتقريراته على أقسام: أحدها ما سبيله سبيل الحاجة البشرية كالأكل والشرب والنوم والمشى والتزاور والمصالحة بين شخصين بالطرق العرفية، والشفاعة والمساومة فى البيع والشراء.

ثانيها: ما سبيله سبيل التجارب والعادة الشخصية أو الاجتماعية، كالذى ورد فى شئون الزراعة والطب وطول اللباس وقصره.

ثالثها: ما سبيله التدبير الإنسانى، أخذا من الظروف الخاصة، كتوزيع الجيش على المواقع الحربية، والكمون والفر، وما إلى ذلك مما يعتمد على وحى الظروف الخاصة.

وكل ما نقل من هذه الأنواع الثلاثة ليس شرعا، يتعلق به طلب الفعل والترك، وإنما هو من الشئون البشرية التى ليس مسلك الرسول فيها تشريعا، ولا مصدر تشريع(١) .

والتحقيق أنه من الخطأ أن نطلق هذا الإطلاق، فكل من هذه الأمور منها الواجب شرعا، ومنها المحرم شرعا، ومنها المكروه والمندوب والمباح.

والدكتور عبد المنعم النمر يدخل مع ذلك كل المعاملات، على أنها تدخل تحت قوله « أنتم أعلم بشئون دنياكم » ويؤكد أن الرسول ﷺ لم يصدر عنه ذلك بوحى، ولم يكن فى ذلك محروسا بوحى مباشر أو وحى سكوتى أو إقرارى(٢) .

وقد رددت عليهما فى بحثين منشورين: بعنوان السنة والتشريع، والسنة كلها تشريع.

والذى يعنينا فى هذا المقام: الحديث، تحليله، وفهمه الفهم الصحيح.

فمن غير المعقول فهمه على إطلاقه، بمعنى أنتم معشر مؤبرى النخل أعلم من محمد ﷺ بشئون دنياكم كلها، فالإسلام نصف تشريعاته للدنيا، ونصفه للدين، بل المصالح الدنيوية هى من الدين، ومرتبطة بالدين، يثاب عليها، كما يثاب على الصلاة، فالرجل الذى سقى الكلب، والرجل الذى أنظر معسرًا، والرجل الذى أزال غصن شوك، غفر لهم، والمرأة التى حبست قطة دخلت النار.

والرجل يزرع زرعا أو يغرسا غرسا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة له بكل ذلك صدقة، والرجل يأتى شهوته حلاله، له أجر، والبائع الغاش، والمشترى الغاش، والحاكم الغاش، كل هؤلاء عليهم وزر، ومحمد ﷺ أعلم بالصالح فيها، عن غيره من البشر، فلا بد من تقييد « أمور دنياكم » ببعض أمور دنياكم، وهذا البعض هو ما وقعت القصة فيه « تلقيح النخل » وكأنه قال: أنتم أعلم بكيفية وفائدة تلقيح النخل منى، وهذه حقيقة لا تضر بالرسالة، ومع أن العلماء يقولون: إن واقعة العين كهذه الواقعة، يقتصر الحكم عليها، ولا ينقل إلى غيرها، أولا يكون حجة لغيرها، مع هذا لو نقلناها نقلناها إلى ما يشبهها، من الأعمال التى تكتسب عن طريق العلم والتدريب والممارسة والتجارب والخبرة، كالزراعة والنجارة والحدادة والغزل والنسيج والحياكة، والصناعات الأخرى. فهذه ليست من مهمة الرسالة، وليس من مهمة الرسول ﷺ، ولا من مؤهلاته أن يكون ماهراً فيها، ولا خبيرا بدقائقها.

فإذا تكلم مع الخبراء فيها فكلامه مبنى على الظن الذى قد يخطئ، كأى إنسان غير متخصص، وحديث تأبير النخل من هذا القبيل، ومحاولة تطبيقه - حتى على جميع شئون الزراعة - خطأ، فقد

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ص ٥٠٨ وما بعدها، للشيخ شلتوت. نشر مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٨٥.
(٢) السنة والتشريع للدكتور عبد المنعم النمر- دار الكتاب المصرى بالقاهرة.

تدخل صلى اللّه عليه وسلم فى كيفية سقى الأشجار، وتقديم الأعلى فالأعلى، فى قصة الزبير والأنصارى، التى شرحناها فى الباب السابق، بل بمناسبتها نزل قوله تعالى ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

وقد يتساءل المرء: هل من حكمة نلتمسها من الإشارة بغير الصواب، وبقبولها وتنفيذها من الصحابة دون مناقشة مع أنهم ناقشوا فى كثير غيرها، كالإذخر، وشهود الزنا، والسلم، وغير ذلك كثير، وما الحكمة فى عدم تعديل هذه المشورة من قبل الوحى، وتدارك الثمرة حتى لا تصير شيصا، وقد تلمسنا لذلك حكما وضحناها فى بحثنا، نذكر منها:

أولاً: هناك من الأمور ما نحسبه شراً لنا، وهو فى الحقيقة خير لنا، كحديث الإفك الذى استمر أياما وأياما دون حسم، وقال اللّه فيه ﴿ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [النور: ١١] وكخرق السفينة، يحسب لأول وهلة أنه شر لأصحابها، فلما اتضحت الحقيقة إذا هو خير لهم، وبالقياس على هذا، فإن المشورة وقعت فى أوائل الهجرة، وكان من الجائز جدا أن يطمع الكافرون فى تمر المدينة، فيهاجموها حربا لمحمد وطمعا فى تمرها، فخروج التمر شيصا يجعلهم لا يطمعون فى غير مطمع، وكأن اللّه يصرف بذلك هجوم الكافرين، حتى يستعد المؤمنون للدفاع.

ثانيا: من المعروف أن الدرس العملى أشد أثراً من الوعظ النظرى، ولا شك أن هذا الدرس كان قاسيا عليهم، ومنه حرصوا وتنافسوا بعده فى الرقى بأسباب الحياة.

ثالثا: إن الابتلاء بمثل هذا امتحان واختبار ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥] فقوى الإيمان يظل متمسكا بالإيمان مهما أصابه، وضعيف الإيمان يظهر ضعفه، فلا ينخدع به غيره ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١] فكانت هذه الحادثة ابتلاء واختبارا لهم، وهى حتى اليوم فى هذا الشرح ابتلاء واختبار، وقد نجح الصحابة رضوان اللّه عليهم فى هذا الاختبار القاسى - وهم فى أول الإيمان - نجاحا باهرا، فقد استمروا على طاعة أوامره والبعد عن كل ما نهى عنه، بالدرجة نفسها، التى كانت قبل مشورته، ولم يصل إلينا أن أحدا ارتد بسببها، بل لم يرد عتاب أحد منهم لرسول اللّه ﷺ عليها، على الرغم من خسارتها الكبرى، رضى اللّه عنهم أجمعين.

واللّه أعلم

(٦٢٨) باب فضل النظر إليه صلى الله عليه وسلم

٥٣٣٦- ١٤٢/١ عَـن أَبِي هُرَيْـرَةَ ﷺ(١٤٢) عَـن رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ. فَذَكَـرَ أَحَـادِيثَ مِنْهَـا: وَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «وَالَّـذِي نَفْسُ مُحَمَّـدٍ بِيَـدِهِ! لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُـمْ يَـوْمٌ وَلا يَرَانِي. ثُـمَّ لأَنْ يَرَانِـي أَحَـبُّ إِلَيْـهِ مَـنْ أَهْلِـهِ وَمَالِـهِ مَعَهُـمْ». قَـالَ أَبُـو إِسْحَقَ: الْمَعْنَى فِيـهِ عِنْـدِي، لأَنْ يَرَانِي مَعَهُـمْ أَحَـبُّ إِلَيْهِ مِن أَهْلِـهِ وَمَالِـهِ وَهُـوَ عِنْـدِي مُقَـدَّمٌ وَمُؤَخَّـرٌ.

المعنى العام

للإنسان حواسه الخمسة، وله شعوره ووجدانه، وعن طريق الحواس الظاهرة والباطنة يتمتع الإنسان بالنعيم، ويشقى بالآلام والكروب، وحب الإنسان لشيء لا يكون لذاته، بل لصفة فيه، ولا شك أن العقل والوجدان والروح والشعور الداخلي للمؤمن الحق سعيد بالإسلام وبرسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، أما الحواس الظاهرة فهى طريق أيضا لسعادة المؤمن، وقد مر بنا من صفات خلقته صلى الله عليه وسلم طيب ريحه، وجوامع كلمه، والتبرك بفضلات طعامه وشرابه، ولين ملمسه، وهذا الحديث فى متعه النظر إليه صلى الله عليه وسلم، فرؤيته صلى الله عليه وسلم خير من الأهل والمال والولد، لأنه أساس فى إثبات الصحبة، والصحبة من أفضل خصال الإسلام، وخير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم، ولقد أتى زماننا متأخراً، فلم يكتب لنا أن نسعد برؤيته، فهل شوقنا لرؤيته، وحنيننا إلى رؤيته صلى الله عليه وسلم يقوم مقام رؤيته؟ أو يسد - ولو جزئيا - مسد رؤيته؟ نسأل الله تعالى أن يمنحنا وصال الروح، حيث حرمنا وصال الأجساد، وأن يجمعنا به صلى الله عليه وسلم فى الآخرة وأن يجعلنا من أهل شفاعته.

المباحث العربية

(**ليأتين على أحدكم يوم ولا يرانى**) الخطاب للصحابة السامعين له، أى ستشغلكم الدنيا وأمور الحياة عن ملازمتى فى مسجدى وفى حلى وترحالى، وسيأتى على بعضكم يوم، بل أيام لا يرانى فيها، وقد وقع ذلك من أقرب الناس إليه، عمر بن الخطاب، فقد كان يزرع فى أرض الأنصار فى أطراف المدينة، وينزل يوماً لرسول الله ﷺ، وينزل جاره يوما، بل كانت التجارة والأسواق تشغله أياما عن النزول أحيانا، حتى قال: ألهانى عنه الصفق بالأسواق.

(**ثم لأن يرانى أحب إليه من أهله وماله معهم**) يقول أبو إسحاق الراوى: هو عندى، مقدم ومؤخر، مراده أن كلمة «ثم» أخرت، وأصلها مقدم على «لا يرانى» و«ثم لا يرانى» مقدم من

(١٤٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَن هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ

تأخير، وأصل الجملة ليأتين على أحدكم يوم، لأن يرانى فيه أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله (ثم لا يرانى) أى رؤيته إياى أفضل عنده، وأحظى من أهله وماله، ولفظة «معهم» فى موضعها. أى يأتى على أحدكم يوم، لأن يرانى فيه لحظة، ثم لا يرانى بعدها، أحب إليه من أهله وماله جميعا.

فقه الحديث

مقصود الحديث الحث على ملازمة الصحابة مجلس الرسول ﷺ، حضراً وسفراً، ففى ذلك مشاهدة آداب الشرع فى حركاته وسكناته، وتعلم الشرائع وحفظها عنه مباشرة دون وساطة، والتبرك بمجلسه، والانتفاع بالرحمة التى تغمر هذا المشهد العظيم.

والله أعلم

(٦٢٩) باب فضائل عيسى عليه السلام

٥٣٣٧- ١٤٣/١ عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٤٣] قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ. الأَنْبِيَاءُ أَوْلادُ عَلاَّتٍ. وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ».

٥٣٣٨- ١٤٤/٢ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٤٤] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى. الأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عَلاَّتٍ. وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى نَبِيٌّ».

٥٣٣٩- ١٤٥/٣ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٤٥]، عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ» قَالُوا: كَيْفَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِن عَلاَّتٍ. وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى. وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ. فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ».

٥٣٤٠- ١٤٦/٤ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٤٦]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِن مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ. فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِن نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ. إِلا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ» ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

٥٣٤١- – وفي رواية عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهَذَا الإِسْنَادِ. وَقَالا: «يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِن مَسَّةِ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ» وَفِي حَدِيثِ شُعَيْبٍ «مِن مَسِّ الشَّيْطَانِ».

٥٣٤٢- ١٤٧/٥ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٤٧]، عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، إِلا مَرْيَمَ وَابْنَهَا».

٥٣٤٣- ١٤٨/٦ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٤٨] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِيَاحُ الْمَوْلُودِ حِينَ يَقَعُ، نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ».

---

(١٤٣) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَهُ أَنَّ عن أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ

(١٤٤) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَن سُفْيَانَ عَن أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَن أَبِي سَلَمَةَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٤٥) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَن هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ

(١٤٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى عَن مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَن سَعِيدٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

– وحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ح و حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ جَمِيعًا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ

(١٤٧) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ أَبَا يُونُسَ سُلَيْمًا مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ.

(١٤٨) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ أَخْبَرَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَن سُهَيْلٍ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

٥٣٤٤- $\frac{١٤٩}{٧}$ عَـن أَبِـي هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه(١٤٩)، عَـن رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ. فَذَكَـرَ أَحَـادِيثَ مِنْهَـا: وَقَـالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلا يَسْرِقُ. فَقَالَ لَـهُ عِيسَـى: سَـرَقْتَ؟ قَـالَ: كَـلا. وَالَّذِي لا إِلَـهَ إِلا هُوَ! فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ. وَكَذَّبْتُ نَفْسِي».

المعنى العام

تحكـى سـورة مريـم قصـة حمـل مريـم لعيسـى مـن غـير أب، وتعجبهـا مـن هـذا الحمـل وهـى غـير بغـى، وانتباذهـا بحملهـا مكانـا قصيـا، وكيـف رزقهـا اللَّـه بطعامهـا وشـرابها مـدة حملهـا، وكيـف جاءهـا المخـاض إلـى جـذع النخلـة، وقولهـا: يـا ليتنـى مـت قبـل هـذا وكنـت نسـيا منسـيا، وكيـف بشـرها ربهـا بغـلام ذكـى، يكـون آيـة للنـاس ورحمـة مـن اللَّـه، وكيـف أمـرت أن تقـابل قومهـا ولا تتكلـم معهـم، وأن تطلـب مـن طفلهـا أن يـرد عليهـم ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا۝ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريـم: ٢٩-٣١] كـان عيسـى عليـه السـلام معجـزة فـى ميـلاده، معجـزة فـى كلامـه فـى المهـد، علـى يديـه فـى حياتـه ظهـرت معجـزات إحيـاء الموتـى بـإذن اللَّـه، وإبـراء الأكمـه والأبـرص بـإذن اللَّـه، فـى رسـالته اختلـف الأحـزاب فيمـا بينهـم - كمـا هـو الشأن مـع الأنبيـاء، طلـب حواريـوه مـائدة مـن السـماء، فدعـا بهـا عيسـى فـنزلت، وعـاداه آخـرون، واتهمـوه بأنـه ابـن زنـا. نعـم كـانت حياتـه معجـزة، مغـالاة وتطـرف فـى الحـب والتقديـس، ومغـالاة وتطـرف فـى البغضـاء والشـحناء، عبـده بعضهـم وقـالوا: إنـه ابـن اللَّـه، ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبـة: ٣٠] وحاربـه آخـرون، حتـى وضعـوا ونصبـوا لـه الصليـب ليقتلـوه، وكـان موتـه معجـزة ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا۝ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النسـاء: ١٥٧-١٥٨] ومـا بعـد موتـه معجـزة، يـنزل حاكمـا عـادلا فـى آخـر الزمـان، كمسـلم مـن أمـة محمـد ﷺ، يقيـم العـدل، ويحـارب الشـرك والظلـم، ويكسـر الصليـب، ويقتـل الدجـال، فـأى علاقـة هـذه بينـه وبيـن أخيـه محمـد بـن عبـد اللَّـه عليهمـا الصـلاة والسـلام، ومـن أولـى بـه مـن رسـول اللَّـه رسـول الإسـلام؟

لقد عاش مثالا للزهد والإعراض عن الدنيا، مثالا للرحمة والتسامح والتواضع، مثالا للعفو والرفق، رأى سارقا يسرق مال غيره، رآه بعينى رأسه، طلبه فجاء، قال له: أنت سرقت ساعة كذا من مكان كذا. قال الرجل: لا. لم أسرق. والذى لا إله إلا هو.

فغلـب التسـامح العقوبـة، وارتفـع حسـن الظـن علـى السـوء، وعـلا الرفـق والإحسـان علـى المحاسـبة والانتقـام، فقـال لـلرجل: آمنـت باللَّـه، وعظمتـه وقدسـته، واستسـلمت لحلفـك بـه،

(١٤٩) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ

وكذبت نفسى وبصرى وعينى، وكانت دعوته دائما ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ۝ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥٠-٥١].

المباحث العربية

(**أنا أولى الناس بابن مريم**) فى الرواية الثانية « أنا أولى الناس بعيسى » وفى الرواية الثالثة « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الأولى والآخرة » أى أخص الناس به، وأقربهم إليه، لأنه بشر عليه السلام برسول يأتى من بعده اسمه أحمد، فالاختصاص على هذا سببه معرفة الفضل لأهل الفضل، لكن الرواية الثالثة جعلت سبب هذا الاختصاص قرب العهد مع جامع الرسالة، فلفظها « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الأولى والأخرة، قالوا: كيف يا رسول اللَّه؟ قال: الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبى » ولا مانع من تعدد أسباب الاختصاص.

وقد استشكل على هذه الولاية بما جاء فى القرآن الكريم، من قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ [آل عمران: ٦٨] قال الكرمانى: التوفيق أن الحديث وارد فى كونه صلى اللَّه عليه وسلم متبوعا، والآية واردة فى كونه تابعا. اهـ.

ولم يرتض الحافظ ابن حجر هذا التوفيق، فقال: إن مساق الحديث كمساق الآية، فلا دليل على هذه التفرقة، والحق أنه لا منافاة، ليحتاج إلى الجمع، فكما أنه أولى الناس بإبراهيم، كذلك هو أولى الناس بعيسى، ذاك من جهة قوة الاقتداء به، وهذا من جهة قوة قرب العهد به.

(**الأنبياء أولاد علات**) قال العلماء: أولاد العلات، بفتح العين وتشديد اللام هم الإخوة لأب من أمهات شتى، أما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان، فالعلات الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة، ثم تزوج أخرى، كأنه عل منها، والعلل الشرب بعد الشرب، وفى الرواية الثالثة « الأنبياء إخوة من علات، أى إخوة من أب، أى إخوة من ضرائر، وقد فسرته الرواية بقولها « وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد » فهو من باب التفسير، كقوله تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩-٢١] ومعنى الحديث: إن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت الفروع، وقيل المراد أزمنتهم مختلفة، فالمراد من وحدة الدين وحدة أصول التوحيد، وأصل طاعة اللَّه تعالى.

(**وليس بينى وبينه نبى**) هذا ما أورده كالشاهد لقوله: إنه أقرب الناس إليه.

(**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان**) وفى ملحق الرواية الرابعة « ما من مولود يولد إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخا من مسة الشيطان إياه » وفى الرواية الخامسة « كل بنى آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه » وفى الرواية السادسة « صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان » والنخس والنزغ الطعن، ومعنى حين يقع « أى حين يسقط من بطن أمه، والاستهلال الصياح، أى يصيح صارخا من الألم الناتج من مسة الشيطان،

وقد فسرت رواية البخارى هذا المس، ولفظها « كل بنىآدم يطعن الشيطان فى جنبيه بإصبعه، حين يولد » قال القرطبى: هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط.

(**إلا ابن مريم وأمه**) وفى الرواية الخامسة « إلا مريم وابنها » وفى رواية للبخارى « غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن، فطعن فى الحجاب » والمراد من الحجاب الجلدة التى فيها الجنين أى المشيمة، أو الثوب الملفوف على الطفل، والاقتصار على عيسى فى هذه الرواية دفع بعضهم أن يقول عن روايات مريم وابنها: إنه من عطف التفسير، والمقصود الابن، كقولك: أعجبنى زيد وكرمه، وحمل الحافظ ابن حجر على هذا القول: وقال: إنه تعسف شديد، وقال: يحتمل أن يكون هذا بالنسبة إلى المس، وذاك بالنسبة إلى الطعن فى الجنب.اهـ. وهذا الاحتمال مستبعد، لأن الرواية التى اقتصرت على عيسى نفت الطعن، والتى ذكرتهما نفت المس عنهما، ونفى المس نفى للطعن، وكون مريم طعنت ولم تمس مستبعد.

قال: ويحتمل أن يكون ذاك قبل الإعلام بما زاد - يعنى أعلم أولا بنفى الطعن والمس لعيسى، ثم أعلم آخرًا بنفيهما عنه وعن أمه - قال: وفيه بعد، لأنه حديث واحد، وقد روى بلفظ « كل بنى آدم قد طعن الشيطان فيه حين ولد، غير عيسى وأمه، جعل اللّه دون الطعنة حجابا، فأصاب الحجاب، ولم يصبهما » قال: والذى يظهر أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر، والزيادة من الحافظ مقبولة.

(**اقرءوا إن شئتم ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]**) هذه الجملة موقوفة على أبىَ هريرة، يستدلَ بها على حفظ اللّه مريم وابنَها منَ الشَيطان، ببركة دعوة أمها، ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى.

(**فقال له: سرقت**)؟ بحذف همزة الاستفهام، ليقر فيحاسبه، وقيل: خبر وإثبات.

(**قال: كلا. والذى لا إله إلا هو**) وفى رواية للبخارى « قال: كلا. والذى لا إله إلا اللّه » وفى رواية « قال: لا. والذى لا إله إلا هو ».

(**فقال عيسى: آمنت باللّه، وكذبت نفسى**) وفى رواية للبخارى « وكذبت عينى » بالتثنية، وبالإفراد، وفى رواية « وكذبت بصرى »، و « كذبت » بتشديد الذال و « نفسى » و « عينى » مفعول، وفى رواية بتخفيف الذال وفتح الباء، و « نفسى » فاعل.

قال ابن التين: قال عيسى ذلك على المبالغة فى تصديق الحالف، ولم يرد حقيقة تكذيب النفس أو العين فى هذا، أى والعين قد تكذب.

وقيل: إنه أراد بالتصديق والتكذيب ظاهر الحكم، لا باطن الأمر، وإلا فالمشاهدة أعلى اليقين، فكيف يكذب عينه؟ ويصدق قول المدعى؟ أى وإن كنت موقنا باطنا بأنك سرقت، لكنى أصدقك ظاهرا من أجل يمينك.

ويحتمل أنه رآه مد يده إلى الشيء، ولم يسرقه، فظن عيسى أنه سرقه، فلما حلف له أنه ما سرقه رجع عن ظنه، وصدقه.

وقال القرطبى: ظاهر قول عيسى للرجل: « سرقت » أنه خبر جازم عما فعل الرجل من السرقة، لكونه رآه أخذ مالا من حرز فى خفية، وقول الرجل: كلا. نفى لذلك، وأكده باليمين، وقول عيسى: آمنت بالله، وكذبت عينى. أى صدقت من حلف بالله، وكذبت ما ظهر لى من كون الأخذ المذكور سرقة ،فإنه يحتمل أن يكون الرجل قد أخذ شيئا له فيه حق، أو شيئا أذن له صاحبه فى أخذه، أو أخذه ليقلبه، وينظر فيه، ولم يقصد الغصب والاستيلاء، قال: ويحتمل أن يكون عيسى كان غير جازم بذلك، وإنما أراد استفهامه، بقوله: سرقت؟ وتكون أداة الاستفهام محذوفة، وهو سائغ كثيراً. اهـ. قال الحافظ ابن حجر: واحتمال الاستفهام بعيد، مع جزمه صلى الله عليه وسلم بأن عيسى رأى رجلا يسرق، قال: واحتمال كونه يحل له الأخذ بعيد أيضا، بهذا الجزم بعينه.

قال ابن القيم: والحق أن الله كان فى قلب عيسى أجل من أن يحلف أحد كاذبا، فدار الأمر بين تهمة الحالف، وتهمة بصره، فرد التهمة إلى بصره، كما ظن آدم صدق إبليس لما حلف له أنه له ناصح. قال الحافظ ابن حجر: وهذا متكلف أيضا. اهـ.

واستبعاد الحافظ ابن حجر للاستفهام مستبعد، لأن الاستفهام المجازى فى استعمال العربية أكثر من الحقيقى، فقد يكون للتقرير، وقد يكون للتعجب، ولا يتعارض ذلك مع جزمه صلى الله عليه وسلم بأنه سرق، ولا مع إنكار الرجل، فكثيرا ما ينكر المتهم الواقع ويحلف، ولا مع تصديق عيسى له ظاهرا، وتسليمه له، فالقاضى لا يحكم بعلمه، ولم يظهر لى ما رجح عند الحافظ ابن حجر من الاحتمالات، وقد ردها جميعا، وعندى أن ما قاله ابن التين، وما قاله القرطبى محتمل، والله أعلم.

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب

١- تواضع الرسول ﷺ، وإعلان ارتباطه بإخوانه عليهم السلام.

٢- فضيلة عيسى ابن مريم وأمه، وظاهر الأحاديث اختصاص هذه الميزة بهما، واختار القاضى عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها.

٣- تسليط الله تعالى إبليس على ابن آدم من اللحظة الأولى فى حياته.

٤- أن صراخ الطفل عند ولادته من نخسة الشيطان.

٥- أن السرقة محرمة فى الديانات الأخرى.

٦- أن بعض النصارى كانوا موحدين، لا يقولون بالتثليث.

٧-استدل بموقف عيسى من السارق على درء الحدود بالشبهات.

٨- واستدل به على منع القضاء بالعلم، قال الحافظ ابن حجر: والراجح عند المالكية والحنابلة منعه مطلقا، وعند الشافعية جوازه إلا فى الحدود، وهذه الصورة من ذلك.

٩- استدل بقوله « ليس بيني وبين عيسى نبي » على أنه لم يبعث بعد عيسى أحد إلا نبينا ﷺ. قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظر، لأنه ورد أن الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة يس كانوا من أتباع عيسى، وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين، وكانا بعد عيسى؟ قال: والجواب أن هذا الحديث يضعف ما ورد في ذلك، فإنه صحيح بلا تردد،وفي غيره مقال، أو المراد أنه لم يبعث بعد عيسى نبي بشريعة مستقلة، وإنما بعث بعده من بعث بتقرير شريعة عيسى.

والله أعلم

(٦٣٠) باب من فضائل إبراهيم الخليل، ولوط، عليهما السلام

٥٣٤٥- ١٥٠/١ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[١٥٠] قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام» و حَدَّثَنَاه أَبُو كُرَيْبٍ.

٥٣٤٦- ١٥١/٢ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٥١] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلام وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقَدُومِ».

٥٣٤٧- ١٥٢/٣ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٥٢]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِن إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ. وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لاجَبْتُ الدَّاعِيَ».

٥٣٤٨- ١٥٣/٤ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٥٣] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لِلُوطٍ إِنَّهُ أَوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ».

٥٣٤٩- ١٥٤/٥ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٥٤] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلام قَطُّ، إِلا ثَلاثَ كَذَبَاتٍ. ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ. قَوْلُهُ ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ. فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ. وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ. فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي، يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ. فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي. فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الإِسْلامِ. فَإِنِّي لا أَعْلَمُ فِي الأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ. فَلَمَّا دَخَلَ

---

(١٥٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ وَابْنُ فُضَيْلٍ عَنِ الْمُخْتَارِ ح وحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ أَخْبَرَنَا الْمُخْتَارُ بْنُ فُلْفُلٍ عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
– حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ قَالَ سَمِعْتُ مُخْتَارَ بْنَ فُلْفُلٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولا قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمِثْلِهِ
– وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَن سُفْيَانَ عَنِ الْمُخْتَارِ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.
(١٥١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِزَامِيَّ عَن أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ
(١٥٢) وحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ
– و حَدَّثَنَاه إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ عَن مَالِكٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ وَأَبَا عُبَيْدٍ أَخْبَرَاهُ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِيِّ.
(١٥٣) وحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا شَبَابَةُ حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ عَن أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ
(١٥٤) وحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ عَن أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ عَن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلا لَكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا. فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام إِلَى الصَّلاةِ. فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا. فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً. فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلا أَضُرُّكِ. فَفَعَلَتْ. فَعَادَ. فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الأُولَى. فَقَالَ لَهَا: مِثْلَ ذَلِكَ. فَفَعَلَتْ. فَعَادَ. فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ. فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي. فَلَكِ اللَّهَ أَنْ لا أَضُرَّكِ. فَفَعَلَتْ. وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ. وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجَرَ. قَالَ: فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي. فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام انْصَرَفَ. فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ؟ قَالَتْ: خَيْرًا. كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ وَأَخْدَمَ خَادِمًا» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ.

المعنى العام

إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الرحمن ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١] أبو الأنبياء كنيته عليه الصلاة والسلام، وهب اللَّه له إسماعيل وإسحق ومن ذرية إسماعيل محمد عليهما الصلاة والسلام، ومن ذرية إسحق يعقوب، والد أنبياء بنى إسرائيل، كان إبراهيم عليه السلام حنيفا مسلما، جاهد فى اللَّه حق جهاده، وتعرض لصنوف الأذى والاضطهاد، حطم الأصنام بيده، وأتى به على أعين الناس يشهدون ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ۞ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ۞ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ۞ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ۞ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ۞ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ۞ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ۞ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٢-٧١] ... ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ۞ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء:٧٤-٧٥].

إن الإسلام يعرف للأنبياء قدرهم، ويؤمن بهم جميعا، لا يفرق بين أحد منهم، ومع أن القرآن الكريم يقول ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فإن محمدا ﷺ يقول لأصحابه: « لا تخيروا بين الأنبياء » ويقول تواضعا « لاتخيرونى على موسى ». « لا ينبغى لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى » وحين قال له أحد أصحابه « يا خير البرية، قال: ذاك إبراهيم عليه السلام » وحين سئل صلى اللَّه عليه وسلم « من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فيوسف نبى اللَّه ابن نبى اللَّه ابن نبى اللَّه ابن خليل اللَّه ».

وحين نزل قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى

﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] قال الصحابة: شك إبراهيم عليه السلام، ولم يشك نبينا. فقال صلى الله عليه وسلم: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» وحين علم الصحابة أن إبراهيم عليه السلام قال لعبدة الأصنام: إنى سقيم، ولم يكن سقيما، وحين قال لهم: بل فعله كبيرهم هذا، ولم يكن فعل، وحين قال للجبار عن امرأته: إنها أختى. قال الصحابة: كذب إبراهيم ولم يكذب نبينا، قال صلى الله عليه وسلم «لم يكذب إبراهيم النبى ﷺ عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات، كلها فى ذات الله، ودفاعا عن شرع الله، وحين نزل قوله تعالى على لسان لوط ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] قال الصحابة: إن نبينا يعتمد على الله و إن لوطا لم يعتمد على الله. قال صلى الله عليه وسلم «رحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد»، هو الله.

وحين نزل قوله تعالى على لسان يوسف لخادم الملك ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] أى عند مليكك، قال الصحابة: نبينا لا يسأل إلا ربه، ويوسف سأل الملك وأرسل وساطة إليه، قال لهم صلى الله عليه وسلم: لو لبثت فى السجن - بدون ذنب - طول المدة التى لبثها يوسف فى السجن لأجبت الداعى، حين جاءه فى السجن وقال: اخرج من السجن لتقابل الملك، لكن يوسف لم يسارع بالخروج، ولم يكن معتمدا على الملك، بل على الله وعلى البراءة.

وهكذا نجد رسول الله ﷺ محبا لإخوانه الأنبياء، مدافعا عنهم، منزها لأفعالهم عن الخطأ، مبرئا لهم مما قد يثار حول بعض تصرفاتهم، بل كان يرفعهم على نفسه، ويدعو لتوقيرهم فوق توقيره، مؤمنا بما أنزل عليهم، داعيا أمته إلى الإيمان بكل ما جاء عنهم، عملا بقوله تعالى ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فاللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد.

المباحث العربية

(**يا خير البرية**) «خير» أفعل تفضيل، استعمل المصدر فيها لكثرة الاستعمال، والبرية الخلق، والبارئ الخالق.

(**ذاك إبراهيم عليه السلام**) أى خير البرية إبراهيم عليه السلام.

قال الحافظ ابن حجر: وإبراهيم بالسريانية معناه أب راحم، وهو ابن آزر، واسمه تارح بالتاء، ابن ناحور ابن شاروخ بن راغوء بن فالخ بن عبير - ويقال: عابر - بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، فبينه وبين نوح عشرة آباء، قال الحافظ ابن حجر: لا يختلف جمهور أهل النسب ولا أهل الكتاب فى ذلك، إلا فى النطق ببعض هذه الأسماء.

(**اختتن إبراهيم النبى ﷺ عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة**) الختان معروف، وهو قطع غلفة الذكر، وفى مسند مسعود «اختتن إبراهيم بعد ما مرت به ثمانون» ووقع فى الموطأ موقوفا

على أبى هريرة وعند ابن حبان مرفوعا « أن إبراهيم اختتن وهو ابن مائة وعشرين سنة » قال الحافظ ابن حجر: والظاهر أنه سقط من المتن شيء، فإن هذا القدر هو مقدار عمره، ووقع مثل ذلك عند أبى الشيخ، وزاد « وعاش بعد ذلك ثمانين سنة » فعلى هذا يكون عاش مائتى سنة، وجمع بعضهم بأن الأول حسب من مبدأ نبوته، والثانى من مبدأ مولده. والله أعلم.

(**بالقدوم**) روى بتشديد الدال، وروى بتخفيفها، قال النووى: لم يختلف الرواة عند مسلم فى التخفيف، وأنكر يعقوب بن شيبة التشديد أصلا، واختلف فى المراد به، فقيل: هو اسم مكان، أى اختتن فى مكان يدعى القدوم، وقيل: هى قرية بالشام، وقيل: اسم آلة النجار، فعلى الثانى هو بالتخفيف لا غير، وعلى الأول ففيه اللغتان. هذا قول الأكثر، وعكسه الداودى، وقد أنكر ابن السكيت التشديد فى الآلة، والراجح أن المراد فى الحديث الآلة، فقد روى أبو يعلى « أمر إبراهيم بالختان، فاختتن بقدوم، فاشتد عليه، فأوحى إليه: أن عجلت قبل أن نأمرك بآلتك، فقال: يا رب. كرهت أن أؤخر أمرك ».

(**نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾**) اختلف السلف فى المراد بالشك هنا.

فحمله بعضهم على ظاهره - أى مساواة الوقوع واللاوقوع - ثم اختلفوا فقال بعضهم: كان قبل النبوة وقال بعضهم: كان ذلك بعد النبوة، وسببه حصول وسوسة الشيطان، لكنها لم تستقر، ولم تزلزل الإيمان الثابت، واستندوا فى ذلك إلى ما أخرجه الطبرى وعبد بن حميد وابن أبى حاتم والحاكم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: « هذا لما يعرض فى الصدور، ويوسوس به الشيطان، فرضى الله من إبراهيم عليه السلام بأن قال: بلى » وإلى ذلك جنح عطاء، حيث سأله ابن جريج عن هذه الآية، فقال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس، فقال ذلك.

وروى الطبرى عن قتادة قال: ذكر لنا أن إبراهيم أتى على دابة توزعتها الدواب والسباع.

وفى رواية عن ابن جريج قال: بلغنى أن إبراهيم أتى على جيفة حمار، مزقتها السباع والطير، فعجب وقال: رب لقد علمت لتجمعنها، ولكن رب أرنى كيف تحيى الموتى؟

وذهب آخرون إلى تأويل ذلك، واختلفوا:

فقال بعضهم: إن المراد من الشك المنفى الخواطر التى لا تثبت، وأما الشك المصطلح، وهو التوقف بين الأمرين من غير مزية لأحدهما على الآخر، فهو منفى عن الخليل قطعا، لأنه يبعد وقوعه ممن رسخ الإيمان فى قلبه، فكيف بمن بلغ رتبة النبوة؟

وقال بعضهم: إن الآية تدل على أن إبراهيم مؤمن يقينا بالبعث، لأن السؤال بكيف سؤال عن حال شيء موجود مقرر عند السائل والمسئول، كما تقول: كيف علم فلان؟ فكيف فى الآية سؤال عن هيئة الإحياء، لا عن نفس الإحياء، فإنه ثابت مقرر.

وقال بعضهم: إن السؤال عن كيفية إحياء الموتى ليس لشك فيه، ولكن إبراهيم طلب من ربه كعلامة على رضاه جل شأنه عليه، كما طلب زكريا آية على تحقق البشرى، فروى الطبرى وابن أبى

حاتم من طريق السدى قال: « لما اتخذ اللّٰه إبراهيم خليلا، استأذنه ملك الموت أن يبشره، فأذن له »... فذكر قصة معه فى كيفية قبض روح الكافر والمؤمن. قال: فقام إبراهيم يدعو ربه « رب أرنى كيف تحيى الموتى؟ حتى أعلم أنى خليلك » وروى ابن أبى حاتم عن أبى سعيد قال: « ليطمئن قلبى بالخلة » ومن طريق سعيد بن جبير، قال « ليطمئن قلبى أنى خليلك » ومن طريق الضحاك عن ابن عباس « لأعلم أنك أجبت دعائى » ومن طريق على بن أبى طلحة عنه « لأعلم أنك تجيبنى إذا دعوتك » وإلى هذا جنح القاضى أبو بكر الباقلانى.

وقال بعضهم: إنما طلب إبراهيم هذا المطلب حبا للرؤية، واشتياقا إليها، وإعجابا بها وتمتعا، وليس شكا فى وقوعها، فأراد أن يسر قلبه ويطمئن برؤية آثار القدرة التى لا يشك فيها.

وقال بعضهم: إنما طلب إبراهيم أن يريه ربه، ويرى قومه المكذبين للبعث، وذلك أن النمرود لما قال لإبراهيم: من ربك؟ فقال إبراهيم: ربى الذى يحيى ويميت. قال النمرود: أنا أحيى وأميت، فجاء بمحكوم عليه بالإعدام فأطلقه، وببرىء فقتله، فأراد إبراهيم أن يريه اللّٰه إحياء الموتى الحقيقى ليعلم الفرق بين القدرة الإلهية وعبث النمرود، فقد أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة، قال: « المراد ليطمئن قلبى أنهم يعلمون أنك تحيى الموتى » أى ليطمئن قلبى بإيمانهم بالبعث.

وقال بعضهم: إنما طلب لزيادة اليقين البالغ حد الجزم، كزيادة الإيمان بكثرة نزول الآيات، فاليقين العلمى الخالى من الشك يزداد بالمعاينة والمشاهدة. وهذا من أحسن التوجيهات وهناك توجيهات بعيدة. منها:

أن مراده أقدرنى على إحياء الموتى، فتأدب فى السؤال، قال ابن الحصار: إنما أراد أن يحيى اللّٰه الموتى على يديه، فلهذا قيل له فى الجواب ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وحكى ابن التين عن بعض من لا تحصيل عنده أنه أراد بقوله « قلبى » رجلا صالحا كان يصحبه سأله عن ذلك.

وأبعد مما سبق ما حكاه القرطبى عن بعض الصوفية أنه سأل ربه أن يريه كيف يحيى القلوب؟

وأبعد منه أنه طلب هذا المطلب لمجرد حب المراجعة فى السؤال.

وبناء على ما سبق من توجيهات اختلف العلماء فى معنى قوله « نحن أحق بالشك من إبراهيم »

فقيل: معناه: نحن أشد اشتياقا إلى رؤية ذلك من إبراهيم.

وقيل: معناه: إذا كنا لا نشك نحن، فإبراهيم لم يشك، فنحن أولى بالشك منه، أى لو كان الشك فى ذلك يتطرق إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به منهم. وقال ذلك تواضعا منه، أو قبل أن يعلمه اللّٰه بأنه أفضل من إبراهيم، فهو من قبيل ما قيل فى روايتنا الأولى، حيث قيل: أن سبب هذا الحديث أن الآية لما نزلت قال بعض الناس: شك إبراهيم ولم يشك نبينا فبلغه ذلك، فقال: نحن أحق بالشك من إبراهيم. أى إبراهيم لم يشك.

وقيل: أراد من « نحن » أمته الذين يجوز عليهم الشك، وأخرج نفسه من ضمير المتكلمين، بدليل العصمة.

وقيل: معناه: أن هذا الذى ترون أنه شك، أنا أولى به، لما عانيت من تكذيب قومى، وردهم على، وتعجبهم، من أمر البعث، فكأنه قال: أنا أحق من أن أسأل ما سأل إبراهيم، لعظيم ما جرى لى مع قومى المنكرين لإحياء الموتى، ولمعرفتى بتفضيل الله لى ولكن لا أسأل فى ذلك.

وحكى بعض علماء العربية أن « أفعل » ربما جاءت لنفى المعنى عن الشيئين، نحو قوله تعالى ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان: ٣٧]؟ أى لا خير فيهما، وعلى هذا فمعنى قوله « نحن أحق بالشك من إبراهيم » لا شك عندنا جميعا.

والاستفهام فى قوله ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ للتقرير، لأنه طلب الكيفية، وهو مشعر بالتصديق بالإحياء.

(**ويرحم الله لوطا، لقد كان يأوى إلى ركن شديد**) وفى ملحق الرواية « يغفر الله للوط، إنه أوى إلى ركن شديد » أى إلى الله تعالى، يشير صلى الله عليه وسلم إلى قوله تعالى ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] يدافع عن لوط عليه السلام، فقد قيل: لما نزلت الآية قال بعضهم: اعتمد لوط على العشيرة، ولم يكن له عشيرة، فتحسر، ولم يعتمد على الله تعالى، فأشار صلى الله عليه وسلم إلى أن المراد بالركن الشديد فى الآية الله تعالى، قال الحافظ ابن حجر: ويقال إن قوم لوط لم يكن فيهم أحد يجتمع معه فى نسبه، فقال: لو أن لى منعة وأقارب وعشيرة، لكنت استنصر بهم عليكم، ليدفعوا عن ضيفانى أى ولكنى آوى إلى الله. ولهذا جاء فى بعض طرق هذا الحديث عند أحمد عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « وقال لوط: لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد. قال: فإنه كان يأوى إلى ركن شديد، ولكنه عنى - بالقوة - عشيرته، فما بعث الله نبيا إلا فى ذروة من قومه » زاد ابن مردويه ألم تر إلى قول قوم شعيب ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود: ٩١] فالمراد من الركن الشديد الله، و « أو » هنا بمعنى « بل » التى للإضراب الإبطالى، وقيل: المراد بالركن الشديد فى الآية عشيرته، لكنه لم يأو إليهم وأوى إلى الله، وقال النووى: يجوز أنه لما اندهش بحال الأضياف قال ذلك - مريدًا عشيرته ونسى الالتجاء إلى الله تعالى - أو التجأ إلى الله فى باطنه، وأظهر هذا القول للأضياف اعتذارًا، وسمى العشيرة ركنا، لأن الركن يستند إليه، ويمتنع به، فشبههم بالركن من الجبل، لشدتهم ومنعتهم.

(**ولو لبثت فى السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعى**) فى رواية البخارى « ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف ثم أتانى الداعى لأجبته » يدافع صلى الله عليه وسلم عن يوسف عليه السلام، فى قوله لصاحب السجن ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فقد قيل: إنه تبرم بالقضاء، ولجأ إلى وساطة الخلق عند الخلق، فأشار إلى أنه عليه السلام كان مثالا للصبر والرضا بالقضاء، فقد سجن مظلوما، ورضى، وطال سجنه، ورضى، بل بعد أن طال سجنه وعز مقداره، وأتاه رسول الملك ليخرجه من السجن، لم يبادر بالخروج، بل قال له: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠]، ولم يخرج حتى ثبتت براءته، ولو كان غيره قد طال به السجن ظلما لأسرع إلى إجابة الداعى بالخروج، فوصفه صلى الله عليه وسلم بشدة الصبر، وقال عن نفسه ما قال تواضعًا.

(**لم يكذب إبراهيم النبى عليه السلام قط، إلا ثلاث كذبات**) قال أبو البقاء: الجيد أن يقال: كذبات بفتح الذال فى الجمع، لأنه جمع «كذبة» بسكون الذال، وهو اسم لا صفة، لأنك تقول: كذب كذبة، كما تقول: ركع ركعة.

وقد استشكل على هذا الحصر، ففى مسلم فى حديث الشفاعة الطويل، فى قصة إبراهيم ذكر قوله فى الكوكب: ﴿**هَذَا رَبِّي**﴾ وقوله لآلهتهم ﴿**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ**﴾ وقوله ﴿**إِنِّي سَقِيمٌ**﴾ [الصافات: ٨٩] قال القرطبى ذكر الكوكب يقتضى أنها أربع. قال الحافظ ابن حجر: الذى يظهر أنها وهم من بعض الرواة، فإنه ذكر قوله فى الكوكب، بدل قوله فى سارة، والذى اتفقت عليه الطرق ذكر سارة، دون الكوكب، وكأنه لم يعد، مع أنه أدخل - فى المقصود - من ذكر سارة، لما نقل من أنه قاله فى حال الطفولية، فلم يعده، لأن حال الطفولية ليست بحال تكليف. وهذه طريقة ابن إسحق، وقيل: إنما قال ذلك بعد البلوغ، لكنه قاله على طريق الاستفهام، الذى يقصد به التوبيخ، وقيل: قاله على طريق الاحتجاج على قومه، تنبيها على أن الذى يتغير لا يصلح للربوبية، وهذا قول الأكثر، وأنه قاله توبيخا لقومه، أو تهكما بهم، وهو المعتمد.اهـ. وهذا الذى ذهب إليه الحافظ يصلح بصفة أكثر فى قوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ فإنه يبعد عن التصديق عند المتكلم والسامع معا، ولذلك قال: ﴿**فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**﴾ وقالوا ردا عليه ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ**﴾ فعقب على ذلك بقوله ﴿**أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾؟ فالإشكال باق، والذى أوقع فيه هو الرواية، وخير التوجيهات أنه قاله على سبيل الاستفهام، ولا يدخله الكذب، فالكذب فى الأخبار.

على أن إطلاق الكذب على الأمور الثلاث ليس على سبيل الحقيقة المتفق عليها، إذا أدخلنا اعتقاد المتكلم والسامع فى تعريفه، فالتعريض والتورية، يقصد المتكلم فيها مطابقة الخبر للواقع، وإن كان حسب فهم المخاطب غير مطابق للواقع، فإبراهيم حين قال ﴿ **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا**﴾ ربما قصد أنه كان السبب، أى تسبب فى الفعل، وأثارنى كبيرهم هذا والإسناد إلى الشيء مع إرادة السبب كثير، وربما قصد توقف الكلام عند قوله ﴿ **بَلْ فَعَلَهُ**﴾ مريدا إبراهيم، ثم البدء بقوله ﴿ **كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ**﴾ أى اسألوه ومن حوله، وربما قصد توقف الجواب المستحيل على الشرط المستحيل، أى إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم لكنهم لا ينطقون. قال ابن قتيبة، وقوله ﴿ **إِنِّي سَقِيمٌ**﴾ ربما قصد مريض النفس، ضائق الصدر من أفعالكم وتصرفاتكم، وربما كان عنده مرض حقيقى يعلمه وحده وربه، وإن كان لا يمنع من الخروج، فقد حكى النووى عن بعضهم، أنه كان تأخذه الحمى فى ذلك الوقت، وربما أراد الاستقبال، أى سأسقم، واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيرا، وقوله «هذه أختى» قصد به أخوة الإسلام، كما جاء فى الرواية صريحا، ونتيجة ذلك أن الثلاث صور كذبات وليست فى الحقيقة كذبات.

(**ثنتين فى ذات الله، قوله: إنى سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة فى شأن سارة**) خص الثنتين بذلك، وإن كانت الثالثة أيضا فى ذات الله، لكنها لما تضمنت حظا لنفسه ونفعا له، لم تعتبر فى ذات الله محضا، بخلاف الثنتين، وقد وقع فى بعض الروايات «إن إبراهيم لم يكذب قط إلا ثلاث كذبات، كل ذلك فى ذات الله» وعند أحمد «والله إن جادل بهن إلا عن دين الله» وفى رواية «ما فيها كذبة إلا مما حل بها عن الإسلام» أى جادل ودافع.

(**فإنه قدم أرض جبار**) قال الحافظ ابن حجر: اسم الجبار المذكور عمر بن امرئ القيس بن سبأ، وأنه كان على مصر، وقيل: اسمه صادوق، وكان على الأردن، وقيل غير ذلك.

(**ومعه سارة وكانت أحسن الناس**) في رواية البخاري « من أحسن الناس » وفي رواية « هاجر إبراهيم بسارة ، فدخل بها قرية، فيها ملك أو جبار، فقيل: دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء ».

قال الحافظ ابن حجر: واختلف في والد سارة - مع القول بأن اسمه هاران - فقيل: هو ملك حران، وأن إبراهيم تزوجها لما هاجر من بلاد قومه إلى حران، وقيل: هي ابنة أخيه، وكان ذلك جائزا في تلك الشريعة، حكاه ابن قتيبة والنقاش، واستبعد ،وقيل: بل هي بنت عمه.

قال الحافظ ابن حجر: والجمهور على أنها ليست بنبية.

(**فقال لها: إن هذا الجبار، إن يعلم أنك امرأتي، يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام**) فإني لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، أتاه، فقال له: (لقد قدم أرضك امرأة، لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها، فأتي بها) في هذه الرواية طي، أوضحته رواية البخاري، ولفظها « بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ههنا رجلا، معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه، فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة، قال: يا سارة، ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني عنك، فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني، فأرسل إليها » فروايتنا ليس فيها تصريح بأنه كذب، وقال عن زوجته: أختي، والواقع أن الجبار طلب إبراهيم أولا، وسأله عنها فقال له إبراهيم: إنها أختي، ثم رجع إبراهيم إليها فأخبرها بذلك، لئلا تكذبه عنده، وقال الحافظ ابن حجر: ويمكن أن يجمع بينهما بأن إبراهيم أحس بأن الملك سيطلبها منه، فأوصاها بما أوصاها، فلما وقع ما حسبه أعاد عليها الوصية.

واختلف في السبب الذي حمل إبراهيم على هذه الوصية، مع أن ذلك الظالم يريد اغتصابها على نفسها، أختا كانت أو زوجة، فقيل: كان من دين ذلك الملك أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج، فكانت عنده شهوة قتل الزوج، واغتصاب الزوجة، فأراد إبراهيم دفع أعظم الضررين، بارتكاب أخفهما، وهذا التقرير قريب مما جاء عن وهب بن منبه عند ابن حميد في تفسيره، وقريب مما ذكره المنذري في حاشية السنن عن بعض أهل الكتاب، وهو مأخوذ من كلام ابن الجوزي في مشكل الصحيحين، أما من قال: إنه كان عند دين الملك أن الأخ أحق بأن تكون أخته زوجته من غيره، فلذلك قال: هي أختي، اعتمادا على ما يعتقده الجبار، فلا ينازعه فيها - فإنه متعقب بأنه لو كان ذلك لقال: هي أختي وأنا زوجها، ولا يقتصر على قوله: هي أختي، وأيضا فالجواب إنما يفيد لو كان من الجبار يريد أن يتزوجها، لا أن يغتصبها نفسها.

وقد أشكل على قوله « لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك » بلوط عليه السلام، فقد كان معه، كما قال تعالى ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٦] قال الحافظ ابن حجر: ويمكن أن يجاب بأن مراده بالأرض التي وقع له فيها ما وقع، ولم يكن معه لوط.

(**فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة**) وهكذا كان نبينا ﷺ إذا ضربه أمر قام إلى الصلاة.

(**فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة**) فى رواية « فقام إليها، فقامت توضأ وتصلى » وقبض يده يبسها وتجمدها، وفى رواية البخارى « فأخذ » وفى رواية « فغط حتى ركض برجله » يعنى اختنق، حتى صار كأنه مصروع، قال الحافظ ابن حجر: ويمكن الجمع بأنه عوقب تارة بقبض يده، وتارة بالصرع.

(**فقال لها: ادعى اللَّه أن يطلق يدى، ولا أضرك، ففعلت**) فى رواية البخارى « فدعت اللَّه فأطلق » وفى رواية « قالت فى نفسها - اللهم إن يمت يقولوا: هى التى قتلته، فقالت: اللَّهم إن كنت تعلم أنى آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط على هذا الكافر فأرسل ».

(**فعاد، فقبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضتين الأوليين، فقال: ادعى اللَّه أن يطلق يدى، فلك اللَّه أن لا أضرك، ففعلت وأطلقت يده**) لم يكتف اللعين بالعقاب الأول، فتمادى، فتكرر العقاب، فأيقن أن فى الأمر سرًا.

(**ودعا الذى جاء بها**) فى رواية البخارى « فدعا بعض حجبته ».

(**فقال له: إنك إنما أتيتنى بشيطان ولم تأتنى بإنسان**) فى رواية البخارى « إنك لم تأتنى بإنسان، إنما أتيتنى بشيطان » وفى رواية « إنكم ما أرسلتم إلى إلا شيطانًا، أرجعوها إلى إبراهيم » والمراد بالشيطان الجن المتمرد، وكانوا قبل الإسلام يعظمون أمر الجن جدًا، ويرون كل ما وقع من الخوارق من فعلهم وتصرفهم.

(**فأخرجها من أرضى، وأعطها هاجر**) فى بعض النسخ « وأعطها آجر » بالهمز بدل الهاء، وفى رواية البخارى « فأخدمها هاجر » أى وهبها لها لتخدمها، لأنه أعظمها أن تخدم نفسها. قال الحافظ ابن حجر: هاجر اسم سريانى، ويقال: إن أباها كان من ملوك القبط، وأنها من الحفن، بفتحا الحاء وسكون الفاء، قرية بمصر، قال اليعقوبى: كانت مدينة. اهـ. وهى الآن كفر من عمل ألصنا بالبر الشرقى من الصعيد، فى مقابلة الأشمونين وفيها آثار عظيمة باقية.

(**فأقبلت تمشى، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف**) من الصلاة، وفى رواية البخارى « فأتته ».

(**فقال لها: مهيم ؟**) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الياء، أى ما شأنك؟ وما خبرك؟ ووقع فى البخارى « مهياً » بالألف، وفى رواية « متهيا » وفى رواية « مهين » بنون بدل الميم.

(**قالت: خيرا. كف اللَّه يد الفاجر، وأخدم خادما**) فى رواية البخارى « رد اللَّه كيد الكافر - أو الفاجر - فى نحره » وفى رواية « أشعرت أن اللَّه كبت الكافر، وأخدم وليدة »؟ أى جارية للخدمة؟ وفاعل « أخدم » يحتمل أن يكون اللَّه، وأن يكون الكافر.

(**فتلك أمكم يا بنى ماء السماء**) قال النووى: قال كثيرون: المراد ببنى ماء السماء العرب كلهم، لخلوص نسبهم وصفائه، وقيل: لأن أكثرهم أصحاب مواش، وعيشهم من المرعى والخصب، وما ينبت بماء السماء، وقال القاضى: الأظهر عندى أن المراد بذلك الأنصار خاصة، ونسبتهم إلى جدهم عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأدد، وكان يعرف بماء السماء، وهو المشهور بذلك، والأنصار كلهم من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر المذكور، اهـ.

وقيل: أراد بماء السماء زمزم، لأن الله أنبعها لهاجر، فعاش ولدها بها، فصاروا كأنهم أولادها.

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب فوق ما تقدم

١- من الرواية الأولى فضيلة إبراهيم عليه السلام، قال النووى: قال العلماء: إنما قال صلى الله عليه وسلم عن إبراهيم إنه خير البرية، تواضعا، واحتراما لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، لخلته وأبوته، وإلا فنبينا ﷺ أفضل، كما قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم » ولم يقصد به الافتخار، ولا التطاول على من تقدمه، بل قاله بيانا لما أمر ببيانه وتبليغه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « ولا فخر» لينفى ما قد يتطرق إلى بعض الأفهام السخيفة، وقيل: يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قال: إبراهيم خير البرية قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فإن قيل: التأويل المذكور ضعيف، لأن هذا خبر، فلا يدخله خلف ولا نسخ؟ فالجواب أنه لا يمتنع أنه أراد أفضل البرية الموجودين فى عصره، وأطلق العبارة الموهمة للعموم. لأنه أبلغ فى التواضع، وقد جزم صاحب التحرير بمعنى هذا، فقال: المراد أفضل برية عصره، وأجاب القاضى عن التأويل الثانى بأنه وإن كان خبرا، فهو مما يدخله النسخ من الأخبار، لأن الفضائل يمنحها الله تعالى لمن يشاء، فأخبر بفضيلة إبراهيم، إلى أن علم تفضيل نفسه، فأخبر به.

٢- ويؤخذ منه جواز التفاضل بين الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، مصداقا لقوله تعالى ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ويجاب عن حديث النهى عن التفضيل بين الأنبياء بالأجوبة السابقة فى أول كتاب الفضائل.

٣- ومن الرواية الثانية مشروعية الختان، وقد سبق فى باب خصال الفطرة، فى كتاب الطهارة.

٤- ومن الرواية الثالثة وفاء الرسول ﷺ لإخوانه الأنبياء، ودفاعه عما أثير حول بعضهم.

٥- ومن طلب إبراهيم رؤية كيفية إحياء الموتى إدلاله على الله، وقربه منه.

٦- واستحباب الترقى فى الإيمان من علم اليقين إلى عين اليقين.

٧- وفضيلة يوسف عليه السلام، وصبره، ونزاهته.

٨- وتواضع رسول الله ﷺ، إذ يقول « لأجبت الداعى » والتواضع لا يحط مرتبة الكبير، بل يزيده رفعة وجلالا.

٩- ومن الرواية الخامسة تبرئة إبراهيم عليه السلام من حقيقة الكذب، وأن ما جرى منه مما يوهم ذلك كان من أجل دين اللّه.

قال ابن عقيل: الدلالة العقلية تصرف وتبعد إطلاق الكذب على إبراهيم عليه السلام، وذلك أن العقل يقطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقًا به، ليعلم صدق ما جاء به عن اللّه، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه؟ وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام إلا فى حال شدة الخوف، لعلو مقامه، وإلا فالكذب المحض فى مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمل أخف الضررين، دفعا لأعظمهما، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تذم، فإن الكذب وإن كان قبيحا مخلا، لكنه قد يحسن فى مواضع، وهذا منها.اهـ

وقال المازرى: أما الكذب فيما طريقه البلاغ عن اللّه تعالى، فالأنبياء معصومون منه، سواء كثيره أو قليله، وأما ما لا يتعلق بالبلاغ، ويعد من الصفات ،كالكذبة الواحدة فى حقير من أمور الدنيا، ففى إمكان وقوعه منهم، وعصمتهم منه، القولان المشهوران للسلف والخلف.

وقال القاضى عياض: الصحيح أن الكذب، فيما يتعلق بالبلاغ لا يتصور وقوعه منهم، سواء جوزنا الصغائر منهم أم لا، وسواء قل الكذب أم كثر، لأن منصب النبوة يرتفع عنه، وتجويزه يرفع الوثوق بأقوالهم.

وقال المازرى: وقد تأول بعضهم هذه الكلمات، وأخرجها عن كونها كذبا، قال: ولا معنى للامتناع من إطلاق لفظ أطلقه رسول اللّه ﷺ، ورد عليه النووى بقوله: أما إطلاق لفظ الكذب عليها فلا يمتنع، لورود الحديث به، وأما تأويلها فصحيح، لا مانع فيه.

وقال النووى أيضا: وحتى لو كان كذبا، لا تورية فيه ولا تأويل لكان جائزا فى دفع الظالمين، وقد اتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم، يطلب إنسانا مختفيا، ليقتله ظلما، أو يطلب وديعة لإنسان، ليأخذها غصبا، وسأل على ذلك، وجب على من علم ذلك إخفاؤه، وإنكار العلم به، وهذا كذب جائز، بل واجب، لكونه فى دفع الظالم، فنبه النبى ﷺ على أن هذه الكذبات ليست داخلة فى مطلق الكذب المذموم.

١٠- وفى توجيه إبراهيم عليه السلام أخوة سارة مشروعية أخوة الإسلام..

١١- وفى الحديث إباحة المعاريض.

١٢- والرخصة فى الانقياد للظالم والغاصب.

١٣- وقبول صلة الملك الظالم.

١٤- وقبول هدية المشرك.

١٥- وإجابة الدعاء، بإخلاص النية

١٦- وكفاية الرب لمن أخلص فى الدعاء بعمله الصالح، كما فى قصة أصحاب الغار.

١٧- وابتلاء الصالحين، لرفع درجاتهم.

١٨- ومن قبض الظالم عن سارة مرات كرامة لها، ومعجزة لإبراهيم عليه السلام.

١٩- وفيه أن من نابه أمر مهم من الكرب ينبغي له أن يفزع إلى الصلاة.

٢٠- قال الحافظ ابن حجر: وفيه أن الوضوء كان مشروعا للأمم قبلنا، وليس مختصا بهذه الأمة، ولا بالأنبياء، لثبوت ذلك من سارة.

والله أعلم

(٦٣١) باب من فضائل موسى عليه السلام، ويونس، ويوسف، وزكريا، والخضر، عليهم السلام

٥٣٥٠- ١٥٥/١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(١٥٥)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً. يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ. وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ. فَقَالُوا: وَاللَّهِ! مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلا أَنَّهُ آدَرُ. قَالَ: فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ. فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ. فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ. قَالَ: فَجَمَحَ مُوسَى بِأَثَرِهِ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ. ثَوْبِي حَجَرُ. حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى» فَقَالُوا: وَاللَّهِ! مَا بِمُوسَى مِن بَأْسٍ. فَقَامَ الْحَجَرُ بَعْدُ. حَتَّى نُظِرَ إِلَيْهِ. قَالَ: فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللَّهِ! إِنَّهُ بِالْحَجَرِ نَدَبٌ. سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ. ضَرْبُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام بِالْحَجَرِ.

٥٣٥١- ١٥٦/٢ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(١٥٦) قَالَ: كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام رَجُلا حَيِيًّا. قَالَ: فَكَانَ لا يُرَى مُتَجَرِّدًا. قَالَ: فَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ. إِنَّهُ آدَرُ. قَالَ: فَاغْتَسَلَ عِنْدَ مُوَيْهٍ. فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ. فَانْطَلَقَ الْحَجَرُ يَسْعَى. وَاتَّبَعَهُ بِعَصَاهُ يَضْرِبُهُ: ثَوْبِي حَجَرُ! ثَوْبِي حَجَرُ! حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَلا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَنَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾.

٥٣٥٢- ١٥٧/٣ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(١٥٧) قَالَ: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام. فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ. فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لا يُرِيدُ الْمَوْتَ. قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ. قَالَ: أَيْ رَبِّ! ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ. قَالَ: فَالآنَ. فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ، ثَمَّ لارَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، تَحْتَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ».

---

(١٥٥) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَن هَمَّام بْن مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ

(١٥٦) و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ أَنْبَأَنَا عَن أَبُو هُرَيْرَةَ

(١٥٧) و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدٌ أَخْبَرَنَا و قَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَن ابْنِ طَاوُسٍ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

٥٣٥٣- ١٥٨/٤ عَن أَبِي هُرَيْـرَةَ ﵁(١٥٨)، عَـن رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ. فَذَكَـرَ أَحَـادِيثَ مِنْهَـا: وَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «جَـاءَ مَلَـكُ الْمَـوْتِ إِلَـى مُوسَـى عَلَيْـهِ السَّـلام. فَقَـالَ لَـهُ: أَجِـبْ رَبَّـكَ. قَـالَ: فَلَطَمَ مُوسَـى عَلَيْـهِ السَّـلام عَيْـنَ مَلَـكِ الْمَـوْتِ فَفَقَأَهَـا. قَـالَ: فَرَجَـعَ الْمَلَـكُ إِلَـى اللَّـهِ تَعَـالَى. فَقَـالَ: إِنَّـكَ أَرْسَـلْتَنِي إِلَـى عَبْـدٍ لَـكَ لا يُرِيـدُ الْمَـوْتَ وَقَـدْ فَقَأَ عَيْنِي. قَـالَ: فَـرَدَّ اللَّـهُ إِلَيْـهِ عَيْنَـهُ. وَقَـالَ: ارْجِـعْ إِلَـى عَبْـدِي فَقُـلِ: الْحَيَـاةَ تُرِيـدُ؟ فَإِنْ كُنْـتَ تُرِيـدُ الْحَيَـاةَ فَضَـعْ يَـدَكَ عَلَـى مَتْـنِ ثَـوْرٍ، فَمَـا تَـوَارَتْ يَـدُكَ مِـن شَـعْرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيـشُ بِهَـا سَـنَةً. قَـالَ: ثُـمَّ مَـهْ؟ قَـالَ: ثُـمَّ تَمُـوتُ. قَـالَ: فَـالآنَ مِـن قَرِيـبٍ. رَبِّ! أَمِتْنِـي مِـنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَـةِ رَمْيَـةً بِحَجَـرٍ. قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ وَاللَّـهِ! لَـوْ أَنِّـي عِنْـدَهُ لأَرَيْتُكُمْ قَـبْرَهُ إِلَـى جَـانِبِ الطَّرِيـقِ عِنْـدَ الْكَثِيـبِ الأَحْمَـرِ».

٥٣٥٤- ١٥٩/٥ عَـن أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﵁(١٥٩) قَـالَ: بَيْنَمَـا يَهُـودِيٌّ يَعْـرِضُ سِـلْعَةً لَـهُ أُعْطِـيَ بِهَـا شَـيْئًا كَرِهَـهُ أَوْ لَـمْ يَرْضَـهُ. شَـكَّ عَبْـدُ الْعَزِيـزِ. قَـالَ: لا وَالَّـذِي اصْطَفَـى مُوسَـى عَلَيْـهِ السَّـلام عَلَـى الْبَشَـرِ. قَـالَ: فَسَـمِعَهُ رَجُـلٌ مِـنَ الأَنْصَـارِ فَلَطَـمَ وَجْهَـهُ. قَـالَ: تَقُـولُ وَالَّـذِي اصْطَفَـى مُوسَـى عَلَيْـهِ السَّـلام عَلَـى الْبَشَـرِ وَرَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ بَيْـنَ أَظْهُرِنَـا. قَـالَ: فَذَهَـبَ الْيَهُـودِيُّ إِلَـى رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ. فَقَـالَ: يَـا أَبَـا الْقَاسِـمِ! إِنَّ لِـي ذِمَّـةً وَعَهْـدًا، وَقَـالَ: فُـلانٌ لَطَـمَ وَجْهِـي. فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «لِـمَ لَطَمْـتَ وَجْهَـهُ؟ قَـالَ: قَـالَ يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ، وَالَّـذِي اصْطَفَـى مُوسَـى عَلَيْـهِ السَّـلام عَلَـى الْبَشَـرِ، وَأَنْـتَ بَيْـنَ أَظْهُرِنَـا. قَـالَ: فَغَضِـبَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ حَتَّـى عُـرِفَ الْغَضَـبُ فِـي وَجْهِـهِ. ثُـمَّ قَـالَ: لا تُفَضِّلُـوا بَيْـنَ أَنْبِيَـاءِ اللَّـهِ، فَإِنَّـهُ يُنْفَـخُ فِـي الصُّـورِ فَيَصْعَـقُ مَـنْ فِـي السَّـمَاوَاتِ وَمَـنْ فِـي الأَرْضِ، إِلا مَـنْ شَـاءَ اللَّـهُ. قَـالَ: ثُـمَّ يُنْفَـخُ فِيـهِ أُخْـرَى، فَـأَكُونُ أَوَّلَ مَـنْ بُعِـثَ، أَوْ فِـي أَوَّلِ مَـنْ بُعِـثَ، فَـإِذَا مُوسَـى عَلَيْـهِ السَّـلام آخِـذٌ بِـالْعَرْشِ. فَـلا أَدْرِي أَحُوسِـبَ بِصَعْقَتِـهِ يَـوْمَ الطُّـورِ، أَوْ بُعِـثَ قَبْلِـي. وَلا أَقُـولُ إِنَّ أَحَـدًا أَفْضَـلُ مِـن يُونُـسَ ابْـنِ مَتَّـى عَلَيْـهِ السَّـلام».

٥٣٥٥- ١٦٠/٦ عَـن أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﵁(١٦٠) قَـالَ: اسْـتَبَّ رَجُـلانِ، رَجُـلٌ مِـنَ الْيَهُـودِ،

---

(١٥٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَن هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ
– قَالَ أَبُو إِسْحَقَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ.

(١٥٩) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْـنِ أَبِـي سَـلَمَةَ عَـن عَبْـدِ اللَّـهِ بْـنِ الْفَضْـلِ الْهَاشِمِيِّ عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَعْرَجِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ
– و حَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ بِهَذَا الإِسْنَادِ سَوَاءً.

(١٦٠) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ قَالا حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَعْرَجِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

وَرَجُــلٌ مِــنَ الْمُسْـلِمِينَ. فَقَــالَ الْمُسْـلِمُ: وَالَّــذِي اصْطَفَــى مُحَمَّــدًا ﷺ عَلَــى الْعَــالَمِينَ. وَقَــالَ الْيَهُــودِيُّ: وَالَّــذِي اصْطَفَــى مُوسَــى عَلَيْــهِ السَّــلام عَلَــى الْعَــالَمِينَ. قَــالَ: فَرَفَــعَ الْمُسْـلِمُ يَـدَهُ عِنْـدَ ذَلِـكَ فَلَطَـمَ وَجْـهَ الْيَهُــودِيِّ. فَذَهَــبَ الْيَهُــودِيُّ إِلَــى رَسُــولِ اللَّــهِ ﷺ. فَـأَخْبَرَهُ بِمَـا كَـانَ مِـن أَمْـرِهِ وَأَمْـرِ الْمُسْـلِمِ. فَقَــالَ رَسُــولُ اللَّــهِ ﷺ: «لا تُخَــيِّرُونِي عَلَــى مُوسَــى. فَــإِنَّ النَّــاسَ يَصْعَقُــونَ. فَــأَكُونُ أَوَّلَ مَــنْ يُفِيــقُ، فَــإِذَا مُوسَــى بَــاطِشٌ بِجَــانِبِ الْعَـرْشِ، فَـلا أَدْرِي أَكَــانَ فِيمَــنْ صَعِـقَ فَأَفَــاقَ قَبْلِــي، أَمْ كَــانَ مِمَّــنِ اسْـتَثْنَى اللَّــهُ».

٥٣٥٦- ١٦١/٠٠ عَـن أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ(١٦١) قَـالَ: اسْـتَبَّ رَجُـلٌ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ وَرَجُـلٌ مِـنَ الْيَهُـودِ. بِمِثْلِ حَدِيثِ إِبْرَاهِيـمَ بْـنِ سَعْدٍ، عَـنِ ابْـنِ شِـهَابٍ.

٥٣٥٧- ١٦٢/٠٠ عَـن أَبِي سَعِيدٍ الْخُــدْرِيِّ ﷺ(١٦٢) قَــالَ: جَـاءَ يَهُـودِيٌّ إِلَـى النَّبِـيِّ ﷺ قَــدْ لُطِـمَ وَجْهُـهُ. وَسَـاقَ الْحَدِيثَ، بِمَعْنَى حَدِيـثِ الزُّهْـرِيِّ، غَـيْرَ أَنَّـهُ قَــالَ: «فَـلا أَدْرِي أَكَــانَ مِمَّــنْ صَعِــقَ فَأَفَـاقَ قَبْلِي أَوِ اكْتَفَى بِصَعْقَةِ الطُّـورِ».

٥٣٥٨- ١٦٣/٠٠ عَـن أَبِي سَعِيدٍ الْخُـدْرِيِّ ﷺ(١٦٣) قَـالَ: قَــالَ رَسُــولُ اللَّــهِ ﷺ: «لا تُخَــيِّرُوا بَيْــنَ الأَنْبِيَاءِ» وَفِي حَدِيـثِ ابْـنِ نُمَيْرٍ عَمْـرُو بْـنِ يَحْيَى، حَدَّثَنِي أَبِي.

٥٣٥٩- ١٦٤/٠٠ عَـن أَنَـسِ بْـنِ مَـالِكٍ ﷺ(١٦٤)، أَنَّ رَسُــولَ اللَّــهِ ﷺ قَــالَ: «أَتَيْــتُ» وَفِــي رِوَايَــةِ هَدَّابٍ «مَرَرْتُ عَلَى مُوسَـى لَيْلَـةَ أُسْـرِيَ بِـي، عِنْـدَ الْكَثِيـبِ الأَحْمَـرِ، وَهُـوَ قَـائِمٌ يُصَلِّـي فِـي قَـبْرِهِ».

٥٣٦٠- ١٦٥/٠٠ عَـن أَنَـسٍ ﷺ(١٦٥) قَـالَ: قَــالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «مَـرَرْتُ عَلَـى مُوسَـى وَهُــوَ يُصَلِّي فِي قَـبْرِهِ» وَزَادَ فِـي حَدِيـثِ عِيسَـى «مَـرَرْتُ لَيْلَـةَ أُسْـرِيَ بِـي».

(١٦١) وحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَقَ قَالا أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْـرِيِّ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٦٢) وحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَن عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَن أَبِيهِ عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ

(١٦٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَن سُفْيَانَ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَن عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَن أَبِيهِ عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ

(١٦٤) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ وَشَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ قَالا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَن ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ وَسُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

(١٦٥) و حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ أَخْبَرَنَا عِيسَى يَعْنِي ابْنَ يُونُسَ ح و حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ كِلاهُمَا عَـن سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ عَن أَنَسٍ ح و حَدَّثَنَاه أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَن سُفْيَانَ عَن سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُول

فضل يونس عليه السلام

٥٣٦١- ١٦٦/٧ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٦٦]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَعْنِي اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ لِي (و قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى لِعَبْدِي) أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِن يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلام» قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَن شُعْبَةَ.

٥٣٦٢- ١٦٧/٨ عَن أَبِي الْعَالِيَةِ[١٦٧] قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ (يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِن يُونُسَ بْنِ مَتَّى» وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ.

٥٣٦٣- ١٦٨/٩ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٦٨] قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ» قَالُوا: لَيْسَ عَن هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: «فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَن هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: «فَعَن مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوا».

٥٣٦٤- ١٦٩/١٠ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٦٩] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا».

٥٣٦٥- ١٧٠/١١ عَن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ[١٧٠] قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلام. صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ، عَلَيْهِ السَّلام. فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ. سَمِعْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ. قَالَ: فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِن عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ! كَيْفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ. فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ. فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ، وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ. فَحَمَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام

---

(١٦٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالُوا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ سَمِعْتُ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُحَدِّثُ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٦٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لابْنِ الْمُثَنَّى قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن قَتَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ عن أَبَا الْعَالِيَةِ يَقُولُ

(١٦٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَن عُبَيْدِ اللَّهِ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٦٩) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَن ثَابِتٍ عَن أَبِي رَافِعٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٧٠) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ كُلُّهُمْ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ وَاللَّفْظُ لابْنِ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ

حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ. فَرَقَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام وَفَتَاهُ. فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ، حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكْتَلِ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ. قَالَ: وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ. فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا. فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام قَالَ لِفَتَاهُ: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ قَالَ: وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قَالَ مُوسَى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ قَالَ: يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ. فَرَأَى رَجُلا مُسَجًّى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى. فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلامُ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى. قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لا أَعْلَمُهُ. وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لا تَعْلَمُهُ. قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ قَالَ لَهُ الْخَضِرُ ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ قَالَ: نَعَمْ. فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ. فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمَاهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا. فَعَرَفُوا الْخَضِرَ، فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ. فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِن أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ. فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا﴾ ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ. فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ. فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ، فَقَتَلَهُ. فَقَالَ مُوسَى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الأُولَى ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ يَقُولُ: مَائِلٌ. قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا. فَأَقَامَهُ. قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِن أَخْبَارِهِمَا» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَتِ الأُولَى مِن مُوسَى نِسْيَانًا» قَالَ: «وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ» ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِن عِلْمِ اللَّهِ إِلا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا

الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ» قَالَ: سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: وَكَانَ يَقْرَأُ: وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا. وَكَانَ يَقْرَأُ: وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ كَافِرًا.

٥٣٦٦- ١٧١/١٢ عَن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ(١٧١) قَالَ: قِيلَ لابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى الَّذِي ذَهَبَ يَلْتَمِسُ الْعِلْمَ، لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ: أَسَمِعْتَهُ يَا سَعِيدُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ؟ قَالَ: كَذَبَ نَوْفٌ.

٥٣٦٧- ١٧٢/١٣ عَن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ(١٧٢) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ بَيْنَمَا مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلام، فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ. وَأَيَّامُ اللَّهِ نَعْمَاؤُهُ وَبَلاؤُهُ. إِذْ قَالَ: مَا أَعْلَمُ فِي الأَرْضِ رَجُلا خَيْرًا وَأَعْلَمَ مِنِّي. قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ. إِنِّي أَعْلَمُ بِالْخَيْرِ مِنْهُ. أَوْ عِنْدَ مَنْ هُوَ. إِنَّ فِي الأَرْضِ رَجُلا هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يَا رَبِّ! فَدُلَّنِي عَلَيْهِ. قَالَ فَقِيلَ لَهُ. تَزَوَّدْ حُوتًا مَالِحًا. فَإِنَّهُ حَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ. قَالَ: فَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ. فَعُمِّيَ عَلَيْهِ فَانطَلَقَ وَتَرَكَ فَتَاهُ. فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمَاءِ فَجَعَلَ لا يَلْتَئِمُ عَلَيْهِ. صَارَ مِثْلَ الْكُوَّةِ. قَالَ: فَقَالَ فَتَاهُ: أَلا أَلْحَقُ نَبِيَّ اللَّهِ فَأُخْبِرَهُ؟ قَالَ: فَنُسِّيَ. فَلَمَّا تَجَاوَزَا ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ قَالَ وَلَمْ يُصِبْهُمْ نَصَبٌ حَتَّى تَجَاوَزَا. قَالَ فَتَذَكَّرَ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ فَأَرَاهُ مَكَانَ الْحُوتِ. قَالَ: هَا هُنَا وُصِفَ لِي. قَالَ: فَذَهَبَ يَلْتَمِسُ فَإِذَا هُوَ بِالْخَضِرِ. مُسَجًّى ثَوْبًا، مُسْتَلْقِيًا عَلَى الْقَفَا. أَوْ قَالَ عَلَى حَلاوَةِ الْقَفَا. قَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ. فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَن وَجْهِهِ قَالَ: وَعَلَيْكُمُ السَّلامُ. مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى. قَالَ: وَمَنْ مُوسَى؟ قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ: مَجِيءٌ مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لِـ ﴿تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ شَيْءٌ أُمِرْتُ بِهِ أَنْ أَفْعَلَهُ إِذَا رَأَيْتَهُ لَمْ تَصْبِرْ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ قَالَ: انْتَحَى عَلَيْهَا. قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا

---

(١٧١) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْقَيْسِيُّ حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيُّ عَن أَبِيهِ عَن رَقَبَةَ عَن أَبِي إِسْحَقَ عَن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ

(١٧٢) حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ

قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا﴾ غِلْمَانًا يَلْعَبُونَ قَالَ: فَانْطَلَقَ إِلَى أَحَدِهِمْ بَادِيَ الرَّأْيِ. فَقَتَلَهُ. فَذُعِرَ عِنْدَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام ذَعْرَةً مُنْكَرَةً ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ هَذَا الْمَكَانِ: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا، وَعَلَى مُوسَى، لَوْلا أَنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى الْعَجَبَ وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِن صَاحِبِهِ ذَمَامَةٌ» ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا﴾ وَلَوْ صَبَرَ لَرَأَى الْعَجَبَ. قَالَ: وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا مِنَ الأَنْبِيَاءِ بَدَأَ بِنَفْسِهِ «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَخِي كَذَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا» ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ لِئَامًا فَطَافَا فِي الْمَجَالِسِ فَ ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ وَأَخَذَ بِثَوْبِهِ. قَالَ: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ. فَإِذَا جَاءَ الَّذِي يُسَخِّرُهَا، وَجَدَهَا مُنْخَرِقَةً، فَتَجَاوَزَهَا، فَأَصْلَحُوهَا بِخَشَبَةٍ ﴿وَأَمَّا الْغُلامُ﴾ فَطُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ قَدْ عَطَفَا عَلَيْهِ. فَلَوْ أَنَّهُ أَدْرَكَ أَرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

٥٣٦٨- $\frac{١٧٣}{١٤}$ عَن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ(١٧٣) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ ﴿لَتَّخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

٥٣٦٩- $\frac{١٧٤}{١٥}$ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما(١٧٤)، أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسِ ابْنِ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ، فِي صَاحِبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْخَضِرُ. فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ الأَنْصَارِيُّ. فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الطُّفَيْلِ، هَلُمَّ إِلَيْنَا. فَإِنِّي قَدْ تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى، الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، فَهَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ فَقَالَ أُبَيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلإٍ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ. إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لا. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى بَلْ عَبْدُنَا الْخَضِرُ. قَالَ: فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ. فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا

– وحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ح و حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى كِلاهُمَا عَن إِسْرَائِيلَ عَن أَبِي إِسْحَقَ بِإِسْنَادِ التَّيْمِيِّ عَن أَبِي إِسْحَقَ نَحْوَ حَدِيثِهِ.

(١٧٣) و حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَن عَمْرٍو عَن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ

(١٧٤) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ

افْتَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ. فَسَارَ مُوسَى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسِيرَ. ثُمَّ قَالَ لِفَتَاهُ ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ فَقَالَ فَتَى مُوسَى حِينَ سَأَلَهُ الْغَدَاءَ ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ فَقَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ فَوَجَدَا خَضِرًا. فَكَانَ مِن شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ» إِلا أَنَّ يُونُسَ قَالَ: فَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ.

٥٣٧٠- ١٧٥/١٦ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[١٧٥]، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ حَدَّثَهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا، وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ. فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا».

المعنى العام

يقول اللّه تعالى ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] فالرسل عليهم السلام صفوة بنى آدم، لأنهم الوسطاء بين اللّه وبين خلقه، يبلغون عن اللّه ما يشاؤه جل شأنه، ومن شأن الوسيط أن يكون على صورة محبوبه، حتى يتقبله الطرف المأمور، صورة عالية كريمة شريفة خلقيا وخلقيا، وهكذا كانت الرسل فى مناقبهم، ولكل رسول ميزة خاصة، لا يلزمها أن يكون أعلى من زملائه من الرسل، فالخصوصية لا تقتضى الأفضلية، كما يقولون، لكن بعضهم امتاز بخصوصيات تفوق خصوصيات سواه، ومع ذلك فلا يلزم أن يكون أعلى رتبة عند ربه، ومن هنا حرص صلى اللّه عليه وسلم أن يوصى بعدم المفاضلة بين الرسل، فقال: لا تفاضلوا بين الأنبياء، بل نهى أن تفضله أمته على أحد من الرسل، فقال: لا تفضلونى على الأنبياء، وذلك على الرغم مما أوحى إليه من أنه سيد ولد آدم، وعلى الرغم من أنه صلى اللّه عليه وسلم أعلن هذه السيادة لأصحابه، إذ فرق بين أن يكون الإنسان سيداً فى نفسه، وبين أن يسيد نفسه، أو حبيبه فى كل مجلس، فرق بين ثبوت صفات الفضل فى ذاتها، وبين أن يتباهى بها أهلوها، فحين قال اليهودى: والذى فضل موسى على العالمين لطمه المسلم، وقال: وعلى محمد؟ وحين شكا اليهودى اللطمة إلى رسول اللّه ﷺ لام المسلم، وذكر أفضلية لموسى عليه السلام، وأنه أول من يفيق من الصعقة يوم القيامة، وقال: لا تفضلونى على موسى، حتى الرسول الذى لا نعرف له كثير ميزات كان صلى اللّه عليه وسلم ينهانا أن نفضله عليه، فهو يقول: لا ينبغى لمسلم أن يقول: إن محمدا خير من يونس بن متى، وكان كثيرا ما يدفعه هذا التواضع إلى الثناء علىغيره من الرسل، فحين سئل: من أكرم الناس؟ قال يوسف بن نبى اللّه يعقوب، ابن نبى اللّه إسحق، ابن نبى اللّه وخليله إبراهيم عليه السلام.

---

(١٧٥) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا و قَالَ الآخَرَانِ حَدَّثَنَا حَبَّانُ ابْنُ هِلالٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ

ومن هنا عنى علماء الإسلام بإبراز فضائل الرسل، عناية لا تقل عن عنايتهم بإبراز فضائل رسولهم، فأفاضوا فى عرض خصائص موسى عليه السلام، وهم فى ذلك سائرون على نهج القرآن الكريم، الذى أفاض فى أحداث قصص موسى عليه السلام إفاضة لا تماثلها إفاضة لأحد من الرسل.

وفى هذا الباب ذكر الإمام مسلم لموسى عليه السلام قصة الحجر الذى جرى بثيابه، لبراءة موسى مما اتهمه به قومه، وقصة ملك الموت، وما جرى له مع موسى، وقصة اليهودى الذى حلف برب موسى، وقصة رؤية محمد ﷺ فى إسرائه موسى عليه السلام يصلى، وقصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وفى شرحهما ما يغنى عن تكراره هنا.

وزاد الإمام البخارى على ذلك قصة ندائه من جانب الطور، وقصة أمه، وقد أصبح فؤادها فارغا، وقصة شد عضده بأخيه هارون، وقصة وعد موسى ثلاثين ليلة، وقصة أمره قومه أن يذبحوا بقرة، وقصة احتجاج آدم وموسى بخصوص القدر والخطيئة.

فصلى اللّٰه وسلم وبارك على جميع رسله، لا نفرق بين أحد منهم، ونحن للّٰه مسلمون.

المباحث العربية

(**كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة**) أى جماعتهم وأكثرهم، أو بعضهم، كقوله تعالى ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحجرات: ١٤] والمراد يغتسلون جماعات فى مكان واحد، فسر ذلك بقوله:

(**ينظر بعضهم إلى سوءة بعض**) الظاهر أن ذلك كان غير محرم عندهم.

(**وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده**) لئلا يرى سوءته أحد استحياء وأدباً، ففى الرواية الثانية « كان موسى عليه السلام رجلا حييا، قال: فكان لا يرى متجردا ».

(**فقالوا: واللّٰه ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر**) أى قال بعض بنى إسرائيل المحيطون به، القريبون من حياته، فى الرواية الثانية « قال: فقال بنو إسرائيل: إنه آدر» أى بعض بنى إسرائيل، والآدر بهمزة ممدودة ثم دال مفتوحة، وهو عظيم الخصيتين، والأدرة بضم الهمزة وسكون الدال على المشهور، وبفتحتين أيضا فيما حكى، ورجح الأول وهو نفخة فى الخصية، وعند البخارى « إن موسى كان رجلا حييا ستيرا، لايرى من جلده شيء، استحياء منه، فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر، إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة، وإما آفة ».

(**فذهب مرة يغتسل**) حال مقدرة، أى يريد الاغتسال، فى الرواية الثانية « فاغتسل عند مويه » فيه مجاز المشارفة، أى فأراد الاغتسال وأشرف عليه، و « مويه » بضم الميم، وفتح الواو، وإسكان الياء وهو تصغير ماء، وأصله « موه » والتصغير يرد الأشياء إلى أصولها. قال القاضى: وقع فى معظم الروايات « مشربة » بفتح الميم وإسكان الشين، وهى حفرة فى أصل النخلة، يجمع الماء فيها لسقيها، قال القاضى: وأظن الأول تصحيفا.

(**فوضع ثوبه على حجر**) وفى رواية للبخارى « فخلا يوم وحده، فوضع ثيابه على الحجر»

وظاهره أنه خلع كل ثيابه قبل دخوله فى الماء، وأنه دخل فى الماء عريانا، وعليه بوب البخارى فى الغسل « من اغتسل عريانا » لكن عند أحمد « أن موسى كان إذا أراد أن يدخل الماء لم يلق ثوبه، حتى يوارى عورته فى الماء » فالمراد من وضع ثوبه على الحجر وضع بعض ثيابه، ويساعد هذا المعنى رواية تنكير الثياب عند الكشميهنى « فوضع ثيابا له » ونقل ابن الجوزى عن الحسن بن أبى بكر النيسابورى أن موسى نزل إلى الماء مؤتزراً، فلما خرج تتبع الحجر، والمئزر مبتل بالماء، فعلموا عند رؤيته أنه غير آدر، لأن الأدرة تظهر تحت الثوب المبلول بالماء. قال الحافظ ابن حجر: هذا القول محتمل، لكن المنقول خلافه.

(**ففر الحجر بثوبه**) فى الرواية الثانية « فانطلق الحجر يسعى » وبينت رواية البخارى أن انطلاق الحجر كان بعد أن اغتسل موسى، ولفظها « فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه » وفيها « وإن اللّٰه أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ».

(**فجمح موسى بأثره، يقول: ثوبى حجر. ثوبى حجر**) « جمح » بالحاء، أى ذهب مسرعًا إسراعًا بليغًا وروى « فخرج » ومعنى « ثوبى حجر» دع ثوبى يا حجر، أو أعطنى ثوبى يا حجر وعند البخارى « ثوبى ياحجر» ومخاطبة الحجر أمر عادى يحصل عند الدهشة، كأنه كلام نفسى، أو أنه أجراه مجرى من يعقل، لكونه فر بثوبه، فانتقل عنده من حكم الجماد إلى حكم من يعقل، فناداه، فلما لم يعطه ضربه، وقريب من هذا قول بعضهم: يحتمل أنه كان يعتقد أن فى الحجر تمييزًا، يدرك به النداء، بقدرة اللّٰه، وعند البخارى « فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبى حجر. ثوبى حجر»

(**حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوءة موسى، فقالوا: واللّٰه ما بموسى من بأس، فقام الحجر بعد، حتى نظر إليه، قال: فأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضربا**) « ضربا » منصوب على المصدر، أى يضربه ضربا وفى رواية للبخارى « حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل، فرأوه عريانا، أحسن ما خلق اللّٰه، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه » وظاهره أنهم رأوا جسده، وترتيب الأحداث على هذا واضح، فضرب موسى للحجر كان بعد أن وقف الحجر، وأخذ موسى ثيابه ولبسها، فروايتنا الثانية، فى قولها « واتبعه موسى بعصاه، يضربه، ثوبى حجر. ثوبى حجر. حتى وقف على ملأ من بنى إسرائيل » فيها تقديم وتأخير، إذ لو تمكن موسى من ضرب الحجر لتمكن من أخذ ثيابه، قبل الوقوف على بنى إسرائيل.

قال ابن الجوزى: والذى يظهر أنه استمر يتتبع الحجر على ما فى الخبر، حتى وقف على مجلس لبنى إسرائيل، كان فيهم من قال فيه من قال، وبهذا تظهر الفائدة، وإلا فلو كان الوقوف على قوم منهم فى الجملة لم يقع ذلك الموقع. اهـ.

وعند ابن مردويه وابن خزيمة « فقالت بنو إسرائيل: قاتل اللّٰه الأفاكين، وكانت براءته ».

(**قال أبو هريرة: واللّٰه إنه بالحجر ندب، ستة أو سبعة، ضرب موسى عليه**

. **السلام بالحجر**) الندب بفتح النون والدال أصله الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد، والمراد أن عصا موسى أثرت فى الحجر، تأثيرا ظاهرا، ست علامات أو سبعا، وليس هذا بغريب على عصا موسى عليه السلام.

(**ونزلت: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩]**) وفى رواية للبخارى « فذلك قوله تعالى... » وظاهر هذه الرواية أن ذكر الآية مع القصة من كلام أبى هريرة واجتهاده، لكن فى رواية له عند ابن مردويه، قال: « قرأ رسول الله ﷺ: **﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا... ﴾** الآية قال: إن بنى إسرائيل كانوا يقولون: إن موسى آدر. فذكر نحو الحديث السابق. مما يفيد أن سبب النزول مرفوع، لكن روى أحمد بن منيع فى مسنده بإسناد حسن والطحاوى وابن مردويه أن الآية المذكورة نزلت فى طعن بنى إسرائيل على موسى بسبب هارون، لأنه توجه معه إلى زيارة، فمات هارون، فدفنه موسى، فطعن فيه بعض بنى إسرائيل، وقالوا: أنت قتلته، فبرأه الله تعالى بأن رفع لهم جسد هارون، وهو ميت فخاطبهم بأنه مات » قال الحافظ ابن حجر: وفى الإسناد ضعف، ولو ثبت لم يكن فيه ما يمنع أن يكون فى الفريقين معا، ففى كل منهما أوذى موسى، فبرأه الله مما قالوا، والله أعلم.

(**أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام**) « أرسل » مبنى للمجهول، أى أرسله ربه، فى الرواية الرابعة « جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك » أى للموت وعند أحمد والطبرى « كان ملك الموت يأتى الناس عيانا، فأتى موسى... » والرواية الثالثة موقوفة، لكن الرابعة مرفوعة.

(**فلما جاءه صكه، ففقأ عينه**) أى فلما جاءه، وأخبره بموته، كره الموت، فلطمه، وفقء عين الملك قيل على الحقيقة، وأن الله أذن لموسى فى هذه اللطمة، امتحاناً للمكلوم، والله سبحانه وتعالى يفعل فى خلقه ما يشاء، ويمتحنهم بما أراد، ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية، ليرجع إلى موسى، على كمال الصورة، فيكون ذلك أقوى فى اعتباره، قال ابن عقيل: يجوز أن يكون موسى أذن له أن يفعل ذلك بملك الموت، وأمر ملك الموت بالصبر على ذلك.

وقال ابن قتيبة: إنما فقأ موسى العين التى هى تخييل وتمثيل، وليست عينا حقيقية، ومعنى رد الله عينه أعاده إلى خلقته الحقيقية.

وقال بعض العلماء: إن هذا على المجاز، والمراد أن موسى ناظره وحاجه، فغلبه بالحجة، ويقال: فقأ فلان عين فلان، إذا غالبه بالحجة، ويقال: عورت الشيء إذا أدخلت فيه نقصا. قال المازرى: وفى هذا القول ضعف، قوله صلى الله عليه وسلم « فرد الله عينه » قال النووى: فإن قيل: أراد رد حجته كان بعيدًا.

وقال بعض العلماء: إن موسى عليه السلام لم يعلم أنه ملك من عند الله، وظن أنه رجل قصده، يريد نفسه، فدافعه، فأدت المدافعة إلى فقء العين، لا أنه قصدها بالفقء، قال النووى: وتؤيده رواية « صكه » وهذا جواب ابن خزيمة وغيره من المتقدمين، واختاره المازرى والقاضى عياض، قالوا: وليس

فى الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه، قال النووى: فإن قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيا بأنه ملك الموت؟ فالجواب أنه أتاه فى المرة الثانية بعلامة، علم بها أنه ملك الموت، فاستسلم، بخلاف المرة الأولى.

أقول: وهذا بعيد أيضا، فالملائكة لا تحكمهم الصورة، والمختار عندى أنه خيل لموسى أنه فقأ عين ملك الموت، كما خيل إليه حين رآه فى المرة الثانية أن اللّٰه رد له عينه، أو الكلام على التشبيه، أى فكأنه فقأ عينه، وكأن اللّٰه رد إليه عينه، وسيأتى مزيد لهذه المسألة فى فقه الحديث.

(**أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت**) فى الرواية الرابعة « إنك أرسلتنى إلى عبد لك، لا يريد الموت، وقد فقأ عينى » وفى رواية « قال: يارب، عبدك موسى فقأ عينى، ولولا كرامته عليك لشققت عليه »

(**ارجع إليه، فقل له: يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعره سنة**) فى الرواية الرابعة « ارجع إلى عبدى، فقل: الحياة تريد؟ » والكلام على الاستفهام، و« الحياة » مفعول مقدم « فإن كنت تريد الحياة، فضع يدك على متن ثور، فما توارت » أى فما غطت « يدك من شعره، فإنك تعيش بها سنة » والمتن بفتح الميم وسكون التاء الظهر.

(**قال: أى رب، ثم مه؟ قال: ثم الموت**) فى الرواية الرابعة « قال: ثم مه؟ قال: ثم الموت » وفى الكلام طى، تقديره، فرجع ملك الموت إلى موسى، فقال له ما قال ربه، فقال موسى مناجيا ربه.

يارب، ثم ماذا بعد هذه السنين ؟ قال له ربه. ثم الموت يقع. و« مه » هى « ما » الاستفهامية، دخل عليها هاء السكت.

(**قال: فالآن**) الفاء فى جواب شرط مقدر، أى إذا كانت النهاية الموت لا محالة فالمختار عندى الموت الآن، وفى الرواية الرابعة « فالآن من قريب ».

(**فسأل اللّٰه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر**) وفى الرواية الرابعة « رب أمتنى » بفتح الهمزة وكسر الميم وسكون التاء، أى قريبا « من الأرض المقدسة رمية بحجر» أى مسافة رمية بحجر، وفى بعض النسخ « رب أدننى » بالدال ونونين.

(**فلو كنت ثم لأريتكم قبره، إلى جانب الطريق، تحت الكثيب الأحمر**) فى الرواية الرابعة « عند الكثيب الأحمر» وهو التل من الرمال الحمراء.

وزعم ابن احبان أن قبر موسى بمدين، بين المدينة وبيت المقدس، وتعقبه الضياء بأن أرض مدين ليست قريبة من المدينة، ولا من بيت المقدس، قال: وهذا اشتهر عن قبر بأريحا، عنده كثيب أحمر، أنه قبر موسى « وأريحا » من الأرض المقدسة.

وفى بعض الروايات « فشمه شمة، تقبض روحه، وكان يأتى الناس خفية » أى وصار يأتى خفية « لقبض الأرواح قيل: عاش مائة وعشرين سنة ».

(**بينما يهودى يعرض سلعة له، أعطى بها شيئا كرهه - أو لم يرضه**) قال

الحافظ ابن حجر: لم أقف على اسم هذا اليهودى فى هذه القصة، وزعم بعضهم أنه فنحاص - بكسر الفاء وسكون النون - وعزاه لابن إسحاق، والذى ذكره ابن إسحق لفنحاص مع أبى بكر الصديق فى لطمه إياه، قصة أخرى، فى نزول قوله تعالى ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

(**قال: لا. والذى اصطفى موسى - عليه السلام - على البشر**) « لا » متضمنة معنى جملة، أى لا أبيع. وفى الرواية السادسة « والذى اصطفى موسى على العالمين » زاد البخارى « فى قسم يقسم به ».

(**فسمعه رجل من الأنصار، فلطم وجهه**) فى الرواية السادسة « فرفع المسلم يده عند ذلك. فلطم وجه اليهودى » « عند ذلك » أى عند سماعه قول اليهودى، وإنما صنع ذلك لفهمه من عموم لفظ « العالمين » دخول محمد ﷺ فيه، وقد تقرر عنده أن محمدا ﷺ أفضل. وعند سفيان بن عيينة فى جامعه، وابن أبى الدنيا فى كتاب البعث، عن سعيد بن المسيب قال: « كان بين رجل من أصحاب النبى ﷺ، وبين رجل من اليهود كلام فى شيء » قال عمرو بن دينار: هو أبو بكر الصديق، وهذا القول يتنافى مع روايتنا « من الأنصار » اللهم إلا أن يراد من الأنصار المعنى الأعم، أى الذين ناصروا رسول الله ﷺ، وأبو بكر أهم وأول من ناصر.

(**تقول: والذى اصطفى موسى على البشر؟ ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟**) وفى الرواية السادسة « فقال المسلم: والذى اصطفى محمدا ﷺ على العالمين، وقال اليهودى: والذى اصطفى موسى عليه السلام على العالمين » فيحتمل أنهما استبا بعد حلف اليهودى، فحلف كل منهما، فكان حلف اليهودى بعد حلف المسلم، وفى رواية « قال المسلم: أى خبيث. على محمد؟ » أى فضل موسى على محمد؟

(**فذهب اليهودى إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا القاسم، إن لى ذمة وعهداً، وقال: فلان لطم وجهى**) وفى الرواية السادسة « فذهب اليهودى إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم ».

(**فقال رسول الله ﷺ: لم لطمت وجهه؟**) معطوف على محذوف، أى فدعا المسلم، فقال له...إلخ. ففى رواية « فدعا النبى ﷺ المسلم، فسأله عن ذلك، فأخبره » وفى رواية « فقال ادعوه لى، فجاء، فقال: أضربته »؟

(**لا تفضلوا بين أنبياء الله**) وفى الرواية السادسة « لا تخيرونى على موسى » وفى ملحق الرواية السادسة « لا تخيروا بين الأنبياء ».

(**ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث - أو فى أول من بعث - فإذا موسى عليه السلام أخذ بالعرش، فلا أدرى. أحوسب بصعقته يوم الطور؟ أو بعث قبلى؟**) وفى الرواية السادسة « فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فما أدرى، أكان فيمن صعق، فأفاق قبلى؟ أم كان ممن استثنى الله »؟ وفى رواية « فإن الناس يصعقون

يوم القيامة، فأصعق معهم» قال العلماء: المراد بالصعق غشى يلحق من سمع صوتا، أو رأى شيئا يفزع منه، قال الحافظ ابن حجر: وهذه الرواية «ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث» ظاهر فى أن الإفاقة بعد النفخة الثانية، وأصرح منها رواية «إنى أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة» قال: وأما ما وقع فى حديث أبى سعيد «فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض» فهو وهم من الرواة - كما قال المحققون - والصواب ما وقع فى رواية غيره «فأكون أول من يفيق» و أن كونه صلى الله عليه وسلم أول من تنشق عنه الأرض صحيح، لكنه فى حديث آخر، ليس فى قصة موسى، قال: ويمكن الجمع بأن النفخة الأولى يعقبها الصعق من جميع الخلق، أحيائهم وأمواتهم، وهو الفزع، ثم يعقب ذلك الفزع للموتى زيادة فيما هم فيه، وللأحياء موتا، ثم ينفخ الثانية للبعث، فيفيقون أجمعون، فمن كان مقبورا انشقت عنه الأرض، فخرج من قبره، ومن ليس بمقبور لا يحتاج إلى ذلك، وقد ثبت أن موسى ممن قبر فى الحياة الدنيا.

قال الحافظ ابن حجر: وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون - أى يغشى عليهم من الفزع - مع أن الموتى لا إحساس لهم، فقيل: المراد أن الذين يصعقون هم الأحياء، وأما الموتى فهم فى الاستثناء فى قوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] أى إلا من سبق له الموت قبل ذلك، فإنه لا يصعق، وإلى هذا جنح القرطبى، ولا يعارضه ما ورد فى هذا الحديث أن موسى ممن استثنى الله، لأن الأنبياء أحياء عند الله، وإن كانوا فى صورة الأموات بالنسبة إلى أهل الدنيا، وقد ثبت ذلك للشهداء، ولا شك أن الأنبياء أرفع رتبة من الشهداء، وورد التصريح بأن الشهداء ممن استثنى الله، وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد صعقة فزع بعد البعث، حين تنشق السماء والأرض، وتعقبه القرطبى بأنه صلى الله عليه وسلم صرح بأنه حين يخرج من قبره يلقى موسى، وهو متعلق بالعرش، وهذا إنما يكون عند نفخة البعث، اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: ويرده قوله صريحا - كما تقدم - «إن الناس يصعقون، فأصعق معهم» إلى آخر ما تقدم، قال: ويؤيده أنه عبر بقوله «أفاق» لأنه إنما يقال: أفاق من الغشى، وبعث من الموت، وكذا عبر عن صعقة الطور بالإفاقة، لأنها لم تكن موتا بلا شك، و إذا تقرر ذلك كله ظهر صحة الحمل على أنها غشية، تحصل للناس فى الموقف. اهـ.

وقوله فى الرواية السادسة «فإذا موسى باطش بجانب العرش» أى آخذ بجانب من العرش بقوة، والبطش الأخذ بقوة، أما قوله فى الرواية الخامسة «فإذا موسى آخذ بالعرش» أى آخذ ببعض قوائم العرش، ففى رواية «آخذ بقائمة من قوائم العرش».

(**مررت على موسى، وهو يصلى فى قبره**) يراجع شرح هذا فى كتاب الإيمان، من كتابنا.

(**ولا أقول: إن أحدا أفضل من يونس بن متى عليه السلام**) كذا فى الرواية الخامسة، وفى الرواية السابعة والثامنة «يقول الله تبارك وتعالى: لا ينبغى لعبد لى - أو لعبدى - أن يقول: أنا خير من يونس ابن متى، عليه السلام» وفى رواية البخارى «لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس» والضمير فى «إنى» للرسول ﷺ.

وارتباط النهى عن تفضيله صلى الله عليه وسلم بالكلام عن موسى إنما هو ارتباط النهى عن

التفضيل مطلقا، حتى عن يونس عليه السلام، الذى قال الله تعالى فى شأنه ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [القلم: ٤٨] مغموم ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩] لكنه نبذ غير مذموم.

(**ونسبه إلى أبيه**) من كلام الراوى، أى نسبه صلى الله عليه وسلم إلى أبيه فقال: يونس بن فلان، ولم ينسبه إلى « متى » لأن « متى » اسم أمه، وهذا محكى عن وهب بن منبه، وذكره الطبرى، وتبعه ابن الأثير فى الكامل، وكأن الراوى نسى اسم أبيه الذى ذكره رسول الله ﷺ، كذا قيل: وهو بعيد، والصحيح ما فى الصحيح أنه يونس بن متى، وكأن الراوى بهذه الجملة يرد على القول الأول، ويقول: ونسبه إلى أبيه متى.

(**من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم**) أصل الكرم كثرة الخير، وقد فهم صلى الله عليه وسلم أن السؤال عن أكمل الكرم وأعمه، فأجاب بالأتقى، أخذا من قوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ومن كان متقيا كان كثير الخير، وكثير الفائد فى الدنيا، وصاحب الدرجات العلى فى الآخرة.

(**ليس عن هذا نسألك**)، ظن صلى الله عليه وسلم أنهم يسألون عن شخصية جامعة لمكارم الأخلاق، فأجاب بقوله:

(**فيوسف نبى الله، ابن نبى الله، ابن نبى الله، ابن خليل الله**) فهو ابن ثلاثة أنبياء، متناسلين، فهو ابن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، وانضم إلى هذا الشرف علم الرؤيا، وتمكنه فيه، ورياسة الدنيا، وملكها بالسيرة الجميلة، وحياطته الرعية، وعموم نفعه إياهم، وشفقته عليهم، وإنقاذه إياهم من تلك السنين، والفاء فى جواب شرط مقدر، أى إذا كنتم لا تقصدون الأكرم بالمعنى الذى ذكرته، فيوسف، وينطق بضم السين وكسرها وفتحها، مع الهمز على الواو وتركه، فهذه ستة أوجه.

(**ليس عن هذا نسألك**) ففهم صلى الله عليه وسلم أنهم يسألون عن قبائل العرب، فقال: -

(**فعن معادن العرب تسألونى؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا**) ومعناه: إن كنتم تسألون عن أصول العرب فأصحاب المروءات ومكارم الأخلاق فى الجاهلية، إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس .

(**كان زكريا نجارا**) أى فكان يأكل من عمل يده، وهو فضيلة، و « زكريا » فيها خمس لغات، المد والقصر، وزكرى بالتشديد، والتخفيف و « زكر» كعَلِمَ.

وزكريا والد يحيى، ويحيى وعيسى ابن مريم ابنا خالة، قال ابن إسحق: كان زكريا وابنه آخر من بعث من بنى إسرائيل، قبل عيسى، وقال أيضا: أراد بنو إسرائيل قتل زكريا، ففر منهم، فمر بشجرة، فانفلقت له، فدخل فيها، فالتأمت عليه فأخذ الشيطان بهدبة ثوبه، فرأوها، فوضعوا المنشار على الشجرة، فنشروها، حتى قطعوه من وسطه فى جوفها، وكذلك قتلوا يحيى، وكان ذلك قبل أن يرفع عيسى عليهم السلام.

(**إن نوفاً البكالى**) قال النووى: هكذا ضبطه الجمهور، بكسر الباء، وفتح الكاف مخففة، رواه

بعضهم بفتح الباء، وتشديد الكاف، قال القاضى: هذا الثانى: هو ضبط أكثر الشيوخ وأصحاب الحديث، قال: والصواب الأول، وهو قول المحققين، وهو منسوب إلى بنى بكال، بطن من حمير، وقيل من همدان، ونوف هذا هو ابن امرأة كعب الأحبار، وقيل: ابن أخيه، والمشهور الأول، قاله ابن أبى حاتم وغيره، وكان عالما حكيما قاضيا، وإماماً لأهل دمشق، وضبطه العلماء بفتح النون، وسكون الواو، بعدها فاء، قال الحافظ ابن حجر: وهو تابعى صدوق.

(**ليس هو موسى صاحب الخضر**) روى البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « إنما سمى الخضر» بفتح الخاء وكسر الضاد - لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هى تهتز من خلفه خضراء » زاد عبد الرزاق فى مصنفه «الفرو الحشيش الأبيض، وما أشبهه » قال عبد اللَّه بن أحمد بعد أن رواه عن أبيه: أظن هذا تفسيرا من عبد الرزاق. اهـ. وجزم بذلك القاضى عياض، وقال ابن الأعرابى: الفروة أرض بيضاء، ليس فيها نبات، وبهذا جزم الخطابى ومن تبعه، وحكى عن مجاهد أنه قيل له الخضر، لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله، وقد اختلف فى اسمه واسم أبيه، وفى نسبه، وفى نبوته، وفى تعميره، فقال وهب بن منبه، هو بليا، بفتح الباء، وسكون اللام، وقيل بزيادة ألف بعد الباء، وقيل: إلياس، وقيل: اليسع، وقيل: عامر، وقيل: خضرون، والأول أثبت. وهو ابن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح، فعلى هذا فمولده قبل إبراهيم الخليل، لأنه يكون ابن عم جد إبراهيم، وقيل: كان بعد عهد إبراهيم، وقيل ابن آدم لصلبه، وقيل: ابن قابيل، وقيل: ابن فرعون، وقيل: ابن بنت فرعون، وقيل: كان أبوه فارسيا، وقيل: إنه الذى أماته اللَّه، ثم بعثه بعد مائة عام، فلا يموت حتى ينفخ فى الصور، أقوال كثيرة لا سند لها يعتد به.

أما عن نبوته فعند أكثر أهل العلم أنه نبى، ثم اختلفوا: هل هو رسول أم لا؟ وقالت طائفة منهم القشيرى هو ولى.

وفى الرواية الثانية عشرة « إن نوفا يزعم أن موسى الذى ذهب يلتمس العلم ليس بموسى بنى إسرائيل. قال: أسمعته يا سعيد؟ قلت :نعم، قال: كذب نوف » وفى رواية للبخارى « إن بالكوفة رجلا قاصا، يقال له: نوف يزعم...إلخ ».

(**كذب عدو اللَّه**) قال النووى: قال العلماء: هو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله، لا أنه يعتقد أنه عدو اللَّه حقيقة، إنما قاله مبالغة فى إنكاره قوله، لمخالفته قول رسول اللَّه ﷺ، وكان ذلك فى حال غضب ابن عباس، لشدة إنكاره، وحال الغضب تطلق الألفاظ، ولا يراد بها حقيقتها.

(**قام موسى عليه السلام خطيبا فى بنى إسرائيل، فسئل: أى الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم**) وفى الرواية الثالثة عشرة « إنه بينما موسى عليه السلام فى قومه، يذكرهم بأيام اللَّه - وأيام اللَّه نعماؤه وبلاؤه - إذ قال: ما أعلم فى الأرض رجلا خير - أو أعلم - منى » وفى رواية للبخارى « بينما موسى فى ملأ من بنى إسرائيل، جاءه رجل، فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: لا » وفى رواية للبخارى « ذكر الناس يوما، حتى إذا فاضت العيون، ورقت القلوب ولى، فأدركه رجل، فقال... ».

(**قال: فعتب اللَّه عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى اللَّه إليه: أن عبدا من عبادى بمجمع البحرين هو أعلم منك**) فى الرواية الثالثة عشرة « فأوحى اللَّه إليه:

إنـى أعلـم بـالخير منـه، أو عنـد مـن هـو؟ إن فـى الأرض رجـلا، هـو أعلـم منـك » أى كـان حقـه أن يقـول: واللـه أعلـم، فـيرد العلم للـه.

« ومجمع البحرين » ملتقاهما، قيل: هما بحر فارس والروم، والمراد مكان يقرب من التقائهما، وإلا فهما لا يلتقيان إلا فى البحر المحيط، وهما شعبتان منه، قيل: عند طنجة، قيل: الكر والرس بأرمينية.

(**قال موسى: أى رب. كيف لى به؟**) فى الرواية الثالثة عشرة « قال: يارب، فدلنى عليه » وفى رواية للبخارى « فسأل موسى السبيل إليه ».

(**فقيل له: احمل حوتا فى مكتل، فحيث تفقد الحوت، فهو ثم**) بفتح الثاء، أى هناك، والحوت السمكة وكانت السمكة مالحة، ففى الرواية الثالثة عشرة « تزود حوتا مالحا » والمكتل بكسر الميم وسكون الكاف وفتح التاء هو القفة والزنبيل، وفى رواية للبخارى « تأخذ حوتا، فتجعله فى مكتل، حيثما فقدت الحوت فهو ثم » وفى رواية أخرى له « فجعل له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع، فإنك ستلقاه ».

(**فانطلق، وانطلق معه فتاه، وهو يوشع بن نون، فحمل موسى عليه السلام حوتا فى مكتل، وانطلق هو وفتاه يمشيان، حتى أتيا الصخرة، فرقد موسى عليه السلام وفتاه، فاضطرب الحوت فى المكتل، حتى خرج من المكتل، فسقط فى البحر**) ومعنى « فتاه » صاحبه، و « نون » مصروف، مثل نوح، وفى الرواية الثالثة عشرة « حتى انتهيا إلى الصخرة، فعمى عليه، فانطلق وترك فتاه، فاضطرب الحوت فى الماء، فجعل » الماء « لا يلتئم عليه » أى لا يغطيه و « صار مثل الكوة » أى الفتحة أو الفجوة.

(**وأمسك الله عنه جرية الماء**) فبقى فى فجوة ظاهرا، والجرية بكسر الجيم.

(**فكان مثل الطاق**) كوة تتخذ فى الحائط، غير نافذة توضع فيها الاشياء.

(**فكان للحوت سربا**) أى مسلكا، كالسرب، وهو النفق.

(**وكان لموسى وفتاه عجبا**) أى بعد أن رجعا إلى المكان ورأياه، فهذا الكلام مقدم من تأخير.

(**فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، ونسى صاحب موسى أن يخبره، فلما أصبح موسى عليه السلام قال لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾**) فى الرواية الثالثة عشرة « فجعل » الماء لا يلتئم عليه، صار مثل الكوة، فقال فتاه: ألا ألحق نبى الله فأخبره؟ قال: فنسى « وفى القرآن الكريم ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ أى حال حوتهما، أى نسى موسى وجوده أو عدم وجوده فى المكتل، ونسى فتاه أن يخبر موسى بوقوعه فى البحر، وقيل: إن الناسى هو فتاه لا غير، نسى أن يخبر موسى بخبر الحوت، والشيء قد ينسب إلى الجماعة، وإن كان الذى فعله واحدًا.

(**﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾**) أى وما أنسانى ذكر أمره لك إلا الشيطان.

(﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾) أى نطلب، معناه أن الذى جئنا نطلبه هو الموضع الذى نفقد فيه الحوت.

(﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾) أى ارتدا فى طريقهما الذى جاءا منه، يقصانه قصصا، أى يتبعانه اتباعاً. زاد فى الرواية الثالثة عشرة « فأراه مكان الحوت، قال: ههنا وصف لى، فذهب يلتمس ».

(**فرأى رجلا مسجى عليه بثوب، فسلم عليه موسى**) أى مغطى عليه بثوب، وفى الرواية الثالثة عشرة « فإذا هو بالخضر، مسجى ثوبا، مستلقيا على القفا - أو قال: على حلاوة القفا - قال: السلام عليكم »

(**فقال له الخضر: أنى بأرضك السلام**)؟ أى كيف يأتى السلام من أرضك؟ فالاستفهام للتعجب، أى هذه التحية عجيبة بأرضك، ويحتمل أن يكون المعنى من أين هذا الكلام بأرضك؟ فهى ظرف مكان. وفى رواية لابن أبى حاتم « فرأى الخضر، وعليه جبة من صوف، وكساء من صوف، ومعه عصا، قد ألقى عليها طعامه ».

(**قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم**) فى الرواية الثالثة عشرة « قال: السلام عليكم، فكشف الثوب عن وجهه، قال: وعليكم السلام. من أنت؟ قال :أنا موسى. قال: ومن موسى؟ قال: موسى بنى إسرائيل، قال: مجيء ما، جاء بك » أى سبب ما جاء بك؟ قال: جئت لتعلمنى مما علمت رشدا » أى علما ذا رشد، وإصابة للخير.

(**قال إنك على علم من علم اللَّه، علمكه اللَّه، لا أعلمه، وأنا على علم من علم اللَّه، علمنيه، لا تعلمه، قال له موسى عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾؟**) وروى « أن الخضر استوى جالسا، لما عرف أنه موسى، ثم قال: يا موسى، أما يكفيك أن التوراة بيدك؟ وأن الوحى يأتيك؟ قال موسى: إن ربى أرسلنى إليك لأتبعك، وأتعلم من علمك ».

(﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۞ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾) زاد فى الرواية الثالثة عشرة، « شيء أمرت به أن أفعله، إذا رأيته لم تصبر»؟ أكد عدم صبره بـ« إن » وبلن، وعدل عن « لن تصبر» إلى « لن تستطيع » ونكر« صبرا » فى سياق النفى، لإفادة العموم، أى لن تستطيع معى صبرا، أى صبر، مهما قل، وعلل ذلك بأنه عليه السلام يتولى أمورا خفية المراد، منكرة الظواهر، والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة، لا يتمالك أن يشمئز عند مشاهدتها، وكأنه علم مع ذلك حدة موسى عليه السلام، ومزيد غيرته التى أوصلته إلى أن يأخذ برأس أخيه، يجره إليه.

(﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾) حذف التعليق على المشيئة فى معصية الأمر اكتفاء بذكره فى الصبر، وهو مراد، وقيل: علق فى الصبر فصبر ثلاث حوادث، ولم يعلق فى الطاعة وعدم المعصية، فاعترض وأنكر من أول حادثة.

(**قال له الخضر: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ**

﴿ذِكْرًا﴾، قال: نعم) أى لا تسألنى عن سر شيء تشاهده – فضلا عن المناقشة، والاعتراض والإنكار – حتى أبتدئك ببيانه.

(﴿فَانْطَلَقَا﴾) أى موسى والخضر، عليهما السلام، ولم يضم إليهما يوشع لأنه تابع، وقيل: رده موسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل، وفى رواية « أنهما انطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة، فكلموهم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر، فحملوهما من غير أجر».

(﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾) روى أنهما لما ركبا فى السفنية أخرج الخضر من مكتله القدوم، أو مثقابا ومطرقة، وانتحى ناحية عنهم وخرق خرقا، وضع عليه لوحا، وجلس عليه.

(﴿قَالَ: أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾) أى فظيعا منكرا، واللام فى «لتغرق» لام العاقبة، وقيل للتعليل. روى أن موسى عليه السلام اشتد غضبا، وشد على الخضر ثيابه، وأراد أن يقذف به فى البحر، وهو يقول: أردت هلاكهم؟ فستعلم أنك أول هالك.

(﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾؟) والاستفهام تقريرى، أى قر بأنك لن تستطيع معى صبرا.

(﴿قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾) أى لا تؤاخذنى على إنكارى المتسبب عن نسيانى الوصية.

(﴿وَلا تُرْهِقْنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا﴾) أى لا تحملنى من اتباعى لك صعوبة، ويسر على المتابعة بالإغضاء عما وقع منى، فقبل عذره، وجنحت السفينة إلى الشاطئ لإصلاحها، ونزلا منها.

(﴿فَانْطَلَقَا﴾) يمشيان على الشاطئ، فمرا بقرية.

(﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ﴾) روى أنه كان يلعب مع الغلمان، وكانوا على ما قيل عشرة، وأنه لم يكن فيهم أحسن منه ولا أنظف، وروى أنه ضرب رأسه بالجدار فقتله، وقيل: اقتلع رأسه، وقيل: ذبحه بالسكين، قيل: كان بالغا، وقيل لم يكن بالغا، وفى الرواية الثالثة عشرة « فانطلقا، حتى إذا لقيا غلمانا يلعبون، قال: فانطلق إلى أحدهم، بادى الرأى، فقتله، فذعر عندها موسى عليه السلام، ذعرة منكرة ».

(﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾) أى نفسا طاهرة من الذنوب، بغير قصاص لك عليه، و« نكرا » بضم النون وسكون الكاف، أى منكرا جدا.

(﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾؟ قال: وهذه أشد من الأولى) زاد فى الرواية الثالثة عشرة « فقال رسول الله ﷺ – عند هذا المكان – من القصة رحمة الله علينا وعلى موسى، لولا أنه عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة » بفتح الذال، أى حياء، وإشفاق من اللوم « ولو صبر لرأى العجب » قال الراوى: « وكان صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أحد من الأنبياء بدأ بنفسه: رحمة الله علينا، وعلى أخى كذا رحمة الله علينا ».

(﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا﴾) أى إن

سألتك عن شيء تفعله من الأعاجيب بعد هذه المرة فلا تصحبني معك، قد بلغت إلى الغاية التى تعذر بسببها فى فراقى، حيث خالفتك مرة بعد مرة.

(﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾) قيل: القرية هى أنطاكية، وقيل: هى الأيلة، والمعنى استطعما بعض أهلها، أى طلبا طعاما، ولم يطلبوا ضيافة.

وفى الرواية الثالثة عشرة « حتى إذا أتيا أهل قرية لئاما، فطافا فى المجالس، فاستطعما أهلها ».

(﴿ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾) أى أبوا مجرد إيوائهما، فضلا عن إطعامهما.

(﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾) قيل: هدمه ، فبناه، وفى الكلام مجاز، لأن الجدار لا إرادة له.

وقيل: وجده مائلاً، فقال له الخضر بيده هكذا، فأقامه، قال القرطبى: كونه مسحه بيده فأقامه هو الصحيح، وهو أشبه بأحوال الأنبياء عليهم السلام، واعترض بأنه غير ملائم لما بعد، إذ لا يستحق بمثله الأجر.

(﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾) أى قال موسى عليه السلام ذلك تحريضا للخضر عليه السلام، وحثا على أخذ الأجرة، لحاجتهما إليها، وقيل: قاله تعريضا بأن فعله ذلك ليس فى محله.

(﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾) زاد فى الرواية الثالثة عشرة « وأخذ بثوبه ».

(**وجاء عصفور**) مجيئه مناسب لأن يكون بعد كشف السر، لكن السفينة كانت فى أول الرحلة.

(﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾) أى كانت لضعفاء، لا يقدرون على مدافعة الظلمة، أى كانت لهم ملكا، أو عارية، أو كانوا أجراء، واللام للاختصاص، يتعيشون منها، فأردت أن أجعلها ذات عيب، ولم أرد إغراق من بها، كما حسبت.

(﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾) أى يأخذ كل سفينة صالحة غصبا يسخرها، أى فوجدها الملك معيبة، فتركها، فأصلحوها بقطعة خشب، وتكسبوا عليها.

(﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾) فى الرواية الثالثة عشرة « وأما الغلام فطبع يوم طبع كافرا، وكان أبواه قد عطفا عليه، فلو أنه أدرك أرهقهما طغيانا وكفرا ».

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب

١- من قصة موسى عليه السلام، والحجر، الرواية الأولى والثانية معجزتان ظاهرتان لموسى عليه

السلام، إحداهما مشى الحجر بثوبه إلى ملأ بنى إسرائيل، والثانية حصول الندب، وأثر الضرب فيه، كيف لا. وقد ضرب الحجر من قبل فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا؟

٢- قال النووى: وفيه وجود التميز فى الجمادات كالحجر ونحوه، ومثله تسليم الحجر بمكة، وحنين الجذع.

٣- وجواز الغسل عريانا فى الخلوة، وإن كان ستر العورة أفضل، وبهذا قال الشافعى، ومالك وجماهير العلماء، وخالفهم ابن أبى ليلى، وقال: إن للماء ساكنا، واحتج فى ذلك بحديث ضعيف.

٤- وفيه ما ابتلى به الأنبياء والصالحون من أذى السفهاء والجهال، وصبرهم عليهم.

٥- وفيه أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم منزهون عن النقائص فى الخلقة، سالمون من العاهات والمعايب. ذكره القاضى وغيره، وقالوا: ولا التفات إلى ماقاله من لا تحقيق له من أهل التاريخ فى إضافة بعض العاهات إلى بعضهم، بل نزههم الله تعالى من كل عيب وكل شيء يبغض العيون، أو ينفر القلوب.

٦- وفيه جواز المشى عريانا لضرورة، وقال ابن الجوزى: لما كان موسى فى خلوة، وخرج من الماء، فلم يجد ثوبه، تبع الحجر، بناء على أن لا يصادف أحدا وهو عريان، فاتفق أنه كان هناك قوم، فمر بهم، كما أن جوانب الأنهار - وإن خلت غالبا - لا يؤمن وجود قوم قريب منها، فبنى الأمر على أنه لا يراه أحد، لأجل خلاء المكان، فاتفق رؤية من رآه، قال الحافظ ابن حجر: والظاهر أنه استمر يتبع الحجر، حتى وقف على مجلس لبنى إسرائيل، كان فيهم من قال فيه ما قال، وبهذا تظهر الفائدة.

٧- وفيه جواز النظر إلى العورة عند الضرورة الداعية لذلك من مداواة أو براءة من عيب، وهذا على قول من يقول: شرع من قبلنا شرع لنا.

٨- ومن قوله «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سوءة بعض» أن ذلك كان جائزا فى شرعهم، وإلا لما أقرهم موسى على ذلك، وكان هو عليه السلام يغتسل وحده، أخذا بالأفضل، وأغرب ابن بطال، فقال: هذا يدل على أنهم كانوا عصاة له، وتبعه القرطبى فى ذلك.

٩- وفيه أن من نسب نبيا من الأنبياء إلى نقص فى خلقته، فقد آذاه، ويخشى على فاعله الكفر.

١٠- وأن الآدمى يغلب عليه طباع البشر، لأن موسى علم أن الحجر ما سار بثوبه إلا بأمر من الله، ومع ذلك عامله معاملة من يعقل، فناداه، وضربه.

١١- ومن قصة موسى عليه السلام وملك الموت، روايتنا الثالثة والرابعة، أن الملك يتمثل بصورة الإنسان، وقد جاء ذلك فى أحاديث مشهورة.

١٢- قال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وقالوا: إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه؟ قال: والجواب أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى، وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه إليه اختبارا، وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه

رأى آدميا، دخل داره بغير إذنه، ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشرع فقء عين الناظر فى دار المسلم بغير إذن، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط فى صورة آدميين، فلم يعرفهم ابتداء، ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه.

قال: وعلى تقدير أن يكون عرفه، فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى، فلم يقتص له.

وقال النووى: لا يمتنع أن يأذن الله لموسى فى هذه اللطمة، امتحانا للملطوم.

وقال غيره: إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه، من قبل أن يخبره، لما ثبت أنه لم يقبض نبى حتى يخبر، فلهذا لما خيره فى المرة الثانية أذعن.

وقال ابن قتيبة: إنما فقأ موسى العين التى هى تخييل وتمثيل، وليست عينا حقيقية، ومعنى « رد الله عينه » أعاده إلى خلقته الحقيقية.

وقيل على ظاهره، ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية، ليرجع إلى موسى على كمال الصورة، فيكون ذلك أقوى فى اعتباره. قال الحافظ ابن حجر: وهذا هو المعتمد.

وجوز ابن عقيل أن يكون موسى أذن له أن يفعل ذلك بملك الموت، وأمر ملك الموت بالصبر على ذلك، كما أمر موسى بالصبر على ما يصنع الخضر.

١٣- واستدل بقوله « فلك بكل شعرة سنة » على أن الذى بقى من الدنيا كثير جدا، لأن عدد الشعر الذى تواريه اليد كثير.

١٤- واستدل به على جواز الزيادة فى العمر، وقد قال به قوم فى قوله تعالى ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِن عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ**﴾ [فاطر: ١١] وأنه زيادة ونقص فى الحقيقة.

ومنع قوم ذلك، وأجابوا عن قصة موسى بأن أجله قد كان قرب حضوره، ولم يبق منه إلا مقدار ما دار بينه وبين ملك الموت من المراجعتين، فأمر بقبض روحه أولا، مع سبق علم الله أن ذلك لا يقع إلا بعد المراجعة، وإن لم يطلع ملك الموت على ذلك أولا.

١٥- وفيه فضل الدفن فى الأماكن المقدسة، والفاضلة، والمواطن المباركة، والقرب من مدافن الصالحين. قاله النووى.

١٦- ومن الرواية الخامسة النهى عن التفضيل بين الأنبياء.

١٧- فضيلة موسى عليه السلام.

١٨- أهل الذمة لهم ما لنا، وعليهم ما علينا.

١٩- فضيلة يونس عليه السلام. وكذا من الرواية السابعة والثامنة.

٢٠- ومن الرواية التاسعة فضيلة يوسف عليه السلام.

٢١- وأن الناس معادن. خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا.

٢٢- وأن التقوى رأس الفضائل.

٢٣- ومن الرواية العاشرة فضيلة زكريا عليه السلام.

٢٤- ومن الرواية الحادية عشرة وما بعدها، من قصة موسى والخضر عليهما السلام.

ما يؤكد قوله تعالى ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٢٥- ومن إنكار تعلم موسى بنى إسرائيل من الخضر ذهب أهل الكتاب وتابعهم من تبعهم من المحدثين والمؤرخين وزعموا أن موسى هنا هو موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب، وهو موسى الأول، وتعللوا بأن موسى النبى لا يتعلم من غيره. وأجيب بأن التعلم كان من نبى، ولا غضاضة فى تعلم نبى من نبى، قالوا: ولو سلمنا بنبوة الخضر لا نسلم أن موسى بن عمران، وهو الأفضل يتعلم ممن ليس مثله فى الفضل، فإن الخضر عليه السلام على القول بنبوته، بل القول برسالته، لم يبلغ درجة موسى عليه السلام.

واستبعدوا أن يكون موسى هو موسى بنى إسرائيل، على أساس أن بعد الخروج من مصر حصل هو وقومه فى التيه، وتوفي فيه، ولم يخرج قومه منه إلا بعد وفاته والقصة تقتضى خروجه عليه السلام من التيه، لأنها لم تكن وهو فى مصر بالإجماع، وتقتضى أيضا الغيبة أياما، ولو وقعت لعلمها كثير من بنى إسرائيل، الذين كانوا معه، ولو علمت لنقلت، لتضمنها أمرا غريبا، تتوافر الدواعى على نقله، فحيث لم يكن لم تكن، وأجيب بأن عدم سماح نفوسهم بالقول بتعليم نبيهم عليه السلام من مثله فى الفضل، أمر لا يساعده العقل، وليس هو إلا كالحمية الجاهلية، إذ لا يبعد عقلا تعلم الأفضل الأعلم، شيئا ليس عنده، ممن هو دونه فى الفضل والعلم، وقد يوجد فى المفضول ما لا يوجد فى الفاضل.

ثم إن عدم خروج موسى من التيه غير مسلم، وكذلك اقتضاء الغيبة أياما، لجواز أن يكون على وجه خارق للعادة، وقد يقال: يجوز أن يكون عليه السلام خرج وغاب أياما، لكن لم يعلموا أن عليه السلام ذهب لهذا الأمر، وظنوا أنه ذهب يناجي ويتعبد، ولم يوقفهم على حقيقة غيبته بعد أن رجع، لعلمه بقصور فهمهم، فخاف من حط قدره عندهم، ويجوز أن يكون غاب عنهم، وعلموا غيبته، لكن لم يتناقلوها جيلا بعد جيل، لتوهم أن فيها شيئا مما يحط قدره عندهم.

قال العلماء: ولا يخفى أن باب الاحتمال واسع، وبالجملة لا نبالى بإنكارهم بعد جواز الوقوع عقلا، وإخبار الله تعالى به. والله أعلم.

٢٦- وفى الحديث مصداق لقوله تعالى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

٢٧- ومن بناء الخضر عليه السلام للجدار، وحفظ الكنز لليتيم أن صلاح الآباء ينفع الأبناء بعد موتهما.

والله أعلم

كتاب

فضائل الصحابة

٦٣٢- باب من فضائل أبى بكر الصديق ﷺ.
٦٣٣- باب من فضائل عمر ﷺ.
٦٣٤- باب من فضائل عثمان ﷺ.
٦٣٥- باب فضائل على ﷺ.
٦٣٦- باب من فضائل سعد بن أبى وقاص ﷺ.
٦٣٧- باب من فضائل طلحة والزبير رضى الله عنهما.
٦٣٨- باب من فضائل أبى عبيدة بن الجراح ﷺ.
٦٣٩- باب من فضائل الحسن والحسين رضى الله عنهما.
٦٤٠- باب من فضائل زيد بن حارثة، وابنه أسامة، رضى الله عنهما.
٦٤١- باب من فضائل عبد الله بن جعفر ﷺ
٦٤٢- باب من فضائل خديجة رضى الله عنها
٦٤٣- باب من فضائل عائشة رضى الله عنها
٦٤٤- تابع باب فضائل عائشة رضى الله عنها
٦٤٥- باب من فضائل فاطمة رضى الله عنها
٦٤٦- باب من فضائل أم سلمة رضى الله عنها
٦٤٧- باب من فضائل زينب، أم المؤمنين، رضى الله عنها.
٦٤٨- باب من فضائل أم أيمن رضى الله عنها
٦٤٩- باب من فضائل أم سليم، وبلال، رضى الله عنهما.
٦٥٠- باب من فضائل عبد الله بن مسعود، وأمه، رضى الله عنهما.
٦٥١- باب من فضائل أبى بن كعب وجماعة من الأنصار رضى الله عنهم.
٦٥٢- باب من فضائل سعد بن معاذ ﷺ.
٦٥٣- باب من فضائل أبى دجانة: سماك بن خرشة ﷺ.
٦٥٤- باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضى الله عنهما.
٦٥٥- باب من فضائل جليبيب ﷺ.
٦٥٦- باب من فضائل أبى ذر ﷺ.
٦٥٧- باب من فضائل جرير بن عبد الله ﷺ.
٦٥٨- باب من فضائل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما.
٦٥٩- باب من فضائل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.
٦٦٠- باب من فضائل أنس بن مالك ﷺ.
٦٦١- باب من فضائل عبد الله بن سلام ﷺ.
٦٦٢- باب من فضائل حسان بن ثابت ﷺ.

(٦٣٢) باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ

٥٣٧١- ١/١ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[١]، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ حَدَّثَهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ. فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا».

٥٣٧٢- ٢/٢ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ[٢] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ. فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ. وَبَكَى. فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرُ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ. وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلا. وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ. لا تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»

٥٣٧٣- - وَفِي رواية عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمًا. بِمِثْلِ حَدِيثِ مَالِكٍ.

٥٣٧٤- ٣/٣ عَن عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ[٣] يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلا. وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي. وَقَدِ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلا».

٥٣٧٥- ٤/٤ عَن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ[٤]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِن أُمَّتِي أَحَدًا خَلِيلا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ».

٥٣٧٦- ٥/٥ عَن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ[٥] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا لاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلا».

---

(١) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا وقَالَ الآخَرَانِ حَدَّثَنَا حَبَّانُ ابْنُ هِلال حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ

(٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ حَدَّثَنَا مَعْنٌ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ أَبِي النَّضْرِ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَن سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ عَن عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ وَبُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ

(٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ الْعَبْدِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن إِسْمَعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي الْهُذَيْلِ يُحَدِّثُ عَن أَبِي الأَحْوَصِ قَالَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ

(٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لابْنِ الْمُثَنَّى قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن أَبِي إِسْحَقَ عَن أَبِي الأَحْوَصِ عَن عَبْدِ اللَّهِ

(٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنِي سُفْيَانُ عَن أَبِي إِسْحَقَ عَن أَبِي الأَحْوَصِ عَن عَبْدِ اللَّهِ ح وحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَيْسٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَن عَبْدِ اللَّهِ

٥٣٧٧- ٦/٦ عَن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ[٦]؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِن أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلا لاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلا. وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ».

٥٣٧٨- ٧/٧ عَن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ[٧] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلا إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خِلٍّ مِن خِلِّهِ. وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلا. إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ».

٥٣٧٩- ٨/٨ عَن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ[٨] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاسِلِ. فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ» فَعَدَّ رِجَالا.

٥٣٨٠- ٩/٩ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٩] وَسُئِلَتْ: مَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْلِفًا لَوِ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ. فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ. ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا.

٥٣٨١- ١٠/١٠ عَن مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَن أَبِيهِ ﷺ[١٠]، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا. فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ؟ قَالَ: أَبِي كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ - قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ».

٥٣٨٢- - وفي رواية عَن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ[-] أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا بِأَمْرٍ. بِمِثْلِ حَدِيثِ عَبَّادِ بْنِ مُوسَى.

٥٣٨٣- ١١/١١ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١١] قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ:

---

(٦) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا و قَالَ الآخَرَانِ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَن مُغِيرَةَ عَن وَاصِلِ بْنِ حَيَّانَ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهُذَيْلِ عَن أَبِي الأَحْوَصِ عَن عَبْدِ اللَّهِ

(٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ ح وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ ح وحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ كُلُّهُمْ عَنِ الأَعْمَشِ ح وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَأَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ وَاللَّفْظُ لَهُمَا قَالا حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ عَن أَبِي الأَحْوَصِ عَن عَبْدِ اللَّهِ

(٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَن خَالِدٍ عَن أَبِي عُثْمَانَ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاص

(٩) وحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ عَن أَبِي عُمَيْسٍ ح و حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَاللَّفْظُ لَهُ أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ ابْنُ عَوْنٍ أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَيْسٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ سَمِعْتُ عَائِشَةَ

(١٠) حَدَّثَنِي عَبَّادُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ أَخْبَرَنِي أَبِي عَن مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَن أَبِيهِ

- وحَدَّثَنِيهِ حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبِي عَن أَبِيهِ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ أَبَاهُ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ امْرَأَةً

(١١) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَن عُرْوَةَ عَن عَائِشَةَ

«ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا. فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى. وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إلا أَبَا بَكْرٍ».

٥٣٨٤- ١٢/١٢ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٢] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. فَقَالَ: «رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إلا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

٥٣٨٥- ١٣/١٣ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٣] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً لَهُ، قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا، الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ الْبَقَرَةُ فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا. وَلَكِنِّي إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! تَعَجُّبًا وَفَزَعًا. أَبَقَرَةٌ تَكَلَّمُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ، عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً. فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ. أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ».

٥٣٨٦- – وفِي رِوايَةِ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ(–)، بِهَذَا الإِسْنَادِ قِصَّةَ الشَّاةِ وَالذِّئْبِ. وَلَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ الْبَقَرَةِ.

٥٣٨٧- – وفِي رِوايَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(–)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِيِّ. وَفِي حَدِيثِهِمَا ذِكْرُ الْبَقَرَةِ وَالشَّاةِ مَعًا. وَقَالا فِي حَدِيثِهِمَا: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» وَمَا هُمَا ثَمَّ.

---

(١٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْفَزَارِيُّ عَن يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ عَن أَبِي حَازِمٍ الأَشْجَعِيِّ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٣) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى قَالا أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُمَا سَمِعَا أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُول

(–) وحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ حَدَّثَنِي أَبِي عَن جَدِّي حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ عَن ابْنِ شِهَابٍ

(–) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ح و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ عَن سُفْيَانَ كِلاهُمَا عَن أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَن أَبِي سَلَمَةَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

– وحَدَّثَنَاه مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ح وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَن مِسْعَرٍ كِلاهُمَا عَن سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَن أَبِي سَلَمَةَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

المعنى العام

إنما يعرف الفضل للناس ذووه، وذكر الفضائل، والثناء على من يستحق الثناء حق لأهل الخير، وعلى من انتفع منهم، ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾؟ [الرحمن: ٦٠] « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تقدروا فادعوا له »

إن تسجيل الفضائل، والتنوية بها نوع من أنواع شكرها، واللّه تعالى يقول ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] ويقول ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وتسجيل الفضائل والتنويه بها رد لبعض جميل صاحبها، وحث وترغيب للاقتداء به، ومعرفة قدره، ومن هنا عقد علماء الحديث كتابا لفضائل الصحابة، ومن هنا أثنى ﷺ على أصحابه، وذكر مآثر لكثير منهم، ورفع من قدر أعمالهم وجهادهم.

فأثنى بالدرجة الأولى على أبى بكر الصديق ﷺ، أول من أسلم من الرجال، وكان إيمانه تصديقاً لا نظير له، حتى لقب بالصديق، وأنفق على الدعوة كل ماله، أسلم وهو يملك أربعين ألف درهم أنفقها كلها فى سبيل الإسلام، اشترى العبيد الذين أسلموا، وأوذوا لإسلامهم، وأعتقهم، وأنفق على هجرة الرسول ﷺ، وزوج رسول اللّه ﷺ ابنته عائشة رضى اللّه عنها، فكانت بلسماً لجراحه، وأنساً وسعادة لحياته فى بيته، وشاركه فى جميع غزواته، وجاهد فى اللّه حق جهاده، وكان كوزيره الأول فى إدارة شئون أمته، وكان الأخ الأول فى أخوة الإسلام، وكان ثانى اثنين إذ هما فى الغار، وكان رفيق رحلة الهجرة، بل كان خير من يرافق فى السفر، روى أنه كان فى هذه الرحلة يتقدم رسول اللّه ﷺ تارة، ويتأخر عنه أخرى، فلما سئل قال: أخشى الرصد من أمامنا، فأتقدم لحماية الرسول ﷺ والصد عنه، وأخشى الملاحقة والمتابعة من خلفنا، فأتأخر للدفاع عنه.

لقد كان أحب الرجال إليه ﷺ، وأول من يثق فيه من أصحابه، والمرشح الأول من جهته للخلافة، ولقد همَّ صلى اللّه عليه وسلم أن يعينه خليفة من بعده، لكنه - وبالوحى- علم أنه سيكون كذلك عن طريق الأمة، فقال: لقد هممت أن أكتب كتابا أوصى فيه بخلافة أبى بكر، ولكنى قلت: يأبى اللّه إلا خلافة أبى بكر، كتبت أو لم أكتب، ويدفع المؤمنون الطامعين فى الخلافة.

نعم. أعطى رسول اللّه ﷺ إشارات واضحة لاستخلاف أبى بكر، فأمر بسد فتحات البيوت المحيطة بالمسجد، والتى يدخل منها الناس فى المسجد إلا فتحته صلى اللّه عليه وسلم وفتحة بيت أبى بكر.

ويعد صلى اللّه عليه وسلم امرأة أن تأتيه بعد عام، فتقول المرأة: فإن لم أجدك بعد عام؟ فيقول لها: فائت أبا بكر، ويعينه صلى اللّه عليه وسلم رئيسا وإماما للمسلمين فى حجتهم سنة تسع من الهجرة، قبل أن يحج بهم صلى اللّه عليه وسلم، وأخيرا وفى مرضه صلى اللّه عليه وسلم حين عجز عن إمامة الناس فى المسجد قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. فصلى أبو بكر بالناس ثلاثة أيام أو نحوها بدلا عن رسول اللّه ﷺ، ولهذا قال قائل الصحابة: ائتمنه رسول اللّه ﷺ على ديننا، أفلا نأتمنه على دنيانا؟ رضي اللّه عنه وأرضاه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

المباحث العربية

(**من فضائل أبى بكر**) واسمه عبد اللّه بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤى القرشى التيمى، أبو بكر الصديق بن أبى قحافة، ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر.

صحب النبى ﷺ قبل البعثة، وسبق إلى الإيمان به، واستمر معه طول الإقامة بمكة، ورافقه فى الهجرة وفى الغار، وفى المشاهد كلها إلى أن مات، وكانت الراية معه يوم غزوة تبوك، وحج بالناس سنة تسع، وأسلم على يديه كثير من الصحابة، وأعتق سبعة، كلهم كان يعذب فى اللّه، كان يشتغل بالتجارة، كان يملك أربعين ألفا، أنفقها فى سبيل اللّه، كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما، توفي لثمان بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وما ترك دينارا ولا درهما.

والفضائل جمع فضيلة، وهى الخصلة الجميلة، التى يحصل لصاحبها بسببها شرف وعلو منزلة، إما عند الحق، وإما عند الخلق.

(**نظرت إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن فى الغار**) غار ثور، ولما كان الغار تجويفا فى داخل جبل، أشعر هذا التعبير بأنه كان منخفضا، إلا أنه كان ضيقا.

(**ما ظنك باثنين اللّه ثالثهما**) المراد ناصرهما ومعينهما، وإلا فاللّه ثالث كل اثنين بعلمه.

(**جلس على المنبر فقال عبد خيره اللّه بين أن يؤتيه زهرة الدنيا، وبين ما عنده، فاختار ما عنده**) كانت هذه الخطبة فى مرضه الذى مات فيه صلى اللّه عليه وسلم، وفى رواية لمسلم « قبل أن يموت بخمس ليال » وفى رواية للبخارى « إن اللّه خير عبدا بين الدنيا، وبين ما عنده، فاختار ما عند اللّه » وفى رواية له عن ابن عباس رضى اللّه عنهما قال: خرج رسول اللّه ﷺ فى مرضه الذى مات فيه، عاصبا رأسه بخرقة، فقعد على المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: ... » وزهرة الدنيا نعيمها وأعراضها، شبهت بزهرة الروض.

(**فبكى أبو بكر، وبكى**) معناه: بكى كثيرا، وكان أبو بكر قد فهم أن النبى ﷺ هو المقصود بالعبد المخير، بقرينة مرضه فبكى حزنا على فراقه، وانقطاع الوحى، وغيره من الخير، وإنما قال صلى اللّه عليه وسلم « عبد » وأبهمه، لينظر فهم أهل المعرفة ونباهة أصحاب الحذق، كذا قال النووى. والظاهر أن الإبهام لعدم إثارة العامة، وعدم إدخال الهم والحزن عليهم مبكراً، ليبقوا بين الشك فى البلاء وعدمه فترة، فيهون عليهم عند وقوعه.

وفى رواية للبخارى، يقول أبو سعيد الخدرى « فعجبنا لبكائه، أن يخبر رسول اللّه ﷺ عن عبد خير؟ فكان رسول اللّه ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا » وفى رواية « فقلت فى نفسى » وفى رواية « فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول اللّه ﷺ عن عبد، وهو يقول: فديناك »؟ زاد فى رواية للبخارى « فقال رسول اللّه ﷺ يا أبا بكر، لا تبك »

(**إن أمن الناس علىّ فى ماله وصحبته أبو بكر**) قال العلماء: معناه أكثرهم جودا وسماحة لنا بنفسه وماله، قال النووى: وليس هو من المن، الذى هو الاعتداد بالصنيعة، لأنه أذى مبطل للثواب، ولأن المنة لله ولرسوله ﷺ.

وقال القرطبى: هو من الامتنان، والمراد أن أبا بكر له من الحقوق، ما لو كان لغيره نظيرها لامتن بها، ويؤيده رواية « ليس أحد أمن على » أى يمكن أن يمن على لما له عندى من يد وفى رواية « إن من أَمَنّ الناس علىَّ أبا بكر» وعند الترمذى « ما لأحد عندنا يد، إلا كافأناه عليها، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا، يكافئه الله بها يوم القيامة » زاد فى رواية للطبرانى « منة أعتق بلالا، ومنة هاجر بنبيه » وفى رواية له أيضا « واسانى بنفسه وماله، وأنكحنى ابنته »

(**ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا**) فى الرواية الرابعة « لو كنت متخذا من أمتى أحدا خليلا لاتخذت أبا بكر» وفى الرواية الخامسة « لو كنت متخذا خليلا لتخذت ابن أبى قحافة خليلا » وفى الرواية السادسة « لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت ابن أبى قحافة خليلا » قال أهل اللغة: الخلة أرفع رتبة من المودة والمحبة والصداقة، ولذلك نفى الخليل، وأثبت المحب، فهو صلى الله عليه وسلم يحب أبا بكر وعائشة وفاطمة والحسنين وغيرهم وقال الزمخشرى: الخليل هو الذى يوافقك فى خلالك، ويسايرك فى طريقك، أو الذى يسد خللك، وتسد خلله، أو يداخلك خلال منزلك، وقيل: أصل الخلة انقطاع الخليل إلى خليله، وقيل الخليل من يتخلله سرك، وقيل: من لا يسع قلبه غيرك، وقيل: أصل الخلة الاستصفاء، وقيل: المختص بالمودة، قال الحافظ ابن حجر: وهذا كله بالنسبة إلى الإنسان، أما خلة الله للعبد فبمعنى نصره له، ومعاونته، وفى الرواية الثالثة « وقد اتخذا الله عز وجل صاحبكم خليلا » وفى الرواية السادسة « ولكن صاحبكم خليل الله » ولا ينافى هذا قول أبى هريرة و أبى ذر وغيرهما « أخبرنى خليلى صلى الله عليه وسلم » فذلك جائز لهم، لأن الصحابى يحسن فى حقه الانقطاع إلى النبى ﷺ، وفى الرواية السابعة « ألا إنى أبرأ إلى كل خل من خله » قال النووى: هما بكسر الخاء، فأما الأول فكسره متفق عليه، والخل بمعنى الخليل، وأما قوله « من خله » فبكسر الخاء عند جميع الرواة فى جميع النسخ، والخل الصداقة، وصوب القاضى فتحها، والمعنى على كل: أبرأ من خلة كل خليل أى أن يكون خليلى.

(**ولكن أخوة الإسلام**) فى الرواية الثالثة « ولكنه أخى وصاحبى » وعند البخارى « ولكن أخوة الإسلام ومودته » وعند الطبرانى « ولكن أخوة الإيمان والإسلام أفضل » ولا يعكر عليه اشتراك جميع الصحابة فى هذه الفضيلة، لأن زيادة أبى بكر فى ذلك لا تخفى.

(**لا تبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر**) المراد بالمسجد مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة، والخوخة باب صغير، قد يكون بمصراع، وقد لا يكون، وإنما أصلها فتح فى حائط، كالطاقة تفتح لأجل الضوء، ولا يشترط علوها، وحيث تكون سفلى يمكن الانتقال منها لتقريب الوصول من البيت إلى مكان مطلوب وهو المقصود هنا، ولهذا أطلق عليها - فى رواية للبخارى « باب »، وقيل: لا يطلق عليها « باب » إلا إذا كانت تغلق، وكان أصحاب البيوت المحيطة بالمسجد النبوى، قد فتحوا فى بيوتهم خوخات فى المسجد، وكان لأبى بكر بيت ملاصق، غير بيته

الذى كان فى السنح من عوالى المدينة، وضواحيها، وقد جاء فى بعض الروايات « وأمر بسد الأبواب إلا باب على » وسنتعرض لها فى فقه الحديث، ورواية مسلم « لا تبقين » بضم التاء مع نون التوكيد، مبنى للمجهول، و« خوخة » بالرفع نائب فاعل، أى لا تبقى خوخة، أى لا تبقوا خوخة .

وفى رواية للبخارى « لا يبقين » بفتح الياء الأولى، مبنى للمعلومات أى لا تبقى خوخة، كأنه قال: لا تبقوها حتى لا تبقى، فأضيف النهى إلى الخوخة، والمراد نهيهم عن إبقائها، من إضافة الشىء إلى لازمه.

وفى رواية البخارى « لا يبقين باب إلا سد، إلا باب أبى بكر» وقد ادعى بعضهم أن الباب فى الحديث كناية عن الخلافة، والأمر بالسد كناية عن طلبها، كأنه قال: لا يطلبن أحد الخلافة إلا أبا بكر، فإنه لا حرج عليه فى طلبها. وإلى هذا جنح ابن حبان.

(**عن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول اللّه ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل**) ذكر ابن سعد أن جمعا من قضاعة تجمعوا، وأراد أن يدنوا من أطراف المدينة، فدعا النبى ﷺ عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض، وبعثه فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ثم أمده بأبى عبيدة بن الجراح فى مائتين، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن لا يختلفا، فأراد أبو عبيدة أن يؤم، فمنعه عمرو، وقال: إنما قدمت على مددا، وأنا الأمير، فأطاع له أبو عبيدة، فصلى بهم عمرو، وروى الحاكم « أن عمرو بن العاص أمرهم فى تلك الغزوة أن لا يوقدوا نارا، وذلك فى ليلة باردة، فأنكر عمر ذلك، فقال له أبو بكر: دعه، فإن رسول اللّه ﷺ لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب، فسكت عنه » وروى ابن حبان نحو هذا، وفى رواية « فقال عمرو: لا يوقد أحد منكم نارا إلا قذفته فيها، فلقوا العدو، فهزموهم، فأرادوا أن يتبعوهم، فمنعهم، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ ، فسأله، فقال: كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا، فيرى عدوهم قلتهم، وكرهت أن يتبعوهم، فيكون لهم مدد هناك. فحمد رسول اللّه ﷺ أمره، فقال: يا رسول اللّه، من أحب الناس إليك؟ ... الحديث، وكانت الغزوة فى أوائل السنة الثامنة، عقب إسلام عمرو بن العاص فعند أبى عوانة وابن حبان والحاكم « قال عمرو بن العاص: بعث إلى النبى ﷺ يأمرنى أن آخذ ثيابى وسلاحى، فقال: يا عمرو، إنى أريد أن أبعثك على جيش، فيغنمك اللّه ويسلمك. قلت: إنى لم أسلم رغبة فى المال. قال: « نعم المال الصالح للرجل الصالح ».

(**فأتيته فقلت: أى الناس أحب إليك؟ قال عائشة. قلت: من الرجال؟ قال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: عمر. فعد رجالا**) كان هذا الإتيان بعد عودته من الغزوة، وبعد سؤاله صلى اللّه عليه وسلم عما حدث فيها، وتبين رواية البيهقى دوافعه إلى هذا السؤال، ولفظها « قال عمرو: فحدثت نفسى أنه لم يبعثنى على قوم، فيهم أبو بكر وعمر، إلا لمنزلة لى عنده » وقوله « فعد رجالاً » أى ذكر أسماء بعد أبى بكر وعمر، ولم يذكره فى أحب الناس إليه، والظاهر أن ممن عدهم أبا عبيدة، المذكور فى الرواية التاسعة، والذى جعلته عائشة ثالث وآخر من ذكر، زاد فى رواية على بن عاصم « قال: قلت فى نفسى: لا أعود لمثلها، أسأل عن هذا » وفى المغازى « فسكت، مخافة أن يجعلنى فى آخرهم » وقيل: إن عليا ﷺ كان ممن أبهمه عمرو بن العاص، وتقول الرافضة: إن إبهامه عليا كان لما بينه وبينه، رضى اللّه عنهم.

(**أرأيت**) أى أخبرنى.

(**إن جئت فلم أجدك؟**) قال جبير الراوى: كأنها تعنى الموت، وفى رواية « تعرض بالموت ومرادها: إن جئت فوجدتك قد مت، ماذا أعمل؟ والظاهر أن هذه القصة كانت فى أثناء مرضه صلى الله عليه وسلم، وكان طلب عودتها له بعد زمن.

(**ادعى لى أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابا**) فى رواية للبخارى « لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبى بكر وابنه » وفى رواية « أو آتيه » قيل: يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم كان يستميل بذلك قلب عائشة، وكأنه يقول لها: كما أن الخلافة ستفوض إلى أبيك، فإن ذلك يقع بحضور أخيك.

قال النووى: قال القاضى: صوب بعضهم رواية « آتيه » وليس كما صوب، بل الصواب « وابنه » وهو أخو عائشة، وتوضحه رواية لمسلم « أخاك » ولأن إتيان النبى ﷺ كان متعذرا أو متعسرا، وقد عجز عن حضور الجماعة، واستخلف الصديق، ليصلى بالناس، واستأذن أزواجه أن يمرض فى بيت عائشة.

ومعنى « حتى أكتب كتابا » أى أعهد فيه بالخلافة من بعدى.

(**فإنى أخاف أن يتمنى متمن**) الخلافة، وهو لا يستحقها، وفى رواية للبخارى « أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون » بضم النون، جمع متمنى بكسرها. أى كراهة أن يقول القائلون: الخلافة لفلان، من غير استحقاق، أو يتمناها المتمنون ويطالبون بها من غير استحقاق.

(**ويقول قائل: أنا أولى**) قال النووى: فى بعض النسخ المعتمدة « أنا، ولا » بتخفيف النون واللام، أى يقول: أنا أحق بالخلافة، وليس كما يقول فأنا مبتدأ، خبره محذوف، و « لا » متضمنة معنى جملة حالية- وفى بعض النسخ « أنا أولى » أى أحق بالخلافة. قال القاضى: هذه الرواية أجودها، ورواه بعضهم « أنا ولى » بتخفيف النون وكسر اللام، أى أنا أحق، والخلافة لى- فأنا مبتدأ خبره محذوف، و « لى » خبر لمبتدأ محذوف، والجملة الثانية معطوفة على الأولى- وعن بعضهم « أنا ولاه » بتشديد اللام، أى أنا الذى ولاه النبى ﷺ، وعن بعضهم « أنى ولاه » بتشديد النون المفتوحة، أى كيف ولاه.

(**ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**) فى رواية البخارى « ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون » أى يأبى الله إلا خلافة أبى بكر، ويدفع المؤمنون خلافة غيره، أو يدفع الله خلافة غير أبى بكر ويأبى المؤمنون إلا خلافته، أى سيكون ذلك بدون عهد، فلا داعى للعهد، علم ذلك من الوحى.

(**ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة**) أى بدون عذاب، أو مع السابقين، وعند البخارى « فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة. ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد. ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام، باب الريان. فقال أبو بكر: ما على هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر».

(بينما رجل يسوق بقرة له، قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة، فقالت: إنى لم أخلق لهذا، ولكنى إنما خلقت للحرث) فى رواية للبخارى « بينما رجل راكب على بقرة، التفتت إليه، فقالت: لم أخلق لهذا، خلقت للحراثة » فتبين أن معنى قوله « قد حمل عليها » أى حمل عليها نفسه، أو نفسه ومتاعه، وقوله فى روايتنا « إنما خلقت للحرث » فيه قصر ادعائى، أو إضافى، قصر قلب، فقد اتفقوا على جواز أكلها، وفى رواية للبخارى « بينما رجل يسوق بقرة، إذ ركبها فضربها... إلخ ».

(فقال الناس: سبحان الله ؟؟؟ تعجباً وفزعاً، أبقرة تكلم ؟) أى تتكلم، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً، والمراد من الناس الصحابة المستمعون لهذا الحديث من النبى ﷺ، والاستفهام تعجبى، والقصة مذكورة عن بنى إسرائيل.

(فإنى أومن به أنا وأبو بكر وعمر) وهذا محمول على أنه صلى الله عليه وسلم كان قد أخبرهما بذلك، فصدقاه، أو أطلق ذلك لما علم عنهما من أنهما يصدقان بذلك، إذا علما بقوله، أو سمعاه منه، ولا يترددان فيه، ففى ملحق الرواية « وما هما ثم » بفتح الثاء، أى وما هما هناك فى هذه الجلسة، وهو من كلام الراوى، وفى رواية للبخارى « قال أبو سلمة: وما هما يؤمئذ فى القوم ».

(عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعى حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب، فقال له من لها يوم السبع؟ يوم ليس لها راع غيرى؟ فقال الناس سبحان الله!!) الظاهر أنهما حديثان، حديث البقرة، وحديث الذئب، ذكرهما أبو بكر فى جلسة، وأخذهما عن الرسول ﷺ فى جلستين، وفى ملحق الرواية اقتصار على أحدهما، وذكرهما البخارى مجتمعتين فى رواية له، وفيها « فقال له الذئب: هذا، استنقذتها منى » أى هذا اليوم استطعت أن تغلبنى وتنقذها منى » فمن لها يوم السبع »؟ الاستفهام إنكارى بمعنى النفى، أى فلا أحد لها ينقذها منى يوم السبع، بضم الباء وسكونها، ولكن الرواية بالضم، والمراد من السبع الحيوان المعروف، أى لا أحد منكم يستطيع أن ينقذها يوم يأخذها السبع، أى أنك تهرب، وأكون أنا قرباً منه، أرعى ما يفضل لى منها، ولا راعى لها حينئذ غيرى، وقيل: إنما يكون ذلك عند الاشتغال بالفتن، فتصير الغنم هملا، فتنهبها السباع » فيصير الذئب كالراعى لها، لانفراده بها، وقوله « يوم ليس لها راع غيرى » مبالغة فى تمكنه منها، زاد البخارى فى رواية « فقال الناس: سبحان الله!! ذئب يتكلم؟ ».

فقه الحديث

الصحابى، من هو؟ وما حقوقه؟

قال الحافظ ابن حجر: اسم صحبة النبى ﷺ مستحق لمن صحبه، أقل ما يطلق عليه اسم صحبة لغة، وإن كان العرف يخص ذلك ببعض الملازمة.

ويطلق أيضاً على من رآه رؤية، ولو على بعد. وهذا الراجح. إلا أنه هل يشترط فى الرائى أن يكون بحيث يميز ما رآه؟ أو يكتفى بمجرد حصول الرؤية؟ محل نظر، قال: وعمل من صنف فى الصحابة

يدل على الثاني، فإنهم ذكروا محمد بن أبى بكر الصديق، وإنما ولد قبل وفاة النبى ﷺ بثلاثة أشهر وأيام، ومع ذلك فأحاديث هذا الضرب مراسيل، والخلاف الجارى بين الجمهور وبين أبى إسحق الأسفرايني ومن وافقه على رد المراسيل مطلقا، حتى مراسيل الصحابة، لا يجرى فى أحاديث هؤلاء، لأن أحاديثهم ليست من قبيل مراسيل كبار التابعين ولا من قبيل مراسيل الصحابة الذين سمعوا من النبى ﷺ، وهذا مما يلغز به، فيقال: صحابى حديثه مرسل، لا يقبله من يقبل مراسيل الصحابة، ومنهم من بالغ، فكان لا يعد فى الصحابة إلا الصحبة العرفية، فقد جاء عن عاصم الأحول، قال « رأى عبد اللّه بن سرجس رسول اللّه ﷺ، غير أنه لم يكن له صحبة » أخرجه أحمد، كذلك روى عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يعد فى الصحابة إلا من أقام مع النبى ﷺ سنة فصاعداً، أو غزا معه غزوة فصاعدا. قال الحافظ: والعمل على خلاف هذا القول، لأنهم اتفقوا على عد جمع جم فى الصحابة لم يجتمعوا بالنبى ﷺ إلا فى حجة الوداع، ومن اشترط الصحبة العرفية أخرج من له رؤية، أو من اجتمع به، لكن فارق عن قرب، كما جاء عن أنس « أنه قيل له: هل بقى من أصحاب النبى ﷺ غيرك؟ قال: لا » مع أنه كان فى ذلك الوقت عدد كثير ممن لقيه من الأعراب.

ومنهم من اشترط أن يكون حين اجتماعه به بالغا، وهو مردود أيضا، لأنه يخرج مثل الحسن بن على ونحوه من أحداث الصحابة. والبخارى يقول: من صحب النبى ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه. وقيد « من المسلمين » قيد يخرج به من صحبه أو رآه من الكفار، فأما من أسلم منهم بعد موته، فإن كان قوله « من المسلمين » حالا، خرج من هذه صفته، وهو المعتمد.

قال: ويرد على التعريف، من صحبه أو رآه مؤمنا به، ثم ارتد بعد ذلك، ولم يعد إلى الإسلام، فإنه ليس صحابيا اتفاقًا، فينبغى أن يزاد فيه « ومات على ذلك » فلو ارتد ثم عاد إلى الإسلام لكن لم يره ثانيا بعد عودته، فالصحيح أنه معدود فى الصحابة، لإطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس ونحوه، ممن وقع له ذلك، وإخراجهم أحاديثهم فى المسانيد.

قال الحافظ: وهل يختص جميع ذلك ببنى آدم؟ أو يعم غيرهم من العقلاء؟.

أما الجن فالراجح دخولهم، لأن النبى ﷺ بعث إليهم قطعاً، وهم مكلفون، فيهم العصاة والطائعون، فمن عرف اسمه منهم لا ينبغى التردد فى ذكره فى الصحابة، وإن كان ابن الأثير عاب ذلك على أبى موسى، فلم يستند فى ذلك إلى حجة.

وأما الملائكة فيتوقف عدهم فيهم على ثبوت بعثته إليهم، فإن فيه خلافاً بين الأصوليين، حتى نقل بعضهم الإجماع على ثبوته، وعكس بعضهم.

وهذا كله فيمن رآه، وهو فى الحياة الدنيوية. أما من رآه بعد موته وقبل دفنه، فالراجح أنه ليس بصحابى، وإلا لعد من اتفق أن يرى جسده المكرم وهو فى قبره المعظم، ولو فى هذه الأعصار، وكذلك من كشف له عنه من الأولياء فرآه كذلك عن طريق الكرامة، إذ حجة من أثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه أنه مستمر الحياة، وهذه الحياة ليست دنيوية وإنما هى أخروية، لا تتعلق بها أحكام الدنيا، فإن الشهداء أحياء، ومع ذلك فإن الأحكام المتعلقة بهم بعد القتل جارية على أحكام غيرهم من الموتى.

ثم قال: وكذلك المراد بهذه الرؤية من اتفقت له ممن تقدم شرحه وهو يقظان، أما من رآه فى المنام، وإن كان قد رآه حقاً، فذلك مما يرجع إلى الأمور المعنوية، لا الأحكام الدنيوية، فلذلك لا يعد صحابياً، ولا يجب عليه أن يعمل بما أمره به فى تلك الحالة.

هذا آخر ما ذكره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى، وقد أحال بسط المسألة إلى ما جمعه من علوم الحديث.

وخلاصة هذه الأقوال

أن من أسلم من بنى آدم وأقام مع النبى ﷺ بالغا عاقلا، سنة فصاعداً، أو غزا معه غزوة فأكثر، واستمر على إسلامه حتى مات فهو صحابى باتفاق. فإذا فقد وصفاً من هذه الأوصاف ففى استحقاق وصف الصحبة خلاف بين المحدثين، من ذلك:

١- من اتصف بهذه الصفات من غير بنى آدم كالجن. ثم الملائكة.

٢- من رآه حياً لحظة، بالغا عاقلا مسلما واستمر على إسلامه حتى مات.

٣- من رآه حيا لحظة - ولو طفلا مسلما واستمر على إسلامه حتى مات.

٤- من رأى جسده الشريف بعد موته، مسلماً واستمر على إسلامه حتى مات.

٥- من كشف له عنه من الأولياء، فرآه بعد موته على سبيل الكرامة.

٦- من رآه مسلماً، ثم ارتد، ثم أسلم، ولم يره بعد عودته إلى الإسلام.

٧- من رآه مميزا غير بالغ مسلما واستمر على إسلامه حتى مات.

٨- من رآه طفلا مسلما واستمر على إسلامه حتى مات.

٩- من عاش معه طويلا كافراً، ثم أسلم بعد وفاته.

وهناك أقوال أخرى لا تستحق الذكر فى هذا المقام.

والتحقيق أن وصف الصحبة ليس وصفا يمنح، وإنما هو شرف يستحق، له مؤهلات، وله حقوق، فمن حقوقه:

(أ) صيانة صاحبه من السب والتجريح فوق صيانة المسلم، لحرمة فيه، فوق حرمة الإسلام، ففى إذائه إيذاء لرسول الله ﷺ، وفى ذلك يقول « لا تؤذونى فى أصحابى » ولا شك أن الإنسان يتأذى بإيذاء صاحبه وحبيبه أكثر مما يتأذى بإيذاء غيره.

(ب) تقديره بتقدير ما قدم فى خدمة الإسلام من جهاد ونشر للدعوة، وإنفاق فى وقت الحاجة والضيق، فقد بذل نفسه وماله فى سبيل الإسلام، وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده! لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » قال ذلك لبعض أصحابه، وكأنه عنى البعض الذى قدم.

(جـ) اعتماد رواياتهم عن النبى ﷺ فهم الذين سمعوا ورأوا بدون واسطة، وهم الذين خوطبوا بالشريعة، وهم حملتها إلينا، وهم الذين عنوا بها وحفظوها، وآراؤهم وفتاواهم وتفسيراتهم أقوى وأهم وأحق قبولا من آراء غيرهم.

(د) وجوب الإمساك عن تنقيصهم، عند ذكر ما ينقصهم من الأعمال، فلعل ما قدموا من الخير يفوق بكثير ما يؤخذ عليهم من قصور، وفى ذلك يقول صلى اللّٰه عليه وسلم عن حاطب بن أبى بلتعة - وقد اتهم بتسريب أخبار المسلمين إلى كفار قريش - «لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم».

فإذا ما أريد بوصف الصحبة هذه المعانى، وهذه الحقوق، لم يستحقه إلا النوع الأول المتفق عليه، وهو من أسلم من بنى آدم وأقام مع النبى ﷺ بالغا عاقلا، سنة فصاعداً، أو غزا معه غزوة فأكثر، واستمر على إسلامه، حتى مات. دون الأنواع التسعة الأخرى.

أما إذا أريد بوصف الصحبة مجرد الوصف، فلا مانع من إطلاقه على كل الأنواع، حتى على من سيدخل النار، ممن شهد النبى ﷺ مسلماً، ففى الحديث الصحيح أن ناساً من أصحابه صلى اللّٰه عليه وسلم يذادون عن حوضه يوم القيامة، فيقول: أصحابى. أصحابى؟ أين تذهبون بهم؟ فيقال: إلى النار، إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا. سحقا.

وقد اهتم الإمام النووى بالحق الرابع (د). وهو وجوب الإمساك عن تنقيصهم، فقال: وأما الحروب التى جرت فكانت لكل طائفة شبهة، اعتقدت تصويب أنفسها بسببها، وكلهم عدول - رضى اللّٰه عنهم- ومتأولون فى حروبهم وغيرها، ولم يخرج شىء من ذلك أحداً منهم عن العدالة، لأنهم مجتهدون، اختلفوا فى محل الاجتهاد، كما يختلف المجتهدون بعدهم فى مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم.

قال: واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم، وصاروا ثلاثة أقسام:

قسم ظهر له بالاجتهاد أن الحق فى هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغى عليه - فيما اعتقدوه - ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل فى قتال البغاة فى اعتقاده.

وقسم عكس هؤلاء، ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق فى الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدته، وقتال الباغى عليه.

وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين، فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب فى حقهم، لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم، حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه، لما جاز لهم التأخر عن نصرته فى قتال البغاة عليه، فكلهم معذورون. رضى اللّٰه عنهم، ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به فى الإجماع على قبول شهاداتهم، ورواياتهم، وكمال عدالتهم. رضى اللّٰه عنهم أجمعين. اهـ

ونحن نقدر مشاعر الإمام النووى فى تبرئة ساحتهم جميعاً رضى اللَّه عنهم، لكنا لا نوافق على تعميم هذه البراءة، فهم بشر، وليسوا معصومين، وكان فى جيوش النبى ﷺ ومن أصحابه من يقاتل للمغنم، ومن يقاتل حمية، ومن يقاتل للغضب، ومن يقاتل ليرى مكانه، ولا شك أن هذه الدوافع كانت موجودة فى جيش عائشة وعلى رضى اللَّه عنهما فى موقعة الجمل التى قتل فيها نحو عشرة آلاف من خيرة الصحابة والتابعين، ثم موقعة صفين، وقبلهما الفتنة الكبرى ومقتل عثمان ﷺ. ومع أننا لا نبرئ ساحة الجميع - لأن تبرئتهم تقربنا من السوفسطائية شعبة العندية، التى ترى أن الحق يختلف باختلاف ما عند كل واحد - إلا أننا نمسك عن لوم وتعنيف وذم أحد منهم، فلهم من الفضل ما يحملنا على التوقف عن الإساءة إليهم، وإن اعتقدنا أن الصواب كان فى هذا الجانب، دون هذا الجانب. رضى اللَّه عنهم أجمعين.

التفاضل بين الصحابة

والكلام فيه فى مقامين:

مقام التفاضل بين الخلفاء الأربعة، ومقام التفاضل بين أزواجه صلى اللَّه عليه وسلم وبناته.

أما المقام الأول فقد روى البخارى عن ابن عمر رضى اللَّه عنهما قال: « كنا نخير بين الناس فى زمن النبى ﷺ ، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، رضى اللَّه عنهم » وفى رواية له « كنا لا نعدل بأبى بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فلا نفاضل بينهم » وله عند أبى داود « كنا نقول -ورسول اللَّه ﷺ: حى- أفضل أمة النبى ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان » زاد الطبرانى « فيسمع رسول اللَّه ﷺ ذلك، فلا ينكره » قال الحافظ ابن حجر: وتقديم « عثمان » على « على » رضى اللَّه عنهما هو المشهور عند جمهور أهل السنة، وذهب بعض السلف إلى تقديم « على » على « عثمان » وممن قال به سفيان الثورى، ويقال: إنه رجع عنه، وقال به ابن خزيمة وطائفة قبله وبعده، وقال مالك فى المدونة: لا يفضل أحدهما على الآخر، وتبعه جماعة.

وقال ابن معين: من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، وعرف لعلى سابقتيه و فضله فهو صاحب سنة، وأنكر ابن معين رأى قوم - وهم العثمانية، الذين يغالون فى حب عثمان، ويستنقصون عليا، وقال فيهم قولا غليظا.

قال الحافظ ابن حجر: ولا شك فى أن من اقتصر على ثلاثة، ولم يعرف لعلى بن طالب فضله فهو مذموم، وادعى ابن عبد البر أنهم أجمعوا على أن عليا أفضل الخلق بعد الثلاثة، قال: ودل هذا الإجماع على أن حديث ابن عمر [التوقف عند الثلاثة] غلط، وإن كان السند صحيحا، وتعقب بأنه لا يلزم من سكوتهم إذ ذاك عن تفضيله، عدم تفضيله على الدوام، وتعقب أيضا بأن الإجماع المذكور الذى ادعاه، إنما حدث بعد الزمن الذى قيده ابن عمر، فيخرج حديثه عن أن يكون غلطا. قال الحافظ ابن حجر: وأظن أن ابن عبد البر إنما أنكر الزيادة التى وقعت فى رواية ابن عمر، وهى قوله « ثم نترك أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فلا نفاضل بينهم » ولا يلزم من تركهم التفاضل إذ ذاك أن لا يكونوا اعتقدوا بعد ذلك تفضيل « على » على من سواه.

وذهب قوم إلى أن أفضل الصحابة من استشهد فى حياة النبى ﷺ، وذكر منهم جعفر بن أبى طالب، ومنهم من ذكر العباس، قال الحافظ: وهو قول مرغوب عنه، ليس قائله من أهل السنة، ولا من أهل الإيمان.

وذهب قوم، وهم الخطابية إلى أن أفضل الصحابة مطلقا عمر، متمسكا بالحديث الآتى فى ترجمته، فى المنام الذى فيه فى حق أبى بكر «وفى نزعه ضعف» وهو تمسك واه.

وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم «على» على «عثمان».

وقال أبو منصور البغدادى: أصحابنا مجمعون على أن أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة على الترتيب، ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، وممن له مزية أهل العقبتين من الأنصار، وكذلك السابقون الأولون، وهم من صلى إلى القبلتين.

قال النووى: واختلف العلماء فى أن التفضيل المذكور قطعى؟ أم لا، وهل هو فى الظاهر والباطن؟ أم فى الظاهر خاصة، وممن قال بالقطع أبو الحسن الأشعرى، قال: وهم فى الفضل على ترتيبهم فى الإمامة، وممن قال: إنه اجتهادى ظنى أبو بكر الباقلانى.

ثم قال النووى: وأما عثمان ﷺ فخلافته صحيحة بالإجماع، وقتل مظلوما، وقتلته فسقة، لأن موجبات القتل مضبوطة، ولم يجر منه رضي اللّه عنه ما يقتضيه، ولم يشارك فى قتله أحد من الصحابة، وإنما قتله همج ورعاع من غوغاء القبائل، وسفلة الأطراف والأراذل، تحزبوا، وقصدوه من مصر، فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم، فحصروه، حتى قتلوه رضي اللّه عنه. قال: وأما على ﷺ فخلافته صحيحة بالإجماع، وكان هو الخليفة فى وقته، لا خلافة لغيره.

وأما معاوية ﷺ فهو من العدول الفضلاء، والصحابة النجباء رضى اللّه عنهم.

أما عن المقام الثانى، وهو التفاضل بين أمهات المؤمنين وبنات النبى ﷺ فيقول النووى: اختلف العلماء فى عائشة وخديجة، أيتهما أفضل؟ وفى عائشة وفاطمة رضى اللّه عنهما. اهـ وسيأتى مزيد لهذه المسألة فى باب فضائل خديجة وباب فضائل عائشة، وباب فضائل فاطمة رضى اللّه عنهن جمعاء.

من فضائل أبى بكر ﷺ

أما عن فضائل أبى بكر ﷺ فقد ذكر البخارى زيادة عما ذكر فى بابنا حديث ابن عمر الذى ذكرناه وحديث عمار ﷺ قال «رأيت رسول اللّه ﷺ، وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر» أما الأعبد فهم: بلال، وزيد بن حارثة، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر، فإنه أسلم قديما مع أبى بكر، وكان ممن يعذب فى اللّه، فاشتراه أبو بكر وأعتقه، وأبو فكيهة، مولى صفوان بن أمية بن خلف، أسلم حين أسلم بلال، فعذبه أمية، فاشتراه أبو بكر، فأعتقه، وأما الخامس فقيل: بشقران، وقيل عمار بن ياسر، وأما المرأتان فخديجة وأم أيمن.

كما ذكر البخارى حديث أبى الدرداء ﷺ، قال: كنت جالسا عند النبى ﷺ، إذ أقبل أبو بكر، آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته، فقال النبى ﷺ: أما صاحبكم فقد غامر» أى حصلت له خصومة

ومغـامرة « فسلم، وقـال: يـا رسـول اللّه، إنى كـان بينى وبيـن ابـن الخطاب شيء، فأسرعت إليـه » فـى رواية « فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه مغضبا، فاتبعه أبو بكر»

« ثم ندمت، فسألته أن يغفر لى، فأبى على، فأقبلت إليك. فقال: يغفر اللّه لك يـا أبا بكر. ثلاثـا، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبى بكر، فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبى ﷺ، فجعل وجه النبى ﷺ يتمعر» أى تذهب نضارته من الغضب، وفى رواية « فجلس عمر، فأعرض عنه - أى النبى ﷺ - ثم تحول، فجلس إلى الجانب الآخر، فأعرض عنه، ثم قام، فجلس بين يديه، فأعرض عنه، فقال: يا رسول اللّه، ما أرى إعراضك إلا لشيء بلغك عنى، فما خير حياتى وأنت معرض عنى؟ فقال: أنت الذى اعتذر إليك أبو بكر فلم تقبل منه؟ يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تفعل؟ » « وأشفق أبو بكر، فجثا على ركبتين، فقال: يا رسول اللّه! واللّه أنا كنت أظلم - مرتين » « قال عمر: والذى بعثك بالحق، ما من مرة يسألنى إلا وأنا أستغفر له، وما خلق اللّه من أحد أحب إلى منه بعدك، فقال أبو بكر: وأنا والذى بعثك بالحق كذلك » « فقال صلى اللّه عليه وسلم يخاطب عمر: فهل أنتم تاركوا لى صاحبى » ؟ مرتين « فما أوذى بعدهما ».

كما ذكر حديث أبى هريرة ﷺ قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: « بينـا أنـا نـائم رأيتنى على قليب، عليها دلو، فنزعت منها ما شاء اللّه، ثم أخذها ابن أبى قحافة، فنزع بها ذنوبا أو ذنوبين، وفى نزعه ضعف، واللّه يغفر له ضعفه، ثم استحالت غربا، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن » أى حتى رويت الإبل فأناخت.

ثم ذكر حديث وفاة النبى ﷺ، ثم حديث خطبته فى سقيفة بنى ساعدة عند البيعة له بالخلافة ثم حديث تبشير أبى بكر بالجنة، ثم حديث « أثبت أحد، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان ».

ويؤخذ من الأحاديث

١- من الرواية الأولى عظيم توكل النبى ﷺ، حتى فى هذا المقام.

٢- وفيها مدى خوف أبى بكر ﷺ على رسول اللّه ﷺ.

٣- من قوله « ماظنك با ثنين، اللّه ثالثهما » منقبة ظاهرة لأبى بكر ﷺ.

٤- ومن الرواية الثانية من قول أبى بكر: فديناك بآبائنا وأمهاتنا جواز التفدية.

٥- والترغيب فى اختيار الآخرة على الدنيا.

٦- والإشارة بالعلم الخاص، دون التصريح، لإثارة أفهام السامعين.

٧- وتفاوت العلماء فى الفهم.

٨- وشكر المحسن والتنويه بفضله، والثناء عليه.

٩- من أحاديث الأمر بسد الخوخات واستثناء خوخة أبى بكر خصوصية عظيمة لأبى بكر ﷺ.

١٠- قال ابن بطال: فيه أن المرشح للإمامة يخص بكرامة تدل عليه، كما وقع فى حق الصديق فى هذه القصة.

١١- وقال الحافظ ابن حجر: ويؤخذ منه أن للخليل صفة خاصة، تقتضى عدم المشاركة فيها.

١٢- وأن المساجد تصان عن التطرق إليها لغير ضرورة.

١٣- جاءت بعض الأحاديث بالأمر بسد الأبواب إلا باب على ﷺ، فعند أحمد والنسائى بإسناد قوى، عن سعد بن أبى وقاص، قال: أمرنا رسول اللّه ﷺ بسد الأبواب الشارعة فى المسجد، وترك باب على » وعند الطبرانى فى الأوسط برجال ثقات زيادة « فقالوا: يا رسول اللّه! سددت أبوابنا؟ فقال: ما أنا سددتها، ولكن اللّه سدها » وعن زيد بن أرقم قال: « كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة فى المسجد، فقال رسول اللّه ﷺ: سدوا هذه الأبواب، إلا باب على، فتكلم ناس فى ذلك، فقال رسول اللّه ﷺ: إنى واللّه! ما سددت شيئا ولا فتحته، ولكن أمرت بشىء، فاتبعته » أخرجهما أحمد والنسائى والحاكم، ورجاله ثقات، وعن ابن عباس قال: « أمر رسول اللّه ﷺ بأبواب المسجد، فسدت، إلا باب على » وفى رواية « وأمر بسد الأبواب غير باب على، فكان يدخل المسجد وهو جنب، ليس له طريق غيره » أخرجها أحمد والنسائى، ورجالهما ثقات، وعن جابر بن سمرة قال « أمرنا رسول اللّه ﷺ بسد الأبواب كلها، غير باب على، فربما مر فيه وهو جنب » أخرجه الطبرانى، وعن ابن عمر قال: « كنا نقول فى زمن رسول اللّه ﷺ: رسول اللّه ﷺ خير الناس، ثم أبو بكر، ثم عمر، ولقد أعطى على بن أبى طالب ثلاث خصال، لأن يكون لى واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم: زوجه رسول اللّه ﷺ ابنته، وولدت له، وسد الأبواب إلا بابه فى المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر» أخرجه أحمد، وإسناده حسن، وعند النسائى نحوه، وقال فيه: « وأما على فلا تسأل عنه أحداً، وانظر إلى منزلته من رسول اللّه ﷺ، قد سد أبوابنا فى المسجد، وأقر بابه » ورجاله رجال الصحيح، إلا العلاء، وقد وثقه يحيى بن معين وغيره.

قال الحافظ ابن حجر: وهذه الأحاديث يقوى بعضها بعضا، وكل طريق منها صالح للاحتجاج به، فضلا عن مجموعها. قال: وقد أورد ابن الجوزى هذا الحديث فى الموضوعات، أخرجه من حديث سعد بن أبى وقاص وزيد بن أرقم وابن عمر، مقتصرا على بعض طرقه عنهم، وأعله ببعض من تكلم فيه من رواته، قال الحافظ: وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق، وأعله أيضا بأنه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة فى باب أبى بكر، وزعم أنه من وضع الرافضة، قابلوا به الحديث الصحيح فى أبى بكر. اهـ.

قال الحافظ: وأخطأ فى ذلك خطأ شنيعا، فإنه سلك فى ذلك رد الأحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة، مع أن الجمع بين القصتين ممكن، وقد أشار إلى ذلك البزار فى مسنده، فقال: ورد من روايات أهل الكوفة بأسانيد حسان فى قصة على، وورد من روايات أهل المدينة فى قصة أبى بكر، فإن ثبتت روايات أهل الكوفة فالجمع بينهما بما دل عليه حديث أبى سعيد الخدرى، الذى أخرجه الترمذى « أن النبى ﷺ قال: « لا يحل لأحد أن يطرق هذا المسجد جنبا غيرى وغيرك » والمعنى أن باب على كان إلى جهة المسجد، ولم يكن لبيته باب غيره، فلذلك لم يؤمر بسده، ومحصل الجمع أن الأمر بسد الأبواب وقع مرتين، ففى الأولى استثنى باب على، لما ذكره، وفى الثانية استثنى باب أبي بكر، ولكن لا يتم ذلك إلا بأن يحمل ما فى قصة « على » على الباب الحقيقى، وما فى قصة أبى بكر على الباب المجازى، والمراد به الخوخة، كما صرح به فى بعض طرقه، وكأنهم لما أمروا بسد الأبواب سدوها وأحدثوا خوخا، يستقربون بها الدخول إلى المسجد،

فأمروا بعد ذلك بسدها. فهذه طريقة لا بأس بها فى الجمع بين الحديثين، وبها جمع بين الحديثين المذكورين أبو جعفر الطحاوى فى مشكل الآثار، وأبو بكر الكلاباذى فى معانى الأخبار، وصرح بأن بيت أبى بكر كان له باب من خارج المسجد، وخوخة إلى داخل المسجد، وبيت على لم يكن له باب إلا من داخل المسجد. والله أعلم. هذا ما ذكره الحافظ ابن حجر فى هذه المسألة.

وأميل إلى ما ذهب إليه ابن الجوزى، ففى أحاديث باب «على» ﷺ رائحة الوضع، والجمع الذى جمعوا به بين الحديثين بعيد جدا، من وجوه: الأول أنه يفرق بين الباب والخوخة وهما واحد من حيث الغرض، الذى هو قرب الوصول من البيت إلى المسجد، فكيف ينهى عن أحدهما مرة؟ وعن الثانى أخرى؟ الثانى لو صح أن الأبواب سدت، وبقى باب على، واستحدثت خوخات بدل الأبواب، وسدت الخوخات إلا خوخة أبى بكر. ما مصير باب «على» المستثنى؟ لم يقل أحد إنه ظل مفتوحا بعد سد الخوخات، وإن كان قد سد مع الخوخات سلم لأبى بكر الاختصاص ببقاء خوخته، دون الأبواب والخوخات، الثالث لو كان هذا الجمع واقعا لنقل إلينا فى رواية من الروايات لتبقى فضيلة أبى بكر وتثبت معها - فى الخصلة نفسها فضيلة لعلى، الرابع أن الجمع فى الوقائع والأحداث لا يكون بالاحتمال بل بإثبات الواقعة. والله أعلم.

١٤- ومن الرواية التاسعة، من قول السائل: «من كان مستخلفا لو استخلفه» أن النبى ﷺ لم يعين الخليفة بعده، إذ لو كان هناك نص لما اختلفوا فى اجتماع السقيفة، ولا تفاوضوا فيه، قال الحافظ ابن حجر: وهذا قول جمهور أهل السنة، واستند من قال: إنه نص على خلافة أبى بكر بأصول كلية، وقرائن حالية، تقتضى أنه أحق بالإمامة وأولى بالخلافة. اهـ. من ذلك إمامته للصلاة فى مرض الرسول ﷺ، وروايتنا العاشرة والحادية عشرة.

١٥- ومن الرواية الحادية عشرة إشارة إلى أن نزاعا سيقع، ووقع.

١٦- وفيه إخبار بما سيقع فى المستقبل بعد وفاته، وأن المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره

١٧- وفيه استمالة قلب الزوجة، والإفضاء إليها بما يستره عن غيرها.

١٨- وفى الرواية الثانية عشرة، من فضائل أبى بكر، وأعماله الصالحات.

١٩- وفضيلة أعمال الخير المذكورة.

٢٠- ومن الرواية الثالثة عشرة خرق العادات، وكرامات الأولياء، قال النووى: وهو مذهب أهل الحق.

٢١- وجواز التعجب من خوارق العادات.

٢٢- وتفاوت الناس فى المعارف.

٢٣- وفضيلة ظاهرة لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما.

(فائدة) قال الزبير بن بكار: مات أبو بكر ﷺ بمرض السل، وقال الواقدى: إنه اغتسل فى يوم بارد، فحم، خمسة عشر يوما، وقيل: بل بالسم فى طعام دسته له اليهود، ومات لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، ولم يختلفوا أنه استكمل سن النبى ﷺ، فمات وهو ابن ثلاث وستين، رضي الله عنه.

والله أعلم

(٦٣٣) باب من فضائل عمر رضي الله عنه

٥٣٨٨- ١٤/١ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١٤] قَالَ: وُضِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى سَرِيرِهِ. فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُثْنُونَ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ. قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ. قَالَ فَلَمْ يَرُعْنِي إِلا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بِمَنْكِبِي مِن وَرَائِي، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ. فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ وَقَالَ: مَا خَلَّفْتُ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ. وَايْمُ اللَّهِ! إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ. وَذَاكَ أَنِّي كُنْتُ أُكَثِّرُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» فَإِنْ كُنْتُ لأَرْجُو، أَوْ لأَظُنُّ، أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا.

٥٣٨٩- ١٥/٢ عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه[١٥] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ. مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ. وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ» قَالُوا: مَاذَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «الدِّينَ».

٥٣٩٠- ١٦/٣ عَن حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَن أَبِيهِ رضي الله عنه[١٦]، عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ رَأَيْتُ قَدَحًا أُتِيتُ بِهِ، فِيهِ لَبَنٌ. فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لأَرَى الرِّيَّ يَجْرِي فِي أَظْفَارِي. ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ» قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «الْعِلْمَ».

٥٣٩١- ١٧/٤ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[١٧] قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ، عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ

---

(١٤) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الأَشْعَثِيُّ وَأَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ وَاللَّفْظُ لأَبِي كُرَيْبٍ قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا وَقَالَ الآخَرَانِ أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَن عُمَرَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ
– وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ عَن عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ فِي هَذَا الإِسْنَادِ بِمِثْلِهِ

(١٥) حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَن صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ح وحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَاللَّفْظُ لَهُمْ قَالُوا حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبِي عَن صَالِحٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي أَبُو أُمَامَةَ ابْنُ سَهْلٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ

(١٦) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ أَخْبَرَهُ عَن حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَن أَبِيهِ
– وحَدَّثَنَاه قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَن عُقَيْلٍ ح و حَدَّثَنَا الْحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ كِلاهُمَا عَن يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَن صَالِحٍ بِإِسْنَادِ يُونُسَ نَحْوَ حَدِيثِهِ.

(١٧) حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُول

ذَنُوبَيْـنِ. وَفِـي نَزْعِـهِ، وَاللَّـهُ يَغْفِـرُ لَـهُ، ضَعْـفٌ. ثُـمَّ اسْـتَحَالَتْ غَرْبًـا فَأَخَذَهَـا ابْـنُ الْخَطَّـابِ. فَلَـمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَـنْزِعُ نَـزْعَ عُمَـرَ ابْـنِ الْخَطَّـابِ، حَتَّـى ضَـرَبَ النَّاسُ بِعَطَـنٍ».

٥٣٩٢- - وفِـي روايـة عَـن أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ(-) قَـالَ: إِنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ قَـالَ: «رَأَيْـتُ ابْـنَ أَبِـي قُحَافَـةَ يَـنْزِعُ» بِنَحْـوِ حَدِيـثِ الزُّهْـرِيِّ.

٥٣٩٣- ١٨/٥ عَـن أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ(١٨)، عَـن رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ قَـالَ: بَيْنَـا أَنَـا نَـائِمٌ، أُرِيـتُ أَنِّـي أَنْـزِعُ عَلَى حَوْضِـي أَسْـقِي النَّـاسَ. فَجَـاءَنِي أَبُـو بَكْـرٍ فَـأَخَذَ الدَّلْـوَ مِـن يَـدِي لِيُرَوِّحَنِي. فَـنَزَعَ دَلْوَيْـنِ. وَفِـي نَزْعِـهِ ضَعْـفٌ. وَاللَّـهُ يَغْفِـرُ لَـهُ. فَجَـاءَ ابْـنُ الْخَطَّـابِ فَـأَخَذَ مِنْـهُ. فَلَـمْ أَرَ نَـزْعَ رَجُـلٍ قَـطُّ أَقْـوَى مِنْـهُ. حَتَّى تَوَلَّـى النَّـاسُ، وَالْحَـوْضُ مَـلآنُ يَتَفَجَّرُ».

٥٣٩٤- ١٩/٦ عَـن عَبْـدِ اللَّـهِ بْـنِ عُمَـرَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا(١٩)، أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ قَـالَ: «أُرِيـتُ كَـأَنِّي أَنْـزِعُ بِدَلْـوِ بَكْـرَةٍ عَلَـى قَلِيـبٍ. فَجَـاءَ أَبُـو بَكْـرٍ فَـنَزَعَ ذَنُوبًـا أَوْ ذَنُوبَيْـنِ. فَـنَزَعَ نَزْعًـا ضَعِيفًـا. وَاللَّـهُ، تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى، يَغْفِـرُ لَـهُ. ثُـمَّ جَـاءَ عُمَـرُ فَاسْـتَقَى. فَاسْـتَحَالَتْ غَرْبًـا، فَلَـمْ أَرَ عَبْقَرِيًّـا مِـنَ النَّـاسِ يَفْـرِي فَرْيَـهُ. حَتَّـى رَوِيَ النَّـاسُ وَضَرَبُـوا الْعَطَـنَ».

٥٣٩٥ ٢٠/٧ عَـن جَـابِرٍ ﷺ(٢٠)، عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ: «دَخَلْـتُ الْجَنَّـةَ فَرَأَيْـتُ فِيهَـا دَارًا أَوْ قَصْـرًا. فَقُلْـتُ: لِمَـنْ هَـذَا؟ فَقَـالُوا: لِعُمَـرَ بْـنِ الْخَطَّـابِ. فَـأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُـلَ. فَذَكَـرْتُ غَـيْرَتَكَ» فَبَكَـى عُمَـرُ وَقَـالَ: أَيْ رَسُـولَ اللَّـهِ! أَوَ عَلَيْـكَ يُغَـارُ؟.

٥٣٩٦- ٢١/٨ عَـن أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ(٢١)، عَـن رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ، أَنَّـهُ قَـالَ: «بَيْنَـا أَنَـا نَـائِمٌ إِذْ رَأَيْتُنِـي

(-) وحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ حَدَّثَنِي أَبِي عَن جَدِّي حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ ح و حَدَّثَنَا عَمْـرٌو النَـاقِدُ وَالْحُلْوَانِـيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَن يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَن صَالِحٍ بِإِسْنَادِ يُونُسَ نَحْوَ حَدِيثِهِ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ
- حَدَّثَنَا الْحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالا حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ حَدَّثَنَا أَبِي عَن صَالِحٍ قَالَ قَالَ الأَعْرَجُ وَغَيْرُهُ

(١٨) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبٍ حَدَّثَنَا عَمِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ أَبَا يُونُسَ مَوْلَـى أَبِـي هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لأَبِي بَكْرٍ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ حَدَّثَنَا عُبَيْـدُ اللَّـهِ بْـنُ عُمَرَ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ سَالِمٍ عَن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَن أَبِيهِ عَن رُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِي اللَّهم عَنهمَا بِنحْوِ حَدِيثِهِمْ.

(٢٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَن عَمْرٍو وَابْنِ الْمُنْكَدِرِ سَمِعَا جَابِرًا يُخْبِرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ح و حَدَّثَنَا زُهَـيْرُ ابْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَن ابْنِ الْمُنْكَدِرِ وَعَمْرٍو عَن جَابِرٍ
- وحَدَّثَنَاه إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَن عَمْرٍو وَابْنِ الْمُنْكَدِرِ عَن جَابِرٍ ح و حَدَّثَنَـا أَبُـو بَكْـرِ بْـنُ أَبِـي شَـيْبَةَ حَدَّثَنَـا سُفْيَانُ عَن عَمْرٍو سَمِعَ جَابِرًا ح و حَدَّثَنَاه عَمْرٌو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ ابْنِ الْمُنْكَـدِرِ سَمِعْتُ جَـابِرًا عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ بِمِثْـلِ حَدِيثِ ابْنِ نُمَيْرٍ وَزُهَيْرٍ.

(٢١) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ أَخْبَرَهُ عَن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ
- وحَدَّثَنِيهِ عَمْرٌو النَّاقِدُ وَحَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيـمَ حَدَّثَنَـا أَبِـي عَـن صَـالِحٍ عَـنِ ابْنِ شِهَابٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

فِي الْجَنَّةِ. فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ. فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ. فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ قَالَ عُمَرُ. بِأَبِي أَنْتَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟.

٥٣٩٧- ٢٢/٩ عَن مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ[٢٢]، أَنَّ أَبَاهُ سَعْدًا قَالَ: «اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِن قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ. عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ. فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ. فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ. فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجِبْتُ مِن هَؤُلاءِ اللاتِي كُنَّ عِنْدِي؟ فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ. ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ! أَتَهَبْنَنِي وَلا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ. أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفَظُّ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

٥٣٩٨- - وفي رواية عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[-]، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ قَدْ رَفَعْنَ أَصْوَاتَهُنَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ. فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ.

٥٣٩٩- ٢٣/١٠ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٢٣]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ. فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ» قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: تَفْسِيرُ مُحَدَّثُونَ مُلْهَمُونَ.

٥٤٠٠- ٢٤/١١ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٢٤] قَالَ: قَالَ عُمَرُ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاثٍ: فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ.

---

(٢٢) حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ ح و حَدَّثَنَا حَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدٌ أَخْبَرَنِي وقَالَ حَسَنٌ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَن صَالِحٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ سَعْدًا

(-) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ حَدَّثَنَا بِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ أَخْبَرَنِي سُهَيْلٌ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٢٣) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ عَن إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ عَن أَبِيهِ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَن أَبِي سَلَمَةَ عَن عَائِشَةَ

- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ ح وحَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالا حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ كِلاهُمَا عَنِ ابْنِ عَجْلانَ عَن سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

(٢٤) حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ أَخْبَرَنَا عَن نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ

٥٤٠١- $\frac{٢٥}{١٢}$ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٢٥] قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أُبَيٍّ، ابْنُ سَلُولَ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ أَنْ يُكَفِّنَ فِيهِ أَبَاهُ. فَأَعْطَاهُ. ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ. فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ فَقَالَ ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾[التوبة/ ٨٠] وَسَأَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ» قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ. فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾[التوبة: ٨٤].

٥٤٠٢- — وفِي رِوايَة عَن عُبَيْدِ اللَّهِ بِهَذَا الإِسْنَادِ، فِي مَعْنَى حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ، وَزَادَ: قَالَ: فَتَرَكَ الصَّلاةَ عَلَيْهِم.

المعنى العام

عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين، مناقبه كثيرة، وفضائله جمة، فهو مؤسس دولة الإسلام كدولة ذات أجهزة إدارية وفنية.

وتعداد المناقب لا يستلزم الحصر، ولا يستلزم أن المذكور أفضلها، فقد تثير الفضيلة الكبرى اعتمادًا على شهرتها، ولقد كان له فضل حسم موضوع الخلافة لأبى بكر رضى اللَّه عنهما، يوم أن مد يده إليه فى سقيفة بنى ساعدة، وقال له: امدد يدك نبايعك بالخلافة، فتتابع الصحابة يبايعون، وكان من أزهد زهاد الدنيا فى خلافته، وأعدل الخلفاء والحكام على الإطلاق.

إن ذكر بعض فضائله فى كتب الحديث كشاهد على غيرها، وكمصباح ينير جوانب الحياة، ومن يشهد له رسول اللَّه ﷺ لا يحتاج شهيدا آخر، فكيف إذا كانت الشهادة عن قرب، وعن طول صحبة، لقد كان عمر من السابقين إلى الإسلام، كان إسلامه مكملا الأربعين من المسلمين، ولم يكن إسلامه إسلام فرد، بل كان إسلام أمة، كان الإسلام يتمناه على لسان رسول اللَّه ﷺ حيث كان يدعو ربه: اللَّهم أعز الإسلام بعمر، وأعز اللَّه به الإسلام حقا. لقد كان المسلمون قبل إسلام عمر يعبدون اللَّه خفية، ويسلم المسلم منهم سرًا عن صناديد قريش. فلما أسلم قال لرسول اللَّه ﷺ: يا رسول اللَّه! أنحن على الحق أم على الباطل؟ قال: نحن على الحق. قال: فعلام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل؟ والذى بعثك بالحق. لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه معلنا الإيمان، وخرج بالصحابة المسلمين صفين من دار أخته إلى المسجد الحرام، والكفار ينظرون، لا يجرءون على الاعتراض، ومن هنا لقب الفاروق، لأنه بإسلامه فرق بين الإسرار بالدعوة والإيمان، وبين الجهر بهما.

---

(٢٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ
– وحَدَّثَنَاه مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالا حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ الْقَطَّانُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بِهَذَا الإِسْنَادِ

ولقد مدحه رسول اللّه ﷺ كثيرًا، وأثنى عليه كثيرًا، وكان من استمرار صحبته له يقول: ذهبت إلى كذا أنا وأبو بكر وعمر، ودخلنا كذا أنا وأبو بكر وعمر، ورجعنا من كذا أنا وأبو بكر وعمر، وآمنت بكذا أنا وأبو بكر وعمر، حتى استقر فى نفوس الصحابة اتصالا فريدًا بين الثلاثة، يوحى بصحبتهم بعد الموت، وقد كان، حيث دفنوا فى مقابر ثلاث فى حجرة واحدة.

كما أشار صلى اللّه عليه وسلم إلى علم عمر وإيمان عمر، وغيرة عمر بما رآه فى منامه صلى اللّه عليه وسلم. وموافقات عمر لأحكام شرعية قبل تشريعها كثيرة منها قول عمر لرسول اللّه ﷺ: لو اتخذنا مقام إبراهيم مصلى، فنزل قوله تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: ١٢٥] وقال للرسول ﷺ: احجب نساءك، حيث يدخل عليك البر والفاجر، فنزلت آية حجاب أمهات المؤمنين، وحاول منع الرسول ﷺ من الصلاة على عبد اللّه بن أبى المنافق، لكن الرسول ﷺ صلى عليه فنزل قوله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾[التوبة: ٨٤].

وهكذا كان عمر رضي الله عنه ينطق بالحق، وهكذا جعل اللّه الحق على لسان عمر وقلبه رضي الله عنه وأرضاه ورضى عن الصحابة أجمعين

المباحث العربية

(**وضع عمر بن الخطاب على سريره**) أى على نعشه، لما مات، وعمر بن الخطاب بن نفيل - بضم النون، مصغرا ابن عبد العزى بن رياح - بكسر الراء وبالياء، ابن عبد اللّه بن قرط بن رزاح - بفتح الراء، ابن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب، يجتمع مع النبى ﷺ فى كعب، وعدد ما بينهما من الآباء إلى كعب متفاوت بواحد، بخلاف أبى بكر، فبين النبى ﷺ وكعب سبعة آباء، وبين عمر وبين كعب ثمانية، وأم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة، ابنة عم أبى جهل والحارث ابنى هشام بن المغيرة، كنيته أبو حفص، كناه بها رسول اللّه ﷺ، وكانت حفصة أكبر أولاده، ولقبه الفاروق، قيل: لقبه بذلك رسول اللّه ﷺ، وقيل: أهل الكتاب، وقيل: جبريل.

(**فتكنفه الناس**) أى أحاطوا به، وأصله جعلوه فى كنفهم، وكنف الإنسان جانبه، وكنفا الرجل حضناه، وكنفا الطائر جناحاه، والمراد من الناس بعض الصحابة وكبارهم.

(**يدعون، ويثنون، ويصلون عليه**) أى يدعون له بخير، ويثنون عليه ثناء جميلا، ويصلون عليه، أى يدعون له بلفظ الصلاة، والصلاة من اللّه الرحمة.

(**قبل أن يرفع**) فى نعشه إلى قبره.

(**وأنا فيهم**) من كلام ابن عباس، أى وأنا محيط به معهم.

(**فلم يرعنى إلا برجل قد أخذ بمنكبى من ورائى**) أى لم يفزعنى إلا رجل، فالباء زائدة، وفى رواية البخارى « فلم يرعنى إلا رجل آخذ منكبى » أى واضع يده على كتفى، والمراد أنه رآه بغتة، وهو منشغل بالمنظر، ففزع.

قال النووى: « يرعنى » بفتح الياء وضم الراء، ومعناه لم يفجأنى إلا ذلك، قال « برجل » هكذا هو فى جميع النسخ، بالباء، أى لم يفجأنى الأمر فى الحال إلا برجل. اهـ.

وجملة « قد أخذ بمنكبى » صفة « رجل ».

(**فالتفت إليه، فإذا هو على، فترحم على عمر**) أى دعا له بالرحمة، وفى رواية للبخارى « فقال: يرحمك اللَّه ».

(**وقال: ما خلفت أحداً أحب إلى أن ألقى اللَّه بمثل عمله منك**) « ما خلفت » بفتح الخاء وتشديد اللام المفتوحة، والتاء للخطاب، والمعنى لا أحد أحب أن ألقى اللَّه بمثل عمله إلا أنت، أى أتمنى أن ألقى اللَّه بمثل عملك.

(**وأيم اللَّه**) « أيم » اسم، خبر لمبتدأ محذوف، أى يمين اللَّه قسمى، وجوز بعضهم جره بحرف القسم.

(**إن كنت لأظن أن يجعلك اللَّه مع صاحبيك**) رسول اللَّه ﷺ وأبى بكر، وفى آخر رواية « فإن كنت لأرجو - أو لأظن - أن يجعلك اللَّه معهما » وإعادة الجملة السابقة للتأكيد، و« إن » مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، أى إن الحال والشأن أننى كنت أظن وأعتقد أن اللَّه سيجعلك فى صحبة صاحبيك فى الجنة وفى الفضل، بل وفى مكان الدفن، فقد استأذن -قبل أن يموت- عائشة فى أن يدفن فى بيتها مع صاحبيه، فأذنت له.

ثم علل هذا الظن أنه فهمه من كثرة الملازمة فى أحاديث رسول اللَّه ﷺ بينه وبين أبى بكر وعمر.

(**بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون وعليهم قمص**) بضم القاف والميم، جمع قميص، والرؤيا رؤيا منام، « ويعرضون » بضم الياء من العرض يوم القيامة، ومقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة آحادًا، أى على كل واحد قميص.

(**منها ما يبلغ الثدى، ومنها ما يبلغ دون ذلك**) « الثدى » بضم الثاء وكسر الدال وتشديد الياء، ومن المعروف أن القميص يلبس على الصدر إلى الركبة غالبا، فكونه إلى الثدى كناية عن القصر والصغر، وكونه دون ذلك أى أعلى من الثدى أو تحت الثدى كناية عن القصر أيضا.

(**ومر عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره**) أى يلبسه، فيسبغ جسمه كله، حتى يجره على الأرض لطوله.

(**قالوا: ماذا أولت ذلك يا رسول اللَّه؟**) جاء فى بعض الروايات أن السائل عن ذلك أبو بكر.

(**قال: الدين**) قال أهل تعبير المنام: القميص فى المنام معناه الدين، وجره يدل على بقاء آثاره الجميلة، وسنته الحسنة فى المسلمين بعد وفاته، ليقتدى به.

(**بينا أنا نائم إذ رأيت قدحا، أتيت به، فيه لبن، فشربت منه**) أى من القدح، أو من اللبن.

(**حتى إنى لأرى الرى يجرى فى أظفارى**) « إنى » يجوز فتح الهمزة وكسرها، ورؤية الرى على سبيل الاستعارة، كأنه لما جعل الرى جسما أضاف إليه ما هو من خواص الجسم، وهو كونه مرئيًّا، وكان الأصل أن يقول: حتى رأيت الرى، بالفعل الماضى، لكنه عبر بالمضارع استحضارًا للصورة، والرؤية بصرية، والرى بكسر الراء، ويجوز فتحها.

(**ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب**) فى رواية البخارى « ثم ناولت عمر» وفى رواية « ثم ناولت فضلى » والفضل والفضيلة ما فضل.

(**قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: العلم**) « العلم » بالنصب، أى أولته العلم، وبالرفع، أى المؤول به هو العلم، وفى رواية « فقالوا: هذا العلم الذى آتاكه الله، حتى إذا امتلأت فضلت منه فضلة، فأخذها عمر، قال: أصبتم » فإن صحت هذه الرواية احتمل أن يكون بعضهم أول، وبعضهم سأل، ووجه التعبير بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم فى كثرة النفع، وكونها سببا للصلاح، فاللبن للغذاء البدنى، والعلم للغذاء المعنوى.

(**بينما أنا نائم رأيتنى على قليب**) « القليب » البئر غير المطوية، أى غير المبينة، وغير المسقوفة.

(**عليها دلو**) « الدلو» يذكر ويؤنث، وفى الرواية الخامسة « أريت أنى أنزع على حوضى، أسقى الناس » وفى الرواية السادسة « أريت كأنى أنزع بدلو بكرة على قليب » « بكرة » بفتح الباء وسكون الكاف على المشهور، وحكى بعضهم تثليث أوله، والمراد الخشبة المستديرة التى يعلق فيها الدلو، فتلف به، قيل: ويجوز إسكان الكاف على أن المراد بها الأنثى الشابة من الإبل، نسبت الدلو إليها، لأنها التى يستقى بها.

(**فنزعت منها ما شاء الله**) استقيت بالدلو، وأخرجت من البئر ماء، ما شاء الله فى كثرته.

(**ثم أخذها ابن أبى قحافة، فنزع بها ذنوبا أو ذنوبين**) « الذنوب » بفتح الذال الدلو المملوءة.

(**وفى نزعه - والله يغفر له - ضعف**) بسكون العين، مع فتح الضاد وضمها، لغتان مشهورتان.

وفى الرواية الخامسة « فجاءنى أبو بكر، فأخذ الدلو من يدى، ليروحنى » بضم الياء وفتح الراء وتشديد الواو المكسورة، أى ليريحنى من النصب والتعب « فنزع دلوين، وفى نزعه ضعف » وفى الرواية السادسة « فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين فنزع نزعا ضعيفا ».

(**ثم استحالت غربا**) « الغرب » بفتح الغين وسكون الراء، الدلو الكبيرة العظيمة، أى ثم تحولت الدلو الصغيرة إلى كبيرة.

(**فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقريا من الناس، ينزع نزع عمر بن الخطاب**) « العبقرى » بكسر الراء وتشديد الياء، قيل: السيد، وقيل: الذى ليس فوقه شىء، وقيل: النافذ الماضى الذى لا شىء يفوقه، قال أبو عمر: عبقرى القوم سيدهم وقيمهم وكبيرهم، والمعنى: فلم أر عظيما من

عظماء الرجال يسقى بدلو، ويخرج ماء من البئر، مثل عمر، وفى الرواية السادسة ورواية البخارى « فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه » « يفرى » بفتح الياء وكسر الراء بينهما فاء ساكنة، و« فريه » قال النووى: روى بوجهين، أحدهما بإسكان الراء وتخفيف الياء، والثانية كسر الراء وتشديد الياء، وهما لغتان صحيحتان، وأنكر الخليل التشديد، وقال: هو غلط، واتفقوا على أن معناه: لم أر سيدا يعمل عمله، ويقطع قطعه، وأصل الفرى بالإسكان القطع، يقال: فريت الشىء أفريه فريا، قطعته للإصلاح، فهو مفرى وفرى، وأفريته إذا شققته على جهة الإفساد. اهـ

وفى الرواية الخامسة « فلم أر نزع رجل قط أقوى منه ».

(**حتى ضرب الناس بعطن**) بفتح العين والطاء، وهو الموضع الذى تساق إليه الإبل بعد السقى، لتسريح، والمعنى: حتى سقى الناس إبلهم، وذهبوا بها إلى مباركها، وزووها، وفى الرواية الخامسة « حتى تولى الناس » أى حتى انصرفوا بإبلهم « والحوض ملآن، يتفجر» وكانوا يخرجون الماء من البئر، ويصبونه فى حوض على حافته، لتشرب الإبل من الحوض، والمراد من تفجر الحوض سيلان الماء من حافته بعد امتلائه.

يقال: ضرب الرجل فى الأرض إذا ذهب وأبعد، وضرب الشىء عليه ألزمه إياه، وضرب الشيء بالشيء، خلطه به، وفى الرواية السادسة « حتى روى الناس، وضربوا العطن » قال النووى، قال القاضى: ظاهره أنه عائد إلى خلافة عمر خاصة، وقيل: يعود إلى خلافة أبى بكر وعمر جميعا، لأن بنظرهما وتدبيرهما وقيامهما بمصالح المسلمين تم هذا الأمر، وضرب الناس بعطن، لأن أبا بكر قمع أهل الردة، وجمع شمل المسلمين وألفهم، وابتدأ الفتوح، ومهد الأمور، وتمت ثمرات ذلك، وتكاملت فى زمن عمر بن الخطاب، رضى الله عنهما.

(**دخلت الجنة، فرأيت فيها دارا أو قصرا، فقلت: لمن هذا؟**) القصر وفى الرواية الثامنة « بينا أنا نائم، إذ رأيتنى فى الجنة، فإذا امرأة توضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا »؟ وفى رواية للبخارى « ورأيت قصرا، بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ » وفى رواية «لمن هذا القصر» ؟ وفى رواية للبخارى « فإذا أنا بالرميضاء، امرأة أبى طلحة » وهى أم سليم، والرميضاء صفة لها، لرمض كان بعينها، وقيل: هو اسم أختها، أم حرام، وقيل: اسم أخت أم سليم من الرضاعة، وجوز ابن التين أن يكون المراد امرأة أخرى لأبى طلحة، وفى رواية للبخارى « وسمعت خشفة » بفتح الخاء والشين والفاء، أى حركة، أو صوتا خفيفا « فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال » قال الحافظ ابن حجر: والظاهر أن المخاطب بقوله « لمن هذا؟ » جبريل أو غيره من الملائكة.

وقوله « تتوضأ » يحتمل أن يكون على ظاهره، ولا ينكر كونها تتوضأ حقيقة، لأن الرؤيا وقعت فى زمن التكليف، والجنة وإن كان لا تكليف فيها، فذاك فى زمن الاستقرار، بل ظاهر قوله « تتوضأ إلى جانب قصر» أنها تتوضأ خارجة منه، أو هو على غير الحقيقة، ورؤيا المنام لا تحمل دائما على الحقيقة، بل تحتمل التأويل، فيكون معنى قوله « تتوضأ » أنها تحافظ فى الدنيا على العبادة، أو المراد بقوله « تتوضأ » أى تستعمل الماء، لأجل الوضاءة، على مدلوله اللغوى، قال الحافظ ابن حجر: وزعم ابن قتيبة والخطابى أن قوله « تتوضأ » تصحيف وتغيير من الناسخ، وإنما الصواب « امرأة شوهاء »

ولم يستند فى هذه الدعوى إلا إلى استبعاد أن يقع فى الجنة وضوء، لأنه لا عمل فيها، وعدم الاطلاع على المراد من الخبر لا يقتضى تغليط الحفاظ، ثم فسر الخطابى « شوهاء » بمعنى حسناء، والكلمة تستعمل فى النقيضين.

(**فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخل، فذكرت غيرتك**) والخطاب لعمر، فقد كان حاضرًا قص الرؤيا، وفى الرواية الثامنة « فذكرت غيرة عمر، فوليت مدبرا » وفى رواية للبخارى « فأردت أن أدخله، فلم يمنعنى إلا علمى بغيرتك »

(**فبكى عمر، وقال: أى رسول اللَّه، أو عليك أغار؟**) « أى » حرف نداء، و«أو» بفتح الواو حرف عطف، والهمزة للاستفهام الإنكارى، والعطف على محذوف، أى أأشك فيك وأغار منك؟ لا يحصل شيء من ذلك، أى لا أشك فيك ولا أغار منك، فأنت عندى ثقة مأمون. وأصل التعبير: أعليها أغار منك، فحصل قلب، وفى رواية الثامنة « قال أبو هريرة: فبكى عمر، ونحن جميعا فى ذلك المجلس، مع رسول اللَّه ﷺ، ثم قال عمر: بأبى أنت يا رسول اللَّه! أعليك أغار»؟ قال ابن بطال: وبكاء عمر يحتمل أن يكون سرورا، ويحتمل أن يكون تشوقا، أو خشوعا، وزاد فى رواية « قال عمر: وهل رفعنى اللَّه إلا بك؟ وهل هدانى اللَّه إلا بك »؟

(**استأذن عمر على رسول اللَّه ﷺ، وعنده نساء من قريش، يكلمنه، ويستكثرنه، عالية أصواتهن**) قال الحافظ ابن حجر: هن من أزواجه، ويحتمل أن يكون معهن من غيرهن، لكن قرينة قوله « يستكثرنه » أى يطلبن منه أكثر مما يعطيهن، يؤيد أنهن من أزواجه صلى اللَّه عليه وسلم، وزعم الداودى أن المراد أنهن يكثرن الكلام عنده، وهو مردود بما وقع التصريح به « أنهن يطلبن النفقة » كذا قال الحافظ ابن حجر، قلت: ومراد الداودى يكثرن الكلام فى طلب زيادة النفقة، فقوله ليس مردودا، بدليل قوله « عالية أصواتهن » زاد البخارى « على صوته » و « عالية » يجوز فيه الرفع على الصفة، والنصب على الحال، « وأصواتهن » بالرفع فاعل « عالية ».

(**فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب**) يقال: ابتدر فلانا بكذا عاجله به، وابتدر القوم الشيء تسارعوا إليه، والظاهر أن المراد من القيام البدء والإنشاء، لكن قوله « عجبت من هؤلاء اللائى كن عندى » يشعر أنهن قمن من مجلسهن، لحجب شخوصهن، لكن خطاب عمر لهن بعد، يوحى بأنهن رجعن إلى جلستهن.

(**أضحك اللَّه سنك**) قال الحافظ ابن حجر: لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك، بل لازمه، وهو السرور، أو نفى ضد لازمه، وهو الحزن.

(**قال عمر: فأنت يا رسول اللَّه، أحق أن يهبن**) أى أنت أحق منى بالهيبة والاحترام والتوقير.

(**ثم قال عمر: أى عدوات أنفسهن**) « أى » بسكون الياء، حرف نداء، ووصفهن بهذا الوصف لأن الذى يفعل الخطأ عدو نفسه، فهو يوقعها فى الضرر.

(**أتهيننى ولا تهبن رسول الله ﷺ؟**) الاستفهام إنكارى توبيخى، أى ما كان ينبغى لكن أن تفعلن ذلك، والإنكار ليس لابتدارهن الحجاب، وإنما لرفع الصوت والمطالبة والإلحاح.

(**أنت أغلظ وأفظ من رسول ﷺ**) قال النووى: الفظ والغليظ بمعنى، وهو عبارة عن شدة الخلق، وخشونة الجانب. قال العلماء: وليست لفظة « أفعل » هنا للمفاضلة، بل هى بمعنى « فظ » و « غليظ » أى فليست الصيغة هنا على أصلها، الذى هو مشاركة اثنين فى صفة وزيادة أحدهما عن الآخر فى هذه الصفة، لأن الرسول ﷺ ليس فيه أصل هذه الصفة، لقوله تعالى ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩] فهذه الصيغة هنا من قبيل قوله تعالى ﴿**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلا**﴾ [الفرقان: ٢٤] - قال القاضى: وقد يصح حملها على المفاضلة، وأن القدر الذى منها فى الرسول ﷺ هو ما كان من إغلاظه على الكافرين والمنافقين، كما قال تعالى﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾ [التوبة: ٧٣] وكان يغضب ويغلظ عند انتهاك حرمات الله.اهـ.

وقوله تعالى ﴿ **وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ نفى تلك الصفة كصفة لازمة، فلا ينافى مجرد وجودها فى بعض الأحوال، فكان صلى الله عليه وسلم يغضب للحق أحيانا، ولا يواجه بالعتاب أو المؤخذة أحيانا، أما عمر فكان يواجه بالمؤاخذة، ويبالغ فى الزجر، حتى كان يضرب بالعصا.

(**والذى نفسى بيده. ما لقيك الشيطان قط، سالكا فجاً، إلا سلك فجاً غير فجك**) الفج الطريق الواسعة قال النووى: هذا محمول على ظاهره، وأن الشيطان يهرب إذا رآه، وقال عياض: يحتمل أن يكون ذاك على سبيل ضرب المثل، وأن عمر فارق سبيل الشيطان، وسلك طريق السداد، فخالف كل ما يحبه الشيطان. قال النووى: والصحيح الأول.

(**قد كان يكون فى الأمم قبلكم محدثون**) قال العلماء: اختلف فى المراد من « محدثون » بفتح الدال المشددة، اسم مفعول، أى يحدثهم الله، أو الملائكة، فقيل: ملهمون، قاله الأكثرون، قالوا: المحدث هو الرجل الصادق الظن، وهو من ألقى فى روعه شيء من قبل الملأ الأعلى، فيكون كالذى حدثه غيره به، وقيل: من يجرى الصواب على لسانه من غير قصد، وقيل: مكلمون - بفتح اللام المشددة، تتكلم الملائكة على لسانهم، وهو قريب من المعنى الأول، فهم مكلمون، لا يرون مكلما فى الحقيقة، فيرجع إلى الإلهام، وفسره ابن التين بالتفرس، وفى مسند الحميدى: المحدث الملهم بالصواب الذى يلقى على فيه، وقيل: المصيب بغير نبوة، وقيل: مفهمون، بفتح الهاء المشددة ، فعند أحمد والترمذى « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ».

(**فإن يكن فى أمتى منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم**) فى رواية للبخارى « لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون - بفتح الياء، أى يتكلمون - من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن فى أمتى منهم أحد فعمر».

وكان الظاهر أن يقول: إن عمر منهم، بدون شك أو ترديد أو تعليق، لأن أمته صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم، وإذا ثبت أن ذلك وجد فى غيرهم، فإمكان وجوده فيهم أولى، وإنما أورده بهذا المورد

للتأكيد، كما يقول الرجل: إن يكن لى صديق فإنه فلان، يريد اختصاصه بكمال الصداقة، لا نفى الأصدقاء. قال الحافظ ابن حجر: وهذا وإن جاز أن يقع، لكنه نادر ممن يكون أمره منهم مبيناً على اتباع الكتاب والسنة، قال: وتمحضت الحكمة فى وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول، فى زيادة شرف هذه الأمة بوجود أمثالهم فيه، وقد تكون الحكمة فى تكثيرهم مضاهاة بنى إسرائيل فى كثرة الأنبياء فيهم، فلما فات هذه الأمة كثرة الأنبياء فيها، لكون نبيها خاتم الأنبياء، عوضوا بكثرة الملهمين. اهـ وهكذا ينحو الحافظ نحو الأولياء والكرامات والإلهامات، ولسنا معه فى هذا النحو، بل نحن مع الطيبى إذ يقول: المراد بالمحدث الملهم، البالغ فى ذلك مبلغ النبى فى الصدق، والمعنى لقد كان فيمن قبلكم من الأمم أنبياء ملهمون، فإن يكن فى أمتى أحد هذا شأنه فهو عمر، فكأنه حكم بانقطاع قرينه فى ذلك، ويؤيده حديث «لو كان بعدى نبى لكان عمر» فلو فيه بمنزلة «إن» أى على سبيل الفرض والتقدير، وقد أخرجه أحمد والترمذى وحسنه وابن حبان والحاكم والطبرانى فى الأوسط.

والسبب فى تخصيص عمر بذلك كثرة ما وقع له زمن النبى ﷺ من الموافقات التى نزل القرآن مطابقا لها، ووقع له بعد النبى ﷺ عدة إصابات.

(**وافقت ربى فى ثلاث**) وقائع، قال الحافظ ابن حجر: والمعنى: وافقنى ربى، فأنزل القرآن على وفق ما رأيت، لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه، أو أشار بذلك إلى حدوث رأيه، وقدم الحكم، قال: وليس فى تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفى الزيادة عليها، لأنه حصلت له الموافقة فى أشياء غير هذه، من مشهورها قصة أسارى بدر، وقصة الصلاة على المنافقين، قال: وأكثر ما وقفنا عليه منها بالتعيين خمس عشرة.اهـ

(**فى مقام إبراهيم**) بدل من «ثلاث» أى فى طلب الصلاة فى مقام إبراهيم، ومقام إبراهيم معروف الآن فى المسجد الحرام، مواجه لباب الكعبة، على مسافة سبعة وعشرين ذراعا وقد أحيط بمقصورة من الزجاج، وعن أصله قيل: إنه الحجر الذى قام عليه إبراهيم حين ارتفع به بناء الكعبة، فأثرت فيه أصابع إبراهيم وعلمت وغاصت، ولكن الناس تماسحوا فيه حتى انمحى الأثر أو كاد، قيل: وكان المقام فى زمن النبى ﷺ ملتصقا بالكعبة، ثم أخره عمر إلى مكانه الآن، لما رأى أن بقاءه يضيق على الطائفين، أو على المصلى، فوضعه فى مكان يرتفع به الحرج، قالوا: وتهيأ له ذلك، لأنه الذى كان قد أشار باتخاذه مصلى، وأول من عمل عليه المقصورة. و«المقام» مفعل من القيام، يراد به المكان، أى مكان قيامه، وذهب النخعى ومجاهد إلى أن المراد من «مقام إبراهيم» فى الآية الحرم كله، وذهب ابن عباس وعطاء إلى أن المراد به مواقف الحج كلها، وذهب الشعبى إلى أن المراد به عرفة ومزدلفة والجمار، ومعنى اتخاذها مصلى على هذه الآراء أن يدعى فيها، ويتقرب إلى اللّه تعالى عندها. والصواب الذى عليه الجمهور هو القول الأول.

وموافقة عمر رضي الله عنه فى مقام إبراهيم أخرج صورتها أبو نعيم من حديث ابن عمر «أن النبى ﷺ أخذ بيد عمر، فقال: يا عمر، هذا مقام إبراهيم، فقال عمر: أفلا تتخذه مصلى؟ فقال: لم أومر بذلك، فلم تغب الشمس حتى نزلت هذه الآية ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾ والأمر فيها للاستحباب، وقيل: الأمر بصلاة ركعتى الطواف عنده، لما أخرجه مسلم عن جابر أن رسول اللّه ﷺ لما فرغ من

طوافه عمد إلى مقام إبراهيم، فصلى خلفه ركعتين، وقرأ الآية ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] والأمر للوجوب على بعض الأقوال.

(**وفى الحجاب**) أى حجاب أمهات المؤمنين، وقد أخرج البخارى عن أنس ﷺ قال: « قال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله تعالى آية الحجاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] - وكان رضى الله تعالى عنه حريصا على حجابهن، وما ذاك إلا حبا لرسول الله ﷺ» وعن عائشة « أن أزواج النبى ﷺ كن يخرجن بالليل، إذا برزن إلى المناصع، وكان عمر ﷺ يقول للنبى ﷺ: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة - رضى الله عنها، ليلة من الليالى عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر ﷺ بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة، حرصا على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله تعالى الحجاب » وذلك إحدى موافقات عمر ﷺ. وأخرج نحوه مسلم وابن جرير.

وأخرج البخارى فى الأدب والنسائى من حديث عائشة رضى الله عنها أنها كانت تأكل معه عليه الصلاة والسلام، وكان يأكل معهما بعض أصحابه، فأصابت يد رجل يدها، فكره النبى ﷺ، وقال عمر: وكان الذى أصابت إصبعه إصبعها: أوه، لو أطاع فيكن ما رأتكن عين، ونزل الحجاب، قال العلماء.ولا يبعد أن يكون مجموع ما ذكر سببا للنزول، وعمر ﷺ فى جميعها سبب للنزول.

(**وفى أسارى بدر**) أسر المسلمون من كفار قريش يوم بدر سبعين رجلا، وقد روى الترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح عن على ﷺ قال: « جاء جبريل إلى النبى ﷺ يوم بدر، فقال: خير أصحابك فى الأسرى، إن شاءوا القتل، وإن شاءوا الفداء، على أن يقتل منهم عاما مقبلا مثلهم. قالوا: الفداء، ويقتل منا » وأخرج مسلم هذه القصة مطولة من حديث عمر، ذكر فيها أنه ﷺ قال: ما ترون فى هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر: أرى أن تأخذ منهم فدية تكون قوة لنا، وعسى الله أن يهديهم، فقال عمر: أرى أن تمكنا منهم، فنضرب أعناقهم، فإن هؤلاء أئمة الكفر، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر» فنزل قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ۝ لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨] فنزل القرآن برأى عمر.

ومن موافقات عمر ﷺ أنه دخل على أمهات المؤمنين، حين تحزين على رسول ﷺ، فحذرهن العواقب، وقال لهن: « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن » فنزلت الآية على وفق ما قال. ومن موافقاته أيضا تحريم الخمر.

ومن أبرز موافقاته ﷺ محاولة منع النبى ﷺ من الصلاة على المنافقين، وستأتى القصة فى روايتنا الثانية عشرة.

(**لما توفى عبد اللّه بن أبى ابن سلول**) « أبى » بضم الهمزة وفتح الباء وتشديد الياء، قال النووى: هكذا صوابه، ويكتب « ابن سلول » بالألف، ويعرب بإعراب « عبد اللّه » فإنه وصف ثان له، لأنه عبد اللّه بن أبى وهو عبد اللّه ابن سلول أيضا، فأُبَى أبوه، « وسلول » أمه، فنسب إلى أبويه جميعا، ووصف بهما، وكانت وفاته - كما ذكر الواقدى - بعد منصرفهم من تبوك، فى ذى القعدة سنة تسع، وكان قد تخلف هو ومن تبعه عن غزوة تبوك، وفيهم نزل قوله تعالى ﴿ **لَوْخَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا** ﴾[التوبة: ٤٧].

(**جاء ابنه عبد اللّه إلى رسول اللّه ﷺ**) كان عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبى من فضلاء الصحابة، وشهد بدراً، وما بعدها، واستشهد يوم اليمامة، فى خلافة أبى بكر الصديق، ومن مناقبه أنه بلغه بعض مقالات أبيه، فجاء إلى النبى ﷺ يستأذنه فى قتله، فقال له: « بل أحسن صحبته »، ولما بلغه قول أبيه « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » يعنى ابن أبى بالأعز نفسه، وبالأذل رسول اللّه ﷺ وقف عبد اللّه هذا على باب المدينة بسيفه، يمنع أباه من دخولها، حتى يقول: إنه الأذل ورسول اللّه ﷺ هو الأعز، فقالها.

(**فسأله أن يعطيه قميصه، أن يكفن فيه أباه، فأعطاه**) فى رواية البخارى « أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه » وعند الطبرى « لما احتضر عبد اللّه جاء ابنه عبد اللّه إلى النبى ﷺ، فقال: يا نبى اللّه! إن أبى قد احتضر، فأحب أن تشهده وتصلى عليه » وقد ورد أن عبد اللّه هذا فعل ذلك بعهد وطلب من أبيه، كما روى « أن النبى ﷺ ذهب إليه ليشهده، فلما دخل عليه قال له: أهلكك حب يهود، فقال: يا رسول اللّه! إنما أرسلت إليك لتستغفر لى، ولم أرسل إليك لتوبخنى، ثم سأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه، فأجابه » وعند الطبرانى « لما مرض عبد اللّه بن أبى، جاءه النبى ﷺ فكلمه، فقال: قد فهمت ما تقول، فامنن على، فكفنى فى قميصك، وصل علىّ، ففعل » ولم يكن ابن أبى مؤمنا، بل منافقا كافرا من أهل النار، لكنه - كما يقول الحافظ ابن حجر: أراد بذلك دفع العار عن ولده وعشيرته بعد موته، فأظهر الرغبة فى صلاة النبى ﷺ، ووقعت إجابته إلى سؤاله، بحسب ما ظهر من حاله إلى أن كشف اللّه الغطاء عن ذلك.

(**فقام رسول اللّه ﷺ ليصلى عليه، فقام عمر، فأخذ بثوب رسول اللّه ﷺ، فقال: يا رسول اللّه! أتصلى عليه، وقد نهاك اللّه أن تصلي عليه؟ فقال رسول اللّه ﷺ: إنما خيرني اللّه تعالى، فقال ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾[التوبة: ٨٠] وسأزيد على سبعين. قال: إنه منافق**) وعند البخارى عن عمر ﷺ قال « لما مات عبد اللّه بن أبى دعى له رسول اللّه ﷺ، ليصلى عليه، فلما قام رسول اللّه ﷺ وثبت إليه، فقلت: يا رسول اللّه! أتصلى على ابن أبى، وقد قال كذا يوم كذا وكذا وكذا؟ قال: أُعَدِّد عليه، فتبسم رسول اللّه ﷺ، وقال: أخر عنى يا عمر. فلما أكثرت عليه. قال: إنى خيرت فاخترت، ولو أنى أعلم أنى إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها ».

والإشكال هنا قول عمر « وقد نهاك اللّه أن تصلى عليه » ولم تكن أية ﴿ **وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا** ﴾ لم تكن نزلت، فمن أين لعمر هذا القول؟ وعلام استند؟ لقد أقدم بعض المحدثين فرد هذه

الرواية، وقال إنها وهم من بعض الرواة، لكن القرطبى قال: لعل ذلك وقع فى خاطر عمر، فيكون من قبيل الإلهام، ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] ويؤيده رواية أخرى للبخارى، وفيها « تصلى عليه وقد نهاك الله أن تستغفر لهم » وعند ابن مردويه « فقال عمر: أتصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه؟ قال: أين؟ قال: قال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فكأن عمر ﷺ فهم من الآية المذكورة أن « أو» ليست للتخيير، بل للتسوية، أى إن الاستغفار لهم، وعدم الاستغفار لهم سواء، وفهم عمر أيضا من قوله ﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ أنها للمبالغة، وأن العدد المذكور لا مفهوم له، بل المراد نفى المغفرة لهم، ولو كثر الاستغفار، فيحصل من ذلك أن الاستغفار لهم عبث نهى عنه، وفهم أيضا أن المقصود الأعظم من الصلاة على الميت الاستغفار له، والشفاعه له، فالنهى عن الاستغفار له يستلزم النهى عن الصلاة.

(فصلى عليه رسول الله ﷺ، وأنزل الله عزوجل ﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ فترك الصلاة عليهم) وعند الواقدى « ما رأيت رسول الله ﷺ أطال على جنازة قط ما أطال على جنازة عبد الله بن أبى من الوقوف » وفى رواية أن عمر ﷺ ترك رأيه، وصلى مع رسول الله ﷺ.

فقه الحديث

وفاة عمر

قصة وفاة عمر ﷺ أخرجها البخارى تحت باب: قصة البيعة والاتفاق على عثمان ﷺ، قال البخارى: وفيه مقتل عمر بن الخطاب ﷺ، أخرجها عن عمرو بن ميمون قال: « إنى لقائم ما بينى وبينه - يقصد عمر - إلا عبد الله بن عباس، غداة أصيب » - كان ذلك بعد عودته من الحج، سنة ثلاث وعشرين - « وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو نحو ذلك فى الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلنى - أو أكلنى - الكلب، حين طعنه، فطار العلج - بكسر العين وسكون اللام، الحمار « بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد، يمينا ولا شمالا، إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه » وعند ابن سعد بإسناد صحيح إلى الزهرى قال: كان عمر لا يأذن لسبى قد احتلم، فى دخول المدينة، حتى كتب المغيرة بن شعبة - وهو على الكوفة - يذكر غلاما عنده صانعا، ويستأذنه أن يدخله المدينة، ويقول: إن عنده أعمالا تنفع الناس، إنه حداد نقاش نجار، فأذن له، فضرب عليه المغيرة كل شهر مائة، فشكى إلى عمر شدة الخراج، فقال له: ما خراجك بكثير، فى جنب ما تعمل، فانصرف ساخطا، فلبث عمر ليالى، فمر به العبد، فقال: ألم أحدث أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح؟ فالتفت إليه عابسا، فقال: لأصنعن لك رحى، يتحدث الناس بها، فأقبل عمر على من معه، فقال: توعدنى العبد، فلبث ليالى، ثم اشتمل على خنجر ذى رأسين، نصابه وسطه، فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس » فى الفجر وقبله « حتى خرج عمر يوقظ الناس: الصلاة. الصلاة. وكان عمر يفعل ذلك، فلما

دنا منه عمر وثب إليه، فطعنه ثلاث طعنات [رواية البخارى « أن الطعن كان بعد أن كبر» أصح من رواية ابن سعد التى فيها « أن القتل كان وهو يسوى الصفوف »] إحداهن تحت السرة، وهى التى قتلته، وفى رواية « كان أبو لؤلؤة عبدا للمغيرة، وكان يستغله أربعة دراهم - أى كل يوم - فلقى عمر، فقال: إن المغيرة أثقل على، فقال: اتق الله، وأحسن إليه، ومن نية عمر أن يلقى المغيرة، فيكلمه، فيخفف عنه، فقال العبد: وسع الناس عدله غيرى؟ وأضمر على قتله، فاصطنع له خنجرا، له رأسان، وسمه، فتحرى صلاة الغداة، حتى قام عمر، فقال: أقيموا صفوفكم، فلما كبر طعنه، فسقط » وعند مسلم « أن عمر خطب، فقال: رأيت ديكا نقرنى ثلاث نقرات، ولا أراه إلا حضور أجلى » زاد فى رواية « فما مر إلا تلك الجمعة، حتى طعن » وفى رواية « طعن أبو لؤلؤة نفرا، فأخذ أبا لؤلؤة رهط من قريش، منهم عبد الله بن عوف فطرح عليه خميصة كانت عليه » وعند ابن سعد « أن عبد الله بن عوف أحتز رأس أبى لؤلؤة، بعد أن نحر نفسه ».

ونعود إلى عمر فى حديث البخارى « وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف، فقدمه، قال عمرو بن ميمونة فمن كان يلى عمر، فقد رأى الذى أرى، وأما من فى نواحى المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله. فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة » فى رواية « بأقصر سورتين فى القرآن: إنا أعطيناك الكوثر، وإذا جاء نصر الله والفتح » وزاد فى رواية « ثم غلب عمر النزف، حتى غشى عليه، فاحتملته فى رهط، حتى أدخلته بيته، فلم يزل فى غشيته حتى أسفر» أى بدأ ضوء الصبح، فنظر فى وجوهنا، فقال: أصلى الناس؟ فقلت: نعم. قال: لا إسلام لمن ترك الصلاة، ثم توضأ وصلى » وفى رواية ابن سعد « فتوضأ وصلى الصبح، فقرأ فى الأولى: والعصر، وفى الثانية قل يا أيها الكافرون، قال: وتساند إلىَّ، وجرحه يثعب دما، إنى لأضع إصبعى الوسطى، فما تسد الفتق ».

فى رواية البخارى: لما انتهى عبد الرحمن بن عوف من الصلاة، وقبل أن يغمى على عمر « قال يا ابن عباس. انظر من قتلنى؟ فجال ساعة - أى وقتا قصيرا - ثم جاء، فقال: غلام المغيرة. قال: الصنع؟ -أى الصنايعى؟- قال: نعم. قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفا، الحمد لله الذى لم يجعل ميتتى بيد رجل يدعى الإسلام » وفى رواية « الحمد لله الذى لم يجعل قاتلى يحاجنى عند الله بسجدة سجدها له قط » وفى رواية « يحاجنى بلا إله إلا الله » وفى رواية « لا تعجلوا على الذى قتلنى. فقيل: إنه قتل نفسه، فاسترجع عمر، فقيل له: إنه أبو لؤلؤة، فقال: الله أكبر» ثم قال لابن عباس: « قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة ». وفى رواية « فقال عمر: هذا من عمل أصحابك، كنت أريد أن لايدخلها علج من السبى، فغلبتمونى » وفى رواية « قال عمر: من أصابنى؟ قالوا: أبو لؤلؤة، واسمه فيروز، قال: قد نهيتكم أن تجلبوا علينا من علوجهم أحدا، فعصيتمونى » قيل: وكان العباس قد قال لعمر: إن عمل المدينة شديد، لا يستقيم إلا بالعلوج، وكان العباس من أكثر الصحابة استخداما لهم، فقال عبد الله بن عباس: إن شئت فعلت؟ أى قتلت علوجنا - قال: كذبت. بعد ما تكلموا بلسانكم؟ وصلوا قبلتكم؟ وحجوا حجكم؟ « وكان عمر ﷺ يخشى أن يكون وراء القاتل محرضون، وأن يكون قد ظلم فى حكمه جماعة دون قصد فخططوا لهذا العمل، فقال لابن عباس - وكان يحبه ويدنيه - يا عبد الله بن عباس. اخرج، فناد فى الناس: أعن ملأ منكم كان هذا؟ فقالوا: معاذ الله. ما

علمنا، ولا اطلعنا، وفى رواية « فقال عمر لابن عباس. أحب أن تعلم. عن ملأ من الناس كان هذا؟ فخرج، لا يمر بملأ من الناس، إلا وهم يبكون، فكأنما فقدوا بكار أولادهم، فأخبر عمر بذلك، قال: فرأيت البشر فى وجه.

(وقفة عند هذا الحديث)

من الصعب أن نقنع أنفسنا بأن دافع قتل عمر هو عدم إنصافه لهذا العبد من وجهة نظره، إذ كان الأولى بأن يقتل سيده، الظالم له، حسب فهمه، وكانت هناك وسائل أخرى يسلكها العبد لرفع هذا الظلم غير القتل، وأقلها رفض هذا التكسب، والاكتفاء بالخدمة والعبودية، كشأن الآلاف، ولكننا نعتقد أن هناك ثأرا سابقا، من غزو المسلمين لبلاده، وقتلهم أباه أو عمه أو أخاه، أو أحب الناس إليه، وهو وأمثاله لم يسلموا، ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم، حتى يغسل أضغانهم، فكان الحذر منهم واجبا، كما أشار عمر، ولكن لا يغنى حذر من قدر، ففى رواية ابن سعد « فلما طعن قال: وكان أمر اللّٰه قدرا مقدورا ». ونعود إلى رواية البخارى، وعمر الجريح فى بيته « وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ » يتوافدون عليه، ويحيطون به، ويدعون له، ويثنون عليه، وجاءوا له بالطبيب، فأتى بنبيذ، فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتى له بلبن، فشربه، فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، « وقال الطبيب: اعهد يا أمير المؤمنين. فقال عمر: صدقنى، ولو قال غير ذلك لكذبته »

وكثر الثناء والدعاء والمواساة، فمن قائل: لا بأس، ومن قائل: نخاف عليك وعلى الإسلام، ومن قائل يقول له: أبشر - يا أمير المؤمنين - ببشرى اللّٰه لك، من صحبة رسول اللّٰه ﷺ، وقَدَم فى الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال عمر: وددت أن ذلك كفاف، لا علي، ولا لي، وعلى بن أبى طالب ﷺ يقول: يرحمك اللّٰه يا عمر، ما تركت أحدا أحب إلى أن ألقى اللّٰه بمثله منك، أى ليتنى ألقى اللّٰه بمثل ما ستلقاه به، لقد كان رسول اللّٰه ﷺ يجمع بينك وبينه وبين أبى بكر فى غالب المناسبات، فيقول: خرجت أنا وأبو بكر وعمر، وفعلت كذا أنا وأبو بكر وعمر، وجئت أنا وأبو بكر وعمر، وها هى عائشة قد أذنت لك بأن تدفن مع صاحبيك، وستكون معهما فى الجنة إن شاء اللّٰه. فهنيئا لك. وهنيئا لك.

قال عمر: « يا عبد اللّٰه بن عمر، انظر ما عليَّ من الدين، فحسبوه، فوجدوه ستة وثمانين ألفا، أو نحوه قال: إن وفى له مال آل عمر، فأده من أموالهم، وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب، فإن لم تفِ أموالهم فسل فى قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عنى هذا المال » وفى رواية « قال: يا عبد اللّٰه، أقسمت عليك بحق عمر، إذا مت، فدفنتنى أن لا تغسل رأسك، حتى تبيع من رباع آل عمر بثمانين ألفا، فتضعها فى بيت مال المسلمين، فسأله عبد الرحمن بن عوف، أى عن أسباب هذا الدين - فقال: أنفقتها فى حجج حججتها، وفى نوائب كانت تنوبنى » قال ابن التين: قد علم عمر أنه لا يلزمه غرامة ذلك، إلا أنه أراد أن لا يتعجل من عمله شيئا فى الدنيا.

ثم قال عمر « يا عبد اللّٰه، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل لها: يقرأ عليك عمر السلام - ولا تقل: أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً - وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكى، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب

السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت كنت أريده لنفسى، ولأوثرنه به اليوم على نفسى، فلما أقبل قيل: هذا عبد اللّٰه بن عمر قد جاء. قال: ارفعونى. فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذى تحب يا أمير المؤمنين. أذنت. قال: الحمد لله. ما كان من شيء أهم إلى من ذلك « وخشى عمر أن تكون أذنت فى حياته، حياء منه، وأن ترجع عن ذلك بعد موته، فأراد أن لا يكرهها على ذلك، فقال « فإذا أنا قضيت فاحملونى، ثم سلم، فقل: يستأذن عمر ابن الخطاب فإن أذنت لى فأدخلونى، وإن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين ».

قال عبد اللّٰه بن عمر: وجاءت أم المؤمنين حفصة، والنساء تسير معها، قال: فلما رأيناها قمنا، فدخلت عليه، فبكت عنده ساعة، ثم دخلت داخلا، ودخل الرجال، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين. استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول اللّٰه ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد اللّٰه بن عمر - وليس له من الأمر شيء، فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة.

وقال: « أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا، الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، وأن يُعفى عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا، فإنهم ردء الإسلام، وجباة المال، وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرًا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشى أموالهم، ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة اللّٰه وذمة رسول اللّٰه ﷺ، أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم ».

قال عبد اللّٰه بن عمر: « فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشى، فسلم عبد اللّٰه بن عمر، قال: يستأذن عمر ابن الخطاب قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هناك مع صاحبيه ».

قال الحافظ بن حجر: اختلف فى صفة القبور المكرمة الثلاثة، فالأكثر على أن قبر أبى بكر وراء قبر الرسول ﷺ، وقبر عمر وراء قبر أبى بكر، وقيل: إن قبره ﷺ مقدم إلى القبلة، وقبر أبى بكر حذاء منكبيه، وقبر عمر حذاء أبى بكر، وقيل قبر أبى بكر عند رأس النبى ﷺ، وقبر عمر عند رجليه، وقيل: قبر أبى بكر عند رجلى النبى ﷺ، وقبر عمر عند رجلى أبى بكر، وقيل غير ذلك.

إسلام عمر رضي الله عنه

أخرج البخارى عن عبد اللّٰه بن مسعود رضي الله عنه قال: « مازلنا أعزة منذ أسلم عمر » وذلك لما كان فيه من الجلد والقوة فى أمر اللّٰه، وروى ابن أبى شيبة والطبرانى، عن عبد اللّٰه بن مسعود رضي الله عنه قال: كان إسلام عمر عزا، وهجرته نصرا، وإمارته رحمة، واللّٰه ما استطعنا أن نصلى حول البيت ظاهرين، حتى أسلم عمر.

وفى ملابسات إسلامه رضي الله عنه أخرج الدارقطنى، عن أنس رضي الله عنه قال: خرج عمر متقلدا السيف، فلقيه رجل من بنى زهرة - فذكر قصة دخول عمر على أخته، وإنكاره إسلامها، وإسلام زوجها سعيد بن زيد،

وقراءته سورة طه، ورغبته فى الإسلام - فخرج خباب فقال: أبشر يا عمر، فإنى أرجو أن تكون دعوة رسول اللَّه ﷺ لك. قال: اللهم أعز الإسلام بعمر، أو بعمرو بن هشام.

زاد ابن شيبة فى تاريخه « فقلت: يارسول اللَّه! ففيم الاختفاء؟ فخرجنا فى صفين، أنا فى أحدهما، وحمزة فى الآخر، فنظرت قريش إلينا، فأصابتهم كآبة، لم يصبهم مثلها » وأخرجه البزار مطولا، وأخرج أبو خيثمة من حديث عمر نفسه رضي الله عنه قال: « لقد رأيتنى وما أسلم مع رسول اللَّه ﷺ إلا تسعة وثلاثون رجلا، فكملتهم أربعين، فأظهر اللَّه دينه، وأعز الإسلام » وروى البزار نحوه من حديث ابن عباس - رضى اللَّه عنهما - وقال فيه « فنزل جبريل، فقال: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤].

وأخرج الترمذى حديث ابن عمر، أن النبى ﷺ قال: « اللَّهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك. بأبى جهل أو عمر، قال: فكان أحبهما إليه عمر» وروى ابن سعد من حديث صهيب قال: « لما أسلم عمر قال المشركون: انتصف القوم منا » وروى البزار والطبرانى نحوه.

من فضائل عمر رضي الله عنه

وزاد البخارى عن أحاديث بابنا

(١) حديث الذئب والشاة السابق فى فضائل أبى بكر رضي الله عنه .

(٢) وحديث عبد اللَّه بن عباس رضى اللَّه عنهما، يواسى به عمر رضي الله عنه عند موته، ويخفف من جزعه، فيقول: « يا أمير المؤمنين. ولئن كان ذاك » أى الموت « لقد صحبت رسول اللَّه ﷺ، فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر، فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحابتهما، فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون، قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول اللَّه ﷺ ورضاه، فإنما ذاك مَنٌّ من اللَّه تعالى، مَنَّ به على، وأما ما ذكرت من صحبة أبى بكر ورضاه، فإنما ذاك مَنٌّ من اللَّه تعالى، جل ذكره، مَنَّ به علىّ، وأما ما ترى من جزعى، فهو من أجلك وأجل أصحابك أى فيمن أستخلف عليهم، واللَّه لو أن لى طلاع الأرض ذهبا، لافتديت به من عذاب اللَّه عز وجل، قبل أن أراه ».

(٣) وحديث أبى موسى رضي الله عنه قال: « كنت مع النبى ﷺ فى حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل، فاستفتح، فقال النبى ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له فإذا هو أبو بكر، فبشرته بما قال رسول اللَّه ﷺ، فحمد اللَّه، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبى ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له، فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبى ﷺ، فحمد اللَّه، ثم استفتح رجل، فقال لى: افتح له، وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول اللَّه ﷺ، فحمد اللَّه، ثم قال: اللَّه المستعان ».

(٤) وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال « صعد النبى ﷺ أُحُدا، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله، وقال: اثبت أُحُد، فما عليك إلا نبى، وصديق، وشهيدان ».

(٥) وحديث زيد بن أسلم عن أبيه أسلم، مولى عمر قال: سألنى ابن عمر عن بعض شأنه - أى عن

بعض أخبار أبيه عمر- قال: فأخبرته، فقال - أى ابن عمر - ما رأيت أحدا قط - بعد رسول الله ﷺ، من حين قبض - كان أجد وأجود - حتى انتهى - من عمر بن الخطاب ».

ويؤخذ من أحاديث الباب، بعد ما تقدم

١- من الرواية الأولى تقدير على ﷺ لعمر، ورضاؤه عنه، ودعاؤه له، خلافا لما يزعمه الرافضة من الطعن فيه.

٢- ومن الرواية الثانية فضيلة لعمر، وشدة أمره فى الدين.

٣- من طول قميصه أخذ بعضهم أن عمر أفضل من أبى بكر رضى الله عنهما، وتعقب باحتمال تخصيص أبى بكر من عموم قوله « رأيت الناس يعرضون » فلعل الذين عرضوا إذ ذاك لم يكن فيهم أبو بكر، وكون عمر عليه قميص يجره لا يستلزم أن لا يكون على أبى بكر قميص أطول منه وأسبغ، والاقتصار فى ذاك الوقت كان لإرادة بيان فضلية عمر، على أن الخصوصية لا تقتضى الأفضلية.

٤- ومن الرواية الثالثة أن رؤيا اللبن فى المنام خير، ويئول شربه بالعلم.

٥- ومن الرواية الرابعة صدق منامه صلى الله عليه وسلم. قال النووى: قال العلماء: هذا المنام مثال واضح لما جرى لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى خلافتهما، وحسن سيرتها، وظهور آثارهما، وانتفاع الناس بهما، وكل ذلك مأخوذ من النبى ﷺ، ومن بركته وآثار صحبته، فكان النبى ﷺ هو صاحب الأمر، فقام به أكمل قيام، وقرر قواعد الإسلام، ومهد أموره، وأوضح أصوله و فروعه، ودخل الناس فى دين الله أفواجا، وأنزل الله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣] ثم توفى رسول الله ﷺ فخلفه أبو بكر ﷺ سنتين وشهرا، وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « ذنوبا أو ذنوبين » وهذا شك من الراوى، والمراد ذنوبان، كما صرح به فى الرواية الأخرى، وحصل فى خلافته قتال أهل الردة، وقطع دابرهم، واتساع الإسلام، ثم توفى فخلفه عمر ﷺ، فاتسع الإسلام فى زمنه، وتقرر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله، فعبر بالقليب عن أمر المسلمين، لما فيها من الماء الذى به حياتهم وصلاحهم، وشبه أميرهم بالمستقى لهم، وسقيه هو قيامه بمصالحهم، وتدبير أمورهم، قال النووى: وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى أبى بكر « وفى نزعه ضعف » فليس فيه حط من فضيلة أبى بكر، ولا إثبات فضيلة لعمر عليه، وإنما هو إخبار عن مدة ولايتهما، وكثرة انتفاع الناس فى ولاية عمر لطولها، ولاتساع الإسلام وبلاده، والأموال وغيرها، من الغنائم والفتوحات وتمصير الأمصار، وتدوين الدواوين.

قال: وأما قوله صلى الله عليه وسلم « والله يغفر له » فليس فيه تنقيص له، ولا إشارة إلى ذنب، وإنما هى كلمة المسلمون يدعمون بها كلامهم، ونعمت الدعامة.

٦- قال العلماء: وفى كل هذا إعلام بخلافة أبى بكر وعمر، وصحة ولايتهما، وبيان صفتهما.

٧- وفى قوله « فأخذ الدلو من يدى ليروحنى » فيه إشارة إلى نيابة أبى بكر عنه، وخلافته بعده، وراحته صلى الله عليه وسلم بوفاته، كما قال صلى الله عليه وسلم « مستريح و مستراح منه » و « الدنيا سجن المؤمن » و « لا كرب على أبيك بعد اليوم ».

٨- ومن الرواية السابعة، واعتماد غيرة عمر الحكم لكل رجل بما يعلم من خلقه.

٩- ومن علو أصوات الزوجات فى الرواية التاسعة أن مثل هذا يغتفر بين الأزواج، ولا يدخل فى قوله تعالى ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢] وقال القاضى عياض: يحتمل أن هذا قبل النهى عن رفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن علو أصواتهن إنما كان باجتماعها، لا أن كلام كل واحدة بانفرادها أعلى من صوته صلى الله عليه وسلم.

١٠- وفى هذا الحديث فضل لين الجانب والحلم والرفق، ما لم يفوت مقصودا شرعيا، قال تعالى ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] وقال ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

١١- وفيه تغلب عمر ﷺ على شيطانه، قال النووى: هذا الحديث محمول على ظاهره، وأن الشيطان متى رأى عمر سالكا فجا، هرب هيبة من عمر، وفارق ذلك الفج، وذهب فى فج آخر، لشدة خوفه من بأس عمر، أن يفعل فيه شيئا، قال القاضى: ويحتمل أنه ضرب مثلا لبعد الشيطان وإغوائه منه، والصحيح الأول.اهـ ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له، إذ الأمر محمول على الغالب.

١٢- وفى الرواية العاشرة إثبات كرامات الأولياء، قاله النووى.

١٣- وفى الرواية الحادية عشرة بعض موافقات عمر ﷺ.

١٤- ومن الرواية الثانية عشرة كمال شفقته صلى الله عليه وسلم على من تعلق بطرف من الدين.

١٥- تطييب قلب المسلم، فقد فعل صلى الله عليه وسلم ما فعل مع ابن أبى تطييبا لخاطر ابنه عبد الله، فإنه كان صحابيا جليلا، وقد سأل ذلك، فأجابه إليه، وقيل: مكافأة لعبد الله المنافق الميت، لأنه كان ألبس العباس حين أسر يوم بدر قميصًا.

١٦- وفيه عظيم مكارم أخلاق النبى ﷺ، فقد علم ما كان من هذا المنافق من الإيذاء، وقابله بالحسنى. فألبسه قميصه كفنا، وصلى عليه، واستغفر له. قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٥].

١٧- وفى الحديث والآية تحريم الصلاة على المنافقين والدعاء لهم بالمغفرة، والقيام على قبرهم بالدعاء.

١٨- وقد مال بعض أهل الحديث إلى تصحيح إسلام عبد الله بن أبى، لكون النبى ﷺ صلى عليه وذهل عن الوارد من الآيات والأحاديث المصرحة فى حقه بما ينافى ذلك، فأقدم على الدعوى المذكورة، وهو محجوج بإجماع من قبله على نقيض ما قال، وإطباقهم على ترك ذكره فى كتب الصحابة مع شهرته، وذكر من هو دونه فى الشرف والشهرة بأضعاف مضاعفة.

١٩- استدل بعضهم بالحديث على التأليف بالوسائل الممكنة، فقد أخرج الطبرى «وما يغنى عنه قميص عن الله؟ وإنى لأرجو أن يسلم بذلك ألف من قومه».

٢٠- وفيه جواز الشهادة على المرء بما كان عليه حيا وميتا، لقوله عمر: إن عبد الله منافق، ولم ينكر النبى ﷺ قوله.

٢١- وأن المنهى عنه من سب الأموات ما قصد به الشتم، لا التعريف.

٢٢- وأن المنافق تجرى عليه أحكام الإسلام الظاهرة.

٢٣- وأن الإعلام بوفاة الميت مجردا لا يدخل فى النعى المنهى عنه.

٢٤- وفيه جواز سؤال الموسر من المال من ترجى بركته شيئا من ماله، لضرورة دينه.

٢٥- وفيه رعاية الحى المطيع بالإحسان إلى الميت العاصى.

٢٦- وفيه التكفين بالمخيط.

٢٧- وجواز تأخير البيان عن وقت النزول، إلى وقت الحاجة.

٢٨- وفيه العمل بالظاهر إذا كان النص محتملا.

٢٩- وفيه جواز تنبيه المفضول للفاضل على ما يظن أنه سها عنه.

٣٠- وتنبيه الفاضل المفضول على ما يشكل عليه.

والله أعلم

(٦٣٤) باب من فضائل عثمان ﷺ

٥٤٠٣- ٢٦/١ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٢٦] قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَن فَخِذَيْهِ. أَوْ سَاقَيْهِ. فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ. فَأَذِنَ لَهُ. وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ. فَتَحَدَّثَ. ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ. فَأَذِنَ لَهُ. وَهُوَ كَذَلِكَ. فَتَحَدَّثَ. ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ. فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَسَوَّى ثِيَابَهُ -قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ- فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ. فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ. ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ. ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ. فَقَالَ: أَلا أَسْتَحِي مِن رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلائِكَةُ».

٥٤٠٤- ٢٧/٢ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٢٧]، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ وَعُثْمَانَ ﷺ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ، لابِسٌ مِرْطَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ كَذَلِكَ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ. ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ. قَالَ عُثْمَانُ: ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَجَلَسَ وَقَالَ لِعَائِشَةَ: «اجْمَعِي عَلَيْكِ ثِيَابَكِ» فَقَضَيْتُ إِلَيْهِ حَاجَتِي ثُمَّ انْصَرَفْتُ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَالِي لَمْ أَرَكَ فَزِعْتَ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِي اللّهم عَنهمَا كَمَا فَزِعْتَ لِعُثْمَانَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ. وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، أَنْ لا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ».

٥٤٠٥- - وفِي رواية عن أبى موسى، أَنَّ عُثْمَانَ وَعَائِشَةَ حَدَّثَاهُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ عُقَيْلٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ.

٥٤٠٦- ٢٨/٣ عَن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ[٢٨] قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَائِطٍ مِن حَائِطِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ يَرْتِكِزُ بِعُودٍ مَعَهُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ، إِذَا اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ. فَقَالَ: «افْتَحْ. وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» قَالَ: فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ. فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. قَالَ: ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ

---

(٢٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا و قَالَ الآخَرُونَ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ عَن مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَرْمَلَةَ عَن عَطَاءٍ وَسُلَيْمَانَ ابْنَيْ يَسَارٍ وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ

(٢٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَن جَدِّي حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَن يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ وَعُثْمَانَ حَدَّثَاهُ

- وحَدَّثَنَاه عَمْرٌو النَّاقِدُ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ كُلُّهُمْ عَن يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَن صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ أَخْبَرَهُ أَنَّ عُثْمَانَ وَعَائِشَةَ حَدَّثَاهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ

(٢٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَن عُثْمَانَ بْنِ غِيَاثٍ عَن أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ

آخَرُ. فَقَالَ: «افْتَحْ. وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» قَالَ: فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ. فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ. قَالَ: فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «افْتَحْ. وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تَكُونُ» قَالَ: فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ. قَالَ: فَفَتَحْتُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. قَالَ: وَقُلْتُ الَّذِي قَالَ. فَقَالَ اللَّهُمَّ صَبْرًا. أَوِ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

٥٤٠٧- - وفِي رواية عَن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ(-)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي أَنْ أَحْفَظَ الْبَابَ. بِمَعْنَى حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ غِيَاثٍ.

٥٤٠٨- ٢٩/٤ عَن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيُّ ﷺ(٢٩)، أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ. فَقَالَ: لأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا. قَالَ: فَجَاءَ الْمَسْجِدَ. فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: خَرَجَ. وَجَّهَ هَاهُنَا. قَالَ: فَخَرَجْتُ عَلَى أَثَرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ. حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ. قَالَ: فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ. وَبَابُهَا مِن جَرِيدٍ. حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ. فَقُمْتُ إِلَيْهِ. فَإِذَا هُوَ قَدْ جَلَسَ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ، وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا، وَكَشَفَ عَن سَاقَيْهِ، وَدَلاهُمَا فِي الْبِئْرِ. قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ. ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ. فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيَوْمَ. فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ. فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ. قَالَ: ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ. فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» قَالَ: فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ. ادْخُلْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ. قَالَ: فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَلَسَ عَن يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ فِي الْقُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ، كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَشَفَ عَن سَاقَيْهِ. ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ. وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي. فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلانٍ -يُرِيدُ أَخَاهُ- خَيْرًا يَأْتِ بِهِ. فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ. فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ. ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ. فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» فَجِئْتُ عُمَرَ فَقُلْتُ: أَذِنَ وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ. قَالَ: فَدَخَلَ، فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقُفِّ، عَن يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ. ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلانٍ خَيْرًا -يَعْنِي أَخَاهُ- يَأْتِ بِهِ. فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَحَرَّكَ الْبَابَ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ. فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ. قَالَ: وَجِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُهُ» قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ ادْخُلْ.

(-) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَن أَيُّوبَ عَن أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ

(٢٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِسْكِينٍ الْيَمَامِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ بِلالٍ عَن شَرِيكِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ عَن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَنِي أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ

وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُكَ. قَالَ: فَدَخَلَ. فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ. فَجَلَسَ وِجَاهَهُمْ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ. قَالَ شَرِيكٌ: فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ.

٥٤٠٩- ∴ عَن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِي ﷺ(٠٠) قَالَ: خَرَجْتُ أُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَلَكَ فِي الأَمْوَالِ. فَتَبِعْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ دَخَلَ مَالا، فَجَلَسَ فِي الْقُفِّ، وَكَشَفَ عَن سَاقَيْهِ، وَدَلاهُمَا فِي الْبِئْرِ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ يَحْيَى ابْنِ حَسَّانَ. وَلَمْ يَذْكُرْ قَوْلَ سَعِيدٍ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ.

٥٤١٠- – وفِي رواية عَن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ(–) قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا إِلَى حَائِطٍ بِالْمَدِينَةِ لِحَاجَتِهِ. فَخَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ. وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلالٍ. وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فَتَأَوَّلْتُ ذَلِكَ قُبُورَهُمْ. اجْتَمَعَتْ هَاهُنَا، وَانْفَرَدَ عُثْمَانُ.

المعنى العام

عثمان بن عفان ﷺ أبو عمرو القرشى، هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف، يجتمع مع النبى ﷺ فى عبد مناف، قيل: إنه كان يكنى أبا عبد الله، بابنه عبد الله، الذى رزق به من رقية بنت رسول الله ﷺ، ومات عبد الله المذكور صغيرا، وله ست سنين، وحكى ابن سعد أن موته كان سنة أربع من الهجرة، وماتت أمه رقية قبل ذلك سنة اثنين.

وكان غنيا، لكنه أنفق كثيرا جدا من ماله فى سبيل الله، وكان ثالث الخلفاء الراشدين، وكان مثلا فى صلة الرحم، وإكرام الأهل، مما أخذ عليه فى مدة حكمه، وكان لين الجانب، يثق فى القريبين منه حتى سلم خاتم الدولة لقريبه، فكان يختم به على أشياء لا يقرها.

قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة: وكان سبب قتله أن أمراء الأمصار كانوا من أقاربه، كان بالشام كلها معاوية، وبالبصرة سعيد بن العاص، وبمصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح، وبخراسان عبد الله بن عامر، وكان من حج من هذه الأمصار يشكو من أميره، وكان عثمان لين العريكة، كثير الإحسان والحلم، وكان يستبدل ببعض أمرائه، فيرضى الشاكين، ثم يعيده، إلى أن رحل أهل مصر يشكون من ابن أبى سرح، فعزله، وكتب لهم كتابا بتولية محمد بن أبى بكر الصديق، فرضوا بذلك، فلما كانوا فى أثناء الطريق رأوا راكبا على راحلة، فاستخبروه، فأخبرهم أنه من عند عثمان، ومعه أمر باستقرار ابن أبى سرح، ومعاقبة جماعة من أعيانهم، فأخذوا الكتاب، ورجعوا، وواجهوه به، فحلف

(٠٠) وحَدَّثَنِيهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَقَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ حَدَّثَنِي أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ هَاهُنَا وَأَشَارَ لِي سُلَيْمَانُ إِلَى مَجْلِسِ سَعِيدٍ نَاحِيَةَ الْمَقْصُورَةِ قَالَ أَبُو مُوسَى

(–) حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَقَ قَالا حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَرْيَمَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ أَخْبَرَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ عَن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ

أنه ما كتب ولا أذن، فقالوا: سلمنا كاتبك، فخشى عليه منهم القتل، وكان كاتبه مروان بن الحكم، وهو ابن عمه، فغضبوا، فحصروه في داره، واجتمع جماعة من الصحابة يحمونه منهم، فكان ينهاهم عن القتال، إلى أن تسوروا عليه من دار إلى دار، فدخلوا عليه، فقتلوه، فعظم ذلك على أهل الخير من الصحابة وغيرهم، وانفتح باب الفتنة، وكان ما كان، والله المستعان.

المباحث العربية

(**كان رسول الله ﷺ مضطجعا فى بيتى**) فى الرواية الثانية « أن أبا بكر ﷺ استأذن على رسول الله ﷺ، وهو مضطجع على فراشه، لابس مرط عائشة » والمرط بكسر الميم وسكون الراء كساء من صوف، وقيل: من صوف أو كتان أو غيره، وقيل: هو الإزار ففى هاتين الروايتين أن قصة كشف الساق ودخول أبى بكر وعمر وعثمان وقعت فى بيت عائشة، أما الرواية الثالثة وما بعدها ففيها أن ذلك كان فى حائط من حيطان المدينة، وعلى بئر أريس، ومن هنا قال الحافظ ابن حجر: أنكر الداودى أن يكون كشف الساق وتغطيته قد وقع فى رواية البئر، وزعم أن ذكرها فى رواية البئر من إدخال الرواة حديثا فى حديث، وقرر أن كشف الركبة وتغطيتها عند دخول الثلاثة إنما وقع فى بيت عائشة فحسب، قال الحافظ: ولا مانع أن يتفق للنبى ﷺ أن يغطى ذلك مرتين، حين دخل عثمان، وأن يقع ذلك فى موطنين، ولا سيما مع اختلاف مخرج الحديثين، وإنما يقال ما قاله الداودى حيث تتفق المخارج، فيمكن أن يدخل حديث فى حديث، لا مع افتراق المخارج، كما فى هذا، فلا يلزم منه تغليط الرواية.

(**كاشفا عن فخذيه أو ساقيه**) بالشك، وفى قصة البئر « عن ساقيه » بدون شك، وعند البخارى فى قصة البئر « قد كشف عن ركبتيه، أو ركبته » والفخذ ما فوق الركبة، والساق ما تحتها.

(**فأذن له وهو على تلك الحال**) أى أذن الرسول ﷺ له فى الدخول عليه، وهو كاشف عن ساقيه.

(**فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك، فتحدث**) فى الرواية الثانية انصرف كل منهما قبل مجيء الآخر، ولفظها « فقضى إليه حاجته، ثم انصرف » وفى روايتنا يقول الراوى « ولا أقول: ذلك فى يوم واحد » وكأن دخول كل واحد كان فى يوم غير يوم دخول الآخر، ومعنى قولها « وهو على تلك الحال » أى على حالة مشبهة تلك الحال، وهذا بخلاف قصة البئر، فكانت جلسة واحدة، وهيئة واحدة، اجتمعوا عليها، مما يدل على تعدد الواقعة.

(**ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ، وسوى ثيابه**) أى غطى ساقيه، زاد فى الرواية « وقال لعائشة: اجمعى عليك ثيابك » ويحتمل أن يكون هذا قبل الحجاب، فقد دخل عمر، ولم تؤمر عائشة بجمع ثيابها عليها.

(**فلما خرج**) أى عثمان.

(**قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له، ولم تباله**) قال النووى: هكذا هو فى جميع نسخ بلادنا « تهتش » بالتاء بعد الهاء، وفى بعض النسخ الطارئة بحذفها، وفتح الهاء وكذا ذكره

القاضي، يقال: هش يهش - بفتح الهاء، هشاشة، والهشاشة والبشاشة بمعنى طلاقة الوجه، وحسن اللقاء، أما الهش الذى هو خبط الورق من الشجر، فيقال منه: هش يهش بضم الهاء، قال تعالى ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ [طه: ١٨] ومعنى « لم تباله » لم تكترث به، ولم تحتفل لدخوله، يقال: بالاه يباليه مبالاة، أى اهتم به، واللامبالاة عدم الاهتمام، وأمر ذو بال، أى ذو أهمية، والبال الحال والشأن والخاطر، قال تعالى ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥] وفى الرواية الثانية « ما لى لم أرك فزعت لأبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - كما فزعت لعثمان »؟ أى ما لى لم أرك اهتممت بهما، واحتفلت بدخولهما، قال النووى: هكذا هو فى جميع نسخ بلادنا « فزعت » بالزاى والعين، وكذا حكاه القاضى عن رواية الأكثرين، قال: وضبطه بعضهم « فرغت » بالراء والغين، وهو قريب من معنى الأول.

(**فقال: ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة؟**) « ألا » للعرض والتحضيض، أى أحث نفسى وأحضها على الحياء من رجل تستحى منه الملائكة، قال النووى: هكذا هو فى الرواية « أستحى » بياء واحدة فى كل واحدة منها، قال أهل اللغة: يقال: استحيا يستحيى بياءين، واستحى يستحى، بياء واحدة، لغتان، الأول أفصح وأشهر، وفى الرواية الثانية « إن عثمان رجل حيى » بكسر الياء الأولى وتشديد الثانية، أى كثير الحياء، « وإنى خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلى فى حاجة » أى خشيت أن يمنعه حياؤه - إذا رآنى مكشوف الساقين - من الدخول والوصول إلى، فلا يقضى منى حاجته التى جاء من أجلها.

(**فى حائط من حائط المدينة**) « حائط » جنس، يصدق على كثيرين، فكأنه قال من حوائط المدينة، أو من حيطان المدينة، وهو كذلك فى بعض النسخ، والحائط البستان وفى ملحق الرواية الرابعة « فوجدته قد سلك فى الأموال » أى قد دخل فى البساتين « فتبعته فوجدته قد دخل مالا » أى بستانا.

(**وهو متكئ**) فى كتب اللغة: المتكئ من استوى قاعدا على وطاء متمكنا.

(**يركز بعود معه، بين الماء والطين**) « يركز» بفتح الياء وسكون الراء وضم الكاف، أى يضرب طرفه وأسفله فى الطين، ليثبته فيه، وقد بينت الرواية الرابعة بداية القصة، وأن أبا موسى توضأ فى بيته، ثم خرج، قاصدا أن يلزم رسول الله ﷺ طول هذا اليوم، سأل عنه فى المسجد فقالوا: « خرج وجه ههنا » قال النووى: المشهور فى الرواية « وجه » بتشديد الجيم - أى وفتح الواو، أى وجه نفسه هذه الجهة، قال: وضبطه بعضهم بإسكانه، لوجود « خرج » أى خرج قاصدا هذا الوجه وهذه الجهة « قال: فخرجت على أثره » بفتح الهمزة والثاء، أى أتتبع آثار قدميه، أو أتبع طريقه « أسأل عنه، حتى » علمت أنه « دخل بئر أريس » والأريس بفتح الهمزة وكسر الراء مخففة، والإريس بكسر الهمزة وكسر الراء مشددة الحراث، أى بئر حراث، وهو فى الرواية مصروف، ولآبار المدينة أسماء، وبئر أريس معروف بالمدينة، قريب من قباء، وهو الذى سقط فيه خاتم النبى ﷺ من يد عثمان ﷺ، وكان بجوار كل بئر حوض يملأ، فيستقى أو يتوضأ منه، ويحاط البئر وحوضه غالبا بحائط له باب، وقد يكتفى بباب البستان، « قال: فجلست عند الباب، وبابها من جريد، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته، وتوضأ، فقمت إليه » أى توجهت نحوه « فإذا هو قد جلس على بئر أريس، وتوسط قفها » بضم القاف،

وتشديد الفاء، أى حافتها، وأصل القف الغليظ المرتفع من الأرض « وكشف عن ساقيه، ودلاهما فى البئر، قال: فسلمت عليه، ثم انصرفت، فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول اللّه ﷺ اليوم » وفى ملحق الرواية الثالثة « دخل حائطا، وأمرنى أن أحفظ الباب » والظاهر التعارض بين الرواية الرابعة، وفيها أن أبا موسى أراد أن يحفظ الباب من تلقاء نفسه، بل فى بعض الروايات، قال: « ولم يأمرنى » وبين ملحق الرواية الثالثة، وفيه أنه صلى اللّه عليه وسلم أمره أن يحفظ الباب، وفى رواية أبى عوانة قال « يا أبا موسى، أملك علىّ الباب، فانطلق، فقضى حاجته، وتوضأ، ثم جاء، فقعد على قف البئر» وفى رواية الترمذى « يا أبا موسى، أملك على الباب، فلا يدخلن على أحد » ويرفع هذا التعارض باختلاف الزمان، إذ يحتمل أنه أمر بحفظ الباب أثناء قضاء الحاجة، وتطوع بحفظ الباب بعد الوضوء، وبعد جلوسه صلى اللّه عليه وسلم على حافة البئر.

(**إذ استفتح رجل، فقال: افتح وبشره بالجنة، قال: فإذا أبو بكر**) فى الرواية الرابعة « فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال أبو بكر. فقلت: على رسلك » بكسر الراء وفتحها، لغتان، أى تمهل وتأن، يقال: ترسل فى كلامه وقراءته ومشيه، والرسل بكسر الراء الرفق والتؤدة « قال: ثم ذهبت، فقلت: يا رسول اللّه! هذا أبو بكر يستأذن؟ فقال: ائذن له، وبشره بالجنة » وظاهر الرواية الثالثة أن الرسول ﷺ أمر بالفتح والتبشير بالجنة قبل أن يعلم من المستفتح؟ وظاهر الرواية الرابعة أنه أمر بالفتح والتبشير بالجنة بعد أن علمه، ولا تعارض، فمن المحتمل أنه أمر بذلك قبل العلم، وأمر به بعد العلم.

(**ففتحت له، وبشرته بالجنة**) فى الرواية الرابعة « فأقبلت، حتى قلت لأبى بكر: ادخل، ورسول اللّه ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر، فجلس عن يمين رسول اللّه ﷺ، معه فى القف، ودلى رجليه فى البئر، كما صنع النبى ﷺ، وكشف عن ساقيه » زاد فى رواية أن أبا بكر حين بشر بالجنة حمد اللّه.

(**ثم استفتح رجل آخر**) كان أبو موسى يترقب مجىء أخيه، فقد تركه فى البيت يتوضأ، ليلحق به فلما سمع التبشير بالجنة تمنى أن يكون المستفتح الثانى أخاه، فتقول الرواية الرابعة « ثم رجعت » أى إلى الباب « فجلست - وقد تركت أخى يتوضأ، ويلحقنى، فقلت: إن يرد اللّه بفلان -ذكر اسم أخيه- خيراً، يأت به » الآن « فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت من هذا؟ فقال عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول اللّه ﷺ، فسلمت عليه، وقلت: هذا عمر يستأذن؟ فقال: ائذن له، وبشره بالجنة، فجئت عمر، فقلت: أذن، ويبشرك رسول اللّه ﷺ بالجنة، قال: فدخل، فجلس مع رسول اللّه ﷺ فى القف، عن يساره، ودلى رجليه فى البئر» قال النووى: وقوله « دلى رجليه فى البئر» دليل للغة الصحيحة أنه يجوز أن يقول: دليت الدلو فى البئر كما يقال: أدليت، ومنهم من منع الأول. « قال: ثم رجعت، فجلست، فقلت » فى نفسى: « إن يرد اللّه بفلان خيرا - يعنى أخاه - يأت به، فجاء إنسان، فحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك، قال: وجئت النبى ﷺ، فأخبرته، فقال: ائذن له، وبشره بالجنة، مع بلوى تصيبه، قال: فجئت، فقلت: ادخل ويبشرك رسول اللّه ﷺ بالجنة، مع بلوى تصيبك » فى رواية

« قال: فحمد اللّه، ثم قال: اللّه المستعان » وفى رواية عند أحمد « فجعل يقول: اللّهم صبرا. حتى جلس » . « قال: فدخل، فوجد القف قد ملئ، فجلس وجاههم من الشق الآخر» « وجاههم » بكسر الواو، وضمها، أى قبالتهم، وفى مواجهتهم.

(**قال سعيد بن المسيب**) راوى الحديث عن أبى موسى:

(**فأولتها قبورهم**) فى الملحق الثانى « فتأولت ذلك قبورهم، اجتمعوا ههنا، وانفرد عثمان » يعنى أن الثلاثة دفنوا فى مكان واحد، وعثمان دفن فى مكان بائن عنهم، حيث دفن بالبقيع.

فقه الحديث

ذكر البخارى بالإضافة إلى حديث الباب، من فضائل عثمان ﷺ:

١- حديث توليه الخلافة، وقد ذكرنا صدره عند الكلام على فضل عمر ﷺ، ونذكر بقيته:

قال عمرو بن ميمون: « فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط [أى الذين رشحهم عمر للخلافة، على وعثمان والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن] فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم » ليقل الاختلاف فى الاختيار « فقال الزبير: قد جعلت أمرى إلى على، وقال طلحة: قد جعلت أمرى إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر، فنجعله إليه، واللّه عليه والإسلام » أى واللّه رقيب عليه، والإسلام رقيب عليه « لينظرن أفضلهم فى نفسه؟ فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلى، واللّه على أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما [هو على] فقال: لك قرابة من رسول اللّه ﷺ، والقدم فى الإسلام » - بكسر القاف وفتحها مع فتح الدال « ما قد علمت، فاللّه عليك لئن أمَّرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن. ثم خلا بالآخر، فقال مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له على، وولج أهل الدار فبايعوه »

٢- قال البخارى: وقال النبى ﷺ « من يحفر بئر رومة فله الجنة، فحفرها عثمان » وقال « من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزه عثمان » وروى البغوى فى الصحابة « لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بنى غفار عين، يقال لها: رومة، وكان يبيع منها القربة بمد، فقال له النبى ﷺ: تبيعنيها بعين فى الجنة؟ فقال: يا رسول اللّه! ليس لى ولا لعيالى غيرها، فبلغ ذلك عثمان ﷺ فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبى ﷺ، فقال: أتجعل لى فيها ما جعلت له؟ قال: نعم. قال: قد جعلتها للمسلمين » فلعل عثمان حفر بئرا على هذه العين، أو بناها ووسعها، فنسب إليه حفرها. وأما تجهيز جيش العسرة، فعند الترمذى أنه جهزهم بثلاثمائة بعير، وعند أحمد أنه جاء بألف دينار فى ثوبه، فصبها فى حجر النبى ﷺ حين جهز جيش العسرة، فقال صلى اللّه عليه وسلم « ما على عثمان ما عمل بعد اليوم » وعند أسد بن موسى فى فضائل الصحابة « حمل عثمان على ألف بعير وسبعين فرسا فى العسرة ».

٣- وحديث « اثبت أحد، فليس عليك إلا نبى وصديق وشهيدان » كما ذكره فى فضائل أبى بكر.

٤- وحديث عبيد اللّه بن عدى بن الخيار قال: إن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، قالا: ما يمنعك أن تكلم عثمان، لأخيه » أى لأجل أخيه، أو عن أخيه « الوليد » بن عقبة بن أبى معيط، وكان أخا عثمان لأمه، وكان عثمان ولاه الكوفة، بعد أن عزل سعد بن أبى وقاص، الذى ولاه عثمان على الكوفة بوصية من عمر، ثم عزله بالوليد، سنة خمس وعشرين « فقد أكثر الناس فيه » أى فى شأن الوليد، ومنها أنه شرب الخمر، ولم يقم عليه عثمان الحد، فقد أخرج مسلم « أن عثمان أتى بالوليد، وقد صلى الصبح بالناس ركعتين وهو مخمور، وقال للناس عقب السلام إن شئتم أزيدكم، أى أزيد الصبح ركعات على أصلها، وشهد عليه رجلان، وأكثر الناس الكلام عن عزل سعد و تولية الوليد، وسعد أحد العشرة، ومن أهل الشورى، واجتمع له من الفضل والسنن والعلم والدين والسبق إلى الإسلام ما لم يتفق شيء منه للوليد بن عقبة.

ونعود لحديث عبيد اللّه بن عقبة، قال: « فقصدت لعثمان، حتى خرج إلى الصلاة، قلت: إن لى إليك حاجة، وهى نصيحة لك. قال: أعوذ باللّه منك، قال: فانصرفت، فرجعت إليهما، إذ جاء رسول عثمان، فأتيته، فقال: ما نصيحتك؟ فقلت: إن اللّه سبحانه بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكنت ممن استجاب للّه ولرسوله ﷺ، فهاجرت الهجرتين » يقصد هجرة الحبشة الأولى، والهجرة إلى المدينة، وكان عثمان ﷺ واحدا من أحد عشر رجلا وأربع نسوة وكانت معه زوجته رقية بنت رسول اللّهﷺ « وصحبت رسول اللّه ﷺ، ورأيت هديه، وقد أكثر الناس فى شأن الوليد؟ قال - عثمان مخاطبا عبيد اللّه: أدركت رسول اللّه ﷺ؟ قلت: لا، ولكن خلص إلى من علم ما يخلص إلى العذراء فى سترها - أراد أن علم النبى ﷺ لم يكن مكتوما ولا خاصا، بل كان شائعا ذائعا، واصلا للعذراء فى سترها، فوصوله إليه مع حرصه عليه أولى - قال: أما بعد: فإن اللّه بعث محمدا ﷺ بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله، وآمنت بما بعث به، وهاجرت الهجرتين - كما قلت - وصحبت رسول اللّه ﷺ، وبايعته، فواللّه ما عصيته، ولا غششته حتى توفاه اللّه، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استخلفت. أفليس لى من الحق مثل الذى لهم؟ « فى رواية « أفليس لى عليكم من الحق مثل الذى كان لهم علىّ » ؟ من السمع والطاعة « قلت: بلى. قال: فما هذه الأحاديث التى تبلغنى عنكم؟

أما ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء اللّه. ثم دعا عليا، فأمره أن يجلده » وأخرج مسلم أن عثمان قال لعلى: قم فاجلده - بعد أن شهد عليه الشهود، وبعد أن قال لهم عثمان وما يدريكم أنه شرب الخمر؟ قالوا: هى التى كنا نشربها فى الجاهلية، أى نعرفها جيدا، ونعرف ريحها وأعراضها على شاربها - فقال على: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: وَلِّ حارها من تولى قارها، أى من انتفع بالولاية يحمل أثقالها ومساوئها ويقيم الحد على قريبه، فكأن علياً وجد على ابنه لرفضه، فقال: قم يا عبد اللّه بن جعفر فاجلده. فجلده وعزله عثمان عن الكوفة بعد أن تولاها خمس سنين وولى بعده سعيد بن العاص.

٥- وحديث عثمان بن موهب قال: « جاء رجل من أهل مصر - وكانوا أبرز الخارجين على عثمان - وحج البيت، فرأى قوما جلوسا، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد اللّه بن عمر. قال: يا بن عمر، إنى سائلك عن شيء، فحدثنى عنه. هل تعلم أن عثمان

فر يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر؟ ولم يشهدها؟ قال: نعم. قال الرجل: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان؟ فلم يشهدها؟ قال: نعم قال: اللّه أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك. أما فراره يوم أحد فأشهد أن اللّه عفا عنه، وغفر له، وأما تغيبه عن بدر، فإنه كانت تحته بنت رسول اللّه ﷺ، وكانت مريضة، فقال له رسول اللّه ﷺ : إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول اللّه ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول اللّه ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان.

ثم قال له ابن عمر: «اذهب بها الآن معك» أي توجه بما تمسكت به، فإنه لا ينفعك بعد ما بينت لك.

وعند النسائي: أرسل عثمان وهو محصور إلى علي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، فحضروا، فأشرف عليهم، زاد الترمذي «يقال: هل تعلمون أن حراء حين انتفض، قال رسول اللّه ﷺ: اثبت حراء، فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد؟ قالوا: نعم».

وفي رواية قال لهم: هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها إلا بثمن، فابتعتها، فجعلتها للفقير والغني وابن السبيل؟ قالوا: نعم.

وفي رواية قال لهم: هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول اللّه ﷺ: من يشترى بقعة آل فلان، فيزيدها في المسجد، بخير منها في الجنة؟ فاشتريتها من صلب مالي؟ فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها؟

وفي رواية قال لهم: «وجيش العسرة، جهزتهم حتى لم يفقدوا عقالاً، ولا خطاماً».

وفي رواية قال لهم: «أنشد اللّه رجلاً شهد رسول اللّه ﷺ يوم بيعة الرضوان يقول: هذه يد اللّه وهذه يد عثمان ..».

وفي رواية قال لهم: هل تعلمون أن رسول اللّه ﷺ زوجني ابنتيه؟ واحدة بعد أخرى؟ رضي بي؟ ورضي عني؟ قالوا: نعم.

وفي رواية «قال يا طلحة، أنشدك اللّه. أما سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، فأخذ بيدي، فقال: هذا جليسي في الدنيا والآخرة؟ قال: نعم».

(فائدة) ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد الفيل بست سنين على الصحيح، كان يلقب ذا النورين، كان يقوم الليل، ويصوم الدهر، ويصل الرحم، وفي الإصابة: بويع في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وقتل في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، على الصحيح المشهور، ودفن في حش كوكب وهو أرض كان عثمان اشتراها، فوسع بها البقيع. رضي الله عنه وأرضاه.

ويؤخذ من الحديث

١- من الرواية الأولى والثانية، من قوله «كاشفاً عن فخذيه» قال النووي: هذا الحديث مما يحتج به

المالكية وغيرهم ممن يقول: ليست الفخذ عورة، ولا حجة فيه، لأنه مشكوك في المكشوف، هل هو الساقان أو الفخذان، فلا يلزم منه الجزم بجواز كشف الفخذ.

٢- وفي هذا الحديث، وفي استمرار كشف النبى ﷺ ساقه مع حضور أبى بكر وعمر جواز تدلل العالم والفاضل بحضرة من يدل عليه من فضلاء أصحابه، واستحباب ترك ذلك إذا حضر غريب، أو صاحب يستحى منه.

٣- وفيه فضيلة عثمان ﷺ، وجلالته عند الملائكة.

٤- وفضيلة الحياء، وأنه صفة جميلة من صفات الملائكة.

٥- ومن تبشيرهم بالجنة في الرواية الثالثة فضيلة هؤلاء الثلاثة.

٦- وأنهم من أهل الجنة.

٧- وفيه فضيلة لأبى موسى ﷺ.

٨- وجواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه فتنة الإعجاب.

٩- وفيه معجزة ظاهرة للنبى ﷺ، لإخباره بقصة عثمان والبلوى، وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان والهدى.

١٠- ومن قوله عند توقع البلاء « والله المستعان » استحباب قول ذلك عند مثل تلك الحال.

١١- ومن قول سعيد بن المسيب « فأولتها قبورهم » وقوع التأويل في اليقظة، أى تأويل الإشارات إلى أحداث، وهو الذى يسمى الفراسة، وقد أخذ سعيد بن المسيب من اجتماع الصاحبين مع النبى ﷺ على قف البئر، وانفراد عثمان تجاههم، اجتماعهم في الدفن، وانفراد عثمان عنهم في البقيع، وفى رواية « وقال سعيد: فأولت ذلك انتباذ قبره من قبورهم » وفى رواية زيادة « اجتمعوا هنا، وانفرد عثمان » والظاهر أن هذا التأويل إنما وقع فى نفس سعيد بعد دفنهم جميعاً، فهو ربط بين أخبار ماضية وأحداث حدثت تصدقها.

١٢- وفى وقوف أبى موسى على باب البئر أن النبى ﷺ لم يكن له بواب، وليس معنى ذلك أنه لم يكن له بواب لحظة من حياته، بل المعنى أنه لم يكن له بواب مرتب خاص بذلك على الدوام.

١٣- ومن تدلية الصاحبين لساقيهما في البئر مدى حرص أبى بكر وعمر على موافقة رسول الله ﷺ في حركاته وسكناته.

١٤- وفي هذا الفعل أيضاً الحرص على راحة الرسول ﷺ، إذ ربما لو لم يفعلا ذلك استحيا منهما فرفع ساقيه.

والله أعلم

(٦٣٥) باب فضائل عليّ ﷺ

٥٤١١- ٣٠/١ عَن عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ[٣٠]، عَن أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى. إلا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي» قَالَ سَعِيدٌ: فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُشَافِهَ بِهَا سَعْدًا. فَلَقِيتُ سَعْدًا. فَحَدَّثْتُهُ بِمَا حَدَّثَنِي عَامِرٌ. فَقَالَ: أَنَا سَمِعْتُهُ. فَقُلْتُ آنْتَ سَمِعْتَهُ؟ فَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَى أُذُنَيْهِ فَقَالَ: نَعَمْ. وَإِلا فَاسْتَكَّتَا.

٥٤١٢- ٣١/٢ عَن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ[٣١] قَالَ: خَلَّفَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى؟ غَيْرَ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي».

٥٤١٣- ٣٢/٣ عَن عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ[٣٢]، عَن أَبِيهِ ﷺ قَالَ: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ؟ فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلاثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ، فَلَنْ أَسُبَّهُ. لأَن تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن حُمْرِ النَّعَمِ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ، خَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! خَلَّفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى؟ إلا أَنَّهُ لا نُبُوَّةَ بَعْدِي» وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلا يُحِبُّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَتَطَاوَلْنَا لَهَا. فَقَالَ: «ادْعُوا لِي عَلِيًّا» فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ. فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ. وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ. فَفَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْهِ. وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دَعَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: اللّٰهُمَّ! هَؤُلاءِ أَهْلِي».

---

(٣٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَأَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ وَعُبَيْدُ اللّٰهِ الْقَوَارِيرِيُّ وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ كُلُّهُمْ عَن يُوسُفَ بْنِ الْمَاجِشُونِ وَاللَّفْظُ لابْنِ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا يُوسُفُ أَبُو سَلَمَةَ الْمَاجِشُونُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ عَن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ

(٣١) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ عَن شُعْبَةَ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْحَكَمِ عَن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ
– حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللّٰهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ فِي هَذَا الإِسْنَادِ.

(٣٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ قَالا حَدَّثَنَا حَاتِمٌ وَهُوَ ابْنُ إِسْمَعِيلَ عَن بُكَيْرِ بْنِ مِسْمَارٍ عَن عَامِرِ ابْنِ سَعْدٍ

٥٤١٤- - عَن سَعْدٍ ﷺ(-)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيٍّ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى».

٥٤١٥- ٣٣/٤ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٣٣)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إِلا يَوْمَئِذٍ. قَالَ: فَتَسَاوَرْتُ لَهَا، رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا. قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ. فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا. وَقَالَ امْشِ. وَلا تَلْتَفِتْ. حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ» قَالَ: فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ. فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: «قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ. إِلا بِحَقِّهَا. وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

٥٤١٦- ٣٤/٥ عَن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ(٣٤)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ. يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا. فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ. فَأُتِيَ بِهِ. فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ. وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ. حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ. فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ. حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ. ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ. وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِن حَقِّ اللَّهِ فِيهِ. فَوَاللَّهِ! لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِن أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

٥٤١٧- ٣٥/٦ عَن سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ(٣٥) قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي

(-) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ عَن شُعْبَةَ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ عَن سَعْدٍ

(٣٣) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ عَن سُهَيْلٍ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٣٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ حَازِمٍ عَن أَبِي حَازِمٍ عَن سَهْلٍ ح و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَاللَّفْظُ هَذَا حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَن أَبِي حَازِمٍ أَخْبَرَنِي سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ

(٣٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا حَاتِمٌ يَعْنِي ابْنَ إِسْمَعِيلَ عَن يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ عَن سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ

خَيْبَرَ، وَكَانَ رَمِدًا. فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ. فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ فِي صَبَاحِهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لأعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ لَيَأْخُذَنَّ بِالرَّايَةِ، غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ» فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ. وَمَا نَرْجُوهُ. فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ: فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّايَةَ. فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

٥٤١٨- ٣٦/٧ عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ[٣٦] قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ ابْنِ أَرْقَمَ. فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا. رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا. حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ! مَا سَمِعْتَ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! وَاللَّهِ! لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا. وَمَا لا، فَلا تُكَلِّفُونِيهِ. ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا. بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا. بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ. ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: أَلا أَيُّهَا النَّاسُ! فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ. فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ. وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ! أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِن أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِن أَهْلِ بَيْتِهِ. وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

٥٤١٩- - عَنْ أَبِي حَيَّانَ[-]، بِهَذَا الإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثِ إِسْمَعِيلَ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ «كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ. مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ، كَانَ عَلَى الْهُدَى. وَمَنْ أَخْطَأَهُ، ضَلَّ».

---

(٣٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَشُجَاعُ بْنُ مَخْلَدٍ جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنِي أَبُو حَيَّانَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ

(-) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارِ ابْنِ الرَّيَّانِ حَدَّثَنَا حَسَّانُ يَعْنِي ابْنَ إِبْرَاهِيمَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ بِمَعْنَى حَدِيثِ زُهَيْرٍ

- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ ح و حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ كِلاهُمَا عَنْ أَبِي حَيَّانَ

٥٤٢٠- ٣٧/٨ عَن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﷺ(٣٧) قَالَ: دَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا لَهُ: لَقَدْ رَأَيْتَ خَيْرًا. لَقَدْ صَاحَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ، بِنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «أَلا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. هُوَ حَبْلُ اللَّهِ. مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى. وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلالَةٍ» وَفِيهِ: فَقُلْنَا: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ نِسَاؤُهُ؟ قَالَ: لا. وَايْمُ اللَّهِ! إِنَّ الْمَرْأَةَ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ الْعَصْرَ مِنَ الدَّهْرِ. ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فَتَرْجِعُ إِلَى أَبِيهَا وَقَوْمِهَا. أَهْلُ بَيْتِهِ أَصْلُهُ، وَعَصَبَتُهُ الَّذِينَ حُرِمُوا الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ.

٥٤٢١- ٣٨/٩ عَن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ(٣٨) قَالَ: اسْتُعْمِلَ عَلَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِن آلِ مَرْوَانَ. قَالَ فَدَعَا سَهْلَ ابْنَ سَعْدٍ. فَأَمَرَهُ أَنْ يَشْتِمَ عَلِيًّا. قَالَ: فَأَبَى سَهْلٌ. فَقَالَ لَهُ: أَمَّا إِذْ أَبَيْتَ فَقُلْ: لَعَنَ اللَّهُ أَبَا التُّرَابِ. فَقَالَ سَهْلٌ: مَا كَانَ لِعَلِيٍّ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن أَبِي التُّرَابِ. وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ إِذَا دُعِيَ بِهَا. فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنَا عَن قِصَّتِهِ. لِمَ سُمِّيَ أَبَا تُرَابٍ؟ قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ. فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ. فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟» فَقَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ. فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ. فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لإِنْسَانٍ: «انْظُرْ. أَيْنَ هُوَ؟» فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ. فَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ. قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَن شِقِّهِ. فَأَصَابَهُ تُرَابٌ. فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: «قُمْ أَبَا التُّرَابِ! قُمْ أَبَا التُّرَابِ!».

المعنى العام

على بن أبى طالب بن عبد المطلب، ابن عم رسول اللّه ﷺ، كان أصغر من رسول اللّه ﷺ بنحو ثلاثين سنة، وقد تربى مع رسول اللّه ﷺ من صغره، إذ كان أبوه الحامى والمدافع عن رسول اللّه ﷺ، زوجه رسول اللّه ﷺ ابنته فاطمة بعد الهجرة، وكان من أشجع الصحابة، وله مواقف الجرأة والمنازلة، والمبارزة يوم بدر ولما حاصر المسلمون يهود خيبر أياما وكانوا قد تحصنوا فى حصون منيعة أعدوها لهذا اليوم، وجمعوا فيها قوت أشهر، وكانوا يخرجون من الحصون يناوشون جيش المسلمين، ثم يعودون، فيتحصنون، استمر حصار المسلمين لهم أياما، دون فتح، وأوحى إلى رسول اللّه ﷺ فى ليلة أن المسلمين سيفتحون خيبر بقيادة على ﷺ، فقال ﷺ لأصحابه الذين أجهدهم طول الحصار، حتى أكلوا البصل والثوم الأخضر وذبحوا الحمير، قال لهم: سأعطى الراية غدا رجلا يحب اللّه ورسوله

(٣٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارِ بْنِ الرَّيَّانِ حَدَّثَنَا حَسَّانُ يَعْنِي ابْنَ إِبْرَاهِيمَ عَن سَعِيدٍ وَهُوَ ابْنُ مَسْرُوقٍ عَن يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ عَن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ

(٣٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي حَازِمٍ عَن أَبِي حَازِمٍ عَن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ

ويحبه اللّه ورسوله، وسيفتح اللّه خيبر على يديه، وتمنى كل واحد منهم أن ينال هذا الشرف العظيم، حتى قال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه: ما تمنيت الإمارة فى يوم من الأيام، إلا فى تلك الساعة، وانتظر المسلمون الصباح بفارغ الصبر، وسارعوا إلى رسول اللّه ﷺ، وكل من زعمائهم وقادتهم يتطاول بعنقه نحو الرسول ﷺ، يرجو هذا الشرف، وكأنه يقول: أنا هو؟ فقال رسول اللّه ﷺ: أين على بن أبى طالب؟ لم يكن أحد منهم ينتظر ذلك، فعلى مريض، يشكو عينيه، ولم يحضر حصار الأيام الماضية ولقد تركوه بالمدينة، لكنهم قاموا يبحثون عنه - وإذا بسلمة بن الأكوع يراه من بعيد قادما من المدينة، لقد لام نفسه على أن يتخلف عن رسول اللّه ﷺ، مهما كان عذره، فتحامل، وصبر وصابر، ولحق بالجيش، وصحبه سلمة إلى رسول اللّه ﷺ، فبصق فى كفه الشريف، ومسح بكفه على عينيه، فبرأ كأن لم يكن به وجع، وسلمه راية القيادة، فبارز قائد اليهود، فقضى عليه، وفتح اللّه به خيبر.

ومرت الأيام، وتعددت الغزوات. غزوة مؤتة والحرقات والفتح وحنين، وأوطاس، والطائف، وفى كل غزوة منها نجد عليا رضى اللّه عنه جنديا عاملا مجاهداً، إن وضع فى المقدمة كان فى المقدمة، وإن وضع فى الساقة كان فى الساقة، ليس حريصا على قيادة، وإن كان أهلا لها، ولا آسفا عليها إن أبعد عنها، وهكذا كانت تربية الإسلام للقادة، بل فى أصعب الغزوات وأشدها وأخطرها، غزوة تبوك، نجد الرسول ﷺ يحجبه عنها، ويعينه على المدينة، غائبا عن المحاربين، ويتألم البطل الشجاع من هذا القرار، ويتظلم لرسول اللّه ﷺ، ويقول له: أتخلفنى هنا مع النساء والصبيان؟ والرسول الحكيم ﷺ، حريص على أن يدرب القادة على قيادة الشعب، كما يدربها على قيادة الجيش والرسول ﷺ هو قائد المسلمين فى الحرب وفى السلم.

فليخلف عليًّا على المدينة فى هذه الغزوة، فقال له: ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ لقد خلف موسى أخاه هارون فى قومه، حين ذهب لمناجاة ربه، وأنا أخلفك على أهل المدينة فى غزوتى هذه، فقال على رضي الله عنه: رضيت يا رسول اللّه.

المباحث العربية

(**أنت منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى**) فى الرواية الثانية « خلف رسول اللّه ﷺ على بن أبى طالب فى غزوة تبوك » أى خلفه مكانه على المدينة « فقال: يا رسول اللّه! تخلفنى فى النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبى بعدى » وفى الرواية الثالثة « خلفه فى بعض مغازيه » أى تبوك « فقال له على: يارسول اللّه! خلفتنى مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول اللّه ﷺ: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أن لا نبوة بعدى » وعند أحمد وابن سعد، أنه عليه الصلاة والسلام قال لعلى: « لابد أن أقيم أو تقيم، فأقام على، فسمع ناسا يقولون: إنما خلفه لشيء كرهه منه، فاتبعه فذكر له ذلك، فقال له: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ فقال على: رضيت. رضيت. بلى يا رسول اللّه. قال: فإنه كذلك ».

وفى الكلام تشبيه من حيث المعنى. أى أنت فى صلتك بى تشبه هارون فى صلته بموسى، ووجه

الشبه ليس أخوة النسب قطعا، وليس النبوة المشتركة بين موسى وهارون، فهى منفية بلفظ الحديث، فدل ذلك على أنه الخليفة فى غيابه، كما قال موسى لأخيه هارون: اخلفنى فى قومى، فعلىّ كان المستحق للخلافة من بعده. هكذا يفهم بعض الشيعة، ويجيب أهل السنة بأن هارون المشبه به إنما كان خليفة فى حياة موسى، حين ذهب لميقات ربه، للمناجاة لا بعد موته، لأنه مات قبل موسى بالاتفاق وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على المشهور، فالتشبيه إنما هو فى قيام عليّ على المدينة فى فترة غياب الرسول ﷺ عنها فى هذه الغزوة فقط، فقد أقام صلى الله عليه وسلم غيره على المدينة فى غير هذه الغزوة.

(**قال سعيد: فأحببت أن أشافه بها سعدا، فلقيت سعدا، فحدثته بما حدثنى عامر، فقال: أنا سمعته.فقلت: آنت سمعته؟ فوضع إصبعيه على أذنيه، فقال: نعم، وإلا فاستكتا**) أصل الإسناد: عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال...إلخ، فسعيد استوثق من سعد نفسه ما سمعه من ابنه، وقول سعد « وإلا فاستكتا » بتشديد الكاف، دعاء على أذنيه بالصمم إن لم تكونا سمعتا ما أخبر به أنه سمعه، يقال: استك أى انسد، واستكت مسامعه أى صمت.

(**أمر معاوية بن أبى سفيان سعدا**) المأمور به محذوف، لصيانة اللسان عنه، والتقدير: أمره بسب على ﷺ، وكان سعد قد اعتزل الفتنة، [حرب على مع خصومه]، ولعله اشتهر عنه الدفاع عن على.

(**فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب**)؟ معطوف على محذوف، والتقدير: أمر معاوية سعدا أن يسب عليا، فامتنع، فقال له: ما منعك؟

ويحاول النووى تبرئة معاوية من هذا السوء، فيقول: قال العلماء: الأحاديث الواردة التى فى ظاهرها دخل على صحابى يجب تأويلها، قالوا: ولا يقع فى روايات الثقات إلا ما يمكن تأويله ،فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعدا بسبه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب، كأنه يقول هل امتنعت تورعا؟ أو خوفا؟ أو غير ذلك؟ فإن كان تورعا وإجلالا له عن السب، فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعدا كان فى طائفة يسبون، فلم يسب معهم، وعجز عن الإنكار عليهم، فسأله هذا السؤال، قالوا: ويحتمل تأويلا آخر، أن معناه: ما منعك أن تخطئه فى رأيه واجتهاده؟ وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا، وأنه أخطأ.اهـ

وهذا تأويل واضح التعسف والبعد، والثابت أن معاوية كان يأمر بسب على، وهو غير معصوم، فهو يخطئ، ولكننا يجب أن نمسك عن انتقاص أى من أصحاب رسول الله ﷺ، وسب عليٌ فى عهد معاوية صريح فى روايتنا التاسعة.

(**أما ما ذكرت ثلاثا - قالهن له رسول الله ﷺ - فلن أسبه**) « ما ذكرت » بضم التاء للمتكلم، و« ما » ظرفية دوامية، والمعنى لا أسبه مدة ذكرى لثلاث، طالما أنا أذكر ثلاثا.

(**لأن تكون لى واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم**) اللام فى جواب قسم محذوف،

و« حمر النعم » الإبل الحمر، وهى أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل فى نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب إلى الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها.

(**يقول له: خلفه فى بعض مغازيه**) الجملة ليست مقول القول، وإنما هى تعبير من الراوى عن مقول القول، ومقول القول الأصلى: أخلفك فى المدينة فى هذه الغزوة.

(**خلفتنى مع النساء والصبيان**)؟ الكلام على سبيل الاستفهام الإنكارى، أى لا ينبغى أن تخلفنى.

(**فتطاولنا لها**) وفى الرواية الرابعة « ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت لها، رجاء أن أدعى إليها » ومعنى الروايتين واحد، أى رفعنا وجوهنا ورءوسنا، كناية عن التصدى لها.

وفى الرواية الخامسة « فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيهم يعطاها »؟ قال النووى: هكذا هو فى معظم النسخ والروايات « يدوكون » بضم الدال وبالواو، أى يخوضون ويتحدثون فى ذلك، وفى بعض النسخ « يذكرون » بإسكان الذال وبالراء. اهـ. أى يذكر كل منهم هذا القول، فيتوقع كل منهم ما يتوقع.

(**فقال: ادعوا لى عليا**) معطوف على محذوف، أى فأصبح فقال إلخ.

(**فأتى به أرمد، فبصق فى عينه، ودفع الراية إليه**) فى الرواية الرابعة « فدعا رسول الله ﷺ على ابن أبى طالب فأعطاه إياها » وفى الرواية الخامسة « فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين على بن أبى طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله - يشتكى عينيه، قال: فأرسلوا إليه » بفتح السين « فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه، ودعا له، فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية » وفى الرواية السادسة « كان على قد تخلف عن النبى ﷺ فى خيبر، وكان رمدا، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ؟ فخرج على، فلحق بالنبى ﷺ، فلما كان مساء الليلة التى فتحها الله فى صباحها قال رسول الله ﷺ، لأعطين الراية - أو ليأخذن بالراية غدا رجل يحب الله ورسوله - أو قال: يحبه الله ورسوله، يفتح الله عليه، فإذا نحن بعلى، وما نرجوه، فقالوا: هذا على، فأعطاه رسول الله ﷺ الراية » ولا تعارض بين الروايات، والجمع سهل، وبعض الرواة ذكر ما لم يذكر الآخر.

(**ففتح الله عليه**) وقد ذكرنا سير المعركة ونتيجتها عند الكلام عن غزوة خيبر.

(**ولما نزلت هذه الآية ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾**) دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: « اللّهم هؤلاء أهلى » هذه هى الفضيلة الثالثة لعلى ﷺ فى نظر سعد ابن أبى وقاص، وهى أن عليا من أهل رسول الله ﷺ، بل اعتبره من أبنائه.

وسياتى الكلام على آل بيته صلى الله عليه وسلم.

(**فأعطاه إياها، وقال: امش ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك، قال، فسار على شيئا ثم وقف، ولم يلتفت، فصرخ: يارسول الله! على ماذا أقاتل الناس**)؟ قال النووى: هذا الالتفات المنهى عنه يحتمل وجهين. أحدهما أنه على ظاهره، أى لا تلتفت بوجهك يمينا ولا شمالا،

ولا خلفا، بل اجعل وجهك إلى الأمام دائما، ويلزمه الإقدام وعدم التراجع والثبات، فالكلام على الحقيقة، الثانى أن المراد الحث على الإقدام والمبادرة، وعدم التشاغل بغير ما توجه له، فالكلام على سبيل الكناية، التى هى لفظ أطلق وأريد لازم معناه، مع صحة إرادة المعنى الأصلى، وحمله بعضهم على الكناية البعيدة، على معنى: لا تنصرف عن القتال بعد لقاء عدوك براحة أو توقف أو هدنة، حتى يفتح الله عليك، فقد كانت الأيام الأولى من القتال قبل تسلم علىٍّ الراية مناوشات يرجع المسلمون بعدها إلى عسكرهم، ويرجع أهل خيبر إلى حصونهم.

وقد حمله على ﷺ على الحقيقة، ولم يتلفت بوجهه إلى الخلف نحو الرسول ﷺ حين احتاج لسؤاله، بل سأل سؤاله بدون مواجهة.

(**قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا، بماء يدعى «خما» بين مكة والمدينة**) «خما» بضم الخاء وتشديد الميم، وهو اسم لغيضة أى لمكان يكثر فيه الشجر، على ثلاثة أميال من المكان الذى يسمى الحسنة، وعنده غدير غير مشهور، يضاف إلى الغيضة، فيقال: غدير خم.

(**وأنا تارك فيكم ثقلين**) بفتح الثاء والقاف، أى أمرين ثقيلين عظيمين، شأنهما كبير، والعمل بهما ثقيل.

(**كتاب الله... وأهل بيتى**) فى الرواية السابعة « أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل على، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس » وفى الرواية الثامنة « فقلنا: من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا. وايم الله! إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر» أى الزمن القصير من الزمن الطويل، ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته، الذين حرموا الصدقة بعده ».

قال النووى: هاتان الروايتان ظاهرهما التناقض، والمعروف فى معظم الروايات فى غير مسلم أنه قال: « نساؤه لسن من أهل بيته، فتتأول الرواية الأولى على أن المراد أنهن من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهم، وأمر باحترامهم وإكرامهم، وسماهم ثقلا، ووعظ فى حقوقهم وذكر، فنساؤه داخلات فى هذا كله، ولا يدخلن فيمن حرم الصدقة، قال: وقد أشار إلى هذا فى الرواية الأولى بقوله « نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة » فاتفقت الروايتان. اهـ. وحاصل التوفيق والجمع، أن نساءه رضى الله عنهن من أهل بيته من جهة الاحترام والتقدير، وليس من أهل بيته من جهة تحريم الصدقة عليهم، ففى الإثبات تراد جهة، وفى النفى تراد أخرى. وسيأتى خلاف الفقهاء فى تحديد أهل بيته ﷺ.

(**فأمره أن يشتم عليا**) أى يسب عليا رضى الله عنه باسمه.

(**فقال له: أما إذا أبيت فقل: لعن الله أبا التراب**) أى حيث أبيت سبه باسمه، فسبه بكنيته « أبى التراب » ويلمحون بذلك إلى تنقيصه بهذه الكنية، فكان الرد عليهم:

(**ما كان لعلى اسم أحب إليه من أبى التراب، وإن كان ليفرح إذا دعى بها**) وفى رواية « وما سماه أبا تراب إلا النبى ﷺ » وأطلق كلمة « اسم » وأراد بها الكنية « وإن » فى قوله « وإن كان ليفرح » مخففة من الثقيلة.

(**أين ابن عمك**) هو ابن عم أبيها، ففى هذا الإطلاق تجوز للاستعطاف.

(**كان بينى وبينه شيء**) أى من الخلاف والنقاش.

(**فغاضبنى فخرج**) كان حقها أن تقول: فغاضبته، فخرج، لأنه هو الغضبان، ولكنها المرأة.

(**فلم يقل عندى**) « يقل » بفتح الياء وكسر القاف، من قال يقيل قيلولة، وهى النوم نصف النهار.

(**فقال رسول الله ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟**) قال الحافظ ابن حجر: يظهر لى أنه سهل، راوى الحديث، لأنه لم يذكر أنه كان مع النبى ﷺ أحد، وللبخارى فى الأدب « فقال النبى ﷺ لفاطمة: أين ابن عمك؟ قالت: فى المسجد » فيحمل طلبه ﷺ من سهل أن ينظر أين هو؟ أى فى أى مكان هو من المسجد؟ .

(**هو فى المسجد راقد**) عند الطبرانى « فوجده مضطجعا فى فيء الجدار» أى فى ظل جدار المسجد داخله.

(**فجاءه رسول الله ﷺ، وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، فأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عنه، ويقول: قم أبا تراب**) أى كان ينام على جنبه الذى سقط عنه الرداء، ولاصق الأرض،فلصق به التراب، وخلص التراب إلى ظهره، فلما قعد رؤى التراب على هذا الجنب، فأخذ رسول الله ﷺ يمسح عنه هذا التراب، ويقول له مداعبا مضاحكا: يا أبا التراب. يا أبا التراب. مرتين.

قال الحافظ ابن حجر: والظاهر أن ذلك هو أول قول هذه الكلمة، لكن ثبت فى غزوة العسرة أن النبى ﷺ خاطبه بذلك هناك، قال: وهذا إن ثبت حمل على أنه خاطبه بذلك فى حالة أخرى. والله أعلم

فقه الحديث

على بن أبى طالب القرشى الهاشمى أبو الحسن، ابن عم رسول الله ﷺ .

ولد قبل البعثة بعشر سنين على الراجح، وكان قد رباه النبى ﷺ من صغره.

أول الناس إسلاما فى قول كثير من أهل العلم، وشهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها، إلا غزوة تبوك، ولما آخى النبى ﷺ بين الصحابة، قال له: أنت أخى.

واشتهر بالفروسية والشجاعة، وكان أحد الستة الذين رشحهم عمر للخلافة، فعرضها عليه عبد الرحمن ابن عوف، وشرط عليه شروطا، امتنع من بعضها، فعدل عنه إلى عثمان، فقبلها، فولاه، وسلم على وبايع عثمان، فلما قتل عثمان بايعه الناس، ثم كان ما كان من وقعة الجمل وصفين، ثم استشهاده رضى الله عنه ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين بعد الهجرة، وكانت مدة خلافته خمس سنين، تنقص ثلاثة أشهر ونصف شهر، على الصحيح.

ومناقبه كثيرة. قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلى: وقال غيره: كان سبب ذلك بغض بنى أمية له، فكان كل من كان عنده علم من شيء من مناقبه من الصحاب يثبته، وكلما أراد الأمويون إخماده ازداد انتشارا، وقد ولدت له الرافضة مناقب موضوعة، هو غنى عنها.

ولقد صار الناس فى حق على ﷺ بعد الفتنة على ثلاثة: أهل السنة، والمبتدعة من الخوارج، والمحاربين له من بنى أمية وأتباعهم، فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله، لكنهم أكثروا فى ذلك، وقام الطرفان: الثانى الرافضة بصنع أحاديث كثيرة لا أصل لها، وذهب الخوارج - وكانوا من أنصاره - إلى بغضه، وزادوا حتى كفروه، لقبوله التحكيم، وضموه إلى عثمان فى التكفير، أما الأمويون فتنقصوه، واتخذوا لعنه على المنابر سنة.

وقال النووى: قال القاضى عياض: عن الرواية الأولى: هذا الحديث مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة فى أن الخلافة كانت حقا لعلى، وأنه وصى له بها، قال: ثم اختلف هؤلاء، فكفرت الروافض سائر الصحابة فى تقديمهم غيره، وزاد بعضهم فكفر عليا، لأنه لم يقم فى طلب حقه بزعمهم، وهؤلاء أسخف مذهبا وأفسد عقلا من أن يرد عليهم أحد، أو يناظرهم، قال: ولا شك فى كفر من قال هذا، لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول، فقد أبطل نقل الشريعة، وهدم الإسلام، وأما من عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك، فأما الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون: هم مخطئون فى تقديم غيره، لا كفار، وبعض المعتزلة لا يقول بالتخطئة، لجواز تقديم المفضول عندهم.

وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلى، ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده، لأنه كان خاصا بغزوة تبوك، كما قدمنا فى المباحث العربية.

ويؤخذ من أحاديث الباب فوق ما تقدم

١- من الرواية الأولى قال العلماء: فى قوله ﷺ « لا نبى بعدى » دليل على أن عيسى ابن مريم عليه السلام إذا نزل فى آخر الزمان حكماً من حكام هذه الأمة، يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ، ولا ينزل نبيا، كما سبق توضيحه فى كتاب الإيمان.

٢- من مشافهة سعيد بن المسيب لسعد بن أبى وقاص عن الحديث مدى حرص التابعين على الاستيثاق من الحديث.

٣- وحرصهم على علو الإسناد.

٤- ومن رد سعد بن أبى وقاص ثقة الصحابة فى أحاديثهم، والتأكد منها، وتأكيدهم لسامعيهم صحتها.

٥- ومن الرواية الثالثة، من رفض سعد سب على رضى اللّه عنهما قوة سعد وصلابته فى دين اللّه، وجرأته فى قوله الحق، غير خائف من أذى أو لومة لائم.

٦- ومن قوله « يحبه اللّه ورسوله » فضيلة لعلى ﷺ.

٧- ومن تطاول الصحابة للراية، وقول عمر « ما أحببت الإمارة إلا يومئذ » فضيلة أخرى لعلى، وإنما كانت محبته لها لما دلت عليه الإمارة من محبته للّه ورسوله ﷺ ومحبتهما له،والفتح على يديه.

٨- ومن فتح اللَّه خيبر على يد على ﷺ معجزة لرسول اللَّه ﷺ، لإخباره بما سيقع.

٩- وفى بصق الرسول ﷺ فى عينى على ﷺ، وشفائهما معجزة أخرى.

١٠- وفى الحديث الدعاء إلى الإسلام قبل القتال، قال النووى: وقد قال بإيجابه على الإطلاق طائفة، ومذهبنا ومذهب آخرين أنهم إن كانوا ممن لم تبلغهم دعوة الإسلام وجب إنذارهم قبل القتال، وإلا فلا يجب، لكن يستحب.

١١- وفيه قبول الإسلام ممن نصبوا القتال، سواء كان فى حال القتال أم فى غيره، وحسابهم على اللَّه، أى نكف عنهم فى الظاهر، وأما ما بينهم وبين الله تعالى، فإن كان صادقا مؤمنا بقلبه نفعه ذلك فى الآخرة، ونجا من النار، كما نفعه فى الدنيا، وإلا فلا ينفعه، بل يكون منافقا من أهل النار.

١٢- وفيه أنه يشترط فى صحة الإسلام النطق بالشهادتين، فإن كان أخرس، أو فى معناه كفته الإشارة إليهما.

١٣- وفيه بيان فضيلة العلم، لقوله « لأن يهدى اللَّه بك رجلا...إلخ ».

١٤- والدعاء إلى الهدى، وسن السنن الحسنة.

١٥- فى الرواية السابعة والثامنة الوصاية بأهل البيت، واختلف فى المراد بهم، والراجح أنهم من حرمت عليهم الصدقة، وهم بنو هاشم وبنو المطلب على الأرجح، وعن أبى حنيفة ومالك : بنو هاشم فقط.

وفى حديث أبى حميد « أزواجه وذريته » وقد أطلق على أزواجه ﷺ آل محمد، فى حديث عائشة « ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثا » وحديث أبى هريرة « اللَّهم اجعل رزق آل محمد قوتا » وقيل: المراد بآله ذرية فاطمة خاصة، وقيل: هم جميع قريش، وقيل: جميع أمة الإجابة، وهو يتعارض مع نصوص الأحاديث.

١٦- وفى الرواية التاسعة جواز القائلة فى المسجد.

١٧- وإطلاق ابن العم على أقارب الأب، لأنه ابن عم أبيها، وقال عنه « ابن عمك؟ ».

١٨- وفيه إرشادها إلى أن تخاطبه بذلك، لما فيه من الاستعطاف بذكر القرابة.

١٩- وفيه ممازحة المغضب بما لا يغضب منه وبما يحصل به تأنيسه.

٢٠- وفيه التكنية بغير الولد.

٢١- وتكنية من له كنية.

٢٢- والتلقيب بالكنية لمن لا يغضب.

٢٣- ومداراة الصهر، وتسكين غضبه.

٢٤- ودخول الوالد بيت ابنته، بغير إذن زوجها، حيث يعلم رضاه.

واللَّه أعلم

(٦٣٦) باب من فضائل سعد بن أبي وقاص ﷺ

٥٤٢٢- ٣٩/١ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٣٩] قَالَتْ: أَرِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ: «لَيْتَ رَجُلاً صَالِحًا مِن أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ» قَالَتْ: وَسَمِعْنَا صَوْتَ السِّلاحِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَذَا؟» قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! جِئْتُ أَحْرُسُكَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ.

٥٤٢٣- ٤٠/٢ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٤٠] قَالَتْ: سَهِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ لَيْلَةً. فَقَالَ: «لَيْتَ رَجُلا صَالِحًا مِن أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ» قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلاحٍ. فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ. فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ نَامَ. وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ: فَقُلْنَا مَنْ هَذَا؟

٥٤٢٤- - وفِي رواية عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: أَرِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ. بِمِثْلِ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلالٍ.

٥٤٢٥- ٤١/٣ عَن عَلِيٍّ ﷺ[٤١] قَالَ: مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَوَيْهِ لأَحَدٍ، غَيْرِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ. فَإِنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي».

٥٤٢٦- ٤٢/٤ عَن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ[٤٢] قَالَ: لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ.

---

(٣٩) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بلال عَن يَحْيَى بْن سَعِيدٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْن عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ عَن عَائِشَةَ

(٤٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَن يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ أَنَّ عَائِشَةَ

- وحَدَّثَنَاه مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرِ بْن رَبِيعَةَ يَقُولُ

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ح و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ح وحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَقُ الْحَنْظَلِيُّ عَن مُحَمَّدِ بْنِ بِشْرٍ عَن مِسْعَرٍ ح وحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَن مِسْعَرٍ كُلُّهُمْ عَن سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَن عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بمِثْلِهِ.

(٤١) حدثنا منصور بن أبي مزاحم. حدثنا إبراهيم (يعنى ابن سعد) عن أبيه، عن عبد اللّه بن شداد. قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُول

(٤٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ بِلالٍ عَن يَحْيَى وَهُوَ ابْنُ سَعِيدٍ عَن سَعِيدٍ عَن سَعْدِ ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ

- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَابْنُ رُمْحٍ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ح وحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ كِلاهُمَا عَن يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ.

٥٤٢٧- ٠٠/٥ عَن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ(٠٠)، عَن أَبِيهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ لَهُ أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ. قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَحْرَقَ الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» قَالَ: فَنَزَعْتُ لَهُ بِسَهْمٍ، لَيْسَ فِيهِ نَصْلٌ. فَأَصَبْتُ جَنْبَهُ، فَسَقَطَ، فَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى نَوَاجِذِهِ.

٥٤٢٨- ٤٣/٦ عَن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ(٤٣)، عَن أَبِيهِ ﷺ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ. وَلا تَأْكُلَ وَلا تَشْرَبَ. قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ. وَأَنَا أُمُّكَ. وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثَتْ ثَلاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ. فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ. فَسَقَاهَا. فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ وَفِيهَا ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ قَالَ: وَأَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنِيمَةً عَظِيمَةً. فَإِذَا فِيهَا سَيْفٌ فَأَخَذْتُهُ. فَأَتَيْتُ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ. فَقُلْتُ: نَفِّلْنِي هَذَا السَّيْفَ. فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ. فَقَالَ: «رُدُّهُ مِن حَيْثُ أَخَذْتَهُ» فَانْطَلَقْتُ حَتَّى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُلْقِيَهُ فِي الْقَبَضِ لامَتْنِي نَفْسِي، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ. فَقُلْتُ: أَعْطِنِيهِ. قَالَ فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ «رُدُّهُ مِن حَيْثُ أَخَذْتَهُ» قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ﴾ قَالَ وَمَرِضْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَانِي. فَقُلْتُ: دَعْنِي أَقْسِمْ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ. قَالَ: فَأَبَى. قُلْتُ: فَالنِّصْفَ. قَالَ: فَأَبَى. قُلْتُ: فَالثُّلُثَ. قَالَ: فَسَكَتَ. فَكَانَ، بَعْدُ، الثُّلُثُ جَائِزًا. قَالَ: وَأَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ. فَقَالُوا: تَعَالَ نُطْعِمْكَ وَنَسْقِكَ خَمْرًا. وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ. وَالْحَشُّ الْبُسْتَانُ. فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٌّ عِنْدَهُمْ وَزِقٌّ مِن خَمْرٍ. قَالَ: فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ. قَالَ: فَذَكَرْتُ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ. فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الأَنْصَارِ. قَالَ: فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَيِ الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي بِهِ فَجَرَحَ بِأَنْفِي. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ – يَعْنِي نَفْسَهُ – شَأْنَ الْخَمْرِ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِن عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.

٥٤٢٩- ٤٤/٧ عَن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَن أَبِيهِ ﷺ(٤٤)، أَنَّهُ قَالَ: أُنْزِلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ. وَسَاقَ

---

(٠٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا حَاتِمٌ يَعْنِي ابْنَ إِسْمَعِيلَ عَن بُكَيْرِ بْنِ مِسْمَارٍ عَن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَن أَبِيهِ

(٤٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالا حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ عَن أَبِيهِ

(٤٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ

الْحَدِيثَ، بِمَعْنَى حَدِيثِ زُهَيْرٍ، عَنْ سِمَاكٍ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ: قَالَ: فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا شَجَرُوا فَاهَا بِعَصًا. ثُمَّ أَوْجَرُوهَا. وَفِي حَدِيثِهِ أَيْضًا: فَضَرَبَ بِهِ أَنْفَ سَعْدٍ فَفَزَرَهُ. وَكَانَ أَنْفُ سَعْدٍ مَفْزُورًا.

٥٤٣٠- ٤٥/٨ عَنْ سَعْدٍ ﷺ(٤٥): فِيَّ نَزَلَتْ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي سِتَّةٍ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ مِنْهُمْ. وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَالُوا لَهُ: تُدْنِي هَؤُلَاءِ؟!.

٥٤٣١- ٤٦/٩ عَنْ سَعْدٍ ﷺ(٤٦) قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا. فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ. فَحَدَّثَ نَفْسَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

المعنى العام

سعد بن أبى وقاص ﷺ من أوائل السابقين إلى الإسلام، ومن كبار المجاهدين من الصحابة، كان مشهورًا بالفروسية والشجاعة والذكاء، والفراسة، وبعد النظر، شارك الرسول ﷺ فى غزواته وضرب المثل الأعلى فى حبه للرسول ﷺ، والحرص عليه وحمايته من كل سوء، وكان يحرسه مما يخاف عليه منه، يقف على بابه ساهراً مستعداً بسلاحه فى السلم، ويفديه بصدره فى الحرب، وعند الشدائد يعرف الحب والإخلاص، وفى الأزمات تتبين المعادن الأصيلة، لقد هزم المسلمون فى أحد، وفاجأت الصدمة الشجعان فأذهلتهم، وممن غشى عليه سعد بن أبى وقاص، انتبه فوجد نفسه على الأرض، أفاق فوجد أمامه رسول الله ﷺ وقد أحاط به المشركون وليس معه إلا أقل من عشرة من المسلمين، يحيطون به، ويقدمون نحورهم فداء لنحره، وسعد من كبار الرماة، تحسس جعبة سهامه فوجدها مليئة، وتحسس نبله فوجده جاهزا، فأخذ يرمى المشركين حتى نفدت سهام جعبته، وإذا برسول الله ﷺ ينثر له جعبته، ويقول له: ارم يا سعد! فداك أبى وأمى. ويرمى سعد، فتنفد السهام، فيرى رسول الله ﷺ بعض الصحابة العائدين بعد فرار فيقول لهم: انثروا جعبكم أمام سعد، ويظل سعد يرمى فى نحور المشركين حتى بعدوا عن رسول الله ﷺ، وانصرفوا عن المسلمين.

وكانت دعوة النبى ﷺ له: اللهم! سدد رميته، وأجب دعوته. فكان مجاب الدعوة، كما كان سديد الرمى، وبعد رسول الله ﷺ عاون أبا بكر فى حروبه، وعينه عمر ﷺ قائدا لجيوش المسلمين فى حربهم لكسرى، ففتح بلاد كسرى، وفتح العراق، وبنى مدينة الكوفة، وعينه عمر ﷺ واليا على الكوفة، ولما عزله عمر استجابة لشكاية من بعض أهلها وكانت تهما باطلة قال فى وصيته: لم أعزله عن قصور، ورشحه أحد الستة الذين حصر الخلافة فيهم من بعده، وأوصى بالاستعانة به.

---

(٤٥) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعْدٍ

(٤٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعْدٍ

رضى اللّٰه عنه وأرضاه، ورضى عن الصحابة أجمعين.

المباحث العربية

(**أرق رسول اللّٰه ﷺ ذات ليلة، فقال: ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة**) « أرق » بفتح الهمزة وكسر الراء وفتح القاف، أى سهر، ولم يأته نوم، فى الرواية الثانية « سهر رسول اللّٰه ﷺ، مقدمه المدينة ليلة » أى فى أوائل إقامته بالمدينة وعند البخارى « كان النبى ﷺ سهر فلما قدم المدينة » وفى ليلة من الليالى بعد أن تزوج عائشة، وكان يخاف غدر اليهود « قال: ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة » ولم يبين زمان السهر، وظاهر أن السهر كان قبل القدوم، والقول بعده، وظاهر روايتنا أن السهر والقول معا كانا بعد القدوم، وعند النسائى « كان رسول اللّٰه ﷺ أول ما قدم المدينة يسهر من الليل » وعند أحمد « أن رسول اللّٰه ﷺ سهر ذات ليلة، وهى إلى جنبه، قالت: فقلت: ما شأنك يا رسول اللّٰه؟... » الحديث، وعند الترمذى عن عائشة رضى اللّٰه عنها قالت: « كان النبى ﷺ يحرس، حتى نزلت هذه الآية ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ».

(**قالت: وسمعنا صوت السلاح**) فى الرواية الثانية « فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح » أى صوت سلاح، صدم بعضه بعضا.

(**فقال رسول اللّٰه ﷺ: من هذا؟ قال: سعد بن أبى وقاص: يا رسول اللّٰه، جئت أحرسك**) فى الرواية الثانية « فقال: من هذا؟ قال: سعد بن أبى وقاص، فقال له رسول اللّٰه ﷺ: ما جاء بك؟ قال: وقع فى نفسى خوف على رسول اللّٰه ﷺ، فجئت أحرسه، فدعا له رسول اللّٰه ﷺ ».

(**فنام رسول اللّٰه ﷺ حتى سمعت غطيطه**) الغطيط صوت النائم المرتفع.

(**ما جمع رسول اللّٰه ﷺ أبويه لأحد، غير سعد بن مالك، فإنه جعل يقول له يوم أحد: ارم. فداك أبى وأمى**) المعنى: ما جمع فى التفدية بين أبويه، ولكنه كان كثيراً ما يقول: فداك أبى – فقط، وفى الرواية الرابعة يقول سعد: لقد جمع لى رسول اللّٰه ﷺ أبويه يوم أحد » وفى نفى جمع أبويه عن غير سعد نظر، فقد ثبت – وسيأتى – أن النبى ﷺ جمع أبويه للزبير بن العوام، يوم الخندق، ويجمع بينهما بأن علياً ﷺ لم يطلع على ذلك، أو مراده تقييد ذلك بيوم أحد، ويؤيد الجمع الأول رواية البخارى « عن على ﷺ قال: ما سمعت النبى ﷺ جمع أبويه لأحد، إلا لسعد بن مالك، فإنى سمعته يقول يوم أحد: يا سعد، ارم. فداك أبى وأمى ».

وتوضح الروايات سبب هذه التفدية، ففى البخارى عن سعد ﷺ « نثل لى رسول اللّٰه ﷺ كنانته يوم أحد، فقال: ارم. فداك أبى وأمى » « نثل » أى نفض، والكنانة جعبة السهام، وتكون غالبا من جلود، وعند الحاكم عن سعد ﷺ قال: « جال الناس يوم أحد تلك الجولة » أى انهزموا وفروا « فتنحيت، فقلت: أذود عن نفسى، فإما أن أنجو، وإما أن أستشهد، فإذا رجل محمر الوجه – وقد كاد المشركون أن يركبوه، فملأ يده من الحصى، فرماهم وإذا بينى وبينه المقداد، فأردت أن أسأله عن الرجل، فقال لى :يا سعد، هذا رسول اللّٰه ﷺ يدعوك،

فقمت، وكأنه لم يصبني شيء من الأذى، وأجلسني أمامه، فجعلت أرمي ... » وقد روى مسلم عن ظروف هذه التفدية، عن أنس ﷺ قال « أفرد رسول الله ﷺ يوم أحد في سبعة من الأنصار، ورجلين من قريش » وكأن المراد بالرجلين طلحة وسعد.

(**كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين**) أي أثخن فيهم، و أكثروبالغ في جرحهم وقتلهم، وعمل فيهم نحو عمل النار.

(**قال: فنزعت له بسهم ليس فيه نصل**) أي رميته بسهم ليس فيه زج، أي رماه بعود من الخشب ليس في طرفه الحديدة النفاذة الجارحة.

(**فأصبت جنبه**) قال النووي: بالجيم والنون، هكذا هو في معظم النسخ، وفي بعضها « حبته » بحاء مفتوحة وباء مشددة مفتوحة، بعدها تاء، أي حبة قلبه.

(**فسقط، فانكشفت عورته**) أي وقع على جنبه، فرفع الإزار عن عورته.

(**فضحك رسول الله ﷺ**) فرحا بإصابته وسقوطه، وليس لانكشاف عورته.

(**حتى نظرت إلى نواجذه**) بالذال، أي أنيابه، أو أضراسه.

(**أنه نزلت فيه آيات من القرآن**) أي كان سببا في نزولها.

(**حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدا، حتى يكفر بدينه، ولا تأكل و لا تشرب**) أي حتى يكفر بالإسلام.

وأمه خمرة بنت سفيان بن أمية، بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أمية، وهذه العلاقة وحدها كافية في تبرير موقفها، أو فهمه، رغم أن السيدة أم حبيبة من السابقات وهي ابنة أبي سفيان..

(**مكثت ثلاثا حتى غشي عليها من الجهد**) أي ثلاث ليال لا تأكل ولا تشرب، حتى غشي عليها من التعب.

(**فقام ابن لها يقال له: عمارة، فسقاها**) في الرواية السابعة « فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها » أي أو يسقوها « شجروا فاها بعصا » أي فتحوا فاها، ووضعوا فيه عصا لئلا تطبق، ثم صبوا الطعام، فيصل جوفها رغم أنفها. قال النووي: هكذا صوابه « شجروا » بالشين والجيم والراء، وهكذا هو في جميع النسخ، قال القاضي: ويروى « شحوا فاها » بالحاء وحذف الراء، ومعناه قريب من الأول، أي أوسعوه وفتحوه، والشحو التوسعة، ودابة شحو، واسعة الخطو، ويقال: أوجره، ووجره، لغتان، الأولى أفصح، وأشهر. اهـ

وفي كتب اللغة: الوجور، بفتح الواو وضمها الدواء يصب في الحلق، وأوجر الناس العليل، صبوا الوجور في حلقه.

(**فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾.... وفيها ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾**)

وأخرج أبو يعلى وابن مردويه والطبرانى وابن عساكر، عن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال: « كنت برا بأمى، لما أسلمت قالت: يا سعد، وما هذا الذى أراك قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا، أو لا آكل ولا أشرب، حتى أموت، فتعير بى، فيقال: يا قاتل أمه. قلت لا تفعلى يا أمه، فإنى لا أدع دينى هذا لشيء، فمكثت يوما وليلة، لا تأكل، فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوما وليلة لا تأكل، فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت: يا أمه، تعلمين. واللّه! لو كانت لك مائة نفس، فخرجت نفسا نفسا، ما تركت دينى هذا لشيء، فإن شئت فكلى، وإن شئت لا تأكلى، فلما رأت ذلك أكلت، فنزلت هذه الآية ».

(**وأصاب رسول اللّه ﷺ غنيمة عظيمة، فإذا فيها سيف، فأخذته، فأتيت به الرسول ﷺ، فقلت: نفلنى هذا السيف**) أى أعطنيه نافلة، زائدة على حقى « فأنا من قد علمت حاله » جهادا وشجاعة وكفاءة « فقال: رده من حيث أخذته، قال: فانطلقت، حتى إذا أردت أن ألقيه فى القبض » بفتح القاف والباء، الموضع الذى يجمع الغنائم « لامتنى نفسى، فرجعت إليه، فقلت: أعطنيه. فقال: فشد لى صوته: رده من حيث أخذته، قال: فأنزل اللّه عز وجل ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ....**﴾ أى الأنفال لرسول اللّه ﷺ، يمنحها لمن يشاء، وقد جاء أن النبى ﷺ بعد نزول الآية أرسل إلى سعد، أن يأخذ السيف. فقد أخرج أحمد وأبو داود، والترمذى وصححه والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه، والحاكم وصححه والبيهقى فى السنن عن سعد رضى اللّه عنه قال: « قلت: يا رسول اللّه، قد شفانى اللّه تعالى اليوم من المشركين، فهب لى هذا السيف. قال: إن هذا السيف لا لك، ولا لى. ضعه، فوضعته، ثم رجعت فقلت: عسى يعطى هذا السيف اليوم من لا يبلى بلائى، وإذا رجل يدعونى من ورائى، فقلت: قد أنزل فى شيء، قال عليه الصلاة والسلام: كنت سألتنى هذا السيف، وليس هو لى، وإنى قد وهب لى، فهو لك، وأنزل اللّه هذه الآية ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ**﴾.

(**ومرضت، فأرسلت إلى النبى ﷺ**) كان هذا المرض بمكة فى حجة الوداع، وعاش سعد بعدها أزيد من أربعين سنة.

(**فكان بعد. الثلث جائزا**) أى لم ينزل فى هذا قرآن، بل السنة قيدت القرآن، فى قوله ﴿**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ**﴾ [النساء: ١٢] فالوصية فى القرآن مطلقة، والسنة قيدتها بالثلث. والموضوع مبسوط فى كتاب الوصية.

(**فأتيتهم فى حش. والحش البستان**) بفتح الحاء وتشديد الشين.

(**فإذا رأس جذور مشوى عندهم**) « مشوى » بالرفع، صفة لرأس، والجذور ما يصلح لأن يذبح من الإبل، ذكرا أو أنثى، ولفظه أنثى، يقال للبعير: هذه جذور سمينة، والجمع جزائر وجزر، والجزر بفتح الجيم وسكون الزاى النحر، يقال: جزر الجزور نحرها، فهو جازر وجزار وجزير.

(**وزق من خمر**) أى عندهم، فزق معطوف على « رأس » أو مبتدأ، خبره محذوف والجملة معطوفة على الجملة، والزق بكسر الزاى وعاء من جلد، يجز شعره ولا ينتف، يستخدم إناء للشراب وغيره، وجمعه أزقاق، وزقاق.

(**فذكرت الأنصار والمهاجرون عندهم**) بضم الذال وكسر الكاف وفتح الراء بالبناء للمجهول، وفى بعض النسخ بفتح الذال والكاف وسكون الراء، وضمير المتكلم « فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم » وفى رواية « فتفاخرنا » فقلت: المهاجرون خير من الأنصار.

(**فقلت: المهاجرون خير من الأنصار**) فى بعض النسخ « المهاجرين خير من الأنصار» والصحيح الأول.

(**فأخذ رجل أحد لحيى الرأس، فضربنى به**) أى فأخذ رجل من الأنصار - يدافع عن الأنصار - واللحاء بكسر اللام، ويقصر - من كل شيء قشره، ولحاء التمرة ما كسا النواة، وليس ما هنا منه، بل تثنية لحى، بفتح اللام وسكون الحاء وتحريك الياء، وهو منبت اللحية من الإنسان وغيره، وهما لحيان، واللحيان بفتح اللام حائطا الفم، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم، من كل جانب لحى، ويكون للإنسان والدابة، وهو المراد هنا.

(**فجرح بأنفى**) « جرح » تتعدى بنفسها، فالمفعول محذوف، والباء بمعنى « فى » أى جرحنى فى أنفى، فى الرواية السابعة « فضرب به أنف سعد، ففزه، وكان أنف سعد مفزورًا » أى فشقه قال الراوى: وكان أنف سعد مفزورا أى بقى أثر الضربة فى أنف سعد بقية حياته.

(**فأنزل الله تعالى فى - يعنى نفسه - شأن الخمر**) ذكر العلماء هذا سببا لنزول الآية ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ وذكر بعضهم سببا أو أسبابا أخرى، وتعدد الأسباب لنازل واحد كثير.

(**فى نزلت ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[الأنعام: ٥٢] قال: نزلت فى ستة. أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا له: تدنى هؤلاء**)؟ وفى الرواية التاسعة عن سعد ﷺ قال « كنا مع النبى ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبى ﷺ: اطرد هؤلاء، لا يجترئون علينا » أى لئلا يجترءوا علينا، ويطمعوا فينا، ويلغوا الفوارق بيننا وبينهم، إن نحن أسلمنا، فكانوا معنا، أى اطردهم لنسلم « قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال، ورجلان لست أسميهما » وقد أخرج أحمد والطبرانى وغيرهما عن ابن مسعود ﷺ قال « مر الملأ من قريش على النبى ﷺ، وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، رضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ أنحن نكون تبعا لهؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فأنزل الله تعالى فيهم القرآن ».

(**فوقع فى نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾**) وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ والبيهقى فى الدلائل وغيرهم، عن خباب ﷺ قال « جاء الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى، فوجدا النبى ﷺ قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب فى أناس ضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم، فأتوه، فخلوا به، فقالوا: نحب أن تجعل لنا منك مجلسا، تعرف العرب له فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك، فنستحى أن ترانا قعوداً مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك، فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت.

قال: نعم. قالوا: فاكتب لنا عليك بذلك كتابا، فدعا بالصحيفة، ودعا عليا ﷺ ليكتب، ونحن قعود فى ناحية، إذ نزل جبريل بهذه الآية ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ...﴾ إلخ، ثم دعانا، فأتيناه، وهو يقول: « سلام عليكم. كتب ربكم على نفسه الرحمة » فكنا نقعد معه، فإذا أراد أن يقوم، قام وتركنا، فأنزل الله تعالى ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] إلخ، فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد، فإذا بلغ الساعة التى يقوم فيها، قمنا وتركناه حتى يقوم ».

وأخرج ابن المنذر وغيره عن عكرمة قال: مشى عتبة وشيبة ابنا ربيعة وقرظة ابن عبد عمرو بن نوفل والحارث بن عامر ومطعم بن عدى فى أشراف الكفار من عبد مناف، إلى أبى طالب، فقالوا: لو أن ابن أخيك طرد عنا هؤلاء الأعبد والحلفاء، كان أعظم له فى صدورنا وأطوع له عندنا، وأدنى لاتباعنا إياه، وتصديقه، فذكر ذلك أبو طالب للنبى ﷺ، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: لو فعلت يا رسول الله؟ حتى ننظر ما يريدون بقولهم، وما يصيرون إليه من أمرهم؟ فأنزل الله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ إلى قوله ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ وكانوا بلالا وعمار بن ياسر، وسالما مولى أبى حذيفة، وصبيحا مولى أسيد، والحلفاء بن مسعود والمقداد بن عمرو، وواقد بن عبد الله الحنظلى، وعمرو بن عبد عمرو، ومرثد بن أبى مرثد وأشباههم ».

فقه الحديث

سعد بن مالك بن أهيب - ويقال له: وهيب -بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشى، أبو إسحاق، ابن أبى وقاص، أحد العشرة، وآخرهم موتا، أحد فرسان الصحابة، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله وأحد الستة أهل الشورى، وقال عمر فى وصيته الماضية: إن أصابته الإمرة فذاك، وإلا فليستعن به الوالى، وكان رأس من فتح العراق، وولى الكوفة لعمر سنة إحدى وعشرين، وهو الذى بناها، وعزله عمر عنها، وأعاده عثمان إليها، ثم عزله، ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة، ولزم بيته، مات بقصره بالعقيق على بعد عشرة أميال من المدينة، وحمل إليها على الأعناق، ودفن بالبقيع، وصلى عليه مروان بن الحكم مات سنة خمس وخمسين على الأشهر، ولما حضره الموت دعا بجبة له، خلقة، من صوف، فقال: كفنونى فيها، فإنى لقيت المشركين فيها يوم بدر، وهى على، وإنما كنت أخبؤها لهذا، وهو الذى فتح مدائن كسرى، وأكثر مدن فارس، وله كان فتح القادسية وغيرها.

وكان سابع سبعة أسلموا، أسلم وهو ابن تسع عشرة سنة، وشهد بدراً والحديبية، وسائر المشاهد، دعا له رسول الله ﷺ: اللهم سدد سهمه، وأجب دعوته، فكان مجاب الدعوة، أخرج البخارى عن جابر ابن سمرة قال: « شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر ﷺ، شكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلى، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى، قال أبو إسحق. أما أنا والله! فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحق » وقال أحد الشاكين: « إن سعداً لا يسير بالسرية » أى لا يخرج للجهاد مع السرايا « ولا يقسم السوية، ولا يعدل فى القضية » فدعا عليه سعد ثلاث دعوات، قال: « اللهم! إن كان عبدك هذا كاذبا، قام رياء وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن » فطال عمره، حتى سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجوارى فى الطريق يغمزهن، وكان يقول: شيخ كبير مفتون. أصابته دعوة سعد.

ويؤخذ من أحاديث الباب

١- من الرواية الأولى والثانية جواز الاحتراس من العدو، والأخذ بالحزم، وترك الإهمال، فى موضع الحاجة إلى الاحتياط. قال النووى: قال العلماء: وكان هذا الحديث قبل نزول قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] لأنه صلى الله عليه وسلم ترك الاحتراس، حين نزلت الآية - أى ترك الحراسة وأمر أصحابه بالانصراف عن حراسته، وقد صرح فى الرواية الثانية بأن هذا الحديث الأول كان فى أول قدومه المدينة، ومعلوم أن الآية نزلت بعد ذلك بأزمان. اهـ و قال الحافظ ابن حجر: وإنما عانى صلى الله عليه وسلم ذلك مع قوة توكله للاستنان به فى ذلك، وأيضا فالتوكل لا ينافى تعاطى الأسباب، لأن التوكل عمل القلب، وتعاطى الأسباب عمل البدن، وقد قال إبراهيم عليه السلام ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وقال عليه الصلاة والسلام «اعقلها وتوكل» قال ابن بطال: نسخ ذلك، كما دل عليه حديث عائشة، وقال القرطبى: ليس فى الآية ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ما ينافى الحراسة، كما أن إعلان الله نصر دينه وإظهاره، لم يمنع الأمر بالقتال وإعداد العدة، وعلى هذا فالمراد من العصمة العصمة من الفتنة والإضلال.

٢- وأن على الناس أن يحرسوا سلطانهم، خشية القتل.

٣- والثناء على من تبرع بالخير، وتسميته صالحا.

٤- وفيه جواز التفدية بالأبوين، قال النووى: وبه قال جماهير العلماء، وكرهه عمر بن الخطاب والحسن البصرى، رضى الله عنهما، وكرهه بعضهم بالمسلم من أبويه، والصحيح الجواز مطلقا، لأنه ليس فيه حقيقة فداء، وإنما هو كلام، وإلطاف، وإعلام بمحبته له، ومنزلته، وقد وردت الأحاديث الصحيحة بالتفدية مطلقا، وقد جمع رسول الله ﷺ أبويه للزبير، ولغيره أيضا.

٥- وفيه فضيلة الرمى، والحث عليه.

٦- ومن قوله «ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى» جواز التمنى، وقول لو.

والله أعلم

(٦٣٧) باب من فضائل طلحة والزبير رضى اللّٰه عنهما

٥٤٣٢- ٤٧/١ عَن أَبِي عُثْمَانَ رضي الله عنه[٤٧] قَالَ: لَمْ يَبْقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ تِلْكَ الأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ. عَن حَدِيثِهِمَا.

٥٤٣٣- ٤٨/٢ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٤٨] قَالَ: نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ. فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ. ثُمَّ نَدَبَهُمْ. فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ. ثُمَّ نَدَبَهُمْ. فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ».

٥٤٣٤- ٤٩/٣ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه[٤٩] قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، يَوْمَ الْخَنْدَقِ مَعَ النِّسْوَةِ. فِي أُطُمِ حَسَّانَ. فَكَانَ يُطَأْطِئُ لِي مَرَّةً فَأَنْظُرُ. وَأُطَأْطِئُ لَهُ مَرَّةً فَيَنْظُرُ. فَكُنْتُ أَعْرِفُ أَبِي إِذَا مَرَّ عَلَى فَرَسِهِ فِي السِّلاحِ، إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. قَالَ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْوَةَ، عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لأَبِي. فَقَالَ: وَرَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ! لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَوْمَئِذٍ، أَبَوَيْهِ. فَقَالَ: «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي».

٥٤٣٥- – وفِي رواية عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ كُنْتُ أَنَا وَعُمَرُ ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي الأُطُمِ الَّذِي فِيهِ النِّسْوَةُ. يَعْنِي نِسْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ، بِمَعْنَى حَدِيثِ ابْنِ مُسْهِرٍ، فِي هَذَا الإِسْنَادِ. وَلَمْ يَذْكُرْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُرْوَةَ فِي الْحَدِيثِ، وَلَكِنْ أَدْرَجَ الْقِصَّةَ فِي حَدِيثِ هِشَامٍ، عَن أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ.

٥٤٣٦- ٥٠/٤ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٥٠]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ، هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ. فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اهْدَأْ. فَمَا عَلَيْكَ إِلا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ».

---

(٤٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ وَحَامِدُ بْنُ عُمَرَ الْبَكْرَاوِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى قَالُوا حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ وَهُوَ ابْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي عَنْ أَبِي عُثْمَانَ

(٤٨) حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَن مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ

– حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ح و حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعًا عَن وَكِيعٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ كِلاهُمَا عَن مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَن جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ ابْنِ عُيَيْنَةَ.

(٤٩) حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ الْخَلِيلِ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ كِلاهُمَا عَنِ ابْنِ مُسْهِرٍ قَالَ إِسْمَعِيلُ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَن أَبِيهِ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ

– وحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَن هِشَامٍ عَن أَبِيهِ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ

(٥٠) و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ عَن سُهَيْلٍ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

٥٤٣٧ ٥٠/٥ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٥٠)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى جَبَلِ حِرَاءٍ. فَتَحَرَّكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْكُنْ حِرَاءُ فَمَا عَلَيْكَ إِلا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ وَعَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُم عَنْهُمْ.

٥٤٣٨- ٥١/٦ وفِي رواية عَن هِشَامٍ(٥١)، عَن أَبِيهِ، قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: أَبَوَاكَ وَاللَّهِ مِنَ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾.

٥٤٣٩- – وفِي رواية عَن هِشَامٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَزَادَ تَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ وَالزُّبَيْرَ.

٥٤٤٠- ٥٢/٧ عَن عُرْوَةَ(٥٢) قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: كَانَ أَبَوَاكَ مِنَ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾.

المعنى العام

بطلان من أبطال الإسلام، عظيمان في السلم، أسد عند اللقاء طلحة بن عبيد اللّه، والزبير بن العوام، وهو من المهاجرين الأولين، ومن العشرة المبشرين بالجنة، ومن الستة الذين رشحهم عمر بن الخطاب للخلافة من بعده، له مواقف مشهودة في المعارك، وله قصب السبق إلى الجهاد في سبيل اللّه.

أما طلحة: فيكفيه فخراً ما كان منه يوم أحد، لقد أوجب واستحق الجنة، وقى رسول اللّه ﷺ من المشركين الذين أحاطوا به بعد هزيمة أصحابه، وكان يقول له: لا تبرز يا رسول اللّه، فتصيبك سهامهم، صدري دون صدرك، ونحري دون نحرك، كان يصد السهام عن رسول اللّه ﷺ بيده، حتى قطعت إصبعه، ولم يتوقف عن رمي الكافرين، حتى نفدت سهام جعبته، فنثر له رسول اللّه ﷺ جعبته، ولما نفذت سهامهما كان رسول اللّه ﷺ يقول لأصحابه: انثروا سهامكم لطلحة، حتى أجلى الكافرين عن الموقع، وعن رسول اللّه ﷺ، ولما أراد صلى اللّه عليه وسلم أن يصعد إلى صخرة يجلس عليها بعد أن كسرت رباعيته وسال الدم من جبهته، ولم يستطع صعودها من الإجهاد حمله طلحة على ظهره، فرفعه إلى الصخرة، فأجلسه عليها، وظل حامياً حارساً له مع بعض قادة المسلمين.

وأما الزبير بن العوام: فقد شارك طلحة في حراسة النبي ﷺ وحمايته من الكافرين يوم أحد، كان معهما أبو بكر وعمر وعلي، نحو العشرة من الرجال أحياناً، وأحياناً لا ترى حوله إلا طلحة

---

(٥٠) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ خُنَيْسٍ وَأَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الأَزْدِيُّ قَالا حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ ابْنُ بِلالٍ عَن يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَن سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٥١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ وَعَبْدَةُ قَالا حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَن أَبِيهِ

– وحَدَّثَنَاه أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ

(٥٢) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ عَنِ الْبَهِيِّ عَن عُرْوَةَ

والزبير، لانشغال الآخرين بالحركة ومتابعة الكافرين، وأحيانا ترى العدد الكبير الذى عاد حول قيادته بعد الفرار.

لكن الزبير بن العوام امتاز بميزة أخرى يوم الأحزاب، وكان يهود بنى قريظة قد نقضوا العهد، وتعاونوا مع الأحزاب، وطلب الرسول ﷺ من صحابته أن يتطوع أحدهم بالدخول فى بنى قريظة، يتحسس أخبارهم وتحركاتهم، قال: من يأتينى بخبر القوم وله الجنة؟ فسكتوا خوفا من غدر اليهود، والوقت وقت حرب، فقال الفارس الشجاع الزبير بن العوام: أنا يا رسول اللّٰه. وأعاد الرسول ﷺ الطلب: من يأتينى بخبر القوم وله الجنة؟ فسكتوا إلا الزبير، فقال: أنا يا رسول اللّٰه. وأعاد الرسول ﷺ الطلب ثالثًا، فلم يجب إلا الزبير، قال: أنا يا رسول اللّٰه. قال له صلى اللّٰه عليه وسلم: توكل على اللّٰه، فداك أبى وأمى، وأخذ الفارس الشجاع يتجول بين المسلمين وبين بنى قريظة، يتظاهر بالحراسة، وهو يتجسس للمسلمين، ويتحسس تحركات اليهود، ويأتى رسول اللّٰه ﷺ بأخبارهم، حينئذ قال صلى اللّٰه عليه وسلم «لكل نبى حوارى» أى ناصر ومخلص «وحوارى الزبير».

المباحث العربية

(**لم يبق مع رسول اللّٰه ﷺ في بعض تلك الأيام، التى قاتل فيهن رسول اللّٰه ﷺ، غير طلحة وسعد**) أى طلحة بن عبيد اللّٰه، وستأتى قصته، وسعد بن أبى وقاص، وقد سقت قصته فى الباب السابق، والمراد ببعض تلك الأيام هنا يوم أحد، وهو يوم من أيام القتال مع الكفار، أى غزوة من الغزوات.

(**عن حديثهما**) هذا قول أبى عثمان، يعنى به أن طلحة وسعداً هما اللذان حدثاه بذلك، وهو تابعى، لم يشهد الواقعة، فمن أين له علم ذلك؟ يوضح ذلك ما عند أبى نعيم فى المستخرج، فى هذا الحديث «قال سليمان (الراوى عن أبى عثمان) فقلت لأبى عثمان: وما علمك بذلك؟ قال: عن حديثهما».

(**ندب رسول اللّٰه ﷺ الناس يوم الخندق**) أى دعاهم للجهاد، وحرضهم عليه.

(**فانتدب الزبير**) أى أجاب الزبير، فالزبير فاعل، يقال: ندبته فانتدب، أى دعوته فأجاب.

(**ثم ندبهم فانتدب الزبير**) أى طلب منهم، فأجاب الزبير، وتشرح رواية البخارى الواقعة فتقول: عن جابر رضي الله عنه قال: «قال رسول اللّٰه ﷺ يوم الأحزاب: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا. ثم قال من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا. ثم قال: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا. ثم قال إن لكل نبى حواريا وإن حواريي الزبير» وكان بنو قريظة قد نقضوا العهد، وأيدوا الأحزاب، فأراد صلى اللّٰه عليه وسلم أن يعلم أخبارهم وتحركاتهم، فطلب من الصحابة من يقوم بهذه المهمة، فخاف الصحابة من غدر اليهود، فسكتوا وأجاب الزبير، وقام بفرسه يجوب المنطقة، ويدرس التحركات فيها، وتحكى الرواية الثالثة هذه الطليعة.

(**لكل نبى حوارى، وحوارى الزبير**) «لكل نبى حوارى» بفتح الحاء والواو، وكسر

الراء، وضم الياء مشددة. و« حواري الزبير» قال القاضي: اختلف في ضبطه، فضبطه جماعة من المحققين بفتح الياء مشددة، كمصرخي، وضبطه أكثرهم بكسرها، أي مشددة، وعن الضحاك: الحواري هو الغسال، وعن قتادة: الذي يصلح للخلافة، وقيل: هو الوزير، وقيل: هو الناصر، وقيل: هو الخالص، وقيل: هو الخليل.

(**كنت أنا وعمر بن أبي سلمة يوم الخندق مع النسوة**) في ملحق الرواية « يعني نسوة النبي ﷺ ».

(**في أطم حسان**) الأطم بضم الهمزة والطاء الحصن، وجمعه آطام، كعنق وأعناق. قال القاضي: ويقال في الجمع أيضاً إطما بكسر الهمزة « وكان عبد الله بن الزبير وعمر بن أبي سلمة صبيين صغيرين حول الرابعة.

(**فكان يطئ لي مرة، فأنظر، وأطأطئ له مرة فينظر**) أي فكان باب الحصن ضيقا، لئلا يرى من بداخله، وفتحته للطريق منخفضة وكان الصبيان على بابه، بحيث لا يرى أحدهما المار بالطريق إلا إذا طأطأ الآخر ظهره وخفض رأسه.

(**فكنت أعرف أبي إذا مر على فرسه في السلاح إلى بني قريظة**) يعرفه بفرسه ولباسه وسلاحه، حيث يكون ملثما في هذه الحالة. وفي رواية للبخاري « فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه، يختلف إلى بني قريظة، مرتين أو ثلاثا ».

(**قال: فذكرت ذلك لأبي، فقال: ورأيتني يا بني ؟**) في رواية البخاري « فلما رجعت قلت: يا أبت. رأيتك تختلف. قال: أو هل رأيتني يا بني؟ ».

(**كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة**) هذا التواجد غير تواجده عليه ﷺ مع أبي بكر وعمر وعثمان. قال النووي: وقع في معظم النسخ بتقديم عليّ، على عثمان، وفي بعضها تقديم عثمان على علي، كما في الرواية الخامسة، وترتيبها باتفاق النسخ.

(**اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**) « اهدأ » بهمز آخره، أي اسكن و في الرواية الخامسة « اسكن حراء » وفيها ذكر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وهو ليس صديقا، ولا شهيدا، وأجاب القاضي بقوله: إنما سمي شهيدا لأنه مشهود له بالجنة.

(**أبواك - والله - من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح**) في ملحق الرواية « تعني أبا بكر والزبير» لأن أم عروة أسماء بنت أبي بكر، فأطلقت على الجد أبا، ويحتمل أنه من قبيل التغليب، كقولهم القمران للشمس والقمر. والآية (١٧٢) من سورة آل عمران وقبلها ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٢].

فقه الحديث

طلحة بن عبيد اللّه بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى التيمى، يكنى أبا محمد، ويعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض، من المهاجرين الأولين، بعثه رسول اللّه ﷺ وسعيد ابن زيد إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار، قبيل بدر، فلم يشهدا بدراً، وجاءا عقبها، فضرب له رسول اللّه ﷺ بسهمه، قال: وأجرى يا رسول اللّه؟ قال: وأجرك، وشهد أحدا والمشاهد بعدها، وأبلى يوم أحد بلاء حسنا، وقى رسول اللّه ﷺ بنفسه، واتقى النبل عنه بيده، حتى قطعت إصبعه، وكان يقول له لا تظهر يا رسول اللّه، تصبك سهامهم، صدرى دون صدرك، ونحرى دون نحرك، ولما نهض رسول اللّه ﷺ ليستقل صخرة، ولم يستطع، حمله طلحة على ظهره حتى استقلها، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل عمر الخلافة فيهم، قيل: إنه بايع عليا بعد عثمان، ثم خرج عليه ليحاربه مع عائشة فى موقعة الجمل، لكنه اعتزل المعركة هو والزبير عند الصفوف، فرماه مروان بن الحكم بسهم وكان فى حزبه فقتله، وفيما زعموا أنه كان ممن حاصر عثمان.

وقتل طلحة رحمه اللّه وهو ابن ستين سنة، سنة ست وثلاثين ويقال: إن طلحة تزوج أربع نسوة، عند النبى ﷺ أخت كل منهن، أم كلثوم بنت أبى بكر، أخت عائشة، وحمنة بنت جحش أخت زينب، والفارعة بنت أبى سفيان، أخت أم حبيبة، ورقية بنت أبى أمية، أخت أم سلمة، وكان بكفاحه غنيا، قال عنه سفيان بن عيينة: كانت غلة طلحة بن عبيد اللّه ألف دينار كل يوم رضي الله عنه وأرضاه.

أما الزبير بن العوام بن خولد بن أسد بن عبد العزى بنى قصى بن كلاب القرشى أبو عبد اللّه، فهو حوارى رسول اللّه ﷺ، وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى.

أسلم وله اثنتا عشرة سنة، وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد، وكان فى جيش عائشة يوم الجمل، فالتقى به على، فذكره، فانصرف، فلقيه ابن حرموز فقتله غدراً، سنة ست وثلاثين وله سبع وستون سنة، بمكان يقال له: وادى السباع.

وقد أوضح البخارى ثروة الزبير فى حديث طويل، تحت باب بركة الغازى فى ماله، حيا وميتا، مع النبى ﷺ حيا وميتا، قال عبد اللّه بن الزبير «فقتل الزبير رضي الله عنه ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين، منها الغابة، وإحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة وداراً بمصر، وما ولى إمارة قط، ولا جباية خراج، ولا شيئا، إلا أن يكون فى غزوة مع النبى ﷺ، أو مع أبى بكر وعمر وعثمان رضى اللّه عنهم، قال عبد اللّه بن الزبير: فحسبت ما عليه من الدين، فوجدته ألفى ألف ومائتى ألف، وإنما كان دينه الذى عليه، أن الرجل كان يأتيه بالمال، فيستودعه إياه على أنه سلف مأذون له فى التصرف فيه، فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه قسم باقى التركة على الورثة وأنفذ وصيته، وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف.

ولوضوح الرؤية، وأن هذه الثروة الهائلة كانت نتيجة سعى وكفاح لبناء الحياة الدنيا، متوازنة مع السعى والكفاح الأخروى نسوق حديث البخارى عن زوجته أسماء بنت أبى بكر رضى اللّه عنهما وكانت قد تزوجها بمكة، وهاجرت إلى المدينة، وهى حامل بابنها عبد اللّه، قالت: « تزوجنى الزبير، وما له فى الأرض من مال ولا مملوك، ولا شيء، غير ناضح » أى جمل لسقى الماء، « وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه، وأستقى الماء، وأخرز غربه » أى دلوه « وأعجن، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه رسول اللّه ﷺ على رأسى، وهى منى على ثلثى فرسخ، قال: حتى أرسل لى أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفينى سياسة الفرس، فكأنما أعتقنى ».

(**فائدة**) جمع النووى فى تبويب شرحه لصحيح مسلم بين طلحة والزبير رضى اللّه عنهما تحت باب واحد، وتبعناه فى ذلك، ولعله لاحظ ما جاء من أن النبى ﷺ لما آخى بين أصحابه بمكة قبل الهجرة آخى بين طلحة والزبير، ولعله لاحظ اشتراكهما فى كثير من الفضائل، فكل منهما أحد العشرة، وأحد الستة، وأحد السابقين وأحد أصحاب الدور البارز فى الجهاد، وفى الدفاع عن رسول اللّه ﷺ، بل و فى دورهما مع عثمان ومع على، وفى طريقة وأسباب مقتلهما رضى اللّه عنهما. وكان من المقبول ضم طلحة إلى سعد بن أبى وقاص، لجمعهما فى الرواية الأولى، كما كان من المقبول تخصيص باب لكل منهما.

ويؤخذ من أحاديث الباب فوق ما تقدم

١- فضيلة طلحة لدوره فى غزة أحد.

٢- فضيلة الزبير لدوره فى غزوة الخندق.

٣- من الرواية الثالثة قال النووى: وفى هذا الحديث دليل لحصول ضبط الصبى وتمييزه، وهو ابن أربع سنين، فإن ابن الزبير ولد عام الهجرة فى المدينة، وكان الخندق سنة أربع من الهجرة على الصحيح، فيكون له وقت ضبطه لهذه القضية دون أربع سنين، وفى هذا رد على ما قاله جمهور المحدثين أنه لا يصح سماع الصبى حتى يبلغ خمس سنين، والصواب صحته، متى حصل التمييز، وإن كان ابن أربع أو دونها. اهـ

قال الحافظ ابن حجر: المقصود أن البلوغ ليس شرطا فى التحمل، وقال يحيى بن معين: أقل سن التحمل خمس عشرة سنة، فبلغ ذلك أحمد، فقال: بل إذ عقل ما يسمع. وهذا هو المعتمد، فالتحمل لا يشترط فيه كمال الأهلية، وإنما يشترط عند الأداء، ويلحق بالصبى فى ذلك العبد والفاسق والكفار.

٤- وفى ضبط ابن الزبير وجودته لهذه القضية مفصلة، فى هذا السن منقبة لابن الزبير.

٥- وفى الرواية الرابعة إثبات التمييز فى الجماد.

٦- وجواز التزكية والثناء على الإنسان فى وجهه، إذا لم يخف عليه فتنة، بإعجاب ونحوه.

٧- وفى الرواية السادسة جواز التعبير عن الجد بالأب.

واللّه أعلم

(٦٣٨) باب من فضائل أبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

٥٤٤١- ٥٣/١ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه(٥٣) قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا. وَإِنَّ أَمِينَنَا، أَيَّتُهَا الأُمَّةُ، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ».

٥٤٤٢- ٥٤/٢ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه(٥٤)، أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلا يُعَلِّمْنَا السُّنَّةَ وَالإِسْلامَ. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ».

٥٤٤٣- ٥٥/٣ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه(٥٥) قَالَ: جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلا أَمِينًا. فَقَالَ: «لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ. حَقَّ أَمِينٍ» قَالَ فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ. قَالَ: فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ.

المعنى العام

أبو عبيدة بن الجراح أحد السابقين الأولين الذين حظوا بحب الرسول ﷺ ولهم دور بارز فى قيادات الحروب والفتوح.

له مساجلة فى القضاء والقدر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ذكرناها فى باب الطاعون. رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(إن لكل أمة أمينا، وإن أميننا - أيتها الأمة - أبو عبيدة بن الجراح) «أيتها الأمة» صورته صورة النداء، لكن المراد فيه الاختصاص، أى أمتنا مخصوصون من بين الأمم، وعلى هذا فهو بالنصب على الاختصاص، ويجوز الرفع، والأمين هو الثقة الرضى، وهذه الصفة، وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره، لكن السياق يشعر بأن له مزيداً فى ذلك، وقد خص النبى ﷺ كل واحد من الكبار بفضيلة، ووصفه بها، فأشعر بقدر زائد فيها على غيره، كالحياء لعثمان، والقضاء لعلى، ونحو ذلك، وقد

---

(٥٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ عَنْ خَالِدٍ ح و حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ أَخْبَرَنَا خَالِدٌ عَنْ أَبِي قِلابَةَ قَالَ: قَالَ أَنَسٌ

(٥٤) حَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَهُوَ ابْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ

(٥٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَقَ يُحَدِّثُ عَنْ صِلَةَ بْنِ زُفَرَ عَنْ حُذَيْفَةَ
حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ بِهَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

أورد الترمذى، وابن حبان « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى أمر اللّه عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم كتاب اللّه أبى، وأفرضهم زيد، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، ألا وإن لكل أمة أمينا.... » الحديث.

(**أن أهل اليمن قدموا على رسول اللّه ﷺ**) فى الرواية الثالثة « جاء أهل نجران إلى رسول اللّه ﷺ » قال الحافظ ابن حجر: أهل نجران هم أهل بلد قريب من اليمن، وهم العاقب واسمه عبد المسيح والسيد، ومن معهما، ذكر ابن سعد أنهم وفدوا على النبى ﷺ فى سنة تسع، وفى الرواية الثانية « إن أهل اليمن، قدموا على النبى ﷺ، فقالوا » قال الحافظ: فإن كان الراوى تجوز عن أهل نجران، بقوله « أهل اليمن » لقرب نجران من اليمن، فذاك، وإلا فهما واقعتان، والأول أرجح. اهـ

(**لأبعثن إليكم رجلا أمينا، حق أمين، حق أمين**) التكرير للتأكيد، و« حق أمين » من إضافة الصفة إلى الموصوف، أى أمين أمانة حقة، أى كاملة.

(**فاستشرف لها الناس**) أى من حضر من الصحابة، ففى رواية « فاستشرف لها أصحاب رسول اللّه ﷺ » أى تطلعوا للولاية، ورغبوا فيها، حرصا على تحصيل صفة الأمين الحق، لا حرصا على الولاية من حيث هى.

(**فبعث أبا عبيدة بن الجراح**) فى الرواية الثانية « فأخذ بيد أبى عبيدة، فقال: هذا أمين هذه الأمة ».

فقه الحديث

(**أبو عبيدة**) عامر بن عبد اللّه بن الجراح بن هلال بن أهيب، ويقال: وهيب بن ضبة بن الحارث ابن فهر، القرشى، مشهور بكنيته، وبالنسبة إلى جده، وكان إسلامه هو وعثمان بن مظعون وعبيد بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد فى ساعة واحدة، قبل دخول النبى ﷺ دار الأرقم، وهو أحد العشرة السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً وما بعدها، ويقال: إنه هو الذى قتل أباه كافرا يوم بدر، فقد أخرج الطبرى « جعل والد أبى عبيدة يتصدى لأبى عبيدة يوم بدر، فيحيد عنه، فلما أكثر قصده فقتله » فتح كثيراً من بلاد الشام وتولى جنداً من أجنادها، ومات فى طاعون عمواس سنة ثمان عشرة، عن عمر يناهز ثمانيا وخمسين سنة.

واللّه أعلم

(٦٣٩) باب من فضائل الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

٥٤٤٤- ٥٦/١ عَـن أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ(٥٦)، عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ، أَنَّـهُ قَـالَ لِحَسَـنٍ: «اللَّهُـمَّ إِنِّـي أُحِبُّـهُ. فَأَحِبَّهُ وَأَحْبِـبْ مَـنْ يُحِبُّـهُ».

٥٤٤٥- ٥٧/٢ عَـن أَبِي هُرَيْـرَةَ ﷺ(٥٧) قَـالَ: خَرَجْـتُ مَـعَ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ فِـي طَائِفَـةٍ مِـنَ النَّهَـارِ. لا يُكَلِّمُنِـي وَلا أُكَلِّمُـهُ. حَتَّـى جَـاءَ سُـوقَ بَنِـي قَيْنُقَـاعَ. ثُـمَّ انْصَـرَفَ. حَتَّـى أَتَـى خِبَـاءَ فَاطِمَـةَ فَقَـالَ: «أَثَـمَّ لُكَـعُ؟ أَثَـمَّ لُكَـعُ؟» يَعْنِـي حَسَـنًا فَظَنَنَّـا أَنَّـهُ إِنَّمَـا تَحْبِسُـهُ أُمُّـهُ لأَنْ تُغَسِّـلَهُ وَتُلْبِسَـهُ سِـخَابًا. فَلَـمْ يَلْبَـثْ أَنْ جَـاءَ يَسْـعَى. حَتَّـى اعْتَنَـقَ كُـلُّ وَاحِـدٍ مِنْهُمَـا صَاحِبَـهُ. فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «اللَّهُـمَّ إِنِّـي أُحِبُّهُ. فَأَحِبَّـهُ وَأَحْبِـبْ مَـنْ يُحِبُّـهُ.

٥٤٤٦- ٥٨/٣ عَـن الْبَـرَاءِ بْـنِ عَـازِبٍ ﷺ(٥٨) قَـالَ: رَأَيْـتُ الْحَسَـنَ بْـنَ عَلِـيٍّ عَلَـى عَـاتِقِ النَّبِـيِّ ﷺ. وَهُـوَ يَقُـولُ: «اللَّهُـمَّ إِنِّـي أُحِبُّـهُ. فَأَحِبَّـهُ».

٥٤٤٧- ٥٩/٤ عَـنِ الْبَـرَاءِ ﷺ(٥٩)، قَـالَ رَأَيْـتُ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ وَاضِعًـا الْحَسَـنَ بْـنَ عَلِـيٍّ عَلَـى عَاتِقِهِ، وَهُـوَ يَقُـولُ: «اللَّهُـمَّ إِنِّـي أُحِبُّـهُ. فَأَحِبَّـهُ».

٥٤٤٨- ٦٠/٥ عَـن إِيَـاسٍ(٦٠)، عَـن أَبِيـهِ قَـالَ: لَقَـدْ قُـدْتُ بِنَبِـيِّ اللَّـهِ ﷺ وَالْحَسَـنِ وَالْحُسَـيْنِ، بَغْلَتَـهُ الشَّـهْبَاءَ. حَتَّـى أَدْخَلْتُهُـمْ حُجْـرَةَ النَّبِـيِّ ﷺ. هَـذَا قُدَّامَـهُ. وَهَـذَا خَلْفَـهُ.

٥٤٤٩- ٦١/٦ عَـن عَائِشَـةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهَـا(٦١) قَـالَتْ : خَـرَجَ النَّبِـيُّ ﷺ غَـدَاةً وَعَلَيْـهِ مِـرْطٌ مُرَحَّلٌ، مِن شَـعْرٍ أَسْـوَدَ، فَجَـاءَ الْحَسَـنُ بْـنُ عَلِـيٍّ فَأَدْخَلَـهُ، ثُـمَّ جَـاءَ الْحُسَـيْنُ فَدَخَـلَ مَعَـهُ ثُـمَّ جَـاءَتْ فَاطِمَـةُ فَأَدْخَلَهَـا. ثُـمَّ جَـاءَ عَلِـيٌّ فَأَدْخَلَـهُ. ثُـمَّ قَـالَ: «﴿إِنَّمَـا يُرِيـدُ اللَّـهُ لِيُذْهِـبَ عَنْكُـمُ الرِّجْـسَ أَهْـلَ الْبَيْـتِ وَيُطَهِّرَكُـمْ تَطْهِـيرًا﴾».

---

(٥٦) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ عَن نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٥٧) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ عَن نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٥٨) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن عَدِيٍّ وَهُوَ ابْنُ ثَابِتٍ حَدَّثَنَا الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ

(٥٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ قَالَ ابْنُ نَافِعٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن عَدِيٍّ وَهُوَ ابْنُ ثَابِتٍ عَنِ الْبَرَاءِ

(٦٠) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرُّومِيِّ الْيَمَامِيُّ وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ قَالا حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا إِيَاسٌ عَن أَبِيهِ

(٦١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ عَن زَكَرِيَّاءَ عَن مُصْعَبِ ابْنِ شَيْبَةَ عَن صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ قَالَتْ : قَالَتْ عَائِشَةُ

المعنى العام

الحسن والحسين عاشا حياة الطفولة بين يدى ألطف الناس، وأرحم الناس بالناس، كان إذا سجد فى صلاته صلى اللَّه عليه وسلم وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا أراد الصحابة أن يمنعوهما أشار إليهم: أن دعوهما، فإذا قضى صلاته وضعهما فى حجره، فقال: من أحبنى فليحب هذين.

عاش الحسن بالمدينة، حتى دعاه معاوية بعد أن قتل على ﷺ، وكان الحسن يكره القتال، فتنازل لمعاوية وبايعه، وأعطاه معاوية من المال أربعمائة ألف، وأجرى عليه كل عام ألف ألف درهم، وأعطاه عهدا، إن حدث لمعاوية حدث، والحسن حى، ليجعلن هذا الأمر إليه، فجمع الحسن رءوس أهل العراق فى قصر المدائن، فقال: إنكم قد بايعتمونى على أن تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت، وإنى قد بايعت معاوية، فاسمعوا له وأطيعوا، فكانوا يقولون: يا عار أمير المؤمنين، فيقول: العار خير من النار، وأقنع أخاه الحسين بذلك، وعادا الى المدينة، وعاشا فيها، عاش الحسن بعد ذلك نحو عشر سنين، ثم مات مسموما سنة خمسين على المشهور.

أما الحسين فقد استمر فى المدينة مع أخيه، حتى مات معاوية، فخرج إلى مكة، فأتته كتب أهل العراق أن بايعوه، فتوجه إليهم، وكان يزيد بن معاوية قد عين عبيد اللَّه بن زياد على الكوفة والبصرة، فقتل بالشبهة، وذبح بالظنة وأرهب أهل العراق، والحسين لا يعلم ذلك، حتى كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال، وكان عبيد اللَّه قد جهز الجيش لملاقاته، على رأسه عمر بن سعد بن أبى وقاص، فالتقيا عند كربلاء، فقتل الحسين وأصحابه وفيهم سبعة عشر شاباً من أهل بيته، وأتى برأس الحسين إلى عبيد اللَّه، فأرسله ومن بقى من أهل بيته إلى يزيد بن معاوية، ومنهم على بن الحسين، فأدخلهم على عياله، ثم جهزهم إلى المدينة.

المباحث العربية

(**أنه قال لحسن: اللَّهم إنى أحبه**) اللام بمعنى « عن » أى قال عن حسن...

(**فأحبه وأحبب من يحبه**) وفى الرواية الثالثة والرابعة « فأحبه » وليس فيهما « وأحبب من يحبه ».

(**فى طائفة من النهار**) طائفة الشيء جزؤه، والمراد فى ساعة من نهار، وفى رواية « صائفة » بالصاد أى فى حر النهار.

(**حتى جاء سوق بنى قينقاع**) السوق اسم لكل مكان يقع فيه التبايع بين من يتعاطى البيع والشراء، و« قينقاع » بفتح القاف وسكون الياء وضم النون، وضبط بكسرها، وحكى فتحها، اسم لقبيلة من اليهود، نسب إليها السوق، فإذا أريد القبيلة. منع من الصرف للعلمية والتأنيث، وإذا أريد الحى صرف، وهو أحد أسواق المدينة المشهورة، والظاهر أنه كان فى طريقه إلى بيت فاطمة، فمر به ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

(**ثم انصرف حتى أتى خباء فاطمة**) فى رواية البخارى « حتى أتى سوق بنى قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة » قال الراوى سقط فى رواية البخارى بعض الحديث، لأن بيت فاطمة ليس فى سوق بنى قينقاع، فرواية مسلم تثبت ما سقط، والفناء بكسر الفاء بعدها نون ممدودة، الموضع المتسع أمام البيت، وفى مسلم « خباء فاطمة » بالخاء المكسورة بعدها باء، والمراد به بيتها.

(**فقال: أثم لكع؟ أثم لكع؟ يعنى حسنا**) الهمزة للاستفهام، و « ثم » بفتح الثاء وتشديد الميم بمعنى « هنا » واللكع بضم اللام وفتح الكاف يراد به الصغير، يقال: لكع فلان بفتح اللام، والكاف، يلكع بفتح الكاف لكعا، بسكونها، أى أكل وشرب، ولكع الصبى إذا نهز فى الرضاع، ويقال: لكع بكسر الكاف، يلكع بفتحها، ولكع يلكع بضم الكاف فيهما، لكعا بفتحها، ولكاعة إذا لؤم وحمق، فهو ألكع، وهى لكعاء، ويقال فى سب المرأة بالحمق لكع، بضم اللام وفتح الكاف، فقوله « لكع » فى الحديث إن كان من فتح الكاف فهو الصغير، وإن كان من كسرها أو ضمها فالمراد منه المداعبة والتلميح بهذا الوصف، غير المراد حقيقته.

(**فظننا أنه إنما تحبسه أمه، لأن تغسله وتلبسه سخابا**) الفاء عاطفة على محذوف، أى فتأخر الجواب أو فتأخر مجيئه، فظننا أن أمه تؤخره، لتنظيفه، وإلباسه ما يجمله، وتغسله بضم التاء وفتح الغين، وكسر السين، من غسل المشدد « وتلبسه » بضم التاء من ألبس، والسخاب بكسر السين وبالخاء مفرد سخب بضمتين، قال النووى: والسخاب قلادة من القرنفل والمسك والعود ونحوها من أخلاط الطيب، يعمل على هيئة السبحة، ويجعل قلادة للصبيان والجوارى، وقيل: هو خيط فيه خرز، سمى بذلك لصوت خرزه عند حركته، من السخب، بفتح السين والخاء، ويقال: صخب بالصاد، وهو اختلاط الأصوات.

(**فلم يلبث أن جاء يسعى**) أى فلم يمكث مجيئه، ولم يتأخر، بل جاء يجرى نحو جده.

(**حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه**) تعلق الحسن برقبة جده، واحتضنه جده، وفى رواية البخارى « فجاء يشتد، حتى عانقه وقبله » وفى رواية « فقال النبى ﷺ بيده هكذا - أى مدها، والمراد يديه - فقال الحسن بيده هكذا، فالتزمه ».

(**رأيت رسول اللّه ﷺ واضعا الحسن بن علي على عاتقه**) العاتق ما بين المنكب والعنق.

(**لقد قدت بنبى اللّه ﷺ والحسن والحسين بغلته الشهباء**) يقال: قاد البغلة يقودها، إذا أمسك بلجامها وسار بها، والشهباء ما خالط بياض شعرها سواد، وهذه البغلة هى التى أهداها له المقوقس، وكانت له صلى اللّه عليه وسلم بغلة بيضاء، أهداها له صاحب أيلة.

(**خرج النبى ﷺ غداة، وعليه مرط مرحل، من شعر أسود**) الغداة أول النهار، والمرط بكسر الميم، وسكون الراء كساء، وجمعه مروط، والمرحل بضم الميم وفتح الراء وتشديد الحاء المفتوحة الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل، ووقع لبعض رواة كتاب مسلم « مرجل » بالجيم، أى المنقوش عليه صور المراجل، وهى القدور.

(**فجاء الحسن بن على، فأدخله، ثم جاء الحسين، فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء على، فأدخله**) وإنما دخل الحسين بنفسه، دون إدخال لصغره، وتغايرا من أخيه، وإدلالا، على جده، بخلاف غيره.

(**ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾**) «الرجس» فى الأصل الشيء القذر، وأريد به هنا الذنب مجازا، وقيل: الإثم، وقيل: الفسق، وقيل: الشرك، وقيل: الشيطان، وقيل: الشك، وقيل: البخل والطمع، وقيل الأهواء والبدع، وقيل: ما يعم كل ذلك، والمعنى: إنما يريد الله سبحانه وتعالى أن يذهب عنكم الرجس، ويصونكم من المعاصى صونا بليغا، فيما أمر ونهى، ونصب «أهل البيت» على النداء، و«أل» فى «البيت» للعهد، أى بيت النبى ﷺ، وجمهور المفسرين على أن المراد من «أهل البيت» أزواجه المطهرات، وتوحيد البيت لأن بيوتهن باعتبار إضافتها إلى النبى ﷺ بيت واحد، وباعتبار إضافتها إليهن متعددات، كما فى قوله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ و أورد ضمير جمع المذكر «عنكم .... ويطهركم» رعاية للفظ الأهل، والعرب كثيرا ما يستعملون صيغ المذكر فى مثل ذلك، فقد قال موسى لامرأته ﴿امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ [طه : ١٠، القصص: ٢٩] والتذكير أدخل فى التعظيم، وسابق الآية ولاحقها يؤيد ذلك.

وقيل: المراد من البيت بيت النسب، وقيل: المراد بهم جميع بنى هاشم، ذكورهم وإناثهم، أى المؤمنون من بنى هاشم عند الحنفية، وبنو المطلب عند الشافعية، وفى المسألة كلام كثير.

فقه الحديث

ولد الحسن فى نصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة على المشهور، ومات مسموما، ودفن بالبقيع سنة خمسين.

أما الحسين فولد فى شعبان سنة أربع من الهجرة على الصحيح، وقتل بكربلاء يوم عاشوراء سنة إحدى وستين.

وقد أخرج البخارى بالإضافة إلى بعض أحاديث الباب - عن أبى بكرة ﷺ قال: سمعت النبى ﷺ على المنبر - والحسن إلى جنبه - ينظر إلى الناس مرة، وإليه مرة، ويقول: «ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

وعن أنس بن مالك ﷺ أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن على، فجعل فى طست فجعل ينكت - فى رواية «بقضيب له فى أنفه» وفى رواية فى عينه وأنفه» - وقال فى حسنه شيئا فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ وفى رواية للطبرانى «فقلت: ارفع قضيبك فقد رأيت فم رسول الله ﷺ فى موضعه».

وعن عقبة بن الحارث قال: «رأيت أبا بكر ﷺ وحمل الحسن، وهو يقول: بأبى. شبيه بالنبى، ليس بعلى، وعلى يضحك».

وعن أنس «لم يكن أحد أشبه بالنبى ﷺ من الحسن بن على».

وعن عبد الله بن عمر - وسأله سائل عن المحرم يقتل الذباب - فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ، وقال النبى ﷺ: « هما ريحانتاى من الدنيا ».

وعند الترمذى من حديث أنس « أن النبى ﷺ كان يدعو الحسن والحسين، فيشمهما ويضمهما إليه ».

وعند الطبرانى عن أبى أيوب « دخلت على رسول الله ﷺ، والحسن والحسين يلعبان بين يديه، فقلت: أتحبهما يا رسول الله؟ قال: وكيف لا؟ وهما ريحانتاى من الدنيا أشمهما ».

ويؤخذ من أحاديث الباب

١- من الرواية الثانية جواز إلباس الصبيان القلائد والسخب، ونحوها من الزينة. قاله النووى.

٢-واستحباب تنظيفهم، لا سيما عند لقائهم أهل الفضل، واستحباب النظافة مطلقا.

٣- استحباب ملاطفة الصبى، ومداعبته، رحمة له ولطفا.

٤- استحباب التواضع مع الأطفال وغيرهم.

٥- أن مماسة الأطفال، وأن رطوبات وجههم ونحوها طاهرة، حتى تتحقق نجاستها، قال النووى: ولم ينقل عن السلف التحفظ منها، ولا يخلون منها غالبا.

٦- ومن الرواية الخامسة جواز ركوب ثلاثة على دابة واحدة، إذا كانت مطيقة، قال النووى: وهذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة، وحكى القاضى عن بعضهم منع ذلك مطلقا، وهو فاسد.

والله أعلم

(٦٤٠) باب من فضائل زيد بن حارثة، وابنه أسامة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

٥٤٥٠- ٦٢/١ عَن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ(٦٢)، عَن أَبِيهِ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَا كُنَّا نَدْعُو زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إِلا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ. حَتَّى نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدَ، مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى: أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ السَّرَّاجُ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ الدُّوَيْرِيُّ. قَالا: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، بِهَذَا الْحَدِيثِ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ ابْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، حَدَّثَنِي سَالِمٌ، عَن عَبْدِ اللَّهِ. بِمِثْلِهِ.

٥٤٥١- ٦٣/٢ عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٦٣) قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثًا. وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ. فَطَعَنَ النَّاسُ فِي إِمْرَتِهِ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمْرَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِن قَبْلُ. وَايْمُ اللَّهِ! إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمْرَةِ. وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ. وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، بَعْدَهُ».

٥٤٥٢- ٦٤/٣ عَن سَالِمٍ(٦٤)، عَن أَبِيهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ- يُرِيدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ- فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِن قَبْلِهِ. وَايْمُ اللَّهِ! إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لَهَا. وَايْمُ اللَّهِ! إِنْ كَانَ لأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ. وَايْمُ اللَّهِ! إِنَّ هَذَا لَهَا لَخَلِيقٌ- يُرِيدُ أُسَامَةَ ابْنَ زَيْدٍ- وَايْمُ اللَّهِ! إِنْ كَانَ لأَحَبَّهُمْ إِلَيَّ، مِن بَعْدِهِ. فَأُوصِيكُمْ بِهِ فَإِنَّهُ مِن صَالِحِيكُمْ».

المعنى العام

كان رسول اللَّه ﷺ يحب فى اللَّه، ويبغض فى اللَّه، وهكذا شريعة الإسلام تجعل صلة الدين أقوى من قرابة النسب، قانونها قوله تعالى ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ومن هنا أحب رسول اللَّه ﷺ زيد بن حارثة، أعتقه، ثم تبناه، ثم زوجه حاضنته أم أيمن، ثم زوجه ابنة عمته زينب بنت جحش، ثم أمره على جيوش، من جنودها أبو بكر وعمر، وما بعثه فى بعث إلا أمره عليهم، فكان حقا عند حسن ظن رسول اللَّه ﷺ به، وكان حقا جديرا بالإمارة، وكيف لا؟ وهو تربية محمد بن عبد اللَّه؟.

---

(٦٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيُّ عَن مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

(٦٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا و قَالَ الآخَرُونَ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُول

(٦٤) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَن عُمَرَ يَعْنِي ابْنَ حَمْزَةَ عَن سَالِمٍ عَن أَبِيهِ

كان آخر عهده بإمرة الجهاده غزوة مؤتة من أرض الشام فى جمادى سنة ثمان من الهجرة، وفيها أمره رسول اللّه ﷺ على الجيش، وقال: إن قتل زيد فالإمارة لجعفر بن أبى طالب، وإن قتل جعفر تولى الإمارة عبد اللّه بن أبى رواحة، فقتل زيد هناك شهيدا.

وقد اشتهر زيد بحبٍّ - أى حبيب - رسول اللّه ﷺ، كما اشتهر ابنه أسامة بالحب ابن الحب، أى الحبيب ابن الحبيب، لدرجة أن بنى مخزوم لما أرادوا أن يوسطوا فى قضية سرقة امرأتهم، لم يجدوا فى الصحابة من يجرؤ أن يكون وسيطا، له من الإدلال ما ليس لغيره، مثل أسامة، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة، أبوه حب رسول اللّه ﷺ، وأمه حاضنة رسول اللّه ﷺ، وكان صلى اللّه عليه وسلم يقول: « هى أمى بعد أمى » وكان يجلسه على فخذه، حتى بعد أن كبر. رضى اللّه عنه وعن أبيه وعن الصحابة أجمعين.

المباحث العربية

(**بعث النبى ﷺ بعثا، وأمر عليهم أسامة بن زيد**) هذا هو البعث الذى أمر النبى ﷺ بتجهيزه فى مرض وفاته، وقال فى وصيته « أنفذوا بعث أسامة » فأنفذه أبو بكر بعده.

(**فطعن الناس فى إمرته**) على أنه صغير، إذ كان لا يتجاوز الثامنة عشرة.

(**فقال: إن تطعنوا فى إمرته فقد كنتم تطعنون فى إمرة أبيه من قبل**) قيل: طعن يطعن بفتح العين، إذا كان فى العرض والنسب، وبضم العين فيهما إذا كان بالرمح واليد، وقيل: هما لغتان فيهما، ويشير بذلك إلى طعنهم فى إمارة زيد بن حارثة، وقد جمع له الحافظ ابن حجر سبع غزوات كان أميرا فيها، وأولها فى جمادى الآخرة سنة خمس، قبل نجد، فى مائة راكب، والثانية فى ربيع الآخر سنة ست، إلى بنى سليم، والثالثة فى جمادى الأولى منها، فى مائة وسبعين فتلقى عيرا لقريش، وأسروا أبا العاص بن الربيع، والرابعة فى جمادى الآخرة منها، إلى بنى ثعلبة، والخامسة إلى حسمى - بضم الحاء وسكون السين آخره ألف مقصور - فى خمسمائة إلى أناس من بنى خدام، بطريق الشام، كانوا قطعوا الطريق على دحية، وهو راجع من عند هرقل، والسادسة إلى وادى القرى، والسابعة إلى ناس من بنى فزارة.

(**وايم اللّه! إن كان لخليقا للإمرة**) أى ويمين اللّه قسمى، إن الحال والشأن كان زيد خليقا وجديرا بالإمرة. « إن » مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الحال، والشأن محذوف والجملة بعدها خبرها.

(**وإن كان لمن أحب الناس إلى**) أى وإن الحال والشأن كان زيد من أحب الناس إلى.

(**وإن هذا لمن أحب الناس إلى**) يشير إلى أسامة بن زيد، وفى الرواية الثالثة « وايم اللّه! إن هذا » أى أسامة « لها لخليق. وأيم اللّه! إن كان (أسامة) لأحبهم إلى من بعده » أى من بعد أبيه زيد فأوصيكم به » أى بأسامة « فإنه من صالحيكم ».

فقه الحديث

زيد بن حارثة بن شرحبيل بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس، حب رسول الله ﷺ، وأمه سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر، من بنى معن بن طيء، زارت قومها، وزيد معها، فأغارت خيل لبنى القيس بن جسر، فى الجاهلية، على أبيات من بنى معن، فاحتملوا زيدا، وهو غلام، فأتوا به إلى سوق عكاظ، فعرضوه للبيع، فاشتراه حكيم بن حزام، لعمته خديجة بأربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له، فحج ناس من قومه، فرأوا زيدا، فعرفهم وعرفوه، فأبلغوا أهله، فخرج أبوه حارثة، وأخوه كعب بفدائه، فقدما مكة، ودخلا على رسول الله ﷺ، فقالا: يا بن عبد الملطب يا بن سيد قومه. أنتم أهل حرم الله، تفكون العانى، وتطعمون الأسير، جئناك فى ولدنا، عبدك، فامنن علينا، وأحسن فى فدائه، قال: وما ذاك؟ قالوا: زيد بن حارثة، فقال: أو غير ذلك. ادعوه فخيروه، فإن اختاركم فهو لكم من غير فداء، وإن اختارنى، فوالله! ما أنا بالذى أختار على من اختارنى فداء، قالوا: زدتنا على النصف، فدعاه، فقال: هل تعرف هؤلاء: قال: نعم. هذا أبى وهذا عمى، قال: فأنا من قد علمت، قد رأيت صحبتى لك، فاخترنى، أو اخترهما، فقال زيد: ما أنا بالذى أختار عليك أحدا، أنت منى بمكان الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد؟؟؟ أتختار العبودية على الحرية؟ وعلى أبيك وعمك؟ وأهل بيتك؟ قال: نعم. إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئا، ما أنا بالذى أختار عليه أحدا، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك ،قال: اشهدوا أن زيداً ابنى، يرثنى وأرثه (كان ذلك جائزا قبل أن ينزل قوله تعالى **﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ۝ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾** [الأحزاب: ٤-٥]) فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما، وانصرفا، فكان من ذلك الحين يدعى زيد بن محمد، وزوجه رسول الله ﷺ مولاته أم أيمن، حاضنته، فولدت له أسامة، ثم زوجه رسول الله ﷺ ابنة عمته زينب بنت جحش، فلم تحسن العشرة بينهما، فطلقها، وتزوجها بعده رسول الله ﷺ، بأمر ربه، تأكيداً لإبطال التبنى، وبعد أن طلق زينب زوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عقبة، أم أمها البيضاء بنت عبد المطلب، فولدت له زيد بن زيد و رقية، ثم طلق أم كلثوم، وتزوج درة بنت أبى لهب بن عبد المطلب، ثم طلقها وتزوج هندا بنت العوام، أخت الزبير.

وشهد زيد بن حارثة بدرا وما بعدها، وقتل فى غزوة مؤتة، وهو أمير، واستخلفه رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره على المدينة، وعن ابن عمر- رضى الله عنهما - أن عمر فرض لأسامة أكثر مما فرض لابن عمر، قال: فسألته فقال: إنه كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك، وإن أباه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك.

وأما أسامة بن زيد فقد ولد فى الإسلام بمكة، ومات النبى ﷺ وله ثمانى عشرة سنة واعتزل أسامة الفتنة بعد قتل عثمان، إلى أن مات فى أواخر خلافة معاوية وكان قد سكن المزة من أعمال دمشق، ثم رجع، فسكن وادى القرى، ثم نزل إلى المدينة، فمات بها، سنة أربع وخمسين على الصحيح.

ويؤخذ من الحديث

١- قال النووى: فيه جواز إمارة العتيق.

٢- وجواز تقديمه على العرب.

٣- وجواز تولية الصغار على الكبار.

٤- وجواز تولية المفضول على الفاضل، للمصلحة.

٥- فيه فضائل ظاهرة لزيد وأسامة رضى اللّه عنهما.

٦- وجواز الحلف من غير استحلاف.

والله أعلم

(٦٤١) باب من فضائل عبد الله بن جعفر رضي الله عنه

٥٤٥٣- ٦٥/١ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُلَيْكَةَ(٦٥). قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ رضي الله عنه لابْنِ الزُّبَيْرِ: أَتَذْكُرُ إِذْ تَلَقَّيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. أَنَا وَأَنْتَ وَابْنُ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَحَمَلَنَا، وَتَرَكَكَ. حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ. بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ وَإِسْنَادِهِ.

٥٤٥٤- ٦٦/٢ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه(٦٦) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ. قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ. فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ. ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ. قَالَ: فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ، ثَلاثَةً عَلَى دَابَّةٍ.

٥٤٥٥- ٦٧/٣ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه(٦٧) قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِنَا. قَالَ: فَتُلُقِّيَ بِي وَبِالْحَسَنِ أَوْ بِالْحُسَيْنِ. قَالَ: فَحَمَلَ أَحَدَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالآخَرَ خَلْفَهُ، حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ.

٥٤٥٦- ٦٨/٤ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه(٦٨) قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ. فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ.

المعنى العام

إن الرحمة كلمة صغيرة، ولكن معناها وأثرها كبير فى نفس من تلحقه هذه الرحمة، والرسول الكريم ﷺ كان من أبرز خلاله الرحمة، وقد وصفه الله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقد يأنف بعض الكبراء من مداعبة الصبيان، والتلطف معهم، والتعاطف عليهم، ترفعا وتكبرا، ولكن رسول الله ﷺ كان يفعل كل ذلك، تواضعا وشفقة، يحمل الصبى، ويركبه خلفه، وأمامه بين يديه، على الراحلة، ويمسح على رأسه، حتى أحب الصبية لقاءه، وترقبوا قدومه، ليستقبلوه بكل الحب والبشر والسرور، وكان الصبى الذى يحظى بشيء من ذلك يزهو ويفخر، ويعد من مناقبه وفضائله أن حمله رسول الله ﷺ، أو أردفه خلفه، أو حمله أمامه بين يديه، ونعمت المنقبة، ونعمت الفضيلة.

---

(٦٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ عَنِ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ مُلَيْكَةَ

(٦٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا و قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ عَنِ مُوَرِّقٍ الْعِجْلِيِّ عَنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ

(٦٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنِ عَاصِمٍ حَدَّثَنِي مُوَرِّقٌ حَدَّثَنِي عَنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ

(٦٨) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعْدٍ مَوْلَى الْحَسَنِ ابْنِ عَلِيٍّ عَنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ

المباحث العربية

(**قال عبد اللَّه بن جعفر لابن الزبير**) أى لعبد اللَّه بن الزبير، وكانا فى سن متقاربة، وكان هذا القول فى كبرهما، وكانت الحادثة المحكية فى صباهما، وسنهما نحو سبع سنين.

(**أتذكر إذ تلقينا رسول اللَّه ﷺ**) كان الصبية يتلقون رسول اللَّه ﷺ، فرحا به، وتبركا، إذا قدم من سفر، وكان صلى اللَّه عليه وسلم يتباسط منهم، ويمسح برءوسهم ويلاطفهم.

(**أنا وأنت وابن عباس**) سبق أن ذكرنا بعض فضائل الزبير، وسيأتى باب خاص بابن عباس .

(**قال: نعم. فحملنا وتركك**) ظاهر العبارة أن قوله « فحملنا وتركك » من كلام ابن الزبير، وهكذا توهم القاضى عياض، فخطأ الرواية، ووصفها بالخلط، لأن الذى وقع أن الرسول ﷺ حمل فى هذه الحادثة ابن جعفر وابن عباس، وترك ابن الزبير، لأن الدابة حينئذ كان يشق عليها حمل الثلاثة والتحقيق أن الرواية لا وهم فيها ولا خلط، وكل ما فيها أن لفظ « قال: نعم » مقدمة من تأخير، وأن قوله « فحملنا وتركك » من تتمة كلام ابن جعفر قال النووى: معناه: قال ابن جعفر: فحملنا وتركك » اهـ.

فقدر النووى: « قال ابن جعفر» بعد « نعم » ثم قال النووى: وتوضحه الروايات بعده. اهـ.

وليس فى الروايات بعده ما يوضح أن المتروك ابن الزبير، فالروايتان الثانية والثالثة. ليس في أيهما ذكر لابن الزبير ولا لابن عباس، بل هما فى حادثة أخرى، أفرادها ابن جعفر، وأحد ابنى فاطمة، وإنما الذى يوضح ذلك واقع القصة.

(**إذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل بيته**) وبغيرهم من الصبيان، و« تلقى » بضم التاء، مبنى للمجهول، للإشارة إلى أن أهليهم هم الذين كانوا يدفعونهم لذلك، ولذلك بنى للمجهول أيضا قوله « فسبق بى إليه » ولم يقل: فسبقت إليه، وقوله « ثم جيء » ولم يقل: ثم جاء.

(**فحملنى بين يديه**) أى حملنى على الدابة التى يركبها، ووضعنى أمامه عليها.

(**فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة**) الرسول ﷺ وابن جعفر وأحد ابنى فاطمة، ولم يحددهما كما ورد بينهما فى الرواية الثالثة، فقال « وبالحسن أو بالحسين ».

فقه الحديث

عبد اللَّه بن جعفر بن أبى طالب، ابن ابن عم الرسول ﷺ، كنيته أبو محمد، وأبو جعفر، والثانية أشهر، أمه أسماء بنت عميس، أخت ميمونة بنت الحارث لأمها، ولد بأرض الحبشة، لما هاجر أبواه إليها، وهو أول من ولد بها من المسلمين، وقدم مع أبيه من الحبشة إلى المدينة مرجع رسول اللَّه ﷺ من خيبر، وكان الرسول ﷺ يحبه، كما كان يحب أباه، وبعد أن استشهد أبوه زاد حب رسول اللَّه ﷺ

له، وكان يدعو «اللَّهم اخلف جعفرا فى ولده» وأخباره فى الكرم كثيرة ومشهورة، مات رسول اللَّه ﷺ وهو ابن عشر سنين، وكان أحد أمراء على فى حرب صفين، ومات بالمدينة سنة ثمانين على الصحيح.

ما يؤخذ من الحديث

استحباب تلقى الصبيان للعلماء وأهل الفضل، عند عودتهم من سفر أو غيبة، وأن يتلطف بهم، وأن يركب الصبيان معه، ولا نقص فى ذلك، وأنه لابأس بركوب ثلاثة على دابة إذا كانت مطيقة، وفى ذلك فضل ومنقبة لعبد اللَّه بن جعفر.

واللَّه أعلم

(٦٤٢) باب من فضائل خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

٥٤٥٧- ٦٩/١ عَـن عَلِـي ﷺ(٦٩) قَـالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُـولُ: «خَـيْرُ نِسَـائِهَا مَرْيَـمُ بِنْـتُ عِمْـرَانَ. وَخَـيْرُ نِسَـائِهَا خَدِيجَـةُ بِنْـتُ خُوَيْلِـدٍ» قَـالَ أَبُـو كُرَيْـبٍ: وَأَشَـارَ وَكِيـعٌ إِلَـى السَّـمَاءِ وَالأَرْضِ.

٥٤٥٨- ٧٠/٢ عَن أَبِي مُوسَى ﷺ(٧٠) قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «كَمَـلَ مِـنَ الرِّجَـالِ كَثِيرٌ. وَلَـمْ يَكْمُـلْ مِـنَ النِّسَـاءِ غَـيْرُ مَرْيَـمَ بِنْـتِ عِمْـرَانَ، وَآسِيَةَ امْـرَأَةِ فِرْعَـوْنَ. وَإِنَّ فَضْـلَ عَائِشَـةَ عَلَـى النِّسَاءِ كَفَضْـلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

٥٤٥٩- ٧١/٣ عَن أَبِي هُرَيْـرَةَ ﷺ(٧١) قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِـيَّ ﷺ فَقَـالَ: يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ! هَـذِهِ خَدِيجَةُ قَـدْ أَتَتْـكَ. مَعَهَـا إِنَـاءٌ فِيـهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَـرَابٌ. فَـإِذَا هِـيَ أَتَتْـكَ فَـاقْرَأْ عَلَيْهَـا السَّـلامَ مِـن رَبِّهَـا عَـزَّ وَجَـلَّ. وَمِنِّـي. وَبَشِّـرْهَا بِبَيْـتٍ فِي الْجَنَّـةِ مِـن قَصَـبٍ. لا صَخَـبَ فِيـهِ وَلا نَصَـبَ. قَـالَ أَبُـو بَكْرٍ فِي رِوَايَتِهِ. عَن أَبِـي هُرَيْـرَةَ. وَلَـمْ يَقُـلْ سَـمِعْتُ. وَلَـمْ يَقُـلْ فِي الْحَدِيـثِ. وَمِنِّـي.

٥٤٦٠- ٧٢/٤ عَـن إِسْـمَعِيلَ(٧٢) قَـالَ: قُلْـتُ لِعَبْـدِ اللَّـهِ بْـنِ أَبِـي أَوْفَـى: أَكَـانَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ بَشَّـرَ خَدِيجَـةَ بِبَيْـتٍ فِـي الْجَنَّـةِ؟ قَـالَ: نَعَـمْ. بَشَّـرَهَا بِبَيْـتٍ فِـي الْجَنَّـةِ مِـن قَصَـبٍ. لا صَخَـبَ فِيـهِ وَلا نَصَبَ. حَدَّثَنَا يَحْيَـى بْـنُ يَحْيَـى أَخْبَرَنَـا أَبُـو مُعَاوِيَـةَ.

٥٤٦١- ٧٣/٥ عَـن عَائِشَـةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهَـا(٧٣) قَـالَتْ: بَشَّـرَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ خَدِيجَـةَ بِنْـتَ خُوَيْلِـدٍ بِبَيْتٍ فِـي الْجَنَّـةِ.

---

(٦٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو أُسَامَةَ ح و حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَابْـنُ نُمَـيْرٍ وَوَكِيـعٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ ح وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ كُلُّهُمْ عَن هِشَامِ بْنِ عُـرْوَةَ وَاللَّفْـظُ حَدِيـثُ أَبِي أُسَـامَةَ ح وحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَن هِشَامٍ عَن أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ عَلِيًّا بِالْكُوفَةِ يَقُول

(٧٠) و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالا حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالاَ حَدَّثَنَا مُحَمَّـدُ بْـنُ جَعْفَرٍ جَمِيعًا عَن شُعْبَةَ ح و حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن عَمْرِو بْـنِ مُـرَّةَ عَن مُـرَّةَ عَن أَبِي مُوسَى

(٧١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ عَن عُمَارَةَ عَن أَبِي زُرْعَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ

(٧٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ الْعَبْدِيُّ عَن إِسْمَعِيلَ ح وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ح و حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا الْمُعْتَمِرُ بْـنُ سُـلَيْمَانَ وَجَرِيـرٌ ح و حَدَّثَنَـا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ كُلُّهُمْ عَن إِسْمَعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَن ابْنِ أَبِي أَوْفَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ

(٧٣) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَن أَبِيهِ عَن عَائِشَةَ

٥٤٦٢- ٧٤/٦ عَـن عَائِشَـةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهَـا(٧٤) قَـالَتْ: مَـا غِـرْتُ عَلَـى امْـرَأَةٍ مَـا غِـرْتُ عَلَـى خَدِيجَـةَ. وَلَقَـدْ هَلَكَـتْ قَبْـلَ أَنْ يَـتَزَوَّجَنِي بِثَـلاثِ سِـنِينَ. لِمَـا كُنْـتُ أَسْـمَعُهُ يَذْكُرُهَـا. وَلَقَـدْ أَمَـرَهُ رَبُّـهُ عَـزَّ وَجَـلَّ أَنْ يُبَشِّـرَهَا بِبَيْـتٍ مِـن قَصَـبٍ فِـي الْجَنَّـةِ. وَإِنْ كَـانَ لَيَذْبَـحُ الشَّـاةَ ثُـمَّ يُهْدِيهَـا إِلَـى خَلائِلِهَـا.

٥٤٦٣- ٧٥/٧ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٧٥) قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إلا عَلَى خَدِيجَةَ. وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ» قَـالَتْ: فَأَغْضَبْتُـهُ يَوْمًـا. فَقُلْـتُ: خَدِيجَـةَ؟ فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «إِنِّـي قَـدْ رُزِقْـتُ حُبَّهَـا».

٥٤٦٤- – وفى رواية عَن هِشَامٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ. إِلَى قِصَّةِ الشَّاةِ. وَلَمْ يَذْكُرِ الزِّيَادَةَ بَعْدَهَا.

٥٤٦٥- ٧٦/٨ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٧٦) قَالَتْ: مَا غِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ مِن نِسَائِهِ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، لِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا. وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ.

٥٤٦٦- ٧٧/٩ عَـن عَائِشَـةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهَـا(٧٧) قَـالَتْ: لَـمْ يَـتَزَوَّجِ النَّبِـيُّ ﷺ عَلَـى خَدِيجَةَ حَتَّـى مَـاتَتْ.

٥٤٦٧- ٧٨/١٠ عَـن عَائِشَـةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهَـا(٧٨) قَـالَتِ: اسْـتَأْذَنَتْ هَالَـةُ بِنْـتُ خُوَيْلِـدٍ، أُخْـتُ خَدِيجَةَ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَعَـرَفَ اسْـتِئْذَانَ خَدِيجَـةَ فَارْتَـاحَ لِذَلِـكَ. فَقَـالَ: «اللَّهُـمَّ! هَالَـةُ بِنْـتُ خُوَيْلِدٍ» فَغِرْتُ فَقُلْتُ: وَمَا تَذْكُرُ مِن عَجُوزٍ مِن عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، فَأَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا!.

المعنى العام

خديجة بنت خويلد – رضى اللّه عنها – أول من تزوجها صلى اللّه عنها، تزوجها سنة

(٧٤) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَن أَبِيهِ عَن عَائِشَةَ
(٧٥) حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ عَن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَن أَبِيهِ عَن عَائِشَةَ
حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو كُرَيْبٍ جَمِيعًا عَن أَبِي مُعَاوِيَةَ عَن هِشَامٍ
(٧٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَن عُرْوَةَ عَن عَائِشَةَ
(٧٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَن عُرْوَةَ عَن عَائِشَةَ
(٧٨) حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَن هِشَامٍ عَن أَبِيهِ عَن عَائِشَةَ

خمس وعشرين من مولده، فى قول الجمهور، وكانت قبله عند أبى هالة بن النباش بن زرارة التميمى، وله منها ولد اسمه « هند » ومات أبو هالة فى الجاهلية، وكانت خديجة قبله عند عتيق بن عائذ المخزومى.

وكان النبى ﷺ قبل أن يتزوج خديجة قد سافر فى مالها مقارضا إلى الشام، وكانت تدعى فى الجاهلية الطاهرة.

وصدقت النبى من أول وهلة، مما يدل على قوة يقينها، ووفور عقلها، وصحة عزمها، شاركته الحصار الاقتصادى، وكانت حصنا له صلى الله عليه وسلم، حتى قال: ما نالت منى قريش ما نالت منى بعد موت خديجة وأبى طالب.

وكان جميع أولاده صلى الله عليه وسلم منها، إلا إبراهيم، والمتفق عليه من أولاده منها:

القاسم، وبه كان يكنى، مات صغيراً قبل المبعث، أو بعده، وبناته الأربع: زينب ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، وقيل: كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة، وعبد الله ولد بعد المبعث، فكان يقال له: الطاهر والطيب، ويقال: وهما أخوان له، ومات الذكور صغارا باتفاق.

وماتت خديجة بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح، فأقامت معه خمسا وعشرين سنة، لم يتزوج فى حياتها غيرها. رضى الله عنها وأرضاها.

المباحث العربية

(خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد. قال أبو كريب: وأشار وكيع إلى السماء والأرض) قال القرطبى: الضمير فى « خير نسائها » عائد على غير مذكور، لكنه يفسره المقام والمشاهدة، يعنى خير نساء الدنيا، وقال الطيبى: الضمير الأول يعود على الأمة التى كانت فيها مريم، والثانى على هذه الأمة - أى خير نساء عصر مريم مريم ،وخير أمة محمد ﷺ خديجة - قال: ولهذا كرر الكلام « خير نسائها » - تنبيها على أن حكم كل واحدة منها غير حكم الأخرى. اهـ لكن لا يساعد هذا التفسير إشارة وكيع إلى السماء والأرض، مما يرجح أن المراد بالضميرين نساء الدنيا.

قال الحافظ ابن حجر: والذى يظهر لى أن قوله « خير نسائها » خبر مقدم، والضمير لمريم، فكأنه قال: مريم خير نسائها، أى خير نساء زمانها، وكذا فى خديجة.

وقال النووى: الأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير من نساء الأرض فى عصرها، وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه.

وقال القاضى: يحتمل أن الكلام على تقدير « من » أى أنهما من خير نساء الأرض والصحيح الأول.

(كمل من الرجال كثير) فكانوا أنبياء، ورسلاً، و « كمل » بفتح الكاف، والميم مفتوحة ومضمومة ومكسورة ثلاث لغات مشهورات، والكسر ضعيف.

(**ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون**) ﴿**إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [التحريم: ١١] وذكر بعضهم أنها كانت عمة موسى عليه السلام، وأنها آمنت به، حين سمعت بتلقف العصا إفك السحرة، فعذبها فرعون.

وأخرج أبو يعلى والبيهقى بسند صحيح عن أبى هريرة « أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد، فى يديها ورجليها، فكانت إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة عليهم السلام، وقالت: رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة، فيكشف لها عن بيتها فى الجنة » وفى رواية عند عبد بن حميد « أنه وتد لها أربعة أوتاد، وأضجعها على ظهرها، وجعل على صدرها رحى، واستقبل بها عين الشمس » وعن الحسن « فنجاها اللّه تعالى أكرم نجاة، فرفعها إلى الجنة، فهى تأكل وتشرب، وتنعم فيها » قال المفسرون: وظاهر هذه الرواية أنها رفعت بجسدها، وهو لا يصح.

أما مريم ابنة عمران - ولها سورة باسمها فى القرآن الكريم - فصدقت وآمنت بكلمات ربها وصحفه، وبجميع كتبه، من التوراة والإنجيل، والزبور والقرآن، وإن لم يكن قد نزل، ﴿**وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾ ومن عداد المواظبين على الطاعة.

وأخرج الطبرانى عن سعد بن جنادةﷺ، قال: قال رسول اللّه ﷺ « إن اللّه زوجنى فى الجنة مريم بنت عمران، وامرأة فرعون، و أخت موسى عليه السلام ».

ولفظة الكمال تطلق على تمام الشيء وتناهيه فى بابه، والمراد هنا التناهى فى جميع الفضائل، وخصال البر والتقوى.

(**وإن فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام**) يقال: ثرد الرجل الخبز بفتح الثاء والراء، يثرده بضم الراء، ثرداً، بسكونها، أى فته، ثم بله بمرق.

قال النووى: قال العلماء: معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقة بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه - ومعنى هذا تقييد « سائر الطعام » وجعل « أل » فيه وفى « الثريد » للعهد، أى الثريد من أى نوع أفضل من سائر طعامه ومرقه من غير فتات الخبز معه - قال: والمراد بالفضيلة نفعه، والشبع منه، وسهولة مساغه، والالتذاذ به، وتيسر تناوله، وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة، وغير ذلك. قال: فهو أفضل من المرق كله، ومن سائر الأطعمة، أى فضل عائشة على النساء زائد،كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة، اهـ. وفى هذه العبارة الأخيرة نظر لأن من الأطعمة ما هو أفضل من الثريد فى كل ما ذكره إلا أن يقال: إنه لم يكن ميسورا لهم، فالكلام جرى على حسب عادتهم وعرفهم.

وما ذكر من صفات الثريد المشبه به يقابله من صفات عائشة رضى اللّه عنها ما أعطيت من حسن الخلق، وحلاوة المنطق، وفصاحة اللهجة، وجودة القريحة، ورزانة الرأى، ورصانة العقل، والتحبب للبعل، وحسبك أنه عقلت من النبى ما لم يعقل غيرها من النساء، وروت عنه ما لم يرو مثله كثير من الرجال.

(**عن أبى هريرة ﷺ قال: أتى جبريل النبى ﷺ....**) قال النووى: هذا الحديث من مراسيل الصحابة، لأن أبا هريرة لم يدرك أيام خديجة، فهو محمول على أنه سمعه من النبى ﷺ، أو من صحابى، ولم يذكر أبو هريرة أنه سمعه من النبى ﷺ، ومراسيل الصحابة حجة عند الجماهير.

(**هذه خديجة قد أتتك، معها إناء فيه إدام - أو طعام أو شراب - فإذا هى أتتك**) قال النووى: معنى « أتتك » الأولى توجهت إليك، ومعنى « أتتك » الثانية وصلت إليك. اهـ. والمعنى هذه خديجة أراها ولا تراها، أعدت لك طعاما، وحملته متوجهة به نحوك، وعند الطبرانى كان حيسا، بفتح الحاء وسكون الياء، وهو تمر وأقط وسمن، تخلط وتعجن وتسوى، كالثريد، فإذا وصلت عندك.

(**فاقرأ عليها السلام، من ربها عزوجل، ومنى**) زاد فى رواية الطبرانى أنها لما بلغت قالت: « هو السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام » وعند النسائى « قال جبريل للنبى ﷺ: إن اللّٰه يقرئ خديجة السلام » يعني فأخبرها « فقالت: إن اللّٰه هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك يا رسول اللّٰه السلام ورحمة اللّٰه وبركاته » زاد ابن السنى « وعلى من سمع السلام، إلا الشيطان » قال الحافظ ابن حجر: والظاهر أن جبريل كان حاضراً عند جوابها، فردت عليه وعلى النبى ﷺ مرتين، مرة بالتخصيص، ومرة بالتعميم.

قيل: إنما بلغها جبريل عليه السلام من ربها بواسطة النبى ﷺ احتراما للنبى ﷺ، وكذلك وقع له لما سلم على عائشة، ولم يواجهها بالسلام، بل راسلها مع النبى ﷺ، لكن قد واجه مريم بالخطاب، قيل: لأنها لم يكن معها زوج، ويحترم معه مخاطبتها.

يقال: قرأ عليه السلام قراءة، أبلغه إياه، وكذا أقرأه السلام، أبلغه إياه، ولا يقال: يقرؤك السلام بفتح الياء.

(**ويشرها ببيت فى الجنة من قصب**) قال جمهور العلماء: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف، والقصب من الجوهر، ما استطال منه فى تجويف، ويقال لكل مجوف قصب، وقال ابن التين: المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة، كالقصر المنيف، وعند الطبرانى فى الأوسط « يعنى قصب اللؤلؤ » وعنده فى الكبير « بيت من لؤلؤة مجوفة » وعنده فى الأوسط، من حديث فاطمة رضى اللّٰه عنها قالت: قلت: يا رسول اللّٰه، أين أمى خديجة؟ قال: فى بيت من قصب. قلت: أمن هذا القصب؟ « تقصد النبات المعروف الحلو؟ تخيلته منسوجة حوائطه بعيدان القصب، بدلا من أعواد الحطب والجريد التى يقيمونها حوائط، ويغلفونها بالطين « قال: لا، من القصب المنظوم بالدر، واللؤلؤ والياقوت ».

والمراد بهذا البيت بيت وقصر زائد على ما أعده اللّٰه لها من ثواب عملها، أى بيت صفته كذا وكذا هدية خالصة، لا دخل لعملها فى تحصيله، وعلى هذا فسر قوله .

(**لا صخب فيه، ولا نصب**) أى لا نصب ولا تعب منها فى تحصيله، والصخب بفتح الصاد والخاء الصياح والمنازعة برفع الصوت، وأغرب الداودى، فقال: الصخب العيب،والنصب العوج، وهو تفسير لا تساعد عليه اللغة، والنصب بفتحتين، وبضم النون وسكون الصاد، كالحزن والحزن، لغتان، والفتح أشهر وأفصح.

(**ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة**) « ما » مصدرية، أى ما غرت على رسول الله ﷺ، من امرأة من نسائه غيرتى عليه من خديجة، وفى الرواية السابعة « ما غرت على نساء النبى ﷺ إلا على خديجة ».

(**ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى بثلاث سنين**) جملة معترضة بين الخبر، وبين بيان سببه، جيء بها للإشارة إلى أنها لو كانت اجتمعت معها، فى عصمته صلى الله عليه وسلم فى زمن واحد، لكانت غيرتها منها أشد، والمراد من الهلاك الموت، قال النووى: تعنى قبل أن يدخل بها، لا قبل العقد، وإنما ماتت قبل أن يعقد عليها بنحو سنة ونصف سنة، وفى الرواية السابعة « وإنى لم أدركها » أى لم أدرك حياتها زوجة مشاركة لى رسول الله ﷺ، أى وإن أدركتها ووعيتها زوجة له، قبل أن يتزوجنى، وفى الرواية الثامنة « وما رأيتها قط » أى وأنا زوجة لرسول الله ﷺ.

(**لما كنت أسمعه يذكرها**) اللام للتعليل، و« ما » موصولة، أو مصدرية، والمراد لكثرة سماعى ذكرها على لسانه صلى الله عليه وسلم، أى ذكرها بالمدح والخير والثناء، وفى الرواية الثامنة « لكثرة ذكره إياها » ومن هذا الذكر تبشيرها. ببيت فى الجنة، وكونه إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا بها - أى بجزئها - إلى أصدقاء خديجة، ولإشعاره بأنه لم يتزوج عليها حتى ماتت، كما فى الرواية التاسعة، ولحبه وارتياحه وسروره بلقاء أهلها وصاحباتها بعدها كما فى الرواية العاشرة، وعند البخارى « ولكن كان النبى ﷺ يكثر ذكرها... فيقول: إنها كانت وكانت.. وكان لى منها ولد » أى فهى أم أولادى الذين أحبهم، إذ كان جميع أولاده من خديجة، إلا إبراهيم، « وكان إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها، واستغفار لها ».

(**وإن كان ليذبح الشاة، ثم يهديها إلى خلائلها**) « ثم يهديها » أى يهدى الكثير منها، والخلائل جمع خليلة، وهى الصديقة، و« إن » مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن والحال، محذوف، وفى رواية للبخارى « وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها فى صدائق خديجة » وفى الرواية السابعة « وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاه فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة » « والفاء عاطفة على محذوف، جوابه « إذا » أى إذا ذبح الشاة اهتم بأصدقائها، فيقول: .....، وهذا الأسلوب وإن كان يفيد العادة والشأن مراد به هنا الكثرة، ففى رواية للبخارى « ربما ذبح الشاة » بلفظ « ربما » وفى رواية أخرى للبخارى « وإن كان ليذبح الشاة، فيهدى فى خلائلها منها ما يسعهن » أى ما يكفيهن، وفى رواية « ما يشبعهن ».

(**قالت: فأغضبته يوما، فقلت: خديجة؟**) وفى رواية « خديجة؟ خديجة؟ » بالتكرير، أى فى كل وقت تذكر بالثناء خديجة؟ وفى رواية للبخارى « كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة؟ » وفى روايتنا العاشرة « ما تذكر من عجوز من عجائز قريش؟ حمراء الشدقين » بالجر، وقال أبو البقاء: جوز فى « حمراء » الرفع على القطع، والنصب على الحال. وحكى فى بعضهم رواية « حمراء » بالجيم والزاى، ولا معنى لها، بل هى تصحيف، قال القرطبى: قيل: معنى « حمراء الشدقين » بيضاء الشدقين، والعرب تطلق على الأبيض الأحمر، قال: والذى عندى أن المراد بذلك نسبتها إلى كبر السن، لأن من دخل فى سن الشيخوخة، مع قوة فى بدنه، يغلب على لونه غالبا الحمرة المائلة إلى السمرة. كذا قال:

قال الحافظ ابن حجر: والذى يتبادر أن المراد بالشدقين ما فى باطن الفم، فالكلام كناية عن سقوط أسنانها، حتى لا يبقى داخل فمها إلا اللحم الأحمر من اللثة، وغيرها، وبهذا جزم النووى وغيره.

(**هلكت فى الدهر**) أى ماتت فى الزمن الماضى، وعفا على آثارها الزمان.

(**استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على رسول الله ﷺ**) كانت « هالة » زوج الربيع بن عبد العزى، والد العاصى بن الربيع، زوج زينب بنت النبى ﷺ، فهى « حماة » زينب، وكان رسول الله ﷺ يثنى على معاملتها ومعاملة ابنها لزينب، قبل أن يسلما، وبعد أن أسلما، وقد ذكروها فى الصحابة، وهو ظاهر هذا الحديث، وقد هاجرت إلى المدينة، لأن استئذانها للدخول كان بالمدينة، ويحتمل أن تكون قد دخلت على النبى ﷺ بمكة، حيث كانت عائشة معه فى بعض سفره.

(**فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك، فقال: اللهم. هالة بنت خويلد**) أى هذا صوت هالة بنت خويلد، عرفه لشبهه بصوت خديجة أختها، فتذكر خديجة بذلك، و« ارتاع » من الروع، بفتح الراء، وهو الفزع، والمراد من الفزع لازمه، وهو التغير، والمقصود التغير فرحا وبهجة وشوقا، ووقع فى بعض الروايات « ارتاح » بالحاء، أى اهتز لذلك سروراً، قال الحافظ ابن حجر: وقوله « اللهم هالة » فيه حذف تقديره: اجعلها هالة، فعلى هذا فهو منصوب - أى كما نقول: يا رب تكون هالة - قال: ويحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أى هذه هالة.

(**فأبدلك الله خيرا منها**) تعنى نفسها، فعند أحمد والطبرانى فى هذه القصة « قالت عائشة: فقلت: أبدلك الله بكبيرة السن حديثة السن » وفى رواية لأحمد والطبرانى « فقال ﷺ ما أبدلنى الله خيرا منها. آمنت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء » وفى روايتنا السابعة « إنى رزقت حبها ».

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب

١- عن الرواية الثانية قال القاضى: هذا الحديث يستدل به من يقول بنبوة النساء ،ونبوة آسية ومريم، والجمهور على أنهما ليستا نبيتين، بل هما صديقتان، ووليتان من أولياء الله تعالى، ثم قال: فإن قلنا: هما نبيتان فلا شك أن غيرهما لا يلحق بهما، وإن قلنا: وليتان لم يمتنع أن يشاركهما من هذه الأمة غيرهما. اهـ. قال النووى: وهذا الذى نقله من القول بنبوتها غريب ضعيف، وقد نقل جماعة الإجماع على عدمها. اهـ.

وقد استدل بعضهم على نبوة مريم بقوله تعالى ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٤٢] ورد بأنه ليس بصريح فى ذلك.

كما استدل على نبوتها بذكرها مع الأنبياء فى سورة مريم، ورد بأن دلالة الاقترن ليست دلالة شرعية، قيل: ووصفها بصديقة يبعد كونها نبية، ورد بأن يوسف عليه السلام قد وصف بالصديق وهو نبى.

وقد نقل عن الأشعرى أن فى النساء عدة نبيات، حصرهن ابن حزم فى ست :حواء وسارة وهاجر، وأم موسى، وآسية ومريم وأسقط القرطبى سارة وهاجر ونقله فى التمهيد عن أكثر الفقهاء، وقال القرطبى: الصحيح أن مريم نبية، قال عياض: والجمهور على خلافه، وعن الحسن ليس فى النساء نبية، ولا فى الجن.

وقد استدل على عدم نبوة النساء بروايتنا الأولى،وبحديث البخارى « خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة » فقد استويا فى الخيرية، وخديجة ليست نبية باتفاق، فمريم كذلك، وإذا لم تكن مريم نبية، لم تكن غيرها من النساء كذلك، ورد بأنه لا يلزم من التسوية فى الخيرية التسوية فى جميع الصفات.

٢- واستدل بقوله فى الرواية الثانية « وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » على تفضيل عائشة على نساء النبى ﷺ، وقال ابن التين: فى سكوت النبى ﷺ على عائشة، حين قالت: قد أبدلك اللّٰه خيرا منها » دليل على أفضلية عائشة على خديجة، إلا أن يكون المراد بالخيرية هنا حسن الصورة، وصغر السن، ورد بما جاء فى الروايات الأخري من أنه لم يسكت، وبأنها صرحت فى بعض الروايات بأن الخيرية التى تعنيها خيرية الصورة وحداثة السن.

٣- ومن الرواية الأولى والثالثة والرابعة وما بعدهما فضل خديجة، ففى الأولى « خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة » فخديجة خير من عائشة. قال ابن التين: ويحتمل أن لا تكون عائشة دخلت فى ذلك، لأنها كانت لها عند موت خديجة ثلاث سنين (كذا قال) فلعل المراد النساء البوالغ، قال الحافظ ابن حجر: وهو ضعيف، فإن المراد بلفظ النساء أعم من البوالغ، ومن لم تبلغ أعم ممن كانت موجودة وممن ستوجد، وعند البزار والطبرانى « فضلت خديجة على نساء أمتى، كما فضلت مريم على نساء العالمين » وهو حديث حسن الإسناد، وعند النسائى بإسناد صحيح، والحاكم « أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية » قال: وهذا نص صريح، لا يحتمل التأويل.

٤- ومن الرواية الثالثة، من قوله « اقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومنى » أفضلية خديجة على عائشة لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها.

وزعم ابن العربى: أنه لا خلاف فى أن خديجة أفضل من عائشة، قال الحافظ: ورد بأن الخلاف ثابت قديما، وإن كان الراجح أفضلية خديجة. قال السبكى الكبير: لعائشة من الفضائل ما لا يحصى، ولكن الذى نختاره وندين اللّٰه به أن فاطمة أفضل ثم خديجة، ثم عائشة، اهـ.

قال السبكى: ونساء النبى ﷺ بعد خديجة وعائشة متساويات فى الفضل، وهن أفضل النساء، لقول اللّٰه تعالى ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وظاهر كلام السبكى تفضيلهن على فاطمة، لكن قوله الأولَ الَمختار عنده تفضيل فاطمة، حتى على خديجة وعائشة وقد نقل عنه أنه سئل: هل قال أحد: إن أحدا من نساء النبى ﷺ غير خديجة وعائشة أفضل من فاطمة؟ فقال: قال به من لا يعتد بقوله، وهو من فضل نساء النبى ﷺ على جميع الصحابة، لأنهن فى درجته فى الجنة. قال: وهو قول ساقط مردود، اهـ وقائله هو أبو محمد بن حزم، وفساده ظاهر.

وعندى أن التفضيل بحث غير علمى، لا طائل تحته، وعلمه عند اللَّه، فمقادير الفضائل، وتقدير كل فضيلة مرجعه إلى اللَّه تعالى وحده، وواجبنا الاعتراف بالفضائل وتعظيم أصحابها، واللَّه أعلم.

٥- ومن غيرة عائشة رضى اللَّه عنها ثبوت غيرة النساء، وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء، فضلا عمن دونهن.

٦- وأن عائشة كانت تغار من نساء النبى ﷺ، لكن كانت تغار من خديجة أكثر.

٧- وأن الغيراء قد تعذر لما يصدر منها، قال الطبرى: وغيره من العلماء: الغيرة مسامح للنساء ما يقع فيها، ولا عقوبة عليهن فى تلك الحالة، لما جبلن عليه منها. اهـ وهذا فيما صدر من توافه الأمور، أو كان لها عذر ظاهر، وقد اعتذروا عن عائشة فى موقفها من ذكر خديجة بأنها قد اجتمع فيها حينئذ الغيرة، مع صغر السن، مع الإدلال، فلا يقال على الإطلاق بالصفح عن الغيراء فيما تأتى بسبب الغيرة وحدها، ثم إن عائشة لم تأت محرما، وإنما صدر منها فى وقت الغيرة ما لا يصدر منها فى حال عدم الغيرة.

٨- وفى هذه الأحاديث مزيد حب رسول اللَّه ﷺ لخديجة رضى اللَّه عنها، وفى قوله صلى اللَّه عليه وسلم فى الرواية السابعة «إنى قد رزقت حبها» أن حب الرسول ﷺ فضيلة لمن يحبه.

٩- وفى موقف الرسول ﷺ من خديجة بعد موتها دليل لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والعشير، فى حياته، وبعد وفاته، وإكرام أهل ذلك الصاحب.

١٠- وفى إخبار عائشة -رضى اللَّه عنها - بغيرتها من خديجة، وبما قد ينقص عند البعض من رفعتها ومكانتها، زيادة إيمان، وفرط إنصاف.

واللَّه أعلم

(٦٤٣) باب فضائل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

٥٤٦٨- ٧٩/١ عَن عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَا[٧٩]، أَنَّهَا قَـالَتْ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «أُرِيتُـكِ فِـي الْمَنَـامِ ثَـلاثَ لَيَـالٍ. جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ. فَيَقُـولُ: هَـذِهِ امْرَأَتُـكَ فَأَكْشِـفُ عَـن وَجْهِكِ. فَإِذَا أَنْتِ هِيَ. فَأَقُولُ: إِنْ يَـكُ هَـذَا مِـن عِنْـدِ اللَّـهِ، يُمْضِـهِ».

٥٤٦٩- ٨٠/٢ عَن عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَا[٨٠] قَـالَتْ: قَـالَ لِـي رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «إِنِّـي لأَعْلَـمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّـي رَاضِيَـةً، وَإِذَا كُنْـتِ عَلَـيَّ غَضْبَـى» قَـالَتْ: فَقُلْـتُ وَ مِـن أَيْـنَ تَعْـرِفُ ذَلِـكَ؟ قَـالَ «أَمَّـا إِذَا كُنْـتِ عَنِّـي رَاضِيَـةً، فَـإِنَّكِ تَقُولِيـنَ: لا. وَرَبِّ مُحَمَّـدٍ! وَإِذَا كُنْـتِ غَضْبَـى قُلْـتِ: لا. وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ» قَالَتْ: قُلْـتُ أَجَـلْ وَاللَّـهِ! يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ! مَـا أَهْجُـرُ إِلا اسْـمَكَ.

٥٤٧٠- - وفِـي روايـة عَـن هِشَـامِ بْـنِ عُـرْوَةَ، بِهَـذَا الإِسْـنَادِ، إِلَـى قَوْلِـهِ: «لا وَرَبِّ إِبْرَاهِيـمَ» وَلَـمْ يَذْكُرْ مَا بَعْـدَهُ.

٥٤٧١- ٨١/٣ عَـن عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَـا[٨١]، أَنَّهَـا كَـانَتْ تَلْعَـبُ بِالْبَنَـاتِ عِنْـدَ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ. قَـالَتْ: وَكَـانَتْ تَـأْتِينِي صَوَاحِبِي. فَكُـنَّ يَنْقَمِعْـنَ مِـن رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ. قَـالَتْ: فَكَـانَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ يُسَـرِّبُهُنَّ إِلَـيَّ.

٥٤٧٢- وفي روايـة عَـن هِشَـامٍ بِهَـذَا الإِسْـنَادِ. وَقَـالَ فِـي حَدِيـثِ جَرِيـرٍ: كُنْـتُ أَلْعَـبُ بِالْبَنَـاتِ فِي بَيْتِهِ. وَهُـنَّ اللُّعَـبُ.

٥٤٧٣- ٨٢/٤ عَـن عَائِشَـةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهَـا[٨٢]، أَنَّ النَّـاسَ كَـانُوا يَتَحَـرَّوْنَ بِهَدَايَـاهُمْ يَـوْمَ عَائِشَـةَ، يَبْتَغُـونَ بِذَلِـكَ مَرْضَـاةَ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ.

---

(٧٩) حَدَّثَنَـا خَلَـفُ بْـنُ هِشَـامٍ وَأَبُو الرَّبِيـعِ جَمِيعًا عَـنْ حَمَّـادِ بْـنِ زَيْـدٍ وَاللَّفْـظُ لأَبِـي الرَّبِيـعِ حَدَّثَنَـا حَمَّـادٌ حَدَّثَنَـا هِشَـامٌ عَـنْ أَبِيهِ عَـنْ عَائِشَـةَ
حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ ح و حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ جَمِيعًا عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَهُ.
(٨٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ وَجَدْتُ فِي كِتَابِي عَنْ أَبِي أُسَامَةَ حَدَّثَنَا هِشَـامٌ ح و حَدَّثَنَـا أَبُـو كُرَيْـبٍ مُحَمَّـدُ بْـنُ الْعَلَـاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ
- وحَدَّثَنَاه ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ
(٨١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ
- حَدَّثَنَاه أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ح و حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَـيْرٍ حَدَّثَنَـا مُحَمَّـدُ بْـنُ بِشْـرٍ كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامٍ
(٨٢) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ

٥٤٧٤- ٨٣/٥ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٨٣]، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ فَاطِمَةَ، بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي. فَأَذِنَ لَهَا. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ. وَأَنَا سَاكِتَةٌ. قَالَتْ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْ بُنَيَّةُ! أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟ فَقَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَأَحِبِّي هَذِهِ» قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ. فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْنَ لَهَا: مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِن شَيْءٍ. فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ. فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللَّهِ! لا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِن زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لِلَّهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سَوْرَةً مِن حِدَّةٍ، كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ. قَالَتْ: فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا، عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا. فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ، يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ. قَالَتْ: ثُمَّ وَقَعَتْ بِي. فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ. وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ، هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا. قَالَتْ: فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ. قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا حَتَّى أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَسَّمَ: «إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ».

٥٤٧٥- - وفِي رواية عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ، مِثْلَهُ فِي الْمَعْنَى، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا أَنْ أَثْخَنْتُهَا غَلَبَةً.

٥٤٧٦- ٨٤/٦ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٨٤] قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَتَفَقَّدُ يَقُولُ: «أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟» اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ. قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي.

---

(٨٣) حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدٌ حَدَّثَنِي و قَالَ الآخَرَانِ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ صَالِحٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ - و حَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُهْزَاذَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ حَدَّثَنِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِيِّ

(٨٤) و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ وَجَدْتُ فِي كِتَابِي عَنْ أَبِي أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ

٥٤٧٧- ٨٥/٧ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٨٥)، أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَى صَدْرِهَا، وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي. وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ».

٥٤٧٨- ٨٦/٨ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٨٦) قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. قَالَتْ: فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ يَقُولُ ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ قَالَتْ: فَظَنَنْتُهُ خُيِّرَ حِينَئِذٍ.

٥٤٧٩- ٨٧/٩ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٨٧)، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ، حَتَّى يُرَى مَقْعَدُهُ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ» قَالَتْ: عَائِشَةُ فَلَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي، غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى» قَالَتْ: عَائِشَةُ قُلْتُ إِذًا لا يَخْتَارُنَا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَعَرَفْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ وَهُوَ صَحِيحٌ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْلَهُ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى».

٥٤٨٠- ٨٨/١٠ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٨٨) قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ. فَطَارَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ. فَخَرَجَتَا مَعَهُ جَمِيعًا. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ، يَتَحَدَّثُ مَعَهَا. فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: أَلا تَرْكَبِينَ اللَّيْلَةَ بَعِيرِي وَأَرْكَبُ بَعِيرَكِ فَتَنْظُرِينَ وَأَنْظُرُ؟ قَالَتْ: بَلَى، فَرَكِبَتْ عَائِشَةُ عَلَى بَعِيرِ حَفْصَةَ، وَرَكِبَتْ حَفْصَةُ

---

(٨٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ
حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي ح و حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ

(٨٦) و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لابْنِ الْمُثَنَّى قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ
و حَدَّثَنَاه أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ح و حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالا حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ

(٨٧) حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ عَائِشَةَ

(٨٨) حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ و حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ كِلاهُمَا عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ قَالَ عَبْدٌ حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ ابْنُ أَيْمَنَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ

عَلَى بَعِيرِ عَائِشَةَ. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَمَلِ عَائِشَةَ وَعَلَيْهِ حَفْصَةُ. فَسَلَّمَ ثُمَّ سَارَ مَعَهَا. حَتَّى نَزَلُوا. فَافْتَقَدَتْهُ عَائِشَةُ فَغَارَتْ. فَلَمَّا نَزَلُوا جَعَلَتْ تَجْعَلُ رِجْلَهَا بَيْنَ الإِذْخِرِ وَتَقُولُ: يَا رَبِّ! سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أَوْ حَيَّةً تَلْدَغُنِي. رَسُولُكَ وَلا أَسْتَطِيعُ. أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيْئًا.

٥٤٨١- ٨٩/١١ عَن أَنسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه(٨٩) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

٥٤٨٢- ٩٠/١٢ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٩٠)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّ جِبْرِيلَ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلامَ». قَالَتْ: فَقُلْتُ وَعَلَيْهِ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

٥٤٨٣- ٩١/١٣ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٩١)، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشُ! هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلامَ» قَالَتْ: فَقُلْتُ وَعَلَيْهِ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. قَالَتْ: وَهُوَ يَرَى مَا لا أَرَى.

المعنى العام

الصديقة بنت الصديق، عائشة ابنة أبى بكر، وأمها أم رومان، كانت قبل أبى بكر تحت عبد الله ابن الحارث الأزدى، وكان قد قدم بها مكة، فحالف أبا بكر قبل الإسلام وتوفى عن أم رمان بمكة، بعد أن ولدت له الطفيل، فتزوجها أبو بكر، فولدت له عبد الرحمن وعائشة، أسلمت، وبايعت، وهاجرت، وتوفيت فى حياة النبى ﷺ سنة ست من الهجرة على المشهور.

ولدت عائشة بعد المبعث بأربع سنين أو خمس، وخطبها النبى ﷺ وهى بنت ست، وبعد أن جاءه جبريل عليه السلام بصورتها فى ثوب من حرير، يحمله على كفه، ويقول له: هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة، فكان صلى الله عليه وسلم يكشف الثوب عن وجهها، فيرى عائشة بنت أبى بكر، فيعجب،

---

(٨٩) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ بِلالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ ح و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ كِلاهُمَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَفِي حَدِيثِ إِسْمَعِيلَ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ.

(٩٠) و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ سُلَيْمَانَ وَيَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ زَكَرِيَّاءَ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ
- وحَدَّثَنَاه إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا الْمُلائِيُّ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ قَالَ سَمِعْتُ عَامِرًا يَقُولُ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا بِمِثْلِ حَدِيثِهِمَا
- وحَدَّثَنَاه إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا أَسْبَاطُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ زَكَرِيَّاءَ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ

(٩١) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ

إنها طفلة يراها صباح مساء، وكان فى هذه الفترة يذهب صلى اللّه عليه وسلم إلى بيت أبى بكر مرة أو مرتين فى اليوم، إنها فى هذه السن، وفى هذا الجسم النحيل لا تصلح للزواج. فكيف يفهم كلام جبريل؟ أهى بشرى سابقة لما سيقع بعد سنين؟ لكنها حق من عند الحق. فكان يقول: إن كان هذا قدر اللّه فسيقع.

وفى يوم من أيام الحزن على خديجة جاءته الخاطبة خولة بنت حكيم، امرأة عثمان بن مظعون، فقالت: يا رسول اللّه. ألا تتزوج؟ فتخرج من هذا الحزن؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكرا، وإن شئت ثيبا؟ قال: فمن البكر؟ قالت: بنت أحب خلق اللّه إليك، عائشة بنت أبى بكر، قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة، آمنت بك واتبعتك، قال: فاذهبى، فاخطبيهما لى.

خطبها صلى اللّه عليه وسلم على أساس الانتظار بدخولها حتى تنضج وتصلح،ثم هاجر، وهاجرت من بعده، وبعد سنة من الهجرة دخل بها، وهى بنت تسع سنين، وعاشت فى بيته تسع سنين، تعطيه من عذوبة البنت، وحنان الأم وهى الصبية الصغيرة، وعواطف الزوجة الشابة الحبيبة، حتى كانت أحب الناس إليه.

روى ابن سعد أنها قالت: « فضلت بعشر، أتاه الملك بصورتى فى كفه، لينظر إليها - تشير بذلك إلى روايتنا الأولى - ولم ينكح بكرا غيرى، ولا امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل اللّه براءتى من السماء، وكان ينزل عليه الوحى وهو معى » تشير إلى روايتنا الثالثة عشرة، وما سيأتى فى المباحث العربية، فى رده صلى اللّه عليه وسلم على أم سلمة، كما جاء فىالبخارى « وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد، وكان يصلى وأنا معترضة بين يديه، وقبض بين سحرى ونحرى، فى بيتى وفى ليلتى » تشير إلى روايتنا السادسة والسابعة، « ودفن فى بيتى » زاد فى رواية « ورأيت جبرائيل، وكنت أحب نسائه إليه، ومرضته، فقبض ولم يشهده غيرى والملائكة ».

عاشت رضى اللّه عنها بعد وفاة رسول اللّه ﷺ طويلا، إذ ماتت سنة ثمان وخمسين فى رمضان، وأمرت أن تدفن ليلا، فدفنت بعد التراويح والوتر بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة، ونزل قبرها خمسة: عبد اللّه وعروة، ابنا أختها، ابنا الزبير، والقاسم بن محمد، وعبد اللّه بن محمد، ابنا محمد أخيها، وعبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبى بكر.

قال الزهرى: لوجمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبى ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

رضى اللّه عنها وأرضاها بقدر ما خدمت الشريعة، وبلغت حديث رسول اللّه ﷺ .

المباحث العربية

(**أريتك فى المنام ثلاث ليال**) أى ثلاث مرات فى ثلاث ليال، أراه اللّه إياها أو أراه الملك إياها.

(**جاءنى بك الملك فى سرقة من حرير**) « سرقة » بفتح السين والراء وهى الشقق، أى

ملفوفة فى أثواب وشرائح من حرير أبيض، وفى كتب اللغة: السرق بفتح السين والراء شقق الحرير، أو أجوده، الواحدة سرقة. معرب.

(**فيقول: هذه امرأتك**) أى زوجتك فى المستقبل.

(**فأكشف عن وجهك فإذا أنت هى**) كأنها كانت ملفوفة بالحرير مغطاة الوجه، وقول « أنت هى » مبتدأ وخبر، أو خبر مقدم ومبتدأ مؤخر، أى فإذا صورتك هى التى كانت فى اللفافة، أو فإذا التى كانت فى اللفافة تشبهك، وفى رواية « لقد نزل جبريل بصورتى فى راحته، حين أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجنى » ويجمع بينهما بأن المراد أن صورتها كانت فى الخرقة، والخرقة فى راحته، ويحتمل أن تكون نزل بالكيفيتين فى مرتين.

(**فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه**) أى فأقول بعد اليقظة تفسيرا للرؤيا، و« إن يك » بحذف نون « يكن » تخفيفا، وبأن التى للشك، وقد استشكل بأن الرسول ﷺ لا يشك فى رؤياه، فهى وحى، وأجيب باحتمال أن تكون قبل النبوة وقبل تخليص أحلامه ﷺ من الأضغاث، والمعنى إن كانت رؤيا حق فسيمضيها الله.

وعلى فرض أنها بعد النبوة فالمراد: إن تكن الرؤيا على ظاهرها لا تحتاج إلى تعبير وتفسير، فسيمضيها الله تعالى وينجزها، فالشك فى كونها على ظاهرها لا تحتاج إلى تعبير.

وقيل: إن قوله « هذه امرأتك » يحتمل أن المراد هذه امرأتك فى الآخرة، أو هذه امرأتك فى الدنيا، فالشك فى كونها زوجة فى الآخرة فقط، أو هى ستكون زوجة فى الدنيا.

ويحتمل أنه لم يشك، ولكن الخبر على التحقيق، أى هو من عند الله وسيمضيه، وأتى بصورة الشك، كقوله ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى**﴾ [سبأ: ٢٤] وهو نوع من البديع عند أهل البلاغة، ويسمونه تجاهل العارف، وسماه بعضهم مزج الشك باليقين.

(**إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية**) أكد الكلام بإن واللام، لتنزيل عائشة منزلة المنكر للحكم، وسبب هذا التنزيل إخفاؤها غضبها عنه صلى الله عليه وسلم، و« إذا » ظرف لمفعول « أعلم » المحذوف، والتقدير: إنى لأعلم شأنك وحالك وقت رضاك عنى، وقد استدل ابن مالك بمثل هذا الحديث على خروج « إذا » عن الظرفية، وإعرابها مفعول « أعلم » والجمهور على خلافه.

(**ومن أين تعرف ذلك؟**) أصل « أين » للمكان، والمراد هنا السببية، فكأنها قالت: بأى شيء تعرف ذلك؟ والمشار إليه مفعول « أعلم ».

(**أما إذا كنت عنى راضية فإنك تقولين: لا. ورب محمد**) « لا » حرف نفى، وقعت جوابا عن كلام سابق، وجواب القسم محذوف، والتقدير: ورب محمد لم أفعل.

(**قلت: أجل**) بفتح الهمزة والجيم، حرف جواب، بمعنى « نعم » يكون تصديقا للمخبر، وإعلانا للمستخبر، ووعدا للطالب.

(**والله - يا رسول الله - ما أهجر إلا اسمك**) عبرت بالقسم والقصر، لتأكيد مضمون

الجملة، وزيادة تقديره، فى ذهن الرسول ﷺ، وإنما كان غضبها من شدة غيرتها عليه، وقوة حبها له عليه الصلاة والسلام.

(**أنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله ﷺ**) المراد بالبنات هنا لعب الأطفال التى فى شكل البنات و الآدميين والحيوانات وغيرها، وقيل: المعنى أنها كانت تلعب مع البنات، أى مع الجوارى والقرينات القريبات منها فى السن، فالباء بمعنى « مع » ويرده ما جاء فى رواية بلفظ « ولكن جوارى، يأتين، فيلعبن بها معى » وما جاء فى ملحق روايتنا بلفظ « كنت ألعب بالبنات، وهن اللعب » بضم اللام، جمع لعبة.

وعند أبى داود والنسائى عن عائشة، قالت: « قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر. فكشف ناحية الستر على بنات لعائشة، لعب، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتى. قالت: ورأى فيها فرسا مربوطا له جناحان، فقال: ما هذا؟ قلت:فرس. قال: فرس له جناحان؟ قلت: ألم تسمع أنه كان لسليمان خيل، لها أجنحة؟ فضحك ».

(**عند رسول الله**) أى فى بيته كزوجة له، وفى ملحق روايتنا « كنت ألعب بالبنات فى بيته ».

(**وكانت تأتينى صواحبى**) جمع صاحبة، أى يأتين ليلعبن معى.

(**فكن ينقمعن من رسول الله ﷺ**) « ينقمعن » بفتح الياء وسكون النون وكسر الميم، أى يتغيبن ويستخفين منه، حياء منه وهيبة، فيدخلن فى حجرة أخرى، أو يتسترن فى زاوية أو وراء ستر حتى يمر، وأصله من قمع الثمرة، أى يدخلن فى الستر، كما تدخل الثمرة فى قمعها، وفى رواية للبخارى « يتقمعن » بفتح التاء وتشديد الميم المفتوحة.

(**فكان رسول الله ﷺ يسربهن إلى**) « يسربهن » بضم الياء، وفتح السين وكسر الراء المشددة بعدها باء، أى يرسلهن ويرجعهن إلى، ويطلب منهن أن يعدن إلى اللعب معى.

(**أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة، يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ**) هذه الرواية مقدمة، أو جزء من الرواية الخامسة، جمعها البخارى، وأوضح قصتها، فروى عن عائشة رضى الله عنها « أن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ، أى بقيتهن، وهن زينب بنت جحش، وأم حبيبة، وجويرية، وميمونة، رضى الله عنهن ». « وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة فإذا كان عند أحدهم هدية، يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها، حتى إذا كان رسول الله ﷺ فى بيت عائشة، بعث صاحب الهدية هديته إلى رسول الله ﷺ فى بيت عائشة ».

يقصدون بذلك اختيار وقت المسرة، ومكان المسرة ليزيد ذلك فى سرور المهدى إليه، ومع أن رسول الله ﷺ كان يشركهن فى الهدايا إلا أن خروج الهدية من بيت عائشة، ومن يدها يوحى بفضل لها، وتميز فى وضعها على قريناتها، مما كان يؤلمهن، لدرجة أن بعضهم كان يرفض الهدية ويردها، أنفة وإباء، وكان الأمر فى نظرهن يتنافى مع العدل بين الزوجات، ذاك شأن الحزب المقابل، أما حزب عائشة فلم يكن عندهن غضاضة، لذلك كان التجمع، والتظاهر، والتضرر، والشكوى من حزب أم سلمة.

وعند ابن سعد « كان الأنصار يكثرون إلطاف رسول اللّه ﷺ، سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وعمارة بن حزم وأبو أيوب، وذلك لقرب جوارهم من رسول اللّه ﷺ ».

والتحرى دقة القصد يقال: تحرى الشيء إذا قصده دون غيره.

(**أرسل أزواج النبى ﷺ فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ إلى رسول اللّه ﷺ**) فى رواية البخارى « فكلم حزب أم سلمة، أم سلمة فقلن لها: كلمى رسول اللّه ﷺ، يكلم الناس، فيقول: من أراد أن يهدى إلى رسول اللّه ﷺ هدية، فليهدها حيث كان من بيوت نسائه، فكلمته أم سلمة بما قلن، فلم يقل لها شيئا، فسألنها، فقالت: ما قال لى شيئا، فقلن لها: كلميه حتى يكلمك » أى حتى يجيبك على طلبك « فكلمته حين دار إليها أيضا » أى حين جاءها فى ليلتها « فلم يقل لها شيئاً فسألنها، فقالت: ما قال لى شيئا، فقلن لها: كلميه حتى يكلمك، فدار إليها، فكلمته، فقال لها: لا تؤذينى فى عائشة، فإن الوحى لم يأتنى وأنا فى ثوب امرأة إلا عائشة. قالت: أتوب إلى اللّه من أذاك يا رسول اللّه. ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ، فأرسلتها إلى رسول اللّه ﷺ ».

(**فاستأذنت عليه، وهو مضطجع معى فى مرطى، فأذن لها**) أى ولم يغير من وضعه مع عائشة، والتحافه و إياها فى لحاف واحد مضطجعا، والمرط كساء من خز أو صوف أو كتان، يؤتزر به وتتلفع به المرأة.

(**فقالت: يا رسول اللّه، إن أزواجك أرسلننى إليك، يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة، وأنا ساكتة**) أى وظلت ساكتة، لم تتكلم عن فاطمة بشيء، وعائشة ابنة ابن أبى قحافة، فأضافتها إلى جدها، وحذفت أباها. وعند ابن سعد أن النبى ﷺ سألها « أرسلتك زينب؟ قالت: هى وغيرها، قال: أهى التى وليت ذلك؟ قالت: نعم».

وفى رواية للبخارى « إن نساءك ينشدنك العدل فى بنت أبى بكر» أى يطلبن منك العدل، وفى رواية « يناشدنك اللّه العدل: أى يسألنك باللّه العدل ».

(**أى بنية**) يعنى يا بنية، والتصغير للتمليح والتلطف.

(**ألست تحبين ما أحب؟**) التعبير بما، دون « من » ليشمل العاقل وغير العاقل، والاستفهام تقريرى، أى قرى بأنك تحبين ما أحب.

(**قال: بلى. قال: فأحبى هذه، فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول اللّه ﷺ، فرجعت إلى أزواج النبى ﷺ**) أى إلى الفريق الذى أرسلها.

(**فأخبرتهن بالذى قالت: وبالذى قال لها رسول اللّه ﷺ، فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء، فارجعى إلى رسول اللّه ﷺ، فقولى له: إن أزواجك ينشدنك العدل فى ابنة أبى قحافة، فقالت فاطمة: واللّه لا أكلمه فيها أبدا**) وفى رواية البخارى « فأبت أن ترجع ».

(**فأرسل أزواج النبى ﷺ زينب بنت جحش، زوج النبى ﷺ، وهى التى كانت تسامينى منهن فى المنزلة عند رسول اللّه ﷺ**) أى تعادلنى وتضاهينى فى الحظوة والمنزلة

الرفيعة، مأخوذ من السمو، وهو الارتفاع، والمراد أنها كانت تعتز بقرابتها من رسول اللّٰه ﷺ، فهى ابنة عمته، وأن اللّٰه هو الذى زوجها رسول اللّٰه ﷺ صراحة وأمراً، بخلاف عائشة، فإن كون تزويجها من اللّٰه كان رؤيا و إشارة، وأنها كانت شابة وجميلة، وكان رسول اللّٰه ﷺ يحبها وإن كان بالدرجة الثانية بعد عائشة، فالمراد أنها كانت تنافس عائشة على حبه وتقديره صلى اللّٰه عليه وسلم، وفى الكلام قصر، طريقه تعريف الطرفين « هى التى » أى دون غيرها من نسائه صلى اللّٰه عليه وسلم.

(**ولم أر امرأة قط خيرا فى الدين من زينب، وأتقى للّٰه، وأصدق حديثا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تصدق به، وتقرب به إلى اللّٰه تعالى**) المفضل فى كل تفضيل مقدر، أى أتقى للّٰه من زينب، وأصدق حديثا من زينب...إلخ. وأصل « تصدق » و « تقرب » تتصدق وتتقرب.

وهذا المدح والثناء من عائشة وفاء وشكر لجميل موقف زينب من عائشة فى حديث الإفك، إذ قالت: واللّٰه ما علمت عنها إلا خيرا.

(**ما عدا سورة من حدة، كانت فيها، تسرع منها الفيئة**) قال النووى: هكذا هو فى معظم النسخ « سورة من حد » بفتح الحاء، بلا هاء، وفى بعضها « من حدة » بكسر الحاء وبالهاء، وقوله « سورة » هى بالسين المفتوحة ثم واو ساكنة ثم راء ثم تاء، وهى الثوران وعجلة الغضب وأما الحدة فهى شدة الخلق وثورانه، قال: ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف، إلا أن فيها شدة خلق، وسرعة غضب، والفيئة بفتح الفاء، والهمزة الرجوع، أى إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعا، ولا تصر عليه، وقد صحف صاحب التحرير فى هذا الحديث تصحيفا قبيحا جداً، فقال: « ما عدا سودة » بالدال، وجعلها سودة بنت زمعة، وهذا من الغلط الفاحش. نبهت عليه لئلا يغتر به.

(**فاستأذنت على رسول اللّٰه ﷺ، ورسول اللّٰه ﷺ مع عائشة فى مرطها، على الحالة التى دخلت فاطمة عليها، وهو بها**) تشير بذلك إلى سرعة إرسالهن الرسل، وإلى طول مقام الرسول ﷺ معها فى مرطها مضاجعا.

(**فأذن لها رسول اللّٰه ﷺ**) فى رواية « فذهبت زينب حتى استأذنت، فقال: ائذنوا لها ».

(**قالت: ثم وقعت بى، فاستطالت على**) فى رواية « فقالت: حسبك إذا برقت لك بنت ابن أبى قحافة ذراعيها » أى إذا كشفت لك ذراعيها، مال قلبك نحوها، وانصرف قلبك عنا، ومعنى « وقعت بى » أى عابتنى، يقال: وقع بفلان، ووقع فى فلان، إذا سبه وعابه، أو اغتابه .، ومعنى « استطالت على » أى تطاولت على، وتكبرت على، وترفعت على، وأصله من مد العنق، ليراه غيره، وليبدو أطول، وفى رواية البخارى « فأغلظت ».

(**وأنا أرقب رسول اللّٰه ﷺ، وأرقب طرفه، هل يأذن لى فيها؟**) « أرقب » أى ألاحظ وأرصد وأنتظر، والطرف العين أى أرصد حركاته، وإشاراته وما تعبر عنه عينه، هل يأذن لى بالرد عليها؟ والوقوع فيها، كما وقعت فى؟.

(**فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول اللّٰه ﷺ لا يكره أن أنتصر**) أى فلم

تغادر المكان، أو لم تتوقف عن مهاجمتى والإساءة إلى، حتى فهمت أن رسول اللّه ﷺ لا يكره أن أرد عليها.

قال النووى: وليس فيه دليل على أن النبى ﷺ أذن لعائشة، ولا أشار بعينه ولا غيرها، بل لا يحل اعتقاد ذلك، فإنه صلى اللّه عليه وسلم تحرم عليه خائنة الأعين، وإنما فيه أنها انتصرت لنفسها، فلم ينهها. اهـ.

لكن روى النسائى وابن ماجه مختصرا، عن عائشة قالت: « دخلت على زينب بنت جحش، فسبتنى، فرد عليها النبى ﷺ، فأبت، فقال: سبيها، فسببتها، حتى جف ريقها فى فمها » قال الحافظ ابن حجر: فيمكن أن يحمل على التعدد. اهـ. قلت: وعلى أى حال فإنه يرد قول النووى رحمه اللّه، وانتصار المظلوم مشروع، والإذن له بالانتصار مشروع وليس ذلك من قبيل خائنة الأعين، بل من أمينة الأعين، وعادلة الأعين.

(**قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها، حتى أنحيت عليها**) « لم أنشبها » أى لم أمهلها، وفى لسان العرب: يقال: لم ينشب أن فعل كذا، أى لم يلبث، وحقيقته: لم يتعلق بشيء غيره، ولا اشتغل بسواه، ومثل بحديث عائشة وزينب، ويقول عائشة فى رواية « لم أنشب أن أثخنت عليها » وفى ملحق راويتنا الخامسة « فلما وقعت بها لم أنشبها أن أثخنتها » أى بالغت فى جراحها وغلبتها.

قال النووى: « حين أنحيت عليها » فى بعض النسخ « حتى أنحيت عليها، وهو صحيح، ورجح القاضى « حين » بالنون، ومعنى أنحيت عليها بالنون والحاء، أى حتى قصدتها واعتمدتها بالمعارضة.

(**فقال رسول اللّه ﷺ وتبسم: إنها ابنة أبى بكر**) أى أنها شريفة، عاقلة، عارفة، كأبيها، وفى روية النسائى « فرأيت وجهه يتهلل ».

(**إن كان رسول اللّه ﷺ ليتفقد**) يومى، ويسأل عنه استبطاء له، وتشوقا إليه، و« إن » مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن والحال محذوف، وجملة « كان » خبرها.

(**يقول: أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟**) أى يقول ذلك فى مرضه لزوجاته، زاد فى رواية البخارى « حرصا على بيت عائشة، فلما كان يومى سكن » وفى رواية للبخارى « كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه: أين أنا غدا. أين أنا غدا-يريد يوم عائشة - فأذن له أزواجه، يكون حيث شاء، فكان فى بيت عائشة، حتى مات عندها » وفى رواية له « لما ثقل على النبى ﷺ، واشتد به وجعه، استأذن أزواجه أن يمرض فى بيتى، فأذن له » وعند أحمد « أنه ﷺ قال لنسائه: إنى لا أستطيع أن أدور بيوتكن، فإذا شئتن أذنتن لى » وعند ابن سعد بإسناد صحيح « أن فاطمة هى التى خاطبت أمهات المؤمنين بذلك، فقالت لهن: إنه يشق عليه الاختلاف ».

(**فلما كان يومى قبضه اللّه بين سحرى ونحرى**) أى فلما كان يومها الأصيل، بحسب الدور والقسم، وإلا فقد صارت جميع الأيام فى بيتها. والسحر بفتح السين وضمها، وإسكان الحاء، هى الرئة وما تعلق بها، قيل والمراد به الصدر، قال القاضى: وقيل: إنما هو « شجرى » بالشين والجيم، وشبك هذا القائل أصابعه، وأومأ إلى أنها ضمته إلى نحرها، مشبكة يديها عليه. قال: والصواب

المعروف الأول. اهـ وفى رواية للبخارى عن عائشة رضى اللّه عنها: « أنها كانت تقول: مات ورأسه بين حاقنتى و ذاقنتى » والحاقنة ما سفل من الذقن، والذاقنة ما علا منه، أو الحاقنة نقرة الترقوة، وقيل: ما دون الترقوة من الصدر، وقيل: هى تحت السرة، والذاقنة طرف الحلقوم، قال الحافظ ابن حجر: والحاصل أن ما بين الحاقنة والذاقنة هو ما بين السحر والنحر، والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها صلى اللّه عليه وسلم، ورضى عنها، قال: وهذا لا يغاير حديثها الذى فيه « أن رأسه كان على فخذها » لأنه محمول على أنها رفعته من فخذها إلى صدرها.

قال الحافظ: وهذا الحديث يعارض ما أخرجه الحاكم وابن سعد، من طرق، « أن النبى ﷺ مات ورأسه فى حجر على » وكل طريق منها لا يخلو من شيعى، فلا يلتفت إليهم، ثم ساق الأحاديث وبين ما فيها من ضعف أو توجيه.

(**وهو مسند إلى صدرها**) فى الأصول « مسند » بكسر النون، أى مسند رأسه إلى صدرها.

(**ألحقنى بالرفيق الأعلى**) فى الرواية الثامنة « وأخذته بحة، يقول: مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا » وفى الرواية التاسعة « فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول اللّه ﷺ، قوله: اللّهم. الرفيق الأعلى » قال النووى: الصحيح الذى عليه الجمهور أن المراد بالرفيق الأعلى الأنبياء الساكنون أعلى عليين، ولفظة « رفيق » تطلق على الواحد والجمع، قال تعالى ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] وقيل: هو اللّه تعالى، يقال اللّه رفيق بعباده، من الرفق والرأفة، فهو فعيل بمعنى فاعل، وفى الحديث « إن اللّه رفيق يحب الرفق » وأنكر الأزهرى هذا القول، مستشكلا برواية « مع الرفيق » ورواية « فى الرفيق » قال الحافظ ابن حجر: ولا وجه لتغليطه من هذه الجهة، لأن تأويله على ما يليق باللّه سائغ. اهـ وقيل: أراد مرتفق الجنة. اهـ

وعند النسائى وصححه ابن حبان « فقال: أسألك اللّه الرفيق الأعلى الأسعد، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل » وظاهره المكان الذى تحصل فيه المرافقة مع المذكورين، وفى الرواية السابعة « قال: اللّهم اغفر لى، وارحمنى، وألحقنى بالرفيق » وفى رواية « فجعل يقول: فى الرفيق الأعلى حتى قبض » وقال الجوهرى: الرفيق الأعلى الجنة.

قال السهيلى: والحكمة فى اختتام كلام المصطفى بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب، وفى الرواية التاسعة « فلما نزل برسول اللّه ﷺ، ورأسه على فخذى، غشى عليه ساعة، ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف » أى رفعه إلى السماء، ولم يطرف « ثم قال: اللّهم الرفيق الأعلى ».

(**كان رسول اللّه ﷺ إذا خرج**) أى من المدينة مسافرا.

(**أقرع بين نسائه**) أى ضرب القرعة بينهن، بأن كتب اسم كل واحدة منهن على سهم، فخلطها، فأخرج من السهام سهما، وإذا أراد خروج اثنتين معه أخرج سهمين.

(**فتنظرين وأنظر**) أى فتنظرين لما يعاملك به على أنك أنا، وأنظر إلى ما يعاملنى به على أننى أنت، والظاهر أنها كانت تريد أن تطلع حفصة على الإدلال والرقة وعبارات الحب التى تعامل بها عائشة، مغايرة لحفصة، وكانت عائشة تريد أن تطلع هى على موضوع أحاديثه مع حفصة.

(**قالت: بلى**) قبلت عائشة هذا الاقتراح مسرعة من غير روية، اندفاعا بحب الاستطلاع، فلما فكرت فى الأمر، ونفذت الفكرة أحست بآلامها وغيرتها.

(**فلما نزلوا جعلت تجعل رجلها بين الإذخر، وتقول: يا رب سلط على عقربا أو حية تلدغنى**) « جعلت » أى صارت « تجعل رجلها » أى تضع رجلها، والإذخر نبات دقيق الساعد يكثر فى الصحراء، تختفى فيه الهوام غالبا، ودعاؤها هذا ليس مقصوداً، فإجابته لن تدفع ما أصابها، وكأنها تقصد عقوبة نفسها على قبولها اقتراح حفصة، وإنما قالته من شدة الغيظ.

(**رسولك. ولا أستطيع أن أقول له شيئا**) « رسولك » خبر مبتدأ محذوف، أى هذا رسولك، بجوار حفصة، قريب منى، لا أتحمل بعده عنى، لكن ماذا أفعل؟ لا أستطيع أن أكشف الحيلة، خوفا من غضبه صلى اللّٰه عليه وسلم.

(**يا عائش**) منادى على الترخيم، وهو حذف آخر المنادى، وفيه لغتان. لغة من ينتظر فيبقى الحرف الذى قبل الآخر على حركته قبل الحذف، وعلامة إعرابه على الحرف المحذوف، ولغة من لا ينتظر فيحرك الحرف الذى قبل الآخر بحركات الإعراب.

(**هذا جبريل**) يشير إليه، وهو حاضر.

(**يقرأ عليك السلام، قالت: فقلت: وعليه السلام ورحمة اللّٰه. قالت: وهو يرى ما لا أرى**) أى ورسول اللّٰه ﷺ يرى جبريل، ولا أراه، وفى رواية البخارى « ترى ما لا أرى، أريد رسول اللّٰه ﷺ ».

فقه الحديث

يؤخذ من روايات الباب

١- من الرواية الأولى فضيلة لعائشة رضى اللّٰه عنها.

٢- واستدل به البخارى على جواز النظر إلى المرأة قبل التزويج. قال ابن المنير: يحتمل أن يكون رأى منها ما يجوز للخاطب أن يراه، قال الحافظ ابن حجر: كأنه حمله على ذلك أن رؤيا الأنبياء وحى، وأن عصمتهم فى المنام كاليقظة.

قال ابن المنير: واستدلال البخارى بهذا الحديث على ما استدل به فيه نظر، لأن عائشة كانت إذ ذاك فى سنة الطفولية، فلا عورة فيها البتة، ولكن يستأنس به فى الجملة على أن النظر إلى المرأة قبل العقد فيه مصلحة، ترجع إلى العقد.

قال الجمهور: لا بأس أن ينظر الخاطب إلى المخطوبة، قالوا: ولا ينظر إلى غير وجهها وكفيها، وقال الأوزاعى: يجتهد، وينظر إلى ما يريد منها، إلا العورة، وقال ابن حزم: ينظر إلى ما أقبل وما أدبر منها، وعن أحمد فى رواية عنه: ينظر إلى ما يظهر غالبا، وفى رواية عنه: ينظر إليها متجردة، وقال الجمهور أيضًا: يجوز أن ينظر إليها، إذا أراد ذلك بغير إذنها، وعن مالك فى رواية: يشترط

إذنها، ونقل الطحاوى عن قوم أنه لا يجوز النظر إلى المخطوبة قبل العقد بحال، لأنها حينئذ أجنبية، ورد عليهم بالأحاديث الصحيحة.

٣- واستدل البخارى بالرواية الثانية على غيرة النساء ووجدهن.

٤- ومن قوله « إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية، وإذا كنت على غضبى...إلخ » استقراء الرجل حال المرأة من فعلها وقولها، فيما يتعلق بالميل إليه، وعدمه.

٥- والحكم بما تقتضيه القرائن فى ذلك، لأنه ﷺ جزم برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها لاسمه وسكوتها، فبنى على تغير الحالتين من الذكر والسكوت تغير الحالتين من الرضا والغضب.

٦- وفى جواب عائشة ما يشهد لها بالأدب والذكاء والرقة وحسن العشرة، قال الطيبى: الحصر فى قولها « ما أهجر إلا اسمك » حصر لطيف جدا، لأنها أخبرت أنها إذا كانت فى حال الغضب الذى يسلب العاقل اختياره لا تتغير عن المحبة المستقرة، فهو كما قيل:

إنى لأمنحك الصدود وإننى ∴ قسما. إليك مع الصدود لأميل

وقال ابن المنير: مرادها أنها كانت تترك التسمية اللفظية، ولا يترك قلبها التعلق بذاته الكريمة، مودة ومحبة.

وقال الحافظ ابن حجر: وفى اختيار عائشة ذكر إبراهيم عليه الصلاة السلام، دون غيره من الأنبياء دلالة على فريد فطنتها، لأن النبى ﷺ أولى الناس به، كما نص عليه القرآن، فلما لم يكن لها بد من هجر الاسم الشريف، أبدلته بمن هو منه بسبيل، حتى لا تخرج عن دائرة التعلق فى الجملة.

٧- قال المهلب: يستدل بقول عائشة على أن الاسم غير المسمى، إذ لو كان الاسم عين المسمى لكانت بهجره تهجر ذاته، وليس كذلك. اهـ وقال النووى: هذا فى حق المخلوقين، وأما فى حق اللّٰه تعالى فالاسم هو المسمى، اهـ وفى هذا بحث طويل يطلب من محله.

٨- مغاضبة الزوجة لزوجها معفو عنها، وإن كانت ذات قدر كبير، قال القاضى: مغاضبة عائشة للنبى ﷺ هى مما سبق من الغيرة، التى عفى عنها للنساء فى كثير من الأحكام لعدم انفكاكهن منها، حتى قال مالك وغيره من علماء المدينة: يسقط عنها الحد، إذا قذفت زوجها بالفاحشة على جهة الغيرة. قال القاضى: ولولا ذلك لكان على عائشة فى ذلك من الحرج ما فيه، لأن الغضب على النبى ﷺ وهجره كبيرة عظيمة.

٩- ومن الرواية الثالثة جواز اللعب بالبنات، قال القاضى: وهو مخصص من الصور المنهى عنها، لهذا الحديث، ولما فيه من تدريب النساء فى صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن، قال: وقد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن، روى عن مالك كراهة شرائهن، وهذا محمول على كراهة الاكتساب بها، وتنزيه ذوى المروءات عن تولى بيع ذلك، لا كراهة اللعب، قال: ومذهب جمهور العلماء جواز اللعب بهن، وقالت طائفة: هو منسوخ بالنهى عن الصور.

١٠- من قولها: « وكانت تأتينى صواحبى فكن ينقمعن من رسول الله ﷺ » حياء نساء الأنصار حتى الصغيرات منهن، وهيبتهن رسول الله ﷺ.

١١- ومن قولها « فكان رسول الله ﷺ يسربهن إلى » لطفه صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه ومعاشرته.

١٢- واستدل به البخارى على استحباب الانبساط إلى الناس.

١٣- ومن الرواية الخامسة من قولها « يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة » إلخ قال النووى: كان صلى الله عليه وسلم يسوى بينهن فى الأفعال والمبيت ونحوه، أما محبة القلب فكان يحب عائشة أكثر منهن، وأجمع المسلمون على أن محبتهن لا تكليف فيها، ولا يلزمه التسوية فيها، لأنه لا قدرة لأحد عليها، إلا الله سبحانه وتعالى، وإنما يؤمر بالعدل فى الأفعال.

قال: وقد اختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء، فى أنه صلى الله عليه وسلم. هل كان يلزمه القسم بينهن فى الدوام، والمساواة فى ذلك؟

قال الحافظ ابن حجر: فى هذا الحديث أنه لا حرج على المرء فى إيثار بعض نسائه بالتحف، وإنما اللازم العدل فى المبيت والنفقة ونحو ذلك من الأمور اللازمة. كذا قرره ابن بطال عن المهلب وتعقبه ابن المنير بأن النبى ﷺ لم يفعل ذلك، وإنما فعله الذين أهدوا له، وهم باختيارهم لأنه ليس من كمال الأخلاق أن يتعرض الرجل إلى الناس بمثل ذلك، لما فيه من التعرض لطلب الهدية، وأيضا فالذى يهدى لأجل عائشة كأنه ملك الهدية بشرط، والتمليك يتبع فيه تحجير المالك، مع أن الذى يظهر أنه صلى الله عليه وسلم كان يشركهن فى ذلك، وإنما وقعت المنافسة لكون العطية تصل إليهن من بيت عائشة.

١٤- وفيه قصد الناس بالهدايا أوقات المسرة ومواضعها، ليزيد ذلك فى سرور المهدى إليه.

١٥- وفيه تنافس الضرائر وتغيرهن على الرجل.

١٦- وأن الرجل يسعه السكوت إذ تقاولن، ولا يميل مع بعض على بعض.

١٧- وفيه جواز التشكى والتوسل فى ذلك.

١٨- وما كان عليه أزواج النبى ﷺ من مهابته والحياء منه، حتى راسلنه بأعز الناس عنده، فاطمة رضى الله عنها.

١٩- وفيه سرعة فهمهن ورجوعهن إلى الحق، والوقوف عنده.

٢٠- وفيه إدلال زينب بنت جحش على النبى ﷺ، لكونها ابنة عمته.

٢١- وفيه عذر النبى ﷺ لزينب، فقد سكت عن طلبها العدل، مع أنه أعدل الناس، ولم يؤاخذها، وتناولت عائشة طويلا، وهو ساكت، وقالت عنها عائشة: « وهى التى كانت تساميني منهن فى المنزلة عند رسول الله ﷺ ».

٢٢- وفيه منقبة عظيمة لزينب بنت جحش.

٢٣- وفيه حرص عائشة على الحق والتصريح به، والثناء على صاحبته، وإن كانت ضرة.

٢٤- وفى قولها « وأنا أرقب رسول اللّٰه ﷺ، وأرقب طرفه... » جواز العمل بما يفهم من القرائن.

٢٥- وفيه انتصار الظالم.

٢٦- وفيه منقبة وفضيلة لعائشة.

٢٧- ومن الرواية السادسة أن القسم يسقط بإذن الأزواج، فكأنهن وهبن أيامهن.

٢٨- افتخار عائشة بأن النبى ﷺ مات فى يومها وفى بيتها وعلى صدرها، وفى رواية البخارى « وجمع اللّٰه بين ريقه وريقها فى آخر لحظة من حياته ».

٢٩- ومن الرواية التاسعة تخيير الرسل بين الموت والحياة، قبل موتهم.

٣٠- من قوله فى آخر كلامه « اللّٰهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى بالرفيق الأعلى » يستفاد الرخصة لغيره فى أنه لا يشترط أن يكون ذكر الشهادتين باللسان، لأن بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع، فلا يضره إذا كان قلبه عامرا بالذكر. قاله السهيلى.

٣١- ومن الرواية العاشرة صحة الإقراع فى القسم بين الأزواج، وفى الأموال، وفى العتق، ونحو ذلك، مما هو مقرر فى كتب الفقه، مما فى معنى هذا. قال النووى: وبإثبات القرعة فى هذه الأشياء قاله الشافعى وجماهير العلماء.

٣٢- وفيه أن من أراد سفراً ببعض نسائه أقرع بينهن كذلك، قال النووى: وهذا الإقراع عندنا واجب، فى حق غير النبى ﷺ، وأما النبى ﷺ ففى وجوب القسم فى حقه خلاف، فمن قال بوجوب القسم جعل إقراعه واجبا، ومن لم يوجبه يقول: إقراعه صلى اللّٰه عليه وسلم من حسن عشرته، ومكارم أخلاقه.

٣٣- قال المهلب فى قول حفصة لعائشة: ألا تركبين بعيرى وأركب بعيرك »؟ وموافقة عائشة دليل على أن القسم لم يكن واجبا عليه صلى اللّٰه عليه وسلم، فلهذا تحيلت حفصة على عائشة بما فعلت، ولو كان واجبا لحرم ذلك على حفصة. اهـ. قال النووى: وهذا الذى ادعاه ليس بلازم، فإن القائل بأن القسم واجب عليه لا يمنع حديث الأخرى فى غير وقت عماد القسم، قال: قال أصحابنا: يجوز أن يدخل فى غير وقت عماد القسم إلى غير صاحبة النوبة، فيأخذ المتاع، أو يضعه، أو نحو ذلك من الحاجات، وله أن يقبلها ويلمسها من غير إطالة، وعماد القسم فى حق المسافر هو وقت النزول، فحالة السير ليست منه، سواء كان ليلا أو نهارا.

٣٤- ومن الرواية الحادية عشرة فضيلة لعائشة، وقد تقدم ما قيل فى التفاضل بين الأزواج.

٣٥- ومن الرواية الثانية عشرة والثالثة عشرة فضيلة ظاهرة لعائشة رضى اللّٰه عنها.

٣٦- واستحباب بعث السلام.

٣٧- وأنه يجب على الرسول به أن يبلغه.

٣٨- وفيه بعث الأجنبى السلام إلى الأجنبية الصالحة، إذا لم يخف ترتب مفسدة. قاله النووى.

٣٩- وأن الذى يبلغه السلام يرد عليه. قال النووى: قال أصحابنا: وهذا الرد واجب على الفور، وكذا لو بلغه سلام فى ورقة من غائب، لزمه أن يرد السلام عليه باللفظ على الفور، إذا قرأه.

٤٠- وفيه أنه يستحب فى الرد أن يقول: وعليك، أو وعليكم السلام، بالواو، فلو قال: عليكم السلام، أو عليكم، أجزأه على الصحيح، وكان تاركا للأفضل، وقال بعض الشافعية: لا يجزيه.

والله أعلم

(٦٤٤) تابع باب فضائل عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حديث أم زرع

٥٤٨٤- ٩٢/١ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٩٢]، أَنَّهَا قَالَتْ: جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً. فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لا يَكْتُمْنَ مِن أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا. قَالَتِ الأُولَى: زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٌّ. عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعْرٍ. لا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى. وَلا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلَ. قَالَتِ الثَّانِيَةُ: زَوْجِي لا أَبُثُّ خَبَرَهُ. إِنِّي أَخَافُ أَنْ لا أَذَرَهُ. إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ. وَبُجَرَهُ قَالَتِ الثَّالِثَةُ: زَوْجِي الْعَشَنَّقُ. إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ. قَالَتِ الرَّابِعَةُ: زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ. لا حَرٌّ وَلا قُرٌّ. وَلا مَخَافَةَ وَلا سَآمَةَ. قَالَتِ الْخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ. وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ. وَلا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ. قَالَتِ السَّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ. وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ. وَإِنِ اضْطَجَعَ الْتَفَّ. وَلا يُولِجُ الْكَفَّ. لِيَعْلَمَ الْبَثَّ قَالَتِ السَّابِعَةُ: زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ. كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ. شَجَّكِ أَوْ فَلَّكِ. أَوْ جَمَعَ كُلا لَكِ. قَالَتِ الثَّامِنَةُ: زَوْجِي الرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ وَالْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ. قَالَتِ التَّاسِعَةُ: زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ، طَوِيلُ النِّجَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِي. قَالَتِ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ. وَمَا مَالِكٌ؟ مَالِكٌ خَيْرٌ مِن ذَلِكَ. لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ. قَلِيلاتُ الْمَسَارِحِ؟ إِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ. قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ. فَمَا أَبُو زَرْعٍ؟ أَنَاسَ مِن حُلِيٍّ أُذُنَيَّ. وَمَلأَ مِن شَحْمٍ عَضُدَيَّ. وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي. وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ. فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ، وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ. فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلا أُقَبَّحُ. وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ. وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ. أُمُّ أَبِي زَرْعٍ. فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ؟ عُكُومُهَا رَدَاحٌ. وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ. ابْنُ أَبِي زَرْعٍ. فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ؟ مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ. وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ. بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ؟ فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ؟ طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمِّهَا. وَمِلْءُ كِسَائِهَا وَغَيْظُ جَارَتِهَا. جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ. فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ؟ لا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا. وَلا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا. وَلا تَمْلأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا. قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالأَوْطَابُ تُمْخَضُ. فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ. يَلْعَبَانِ مِن تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ. فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا. فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلاً سَرِيًّا. رَكِبَ شَرِيًّا. وَأَخَذَ خَطِّيًّا. وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا. وَأَعْطَانِي مِن كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا. قَالَ: كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ. فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ. قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ».

---

(٩٢) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ جَنَابٍ كِلاهُمَا عَن عِيسَى وَاللَّفْظُ لابْنِ حُجْرٍ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا هِشَامُ ابْنُ عُرْوَةَ عَن أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ عَن عُرْوَةَ عَن عَائِشَةَ

٥٤٨٥- - وفِي رواية عَن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ(-)، بِهَذَا الإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ. وَلَمْ يَشُكَّ. وَقَالَ: قَلِيلاتُ الْمَسَارِحِ. وَقَالَ: وَصِفْرُ رِدَائِهَا. وَخَيْرُ نِسَائِهَا. وَعَقْرُ جَارَتِهَا. وَقَالَ: وَلا تَنْقُثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا وَقَالَ: وَأَعْطَانِي مِن كُلِّ ذَابِحَةٍ زَوْجًا.

المعنى العام

عائشة وفاطمة - رضى الله عنهما - كانتا فى سن متقاربة، وكانت غيرة النساء تدفع كلا منهما أن تنافس وتناقش الأخرى، ودخل رسول الله ﷺ فى يوم، فسمع عائشة تفخر بأبيها، وبمال أبيها، فقد كان من أغنياء مكة، وتفخر بإنفاق أبيها ماله كله فى سبيل الدعوة، حتى نفقة الهجرة كانت من ماله دينا على رسول الله ﷺ، ولم تجد فاطمة ما ترد به دعوى عائشة، فوقعت فى شبه إفحام وخجل، ورأى رسول الله ﷺ أن يدفع عن ابنته، وأن يبرز الحقيقة الساطعة، وهى أن المنة لله ورسوله، فقال مخاطباً عائشة: ما أنت بمنتهية يا حميراء عن ابنتى؟ إن مثلى ومثلك كأبى زرع لأم زرع، وبسرعة، وبذكاء مفرط، وبخفة روح، وبأدب ورقة، حولت عائشة جو المناقشة إلى جو الحب والمرح والمداعبة، فقال: بأبى أنت وأمى أفديك يا رسول الله، وما قصة أبى زرع وأم زرع؟ فبدأ يقص قصة حدثت منذ زمن بعيد، فى أرض بعيدة عن أرضه، لا سبيل له بعلمها إلا عن طريق الوحى، وعلام الغيوب، قال: كان فى الزمن الغابر، فى قرية من قرى اليمن اجتمع نساء من أهل القرية فى بيت إحداهن - وكما هى عادة النساء إذا اجتمعن تحدثن عن أزواجهن، وأحوالهن فى معاشرتهم، فاقترحت زعيمتهن أن تتكلم كل واحدة منهن بإيجاز شديد عن زوجها، تصفه بما فيه، بل بأبرز ما فيه، من خير أو شر، وتعاهدن وتعاقدن على أن لا يكتمن ولا يكذبن، لكن لا عليهن أن يتكلمن بالكناية والإشارة، إن خفن الإفصاح والتصريح بالتجريح.

قالت الأولى: زوجى لحم جمل، لا لحم ضأن، بل لحم جمل غث ردىء، ومع ذلك فهو بعيد المنال، صعب المعاملة، ليس سهلا فتصل الزوجة إلى قلبه، وتعمل على مرضاته ابتغاء خير ولو قل، وليس فيه خير يطمع فيه فيسعى إليه، ولو بمشقة. فهو حقير بعيد المنال.

وقالت الثانية: زوجى لا حسن فيه، لا أجد ما أذكره به، كله عجر وبجر وعيوب، وأخاف إن فسرتها وبلغه قولى طلقنى، وأنا لا أستطيع العيشة بدونه.

وقالت الثالثة: زوجى مفرط فى الطول المذموم، سيئ الخلق، أنا معه بين نارين، إن نطقت بكلمة أطلب فيها حقى ضربنى وطلقنى، وإن سكت على حقوقى، وعلى إهانته واحتقاره لى أكن كالمعلقة، لا هى زوجة ولا هى مطلقة.

وقالت الرابعة: زوجى سهل طيب مريح، كالنسيم العليل فى ليالى الصيف، فى منطقة تهامة، لا أخاف شره، ولا أسأم من جواره.

(-) وحَدَّثَنِيهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَعِيلَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ ابْنُ سَلَمَةَ عَن هِشَامٍ

وقالت الخامسة: زوجى حسن المعاشرة، رقيق حنون حين يدخل بيتى، خفيف الحركة، كثير الوقاع، يتغافل عما لا يرضيه من أحوالى، يتجاهل سوء تصرفى، لا يسألنى ماذا فعلت؟ ولا لماذا فعلت؟ ولا لم لم تفعلى؟ وليس ذلك فيه غفلة وضعفا واستكانة وذلة، فهو مع الناس خارج البيت أسد جسور، يحسب له كل حساب.

قالت السادسة: زوجى شره، أكول، كثير النوم، قليل الوصال، يأكل، ويشرب، ينام، ولا يمد يده نحوى بالمداعبة، ولا يحاول مداخلتى، ولا إرضائى، ولا معرفة همومى وأحزانى .

قالت السابعة: زوجى مظلم الأخلاق، ضال لا يهتدى، أموره كلها مغلقة عليه، لا يكاد يبين، فإن تكلم ظهر حمقه، يضربنى، فيكسر عظامى، أو يشق لحمى، أو يجمع بين الكسر والشق، كل داء عند الناس هو فيه.

قالت الثامنة: زوجى ناعم الملمس كالأرنب، رقيق المشاعر، لين الخلق، طيب الريح.

قالت التاسعة: زوجى رفيع العماد، شجاع كريم، يقصده الناس، فيكسب المعدوم، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الدهر، ويسكن فى أبرز مكان، وفى أقرب مكان للمحتاجين.

قالت العاشرة: زوجى اسمه مالك، وله من اسمه نصيب، فهو غنى مالك، وهو خير من كل من مدحتن من أزواج، يملك من الإبل الكثير، ويذبح منها للضيفان ذبح من لا يخشى الفقر، حتى أصبحت إبله الحية تترقب الموت، وتنتظر النحر، لما رأت من ذبح أختها بين الحين والحين.

قالت الحادية عشرة: وهى أم زرع - وقد كنيت بزرع ابن زوجها - زوجى غنى سخى حسن العشرة، احتضننى وأكرمنى، ورفعنى، وأعزنى، كنت من قوم فقراء، يعيشون على غنيمات بشق الأنفس، أجسامهم نحيلة من الجوع، ثيابهم خلقة من الفقر، لا يملكون زينة لنسائهم، فأثقل أذنى وصدرى وساعدى بالذهب والحلى، وأشبعنى بأصناف المأكولات والمشروبات حتى سمنت، واحترمنى، وعظمنى، فعظمت نفسى إلى نفسى، وشعرت عنده بالعزة والكرامة، إذا تكلمت سمع قولى، ونفذ أمرى، وإذا نمت نمت نوم العروس، نوم هناء لا إزعاج فيه، إذا أكلت أكلت ما أشتهى من ألوان الطعام حتى أشبع، وإذا شربت شربت من أصناف المشروبات حتى أروى.

وهكذا شعرت أم زرع عند أبى زرع بالسعادة والحب، وحب الشخص يسرى إلى حب من حوله، حتى الجماد الذى يحيط به، وقديما قال الشاعر:

أمر على الديار ديار ليلى ∴ أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفن قلبى ∴ ولكن حب من سكن الديارا

وقال الآخر:

فأحبها وتحبنى ∴ ويحب ناقتها بعيرى

لذا نجدها تصف حماتها أم زوجها بالغنى وكثرة الخير وتصف ابن زوجها بالرقة والحسن، وتصف ابنة زوجها بالجمال والحسن، ونقاء الطبع، حتى جارية أبى زرع تصفها بالأمانة والنظافة والطاعة.

كل هذه الأوصاف تقولها على الرغم من أن أبا زرع طلقها وتزوج غيرها، وتزوجت غيره من أهل الثراء، لكن صدق القائل: وما الحب إلا للحبيب الأول.

وهكذا ذكر رسول اللَّه ﷺ هذه القصة ليقول فى آخرها ما قاله فى أولها: كنت لك كأبى زرع لأم زرع، فتقول عائشة رضى اللَّه عنها - وعلى شفتيها ابتسامة الحب والاعتذار - بل أنت يا رسول اللَّه، خير لى من أبى زرع لأم زرع.

المباحث العربية

(عن عائشة رضى اللَّه عنها أنها قالت: جلس إحدى عشرة امرأة) ظاهر هذا أن الحديث موقوف، غير مرفوع، قال الحافظ ابن حجر: المرفوع منه فى الصحيحين، قوله صلى اللَّه عليه وسلم « كنت لك كأبى زرع لأم زرع » وباقيه من قول عائشة، وجاء خارج الصحيحين مرفوعا كله فعند النسائى بلفظ « قال لى رسول اللَّه ﷺ: كنت لك كأبى زرع لأم زرع. قالت عائشة بأبى وأمى يا رسول اللَّه، ومن كان أبو زرع؟ قال: اجتمع نساء... » فساق الحديث كله.

وأما قوله « جلس إحدى عشرة امرأة » فهو هكذا فى معظم نسخ مسلم، قال ابن التين: التقدير: جلس جماعة، إحدى عشرة امرأة، وهو مثل قوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ٣٠] اهـ أى كان حق الفعل أن يؤنث، لأن الفاعل حقيقى التأنيث، وفى رواية أبى عوانة « جلست إحدى عشرة امرأة » وفى رواية « اجتمع إحدى عشرة امرأة » وفى بعض نسخ مسلم وفى رواية أبى يعلى « اجتمعن إحدى عشرة امرأة » قال القرطبى: زيادة النون على لغة « أكلونى البراغيث » وقد أثبتها جماعة من أئمة العربية، أى أثبتوا لحوق علامة الجمع والتثنية والتأنيث فى الفعل إذا تقدم على الأسماء، واستشهدوا لها بقوله تعالى ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣] وحديث « يتعاقبون فيكم ملائكة » وقد تكلف بعض النحاة رد هذه اللغة إلى اللغة المشهورة، وهى أن لا يلحق علامة الجمع أو التثنية أو التأنيث فى الفعل، إذا تقدم على الأسماء، وخرج لها وجوها وتقديرات فى غالبها نظر، ولا يحتاج إلى ذلك، بعد ثبوتها نقلا، وصحتها استعمالا.

وقال عياض :الأشهر ما وقع فى الصحيحين، وهو توحيد الفعل مع الجمع.

ومن التوجيهات التى ذكروها فى رواية « جلسن » أى يكون « إحدى عشرة » بدلا من الضمير، فى « جلسن »، والنون على هذا ضمير، لا حرف علامة، أو أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قيل: من هن؟ فقيل: إحدى عشرة امرأة، أو مفعول به منصوب، بإضمار أعنى.

وسميت أسماؤهن فى روايات ضعيفة لا يعتد بها، ولم يسم - فى رواية من الروايات - أزواجهن، ولا ابنة أبى زرع، ولا أمه، ولا الجارية، ولا المرأة التى تزوجها أبو زرع، ولا الرجل الذى تزوجته أم زرع.

وقد اختلف ترتيبهن فى بعض الروايات فى غير الصحيحين، عنها فى الصحيحين، ولا ضير فى ذلك، ولا أثر للتقديم والتأخير.

وفى سبب سياق هذا الحديث أخرج أبو القاسم عبد الحكيم بن حيان، بسند له مرسل « دخل

رسول الله ﷺ على عائشة وفاطمة - وقد جرى بينهما كلام - فقال: ما أنت بمنتهية يا حميراء عن ابنتي؟ إن مثلي ومثلك كأبي زرع مع أم زرع. فقالت: يا رسول الله، حدثنا عنهما، فقال: كانت قرية، فيها إحدى عشرة امرأة، وكان الرجال خلوفا، فقلن: تعالين، نتذاكر أزواجنا بما فيهم، ولا نكذب».

وأخرج النسائي عن عائشة قالت: فخرت بمال أبي في الجاهلية، وكان ألف ألف أوقية، وفيه، فقال صلى الله عليه وسلم: «اسكتي يا عائشة، فإني كنت لك كأبي زرع لأم زرع».

وفي رواية الزبير بن بكار عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ، وعندي بعض نسائه، فقال - يخصني بذلك - يا عائشة، أنا لك كأبي زرع لأم زرع. قلت: يارسول الله، ما حديث أبي زرع وأم زرع؟ قال: «إن قرية من قرى اليمن، كان بها بطن من بطون اليمن، وكان منهن إحدى عشرة امرأة، وأنهن خرجن إلى مجلس، فقلن: تعالين فلنذكر بعولتنا بما فيهم، ولا نكذب» لكن في رواية الهيثم أنهن كن بمكة، والراجح الأول، فقد أفاد أبو محمد بن حزم فيما نقله عياض أنهن كن من خثعم، وهم من أهل اليمن، ووقع في رواية عند النسائي أنهن كن في الجاهلية.

قال الحافظ ابن حجر: وحكى عياض ثم النووي قول الخطيب في المبهمات: لا أعلم أحدا سمى النسوة المذكورات في حديث أم زرع إلا من طريق الزبير بن بكار، وهو غريب جدا. وذكر أسماء لا فائدة من ذكرها هنا. وترتيبهن في رواية الزبير غير ترتيبهن في روايات الصحيحين، فالأولى فيها هي الرابعة في الصحيحين، والثانية فيها هي الثامنة في الصحيحين، والثالثة فيها هي العاشرة، والرابعة فيها هي الأولى، والخامسة فيها هي التاسعة، والسادسة فيها هي السابعة، والسابعة فيها هي الخامسة، والثامنة فيها هي السادسة، والتاسعة فيها هي الثانية، والعاشرة فيها هي الثالثة، وقد اختلف كثير من الرواة في ترتيبهن، قال الحافظ: ولا ضير في ذلك، ولا أثر للتقديم والتأخير فيه.

(**فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا**) أي ألزمن أنفسهن عهدًا، وعقدن على الصدق من ضمائرهن عقدا، أن لا يكتمن من محاسن أو مساوئ أزواجهن شيئا من الأمور المهمة، وفي رواية «أن يتصادقن بينهن، ولا يكتمن» وفي رواية «أن ينعتن أزواجهن ويصدقن» وفي رواية «فتبايعن على ذلك».

(**قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل**) «الغث» بفتح الغين، وتشديد الثاء، الهزيل، الذي يستغث من هزاله، أي يستترك ويستكره، وكثر استعماله في مقابلة السمين، فيقال للحديث المختلط: فيه الغث والسمين، و«غث» هنا يجوز جره، صفة للجمل، ورفعه صفة للحم، والمشهور في الرواية الخفض، والوعر الصعب في الوصول إليه، لكثرة عوائق الصعود، وفي رواية «وعث» بالثاء بدل الراء، وهي أوفق للسجع، أي صعب المرتقى، بحيث توحل فيه الأقدام، فلا يتخلص منه، ويشق فيه المشي، ومنه وعثاء السفر، وقولها «لا سهل» بالفتح بدون تنوين، ويجوز فيه الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي لا هو سهل ويجوز الجر على أنه صفة جمل وجبل، والأمر نفسه في قوله «ولا سمين» وعند النسائي «لا سهلا ولا سمينا» وعنده أيضا «لا بالسمين ولا بالسهل» قال القاضي عياض: أحسن الأوجه عندي الرفع في الكلمتين، من جهة سياق الكلام وتصحيح المعنى، لا من جهة تقديم اللفظ، وذلك أنها أودعت كلامها تشبيه

شيئين بشيئين، شهبت زوجها باللحم الغث، وشبهت سوء خلقه بالجبل الوعر، ثم فسرت ما أجملت، فكأنها قالت: لا الجبل سهل، فلا يشق ارتقاؤه لأخذ اللحم ولو كان هزيلا، لأن الشيء المزهود فيه قد يؤخذ، إذا وجد بغير نصب، ثم قالت: ولا اللحم سمين، فتتحمل المشقة فى صعود الجبل، لأجل تحصيله. اهـ.

وقولها « ولا سمين فينتقل » من الانتقال، أى أنه لهزاله لا يرغب أحد فى الانتقال إليه، وفى رواية « فينتقى » أى ليس له نقى يستخرج، بكسر النون وسكون القاف، والنقى المخ، يقال: نقوت العظم، ونقيته، وانتقيته، إذا استخرجت مخه، وقد كثر استعماله فى اختيار الجيد من الردىء، قال القاضى عياض: أرادت أنه ليس له نقي، فيطلب لأجل ما فيه من النقى، وليس المراد أنه فيه نقى لا يطلب استخراجه، قالوا: آخر ما يبقى فى الجمل مخ عظم المفاصل ومخ العين، وإذا نفدا لم يبق فيه خير، قالوا: وصفته بقلة الخير، وبعده مع القلة، فشبهته باللحم الذى صغرت عظامه عن النقى، وخبث طعمه وريحه، مع كونه فى مرتقى، يشق الوصول إليه، فلا يرغب أحد فى طلبه لينقله إليه، مع توفر دواعى أكثر الناس على تناول الشيء المبذول مجانا.

وقال النووى: فالمعنى أنه قليل الخير من أوجه، منها: كونه لحم جمل، لا لحم ضأن - يقول بعضهم: ليس فى اللحوم أشد غثاثة من لحم الجمل، لأنه يجمع خبث الطعام وخبث الريح - ومنه أنه مع ذلك الغث المهزول الردىء من لحوم الجمال، ومنها أنه صعب التناول، لا يوصل إليه إلا بمشقة شديدة، وقال الخطابى: إن التشبيه بالجبل الوعر إشارة إلى سوء خلقه، وأنه يترفع ويتكبر، ويسمو بنفسه فوق موضعها، فيجمع البخل وسوء الخلق.

(قالت الثانية: زوجى لا أبث خبره، إنى أخاف أن لا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره) « لا أبث خبره » بالباء والثاء، أى لا أنشر خبره، ولا أشيعه، وفى رواية « لا أنث خبره » بالنون بدل الباء، أى لا أذيع شره، وفى رواية « لا أنم خبره » من النميمة، « إنى أخاف أن لا أذره » قال النووى: فيه تأويلان: أحدهما لابن السكيت وغيره، أن الهاء عائدة على « خبره » أى إنى أخاف - إن شرعت فى تفصيل خبره - أن لا أقدر على إتمامه لطوله وكثرته، ثانيهما أن الهاء عائدة على الزوج، وتكون « لا » زائدة، كما فى قوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] اهـ. ومعناه: إنى أخاف أن يطلقنى، فأذره، كأنها خشيت - إذا ذكرت ما فيه - أن يبلغه، فيفارقها، وهي لا تقدر على تركه لعلاقتها به وبأولادها منه، فاكتفت بالإشارة إلى أن له معايب، وفاء لما التزمته من الصدق، وسكتت عن تفسيرها، للعذر الذى ذكرته. « والعجر » بضم العين وفتح الجيم، جمع عجرة، وهى تعقد العصب والعروق فى الجسد، حتى تصير ناتئة، وقال ابن الأعرابى: هى نفخة فى الظهر، وقال بعضهم: العجر العقد التى تكون فى البطن واللسان، وقيل: فى الجنب والبطن، أما « البجر » فبضم الباء وفتح الجيم، وجمع بجرة بضم الباء وسكون الجيم، وهى النفخة فى السرة، أو فى البطن ثم استعملا فى الهموم والأحزان، وفيما يكتمه المرء ويخفيه عن غيره، وقال الخطابى: أرادت عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة، قال: ولعله كان مستور الظاهر، ردىء الباطن، وقال بعضهم: عنت أن زوجها كثير المعايب، متعقد النفس عن المكارم.

(**قالت الثالثة: زوجى العشنق، إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق**) «العشنق» بعين مفتوحة، وشين مفتوحة ونون مشددة مفتوحة بعدها قاف، وهو الطويل، وقيل: هو المذموم الطول، وقيل: هو طويل العنق، قال الأصمعى: أرادت أنه ليس عنده أكثر من طوله، من غير نفع، وقيل: ذمته بالطول، لأن الطول فى الغالب دليل السفه، وعلل ببعد الدماغ عن القلب، وأغرب من قال: مدحته بالطول، لأن العرب تمتدح بذلك، وتعقب بأن سياقها يقتضى أنها ذمته، وأجيب عن التعقيب باحتمال أنها أرادت مدح خلقه، وذم خلقه، فكأنها قالت: له منظر بلا مخبر، وهو محتمل.

وقيل: العشنق الطويل النجيب الذى يملك أمر نفسه، ولا تتحكم النساء فيه، بل يحكم فيهن بما يشاء، فزوجته تهابه أن تنطق بحضرته، فهى تسكت على مضض.

وقيل: هو المقدام على ما يريد، الشرس فى أموره، وقيل: السيئ الخلق.

وقولها «إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق» معناه أنها إذا ذكرت عيوبه فيبلغه طلقها وإن سكتت عن ذكر عيوبه فهى عنده كالمعلقة، ليست ذات زوج، ولا خالية من الزوج، أى لست ذات زوج، فانتفع به، ولا مطلقة، فأتفرغ لغيره، قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن يكون قولها «أعلق» مشتقا من علاقة الحب، أو من علاقة الوصلة، أى إن نطقت طلقنى وإن سكت استمر بى زوجة، وأنا لا أؤثر تطليقه لى، فلذلك أسكت.

(**قالت الرابعة: زوجى كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة**) ما بعد «لا» بالفتح من غير تنوين، مبنى مع «لا» على الفتح، وجاء الرفع مع التنوين فيها، على أن «لا» عاملة عمل «ليس» وخبرها محذوف، أى ليس فيه حر، كذا فى القراءات المشهورة فى مثل قوله تعالى ﴿**لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ**﴾ [البقرة: ٢٥٤] و﴿**فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ [البقرة: ١٩٧] وعند النسائى «ولا برد» بدل «ولا قر» وزاد فى رواية الزبير بن بكار «والغيث غيث غمامة» وقد ضربوا المثل بليل تهامة فى الطيب، لأنها بلاد حارة فى غالب الزمان، وليس فيها رياح باردة، فإذا كان الليل كان وهج الحر ساكنا، فيطيب الليل لأهلها بالنسبة لما كانوا فيه من أذى حر النهار، أما أن ليل تهامة لا مخافة فيه على أهلها، فلأنهم محصنون بجبالها. فوصفت زوجها بجميل العشرة، واعتدال الحال، وسلامة الباطن، فكأنها قالت: لا أذى عنده ولا مكروه، وأنا آمنة منه، فلا أخاف من شره، ولا ملل عندى منه، ولا عنده منى، فأسأم عشرته، أو يسأم عشرتى، لأنه ليس بسيىء الأخلاق، فأنا لذيذة العيش عنده، كلذة أهل تهامة بليلهم المعتدل، وقيل: أرادت بنفى الخوف وصف زوجها بأنه حامى الذمار، مانع لداره وجاره، ولا مخافة عند من يأوى إليه، ثم أرادت وصفه بالجود بنفى سآمة من يأوى إليه، ونفى سآمته من كثرة الأضياف واللاجئين.

قال النووى: وهذا مدح بليغ.

(**قالت الخامسة: زوجى إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد**) «فهد» بفتح الفاء وكسر الهاء، فعل ماض، مشتق من الفهد، شبهته بالفهد فى كثرة النوم، يقال: أنوم من فهد، وفى كثرة الغفلة فى منزله عن تعهد ما ذهب من متاعه وما بقى، وقوله «أسد» بفتح الهمزة، وكسر السين، مشتق من الأسد، أى يصير بين الناس مثل الأسد؛ وكلاهما يحتمل المدح والذم، وأكثر

الشراح شرحوه على المدح، فقال بعضهم، وصفته بكثرة الجماع لها إذا دخل، فهى محبوبة لديه، بحيث لا يصبر عنها إذا رآها، وإذا خرج كان فى الإقدام مثل الأسد، وبأنه شديد الكرم، وكثير التغاضى، لا يتفقد ما ذهب من ماله، وإذا جاء بشيء لبيته، لا يسأل عنه بعد ذلك، أو لا يلتفت إلى ما يرى فى البيت من المعايب، بل يسامح ويغضى.

وقال بعضهم: شبهته بالفهد فى دخوله بالرزق الوفير، لأنهم قالوا فى المثل: أكسب من فهد، وأصله أن الفهود الهرمة تجتمع على فهد منها فتى، فيتصيد عليها كل يوم، حتى يشبعها، فكأنها قالت: إذا دخل المنزل دخل بالكسب لأهله، كما يجيء الفهد لمن يلوذ به من الفهود الهرمة، ثم رفعت ما قد يحتمل الذم من جهة كثرة النوم بوصفها له بالأسد، فأفصحت أن الأول سجية كرم، ونزاهة شمائل، ومسامحة فى العشرة، لا سجية جبن وخور فى الطبع.

وزاد فى رواية الزبير بن بكار « ولا يرفع اليوم لغد » يعنى لا يدخر -لكرمه- ما حصل عنده اليوم من أجل غد، فكنت بذلك عن غاية جوده، أو المراد وصفه بالحزم فى جميع أموره، فلا يؤخر ما يجب عليه اليوم إلى الغد.

وبعض الشراح شرحوه على الذم، فقال بعضهم: شبهته بالفهد من جهة أنه غليظ الطبع، ليست عنده مداعبة ولا ملاعبة قبل المواقعة، بل يثب وثوبا كالوحش، أو من جهة سوء الخلق، وأنه يبطش بها، ويضربها، وإذا خرج على الناس كان أمره فى العنف أشد قسوة، ولا يسأل عن أحوالها إذا دخل بعد غيبة، حتى لو عرف أنها مريضة أو معوزة لا يسأل عن شيء من ذلك، ولا يتفقد حال أهله ولا بيته.

قال عياض: وقد قلب الوصف بعض الرواة، فقال « إذا دخل أسد، وإذا خرج فهد » قال: فإن كان محفوظا فمعناه أنه إذا خرج إلى مجلسه كان على غاية من الرزانة والوقار وحسن السمت، أو كان على غاية من تحصيل الكسب، وإذا دخل كان متفضلا مواسيا، لأن الأسد يوصف بأنه إذا افترس أكل من فريسته بعضا، وترك الباقى لمن حوله من الوحوش، ولم يهاوشهم عليها. اهـ

وفى الكلام مطابقة أو مقابلة لفظية بين « دخل » و « خرج » ومقابلة معنوية بين « فهد » و « أسد ».

(قالت السادسة: زوجى إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف، ليعلم البث) قال النووى: قال العلماء: اللف فى الطعام الإكثار منه، مع التخليط من صنوفه، حتى لا يبقى منها شيء، والاشتفاف فى الشرب أن يستوعب جميع ما فى الإناء، مأخوذ من الشفافة، بضم الشين، وهى ما بقى فى الإناء من الشراب، فإذا شربها قيل اشتفها وتشافها، وقولها « ولا يولج الكف ليعلم البث » قال أبو عبيد: أحسبه كان بجسدها عيب أو داء، كنت به، لأن البث الحزن، فكان لا يدخل يده فى ثوبها، ليمس ذلك لئلا يشق عليها، فوصفته بالمروءة وكرم الخلق، وقد رد ابن قتيبة على أبى عبيد تفسيره، وقال: كيف تمدحه بهذا، وقد ذمته فى صدر الكلام؟ ورد ابن الأنبارى على ابن قتيبة بأن النسوة تعاقدن أن لا يكتمن شيئا من أخبار أزواجهن، فمنهن من كانت أوصاف زوجها كلها حسنة، فوصفتها، ومنهن من كانت أوصاف زوجها قبيحة، فذكرتها ومنهن من كانت أوصافه فيها حسن وقبيح، فذكرتهما.

وقال ابن الأعرابي: هذا ذم له، أرادت: وإن اضطجع ورقد التف في ثيابه في ناحية، ولم يضاجعها، ليعلم ما عندها من محبته، قال: ولا بث هناك إلا محبتها الدنو من زوجها.

وقال آخرون: أرادت أنه لا يتفقد أموري، ومصالحي.

وعند النسائي «إذا أكل اقتف» أي جمع واستوعب، ومنه سميت القفة، لجمعها ما وضع فيها. وزاد «و إذا ربح اغتث» أي تحرى الغث الهزيل، وفي رواية «استف» بالسين بدل الشين، وهي بمعناها.

(قالت السابعة: زوجي غياياء، أو عياياء، طباقاء، كل داء له داء، شجك أو فلك، أو جمع كلالك) قال النووي: هكذا وقع في هذه الرواية «غياياء» بالغين «أو عياياء» بالعين، وفي أكثر الروايات بالغين، وأنكرها أبو عبيدة وغيره، وقالوا: الصواب بالعين، وهو الذي لا يلقح، وقيل: هو العنين الذي تعييه مباضعة النساء، ويعجز عنها، وقال القاضي وغيره: غياياء بالغين صحيح، وهو مأخوذ من الغياية، وهي الظلمة، وكل ما أظل الشخص، ومعناه لا يهتدي إلى مسلك، أو أنها وصفته بثقل الروح، وأنه كالظل المتكاثف المظلم، الذي لا إشراق فيه، أو أنها أرادت أنه غطيت عليه أموره، أو يكون «غياياء» من الغي، وهو الانهماك في الشر، أو من الغي الذي هو الخيبة، قال اللّٰه تعالى ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، وأما «طباقاء» فمعناه المطبقة عليه أموره حمقا، وقيل: هو الذي يعجز عن الكلام، فتنطبق شفتاه، وقيل: هو العيي الأحمق. وقال ابن فارس: «الطباقاء» الذي لا يحسن الضراب، فعلى هذا يكون تأكيدا، لاختلاف اللفظ، كقولهم: بعدا وسحقا. وقولها «شجك» أي جرحك في الرأس، فالشجاج جراحات الرأس، وقيل: الجراحات فيه وفي الجسد، والفل الكسر والضرب، ومعناه أنها معه بين شج رأس وضرب وكسر عضو، أو جمع بينهما، زاد في رواية «أو بجك» بالباء والجيم، أي طعنك في جراحتك، فشقها، والبج شق القرحة، ووقع في رواية الزبير «إن حدثته سبك، وإن مازحته فلك، وإلا جمع كلالك»، وقيل: المراد بالفل هنا الخصومة، وقولها «كل داء له داء» أي جمع أدواء الناس وعيوبهم مجتمعة فيه. اهـ.

و«أو» في «غياياء» أو «عياياء» شك من الراوي، و«أو» في شجك، أو فلك، أو جمع كلالك للتقسيم، لا للتخيير.

(قالت الثامنة: زوجي الريح ريح زرنب، والمس مس أرنب) في رواية البخاري «زوجي المس من أرنب، والريح ريح زرنب» وزاد في رواية الزبير «وأنا أغلبه والناس يغلب».

والزرنب نبت طيب الريح، وقيل: هو شجرة عظيمة بالشام بجبل لبنان، لها ورق بين الخضرة والصفرة وقيل: هو حشيشة دقيقة طيبة الرائحة، وليست ببلاد العرب، وإن كانوا قد ذكروها في أشعارهم.

والأرنب دويبة معروفة، لينة المس، ناعمة الوبر جدا. واللام في «المس» و«الريح» نائبة عن الضمير، أي مسه وريحه، وصفته بأنه لين الجسد ناعمه، ويحتمل أن تكون كنت بذلك عن حسن خلقه ولين جانبه، وبأنه طيب العرق، لكثرة نظافته، واستعماله الطيب تظرفا، ويحتمل أن تكون كنت بذلك

عن طيب حديثه، أو طيب الثناء عليه، لجميل معاشرته، وأما قولها فى رواية « وأنا أغلبه والناس يغلب » فقد وصفته بأنه مع جميل عشرته لها، وصبره عليها، وصفته بالشجاعة، وهو كما قال معاوية: يغلبن الكرام، ويغلبهن اللئام.

(قالت التاسعة: زوجى رفيع العماد، طويل النجاد، وعظيم الرماد، قريب البيت من الناد) قال النووى: هكذا هو فى النسخ « النادى » بالياء، وهو الفصيح فى العربية، لكن المشهور فى الرواية حذفها، ليتم السجع. و « العماد » بكسر العين أصله عماد البيت، وجمعه عمد بضم العين والميم، وهى العيدان التى تعتمد بها البيوت العربية - فى المضارب والخيام - والبيت الرفيع ببنائه أو بأرضه وقاعدته يسكنه عادة الأشراف، ومن لازم طول البيت غالبا أن يكون متسعا، فيدل على كثرة الخدم والحشم والحاشية والغاشية، كما يراه الضيفان و أصحاب الحوائج فيقصدونه، فكأنها وصفته بالرفقة والشرف، وقيل: أرادت برفيع العماد أنه طويل الجسم، فارتفاع الخيمة قد يكون لطول قامة أهلها، وليس هذا بشيء، فسيأتى مدح طول القامة فى « طويل النجاد » و « النجاد » بكسر النون حمائل السيف، وطولها يسلتزم طول حاملها، قال بعضهم: وأشارت ضمن ذلك إلى أنه صاحب سيف، وأنه شجاع، وأما قولها « عظيم الرماد » أى كثير الرماد المتخلف عن كثرة النار التى يوقدها لطهى طعام الضيفان، أو النار التى يوقدها الأجواد ليلا على التلال ومشارف الأرض لتهتدى بها الضيفان، وأرادت بذلك وصفه بالكرم والجود، وقولها « قريب البيت من الناد » تكنى به عن الكرم والسؤدد والمكانة، لأنه لا يقرب البيت من النادى إلا إذا كان صاحبه أهلا للقاء القاصدين وإكرامهم، وحل مشاكلهم، وإصلاح أمورهم، فالنادى مجلس القوم، فهم إذا تفاوضوا وتشاوروا فى أمر جلسوا قريبا من بيته، فاعتمدوا على رأيه، وامتثلوا أمره.

زاد الزبير بن بكار فى روايته « لا يشبع ليلة يضاف، ولا ينام ليلة يخاف » أى يجوع ليشبع الضيفان، ويسهر حارسا وحاميا من يخاف.

ومحصل كلامها وصفه بالسيادة والكرم وحسن الخلق وطيب المعاشرة.

(قالت العاشرة: زوجى مالك، وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك قليلات المسارح، إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك) « وما مالك »؟ الاستفهام للتفخيم والتعظيم والتعجب، كقوله تعالى ﴿الْحَاقَّةُ۝ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٢]؟ و﴿الْقَارِعَةُ۝ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١-٢]؟ أى شيء عظيم هائل أى ما أعظمه وما أكرمه وقولها « مالك خير من ذلك » زيادة فى التعظيم، وتفسير لبعض الإبهام، والمعنى. مالك خير مما أقوله عنه من ثناء، أى هو خير مما سأقول عنه، ومدحى قاصر عن حقيقته وواقعه، ومهما قلت فلن أوفيه حقه، فالإشارة إلى ما ستقوله من مدح، وقيل: الإشارة إلى ما فى ذهن المخاطب، أى مالك خير مما يخطر ببالك من الثناء، ويحتمل أن تكون الإشارة إلى ما تقدم من الثناء على الذين قبله، أى مالك أجمع من الذين قبله لخصال السيادة والفضل، و« المبارك » بفتح الميم والباء جمع مبرك، وهو موضع راحة الإبل ومبيتها، و « المسارح » جمع مسرح، وهو الموضع الذى تطلق الإبل لترعى فيه، والمعنى له إبل كثيرة، والقليل منها الذى يخرج للمسارح والرعى، أما غالبها فيبقى فى المبارك، استعدادا للضيفان، فإن

فاجأه ضيف وجد عنده ما يقريه به، من لحومها وألبانها، ويحتمل أن قلة المسارح كناية عن كثرة الضيفان فاليوم الذى يكثر فيه الضيفان لا تسرح، حتى يقضى الضيفان حاجتهم منها، ويحتمل أن المراد من المبارك والمسارح أيام البروك، وأيام السرح، فاليوم الذى لا يطرقه فيه أحد، أو يكون هو غائبا تسرح كلها، فأيام الطروق أكثر من أيام عدمه، فهى لذلك قليلات المسارح، ويحتمل أن المراد بكثرة المبارك أنها كثيرات ما تثار لتحلب، ثم تترك فتبرك، ثم تثار فتحلب، ثم تترك فتبرك، فهى بذلك كثيرات المبارك، وفى رواية « عظيمات المبارك » أى سمينة، وجثتها عظيمة فتعظم مباركها وتتسع، ويحتمل أن المراد بقلة مسارحها قلة الأمكنة التى ترعى فيها من الأرض، وأنها لا تمكن من الرعى إلا بقرب المنازل، لئلا يشق طلبها إذا احتيج إليها، ويكون ما قرب من المنزل كثير الخصب، لئلا تهزل.

و « المزهر » بكسر الميم وسكون الزاى وفتح الهاء آلة من آلات اللَّهو وقيل، هو العود، وقيل: هو دف مربع. وأنكر بعضهم تفسير المزهر بالعود وقال: ما كانت العرب تعرف العود، إلا من خالط منهم الحضر قال: وإنما هو بضم الميم وكسر الهاء، وهو الذى يوقد النار فيزهرها للأضياف، قال القاضى: وهذا خطأ منه، لأنه لم يروه أحد بضم الميم، ولأن المزهر - بكسر الميم - مشهور فى أشعار العرب، ولأنه لا يسلم له أن هؤلاء النسوة من غير الحاضرة، فقد جاء فى رواية أنهن من قرية من قرى اليمن.اهـ قال الحافظ ابن حجر: و« أيقن أنهن هوالك » معناه أنه كثرت عادته بنحر الإبل لقرى الضيفان ومن عادته أن يسقيهم ويلهيهم، أو يتلقاهم بالغناء، مبالغة فى الفرح بهم، فصارت الإبل، إذا سمعت صوت الغناء عرفت أنها تنحر، ويحتمل أن أم زرع لم ترد فهم الإبل لهلاكها، ولكن لما كان ذلك يعرفه من يعقل أضيف إلى الإبل. قال: والأول أولى.

(**قالت الحادية عشرة**) قال النووى: وفى بعض النسخ « الحادى عشر » وفى بعضها « الحادية عشر ».

والصحيح الأول، اهـ وفى رواية الزبير « وهى أم زرع بنت أكميل بن ساعدة ».

(**زوجى أبو زرع**) فى رواية النسائى « نكحت أبا زرع »

(**فما أبو زرع؟**) فى رواية « وما أبو زرع » قال الحافظ ابن حجر: وهو المحفوظ للأكثر، زاد الطبرى فى رواية « صاحب نعم وزرع ».

(**أناس من حلى أذنى**) « حلى » بضم الحاء وكسرها اللام، جمع حلية، والياء فى « أذنى » مشددة تثنية أذن، و« أناس » أى أثقل حتى تدلى واضطرب، والنوس حركة كل شيء متدل، يقال: ناس ينوس نوسا، وأناسه غيره، إناسة، ووقع فى رواية « أذنى وفرعى » بالياء المشددة فيهما، قال القاضى عياض: يحتمل أن تريد بالفرعين اليدين، لأنهما كالفرعين من الجسد، تعنى أنه حلى أذنيها ومعصميها، أو أرادت بالفرعين العنق واليدين، وأقامت اليدين مقام فرع واحد، أو أرادت بالفرعين اليدين والرجلين كذلك، أو أرادت

بالفرعين الغديرتين، وقرني الرأس - والغديرة الذؤابة المضفورة من شعر المرأة - فقد جرت عادة المترفات - بتنظيم غدائرهن، وتحلية نواصيهن وقرونهن بالحلى، وفى رواية « وفرعى » بالإفراد، أى حلى رأسى، فصار يتدلى من كثرته وثقله، والعرب تسمى شعر الرأس فرعا.

(**وملأ من شحم عضدى**) بالتثنية، والعضد ما بين المرفق والكتف، قال العلماء: معناه أسمننى، وملأ بدنى شحما، فهى لم ترد العضد وحده، وإنما أرادت الجسد كله، لأن العضد إذا سمنت سمن سائر الجسد، وخصت العضد بالذكر من بين سائر الجسد لأنه أقرب ما يلى بصر الإنسان من جسده.

(**ويجحنى فبجحت إلى نفسى**) أى فرحنى ففرحت، وقيل عظمنى فعظمت إلى نفسى، وقيل: فخرنى ففخرت، وقيل: وسع على، ومتعنى وأترفنى، يقال: بجح به يبجح، بفتح الجيم فيهما، وبجح به يبجح، بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع، وأبجحه وبجحه، وروايتنا « بجحنى » بتشديد الجيم، ورواية البخارى بتخفيفها، « فبجحت » بكسر الجيم المخففة، وسكون التاء، وفى رواية « فتبجحت إلى نفسى » بتشديد الجيم المفتوحة، وسكون التاء، وفى رواية النسائى « وبجح نفسى فبجحت إلى » بسكون التاء، وفى أخرى له بضم التاء.

(**وجدنى فى أهل غنيمة بشق**) « غنيمة » بضم الغين، مصغر، للتقليل، وأهل الغنم أقل شأنا وحالا من أهل الإبل والخيل، والعرب لا تعتد بأهل الغنم، وقولها « بشق » بكسر الشين وفتحها أى بشق جبل، لقلتهم، وقلة غنمهم، وقيل: اسم موضع، وقيل: بمشقة، وشظف من العيش، واختاره عياض وغيره، ومنه قوله تعالى ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ﴾ [النحل: ٧].

(**فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط، ودائس ومنق**) الصهيل صوت الخيل، والأطيط أصوات الإبل، والدائس هو الذى يدوس الزرع ليخرج الحب من غلافه وقشوره، و « منق » قال أبو عبيد: أظنه بالفتح، من تنقى الطعام، وحكى الهروى أن المنق بالفتح الغربال، وعن بعض المغاربة أنه يجوز أن يكون بسكون النون، وفتح القاف مخففة، وقيل: هو من النقيق، وهو أصوات المواشى.

تصفه بأنه نقلها من شظف العيش عند أهلها، إلى الثروة الواسعة من الخيل، والإبل والزرع، وغير ذلك، وأنه كان كريما معها، حسن العشرة.

(**فعنده أقول فلا أقبح**) أى لا يقبح قولى، ولا يرده، بل يقبل منى، ويستحسن قولى. وفى رواية للنسائى « أنطق » وفى رواية « أتكلم ».

(**وأرقد فأتصبح**) أرقد ليلى، وأستمر نائمة دون إزعاج، ودون إيقاظ حتى بعد الصباح، وفى ذلك إشارة إلى أنها مكتفية بمن يخدمها، وبمن يكفيها مؤنة بيتها، ومهنة أهلها.

(**وأشرب فأتقنح**) قال النووى: هو بالنون بعد القاف.. هكذا هو فى جميع النسخ، قال القاضى: لم نروه فى البخارى ومسلم إلا بالنون، ورواه الأكثر فى غيرهما بالميم، قال أبو عبيد: « أتقمح » أى أروى، حتى لا أحب الشرب، قال: وأما بالنون فلا أعرفه، اهـ وأثبت بعضهم أن معنى « أتقنح » بمعنى « أتقمح » لأن النون والميم يتعاقبان، مثل: امتقع، وانتقع، وحكى عن بعضهم أن

التقنح الشرب بعد الرى، وقيل: الشرب على مهل، وقيل: معناه لا يقطع على شرابى، فتوارد هؤلاء كلهم على أن المعنى أنها تشرب، حتى لا تجد مساغاً، أو أنها لا يقلل مشروبها، ولا يقطع عليها، حتى تتم شهوتها منه، وقيل: كناية عن سمن جسمها.

ووقع فى رواية « فأتفتح » بالتاء والفاء، قال القاضى عياض: إن لم يكن وهما فمعناه التكبر والزهو.اهـ وفى رواية « وآكل فأتمنح » أى أطعم غيرى يقال: منحه يمنحه إذا أعطاه. أشارت بذلك إلى عزتها عنده وكثرة الخير لديها، فهى تزهو لذلك، والإتيان بالألفاظ كلها على وزن « أتفعل » للإشارة إلى تكرار الفعل وملازمته.

(أم أبى زرع، فما أم أبى زرع؟ عكومها رداح، وبيتها فساح) « العكوم » بضم العين، جمع عكم بكسرها وسكون الكاف، وهى الأعدال والأحمال التى تجمع فيها الأمتعة، وقيل: هى نمط تجعل المرأة فيها ذخيرتها، و « رداح » بكسر الراء وفتحها، أى عظام، كثيرة الحشو، أى ملأى، وقيل: معناه ثقيلة، ويقال: للكتيبة الكبيرة رداح، إذا كانت بطيئة السير، لكثرة ما فيها، ويقال للمرأة إذا كانت عظيمة الكفل، ثقيلة الورك: رداح، والمراد وصف أوانيها وخزائنها بأنها مملوءة بالخيرات، وقال الزمخشرى: لو جاءت الرواية فى « عكوم » بفتح العين لكان الوجه على أن يكون المراد بها الجفنة التى لا تزول عن مكانها، إما لعظمها، وإما لأن القرى متصل دائم، أو التى كثر طعامها وتراكم.

و« رداح » مفرد، ويصح أن يكون خبر « عكوم » وهو جمع، وأخبر بالمفرد عن الجمع، وهو مسموع بقلة، كقوله تعالى ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ويحتمل أن يكون مصدرا، يخبر به عن المفرد والمثنى والجمع، ويحتمل أنه على حذف مضاف، أى عكومها ذات رداح، ويحتمل أن يضبط « رداح » بكسر الراء، جمع رادح، كقائم وقيام، فيخبر بالجمع عن الجمع، ويصح أن يكون « رداح » خبر مبتدأ محذوف، والجملة خبر المبتدأ الأول، والتقدير: عكومها كلها رداح.

« وبيتها فساح » بفتح الفاء وتخفيف السين، أى واسع، ومثله فسيح، ومثله « فياح » كما جاء فى رواية، وقد وصفت والدة زوجها بأنها كثيرة الآلات والأثاث، واسعة المال، كبيرة البيت، إما حقيقة، فيدل ذلك على عظم الثروة، وإما كناية عن كثرة الخيرة ورغد العيش، والبر بمن ينزل بها، لأنهم يقولون: فلان رحب المنزل، أى يكرم من ينزل عليه، وفى هذا إشارة إلى أن زوجها كثير البر بأمه.

(ابن أبى زرع، فما ابن أبى زرع؟ مضجعه كمسل شطبة، ويشبعه ذراع الجفرة)
« المسل » بفتح الميم والسين، بعدها لام مشددة، و « شطبة » بفتح الشين وسكون الطاء، ما شطب من جريد النخل، أى ما شق من السعفة، كالقضبان الرقاق، ينسج منها الحصر، قال ابن السكيت: الشطبة من سدى الحصير، وقال ابن حبيب: هى العود المحدد كالمسلة، وقال ابن الأعرابى: أرادت بمسل الشطبة سيفا سل من غمده، فمضجعه الذى ينام فيه فى الصغر كقدر مسل شطبة واحدة، والمعنى على ما قاله الأولون: على قدر ما يسل من الحصير، فيبقى مكانه فارغا، وأما على ما قاله ابن الأعرابى فهو كغمد السيف.

وأما الجفرة بفتح الجيم وسكون الفاء فهى الأنثى من ولد المعز، إذا كان ابن أربعة أشهر، وفصل عن أمه، وأخذ فى الرعى، وفى رواية « وترويه فيقة اليعرة » والفيقة بكسر الفاء وسكون الياء ما يجتمع

فى الضرع بين الحلبتين، والفواق بضم الفاء الزمان الذى بين الحلبتين، واليعرة بالياء المفتوحة وسكون العين بعدها راء العناق، وفى رواية «ويميس فى حلق النترة» و«يميس» أى يتبختر «والنترة» بفتح النون وسكون التاء الدرع اللطيفة، وصفته بهيف القد، وأنه ليس ببطين ولا جاف، وأنه قليل الأكل والشرب، ملازم لآلة الحرب، يختال فى موضع القتال، قال الحافظ ابن حجر: ويظهر لى أنها وصفته بأنه خفيف الوطأة عليها، لأن زوجة الأب غالبا تستثقل ولد الزوج من غيرها، فكان هذا خفيفا عليها، لا يحتاج إلى ما عندها بالأكل، فضلا عن الأخذ، بل لو طعم عندها لاقتنع باليسير الذى يسد الرمق من المأكول والمشروب.

(**بنت أبى زرع، فما بنت أبى زرع**) فى بعض النسخ «وما بنت أبى زرع؟».

(**طوع أبيها، وطوع أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها**) أى أنها بارة بأبويها، وعند النسائى «زين أبيها، وزين أمها» وفى رواية «وزين أهلها ونسائها» وعند الطبرانى «وقرة عين لأمها وأبيها» و«ملء كسائها» كناية عن كمال شخصها، ونعمة جسمها، وقيل: معناه ممتلئة الجسم سمينة، وفى ملحق الرواية «وصفر ردائها» بكسر الصاد وسكون الفاء، تصف رداءها بالخلو، قال الهروى: أى ضامرة البطن، وقال غيره: معناه أنها خفيفة أعلى البدن، وهو موضع الرداء، ممتلئة أسفله، ويؤيد هذا رواية «وملء إزارها» قال القاضى: والأولى أن المراد امتلاء منكبيها، وقيام نهديها، بحيث يرفعان الرداء عن أعلى جسدها، فلا يمسه، فيصير خاليا، بخلاف أسفلها، ومعنى قولها «وغيظ جارتها» أن حالها يغيظ ضرتها من حيث الحسن والجمال والعفة والأدب، وفى ملحق الرواية «وعقر جارتها» بفتح العين وسكون القاف، أى وغيظ جارتها، فتكون كالعقور، وقيل: ودهشة جارتها، من قولهم: عقر إذا دهش، وضبطه بعضهم «وعبر جارتها» بضم العين وسكون الباء، أى ترى جارتها من حسنها وعفتها وعقلها ما تعتبر به، وقيل: هو من العبرة، وهى البكاء، أى ترى من ذلك ما يبكيها، لغيظها وحسدها.

زاد فى رواية «قباء هضيمة الحشا» يقال: امرأة قباء بفتح القاف وتشديد الباء، أى دقيقة الخصر، ضامرة البطن، والهضيم من النساء اللطيفة الكشحين، والحشا ما دون الحجاب مما يلى البطن كله من الكبد والطحال والكرش، أى ضامرة الخصر والبطن، لطيفة العجز، وفى الرواية نفسها «جائلة الوشاح» الوشاح نسيج عريض، يرصع بالجوهر، تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها، وجولانه تحركه واضطرابه لسعته، وفى الرواية نفسها «عكناء، فعماء، نجلاء، دعجاء، رجاء، قنواء، مؤنقة، مفنقة» والعكناء التى صارت ذات عكن بضم العين وفتح الكاف، أى ذات طيات فى لحم البطن سمنا، والفعماء الممتلئة الأعضاء، والنجلاء متسعة العينين حسنتهما، والدعجاء الشديدة سواد العين، والرجاء، بفتح الراء وتشديد الجيم، أى كبيرة الكفل ترتج من عظمه، وقيل ذات رجاء وأمل، والقنواء بفتح القاف وسكون النون الطويلة، والمؤنقة بفتح النون المشددة أى رائعة الحسن، يعجب بها من يراها ويحبها، يقال: أنق بكسر النون يأنق بفتحها أنقا وأناقة راع حسنه وأعجب، فهو أنيق، وآنقة الشيء، وأنق الشيء فلانا بتشديد النون أعجبه.

وقوله « مفنقة » بفتح الفاء وفتح النون المشددة بعدها قاف، أى منعمة، يقال: فنقه بفتح النون المشددة يفنقه إذا نعمه، فهو منفق أى منعم، اسم مفعول.

(**جارية أبى زرع، فما جارية أبى زرع؟ لا تبث حديثنا تبثيثا، ولا تنقث ميرتنا تنقيثا، ولا تملأ بيتنا تعشيشاً**) عند الطبرانى « خادم أبى زرع » وفى رواية « وليد أبى زرع » والوليد الخادم، يطلق على الذكر والأنثى، و« لا تبث » بضم الباء، بعدها ثاء، أى لا تشيع أحوالنا وتظهر أخبارنا، بل تكتم سرنا وحديثنا كله، وفى رواية « لا تنث » بالنون بدل الباء، وهى بمعناها، والنثاث المغتاب، وفى رواية « ولا تخرج..... ». و« لا تنفث » بضم التاء وفتح النون وكسر القاف المشددة بعدها ثاء، أى لا تسرع بالخيانة وتذهب مالنا بالسرقة، و« الميرة » بكسر الميم الزاد والطعام، وأصله ما يحصله البدوى من الحضر، ويحمله إلى منزله، لينتفع به أهله، وقال ابن حبيب: لا تفسد ميرتنا وفى ملحق الرواية « لا تنفث ميرتنا تنفيثا » قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن تكون إحدى الروايتين بالقاف، والأخرى بالفاء، وفى رواية « ولا تنقل » وفى رواية « ولا تفث » أى لا تفسد، وفى رواية « ولا تفش ميرتنا تفشيشا » بالفاء من الإفشاش، ومعنى « ولا تملأ بيتنا تعشيشا » بالعين، أى لا تترك الكناسة والقمامة فيه مفرقة كعش الطائر، بل هى مصلحة للبيت، معتنية بتنظيفه، وقيل: معناه لا تخوننا فى طعامنا فى زوايا البيت كأعشاش من الطير، وفى رواية « تغشيشا » بالغين من الغش.

(**خرج أبوزرع والأوطاب تمخض**) « الأوطاب » جمع وطب بفتح الواو وسكون الطاء، وهو جمع قليل النظير، وفى رواية فى غير مسلم « والوطاب » وهو الجمع الأصلى، وفى رواية « الأطاب » بغير واو، قال عياض: فإن كان مضبوطا فهو على إبدال الواو همزة، كما قالوا فى « إكاف » « وكاف » والمراد من الأوطاب الأسقية التى يمخض فيها اللبن، أى يحرك تحريكا شديداً، ليخرج زبده، أرادت أنه بكر بخروجه من منزلها، وقت قيام الخدم والعبيد لأشغالهم، وفى خبرها هذا إشارة إلى كثرة خير داره، وغزارة لبنه، وأن عندهم منه ما يكفيهم، ويفيض عنهم حتى يمخضوه، ويستخرجوا زبده،، ويحتمل أنها أرادت بهذه العبارة أن الوقت الذى خرج فيه كان فى زمن الخصب وطيب الربيع، قال الحافظ ابن حجر: وكأن سبب ذكر ذلك التوطئة للباعث على رؤية أبى زرع للمرأة على الحالة التى رآها عليها، أى أنها من مخض اللبن تعبت، فاستلقت لتستريح، فرآها على ذلك.

(**فلقى امرأة معها ولدان لها، كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقنى ونكحها**) فى رواية الطبرانى « فأبصر امرأة لها ابنان كالفهدين » وفى رواية « كالصقرين » وفى رواية « كالشبلين » وعند النسائى « فإذا هو بأم غلامين » والغرض من ذكر الولدين ووصفهما بما وصفا به التنبيه على بعض الأسباب الداعية لتزوج أبى زرع بها، لأنهم كانوا يرغبون فى أن يكون لهم أولاد، وأن تكون أولادهم من النساء المنجبات، وفى وصفهما إشارة إلى صغر سنهما، واشتداد خلقتهما، وخفة حركاتهما، هذا بالإضافة إلى ما وصفت به المرأة، قال أبو عبيد: وصفت بأنها ذات كفل عظيم، فإذا استلقت على ظهرها رفع خصرها عن الأرض، حتى يصير تحتها فجوة، تجرى فيها الرمانة. اهـ

وكان مع الولدين رمانتان كل واحد يرمى واحدة للآخر، أو هى رمانة واحدة ثنيت باعتبار تناول

كل من الولدين لها، ويؤيده ما وقع فى رواية أبى معاوية « وهى مستلقية على قفاها، ومعها رمانة، يرميان بها من تحتها، فتخرج من الجانب الآخر، من عظم إليتيها ».

وقال بعضهم: المراد بالرمانتين هنا ثدياها، والمعنى أن لها نهدين حسنين صغيرين كالرمانتين، يداعبهما الولدان، قال القاضى عياض: وهذا أرجح، لا سيما وقد روى « من تحت صدرها » و « من تحت درعها » ولأن العادة لم تجر برمى الصبيان الرمان تحت ظهور أمهاتهم، ولم تجر العادة أيضا باستلقاء النساء كذلك، حتى يشاهده منهن الرجال، وردت رواية أبى معاوية بأن سياقها هذا لا يشبه كلام أم زرع، فلعله من كلام بعض رواتها، أورده على سبيل التفسير الذى ظنه، فأدرج فى الخبر، وفسر القاضى قولها فى روايتنا « يلعبان من تحت خصرها برمانتين » بقوله إن ذلك كان إشارة إلى مكان الولدين منها، أى يلعبان وهما تحت خصرها، أى أنهما كانا فى حضنها أو جنبيها، قال: وفى تشبيه النهدين بالرمانتين إشارة إلى صغر سنها، وأنها لم تترهل، حتى تنكسر ثدياها وتتدلى. اهـ

وفى رواية « فأعجبته فطلقنى » وقد يقال « لم طلق أبو زرع أم زرع؟ وكان راغبا فيها ويحبها؟ وكان يمكن أن يتزوج المرأة مع استبقاء أم زرع؟ وقد فسرت رواية أبى معاوية السر فى ذلك، ولفظها « فخطبها أبو زرع، فتزوجها، فلم تزل به، حتى طلق أم زرع »

(**فنكحت بعده رجلا سريا**) بالسين على المشهور، ومعناه سيدا شريفا، وقيل: سخيا، وسراة الناس كبراؤهم فى حسن الصورة والهيئة، والسرى من كل شيء خياره.

(**ركب شريا**) بفتح الشين وكسر الراء وتشديد الياء، صفة لموصوف محذوف، أى ركب فرسا شريا، والشرى الذى يستشرى فى سيره، أى يمضى ويلج، دون فتور ولا انكسار، وقال ابن السكيت: هو الفرس الفائق الخيار.

(**وأخذ خطيا**) بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة، بعدها ياء مشددة، صفة لموصوف محذوف، أى أخذ رمحا خطيا، قالوا: والخطى الرمح منسوب إلى الخط، قرية من سيف البحر، أى ساحله، عند عمان والبحرين، ونسبت الرماح إليها لأنها تحمل إلى هذا الوضع وتثقف فيه.

(**وأراح على نعما ثريا**) قال النووى: أى أتى بها إلى مراحها، بضم الميم، أى موضع مبيتها وقيل: معناه أنه غزا، فغنم، فأتى بالنعم الكثيرة، وفى رواية « وأراح على بيتى نعما »، والنعم بفتح النون والعين الإبل والبقر والغنم، ويحتمل أن المرد هنا بعضها، وهى الإبل، والثرى بالثاء وتشديد الياء الكثير المال وغيره، ومنه الثروة فى المال، وهى كثرته. اهـ

و« ثريا » صفة لنعما، أى إبلا كثيرة، والتذكير فيه مع الموصوف المؤنث لمراعاة السجع، وفى رواية حكاها القاضى عياض : « نعما » بكسر النون، جمع نعمة والأشهر الأول.

(**وأعطانى من كل رائحة زوجا**) أى وأعطانى من كل ما يروح من الإبل والبقر والغنم اثنين، أو صنفا، فإن الزوج قد يطلق على الصنف، ومنه قوله تعالى ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ وفى ملحق الرواية « وأعطانى من كل ذابحة زوجا » قال النووى: هكذا هو فى جميع النسخ « ذابحة » بالذال وبالباء، أى من كل ما يجوز ذبحه، من الإبل والبقر والغنم وغيرها، وهى فاعلة بمعنى مفعولة. اهـ مثل « عيشة

راضية » أى مرضية، وفى رواية الطبرانى « من كل سائمة »والسائمة الراعية، والرائحة الآتية وقت الرواح، وهو آخر النهار، وقد أرادت بذلك كثرة ما أعطاها.

(**وقال: كلى. أم زرع، وميرى أهلك**) « أم زرع » منادى بحذف حرف النداء، و « ميرى أهلك » بكسر الميم من الميرة، أى صليهم، وأوسعى عليهم بالميرة وهى الطعام.

والحاصل أنها وصفته بالسؤدد فى ذاته « رجلا سريا » والشجاعة فى فعاله « ركب شريا، وأخذ خطيا، وأراح على نعما ثريا » وبالتفضل عليها وإكرامها، و« أعطانى من كل رائحة زوجا » وزاد فى إكرامها، فأباح لها أن تأكل ما شاءت من ماله، وتهدى منه ما شاءت لأهلها.

(**فلو جمعت كل شيء أعطانى ما بلغ أصغر آنية أبى زرع**) فى رواية البخارى « أعطانيه » وفى رواية « ما ملأ إناء من آنية أبى زرع » وعند الطبرانى « فلو جمعت كل شيء أصبته منه، فجعلته فى أصغر وعاء من أوعية أبى زرع ما ملأه » وهذا الأسلوب كناية عن استصغار ما أصابته من زوجها الثانى بالنسبة لما أصابته من أبى زرع، لأنه كان أول أزواجها، فسكنت محبته فى قلبها.

(**كنت لك كأبى زرع لأم زرع**) قال النووى: قال العلماء: هو تطييب لنفسها، وإيضاح لحسن عشرته إياها، ومعناه: أنا لك كأبى زرع، و « كان » زائدة، أو للدوام، كقوله تعالى ﴿**وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ أى كان فيما مضى، وهو باق كذلك. اهـ. فأصل الفعل الماضى يدل على حصول حدث فى زمن مضى قبل التكلم، ومقتضاه أنه لا يدل على استمرار الحدث فى الحال ولا فى الاستقبال، ومقصود الحديث كنت لك فى الماضى، وأنا لك فى الحال، وسأظل لك فى المستقبل كأبى زرع لأم زرع، ووجه الشبه فى هذه القضية الألفة والوفاء، لأن المشبه به له صفات لا يليق التشبه بها، ولذلك زاد فى رواية الهيثم ابن عدى « فى الألفة والوفاء، لا فى الفرقة والجلاء » وزاد الزبير فى آخره « إلا أنه طلقها، وإنى لا أطلقك » زاد النسائى والطبرانى فى رواية له « قالت عائشة: يا رسول الله. بل أنت خير من أبى زرع » وفى رواية « قالت: بأبى وأمى لأنت خير لى من أبى زرع لأم زرع » قال النووى: وكأنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك تطيبا لها، وطمأنينة لقلبها، ودفعا لإيهام عموم التشبيه بجملة أحوال أبى زرع، إذ لم يكن فيه ما تذمه النساء به سوى طلاقه أم زرع، وأجابت هى عن ذلك جواب مثلها فى فضلها وعلمها.

فقه الحديث

هذا الحديث مسوق على أنه منقبة وفضيلة لعائشة رضى الله عنها.

ويؤخذ منه

١- فضيلة حسن عشرة المرء أهله، بالتأنيس والمحادثة بالأمور المباحة، ما لم يفض ذلك إلى ما يمنع.

٢- وفيه المزاح أحيانا، وبسط النفس به.

٣- ومداعبة الرجل أهله، وإعلامه بمحبته لها، ما لم يؤد ذلك إلى مفسدة، تترتب على ذلك من تجنيها عليه، وإعراضها عنه.

٤- وفيه منع الفخر بالمال، فقد ركز صلى اللّه عليه وسلم على حسن العشرة، وأهمل فخر أم زرع بالمــال.

٥- وفيه جواز ذكر الفضل بأمور الدين، فقد ذكر لها حبه، وحسن عشرته، وهو من الدين.

٦- وفيه إخبار الرجل أهله بصورة حاله معهم، وتذكيرهم بذلك، لا سيما عند وجود ما طبعن عليه من كفر الإحسان.

٧- وفيه ذكر المرأة إحسان زوجها.

٨- قال الحافظ ابن حجر: وفيه إكرام الرجل بعض نسائه بحضور ضرائرها، بما يخصها به من قول أو فعل (هذا على احتمال حضور بعض الضرائر عند سياق القصة، والأولى أن يقال: فيه تخصيص بعض نسائه بذكر حبه وحسن عشرته لها من بين ضرائرها) قال: ومحله عند السلامة من الميل المفضى إلى الجور.

٩- وفيه جواز تحدث الرجل مع زوجته فى غير نوبتها. قاله الحافظ ابن حجر. وهو غير واضح.

١٠- وفيه الحديث عن الأمم الخالية، وضرب الأمثال بهم اعتبارا.

١١- وفيه جواز الانبساط، بذكر طرف الأخبار، ومستطابات النوادر، تنشيطا للنفوس.

١٢- وفيه حض النساء على الوفاء لبعولتهن، وقصر الطرف عليهم والشكر لجميلهم، أخذا من تقريره صلى اللّه عليه وسلم لأم زرع.

١٣- وفيه جواز وصف المرأة زوجها بما تعرفه من حسن وسوء. قاله الحافظ ابن حجر. وفيه نظر.

١٤- وجواز المبالغة فى الأوصاف ومحله إذا لم يصر ذلك ديدنا، لأنه يفضى إلى خرم المروءة، قاله الحافظ ابن حجر، ويحمل على أن شرع من قبلنا شرع لنا، وهو أيضا غير ظاهر، فعمل هؤلاء النساء وقولهم لا يؤخذ منه شرع، وسيأتى ما يؤيده ذلك.

١٥- ومن طلب عائشة ذكر قصة أبى زرع وجواب الرسول ﷺ لها تفسير ما يجمله المخبر من الخبر، إما بالسؤال عنه، وإما ابتداء من تلقاء نفسه.

١٦- قال الحافظ ابن حجر: وفيه أن ذكر المرء بما فيه من العيب جائز، إذا قصد التنفير عن ذلك الفعل، ولا يكون ذلك غيبة، أشار إلى ذلك الخطابى، وتعقبه التميمى شيخ عياض بأن الاستدلال بذلك إنما يتم أن لو كان النبى ﷺ سمع المرأة تغتاب زوجها، فأقرها، وأما الحكاية عمن ليس بحاضر فليس كذلك.

وقال المازرى: قال بعضهم: ذكر بعض هؤلاء النسوة أزواجهن بما يكرهون، ولم يكن ذلك غيبة، لكونهم لا يعرفون بأعيانهم وأسمائهم. قال المازرى: وإنما يحتاج إلى هذا الاعتذار لو كان من تحدث عنده بهذا الحديث سمع كلامهن فى اغتياب أزواجهن، فأقرهن على ذلك. أما والواقع خلاف ذلك، وهو أن عائشة حكت قصة عن نساء مجهولات غائبات فلا، ولو أن امرأة وصفت زوجها بما يكرهه، لكان غيبة محرمة على من يقوله ويسمعه، إلا إن كانت فى مقام الشكوى منه

عند الحاكم، وهذا فى حق المعين، فأما المجهول الذى لا يعرف فلا حرج فى سماع الكلام فيه، لأنه لا يتأذى، إلا إذا عرف أن من ذكر عنده يعرفه، ثم إن هؤلاء الرجال مجهولون، لا تعرف أسماؤهم، ولا أعيانهم، فضلا عن أسمائهم، ولم يثبت للنسوة إسلام، حتى يجرى عليهن الغيبة، فبطل الاستدلال به على ما ذكر. اهـ. ونحن مع التميمى والمازرى و لا نسلم بالمآخذ: [١٣، ١٤، ١٦]. والله أعلم.

١٧- وفيه تقوية لمن كره نكاح من كان لها زوج سابق، لما ظهر من اعتراف أم زرع بإكرام زوجها الثانى لها بقدر الطاقة، ومع ذلك حقرته، وصغرته، بالنسبة إلى الزوج الأول. وذاك طبع لغالب النساء.

١٨- وفيه أن الحب يستر الإساءة، لأن أبا زرع مع إساءته لها بتطليقها، لم يمنعها ذلك من المبالغة فى وصفه، إلى أن بلغت حد الإفراط والغلو.

١٩- وفيه جواز وصف النساء ومحاسنهن للرجل، لكن محله إذا كن مجهولات، والذى يمنع من ذلك وصف المرأة المعينة بحضرة الرجل، أو أن يذكر من وصفها ما لا يجوز للرجال تعمد النظر إليه. قاله الحافظ ابن حجر، وفيه نظر.

٢٠- وفيه أن التشبيه لا يستلزم مساواة المشبه بالمشبه به من كل جهة.

٢١- وفيه أن كناية الطلاق لا توقعه، إلا مع مصاحبة النية، فإنه صلى الله عليه وسلم تشبه بأبى زرع، وأبو زرع قد طلق، فلم يستلزم ذلك وقوع الطلاق، لكونه لم يقصره.

٢٢- وفيه جواز التأسى بأهل الفضل من كل أمة، لأن أم زرع أخبرت عن أبى زرع بجميل عشرته، فامتثله النبى ﷺ. كذا قال المهلب، واعترضه القاضى عياض، فأجاد، وهو أنه ليس فى السياق ما يقتضى أنه تأسى به، بل فيه أنه أخبر أن حاله معها مثل حال أبى زرع مع أم زرع، قال الحافظ ابن حجر: نعم ما استنبطه صحيح، باعتبار أن الخبر إذا سيق وظهر من الشارع تقريره، مع الاستحسان له، جاز التأسى به.

٢٣- قيل: وفيه قبول خبر الواحد، لأن أم زرع أخبرت بحال أبى زرع، فامتثله النبى ﷺ، وتعقبه عياض.

٢٤- وفيه مدح الرجل فى وجهه، إذا علم أن ذلك لا يفسده.

٢٥- وفيه أن شأن النساء إذا تحدثن أن لا يكون حديثهن غالبا إلا فى الرجال.

٢٦- وفيه جواز استعمال الألفاظ الغريبة.

٢٧- واستعمال السجع فى الكلام إذا لم يكن متكلفا.

والله أعلم

(٦٤٥) باب من فضائل فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

٥٤٨٦- ٩٣/١ عَن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه(٩٣)، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّ بَنِي هِشَامِ ابْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ، عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ. فَلا آذَنُ لَهُمْ. ثُمَّ لا آذَنُ لَهُمْ. ثُمَّ لا آذَنُ لَهُمْ. إلا أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابنتهم. فإنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي. يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا. وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا».

٥٤٨٧- ٩٤/٢ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه(٩٤) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مني. يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا».

٥٤٨٨- ٩٥/٣ عَن عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رضي الله عنه(٩٥)، أَنَّهُمْ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، مِن عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِي اللَّه عَنْهمَا، لَقِيَهُ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ. فَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ إِلَيَّ مِن حَاجَةٍ تَأْمُرُنِي بِهَا؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: لا. قَالَ لَهُ: هَلْ أَنْتَ مُعْطِيَّ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَغْلِبَكَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ. وَايْمُ اللَّهِ! لَئِنْ أَعْطَيْتَنِيهِ لا يُخْلَصُ إِلَيْهِ أَبَدًا، حَتَّى تَبْلُغَ نَفْسِي. إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَطَبَ بِنْتَ أبي جهْلٍ عَلَى فَاطِمَةَ. فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ، عَلَى مِنْبرِهِ هَذَا، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُحْتَلِمٌ، فَقَالَ: «إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي. وَإِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا» قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ صِهْرًا لَهُ مِن بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ. فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ فَأَحْسَنَ. قَالَ: «حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي. وَوَعَدَنِي فَأَوْفَى لِي. وَإِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلالا وَلا أُحِلُّ حَرَامًا. وَلَكِنْ وَاللَّهِ لا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ مَكَانًا وَاحِدًا أَبَدًا».

٥٤٨٩- ٩٦/٤ عَن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه(٩٦)، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ.

---

(٩٣) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ كِلاهُمَا عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ ابْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا لَيْثٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ الْقُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ حَدَّثَهُ

(٩٤) حَدَّثَنِي أَبُو مَعْمَرٍ إِسْمَعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْهُذَلِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ

(٩٥) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَلْحَلَةَ الدُّؤَلِيُّ أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ حَدَّثَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ حَدَّثَهُ

(٩٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ.
وحَدَّثَنِيهِ أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ حَدَّثَنَا وَهْبٌ يَعْنِي ابْنَ جَرِيرٍ عَن أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ يَعْنِي ابْنَ رَاشِدٍ يُحَدِّثُ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَهُ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ

وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ لا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ. وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحًا ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ. قَالَ الْمِسْوَرُ: فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ. ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ. فَإِنِّي أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ. فَحَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي. وَإِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ مُضْغَةٌ مِنِّي. وَإِنَّمَا أَكْرَهُ أَنْ يَفْتِنُوهَا. وَإِنَّهَا، وَاللَّهِ! لا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَدًا». قَالَ: فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ.

٥٤٩٠- ٩٧/٥ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٩٧) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فَسَارَّهَا. فَبَكَتْ: ثُمَّ سَارَّهَا فَضَحِكَتْ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِفَاطِمَةَ: مَا هَذَا الَّذِي سَارَّكِ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَكَيْتِ، ثُمَّ سَارَّكِ فَضَحِكْتِ؟ قَالَتْ: سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي بِمَوْتِهِ، فَبَكَيْتُ. ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ مَنْ يَتْبَعُهُ مِن أَهْلِهِ، فَضَحِكْتُ.

٥٤٩١- ٩٨/٦ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٩٨) قَالَتْ: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً. فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِن مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا. فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَن يَمِينِهِ أَوْ عَن شِمَالِهِ. ثُمَّ سَارَّهَا. فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا. فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ. فَضَحِكَتْ. فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِن بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ. فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، سَأَلْتُهَا مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ. قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ. أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْمَرَّةِ الأُولَى، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ «وَإِنِّي لا أُرَى الأَجَلَ إِلا قَدِ اقْتَرَبَ. فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي. فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ» قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ. فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ! أَمَا تَرْضَيْ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ» قَالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ.

٥٤٩٢- ٩٩/٧ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٩٩) قَالَتْ: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ

---

(٩٧) حَدَّثَنَا مَنصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ عَن أَبِيهِ عَن عُرْوَةَ عَن عَائِشَةَ ح و حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبِي عَن أَبِيهِ أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُ

(٩٨) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَن فِرَاسٍ عَن عَامِرٍ عَن مَسْرُوقٍ.

(٩٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ و حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ عَن زَكَرِيَّاءَ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ عَن فِرَاسٍ عَن عَامِرٍ عَن مَسْرُوقٍ عَن عَائِشَةَ قَالَتْ

امْـرَأَةً. فَجَـاءَتْ فَاطِمَـةُ تَمْشِـي كَـأَنَّ مِشْـيَتَهَا مِشْـيَةُ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ فَقَـالَ «مَرْحَبًـا بِـابْنَتِي» فَأَجْلَسَـهَا عَـن يَمِينِـهِ أَوْ عَـن شِمَالِهِ. ثُـمَّ إِنَّـهُ أَسَـرَّ إِلَيْهَـا حَدِيثًـا. فَبَكَـتْ فَاطِمَـةُ. ثُـمَّ إِنَّـهُ سَـارَّهَا، فَضَحِكَـتْ أَيْضًـا. فَقُلْـتُ لَهَـا: مَـا يُبْكِيـكِ؟ فَقَـالَتْ: مَـا كُنْـتُ لِأُفْشِـيَ سِـرَّ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ. فَقُلْـتُ: مَا رَأَيْـتُ كَـالْيَوْمِ فَرَحًـا أَقْـرَبَ مِـن حُـزْنٍ. فَقُلْـتُ لَهَـا حِيـنَ بَكَـتْ: أَخَصَّـكِ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ بِحَدِيثِـهِ دُونَنَـا ثُـمَّ تَبْكِيـنَ؟ وَسَـأَلْتُهَا عَمَّـا قَـالَ فَقَـالَتْ: مَـا كُنْـتُ لأُفْشِـيَ سِـرَّ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ. حَتَّـى إِذَا قُبِـضَ سَـأَلْتُهَا. فَقَـالَتْ: إِنَّـهُ كَـانَ حَدَّثَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَـانَ يُعَارِضُـهُ بِـالْقُرْآنِ كُـلَّ عَـامٍ مَـرَّةً، وَإِنَّـهُ عَارَضَـهُ بِـهِ فِي الْعَـامِ مَرَّتَيْـنِ «وَلا أُرَانِـي إلا قَـدْ حَضَـرَ أَجَلِـي. وَإِنَّـكِ أَوَّلُ أَهْلِـي لُحُوقًـا بِـي. وَنِعْـمَ السَّـلَفُ أَنَـا لَـكِ» فَبَكَيْـتُ لِذَلِـكَ. ثُـمَّ إِنَّـهُ سَـارَّنِي فَقَـالَ: «أَلا تَرْضَيْـنَ أَنْ تَكُونِـي سَـيِّدَةَ نِسَـاءِ الْمُؤْمِنِيـنَ، أَوْ سَـيِّدَةَ نِسَـاءِ هَـذِهِ الأُمَّـةِ؟» فَضَحِكْـتُ لِذَلِـكَ.

المعنى العام

السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول اللَّه ﷺ، كانت تكنى أم أبيها، أصغر بنات النبى ﷺ، وأحبهن إليه، ولدت والكعبة تبنى، والنبى ﷺ ابن خمس وثلاثين على المشهور، وقيل سنه إحدى وأربعين من مولد الرسول ﷺ. تزوجها على رضي الله عنه أوائل المحرم سنة ثنتين، وأصدقها درعه التى أعطاه إياها رسول اللَّه ﷺ يوم بدر، وفى زواجها بعث معها رسول اللَّه ﷺ بخميلة ووسادة من جلد حشوها ليف ورحاءين وسقاءين، وانقطع نسل النبى ﷺ إلا من فاطمة، عاشت بعد النبى ﷺ ستة أشهر، ودفنت بالبقيع، وقيل: فى زاوية فى دار عقيل، وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع، كانت فى تشييعها أول من غطى نعشها من النساء فى الإسلام، فقد روى أنها قالت لأسماء بنت عميس: يا أسماء. إنى استقبحت ما يصنع بالنساء، أنه يطرح على المرأة الثوب، فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول اللَّه ﷺ، ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة؟ فدعت بجريد رطب، فوقسته، ثم طرحت عليه ثوبا. فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، فإذا أنا مت فاجعلوا على هذا.

كانت رضى اللَّه عنها أشبه الناس كلاما ومشية برسول اللَّه ﷺ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها، كما كانت تصنع هى به صلى اللَّه عليه وسلم.

وهو صلى اللَّه عليه وسلم القائل: فاطمة بضعة منى: يقلقنى ما يقلقها، ويؤذينى ما يؤذيها، ويرضينى ما يرضيها، ويبسطنى ما يبسطها، ويقبضنى ما يقبضها، وقد حماها صلى اللَّه عليه وسلم من أن يتزوج عليها زوجها، حماية لها من تغاير النساء، بإذن من اللَّه تعالى، فقال لعلى، حين علم رغبته في الزواج من ابنة أبي جهل. قال لعلى: لا آذن لك، ولا آذن لك، ولا آذن لك أن تجمع بين ابنة رسول اللَّه وبين ابنة عدو اللَّه، فصرف على نظره عن الزواج عليها، حتى ماتت رضى اللَّه عنها.

ولم يكن أحد من أولاد النبى ﷺ حيا حين وفاته إلا فاطمة، وأحس صلى اللَّه عليه وسلم وهو فى مرض الموت جزع فاطمة عليه، وحسرتها وآلامها عند موته، فأراد تخفيف الصدمة عليها، وتهيئتها

لاستقبال الفجيعة، وإعلامها بالمصيبة قبل حصولها، فأسر إليها أنه يتوقع حضور الأجل في هذا المرض، فبكت بكاء شديداً، فأسر إليها أنها أول أهله لحوقا به، فسرت كثيرا وضحكت. رضي الله عنها وأرضاها.

المباحث العربية

(**إن بني هاشم بن المغيرة**) كذا وقع عند مسلم « بني هاشم » وعند البخاري « بني هشام » قال الحافظ ابن حجر: والصواب « هشام » لأنه جد المخطوبة. اهـ.

وبنو هشام هم أعمام بنت أبي جهل، لأنه أبو الحكم عمرو بن هشام بن المغيرة، وقد أسلم أخواه الحارث بن هشام وسلمة بن هشام عام الفتح، وحسن إسلامهما، وقد خطب علي ﷺ بنت أبي جهل من عمها الحارث بن هشام، فقال له: لا نزوجك على فاطمة، إلا أن يأذن رسول الله ﷺ، والظاهر أن الرسول ﷺ لم يأذن له، ثم خطب الناس، يبين سبب عدم إذنه، لئلا تذهب النفوس مذاهب غير سليمة، فسبب الخطبة استئذان بني هشام، وقيل: إن سبب الخطبة ما أشيع عن خطبة علي ابنة أبي جهل، قبل أن يستأذن بنو هشام، ففي روايتنا الرابعة عن الزهري عن علي بن الحسين « أن علي خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي ﷺ، فقالت: إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك »، وفي رواية ابن حبان « إن الناس يزعمون أنك لا تغضب لبناتك »، « وهذا علي ناكحاً ابنة أبي جهل » كذا في مسلم « ناكحا » بالنصب على الحال، وأطلقت عليه وصف « ناكح » مجازا، على سبيل مجاز المشارفة، أي مشرف على النكاح، وقيل: على سبيل تنزيل غير الواقع المصمم على وقوعه منزلة الواقع،فقام النبي ﷺ فخطب على المنبر»

(**استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب**) وقد أخرج الحاكم أن عليا ﷺ استشار النبي ﷺ بشأنها بعد أن خطبها من عمها، سأله عنها، فقال له صلى الله عليه وسلم: أعن حسبها تسألني؟ فقال: لا؛ ولكن أتأمرني بها؟ قال: لا . فاطمة مضغة مني، ولا أحسب إلا أنها تحزن، أو تجزع، فقال علي: لا آتي شيئا تكرهه » قال الحافظ ابن حجر: ولعل هذا الاستئذان وقع بعد خطبة النبي ﷺ بما خطب، ولم يحضر علي الخطبة المذكورة، فاستشار، فلما قال له: لا، لم يتعرض بعد ذلك لطلبها، ولهذا جاء في رواية « فترك علي الخطبة » وفي رواية « فسكت علي عن ذلك » اهـ. قلت: ولا مانع من كون الخطبة بعد استشارة علي ﷺ، وبعد وعده بعدم الزواج منها، إذ لم تكن الخطبة لمنع علي، وإنما كانت لبيان الحكم والحكمة، قطعا لنشر الخبر وتأويلاته . والله أعلم.

واختلف في اسم ابنة أبي جهل، فقيل جويرية، وهذا الأشهر، وقيل العوراء، وقيل: الحنفاء، وقيل جرهمة، وقيل: جميلة.

(**فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم**) كرر ذلك ثلاثا للتأكيد، أو لرفع المجاز، وأن يكون عدم الإذن مؤقتا، و« لا » نافية، والفاء في جواب شرط مقدر، أي إذا كانوا يستأذنون فلا آذن.

(**إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي، وينكح ابنتهم**) الاستثناء مفرغ من

عموم الأحوال أو الأزمنة، أى لا آذن فى حال من الأحوال، أو فى وقت من الأوقات، إلا فى حال طلاقه ابنتى، أو فى وقت طلاقه ابنتى، فآذن، حيث لا يحتاج شرعا إلى إذنى حينئذ، وليس المراد تعلق الإذن بحب على ذلك، بل بوقوعه، أى إلا أن يقع من ابن أبى طالب طلاق ابنتى.

(**فإنما ابنتى بضعة منى، يريبنى ما رابها، ويؤذينى ما آذاها**) « بضعة » بفتح الباء، قال النووى: لا يجوز غيره، وقال الحافظ ابن حجر: وحكى ضمها، وكسرها أيضا ، وسكون الضاد أى قطعة، وفى الرواية الرابعة « وإن فاطمة بنت محمد مضغة منى » والمضغة فى الأصل قطعة اللحم قدر ما يمضغ، و« يريبنى » بفتح الياء، « ما رابها » من « راب » الثلاثى، ووقع فى رواية البخارى « يريبنى ما أرابها » بضم الياء من « أراب » الرباعى، والريب ما دخلك من شيء خفت عقباه، قال الفراء وغيره: راب وأراب بمعنى، وقيل: رابنى الأمر تيقنت منه الريبة، وأرابنى شككنى وأوهمنى، وأما قوله « ويؤذينى ما آذاها » أى يؤلمنى ما يؤلمها، وفى رواية للبخارى « فمن أغضبها أغضبنى » وفى رواية « فمن آذاها فقد آذانى » وفى رواية « يؤذينى ماآذاها، وينصبنى ما أنصبها » من النصب، وهو التعب، وعند الحاكم « يقبضنى ما يقبضها، ويبسطنى ما يبسطها ».

(**لقيه المسور بن مخرمة، فقال له: هل لك إلى من حاجة تأمرنى بها؟ قال: فقلت له: لا**) تقدير الكلام: قال على بن الحسين: لقينى المسور، فقال لى: هل لك إلى من حاجة ومساعدة، فقلت له: لا، والمسور من شيعة على.

(**قال له: هل أنت معطى سيف رسول الله ﷺ، فإنى أخاف أن يغلبك القوم عليه، وايم الله! لئن أعطيتنيه لا يخلص إليه أبدا، حتى تبلغ نفسى**) « معطى » بضم الميم وسكون العين وكسر الطاء وتشديد الياء، والذى يظهر أن المراد بالسيف المذكور « ذو الفقار» وكان عند على بن الحسين، وأراد المسور أنه لو أودع عنده السيف لا يمكن أحدا منه حتى تزهق روحه. يبالغ بذلك فى تعصبه لعلى بن الحسين، وأنه مستعد لبذل نفسه دون السيف، رعاية لود ابن فاطمة، فأراد بذلك صيانة سيف النبى ﷺ وحفظه لعلى بن الحسين لئلا يأخذه منه أعداؤه.

(**إن على بن أبى طالب خطب بنت أبى جهل على فاطمة**) إلخ . ومناسبة هذا الكلام لقصة السيف من جهة أن رسول الله ﷺ كان يحترز عما يوجب التكدير بين الأقرباء، أى فكذلك كان ينبغى أن تعطينى السيف، حتى لا يحصل بينك وبين أقربائك كدورة بسببه، أو كما أن رسول الله ﷺ كان يحب رفاهية خاطر فاطمة رضي الله عنها، فأنا أيضا أحب رفاهية خاطرك لكونك ابن ابنها، فأعطنى السيف، حتى أحفظه لك، وهذا الأخير هو المعتمد.

(**فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس فى ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذ محتلم**) قال ابن سيد الناس: هذا غلط، والصواب ما وقع عند الإسماعيلى بلفظ « كالمحتلم » قال: لأن المسور لم يحتلم فى حياة النبى ﷺ، لأنه ولد بعد ابن الزبير فيكون عمره عند وفاة النبى ﷺ ثمانى سنين، قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظر، أى فى ادعاء الغلط نظر، إذ يمكن حملها على المبالغة، والمراد التشبيه بالمحتلم، فتلتئم رواية « محتلم » مع رواية « كالمحتلم » أى إنه كالمحتلم فى الحذق والفهم والحفظ.

(**وإنى أتخوف أن تفتن فى دينها**) فتقع منها المعصية بسبب الغيرة، يعنى أنها لا تصبر على الغيرة، فيقع منها فى حق زوجها فى حال الغضب ما لا يليق بحالها فى الدين، وفى الرواية الرابعة «وإنى أكره أن يفتنوها».

(**ثم ذكر صهرًا له من بنى عبد شمس**) هو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، أمه هالة بنت خويلد، أخت خديجة، تزوج زينب بنت رسول الله ﷺ، وكان من رجال مكة المعدودين مالا، وأمانة وتجارة، أسلمت زينب، ولم يسلم، حارب فى صفوف الكفار يوم بدر، فكان من الأسرى، ولما بعثت قريش فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ بقلادة لها، كانت أمها خديجة أدخلتها بها على أبى العاص، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، وقال للمسلمين: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها قلادتها؟ ففعلوا، فاشترط عليه رسول الله ﷺ أن يرسل زينب إلى المدينة، وأن يخلى سبيلها، فوفى، وفعل.

وفى جمادى سنة ست من الهجرة خرج أبو العاص بن الربيع فى عير لقريش إلى الشام، فبعث النبى ﷺ زيد بن حارثة فى سبعين ومائة راكب، فلقوا العير بناحية العيص، وفيهم أبو العاص، فقالوا له: يا أبا العاص. إنك فى شرف من قريش، وأنت صهر رسول الله ﷺ، فهل لك أن تسلم، فتغنم ما معك من أموال أهل مكة؟ قال: بئسما أمرتمونى به، أن أنسخ دينى بغدرة، فأسروه وجماعة، وأخذوا العير، وعادوا إلى المدينة وربط الأسرى بالمسجد، وعلمت به زينب، فلما صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح نادت زينب: إنى أجرت أبا العاص بن الربيع، فقال رسول الله ﷺ: هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم. قال: والذى نفس محمد بيده ما علمت شيئا مما كان حتى سمعت، وإنه يجير على المسلمين أدناهم، وقد أجرنا من أجارت، ثم أمرها أن لا يقربها، فطلبت أن يرد على أبى العاص ما كان فى القافلة، ففعل، فمضى أبو العاص إلى مكة، فأدى الحقوق لأهلها، ثم قام فقال: يا أهل مكة، هل أوفيت ذمتى لكم؟ قالوا: اللهم نعم. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم قدم المدينة مهاجرا قبل الفتح بقليل، فدفع إليه رسول الله ﷺ زوجته.

رزق أبو العاص من زينب ولدا يسمى عليا، مات فى حياة أبيه، وقد ناهز الاحتلام، وبنتا تسمى أمامة، كان رسول الله ﷺ يحملها فى صلاته، وعاشت حتى تزوجها على ﷺ بعد وفاة خالتها فاطمة، وتوفى أبو العاص فى خلافة أبى بكر، سنة اثنتى عشرة من الهجرة.

(**فأثنى عليه فى مصاهرته إياه، فأحسن. قال: حدثنى فصدقنى، ووعدنى فأوفى لى**) الصهر يطلق على الزوج وأقاربه وأقارب المرأة، وهو مشتق من صهرت الشىء، وأصهرته إذا قربته، والمصاهرة مقاربة بين الأجانب والمتباعدين . وقوله «فأحسن» أى أحسن الثناء عليه، وكان مما قال فى ثنائه: حدثنى فصدقنى، يشير بذلك إلى ما مضى فى القصة عند فك أسره ببدر، وأنه لن يسلم حتى يعتقد ويصدق، ومع ذلك أحسن عشرة زينب، وأحبها، وأرادت قريش منه أن يطلقها فأبى، ومما قاله صلى الله عليه وسلم فى ثنائه «ووعدنى فأوفى لى» إشارة إلى ما سبق فى القصة من وفائه بإخلاء سبيل زينب، ووفائه بالإسلام بعد أن يؤدى لقريش حقوقها.

(**وإنى لست أحرم حلالا، ولا أحل حراما**) بعدم إذنى لعلى أن يتزوج على فاطمة، أى لا

أقول شيئًا يخالف حكم اللّه، فإذا أحل شيئًا لم أحرمه، وإذا حرم شيئًا لم أحلله، فعدم إذنى لعلى ليس تحريمًا عليه ما أحل. وسيأتى فى فقه الحديث مزيد إيضاح لذلك.

(**ولكن. واللّه لا تجتمع بنت رسول اللّه، وبنت عدو اللّه مكانا واحدا أبدا**) وفى رواية « ولكن واللّه لا تجتمع بنت رسول اللّه، وبنت عدو اللّه عند رجل أبدًا » وفى الرواية الرابعة « عند رجل واحد أبدًا ».

(**أن رسول اللّه ﷺ دعا فاطمة ابنته**) أى فأتت، وكان ذلك فى مرضه الأخير، وفى الرواية السادسة « كن أزواج النبى ﷺ عنده » فى التعبير الجمع بين الضمير الفاعل والاسم الظاهر، كقوله « يتعاقبون فيكم ملائكة » « لم يغادر منهن واحدة » أى كن كلهن مجتمعات « فأقبلت فاطمة تمشى » ما تخطئ مشيتها من مشية رسول اللّه ﷺ شيئًا، فلما رآها رحب بها، فقال: مرحبا بابنتى، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله » فى الرواية السابعة « فجاءت فاطمة تمشى، كان مشيتها مشية رسول اللّه ﷺ ».

(**فسارها، فبكت، ثم سارها فضحكت**) وفى الرواية السادسة « ثم سارها فبكت بكاء شديدًا، فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت » وفى الرواية السابعة « ثم إنه أسر إليها حديثًا، فبكت فاطمة، ثم إنه سارها فضحكت أيضًا ».

(**قالت عائشة: فقلت لفاطمة: ما هذا الذى سارك به رسول اللّه ﷺ، فبكيت؟ ثم سارك فضحكت؟ قالت: سارنى، فأخبرنى بموته، فبكيت، ثم سارنى، فأخبرنى أنى أول من يتبعه من أهل، فضحكت**) سألت عائشة فاطمة عقب المسارتين، فامتنعت عن الإجابة، فلما قام رسول اللّه ﷺ سألتها السؤال نفسه مرة ثانية، فاعتذرت عن الإجابة، فلما مات رسول اللّه ﷺ سألتها مرة ثالثة، فأجابت، فالجواب المذكور هنا جواب السؤال فى المرة الثالثة ففى الرواية السادسة « فقلت لها: خصك رسول اللّه ﷺ من بين نسائه بالسرار، ثم أنت تبكين؟ فلما قام رسول اللّه ﷺ، سألتها: ما قال لك رسول اللّه ﷺ؟ قالت: ما كنت لأفشى على رسول اللّه ﷺ سره، فلما توفى رسول اللّه ﷺ قلت: عزمت عليك بما لى عليك من الحق، لما حدثتنى ما قال لك رسول اللّه ﷺ. فقالت: أما الآن فنعم. أما حين سارنى فى المرة الأولى فأخبرنى أن جبريل كان يعارضه القرآن فى كل سنة مرة أو مرتين (كذا فى الرواية السادسة، قال النووى: وذكر المرتين شك من بعض الرواة، والصواب حذفها كما فى باقى الرواية) وإنه عارضه الآن مرتين، وإنى لا أرى (بضم الهمزة، أى لا أظن الأجل إلا قد اقترب فاتقى اللّه واصبرى، وإنه نعم السلف أنا لك، (والسلف المتقدم) قالت: فبكيت بكائى الذى رأيت، فلما رأى جزعى سارنى الثانية، فقال: يا فاطمة، أما ترضى (قال النووى: هكذا هو فى النسخ « ترضى » وهو لغة، والمشهور « ترضين ») أن تكونى سيدة نساء المؤمنين؟ أو سيدة نساء هذه الأمة؟ قالت: فضحكت الذى رأيت » وفى الرواية السابعة قريب من ذلك.

فقه الحديث

الروايات الأربع الأوليات فى رغبة علىّ الزواج من ابنة أبى جهل على زوجته فاطمة بنت محمد ﷺ، وعنها يقول النووى:

أعلم صلى اللّه عليه وسلم بإباحة نكاح بنت أبى جهل لعلى، بقوله صلى اللّه عليه وسلم فى روايتنا الثالثة «لست أحرم حلالا» ولكن نهى عن الجمع بينهما، لعلتين منصوصتين، إحداهما: أن ذلك يؤدى إلى إيذاء فاطمة، فيتأذى حينئذ النبى ﷺ، فيهلك من أذاه، فنهى عن ذلك لكمال شفقته على علىّ، وعلى فاطمة (والنص على هذه العلة قوله فى الرواية الأولى والثانية «فإنما ابنتى بضعة منى، يريبنى ما رابها، ويؤذينى ما آذاها») والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة. اهـ والنص على هذه العلة قوله فى الرواية الرابعة «وإنما أكره أن يفتنوها» وسواء أراد النووى أن العلة مجموع الأمرين، وأن كلا منهما جزء علة، أو أراد أن كلا منهما علة مستقلة، توجب المعلول، فإن المعنى أن النهى عن الجمع بين فاطمة وبين بنت أبى جهل حينئذ ليس لذاته، وإنما لما يؤدى إليه، والشيء قد يكون مباحا فى ذاته، لكنه يمنع وينهى عنه إذا كان وسيلة لمحرم، من قبيل إعطاء الوسيلة حكم الغاية، كالخطوات فإنها إن كانت للصلاة كان لها الأجر، وإن كانت لفاحشة كان عليها الوزر. قال ابن التين: أصح ما تحمل عليه هذه القصة أن النبى ﷺ حرم على علىٍّ أن يجمع بين ابنته وبين ابنة أبى جهل، لأنه علل بأن ذلك يؤذيه وأذيته حرام بالاتفاق، ومعنى قوله «لا أحرم حلالا» أى هى حلال له لو لم تكن عنده فاطمة، وأما الجمع بينهما الذى يستلزمه تأذى النبى ﷺ، لتأذى فاطمة به فلا. اهـ ومعنى هذا أن فاطمة لو رضيت بذلك، لم يمنع على من التزويج بها أو بغيرها.

ثم قال النووى: وقيل: ليس المراد به النهى عن جمعهما، بل معناه أنه صلى اللّه عليه وسلم يعلم أن من فضل اللّه أنه قضى أنهما لا تجتمعان (فكأن قوله «واللّه لا تجتمع بنت رسول اللّه وبنت عدو اللّه مكانًا واحدًا أبدًا» ليس نهيا، ولكنه إخبار عما سيحصل، لوثوق المخبر بالخبر).

ثم قال: ويحتمل أن المراد النهى وتحريم جمعهما، ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت رسول اللّه ﷺ وبنت عدو اللّه ويكون معنى «لا أحرم حلالا» أى لا أقول شيئا يخالف حكم اللّه، فإذا أحل شيئًا لم أحرمه، وإذا حرمه لم أحللّه، ولم أسكت عن تحريمه، لأن سكوتى تحليل له. اهـ أى هذا الجمع حرام من عند اللّه، فأنا لا أحلل ولا أحرم من عند نفسى.

قال الحافظ ابن حجر: والذى يظهر لى أنه لا يبعد أن يعد فى خصائص النبى ﷺ أن لا يتزوج على بناته، ويحتمل أن يكون ذلك خاصا بفاطمة عليها السلام.

ويؤخذ من الأحاديث فوق ما تقدم

١- تحريم أذى من يتأذى النبى ﷺ بتأذيه، لأن أذى النبى ﷺ حرام اتفاقا، قليله وكثيره.

٢- وفيه حجة لمن يقول بسد الذرائع.

٣- وفيه بقاء عار الآباء فى أعقابهم، لقوله «بنت عدو اللّه» فإن فيه إشعاراً بأن للوصف تأثيرا فى المنع، مع أنها كانت مسلمة، حسنة الإسلام.

٤- احتج بهذا بعضهم، فمنع كفاءة من مس أباه الرق، ثم أعتق، بمن لم يمس أباها الرق، ومن مسه الرق بمن لم يمسها الرق أى، بل مس أباها فقط.

٥- وفيه أن الغيراء إذا خشى عليها أن تفتن فى دينها كان لوليها أن يسعى فى إزالة ذلك وذب الرجل عن ابنته فى دفع الغيرة عنها والإنصاف لها، وقد استشكل اختصاص فاطمة بذلك، مع أن الغيرة كانت فى أزواج النبى ﷺ، ولم يخش عليهن ما خشى على فاطمة؟ وأجيب بأن فاطمة كانت إذ ذاك فاقدة من تركن إليه، ممن يؤنسها، ويزيل وحشتها من أم أو أخت، بخلاف أمهات المؤمنين، فإن كل واحدة منهن كانت ترجع إلى من يحصل لها ذلك، على أن زوجهن صلى الله عليه وسلم كان عنده من الملاطفة، وتطييب القلوب، وجبر الخواطر ما لم يكن عند غيره، فكانت كل واحدة منهن ترضى منه جميع ما يصدر منه، لحسن خلقه، بحيث لو وجد منها ما يخشى وجوده من الغيرة لزال عن قرب.

٦- وفيه إكرام من ينتسب إلى الخير أو الشرف أو الديانة.

٧- وفى قصة المسور والسيف، فى الرواية الثالثة تبرك الصحابة بأدوات النبى ﷺ.

٨- وأن النبى ﷺ لم يورث،ولم يبع ما ترك، بل ترك بيد من صار إليه، ولو كان ميراثا لبيع وقسم.

٩- وفيه الأخذ بالعموم حتى يظهر خلافه، فإن عليا ؓ أخذ بعموم الجواز، فخطب بنت أبى جهل، فلما ظهر له خلافه ترك الخطبة.

١٠- وفى الرواية الثالثة والرابعة منقبة للعاص بن الربيع.

١١- وفضيلة الإحسان فى المصاهرة.

١٢- وفى الرواية الخامسة والسادسة والسابعة معجزة ظاهرة للنبى ﷺ، بل معجزتان، إذ أخبر صلى الله عليه وسلم ببقاء فاطمة بعده، وبأنها أول أهله لحوقا به، ووقع كذلك.

١٣- وفى ضحك فاطمة رضى الله عنها إيثارهم الآخرة، وسرورهم بالانتقال إليها .

١٤- وفيه فضيلة لفاطمة رضى الله عنها.

١٥- وأنها أفضل بناته صلى الله عليه وسلم . رضى الله عنها وعن الصحابة أجمعين

(٦٤٦) باب من فضائل أم سلمة رضى الله عنها

٥٤٩٣- ١٠٠/١ عَن سَلْمَانَ ﷺ(١٠٠) قَالَ: لا تَكُونَنَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ. قَالَ: وَأُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلام أَتَى نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ. قَالَ: فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ ثُمَّ قَامَ. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لأُمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ. قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ. قَالَ: فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: ايْمُ اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلا إِيَّاهُ. حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُ خَبَرَنَا. أَوْ كَمَا قَالَ. قَالَ: فَقُلْتُ لأَبِي عُثْمَانَ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ.

المعنى العام

أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة القرشية المخزومية أم المؤمنين واسمها على المشهور هند، ويلقب أبوها بزاد الراكب، لأنه كان أحد الأجواد، فكان إذا سافر لا يترك أحدا يرافقه ومعه زاد، بل يكفى رفقته من الزاد. وكانت أم سلمة زوجا لابن عمها أبى سلمة بن عبد الأسد، وكانت ممن أسلم قديما هى وزوجها، وهاجرا إلى الحبشة، فولدت له سلمة، ثم قدما مكة، وهاجرا إلى المدينة، ولهجرتها قصة مشهورة، فولدت له بالمدينة عمر ودرة وزينب.

مات عنها زوجها، فتزوجها النبى ﷺ سنة أربع من الهجرة، وكانت موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرأى الصائب، ولها مشورة مشهورة فى غزوة الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها، أنقذت الأمة الإسلامية من الخلاف والضلال.

ماتت فى شوال سنة تسع وخمسين على المشهور، وقيل سنة ستين، وكانت آخر أمهات المؤمنين موتاً. رضى الله عنها وأرضاها.

المباحث العربية

(**قال: لا تكونن - إن استطعت - أول من يدخل السوق**) هذه وصية سلمان لفظا وفى كونها فى حكم المرفوع خلاف.

(**فإنها معركة الشيطان**) المعركة بفتح الراء موضع القتال، لمعاركة الأبطال بعضهم بعضا فيها، ومصارعتهم، فشبه السوق، وفعل الشيطان بأهلها، ونيله منهم بالمعركة، لكثرة ما يقع فيها من

(١٠٠) حَدَّثَنِي عَبْدُ الأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى الْقَيْسِيُّ كِلاهُمَا عَنِ الْمُعْتَمِرِ قَالَ ابْنُ حَمَّادٍ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ عَنْ سَلْمَانَ قَالَ

أنواع الباطل، كالغش والخداع والأيمان الخائنة، والعقود الفاسدة، والنجش، والبيع على بيع أخيه، والشراء على شرائه، وبخس المكيال والميزان، والضمير فى « فإنها » يعود على السوق، وهى تذكر وتؤنث، سميت بذلك لقيام الناس فيها على سوقهم.

(**وبها ينصب رايته**) كناية عن ثبوته هناك، واجتماع أعوانه، وتحريك جنده، واستغلالهم حركتها فى الإفساد، فهى من أهم مواضع إيقاع البشر فى الشر والسيئات.

(**قال: وأنبئت أن جبريل عليه السلام**) الفعل « أنبئت » مبنى للمجهول، محذوف الفاعل، فهو من مراسيل الصحابة، إن كان القائل سلمان، لكن فى آخر الرواية « فقلت لأبى عثمان: ممن سمعت هذا ؟ قال: من أسامة بن زيد » يفيد أن القائل أبو عثمان، فأصل الرواية: حدثنا معتمر بن سليمان قال: سمعت أبى. حدثنا عثمان عن سلمان قال: لا تكونن .. قال: وأنبئت أن جبريل...إلخ.

(**أتى نبى الله ﷺ وعنده أم سلمة، فجعل يتحدث، ثم قام**) أى انصرف.

(**هذا دحية**) بفتح الدال وكسرها، وهو ابن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس ابن الخزرج صحابى مشهور، أول مشاهده الخندق، ولم يشهد بدرًا ولا أحدًا، وكان يضرب به المثل فى حسن الصورة. شهد اليرموك، ونزل دمشق، وسكن المزة، وعاش إلى خلافة معاوية.

والظاهر أن الرسول ﷺ سكت عند قول أم سلمة: هذا دحية، ولم يخبرها بحقيقته، حتى سمعته صلى الله عليه وسلم يخطب الناس، ويعلمهم أن جبريل عليه السلام يأتيه أحيانا فى صورة دحية.

(**يخبر خبرنا**) قال النووى: هكذا هو فى نسخ بلادنا، وكذا نقله القاضى عياض عن بعض الرواة والنسخ، وعن بعضهم « يخبر خبر جبريل » قال: وهو الصواب، وقد وقع فى البخارى على الصواب.

فقه الحديث

فيه منقبة لأم سلمة رضى الله عنها، وأنها رأت جبريل عليه السلام.

وفيه جواز رؤية البشر الملائكة، ووقوع ذلك، وأنهم يرونهم على صورة الآدميين، لأنهم لا يقدرون على رؤيتهم على صورهم، وكان النبى ﷺ يرى جبريل على صورة دحية، أحيانا، قال النووى: ورآه مرتين على صورته الأصلية.

وفى الجزء الأول من الحديث أن الأسواق مجالس الشياطين وميدانهم.

والله أعلم

(٦٤٧) باب من فضائل زينب، أم المؤمنين، رضى الله عنها

٥٤٩٤- ١٠١/١ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١٠١]، أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي، أَطْوَلُكُنَّ يَدًا» قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا. قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ. لأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ.

المعنى العام

السيدة زينب بنت جحش الأسدية، أم المؤمنين، زوج النبى ﷺ، وأمها أميمة، عمة النبى ﷺ، زوجها رسول الله ﷺ، مولاه زيد بن حارثة، وكان يدعى زيد ابن محمد، بالتبنى فلما بطل التبنى بقوله تعالى ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾[الأحزاب: ٥] ولم تستقم حالها مع زيد، فطلقها، تزوجها صلى الله عليه وسلم . كما حكى الله تعالى ذلك بقوله ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا﴾[الأحزاب: ٣٧] وكانت تفخر على نساء النبى ﷺ بأنها ابنة عمته، وبأن الله زوجها له، وهن زوجهن أولياؤهن، وكانت لرسول الله ﷺ معجبة، وكان يستكثر منها، وكانت صالحة، صوامة، قوامة، صناعاً، تصنع بيدها تدبغ الجلود وتخرمها وتتكسب، وتتصدق بذلك كله على المساكين، وكانت أول نسائه صلى الله عليه وسلم لحوقا به بعد موته، كان عطاء عمر لها اثنى عشر ألفا، لم تأخذه إلا عاما واحدا، قسمته كله فى الفقراء، وأهل رحمها، فبلغ عمر ذلك، فوقف عليها، وأرسل بالسلام، وقال: بلغنى ما فرقت، فأرسل بألف درهم تستبقيها، فسلكت بها ذلك المسلك، وقالت: اللهم لا يدركنى هذا المال من قابل، فإنه فتنة، فتوفيت من عامها، وكانت قد أعدت لنفسها كفنا، وأوصت بالتصدق به، أو بالكفن الذى سيرسله عمر،فأرسل لها عمر خمسة أثواب، بخرها ثوباً ثوبا، فكفنت منها وتصدقت عنها أختها حمنة بكفنها الذى كانت قد أعدته. تزوجها النبى ﷺ وهى بنت خمس وثلاثين، ماتت سنة عشرين من الهجرة وهى بنت خمسين، وصلى عليها عمر. رضى الله عنها وعن الصحابة أجمعين.

المباحث العربية

(**أسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا**) أى أولكن موتا بعدى، ورواية البخارى صريحة فى أن هذا كان جوابا لسؤالهن، - أو سؤال إحداهن، ففيها « أن بعض أزواج النبى ﷺ قلن للنبى ﷺ: أينا أسرع بك لحوقا؟ قال: أطولكن يدا » وعند ابن حبان ما يفيد أن السائلة عائشة رضى الله عنها، فعنده

---

(١٠١) حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلانَ أَبُو أَحْمَدَ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى السِّينَانِيُّ أَخْبَرَنَا طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى بْنِ طَلْحَةَ عَن عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ عَن عَائِشَةَ

« قالت: فقلت » وقد أخرجه النسائى بلفظ « فقلن » و « لحاقا » بفتح اللام، وهو منصوب على التمييز وفى رواية البخارى « لحوقا » و « يدا » منصوب على التمييز أيضا، وكان المناسب أن يقول « طولاكن » لكنه عبر بما يعبر عنه عن المذكر تعظيما.

(**فكن يتطاولن. أيتهن أطول يدا**) أى ظنن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية، فكن يذرعن أيديهن بقصبة، أو على الحائط، وفى رواية البخارى « فأخذوا قصبة يذرعونها » أى لترى أعينهن بالمقياس أيتهن أطول يدا.

(**قالت: فكانت أطولنا يدا زينب**) بنت جحش، وفى الكلام طى وحذف، والأصل وكانت سودة أطولنا يدا حقيقية، فلما توفيت زينب، وكانت أولنا لحوقا به صلى اللّٰه عليه وسلم كانت هى أطولنا يدا، أى أكثرنا عطاء، أى علمنا أن مراده صلى اللّٰه عليه وسلم طول اليد فى الصدقة، وفعل الخير، وأهل اللغة يقولون: فلان طويل اليد، وطويل الباع، إذا كان سمحا جوادا، وضده قصر اليد، وقصير الباع.

وقد فسرت رواية الحاكم هذا المراد، ولفظها « قال رسول اللّٰه ﷺ لأزواجه: أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا، قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا فى بيت إحدانا بعد وفاة رسول اللّٰه ﷺ نمد أيدينا فى الجدار، نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك، حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبى ﷺ أن أراد بطول اليد الصدقة، وكانت زينب امرأة صناعة باليد، وكانت تدبغ وتخرز - أى وتبيع - وتصدق فى سبيل اللّٰه ».

وقد أوهمت رواية البخارى خلاف الصواب، ولفظها « فكانت سودة أطولهن يدا، فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقا به، وكانت تحب الصدقة ».

قال ابن الجوزى: هذا الحديث غلط من بعض الرواة. اهـ وقد أجمع أهل السير على أن زينب أول من مات من أزواجه، فقوله عن سودة « وكانت أسرعنا لحوقا به » غير صواب، والمعروف أن زينب ماتت سنة عشرين، وأن عمر صلى عليها أما سودة فقد ماتت بعدها فى آخر خلافة عمر على المشهور وحاول العلماء توجيه رواية البخارى، فمنهم من وجهها بتقدير محذوفات، أى قالت عائشة: فأخذوا قصبة يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يدا على الحقيقة، فعلمنا بعد أنما المراد طول اليد بالصدقة، أى بعد وفاة زينب، وكانت -أى زينب- أسرعنا لحوقا به،، ففى الرواية حذف، وقد خلفت الضمائر مع الحذف هذا الإيهام، قال الزين بن المنير: قولها « فعلمنا بعد » يشعر إشعاراً قويا أنهن حملن طول اليد على ظاهره، ثم علمن بعد ذلك خلافه، وأنه كناية عن كثرة الصدقة، والذى علمنه أخيرا خلاف ما اعتقدنه أولاً. اهـ

وقد جمع الطيبى بين الحديثين، فقال: يمكن أن يقال فيما رواه البخارى: المراد الحاضرات من أزواجه، دون زينب، فلم تكن حاضرة، وكانت سودة أولهن موتا، قال الحافظ ابن حجر: لكن يعكر على هذا أن فى رواية ابن حبان « أن نساء النبى ﷺ اجتمعن عنده، لم تغادر منهن واحدة » والتحقيق أن فى رواية البخارى وهما من الرواة.

فقه الحديث

١- فى الحديث منقبة جليلة لزينب بنت جحش رضى اللَّه عنها.

٢- وفيه فضل الصدقة.

٣- وفيه معجزة لرسول اللَّه ﷺ.

٤- وفيه أن من حمل الكلام على ظاهره وحقيقته لا يلام، وإن كان مراد المتكلم مجازه، لأن النسوة حملن الكلام على الحقيقة، فلم ينكر عليهن.

٥- قال المهلب: فى الحديث دلالة على أن الحكم للمعانى، لا للألفاظ، لأن النسوة فهمن من طول اليد الجارحة، وإنما المراد بالطول كثرة الصدقة. اهـ. لكن ما قاله لا يطرد.

واللَّه أعلم

(٦٤٨) باب من فضائل أم أيمن، رضى اللّٰه عنها

٥٤٩٥- $\frac{١٠٢}{١}$ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه[١٠٢] قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ. فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ. فَنَاوَلَتْهُ إِنَاءً فِيهِ شَرَابٌ. قَالَ: فَلا أَدْرِي أَصَادَفَتْهُ صَائِمًا أَوْ لَمْ يُرِدْهُ. فَجَعَلَتْ تَصْخَبُ عَلَيْهِ وَتَذَمَّرُ عَلَيْهِ.

٥٤٩٦- $\frac{١٠٣}{٢}$ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه[١٠٣] قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُهَا. فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ. فَقَالا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ. فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ. وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ. فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ. فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا.

المعنى العام

أم أيمن مولاة النبى ﷺ وحاضنته، قالوا: كان النبى ﷺ ورثها عن أمه فأعتقها حين تزوج خديجة، وقالوا: كانت وصيفة لعبد اللّٰه بن عبد المطلب، والد النبى ﷺ، وكانت من الحبشة، فلما ولدت آمنة رسول اللّٰه ﷺ، بعدما توفى أبوه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر، وتزوجها عبيد بن زيد، من بنى الحارث بن الخزرج، قبل الإسلام، فولدت له « أيمن » أسلم. وصحب النبى ﷺ، واستشهد فى خيبر، ولما تبنى الرسول ﷺ زيد بن حارثة وزوجه أم أيمن، ولدت له أسامة وكان النبى ﷺ يزورها، وكانت تدل عليه، وترفع صوتها، كما تفعل الأم، وكان يعاملها معاملة الأم، وقد روى البخارى وأحمد أن الرجل كان يجعل للنبى ﷺ النخلات، حتى فتحت عليه قريظة والنضير، فجعل يرد بعد ذلك، فسأله أحدهم أن يرد عليه بعض الذى أخذه، وكان أعطاه لأم أيمن - فأعطاه له، فجاءت أم أيمن، فجعلت تلوح بالثوب، وتقول: كلا واللّٰه لا يعطيكهن وقد أعطانيهن، فقال النبى ﷺ: لك كذا وكذا، وتقول: كلا، حتى أعطاها عشرة أمثاله.

وحفظ الصحابة مودتها كما حفظها رسول اللّٰه ﷺ، فكان أبو بكر وعمر يزورانها بعد وفاته صلى اللّٰه عليه وسلم، وتوفيت فى خلافة عثمان - رضى اللّٰه عنها وأرضاها.

---

(١٠٢) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ

(١٠٣) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ الْكِلَابِيُّ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ

المباحث العربية

(**انطلق رسول اللَّه ﷺ إلى أم أيمن، فانطلقت معه**) الظاهر أن هذا الانطلاق كان لمجرد زيارتها، فقد كان صلى اللَّه عليه وسلم يزورها كثيرا، كما هو صريح الرواية الثانية، وكان خادمه أنس يصحبه فى أغلب الزيارات.

(**فناولته إناء فيه شراب**) أى فلم يأخذه، ولم يشرب منه، وكان قصدها إكرامه وتحيته، وفى بعض الروايات « فقربت إليه لبنا ».

(**فلا أدرى. أصادفته صائما؟ أو لم يرده**) أى لا يدرى أنس، سر إحجامه صلى اللَّه عليه وسلم عن الشرب، لأنه صلى اللَّه عليه وسلم لم يبن عنه لأم أيمن، ولم يكن يعلم أنس حاله، إذ كان صلى اللَّه عليه وسلم كثير الصوم، دون أن يخبر عن صومه، والغالب أنه كان صائما، ومن المستبعد أن يعاف شرابها، فهى حاضنته ومربيته.

(**فجعلت تصخب عليه**) أى تصيح، وترفع صوتها عليه، تنكر عليه رفض الشراب، وتلح عليه أن يشرب.

(**وتذمر عليه**) بفتح التاء والذال وتشديد الميم، وأصله تتذمر، حذفت إحدى التاءين تخفيفا، والتذمر الكلام بغضب، يقال: ذمر يذمر، كقتل يقتل إذا غضب، وإذا تكلم بالغضب، وكان هذا منها دلالا عليه صلى اللَّه عليه وسلم، وكان يتقبل مثل هذا منها وفاء بحقها، وكان يقول « أم أيمن أمى بعد أمى ».

(**قال أبو بكر ﷺ بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن، نزورها، كما كان رسول اللَّه ﷺ يزورها**) هذا من قبيل الوفاء للميت، وإكرامه، فتكريم من كان يكرمه من باب الإحسان إليه .

(**فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند اللَّه خير لرسول اللَّه ﷺ**) القائل واحد منهما، وأسند القول إليهما لموافقة الثانى ورضاه، وقد ظنا أن بكاءها أسفا على موت الرسول ﷺ وحزنا على فراقه، فصبراها بما قالا.

(**ولكن أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء**) الكلام معطوف على محذوف، والتقدير: لا أبكى أسفا وحزنا على فراقه ﷺ، فأنا أعلم أنه فارقنا إلى ما هو خير له، ولكن أبكى انقطاع الوحى من السماء إلى الأرض، وكان فى نزوله الرحمة، ووصلنا بالسماء.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١-فضيلة لأم أيمن، وتقدير الرسول ﷺ لها، ومن بعده تقدير الصاحبين لها.

٢- قال النووى: فيه أن للضيف الامتناع من الطعام والشراب الذى يحضره المضيف، إذا كان له عذر من صوم أو غيره مما هو مقرر فى كتب الفقه.

٣- وفيه زيارة الصالحين وفضلها.

٤- وزيارة الصالح لمن هو دونه.

٥- وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزوره.

٦- وزيارة المسلم لأهل ود صديقه.

٧- وزيارة جماعة من الرجال للمرأة الصالحة.

٨- وسماع كلامها.

٩- واستصحاب العالم والكبير صاحبا له فى الزيارة والعيادة ونحوها.

١٠- والبكاء حزنا على فراق الصالحين والأصحاب، وإن كانوا قد انتقلوا إلى أفضل مما كانوا عليه. كذا قال النووى: وقد أنكرت فى جوابها أن يكون البكاء للفراق وأفادت أن البكاء لفقد الخير الذى حصل بالحياة، وأنقطع بالموت.

١١- وفى الرواية الأولى إدلال المحب، وصاحب الحق.

١٢- وتقبله صلى الله عليه وسلم لما يصاحب ذلك من إساءة، وعفوه وسماحته.

والله أعلم

(٦٤٩) باب من فضائل أم سليم، وبلال، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

٥٤٩٧- ١٠٤/١ عَن أَنَسٍ ﷺ[١٠٤] قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لا يَدْخُلُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ، إلا عَلَى أَزْوَاجِهِ، إلا أُمِّ سُلَيْمٍ. فَإِنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا. فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ: «إِنِّي أَرْحَمُهَا قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي».

٥٤٩٨- ١٠٥/٢ عَن أَنَسٍ ﷺ[١٠٥]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. فَسَمِعْتُ خَشْفَةً. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ، أُمُّ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ».

٥٤٩٩- ١٠٦/٣ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١٠٦]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُرِيتُ الْجَنَّةَ. فَرَأَيْتُ امْرَأَةَ أَبِي طَلْحَةَ. ثُمَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَةً أَمَامِي. فَإِذَا بِلالٌ».

٥٥٠٠- ١٠٧/٤ عَن أَنَسٍ ﷺ[١٠٧] قَالَ: مَاتَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ مِن أُمِّ سُلَيْمٍ. فَقَالَتْ لأَهْلِهَا: لا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ. قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً. فَأَكَلَ وَشَرِبَ. فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ. فَوَقَعَ بِهَا. فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ! أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ. فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لا. قَالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ. قَالَ: فَغَضِبَ. وَقَالَ: تَرَكْتِنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي! فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا» قَالَ: فَحَمَلَتْ. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِن سَفَرٍ، لا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا. فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ. فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ. فَاحْتُبِسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ. وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ، يَا رَبِّ! إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ، مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخُلَ. مَعَهُ إِذَا دَخَلَ. وَقَدِ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى. قَالَ: تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ! مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ. انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا. قَالَ: وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدَتْ غُلامًا. فَقَالَتْ

---

(١٠٤) حَدَّثَنَا حَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَن إِسْحَقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَن أَنَسٍ

١٠٥) و حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا بِشْرٌ يَعْنِي ابْنَ السَّرِيِّ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَن ثَابِتٍ عَن أَنَسٍ

(١٠٦) حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

(١٠٧) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا بَهْزٌ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَن ثَابِتٍ عَن أَنَسٍ

لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ لاَ يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ. فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مِيسَمٌ. فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: «لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. فَوَضَعَ الْمِيسَمَ. قَالَ: وَجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ. وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَجْوَةٍ مِن عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ. فَلاَكَهَا فِي فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ. ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ. فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الْأَنْصَارِ التَّمْرَ» قَالَ: فَمَسَحَ وَجْهَهُ. وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ.

- بِمِثْلِهِ(-).

٥٥٠١- ١٠٨/هـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(١٠٨) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِبِلالٍ، عِنْدَ صَلاةِ الْغَدَاةِ: «يَا بِلالُ! حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ، عِنْدَكَ، فِي الإِسْلامِ مَنْفَعَةً. فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ» قَالَ بِلالٌ: مَا عَمِلْتُ عَمَلا فِي الإِسْلامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةً مِن أَنِّي لا أَتَطَهَّرُ طُهُورًا تَامًّا فِي سَاعَةٍ مِن لَيْلٍ وَلا نَهَارٍ، إِلا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ، مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.

المعنى العام

أم سليم بنت ملحان الأنصارية، أسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار، اتخذت خنجرا يوم حنين، وقالت: إنا دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه، عرضت ابنها أنسا على رسول اللَّه ﷺ ليخدمه، فقبله، وكانت من عقلاء النساء، ومن الصالحات، يشهد لعقلها قولها فى أحاديثنا: «يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم. ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك» ويشهد لصلاحها رؤية الرسول ﷺ لها فى الجنة، ويكفى أن الرسول ﷺ كان يدخل بيتها دون تكلف، بل ويقيل فيه، سواء أكانت موجودة فيه أو غير موجودة، ولزوجها أبى طلحة مناقب كثيرة، ودعاؤه ربه - فى حديثنا - وحرصه على صحبة الرسول ﷺ، واستجابة اللَّه لدعائه خير شاهد على بعض فضائله، التى بلغت الذروة يوم دفاعه عن رسول اللَّه ﷺ، وبلائه البلاء الحسن فى غزوة أحد ﷺ.

(-) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خِرَاشٍ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ مَاتَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ

(١٠٨) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ يَعِيشَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ الْهَمْدَانِيُّ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَن أَبِي حَيَّانَ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَن أَبِي زُرْعَةَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

أما بلال بن رباح، الحبشى فقد كان مملوكا لأمية بن خلف، فآمن بالله وبرسول الله ﷺ، فأخذ أمية يعذبه، ويخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة توضع على صدره، فضلا عن ضربه بالسوط، وأخذوا يطوفون به والحبل فى عنقه فى طرقات مكة، وهو يقول: أحد. أحد، فمر به أبو بكر، فاشتراه من أمية، وأعتقه، فلزم النبى ﷺ، وكان مؤذنه، وخازنا له، شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، قال له رسول الله ﷺ إنى دخلت الجنة فسمعت خشفا فقلت: من؟ قالوا: بلال . فكان بلال إذا ذكر ذلك بكى. وأذن لأبى بكر، بعد رسول الله ﷺ، ولم يؤذن لعمر، فقال له عمر: ما يمنعك أن تؤذن؟ قال: إنى أذنت لرسول الله ﷺ حتى قبض، ثم أذنت لأبى بكر حتى قبض، لأنه كان ولى نعمتى، ويقال: إنه أذن لعمر مرة إذ دخل الشام، فبكى عمر و غيره من المسلمين.

يقال: إنه أراد فى آخر حياة أبى بكر أن يخرج إلى الشام مجاهدا، فقال له أبو بكر: بل تكون عندى، فقال: إن كنت أعتقتنى لنفسك فاحبسنى، وإن كنت أعتقتنى لله عز وجل فذرنى أذهب إلى الله عز وجل، فقال: اذهب. فذهب إلى الشام، فكان بها حتى مات، سنة عشرين، ودفن بحلب رضي الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(**كان النبى ﷺ لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه، إلا أم سليم، فإنه كان يدخل عليها**) أى لا يدخل على أحد من النساء الأجنبيات غير المحارم، وقد سبقت ترجمة أم سليم وزوجها أبى طلحة، وابنها أنس فى كتاب الأشربة والأطعمة، باب تكثير الطعام ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم، فى المباحث العربية.

كما سبق دخوله صلى الله عليه وسلم على أم حرام بنت ملحان أخت أم سليم مع ترجمتها فى المباحث العربية فى باب الغزو فى البحر، كما سبق توجيه هذا الدخول شرعا فى فقه الحديث فى الباب المذكور، فيما يؤخذ من الحديث، المأخذ الثالث عشر.

وفى قوله «إلا على أزواجه، إلا أم سليم» استثناء من الاستثناء، ومثله فى قوله تعالى **﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ۞ إِلا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ۞ إِلا امْرَأَتَهُ﴾** [الحجر: ٥٨-٦٠] وقد رتب عليه الفقهاء مسائل فى الطلاق والإقرار.

(**فقيل له فى ذلك**) أى سئل عن سر ذلك.

(**فقال: إنى أرحمها. قتل أخوها معى**) يعنى حرام بن ملحان، وكان قد قتل يوم بئر معونة، وما ذكر لعله جزء علة، وقد عقبنا عليه فى فقه الحديث فى كتاب الفضائل - باب عرق النبى ﷺ فى المأخذ الثالث عشر.

(**دخلت الجنة، فسمعت خشفة**) بفتح الخاء وسكون الشين، وهى حركة المشى وصوته، ويقال أيضًا بفتح الشين.

(**فقلت: من هذا؟**) الذى يمشى بصوت؟.

(**قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان، أم أنس بن مالك**) القائلون هم الملائكة، والغميصاء بضم الغين وبالصاد مع المد، ويقال لها أيضا: الرميصاء، بالصاد وبالسين، قال ابن عبد البر: أم سليم هى الرميصاء والغميصاء، والمشهور فيه الغين، وأختها أم حرام الرميصاء، ومعناهما متقارب، والرمص والغمص قذى يابس وغير يابس يكون فى أطراف العين.

(**أريت الجنة، فرأيت امرأة أبى طلحة**) هى أم سليم، أم أنس، والرؤية منامية.

(**ثم سمعت خشخشة أمامى، فإذا بلال**) هذه الجملة هى التى جعلت النووى - رحمه اللَّه - يجمع هنا بين أم سليم وبلال فى باب واحد، وقد تبعناه، والخشخشة صوت المشى اليابس إذا حك بيابس.

(**مات ابن لأبى طلحة من أم سليم**) سبقت قصة هذا الولد، وشبه هذا الحديث فى كتاب اللباس والزينة، باب وسم الحيوان، وفى كتاب الأدب، باب تحنيك المولود.

(**فقالت لأهلها**) أى للمقيمين معها فى البيت، والذين علموا بموته.

(**ثم تصنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك**) أصله أحسن ما كانت تتصنع له، أى أحسن ما كانت تتزين له، فتجملت، وتعرضت له، ليجامعها.

(**فغضب، وقال: تركتنى حتى تلطخت، ثم أخبرتنى بابنى؟**) الكلام على الاستفهام الإنكارى التوبيخى، أى ما كان ينبغى أن تفعلى ذلك، والمراد من التلطخ الجنابة.

(**بارك اللَّه لكما فى غابر ليلتكما**) من إضافة الصفة إلى الموصوف، أى فى ليلتكما الغابرة، أى الماضية.

(**فحملت**) من أبى طلحة فى تلك الليلة.

(**فكان رسول اللَّه ﷺ فى سفر، وهى معه**) شروع فى قصة ولادتها بعد الحمل، وكانت تسافر معه صلى اللَّه عليه وسلم فى غزواته، تسقى العطشى، وتداوى المرضى، وتحرس، وتعين، وكان زوجها أبو طلحة لا يتخلف عن الغزو أيضا، وفى عودتهم من غزوة، وقرب المدينة حصل لها المخاض.

(**إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقا**) أى لا يطرقها ولا يدخلها مفاجئا، وبخاصة فى الليل، بل كان يضرب الخيام، وينزل قريبا منها، حتى يصل خبر العودة للنساء.

(**فضربها المخاض**) أى جاءها طلق الولادة وآلامها.

(**فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ**) أى تحرك رسول الله ﷺ ومن معه نحو المدينة، ولم يستطع أبو طلحة أن يتحرك معهم لمرافقتها، وعدم قدرتها على السير، فرفع الله عنها الطلق، استجابة لدعوة زوجها، فرافقا رسول الله ﷺ.

(**وضربها المخاض حين قدما**) أى حين وصلا المدينة.

(**فولدت غلاما....**) هذه القصة سبق شرحها فى كتاب اللباس والزينة -باب وسم الحيوان وفى كتاب الأدب - باب تحنيك المولود.

(**عند صلاة الغداة**) أى صلاة الصبح.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- منقبة ظاهرة لأم سليم، ولها مناقب كثيرة، وقد اشتركت فى كثير من الغزوات.

٢- ومنقبة لبلال ﷺ، وشهادة له بأنه من أهل الجنة.

٣- قال النووى: قال العلماء عن الرواية الأولى: فيه جواز دخول المحرم على محارمه.اهـ.

وهذا على ثبوت كونها محرما له، وفيه نظر ذكرناه فى باب الغزو فى البحر.

٤- وفيه إشارة إلى منع دخول الرجل على الأجنبية، وإن كان صالحا.

٥- وفيه بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الرحمة والتواضع، وملاطفة الضعفاء.

٦- وفيه صحة الاستثناء من الاستثناء.

٧- ومن الرواية الرابعة كثير من الفوائد . ذكرناها فى كتاب اللباس والزينة - باب وسم الحيوان وفى كتاب الأدب - باب تحنيك المولود.

٨- وفى الرواية الخامسة فضل الطهور والصلاة به.

والله أعلم

(٦٥٠) باب من فضائل عبد اللَّه بن مسعود، وأمه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

٥٥٠٢- ١٠٩/١ عَن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ(١٠٩) قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ. قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قِيلَ لِي أَنْتَ مِنْهُمْ».

٥٥٠٣- ١١٠/٢ عَن أَبِي مُوسَى ﷺ(١١٠) قَالَ: قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ. فَكُنَّا حِينًا وَمَا نُرَى ابْنَ مَسْعُودٍ وَأُمَّهُ إِلا مِن أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. مِن كَثْرَةِ دُخُولِهِمْ وَلُزُومِهِمْ لَهُ.

٥٥٠٤- – وفِي رواية عَن أَبِي إِسْحَقَ، أَنَّهُ سَمِعَ الأَسْوَدَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى يَقُول: لَقَدْ قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ. فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ .

٥٥٠٥- ١١١/٣ عَن أَبِي مُوسَى ﷺ(١١١) قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا أُرَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ مِن أَهْلِ الْبَيْتِ. أَوْ مَا ذَكَرَ مِن نَحْوِ هَذَا.

٥٥٠٦- ١١٢/٤ عَن أَبِي الأَحْوَصِ(١١٢) قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا مُوسَى وَأَبَا مَسْعُودٍ حِينَ مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَتُرَاهُ تَرَكَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ؟ فَقَالَ: إِنْ قُلْتَ ذَاكَ. إِنْ كَانَ لَيُؤْذَنُ لَهُ إِذَا حُجِبْنَا. وَيَشْهَدُ إِذَا غِبْنَا.

٥٥٠٧- ١١٣/٥ عَن أَبِي الأَحْوَصِ(١١٣) قَالَ: كُنَّا فِي دَارِ أَبِي مُوسَى مَعَ نَفَرٍ مِن أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ. وَهُمْ يَنْظُرُونَ فِي مُصْحَفٍ. فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ. فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: مَا أَعْلَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ بَعْدَهُ أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن هَذَا الْقَائِمِ. فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَمَا لَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ. لَقَدْ كَانَ يَشْهَدُ إِذَا غِبْنَا. وَيُؤْذَنُ لَهُ إِذَا حُجِبْنَا.

---

(١٠٩) حَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ وَسَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَارَةَ الْحَضْرَمِيُّ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ وَالْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ قَالَ سَهْلٌ وَمِنْجَابٌ أَخْبَرَنَا و قَالَ الآخَرُونَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنِ الأَعْمَشِ عَن إِبْرَاهِيمَ عَن عَلْقَمَةَ عَن عَبْدِ اللَّهِ

(١١٠) حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَاللَّفْظُ لابْنِ رَافِعٍ قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي إِسْحَقَ عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ عَن أَبِي مُوسَى

– وحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُوسُفَ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي إِسْحَقَ

(١١١) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالُوا حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَن سُفْيَانَ عَن أَبِي إِسْحَقَ عَنِ الأَسْوَدِ عَن أَبِي مُوسَى

(١١٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لابْنِ الْمُثَنَّى قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن أَبِي إِسْحَقَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الأَحْوَصِ قَالَ

(١١٣) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا قُطْبَةُ هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنِ الأَعْمَشِ عَن مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ عَن أَبِي الأَحْوَصِ

٥٥٠٨- -وفِي رواية عَن أَبِي الأَحْوَصِ(-) قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا مُوسَى، فَوَجَدْتُ عَبْدَ اللَّهِ وَأَبَا مُوسَى. ح وحَدَّثَنَا أَبُوكُرَيْبٍ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ. حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ ابْنِ وَهْبٍ. قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ حُذَيْفَةَ وَأَبِي مُوسَى. وَسَاقَ الْحَدِيثَ. وَحَدِيثُ قُطْبَةَ أَتَمُّ وَأَكْثَرُ.

٥٥٠٩- ١١٤/٦عَن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ(١١٤) أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ثُمَّ قَالَ: عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ تَأْمُرُونِي أَنْ أَقْرَأَ؟ فَلَقَدْ قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً. وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ. وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ. قَالَ: شَقِيقٌ فَجَلَسْتُ فِي حَلَقِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَلا يَعِيبُهُ.

٥٥١٠- ١١٥/٧عَن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ(١١٥) قَالَ: وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ! مَا مِن كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إلا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ، وَمَا مِن آيَةٍ إلا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ. وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ.

٥٥١١- ١١٦/٨عَن مَسْرُوقٍ(١١٦) قَالَ: كُنَّا نَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو فَنَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ -وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: عِنْدَهُ- فَذَكَرْنَا يَوْمًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ. فَقَالَ: لَقَدْ ذَكَرْتُمْ رَجُلًا لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِن أَرْبَعَةٍ. مِنِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ - فَبَدَأَ بِهِ - وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ».

٥٥١٢- ١١٧/٩عَن مَسْرُوقٍ(١١٧) قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو. فَذَكَرْنَا حَدِيثًا عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ. فَقَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ. سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مِن أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: مِنِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ -فَبَدَأَ بِهِ- وَمِنْ أُبَيِّ بْنِ

(-) وحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ هُوَ ابْنُ مُوسَى عَن شَيْبَانَ عَنِ الأَعْمَشِ عَن مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ عَن أَبِي الأَحْوَصِ
(١١٤) حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَن شَقِيقٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ
(١١٥) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا قُطْبَةُ عَنِ الأَعْمَشِ عَن مُسْلِمٍ عَن مَسْرُوقٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ
(١١٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ قَالا حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَن شَقِيقٍ عَن مَسْرُوقٍ
(١١٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالُوا حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَن أَبِي وَائِلٍ عَن مَسْرُوقٍ
- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ بِإِسْنَادِ جَرِيرٍ وَوَكِيعٍ فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ عَن أَبِي مُعَاوِيَةَ
- حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ح وحَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ كِلاهُمَا عَن شُعْبَةَ عَنِ الأَعْمَشِ بِإِسْنَادِهِمْ وَاخْتَلَفَا عَن شُعْبَةَ فِي تَنْسِيقِ الأَرْبَعَةِ.

كَعْـبٍ، وَمِـنْ سَالِــمٍ مَـوْلَى أَبِي حُـذَيْفَـةَ، وَمِـنْ مُعَــاذِ بْـنِ جَبَـلٍ» وَحَـرْفٌ لَـمْ يَذْكُـرْهُ زُهَـيْرٌ. قَوْلُهُ: يَقُولُـهُ.

٥٥١٣- – وفِـي روايـة عَـن أَبِـي مُعَاوِيَـةَ، قَـدَّمَ مُعَــاذًا قَبْـلَ أُبَـيٍّ. وَفِـي رِوَايَــةِ أَبِـي كُرَيْـبٍ، أُبَـيٌّ قَبْـلَ مُعَـاذٍ.

٥٥١٤- ١١٨/١٠ عَـن مَسْرُوقٍ(١١٨) قَـالَ: ذَكَـرُوا ابْـنَ مَسْـعُودٍ عِنْـدَ عَبْـدِ اللَّـهِ ابْـنِ عَمْـرٍو. فَقَـالَ: ذَاكَ رَجُـلٌ لا أَزَالُ أُحِبُّـهُ. بَعْـدَ مَـا سَـمِعْتُ مِـن رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ يَقُـولُ: «اسْـتَقْرِئُوا الْقُـرْآنَ مِـن أَرْبَعَةٍ: مِنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ! وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ.

– قَـالَ شُـعْبَةُ(–): بَـدَأَ بِهَذَيْـنِ. لا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا بَـدَأَ.

المعنى العام

عبد اللَّه بن مسعود بن غافل الهذلى، كان أبوه قد حالف فى الجاهلية عبد اللَّه بن الحارث بن زهرة، وأمه أم عبد، وذكرها الحافظ ابن حجر فى الإصابة « أم عبيد » بنت عبدود، من بنى زهرة أيضا، أسلمت وبايعت وروى أنها باتت عند النبى ﷺ ليلة، لترى صلاته بالليل، أما ابنها عبد اللَّه فقد أسلم قديما، قيل: كان سادس من أسلم، وكان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط، فمر به رسول اللَّه ﷺ، فقال له: يا غلام، هل من لبن؟ فقال: نعم، ولكنى مؤتمن، قال: فهل من شاة حائل؟ فأتاه بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبن، فحلبه فى إناء، وشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلص. فقلص. فأتاه، فأسلم ودعا له، ثم ضمه إليه رسول اللَّه ﷺ، فكان يدخل عليه بكثرة، ويلبسه نعليه، ويمشى أمامه ومعه، ويستره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، وقال له رسول اللَّه ﷺ « إذنك على، أن ترفع الحجاب، وأن تسمع سوادى، حتى أنهاك » وكان يعرف فى الصحابة بصاحب الوساد، وصاحب النعلين، وصاحب السواك، شهد بدرا، والحديبية، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وصلى للقبلتين، وشهد له رسول اللَّه ﷺ بالجنة، فى حديث العشرة (أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن مالك وسعيد بن زيد، وعبد اللَّه بن مسعود) وروى أن رسول اللَّه ﷺ قال: « لو كنت مؤمرًا أحدًا من غير مشورة لأمرت ابن أم عبد » كان ينسب إلى أبيه « مسعود » كما كان ينسب إلى أمه « أم عبد » كان قصيراً نحيفا، يكاد طوال الرجال جالسا يوازيه وهو قائم، وكان لا يغير شيبه، اشترك فى قتل أبى جهل فى غزوة بدر، ذلك أنه لما ضربه ابنا عفراء فخر على الأرض صريعا صعد ابن مسعود على صدره، فقال له: حتى أنت يا رويع الغنم؟ بعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة، مع

(١١٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَن إِبْرَاهِيمَ عَن مَسْرُوقٍ

(–) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَزَادَ قَالَ شُعْبَةُ

عمار بن ياسر وكتب إليهم: إنى قد بعثت إليكم بعمار بن ياسر أميرًا، وعبد اللَّه بن مسعود معلما ووزيرًا، وهما من النجباء، وإنى قد آثرتكم بعبد اللَّه بن مسعود على نفسى، ومع خلافه مع عثمان على المصحف ما تناوله بسوء، بل لما دعاه عثمان إلى المدينة أجابه، وقال لأصحابه الذين حاولوا منعه: إن له على حق الطاعة، توفى بالمدينة على المشهور سنة ثنتين وثلاثين رضي اللَّه عنه

المباحث العربية

(لما نزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣] قال لى رسول اللَّه ﷺ: قيل لى: أنت منهم) القائل لرسول اللَّه ﷺ إن ابن مسعود منهم هو اللَّه تعالى عن طريق الوحى، لأن صفة الإيمان والتقوى والإحسان على الحقيقة لا يعلمها إلا اللَّه، وفرق بين أن تنطبق الآية على فرد، وبين سبب النزول، فقد قال المفسرون فى سبب النزول، إنه لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة -رضى اللَّه عنهم - كيف بمن شربها من إخواننا الذين ماتوا، وهم قد شربوا الخمر، وأكلوا الميسر؟ فأنزل اللَّه تعالى هذه الآية، ومعناها على هذا أن من مات ممن أكل محرما، أو شرب محرما قبل أن يحرم هذا المأكول والمشروب فلا إثم عليه إذا كان قد آمن، واتقى المحرمات المعلومة له، وأحسن العمل، ودخول ابن مسعود فى الآية وفى الموصوفين بذلك بعيد، اللَّهم إلا إذا أدخلناه فى بعض الصفات، وهى التقوى والإيمان والعمل الصالح والإحسان.

وقيل: إنها نزلت فى القوم الذين حرموا على أنفسهم ملاذ الحياة الدنيا، وسلكوا طريق الترهب، ولم يثبت أن ابن مسعود كان منهم، بل الثابت غيره.

وبغض النظر عن سبب النزول يدخل ابن مسعود وكثير غيره فى مضمونها، وهو رفع الجناح عنهم فيما طعموا، إذ ما اتقوا الحرام، واتقوا الإسراف والتقتير، واستمروا على إيمانهم وعملهم الصالحات، وإحسانهم عبادة اللَّه.

(عن أبى موسى ؓ قال: قدمت أنا وأخى من اليمن) إلى المدينة مهاجرا، وكان ذلك بعد فتح خيبر.

(فكنا حينا) أى فعشنا ومكثنا فى المدينة زمنا، قال الشافعى وأصحابه ومحققو أهل العلم وغيرهم، الحين يقع على القطعة من الدهر، طالت أم قصرت.

(وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت رسول اللَّه ﷺ) «وما نرى» بضم النون، بمعنى نظن، أى وما كنا نظن ابن مسعود وأمه إلا من أهل البيت.

(من كثرة دخولهم ولزومهم له) أى من كثرة دخولهم بيوت رسول اللَّه ﷺ، وطول إقامتهم

فى داخلها، وكان حقه يقول « من كثرة دخولهما ولزومهما له » أى هو وأمه، قال النووى: الاثنان يجوز جمعهما بالاتفاق، لكن الجمهور يقولون: أقل الجمع ثلاثة، فجمع الاثنين عندهم مجاز، وغير الجمهور يقولون: أقل الجمع اثنان، فجمعهما عند غير الجمهور حقيقة.

(**فقال أحدهما لصاحبه: أتراه ترك بعده مثله؟**) « أتراه » بضم التاء، أى أتظن ابن مسعود بعد موته ترك على الأرض حياً فى درجته وعلمه؟ والاستفهام إنكارى بمعنى النفى، أى لا أظن أنا ولا أنت أن يوجد الآن مثله، أو حقيقى. والجواب مطوى، دل عليه ما قاله الآخر.

(**إن قلت ذاك، إن كان ليؤذن له إذا حجبنا، ويشهد إذا غبنا**) « إن » الأولى شرطية، حذف جوابها، أى إن قلت ذلك القول لم تكن مبالغا، ولا مجاوزا الحقيقة، و« إن » الثانية مخففة من الثقيلة واسمها ضمير محذوف، والجملة مستأنفة استئنافا تعليلياً، أى فإنه كان يأذن له رسول اللّٰه ﷺ فى الدخول عليه إذا حجب ومنع الصحابة، ومعنى « يشهد » يحضر، أى يحضر مجلس رسول اللّٰه ﷺ إذا غاب عنه الآخرون.

قال القسطلانى: وكان ابن مسعود رضي الله عنه يلج على النبى ﷺ، ويلبسه نعليه، ويمشى أمامه ومعه، ويستره إذا اغتسل، وقال: قال لى رسول اللّٰه ﷺ « إذنك على، أن ترفع الحجاب » كانت الستارة على حجر النبى ﷺ، وبعد باب الدار، فكأنه أذن له، أن لا يطرق الباب - « وأن تسمع سوادى » أى وأن تسمع صوتى، وتعلم وجودى، وعدم المانع من دخولك « حتى أنهاك » أى حتى أسلبك هذه الخصوصية.

(**كنا فى دار أبى موسى، مع نفر من أصحاب عبد اللّٰه**) ابن مسعود، أى وعبد اللّٰه معهم، وهذه واقعة أخرى، وإن كانت قولة أبى موسى فى كل من الجلستين واحدة، فما فى الرواية الرابعة كان بعد موت ابن مسعود، وما فى الرواية الخامسة كان فى حياته، وقد بين ملحق الرواية الخامسة بعض هؤلاء الأصحاب، منهم زيد بن وهب وحذيفة بن اليمان.

(**وهم ينظرون فى مصحف**) لعله مصحف عبد اللّٰه بن مسعود، وكان به بعض اختلاف عن مصحف الجماعة، كما سيأتى.

(**فقام عبد اللّٰه**) ابن مسعود، أى منصرفا من المجلس.

(**أعلم بما أنزل اللّٰه من هذا القائم**) أى من هذا الذى قام وانصرف.

(**عن عبد اللّٰه رضي الله عنه أنه قال: ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة**) هذه الجملة جزء الآية (١٦١) من سورة آل عمران، وصدرها ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ قال النووى: معناه أن ابن مسعود كان مصحفه يخالف مصحف الجمهور، وكانت مصاحف أصحابه كمصحفه، فأنكر عليه الناس، وأمروه بترك مصحفه، وبموافقة مصحف الجمهور، وطلبوا مصحفه ليحرقوه، كما فعلوا بغيره فامتنع، وقال لأصحابه: غلوا مصاحفكم، أى اكتموها، وخبئوها، ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعنى: فإذا غللتموها جئتم بها يوم القيامة، وكفى لكم بذلك شرفاً. اهـ

فكأن ابن مسعود نقل الآية من معناها الأصلى، وهو الأخذ سرقة من الغنمية قبل القسمة، ونقل التهديد بالوعيد الذى يلحق الغال، وهو أن يحمل الغال على رقبته يوم القيامة ما سرق، جملا أو بقرة، أو شاة تشهيراً به ونكالا، نقلها إلى معنى: من يكتم شيئا من الخير جاء يحمله متشرفا به يوم القيامة، وفى رواية أنه قال لأصحابه: إنى غال مصحفى وحابسه عن أن يحرق، فمن استطاع منكم أن يغل مصحفه فليغلل.

(**ثم قال: على قراءة من؟ تأمرنى أن أقرأ**) هكذا هو فى بعض النسخ « تأمرنى » أى أيها الذى تأمرنى، وفى بعض النسخ « على قراءة من تأمروننى » أى أيها الآمرون، والاستفهام إنكارى توبيخى، أى لا ينبغى أن تأمرونى أن أقرأ بقراءة فلان، وأترك قراءتى، وقصده من « فلان » هذا زيد بن ثابت، فقد أثار ابن مسعود أنه لم يحظ بشرف جمع القرآن ونسخه، ضمن اللجنة التى ألفها لذلك عثمان بن عفان ﷺ، واعتمد فيها على زيد بن ثابت، عز عليه إهماله، وهو إمام القراءة فى الكوفة، ومن السابقين الماهرين فى حفظ القرآن، وهو أول أربعة أمر المسلمون بأخذ القرآن عنهم، كما سيأتى فى الرواية الثامنة والتاسعة والعاشرة، ويقال: إنه خطب فى الناس، فقال: يا معشر المسلمين . أعزل عن نسخ كتابة المصاحف، ويتولاها رجل، والله لقد أسلمت وإنه لفى صلب كافر - يريد زيد ابن ثابت -، ولابن مسعود عذره فى هذا الغضب، ولعثمان عذره فى هذا الاختيار، فإبعاده عن هذا العمل المشرف - مع كفاءته له - يغضب دون مراء، وفى هذا الغضب جزء لله، لكنه جاوز ما يليق! إذ هاجم زيد بن ثابت، من غير ذنب، إلا أنه وقع عليه الاختيار، وما كان اختيار زيد إلا عن كفاءة ممتازة، مجمع عليها من المنصفين، فهو كاتب الوحى لرسول الله ﷺ، وهو الذى قام بجمع القرآن لأبى بكر، ثم هو أكتب القوم بشهادة الصحابة، فالطعن فى اختياره لهذا العمل افتئات واعتداء.

وعذر عثمان فى عدم ضم ابن مسعود للجنة أن ابن مسعود كان متميزا بقراءة، متمسكا بها فخشى من تحيزه لقراءته، على أن عثمان ﷺ كان متعجلاً الأمر، منزعجا من الاختلاف فى القراءة، حريصا على الإسراع بحسم الداء، وهو بالمدينة، وعبد الله بن مسعود بالكوفة، فاكتفى بمن هم فى المدينة، ولم يشتهر عنهم التحيز لقراءة معينة.

وترتب على غضبة ابن مسعود هذه غضبة أخرى، يوم أرسل مصحف عثمان إلى الكوفة، ليجمع عليه الناس، ويحرقوا ما عداه، فرفض أن يحرق مصحفه، ودعا أصحابه إلى ذلك الرفض.

(**فلقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة**) أى وأخذت بقية القرآن عن أصحابه، وفى رواية « لقد أخذت من فى رسول الله ﷺ سبعين سورة، وإن زيد ابن ثابت لصبى من الصبيان ».

(**قال شقيق: فجلست فى حلق أصحاب محمد ﷺ، فما سمعت أحدا يرد ذلك عليه، ولا يعيبه**) « شقيق » هو الراوى عن ابن مسعود، يحكى أنه جلس فى حلقات الصحابة العلمية، فيذكرون ابن مسعود، وقوله هذا، فلا يعترض على هذا القول، و « الحلق » بفتح الحاء واللام،

ويقال بكسر الحاء وفتح اللام، وقال الحربى بفتح الحاء وإسكان اللام، وهو جمع حلقة، بإسكان اللام على المشهور، وحكى فتحها واتفقوا على أن فتحها ضعيف.

(**ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت**) أى فى أى مكان نزلت.

(**من ابن أم عبد**) كانت أمه تكنى « أم عبد » و« أم عبد الله » بنت عبدود.

(**ومن أبي بن كعب**) سيأتى الكلام عنه فى الباب التالى.

(**ومن سالم مولى أبى حذيفة**) وكان من أهل فارس، أعتقته مولاته زوج أبى حذيفة، فتبناه أبو حذيفة، ولذلك يعد من المهاجرين، ولما كانت معتقته أنصارية عد من الأنصار، ويعد فى العجم، وهو من خيار الصحابة، وكان يؤم المهاجرين بقباء، وفيهم عمر، قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وروى أنه هاجر مع عمر بن الخطاب ونفر من الصحابة من مكة، وكان يؤمهم إذا سافر معهم، لأنه كان أكثرهم قرآنا، وروى أن عمر لما طعن قال: لو كان سالم حيا ما جعلتها شورى، شهد بدرا، وقتل يوم اليمامة شهيدًا هو ومولاه أبو حذيفة، وجد رأس أحدهما عند رجلى الآخر، سنة اثنتى عشرة من الهجرة.

(**ومن معاذ بن جبل**) الأنصارى الخزرجى، الإمام المقدم فى علم الحلال والحرام، كان من أجمل الرجال، شهد بدرا وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وأمره النبى ﷺ على اليمن، وقدم منها فى خلافة أبى بكر، وكانت وفاته بالطاعون فى الشام سنة سبع عشرة، وعمره أربع وثلاثون سنة، روى أن عمر ؓ قال: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ.

فقه الحديث

يؤخذ من الأحاديث

١- فيه منقبة من مناقب عبد الله بن مسعود، ففى الرواية الثانية والثالثة ملازمته للنبى ﷺ، وذلك يستلزم فضله، وفى الرواية الرابعة والخامسة أنه كان يؤذن له يوم لا يؤذن لغيره، ويسمح له يوم لا يسمح لغيره، وفى الرواية الثامنة والتاسعة تقديمه فى القراءة على غيره .

٢-وفى الرواية السادسة والسابعة استحباب الرحلة فى طلب العلم، والذهاب إلى الفضلاء، حيث كانوا.

٣- قال النووى: فيه جواز ذكر الإنسان نفسه بالفضيلة والعلم ونحوه للحاجة، وأما النهى عن تزكية النفس فإنما هو لمن زكاها ومدحها لغير حاجة، بل للفخر والإعجاب، وقد كثرت تزكية النفس من الأماثل، عند الحاجة، كدفع شر عنه بذلك، أو تحصيل مصلحة للناس، أو ترغيب فى أخذ العلم عنه، أو نحو ذلك، فمن المصلحة قول يوسف عليه السلام ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ**

عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] ومن دفع الشر قول عثمان ﷺ، فى وقت الحصار « إنه جهز جيش العسرة، وحفر بئر رومة » ومن الترغيب قول ابن مسعود، وقول سهل بن سعد: ما بقى أحد أعلم بذلك منى، وقول بعضهم: على الخبير وقعت.

٤- وفيه أن ابن مسعود أعلم الصحابة بكتاب الله، قال النووى: ولا يلزم منه أن يكون أعلم من أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم بالسنة، ولا يلزم من ذلك أيضا أن يكون أفضل منهم عند الله تعالى، فقد يكون واحد أعلم من آخر بباب من العلم، أو بنوع من العلم، والآخر أعلم من حيث الجملة، وقد يكون واحد أعلم من آخر، وذاك أفضل عند الله، بزيادة تقوى وخشية وورع وزهد وطهارة قلب، قال: و لا شك أن الخلفاء الراشدين الأربعة، كل منهم أفضل من ابن مسعود.

٥- وأن قراءة ابن مسعود معتمدة، وكذا الثلاثة المذكورون معه، قال النووى: قال العلماء: سببه أن هؤلاء أكثر ضبطا لألفاظه، وأتقن لأدائه، وإن كان غيرهم أفقه فى معانيه منهم، أو لأن هؤلاء الأربعة تفرغوا لأخذه منه صلى اللّه عليه وسلم مشافهة، وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض، أو لأن هؤلاء تفرغوا لأن يؤخذ عنهم، أو أنه صلى اللّه عليه وسلم أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته صلى اللّه عليه وسلم من تقدم هؤلاء الأربعة وتمكنهم، وأنهم أقعد من غيرهم فى ذلك، فليؤخذ عنهم.

والله أعلم

(٦٥١) باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار ﷺ

٥٥١٥- ١١٩/١ عَن أَنَسٍ ﷺ(١١٩) قَالَ: جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَرْبَعَةٌ. كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ. قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لأَنَسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي.

٥٥١٦- ١٢٠/٢ عَن قَتَادَةَ(١٢٠) قَالَ: قُلْتُ لأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَرْبَعَةٌ. كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ. أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، يُكْنَى أَبَا زَيْدٍ.

٥٥١٧- ١٢١/٣ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(١٢١) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لأُبَيٍّ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ» قَالَ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ سَمَّاكَ» لِي قَالَ: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي.

٥٥١٨- ١٢٢/٤ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(١٢٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَبَكَى.

المعنى العام

أبى بن كعب بن قيس، الأنصارى، الخزرجى، شهد العقبة الثانية، وبايع النبى ﷺ فيها، ثم شهد بدرًا، وروى أن رسول الله ﷺ قال: « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأقواهم فى دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم على بن أبى طالب، وأقرؤهم أبى بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ».

كان أبى بن كعب ممن كتب لرسول الله ﷺ قبل زيد بن ثابت، وكتب لرسول الله ﷺ مع زيد بن ثابت، وكان زيد ألزم الصحابة لكتاب الوحى، وكان يكتب كثيرا من رسائله صلى الله عليه وسلم، قال الواقدى: أول من كتب لرسول الله ﷺ أول قدومه المدينة أبى بن كعب، وكان إذا لم يحضر دعا رسول

(١١٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن قَتَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ
(١٢٠) حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبَدٍ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ حَدَّثَنَا هَمَّام حَدَّثَنَا قَتَادَةُ
(١٢١) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
(١٢٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّار قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَر حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
– وحَدَّثَنِيهِ يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن قَتَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُول قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأُبَيٍّ بِمِثْلِهِ

اللّه ﷺ زيد بن ثابت فكتب، وكان أبى وزيد يكتبان الوحى بين يديه صلى اللّه عليه وسلم، ويكتبان كتبه إلى الناس، وما يقع، وأول من كتب له من قريش عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح، ثم ارتد، ورجع إلى مكة، وكان الكاتب لعهوده صلى اللّه عليه وسلم إذا عاهد، وصلحه إذا صالح على بن أبى طالب ﷺ، وممن كتب لرسول اللّه ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان والزبير بن العوام وخالد وأبان، ابنا سعيد بن العاص، وحنظلة الأسيدى، والعلاء ابن الحضرمى، وخالد بن الوليد، وعبد اللّه بن رواحة، ومحمد بن مسلمة، وعبد اللّه بن عبداللّه بن أبى بن سلول، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبى سفيان، وجهيم بن الصلت، ومعيقيب بن أبى فاطمة، و شرحبيل بن حسنة.

ومات أبى بن كعب فى أواخر حياة عمر سنة ثنتين وعشرين على المشهور، روى أحمد وأبو يعلى وابن أبى الدنيا وابن حبان وصححه الطبرانى أن رجلا من المسلمين قال: يا رسول اللّه، أرأيت هذه الأمراض التى تصيبنا، ما لنا فيها؟ قال: « كفارات ». فقال أبى بن كعب: يارسول اللّه، وإن قلّت؟ قال: « وإن شوكة فما فوقها »، فدعا أبى بن كعب أن لا يفارقه الوعك، حتى يموت، وأن لا يشغله عن حج ولا عمرة، و لاجهاد ولا صلاة مكتوبة فى جماعة، فما مس إنسان جسده إلا وجد حره، حتى مات » رضى اللّه عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(**جمع القرآن على عهد رسول اللّه ﷺ أربعة**) أى جمعه حفظا فى الصدور. قال المازرى: ليس فيه تصريح بأن غير الأربعة لم يجمعه، فقد يكون مراده: الذين علمهم من الأنصار أربعة، وأما غيرهم من المهاجرين والأنصار الذين لا يعلمهم، فلم ينفهم، ولو نفاهم كان المراد نفى علمه، ومع هذا فقد روى غير مسلم حفظ جماعات من الصحابة فى عهد النبى ﷺ، وذكر منهم المازرى خمسة عشر صحابيا، وثبت فى الصحيح أنه قتل يوم اليمامة سبعون ممن جمع القرآن، وكانت اليمامة قريبا من وفاة النبى ﷺ، فهؤلاء الذين قتلوا من جامعيه يومئذ، فكيف الظن بمن لم يقتل ممن حضرها، ومن لم يحضرها وبقى بالمدينة أو بمكة أو غيرها؟ ولم يذكر فى هؤلاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ونحوهم من كبار الصحابة، الذين يبعد كل البعد أنهم لم يجمعوه، مع كثرة رغبتهم فى الخير، وحرصهم على ما دون ذلك من الطاعات، وكيف نظن هذا بهم ونحن نرى فى أهل عصرنا حفظة منهم فى كل بلدة ألوف، مع بعد رغبتهم فى الخير عن درجة الصحابة، مع أن الصحابة لم يكن لهم أحكام مقررة يعتمدونها فى سفرهم وحضرهم إلا القرآن، وما سمعوه من النبى ﷺ، فكيف نظن بهم إهمالا؟ فكل هذا وشبهه يدل على أنه لا يصح أن يكون معنى الحديث أنه لم يكن فى نفس الأمر أحد يجمع القرآن إلا الأربعة المذكورون.

هذا جواب عن شبهة بعض الملاحدة فى عدم تواتر القرآن. قال: الجواب الثانى أنه لو ثبت أنه لم يجمعه إلا الأربعة لم يقدح فى تواتره، فإن أجزاءه حفظت، حفظ كل جزء منها خلائق لا يحصون،

يحصل التواتر ببعضهم، وليس من شرط التواتر أن ينقل جميعهم جميعه، بل إذا نقل كل جزء عدد التواتر، صارت الجملة متواترة بلا شك، ولم يخالف فى هذا مسلم ولا ملحد. اهـ.

(**معاذ بن جبل**) سبقت نبذة عنه فى الحديث السابق.

(**وأبى بن كعب**) ذكرنا نبذة عنه فى المعنى العام.

(**وزيد بن ثابت**) بن الضحاك، الأنصارى، الخزرجى، استصغر يوم بدر، ويقال: إنه شهد أحدا، ويقال: أول مشاهده الخندق، وكان معه راية بنى النجار يوم تبوك، كتب الوحى للنبى ﷺ، وكان من علماء الصحابة، وهو الذى جمع القرآن فى عهد أبى بكر، وكان أحد أصحاب الفتوى، والفرائض والقراءة بالمدينة، واستخلفه عمر على المدينة ثلاث مرات، فى حجتين، وفى خروجه إلى الشام، وكان عثمان يستخلفه أيضا على المدينة إذا حج ، مات سنة اثنتين وأربعين بالمدينة على المشهور، وصلى عليه مروان.

(**وأبو زيد**) قلت لأنس: من أبوزيد؟ قال: أحد عمومتى) قال النووى: أبو زيد هذا هو سعد بن عبيد ابن النعمان الأوسى، بدرى، يعرف بسعد القارئ، استشهد بالقادسية سنة خمس عشرة، فى أول خلافة عمر ابن الخطاب ﷺ، قال ابن عبد البر: هذا هو قول أهل الكوفة، وخالفهم غيرهم، فقالوا: هو قيس بن السكن الخزرجى، من بنى عدى بن النجار، بدرى، وقال موسى بن عقبة: استشهد يوم جيش أبى عبيد بالعراق، سنة خمس عشرة. اهـ.

قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة: قال ابن نمير فى تاريخه: مات سعد بن عبيد القارئ بالقادسية شهيداً، وهو أبو زيد الذى جمع القرآن، روى أنه كان يؤم فى مسجد قباء فى زمن النبى ﷺ وأبى بكر وعمر.

(**إن اللَّه أمرنى أن أقرأ عليك**) فى الرواية الرابعة « إن اللَّه أمرنى أن أقرأ عليك: ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ قال القرطبى: خص هذه السورة بالذكر لما اشتملت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء، وذكر الصلاة والزكاة والمعاد، وبيان الجنة والنار، مع وجازتها. اهـ.

وقال أبو عبيد: المراد بالعرض على أبى أن يتعلم أبى منه صلى اللَّه عليه وسلم القراءة، ويتثبت فيها، وليكون عرض القرآن سنة، وللتنبيه على فضيلة أبى بن كعب وتقدمه فى حفظ القرآن، وليس المراد أن يستذكر منه النبى ﷺ شيئا بذلك العرض. اهـ.

وفى رواية أن النبى ﷺ دعا أبيا، فقال: « إن اللَّه أمرنى أن أقرأ عليك » وفى رواية « لما نزلت ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾ إلى آخرها، قال جبريل للنبى ﷺ: إن ربك يأمرك أن تقرئها أبيا، فقال النبى ﷺ لأبى: إن جبريل أمرنى أن أقرئك هذه السورة ».

(**قال: آللَّه سمانى لك؟ قال: اللَّه سماك لى**) فى الرواية الرابعة « قال: وسمانى؟ قال:

نعم». والكلام على الاستفهام التعجبى، والواو فى «وسمانى»؟ عاطفة على جملة محذوفة، أى أمرك أن تقرأ على؟ وسمانى باسمى؟ أى هل نص على باسمى؟ أو قال: اقرأ على واحد من أصحابك؟ فاخترتنى أنت؟ وعند الطبرانى «قال: نعم. باسمك ونسبك فى الملأ الأعلى» قال القرطبى: تعجب أبى من ذلك. لأن فى تسمية الله له، ونصه عليه، ليقرأ عليه النبى ﷺ تشريف عظيم.

(**فجعل أبى يبكى**) أى أخذ يبكى واستمر فى البكاء، سروراً، واستصغاراً لنفسه عن تأهيله لهذه النعمة، وإعطائه هذه المنزلة، قال النووى: والنعمة فيها من وجهين. أحدهما كونه منصوصاً عليه بعينه، والثانى قراءة النبى ﷺ، فإنها منقبة عظيمة له، لم يشاركه فيها أحد من الناس، وقيل: إنما بكى خوفا من تقصيره فى شكر هذه النعمة.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- فضيلة ظاهرة لأبى بن كعب ﷺ.

٢- مشروعية التواضع فى أخذ الإنسان العلم من أهله.

٣- تعلق به بعض الملاحدة، ليقول: إن القرآن غير متواتر، إذ لم يجمعه من الصحابة فى عهد النبى ﷺ إلا أربعة، وهم دون عدد التواتر، وقد أجبنا على هذه الشبهة فى المباحث العربية.

٤- استحباب عرض القرآن على حفاظه البارعين فيه، المجيدين لأدائه.

٥- وفيه حث للصحابة على الأخذ من أبى ﷺ، قال النووى: وكان كذلك، فكان بعد النبى ﷺ رأسًا وإمامًا مقصودًا فى ذلك، مشهورًا به.

والله أعلم

(٦٥٢) باب من فضائل سعد بن معاذ ﷺ

٥٥١٩- ١٢٣/١ عَن جَابِرِ بْـنِ عَبْـدِ اللَّـهِ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنهُمَـا[١٢٣] قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ، وَجَنَازَةُ سَعْدِ ابْـنِ مُعَـاذٍ بَيْـنَ أَيْدِيهِـمْ: «اهْـتَزَّ لَهَـا عَـرْشُ الرَّحْمَـنِ».

٥٥٢٠- ١٢٤/٢ عَن جَابِرٍ ﷺ[١٢٤] قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «اهْـتَزَّ عَـرْشُ الرَّحْمَـنِ لِمَـوْتِ سَعْدِ بْـنِ مُعَـاذٍ».

٥٥٢١- ١٢٥/٣ عَن أَنَسِ بْـنِ مَالِكٍ ﷺ[١٢٥] أَنَّ نَبِـيَّ اللَّـهِ ﷺ قَـالَ، وَجَنَازَتُـهُ مَوْضُوعَـةٌ يَعْنِـي - سَعْدًا - «اهْـتَزَّ لَهَـا عَـرْشُ الرَّحْمَـنِ».

٥٥٢٢- ١٢٦/٤ عَن الْبَرَاءِ ﷺ[١٢٦] قَـالَ: أُهْدِيَـتْ لِرَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ حُلَّـةُ حَرِيـرٍ. فَجَعَـلَ أَصْحَابُـهُ يَلْمِسُونَهَا وَيَعْجَبُـونَ مِن لِينِهَـا. فَقَـالَ: «أَتَعْجَبُـونَ مِـن لِيـنِ هَـذِهِ؟ لَمَنَادِيلُ سَـعْدِ بْـنِ مُعَـاذٍ فِـي الْجَنَّـةِ خَيْرٌ مِنْهَا وَأَلْيَـنُ» حَدَّثَنَـا أَحْمَـدُ بْـنُ عَبْـدَةَ الضَّبِّـيُّ.

٥٥٢٣- - وفِـي روايـة عَـن الْـبَرَاءَ بْـنَ عَـازِبٍ ﷺ قَـالَ: أُتِـيَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ بِثَـوْبِ حَرِيـرٍ. فَذَكَـرَ الْحَدِيـثَ. ثُـمَّ قَـالَ ابْـنُ عَبْـدَةَ: أَخْبَرَنَـا أَبُـو دَاوُدَ، حَدَّثَنَـا شُـعْبَةُ، حَدَّثَنِـي قَتَـادَةُ، عَـن أَنَـسِ بْـنِ مَالِكٍ، عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ. بِنَحْـوِ هَـذَا أَوْ بِمِثْلِـهِ.

٥٥٢٤- ١٢٧/٥ عَن أَنَسِ بْـنِ مَالِكٍ ﷺ[١٢٧] أَنَّـهُ أُهْـدِيَ لِرَسُـولِ اللَّهِ ﷺ جُبَّـةٌ مِـن سُـنْدُسٍ. وَكَـانَ يَنْهَـى عَـنِ الْحَرِيـرِ. فَعَجِـبَ النَّـاسُ مِنْهَـا. فَقَـالَ: «وَالَّـذِي نَفْـسُ مُحَمَّـدٍ بِيَـدِهِ! إِنَّ مَنَـادِيلَ سَـعْدِ بْـنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّـةِ أَحْسَـنُ مِـن هَـذَا».

٥٥٢٥- - وفِـي روايـة عَـن أَنَـسٍ ﷺ[-]، أَنَّ أُكَيْـدِرَ دُومَـةِ الْجَنْـدَلِ أَهْـدَى لِرَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ حُلَّةً. فَذَكَـرَ نَحْوَهُ، وَلَـمْ يَذْكُـرْ فِيـهِ. وَكَـانَ يَنْهَـى عَـنِ الْحَرِيـرِ.

---

(١٢٣) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ
(١٢٤) حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ الأَوْدِيُّ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَن أَبِي سُفْيَانَ عَن جَابِرٍ
(١٢٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرُّزِّيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ الْخَفَّافُ عَن سَعِيدٍ عَن قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ
(١٢٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن أَبِي إِسْحَقَ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ
- حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ أَنْبَأَنِي أَبُو إِسْحَقَ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يَقُولُ
- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَبَلَةَ حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا الْحَدِيثِ بِالْإِسْنَادَيْنِ جَمِيعًا كَرِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ
(١٢٧) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَن قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ
(-) حَدَّثَنَاه مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا سَالِمُ بْنُ نُوحٍ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَامِرٍ عَن قَتَادَةَ عَن أَنَسٍ

المعنى العام

سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، الأنصارى، يكنى أبا عمرو، أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية، على يد مصعب بن عمير، وشهد بدراً، وأحداً والخندق، ورمى يوم الخندق بسهم فقطع وريده من وسط الذراع، فأمر رسول الله ﷺ بضرب فسطاط له فى المسجد، يتمرض فيه، وكان يعوده فى كل يوم، وكوى على جرحه، لكن يده انتفخت، ونزف الدم، فلما رأى ذلك قال: اللَّهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى فى بنى قريظة، فاستمسك عرقه، فما قطرت منه قطرة، حتى نزل بنو قريظة على حكمه، فلما حكم فيهم بحكم اللَّه - وقد ذكرت القصة فى غزوة بنى قريظة - انفتق عرقه، فمات شهيدًا، بعد شهر من الخندق، وبعد ليال من حكمه على بنى قريظة.

بشره رسول اللَّه ﷺ بالجنة، فقال: «لمناديل سعد فى الجنة خير منها» أى من حلة الحرير التى تعجب الصحابة من نعومتها وجمالها، واهتز لموته عرش الرحمن، فخرج رسول اللَّه ﷺ سريعًا يجر ثوبه، فوجد سعدًا قد قبض، ولما شيعت جنازته، وكانت خفيفة جدًا على حامليها، مع أنه كان رجلا طوالا ضخمًا تعجب المنافقون، فقال رسول اللَّه ﷺ: «إن الملائكة حملتة»، فقال رجل من الأنصار:

وما اهتز عرش اللَّه من موت هالك ∴ علمنا به إلا لسعد أبى عمرو

رضى اللَّه عنه وأرضاه

المباحث العربية

(اهتزلها عرش الرحمن) كذا فى الرواية الأولى والثالثة، فالضمير يعود على الجنازة الحاضرة، أى لجنازة سعد، أى لسعد الميت على خشبة، وفى الرواية الثانية «لموت سعد بن معاذ» والظاهر أن الاهتزاز - على اختلاف المراد منه - للموت السابق على الجنازة، ففى الكلام مضافان محذوفان، أى اهتز لموت صاحبها عرش الرحمن - وعرش الرحمن مخلوق يحيط بالسموات والأرض، كما يحيط به الكرسى، أو يملؤه الكرسى، وهومن أوائل المخلوقات، قال تعالى **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾** [هود: ٧]، فهو جرم من الأجرام، ومخلوق كبقية العالم، وقد سمى بما يفهمه المخاطبون عنه، على أنه مقر الحكم، وقاعة الملك، وسريره، ففى سورة يوسف **﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾** [يوسف: ١٠٠] وفى سورة النمل **﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾** [النمل: ٢٣] وفيها **﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ﴾** [النمل: ٤١].

وفى القرآن الكريم آيات تتحدث عن عرش الرحمن، كمظهر من مظاهر الهيمنة والجبروت، منها قوله تعالى **﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾** [المؤمنون: ٨٦]؟ **﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾** [المؤمنون: ١١٦]. **﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ**

مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ۝ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ۝ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٤-١٦]. ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: ٧]. ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥].

واهتزاز هذا الجرم بإرادة اللّه تعالى أمر ممكن عقلا وشرعا، وقد فسرت طائفة اهتزازه لموت سعد بتحركه فرحاً بقدوم روح سعد، سواء بالإرادة الإلهية التسخيرية، أو بإدراك وتمييز خلقه اللّه فيه، قال المازرى: ولا مانع منه، كما قال اللّه تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] قال: وهذا القول هو ظاهر الحديث، فالاهتزاز على حقيقته، وأن العرش تحرك لموته، وهذا لا ينكر من جهة العقل، لأن العرش جسم من الأجسام، يقبل الحركة والسكون. قال: وهذا القول هو المختار. اهـ. وعندى أنه مستبعد جداً، إذ لم يحصل مثل هذا لنبى ولا لرسول، ولا لسيد المرسلين محمد ﷺ، وقد قال صلى اللّه عليه وسلم هذا القول إظهاراً لفضيلة سعد، وهو لا تحصل به فضيلة سعد، كما يقول ذلك المازرى نفسه، حتى وإن جعل اللّه حركته علامة للملائكة على موته.

الرأى الثانى: أن المراد اهتزاز أهل العرش، وهم حملته من الملائكة، ففى الكلام مضاف محذوف،واهتزازهم حقيقة، فرحا بقدومه. وهو مستبعد أيضا بما استبعد به سابقه.

الرأى الثالث: كالثانى، إلا أن اهتزاز حملة العرش كناية عن استبشارهم بقدومه، وهو كثير فى لغة العرب، ومنه قولهم: اهتز طربا للخبر وللمكارم، لا يريدون اضطراب الجسم وحركته، وإنما يريدون الارتياح والإقبال، ويؤيده، ما أخرجه الحاكم «إن جبريل قال: من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء، واستبشر به أهلها؟ »، وهذا الرأى قريب من الرأى الذى سنختاره.

الرأى الرابع: أن المراد اهتزاز سرير الجنازة على أكتاف حملته، أى اهتز عرش سعد، فعند الحاكم «اهتز العرش فرحا به» وأوله البراء بن عازب، فقال: اهتز العرش فرحا بلقاء اللّه سعدا، حتى تفسخت أعواده على عواتقنا، وقال ابن عمر: يعنى عرش سعد، الذى حمل عليه، وعند الترمذى عن أنس قال: «لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته، فقال النبى ﷺ: إن الملائكة كانت تحمله».

قال النووى: وهذا القول باطل، ويرده صريح هذه الروايات، التى ذكرها مسلم، اهتز لموته عرش الرحمن» قال: وإنما قال هؤلاء هذا التأويل لكونهم لم تبلغهم هذه الروايات التى فى مسلم، وقال الحاكم: الأحاديث التى تصرح باهتزاز عرش الرحمن مخرجة فى الصحيحين، وليس لمعارضها فى الصحيح ذكر.

الرأى الخامس: قريب من الرابع: إلا أنه جعل الاهتزاز لحملة السرير، فرحا بقدومه على ربه.

الرأى السادس: وهو الذى نختاره أن اهتزاز عرش الرحمن كناية عن تعظيم أمر وفاة سعد والعرب تنسب الشىء المعظم إلى أعظم الأشياء، فيقولون: أظلمت الأرض لموت فلان، وقامت القيامة لموت فلان، وبكت عليه السماء والأرض. واللّه أعلم.

(**أهديت لرسول اللّه ﷺ حلة حرير**) فى ملحق الرواية «أتى رسول اللّه ﷺ بثوب حرير»

وفى الرواية الخامسة « أهدى لرسول الله ﷺ جبة من سندس » وفى ملحقها « أن أكيدر دومة الجندل أهدى لرسول الله ﷺ حلة » والأكثرون على أن الحلة - بضم الحاء وتشديد اللام المفتوحة - لا تكون إلا ثوبين، يحل أحدهما على الآخر، والبعض يقول: الحلة ثوب واحد جديد، قريب العهد بحله من طيه، ولما كان الثابت أن المهدى من أكيدر دومة الجندل كان قباء وأنه صاحب القصة كان قول غير الأكثرين هنا هو الصحيح، ويئول على قول الأكثرين .

والجبة بضم الجيم وتشديد الباء ثوب سابغ، واسع الكمين، مشقوق المقدم، يلبس فوق الثياب، والقباء بفتح القاف ثوب يلبس فوق الثياب، و « أكيدر» بضم الهمزة، تصغير « أكدر» وهو أكيدر بن عبد الملك، و « دومة الجندل » بضم الدال وسكون الواو، بلد بين الحجاز والشام. مدينة قرب تبوك، بها نخل وزرع وحصن، على عشر مراحل من المدينة، وثمان مراحل من دمشق، وكان أكيدر ملكها، وكان نصرانيًّا، وكان النبى ﷺ أرسل إليه خالد بن الوليد فى سرية، فأسره وقدم به المدينة، فصالحه النبى ﷺ على الجزية، وأطلقه، وروى أنه لما قدم المدينة أخرج قباء من ديباج منسوجا بالذهب، وقد سبق الموضوع فى كتاب اللباس، وفى باب حكم لبس الحرير.

(**فجعل أصحابه يلمسونها، ويعجبون من لينها**) « يلمسونها » بضم الميم وكسرها، وفى رواية البخارى « فجعل أصحابه يمسونها » وفى الرواية الخامسة « فعجب الناس منها ».

(**أتعجبون من لين هذه؟**) الاستفهام إنكارى توبيخى، بمعنى لا ينبغى أن تعجبوا، يعنى لا تعجبوا .

(**لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها، وألين**) وفى الرواية الخامسة « والذى نفس محمد بيده إن مناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا » فاللام فى « لمناديل سعد » فى جواب قسم محذوف. وفى رواية البخارى « خير منها أو ألين » والمناديل جمع منديل، بكسر الميم فى المفرد، وهو هذا الذى يحمل فى اليد، قال أهل اللغة: هو مشتق من الندل، وهو النقل، لأنه ينقل من واحد إلى واحد، وقيل: من الندل، وهو الوسخ لأنه يندل به، يقال: تندلت بالمنديل.

فقه الحديث

فى الحديث إشارة إلى عظيم منزلة سعد بن معاذ.

وتبشير له بأنه من أهل الجنة.

وأن أدنى ثيابه فيها خير من حرير الدنيا، لأن المنديل أدنى الثياب، لأنه معد للوسخ والامتهان، فغيره أفضل.

والله أعلم

(٦٥٣) باب من فضائل أبى دجانة: سماك بن خرشة ﷺ

٥٥٢٦- $\frac{128}{1}$ عَـن أَنَـسٍ ﷺ(١٢٨)، أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ أَخَـذَ سَـيْفًا يَـوْمَ أُحُـدٍ. فَقَـالَ: «مَنْ يَـأْخُذُ مِنِّـي هَـذَا؟» فَبَسَـطُوا أَيْدِيَهُـمْ. كُـلُّ إِنْسَـانٍ مِنْهُـمْ يَقُـولُ: أَنَـا، أَنَـا. قَـالَ: «فَمَـنْ يَـأْخُذُهُ بِحَقِّـهِ؟» قَـالَ: فَـأَحْجَمَ الْقَـوْمُ. فَقَـالَ سِـمَاكُ بْـنُ خَرَشَـةَ، أَبُـو دُجَانَـةَ: أَنَـا آخُـذُهُ بِحَقِّـهِ. قَالَ: فَـأَخَذَهُ فَفَلَـقَ بِـهِ هَـامَ الْمُشْـرِكِينَ.

المعنى العام

أبو دجانة، سماك بن خرشة، ويقال: سماك بن أوس بن خرشة بن لوزان بن عبد ود بن ثعلبة الأنصارى، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج.

شهد بدرًا مع رسول اللَّه ﷺ، وكان من الأبطال الذين دافعوا عن رسول اللَّه ﷺ يوم أحد، هو ومصعب ابن عمير، أما هو فقد كثرت فيه الجراح، وأما مصعب فقد استشهد.

عاش أبو دجانة حتى استشهد يوم اليمامة، وهو ممن اشترك فى قتل مسيلمة الكذاب يومئذ مع عبد اللَّه ابن زيد بن عاصم، ووحشى بن حرب، رضى اللَّه عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(**أبو دجانة**) بضم الدال.

(**أخذ سيفا يوم أحد**) أى أمسك بسيف من سيوفه صلى اللَّه عليه وسلم، وعرضه على أصحابه يوم أحد، قبل المعركة.

(**فقال: من يأخذ منى هذا؟**) ليقاتل به.

(**فبسطوا أيديهم**) أى بسط كثير منهم يده، ليأخذه.

(**كل إنسان منهم يقول: أنا. أنا**) أى أنا آخذه، لأقاتل به.

(**قال: فمن يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم**) أى تأخروا، وكفوا أيديهم، لما فهموا من أن حقه كبير، قد لا يوفونه، قال النووى: هكذا هو فى معظم نسخ بلادنا «فأحجم» بتقديم الحاء على الجيم،

(١٢٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَن أَنَسٍ

وفى بعضها بتقديم الجيم على الحاء، قال: وادعى القاضى أن الرواية بتقديم الجيم، ولم يذكر غيره، قال: فهما لغتان، ومعناهما تأخروا، وكفوا. اهـ

(**فقال أبو دجانة: أنا آخذه بحقه**) وعند الدولابى فى الكنى « فقام أبو دجانة سماك بن خرشة فقال: أنا. فما حقه؟ قال: لا تقتل به مسلما، ولا تفر به من كافر».

(**فأخذه، ففلق به هام المشركين**) أى شق رءوسهم، و« هام » بتخفيف الميم جمع هامة، وهى الرأس، أو أعلاه، أو وسطه.

فقه الحديث

فيه فضيلة كبيرة لأبى دجانة، وأنه كان من الأبطال الشجعان.

وفيه ما كان عليه الصحابة من توقير الرسول ﷺ، وخوفهم من مخالفته.

وما كان عليه صلى الله عليه وسلم من التشجيع على القتال، واستخدام الأساليب المهيجة النافعة.

والله أعلم

(٦٥٤) باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام، والد جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا

٥٥٢٧- ١٢٩/١ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا(١٢٩) قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، جِيءَ بِأَبِي مُسَجًّى، وَقَدْ مُثِلَ بِهِ. قَالَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوْبَ، فَنَهَانِي قَوْمِي. ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوْبَ. فَنَهَانِي قَوْمِي فَرَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَوْ أَمَرَ بِهِ فَرُفِعَ. فَسَمِعَ صَوْتَ بَاكِيَةٍ أَوْ صَائِحَةٍ. فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» فَقَالُوا: بِنْتُ عَمْرٍو، أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو، فَقَالَ: «وَلِمَ تَبْكِي؟ فَمَا زَالَتِ الْمَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ».

٥٥٢٨- ١٣٠/٢ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا(١٣٠) قَالَ: أُصِيبَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ. فَجَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَن وَجْهِهِ وَأَبْكِي. وَجَعَلُوا يَنْهَوْنَنِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَنْهَانِي. قَالَ: وَجَعَلَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو تَبْكِيهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «تَبْكِيهِ أَوْ لا تَبْكِيهِ، مَا زَالَتِ الْمَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ».

٥٥٢٩- وفى رواية عَن جَابِرٍ ﷺ، بِهَذَا الْحَدِيثِ. غَيْرَ أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ لَيْسَ فِي حَدِيثِهِ ذِكْرُ الْمَلائِكَةِ وَبُكَاءُ الْبَاكِيَةِ.

٥٥٣٠- وفى رواية عَن جَابِرٍ ﷺ قَالَ: جِيءَ بِأَبِي يَوْمَ أُحُدٍ مُجَدَّعًا. فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ. فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ

المعنى العام

عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا جابر، كان نقيبا يوم العقبة الثانية، ويقال: إن ابنه جابراً كان معه فى العقبة وهو صغير، وشهد بدرًا و أحدًا، وقتل يوم أحد شهيدًا، ومثل به المشركون، فقطعوا أنفه وأذناه، وكان أول قتيل من المسلمين يوم

(١٢٩) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ وَعَمْرٌو النَّاقِدُ كِلَاهُمَا عَن سُفْيَانَ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ابْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ يَقُولُ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ

(١٣٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
- حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ح وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ كِلاهُمَا عَن مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَن جَابِرٍ بِهَذَا الْحَدِيثِ
- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلَفٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ عَدِيٍّ أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَن عَبْدِ الْكَرِيمِ عَن مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَن جَابِرٍ

أحد، جاءوا به مغطى، فحاول ابنه أن يكشف وجهه فمنعوه، لئلا يزداد حزنا وغيظا، حين يراه ممثلا به، وبكت عليه أخته بصوت، وبكى ابنه جابر وبكى، فقال صلى اللّه عليه وسلم: « ابكوا عليه أو لا تبكوا عليه فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى دفنتموه »، يقول جابر: فجعلت أبكى، وجعل القوم ينهونى، ورسول اللّه ﷺ لا ينهانى، ودفن هو وعمرو بن الجموح فى قبر واحد، وكان عمرو بن الجموح زوجا لأخته هند بنت عمرو بن حرام، وكان القبر فى جانب السيل، فجرف السيل القبر، وانكشف ما فيه، فحفر جابر لأبيه قبرا آخر، ونقله إليه بعد ستة أشهر من دفنه، يقول جابر: فوجدا لم يتغيرا، كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد وضع يده على جرحه، فدفن وهو كذلك، فأميطت يده عن جرحه، ثم أرسلت فرجعت كما كانت، يقول جابر: فما أنكرت من أبى شيئا إلا شعرات من لحيته، كانت مستها الأرض.

وظل جابر منكسرًا، فقد ترك له أبوه دينا وعيالا، أخوات بنات قام عليهن بعد أبيه، مما اضطره إلى أن يتزوج ثيبا، ترعى شئونهن، وكان رسول اللّه ﷺ يحبه، ويعطف عليه، ويسامره، قال له يوما: « أفلا أبشرك يا جابر؟ أفلا أبشرك بما لقى اللّه به أباك؟ » قال جابر: بلى. يارسول اللّه. قال: « إن اللّه أحيا أباك، وكلمه كفاحا، وما كلم أحد قط إلا من وراء حجاب، فقال لأبيك: عبدى. تمن أعطك. قال: يارب. تردنى إلى الدنيا، فأقتل فيك ثانية، فقال الرب تعالى ذكره: إنه سبق منى **﴿أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ﴾** [القصص: ٣٩] قال: يارب. فأبلغ من ورائى، فأنزل اللّه **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** » [آل عمران: ١٦٩].

شهد جابر مع النبى ﷺ ثمانى عشرة غزوة، ولم يشهد بدراً، ولا أحداً مقاتلا، لصغره، فقد روى عنه أنه قال: لم أشهد بدراً ولا أحداً، منعنى أبى فلما قتل لم أتخلف، وقيل: إنه كان ينقل الماء لأصحابه يوم بدر.

واشترى منه رسول اللّه ﷺ جمله الضعيف، ونقده ثمنه، وأعاده إليه فى قصة سبقت فى باب بيع البعير واستثناء ركوبه، وشهد صفين مع على رضى اللّه عنهما، وكف بصره فى آخر عمره، وتوفى سنة ثمان وسبعين بالمدينة، وكان من المكثرين من رواية الحديث، وكان له حلقة فى المسجد النبوى، يؤخذ عنه العلم، رضى اللّه عنه وعن أبيه عبد اللّه وعن الصحابة أجمعين.

المباحث العربية

(**جيء بأبى مسجى**) أى مغطى، يقال: سجا الشيء يسجو سجوا سكن، وسجا الليل وسجا البحر وسجت الريح، وسجا الناس الميت، بتخفيف الجيم، وسجى الناس الميت بتشديدها غطوه.

(**وقد مثل به**) بضم الميم وتشديد الثاء المكسورة، مبنى للمجهول، وبضم الميم وكسر الثاء مخففة، والاسم المثلة، أما مثل بتشديد الثاء فهو للمبالغة. قال النووى: والرواية هنا بتخفيف الثاء المكسورة. ومثل بالقتيل إذا قطع أطرافه أو أنفه أو أذنه أو مذاكيره أو نحو ذلك، وفى رواية حماد

« قتل أبى يوم أحد، وجدع أنفه، وقطعت أذناه » وفى ملحق الرواية الثانية « جيء بأبى يوم أحد مجدعا ». قال الخليل: الجدع قطع الأنف والأذن.

(**فأردت أن أرفع الثوب، فنهانى قومى**) أى أردت أن أرفع الثوب عن وجهه، لأرى ما فعل به، وفى الرواية الثانية « فجعلت أكشف الثوب عن وجهه، وأبكى، وجعلوا ينهوننى، ورسول الله ﷺ لا ينهانى ». أى جعلت أحاول كشف الثوب، وهم يمنعوننى.

(**فرفعه رسول الله ﷺ، أو أمر به فرفع**) الظاهر أن « أو» للإضراب، وأن الواقع أن الرسول ﷺ أمر به فرفع، وإسناد الرفع إلى الرسول ﷺ فى قوله « فرفعه » مجاز عقلى.

(**فقالوا: بنت عمرو، أو أخت عمرو**) الشك من القائلين، وكان لعمرو بن الجموح بنت وأخت واستشهد يوم أحد، حين انكشف المسلمون، شهد العقبة، ثم بدراً، ودفن مع عبد الله بن عمرو ابن حرام فى قبر واحد، وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام، فعبد الله بمنزلة عمه، وكان زوجاً لأخت عبد الله، فبنت عمرو تبكى أباها وخالها، وأخت عمرو تبكى أخاها وعمها، و فى الرواية الثانية « وجعلت فاطمة بنت عمرو تبكيه » بدون شك، والمراد: تبكى عمراً، أو تبكى خالها عبد الله، وهو الأولى لتناسق الضمائر، وعودها على مصدر واحد.

(**فقال: ولم تبكى؟**) الاستفهام إنكارى توبيخى، أى لا ينبغى أن تبكى، لحسن خاتمته التى يسر لها أحبابه، و فى الرواية الثانية « تبكيه أو لا تبكيه » أى يستوى بكاؤها وعدمه، فقد أكرمه الله بالشهادة التى تخفف حزن الحزين، قال النووى: معناه سواء بكت عليه أم لا فما زالت الملائكة تظله، أى فقد حصل له من الكرامة هذا وغيره، فلا ينبغى البكاء على مثل هذا.

(**فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع**) قال القاضى: يحتمل أن ذلك لتزاحمهم عليه، لبشارته بفضل الله ورضاه عنه، وما أعد له من الكرامه، أو ازدحموا عليه إكراما وتكريما له، وفرحا به، أو أظلوه من حر الشمس، لئلا يتغير ريحه أو جسمه. اهـ. وهذا الأخير مستبعد، لما سبق فى المعنى العام أنه لم يتغير بعد أشهر فى قبره.

فقه الحديث

فيه فضيلة عبد الله بن عمرو، وتكريم الله له عند موته، وبشارة النبى ﷺ لأهله، ومواساته لهم، وجواز البكاء على الميت، والكشف عن وجهه.

والله أعلم

(٦٥٥) باب من فضائل جليبيب رضي الله عنه

٥٥٣١- ١٣١/١ عَن أَبِي بَرْزَةَ رضي الله عنه(١٣١)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي مَغْزًى لَهُ. فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ. فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِن أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ. فُلانًا وَفُلانًا وَفُلانًا. ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِن أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ. فُلانًا وَفُلانًا وَفُلانًا. ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِن أَحَدٍ؟» قَالُوا: لا. قَالَ: «لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا. فَاطْلُبُوهُ» فَطُلِبَ فِي الْقَتْلَى. فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ. ثُمَّ قَتَلُوهُ. فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَوَقَفَ عَلَيْهِ. فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةً. ثُمَّ قَتَلُوهُ. هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ. هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» قَالَ: فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ. لَيْسَ لَهُ إِلا سَاعِدَا النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: فَحُفِرَ لَهُ وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ. وَلَمْ يَذْكُرْ غَسْلا.

المعنى العام

رجل دميم الخلقة قصير، لا يؤبه له حضر أو غاب، لكنه عند الله عظيم، وعند رسول الله ﷺ عزيز عظيم، سأله رسول الله ﷺ يوما: لم لم تتزوج يا جليبيب؟ فقال: إذن تجدني يا رسول الله كاسدا في سوق الرجال، فقال: إنك عند الله لست بكاسد، وذكر له ابنة أنصاري، فلما علم الأنصاري وزوجته كأنهما كرها ذلك، فسمعت ابنتهما بما أراد رسول الله ﷺ، فقرأت قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ثم قالت: رضيت وسلمت لما يرضى لي به رسول الله ﷺ، فدعا لها رسول الله ﷺ، وقال: اللهم اصبب عليها الخير صباً، ولا تجعل عيشها كدا، وتزوجته، وجاهد في سبيل الله، وغنم، وغنم، وغنم، ونفله رسول الله ﷺ لبطولته، فلما افتقده رسول الله ﷺ في نهاية غزوة، وفي تصفية مكاسبها وخسائرها سأل أصحابه، سؤال توجيه وتعليم: من فقدتم من الأبطال في هذه المعركة؟ قالوا: فقدنا فلانا وفلانا وفلانا، يذكرون من يؤبه لهم إذا حضروا، ويسأل عنهم إذا غابوا، وأعاد الرسول ﷺ السؤال، فذكروا فلانا وفلانا وفلانا، غير من ذكروا أولاً، فكرر الرسول ﷺ السؤال فلم يذكروا فيمن ذكروا جليبيباً، فقال: أما أنا فأفتقد جليبيباً، ابحثوا عنه، وقام معهم يبحث عنه بين القتلى، فوجده بين سبعة من المشركين قتلهم قبل أن يستشهد، فقال: هكذا تكون البطولة، وهكذا يكون الجندي المجهول، وهكذا يكون الجهاد في سبيل الله. هو يشبهني في الشجاعة وأنا أشبهه، ثم حمله رسول الله ﷺ على ساعديه، لم يسمح للصحابة أن يحملوه إلى قبره، بل حمله هو بنفسه حتى وضعه في حفرته، أما زوجته فكانت بعده من أكثر النساء مالا ونفقة.

---

(١٣١) حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سَلِيطٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ كِنَانَةَ بْنِ نُعَيْمٍ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ

مثل أعلى في تكريم الأعمال قبل تكريم الهيئات، والأجسام، وطوبى لعبد يجاهد في سبيل اللَّه، لايهتم بتقدير الناس، إن كان في المقدمة أو كان في الساقة، هو يتعامل للَّه، ومع اللَّه ولدين اللَّه. رضي اللَّه عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(**جليبيب**) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: اسم غير منسوب، أي لم يذكر له نسب من أهل النسب، وهو على هيئة تصغير جلباب.

(**كان في مغزى له**) أي في سفر غزو من أسفار غزواته، ولم أر من حدد هذه الغزوة.

(**هذا مني وأنا منه**) قال النووي: معناه المبالغة في اتحاد طريقتهما، واتفاقهما في طاعة اللَّه.

فقه الحديث

فيه منقبة عظيمة لجليبيب، وتقدير النبي ﷺ للكفايات وتكريمهم، وفيه أن الشهيد لا يغسل ولا يصلى عليه.

واللَّه أعلم

(٦٥٦) باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه

٥٥٣٢- ١٣٢/١ عَن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه(١٣٢) قَالَ: خَرَجْنَا مِن قَوْمِنَا غِفَارٍ. وَكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ. فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي أُنَيْسٌ وَأُمُّنَا. فَنَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا. فَأَكْرَمَنَا خَالُنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا. فَحَسَدَنَا قَوْمُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَن أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمْ أُنَيْسٌ. فَجَاءَ خَالُنَا فَنَثَا عَلَيْنَا الَّذِي قِيلَ لَهُ. فَقُلْتُ: أَمَّا مَا مَضَى مِن مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَدَّرْتَهُ، وَلا جِمَاعَ لَكَ فِيمَا بَعْدُ. فَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا. فَاحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا. وَتَغَطَّى خَالُنَا ثَوْبَهُ فَجَعَلَ يَبْكِي. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ. فَنَافَرَ أُنَيْسٌ عَن صِرْمَتِنَا وَعَن مِثْلِهَا. فَأَتَيَا الْكَاهِنَ. فَخَيَّرَ أُنَيْسًا. فَأَتَانَا أُنَيْسٌ بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا. قَالَ: وَقَدْ صَلَّيْتُ، يَا ابْنَ أَخِي! قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِثَلاثِ سِنِينَ. قُلْتُ: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ. قُلْتُ: فَأَيْنَ تَوَجَّهُ؟ قَالَ: أَتَوَجَّهُ حَيْثُ يُوَجِّهُنِي رَبِّي. أُصَلِّي عِشَاءً حَتَّى إِذَا كَانَ مِن آخِرِ اللَّيْلِ أُلْقِيتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ. حَتَّى تَعْلُوَنِي الشَّمْسُ. فَقَالَ أُنَيْسٌ: إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَاكْفِنِي. فَانْطَلَقَ أُنَيْسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ. فَرَاثَ عَلَيَّ. ثُمَّ جَاءَ فَقُلْتُ: مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ. يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ. قُلْتُ: فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ. وَكَانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ. قَالَ أُنَيْسٌ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ. فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ. وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ. فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي؛ أَنَّهُ شِعْرٌ. وَاللَّهِ! إِنَّهُ لَصَادِقٌ. وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. قَالَ: قُلْتُ: فَاكْفِنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ. قَالَ فَأَتَيْتُ مَكَّةَ. فَتَضَعَّفْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ. فَقُلْتُ: أَيْنَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِئَ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَقَالَ: الصَّابِئَ. فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي بِكُلِّ مَدَرَةٍ وَعَظْمٍ. حَتَّى خَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ. قَالَ: فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ، كَأَنِّي نُصُبٌ أَحْمَرُ. قَالَ: فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ فَغَسَلْتُ عَنِّي الدِّمَاءَ، وَشَرِبْتُ مِن مَائِهَا. وَلَقَدْ لَبِثْتُ، يَا ابْنَ أَخِي! ثَلاثِينَ، بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ. مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلا مَاءُ زَمْزَمَ. فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي. وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ. قَالَ: فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ إِضْحِيَانَ، إِذْ ضُرِبَ عَلَى أَسْمِخَتِهِمْ. فَمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ أَحَدٌ وَامْرَأَتَيْنِ مِنْهُمْ تَدْعُوَانِ إِسَافًا وَنَائِلَةَ. قَالَ: فَأَتَتَا عَلَيَّ فِي طَوَافِهِمَا فَقُلْتُ: أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الأُخْرَى. قَالَ: فَمَا تَنَاهَتَا عَن قَوْلِهِمَا. قَالَ: فَأَتَتَا عَلَيَّ فَقُلْتُ: هَنٌ مِثْلُ الْخَشَبَةِ. غَيْرَ أَنِّي لا أَكْنِي. فَانْطَلَقَتَا تُوَلْوِلانِ، وَتَقُولانِ: لَوْ كَانَ هَاهُنَا أَحَدٌ مِن أَنْفَارِنَا! قَالَ فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ. وَهُمَا هَابِطَانِ. قَالَ: «مَا

---

(١٣٢) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الأَزْدِيُّ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلالٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : قَالَ أَبُوذَرٍّ

لَكُمَا؟» قَالَتَا: الصَّابِئُ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا. قَالَ: «مَا قَالَ لَكُمَا؟» قَالَتَا: إِنَّهُ قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلأ الْفَمَ. وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ. وَطَافَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ ثُمَّ صَلَّى. فَلَمَّا قَضَى صَلاتَهُ (قَالَ أَبُو ذَرٍّ) فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الإِسْلامِ. قَالَ: فَقُلْتُ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ» ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أَنْتَ؟» قَالَ: قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ. قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنِ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ. فَذَهَبْتُ آخُذُ بِيَدِهِ. فَقَدَعَنِي صَاحِبُهُ. وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ. ثُمَّ قَالَ: «مَتَى كُنْتَ هَاهُنَا؟» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ هَاهُنَا مُنْذُ ثَلاثِينَ، بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ. قَالَ: «فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلا مَاءُ زَمْزَمَ. فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي. وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ. قَالَ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ. إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ. فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ. وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا. فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا. فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَبِيبِ الطَّائِفِ. وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا. ثُمَّ غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ. ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ. لا أُرَاهَا إِلا يَثْرِبَ. فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ». فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَأَتَيْنَا أُمَّنَا. فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ. وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ أَيْمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ. وَكَانَ سَيِّدَهُمْ. وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا. فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي. وَجَاءَتْ أَسْلَمُ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِخْوَتُنَا. نُسْلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ. فَأَسْلَمُوا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا. وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ».

٥٥٣٣ - وَفِي رواية عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلالٍ(-) بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ- قُلْتُ: فَاكْفِنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ- قَالَ: نَعَمْ. وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ. فَإِنَّهُمْ قَدْ شَنِفُوا لَهُ وَتَجَهَّمُوا.

٥٥٣٤ - وَفِي رواية عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! صَلَّيْتُ سَنَتَيْنِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: قُلْتُ: فَأَيْنَ كُنْتَ تَوَجَّهُ؟ قَالَ: حَيْثُ وَجَّهَنِيَ اللَّهُ. وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ

(-) حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلالٍ
- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ قَالَ أَنْبَأَنَا ابْنُ عَوْنٍ عَنْ حُمَيْدِ ابْنِ هِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ

ابْنِ الْمُغِيرَةِ. وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: فَتَنَافَرَا إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْكُهَّانِ. قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ أَخِي، أُنَيْسٌ يَمْدَحُهُ حَتَّى غَلَبَهُ. قَالَ: فَأَخَذْنَا صِرْمَتَهُ فَضَمَمْنَاهَا إِلَى صِرْمَتِنَا. وَقَالَ أَيْضًا فِي حَدِيثِهِ: قَالَ: فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ الْمَقَامِ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ. فَإِنِّي لأوَّلُ النَّاسِ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الإِسْلامِ. قَالَ: قُلْتُ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «وَعَلَيْكَ السَّلامُ. مَنْ أَنْتَ؟» وَفِي حَدِيثِهِ أَيْضًا: فَقَالَ: «مُنْذُ كَمْ أَنْتَ هَاهُنَا؟» قَالَ: قُلْتُ: مُنْذُ خَمْسَ عَشْرَةَ. وَفِيهِ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَتْحِفْنِي بِضِيَافَتِهِ اللَّيْلَةَ.

٥٥٣٥- ١٣٣/٢ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا[١٣٣] قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ قَالَ لأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي. فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ. فَاسْمَعْ مِن قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي. فَانْطَلَقَ الآخَرُ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ. وَسَمِعَ مِن قَوْلِهِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ. وَكَلامًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ. فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي فِيمَا أَرَدْتُ. فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ، فِيهَا مَاءٌ. حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ. فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلا يَعْرِفُهُ. وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنهُ. حَتَّى أَدْرَكَهُ- يَعْنِي اللَّيْلَ- فَاضْطَجَعَ. فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ. فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ. فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَن شَيْءٍ. حَتَّى أَصْبَحَ. ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ. فَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ. وَلا يَرَى النَّبِيَّ ﷺ. حَتَّى أَمْسَى. فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ. فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ. فَقَالَ: مَا أَنَى لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟ فَأَقَامَهُ. فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ. وَلا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَن شَيْءٍ. حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ. فَأَقَامَهُ عَلِيٌّ مَعَهُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَلا تُحَدِّثُنِي؟ مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ هَذَا الْبَلَدَ؟ قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِّي، فَعَلْتُ. فَفَعَلَ. فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ. وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي. فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ، قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ. فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي. فَفَعَلَ. فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَدَخَلَ مَعَهُ. فَسَمِعَ مِن قَوْلِهِ. وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي» فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لأصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ. فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ. فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. وَثَارَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ. فَأَتَى

(١٣٣) و حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَرْعَرَةَ السَّامِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ وَتَقَارَبَا فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ وَاللَّفْظُ لابْنِ حَاتِمٍ قَالا حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى بْنُ سَعِيدٍ عَن أَبِي جَمْرَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

الْعَبَّـاسُ فَـأَكَبَّ عَلَيْـهِ. فَقَـالَ: وَيْلَكُـمْ! أَلَسْـتُمْ تَعْلَمُـونَ أَنَّـهُ مِـن غِفَـارٍ. وَأَنَّ طَرِيـقَ تُجَّـارِكُمْ إِلَـى الشَّـامِ عَلَيْهِـمْ. فَـأَنْقَذَهُ مِنْهُـمْ. ثُـمَّ عَـادَ مِـنَ الْغَـدِ بِمِثْلِهَـا. وَثَـارُوا إِلَيْـهِ فَضَرَبُـوهُ. فَـأَكَبَّ عَلَيْـهِ الْعَبَّـاسُ فَـأَنْقَذَهُ.

المعنى العام

أبو ذر الغفارى الزاهد المشهور، الصادق اللهجة، مختلف فى اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن، وقيل: اسم جده سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار، وأمه اسمها رملة بنت الوقيعة، غفارية أيضا، والحديث يحكى قصة إسلامه، وأنه من السابقين الأوائل، يقال: إن إسلامه كان بعد أربعة، وانصرف إلى بلاده، فأقام بها، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، ومضت بدر وأحد، ولم يتهيأ له الهجرة إلا بعد ذلك، وكان طويلا نحيفا، أسمر اللون، وكان صلى الله عليه وسلم يبتدئ أبا ذر إذا حضر، ويفتقده إذا غاب، وقد روى عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أقربكم منى مجلسا يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئته يوم تركته فيها، وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد نشب فيها بشيء، غيرى ». فكان زاهدا، واشتهر عنه مذهب يقول: المال مال الله، وأن كل فضل زائد عن الحاجة من مال هو مال المسلمين، وهو كنز يذم فاعله، وأن آية الوعيد ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ۞ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥] كان يرى أن هذه الآية نزلت فى ذلك، وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم، وحملوا الوعيد على مانعى الزكاة.

سكن الشام بعد النبى ﷺ، وكان يعظ الناس فى المسجد، ويقول: هلم لا يبيتن عند أحدكم دينار ولا درهم، إلا ما ينفقه فى سبيل الله. فضاق به معاوية ذرعا، وكان واليا على الشام من قبل عثمان، فكتب إلى عثمان: إن كان لك بالشام حاجة فابعث إلى أبى ذر، فكتب إليه عثمان: أن أقدم علي، فقدم المدينة، وأخذ يقول فى مسجد المدينة ما كان يقوله فى مسجد الشام، وتذمر المسلمون إلى عثمان من قول أبى ذر، وأخذوا ينفرون إذا رأوا أبا ذر، بل يفرون من وجهه إذا رأوه فى الطريق، أو يتجمعون حوله، يسألونه عن سبب إخراجه من الشام، فخشى عثمان على أهل المدينة ما خشيه معاوية على أهل الشام، فقال له: تنح قريبا عن المدينة، أو دع ما تقول.

فقال: والله لا أدع ما كنت أقوله، فاختار الربذة - بفتح الراء والباء، قرية بين مكة والمدينة- فنزل بها حتى مات سنة إحدى وثلاثين، وصلى عليه عبد الله بن مسعود، وقد روى أن رسول الله ﷺ قال: « يرحم الله أبا ذر، يعيش وحده، ويموت وحده، ويحشر وحده ». رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(**خرجنا من قومنا غفار**) سيأتى قريبا من فضائل هذه القبيلة.

(**وكانوا يحلون الشهر الحرام**) جملة معترضة، ولعلها لبيان الدافع على خروجهم من قومهم، إذ كان أبو ذر وأخوه من المحافظين على الأمور الدينية.

(**فخرجت أنا وأخي أنيس وأمنا فنزلنا على خال لنا**) تفصيل للمجمل فى قوله سابقا « خرجنا ». و « أنيس » بضم الهمزة مصغرا، كان أكبر من أبى ذر، وأمهما رملة بنت الوقيعة، غفارية أيضًا، والظاهر أن هذا الخروج كان هجرة، ولم يكن زيارة، ويحتمل أن خالهما قد تزوج من قوم آخرين، فأقام عندهم، واعتبروا قومه، لأننا قلنا: إن أمه غفارية، فخاله كذلك.

(**فأكرمنا خالنا، وأحسن إلينا، فحسدنا قومه**) أى وحقدوا علينا حياتنا معه حياة هنيئة، ونحن من قوم لا يحبونهم، فأوقعوا فتنة بيننا وبينه.

(**فقالوا**) أى قال الواشون منهم لخالى، وفى رواية « فأتاه رجل فقال له ».

(**إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس**) كانوا قد أقاموا لهم منزلا بجوار منزل خالهم، وكانت لهم شياههم، وإبلهم التى خرجوا بها، فكانت الوشاية أن أنيسا يستغل خروج خاله من منزله، ليدخل على زوجة خاله.

(**فجاءنا خالنا، فنثا علينا الذى قيل له**) « نثا » نون ثم ثاء مخففة، أى أفشى وأذاع، يقال: نثا الحديث، ينثوه، نثوا، بثه.

(**فقلت: أما ما مضى من معروفك فقد كدرته**) أى فقلت لخالى: كان معروفك دينا فى رقابنا صافيا جليلا، لكن بهذا الاتهام كدرته وعكرته.

(**ولا جماع لك فيما بعد**) أى ولا نجتمع معك فى مكان بعد ذلك، وفى رواية « فبلغ أخى، فقال: والله لا أساكنك، فارتحلنا ».

(**فقربنا صرمتنا، فاحتملنا عليها**) الصرمة بكسر الصاد القطعة من الإبل، وتطلق أيضا على القطعة من الغنم، والمعنى فجمعنا إبلنا من مرعاها، فارتحلنا عليها، يقال: احتمل القوم إذا ارتحلوا.

(**وتغطى خالنا ثوبه، فجعل يبكى**) على هذه النتيجة المحزنة، يقال: تغطى بثوبه، ففى الكلام حذف وإيصال.

(**فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة**) أى حتى وصلنا حمى مكة وأرضها وواديها وحيارتها فضربنا منزلنا بعيدًا عن مبانيها.

(**فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهن، فخير أنيسا، فأتانا أنيس بصرمتنا، ومثلها معها**) أصل المنافرة: المفاخرة والمحاكمة، فيفخر كل واحد

مـن الرجليـن علـى الآخـر، ثـم يتحاكمـان إلـى رجـل، ليحكـم أيهمـا خـير، وكـانت هـذه المفـاخرة بالشعر، وكـان أنيـس شـاعرا، كمـا صـرح بذلـك فـى الروايـة، فغلـب الآخـر. والمعنـى فراهـن أنيـس رجـلا، أيهمـا خـير شـعرا، وكـان الرهـن صرمـة ذا، وصرمـة ذاك، فأيهمـا كـان أفضـل أخـذ الصرمتيـن، فتحاكمـا إلـى كـاهن، فحكـم بـأن أنيسـا أفضـل، وخـير أنيسـا، أى جعلـه الخيـار والأفضـل، فرجـع أنيـس مـن رحلتـه ومـن مرعـاه بصرمتهـم وبمثلهـا، وفـى الملحـق الثـانى للروايـة الأولـى « فتنـافرا إلـى رجـل مـن الكهـان، فلـم يـزل أخـى أنيـس يمدحـه حتـى غلبـه » أى يمـدح الكـاهن بالشعر حتى غلـب الآخـر، قـال أبـو ذر « فأخذنـا صرمتـه، فضممناهـا إلـى صرمتنـا ».

(**قال: وقد صليت يابن أخى قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين**). قلت: لمن؟ « أى لمن كنت تصلى؟ » قـال: « لله. قلت: فأين توجه؟ » أى فإلى أى جهة تتوجه فى صلاتـك قـال: « أتوجه حيث يوجهنى ربى » أى كيفما تيسر، وفى ملحق الرواية « صليت سنتين » فيحتمل أن المدة سنتان وأشهر فجبر الكسر تارة، وألغى الكسر تارة أخرى.

وهذه المقاولة كانت بين أبى ذر وبين عبد الله بن الصامت، راوى الحديث عن أبى ذر، وليس ابن أخيه على الحقيقة، فقوله « يا بن أخى » جرى على عادة العرب فى التراحم.

(**أصلى عشـاء، حتـى إذا كـان مـن آخـر الليـل ألقيـت كـأنى خفـاء، حتـى تعلونـى الشمس**) الخفاء -بكسر الخاء- الكساء، وجمعه أخفية، ككساء وأكسية. قال القاضى: ورواه بعضهم « جفاء » بجيم مضمومة، وهو غثاء السيل، قال: والصواب المعروف الأول، والمعنى أنه كان يصلى من أول الليل حتى يقرب آخره، فينام من السهر والإعياء كثوب لا حراك به ولا إحساس، حتى ترتفع الشمس، أما كيف كان يصلى؟ فالظاهر أنها كانت مطلق عبادة ودعاء وثناء على الله.

(**فقـال أنيس: إن لى حاجة بمكة، فاكفنى**) أى إن لى رغبة فى النزول إلى البلدة، فقم مقامى فى رعاية الشئون، وفى ملحق الرواية « فاكفنى حتى أذهب فأنظر» أى فأنظر أمر هذا الرجل الذى تكلمنا عنه، ففى الرواية الثانية « فلما بلغ أبا ذر مبعث النبى ﷺ بمكة، قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادى – أى وادى مكة، أى دورها – فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله، ثم ائتنى » وفى ملحق الرواية الأولى « وكن على حذر من أهل مكة، فإنهم قد شنفوا له، وتجهموا » « شنفوا » بفتح الشين وكسر النون، أى أبغضوه، والتجهم المقابلة بغلظة وكراهية.

(**فانطلق أنيس، حتى أتى مكة، فراث على، ثم جاء**) أى أبطأ على، ثم جاء، فى الرواية الثانية « فانطلق الآخر، حتى قدم مكة، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أ بى ذر» قال النووى: هكذا هو فى أكثر النسخ، وفى بعضها « الأخ » بدل « الآخر» وهو هو، فكلاهما صحيح.

(**قال: لقيت رجلا بمكة على دينك**) أى على شبه عقيدتك وعبادتك.

(**يزعم أن الله أرسله**) الظاهر أن أنيس لقيه، وسمع منه، ففى الرواية الثانية « رأيته يأمر

بمكارم الأخلاق، وكلامًا ما هو بالشعر» و« كلامًا » منصوب بفعل محذوف أى ويقول كلامًا، كقولهم: علفتها تبنا وماء باردًا، والتقدير، وسقيتها ماء باردًا.

(**لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم**) أى فما يشبه قوله قولهم، فليس بكاهن.

(**ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر، فما يلتئم على لسان أحد بعدى أنه شعر**)
« أقراء الشعر» بسكون القاف، طرقه وأنواعه وقوافيه وبحوره، جمع قرء بضم القاف وسكون الراء، فهو مشترك لفظى بين الحيض والطهر والقافية. والمعنى: لقد قلبت قوله على أصناف الشعر، فما هو بنوع منه، ولا يقبل على لسانى ولا على لسان غيرى أنه شعر.

(**قلت: فاكفنى، حتى أذهب فأنظر**) أى فقم هنا بالشئون، حتى أذهب إلى مكة وأقابله وأنظر أمره وأتدبره، وفى الرواية الثانية « رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاما ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتنى فيما أردت ». قال النووى: كذا فى جميع نسخ مسلم « فيما » بالفاء، وفى رواية البخارى « مما » بالميم، وهو أجود، أى ما بلغتنى غرضى، وما أزلت عنى هم كشف هذا الأمر.

(**قال: فأتيت مكة، فتضعفت رجلا منهم**) أى نظرت إلى أضعف رجل لاقيته، فسألته.

واختار الضعيف لأنه مأمون الغائلة غالبا، وفى رواية « فتضيفت » بالياء، وأنكرها القاضى وغيره، قالوا: لا وجه له هنا.

(**فقلت: أين هذا الذى تدعونه الصابئ؟**) يقال: صبأ من شىء إلى شىء إذا انتقل، وصبأ الرجل ترك دينه، ودان بآخر، والظاهر أن الرجل أحس أن أبا ذر يميل إلى محمد ﷺ، ويرغب فى لقائه حباً فيه، لقوله « تدعونه » لأنهم كانوا يمنعون الغريب أن يلتقى به.

(**فأشار إلىَّ، فقال: الصابئ**) « الصابئ » منصوب بفعل محذوف، والمعنى، فأغرى بى أصحابه السفهاء والصبية، وأشار إلى، يقول لهم: اضربوا الصابئ.

(**فمال علىَّ أهل الوادى بكل مدرة وعظم، حتى خررت مغشيا على**) المدر الطين المتماسك وما يعرف بالطوب اللبن، أى تجمع حولى أهل المنطقة يقذفوننى بالحجارة والعظم، حتى سقطت على الأرض مغشيا على.

(**قال: فارتفعت حين ارتفعت كأنى نصب أحمر**) أى فانصرفوا عنى، فلما أفقت قمت ووقفت لا حراك بى، تغطينى الدماء التى سالت منى، كأنى تمثال أحمر من حجر، والنصب بضم الصاد وإسكانها الصنم والحجر الذى كانت الجاهلية تنصبه وتذبح عنده، قال تعالى **﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾**[المائدة: ٣].

(**فسمنت، حتى تكسرت عكن بطنى**) « العكن » بضم العين وفتح الكاف، جمع عكنة بسكون الكاف، وهى طيات البطن من السمن.

(**وما وجدت على كبدى سخفة جوع**) بفتح السين وضمها مع إسكان الخاء رقة الجوع وضعفه وهزاله. يقال: سخف الشيء بضم الخاء، يسخف، سخفا بضم السين وسكون الخاء، وسخفة وسخافة، رق وضعف، وسخف العقل ضعف، ورأى سخيف، أى ضعيف، والمعنى ثلاثون يومًا لا آكل فيها ولا أشرب إلا ماء زمزم، لم أحس فيها بضعف ولا بجوع.

(**قال: فبينا أهل مكة فى ليلة قمراء إضحيان، إذ ضرب على أسمختهم، فما يطوف بالبيت أحد، وامرأتان منهم تدعوان إسافا ونائلة**) الليلة القمراء التى ينيرها القمر، « والإضحيان » بكسر الهمزة والحاء وسكون الضاد هى المضيئة، يقال: ليلة إضحيان، وإضحيانة وضحياء، ويوم ضحيان، والإضحيان من الأيام الصحو الذى ليس فيه غيم. و « الأسمخة » جمع سماخ، وهو الخرق الذى فى الأذن المفضى إلى الرأس، ويقال له: صماخ بالصاد، وهو الأفصح والأشهر، والضرب على الآذان كناية عن النوم، قال تعالى ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١] والمعنى: فى ليلة مقمرة من الليالى الثلاثين نام أهل مكة، فلم يطف بالبيت منهم أحد، ولكن كان من أهل مكة امرأتان تدعوان الصنمين المسميين إسافا ونائلة، وتتضرعان إليهما، وكانا صنمين لقريش، إساف على هيئة رجل، ونائلة على هيئة امرأة، وضعهما عمرو بن لحى على الصفا والمروة. قال النووى: « وامرأتين » هكذا هو فى معظم النسخ بالياء، وفى بعضها « وامرأتان » بالألف، والأول منصوب بفعل محذوف، أى ورأيت امرأتين.

(**قال فأتتا علىّ فى طوافهما**) كان بجوار الكعبة، فجاءتا من دعائهما إسافاً ونائلة لتطوفا.

(**فقلت: أنكحا أحدهما الأخرى**) أى قلت لهما، استهزاء وسخرية بالصنمين، وبدعائهما لهما: زوجا إسافا لنائلة، أو ركبا إسافا على نائلة، يجامعها.

(**قال: فما تناهتا عن قولهما، فأتتا على**) أى ما انتهتا عن عملهما وعقيدتهما، ولم تكترثا بقولى، وأتتا بجوارى، مستخفتين بقولى.

(**فقلت: هن مثل الخشبة - غير أنى لا أكنى**) الهن والهنة بتخفيف نونهما، كناية عن كل شيء، وأكثر ما يستعمل كناية عن الفرج، والذكر، و« أكنى » أى لم أتكلم بلفظ الكناية ولفظ الهن، بل صرحت لهما باللفظ المستقبح، فقال مثلا: ذكر مثل الخشبة، وكان لإساف الصنم ذكر ظاهر بارز، وأراد بذلك سب إساف ونائلة والسخرية منهما، وإغاظة المرأتين.

(**فانطلقتا تولولان**) الولولة الدعاء بالويل.

(**وتقولان: لو كان ههنا أحد من أنفارنا**) الأنفار جمع نفر أو نفير، وهو الذى ينفر عند الاستغاثة. قال النووى: ورواه بعضهم « أنصارنا » وهو بمعناه، و « لو » شرطية جوابها محذوف، أى لانتصر لنا.

(**فاستقبلهما رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وهما هابطان**) الحرم في المنخفض، والمباني على سفح الجبل المحيط بالحرم، فالذاهب إلى الحرم هابط، أي وأبو بكر مع رسول الله ﷺ داخلان الحرم، والمرأتان خارجتان صاعدتان منه.

(**قال: مالكما**) تولولان؟ وتقولان: لو كان معنا رجل لانتصرنا؟

(**قالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها**) أي الذي بدل دينه، وسفه آلهتنا واقف بين الكعبة وأستارها، وهو الذي آذانا.

(**قال: ما قال لكما؟ قالتا: إنه قال لنا كلمة تملأ الفم**) أي كلمة عظيمة، لا شيء أقبح منها، كالشيء الذي يملأ الشيء، ولا يسع غيره، كما نقول: تملأ سمع الدنيا، فالكلام كناية عن عظمها وفظاعتها، وقيل: معناه كلمة لا يمكن ذكرها وحكايتها، كأنها تسد فم حاكيها وتملؤه لاستعظامها، أي كلمة تجعل الفم مملوءا بغيرها لا يستطيع ذكرها.

(**وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر، وطاف بالبيت هو وصاحبه، ثم صلى**) وفي ملحق الرواية «فطاف بالبيت، وصلى ركعتين خلف المقام».

(**قال أبو ذر: فكنت أول من حياه تحية الإسلام. فقلت: السلام عليك يا رسول الله**) إذ كان أبو ذر خامس أربعة آمنوا.

(**قال: وعليك ورحمة الله**) قال النووي: هكذا هو في جميع النسخ «وعليك» من غير ذكر «السلام» وفيه دلالة لأحد الوجهين لأصحابنا، أنه إذا قال في رد السلام: وعليك، يجزئه لأن العطف يقتضي كونه جوابا، والمشهور من أحواله صلى الله عليه وسلم وأحوال السلف رد السلام بكماله، فيقول: وعليكم السلام ورحمة الله. اهـ والحق أن الحديث لا يصلح دليلا، فقد كان هذا أول الإسلام، والعبرة بما كان من تشريع في أخريات الرسالة، على أن لفظ الحديث في ملحق الرواية «قال: وعليك السلام».

(**ثم قال: من أنت؟ قال: قلت: من غفار. قال: فأهوى بيده، فوضع أصابعه على جبهته**) أي كالمتعجب، أو كالمندهش، أو كالمفكر. كيف لهذا الرجل بتحية الإسلام؟ وكيف ومتى أسلم؟ وهو من غفار بينما أهله في مكة لم يسلموا؟ وكيف وصل إليه وحصار المشركين له شديد؟

(**فقلت في نفسي: كره أن انتميت إلى غفار، فذهبت آخذ بيده، فقدعني صاحبه، وكان أعلم به مني**) وإنما ظن أنه كره انتماءه إلى غفار، لأنهم قد اشتهر عنهم أنهم يسرقون الحاج، و«قدعني صاحبه» أي كفني ومنعني أن آخذ بيده، يقال: قدعه وأقدعه إذا كفه ومنعه، وقوله «وكان أعلم به مني» إشارة إلى أنه استجاب للمنع.

(**ثم رفع رأسه**) أى ورفع أصابعه عن جبهته.

(**ثم قال: متى كنت ههنا؟ قلت: قد كنت ههنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم**) فى ملحق الرواية « مذ كم أنت ههنا؟ قلت: منذ خمس عشرة) والجمع بين الروايتين صعب.

(**إنها طعام طعم**) قال النووى: هو بضم الطاء وإسكان العين، أى تشبع شاربها، كما يشبعه الطعام.

(**فقال أبو بكر: يا رسول الله ائذن لى فى طعامه الليلة**) أى فأذن له، وفى ملحق الرواية « وقال أبو بكر: ألحقنى بضيافته الليلة » وفى بعض النسخ « أتحفنى بضيافته الليلة ».

(**فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر، وانطلقت معهما، ففتح أبو بكر بابا**) لعله باب خزن الزبيب والتمر.

(**فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف**) أى ويعطينا، ونأكل.

(**وكان ذلك أول طعام أكلته بها**) أى بمكة.

(**ثم غبرت ما غبرت**) أى ثم بقيت ما بقيت عند أبى بكر، ألتقى برسول الله ﷺ سرا.

(**ثم أتيت رسول الله ﷺ**) لأستأذنه فى العودة، وأتزود بنصحه.

(**فقال: إنه قد وجهت لى أرض ذات نخل، لا أراها إلا يثرب**) « وجهت » بضم الواو وتشديد الجيم المكسورة، أى أريت جهتها، و « أراها » بضم الهمزة، أى أظنها.

(**فهل أنت مبلغ عنى قومك؟ عسى الله أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم**) أسلوب عرض وتحضيض وطلب برفق، أى بلغ عنى قومك.

(**فأتيت أنيسا**) فى المنزل الذى نزلناه بقرب مكة.

(**فقال: ما صنعت**) مع هذا الرجل؟.

(**قلت: صنعت أنى قد أسلمت وصدقت. قال: ما بى رغبة عن دينكما، فإنى قد أسلمت**) يقال: رغب فيه إذا أراده، ورغب عنه إذا لم يرده، فنفى الرغبة عنه تثبت الرغبة فيه، أى لا أكرهه، بل أدخل فيه.

(**فاحتملنا**) أى فرحلنا.

(**حتى أتينا قومنا غفارا، فأسلم نصفهم**) بدعوتنا لهم، وشرحنا للإسلام.

(**وكان يؤمهم إيماء بن رحضة الغفارى، وكان سيدهم**) « إيماء » بكسر الهمزة فى أوله على المشهور، وحكى القاضى فتحها أيضا، وأشار إلى ترجيحه، قال النووى: ذكر الزبير بن بكار أن إيماء بن رحضة حضر بدرًا مع المشركين، فيكون إسلامه بعد ذلك، وذكر ابن سعد أنه أسلم قريبا من الحديبية، وهذا يعارض رواية مسلم. وفى رواية « خفاف بن إيماء أو أبوه إيماء بن رحضة »، فيمكن أن يكون إسلام خفاف تقدم على إسلام أبيه.

(**وقال نصفهم: إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا**) فقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأسلم نصفهم الباقى، وجاءت أسلم - قبيلة قريبة من قبيلة غفار - فقالوا: يارسول الله، إخوتنا - الغفاريون -أسلموا نسلم على الذى أسلموا عليه. فأسلموا فكان إسلام أبى ذر سببا فى إسلام قومه جميعا، وسببا فى إسلام قبيلة أخرى.

(**غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله**) سيأتى الكلام عن ذلك فى باب فضائل غفار وأسلم.

(**فتزود، وحمل شنة له، فيها ماء**) الشنة بفتح الشين القربة البالية، ومعنى « تزود » حمل زادا.

(**فالتمس النبى ﷺ، ولا يعرفه**) أى أراد مقابلته، لكنه لا يعرفه إن قابله.

(**وكره أن يسأل عنه**) الناس، مخافة أن يؤذوه، إن كان المسئول من محاربى محمد ﷺ.

(**حتى أدركه**) « يعنى الليل »، يقصد أن الضمير يعود على غير مذكور، معلوم من المقام، كقوله تعالى ﴿**حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**﴾ [ص: ٣٢] وفى رواية للبخارى « حتى أدركه بعض الليل ».

(**فاضطجع**) فى المسجد الحرام.

(**فرآه على، فعرف أنه غريب**) عرف ذلك من هيئته ولباسه، ومعرفة على بأهل المنطقة.

وفى رواية قال: « كأن الرجل غريب، قلت: نعم. قال: فانطلق إلى المنزل » أى فانطلق معى إلى منزلى، قال الحافظ ابن حجر: هذا يدل على أن قصة أبى ذر وقعت بعد المبعث بأكثر من سنتين، بحيث يتهيأ لعلى أن يستقل بمخاطبة الغريب، ويضيفه، فإن الأصح فى سن على حين المبعث كان عشر سنين، وقيل: أقل من ذلك، وهذا الخبر يقوى القول الصحيح فى سنه. اهـ

قلت: لا دلالة فيه على ما استدل به، فيمكن للصبى المميز أن يصحب ضيفا، وربما كان أبوه أبو طالب فى سفر.

(**فلما رآه تبعه**) أى فلما رأى أبو ذر عليا على هذه الحالة من الاستئلاف والرفق ودعوته إلى منزله سار وراءه، حتى وصل إلى منزله، فاستضافه، وأكرمه، وأعد له مبيتا، فنام.

(**فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى أصبح**) أي عن شيء مما يعنيه السؤال عنه.

(**ثم احتمل قربته، وزاده إلى المسجد الحرام**) يأكل من زاده، ويشرب من قربته، وفي بعض النسخ « قريبته » بالتصغير، وهي الشنة المذكورة من قبل.

(**فظل ذلك اليوم، و لا يرى النبي ﷺ**) أي ظل ذلك اليوم يرقب مجيء النبي ﷺ ولا يجيء.

(**حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه**) أي إلى المكان الذي اضطجع فيه بالأمس، فاضطجع.

(**فمر به علي، فقال: ما آن للرجل أن يعلم منزله؟**) الكلام على الاستفهام الإنكاري، بمعنى النفي، دخل على نفي فصار إثباتا، والمعنى آن للرجل أن يعلم منزله الذي نزله بالأمس، وأن يأتي إليه بدون دعوة، فإضافة المنزل إليه مجازية، ويكون ذلك من علي ﷺ دعوة مهذبة إلى بيته ثانياً. وقيل: المعنى أما آن للرجل أن يصرح بمقصده؟ ويؤيده ما جاء في بعض الروايات « قلت: لا »، وفي رواية البخاري « أما نال للرجل أن يعلم منزله »؟ أي أما حان، يقال: نال له، بمعنى آن له، ويروى « أما أنى » بالقصر، وهي بنفس المعنى.

(**فأقامه، فذهب به معه، ولا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء**) أي حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد.

(**فلما كان يوم الثالث**) من إضافة الموصوف إلى صفته، كقولهم : مسجد الحرام، ومسجد الجامع، والأصل اليوم الثالث، و« كان » تامة، و « يوم » فاعل.

(**فعل مثل ذلك**) أي مثل ما فعل في اليوم الثاني، ظل لا يرى النبي ﷺ، حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه في المسجد، فاضطجع.

(**فأقامه علي معه**) في رواية البخاري « حتى إذا كان يوم الثالث، فعاد علي على مثل ذلك، فأقام معه ».

(**ثم قال له: ألا تحدثني ما الذي أقدمك هذا البلد؟**) أسلوب عرض وطلب برفق أي حدثني، وهكذا يستبين علي ويسأل ضيفه بعد ثلاث، كما هي عادة العرب.

(**قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت**) العهد الوعد، والميثاق اليمين، أي إن وعدتني وعدًا مؤكدًا باليمين أن تخبرني عما أريد حدثتك بما في نفسي .

(**فأخبره، فقال: فإنه حق، وهو رسول الله ﷺ**) أي فأخبر أبو ذر عليا بمقصده، فقال علي: فإن ما سمعت عنه حق، وهو رسول الله ﷺ، وفي رواية البخاري « فأخبره، قال: فإنه حق، وهو رسول الله ﷺ »، فيحتمل أن المعنى: فأعطاه علي العهد والميثاق، فحكى أبو ذر ما في نفسه، فأخبر علي أبا ذر بالحقيقة، قال: كذا وكذا، ويؤيد الأول قول أبي ذر، في رواية « فأخبرته ».

(**فإذا أصبحت فاتبعنى**) وكأنك لا تعرفنى، ولا علاقة بينى وبينك.

(**فإنى إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء**) كأنى أتبول على جانب الطريق، وحينئذ عليك بالفرار، والبعد عن الخطر، وفى رواية « كأنى أصلح نعلى » ويحتمل أنه قالهما جميعا.

(**فإن مضيت فاتبعنى، حتى تدخل مدخلى**) أى فإذا مضيت ولا خطر، فادخل ورائى، حيث أدخل.

(**ففعل، فانطلق يقفوه، حتى دخل على النبى ﷺ ودخل معه**) « ففعل » أى فمضى على، فانطلق أبو ذر يتبعه، حتى دخل علىّ على النبى ﷺ، فدخل أبو ذر فى إثره كأنه معه.

(**فسمع من قوله، وأسلم مكانه**) أى وأسلم فى الحال، وكأنه كان يعرف علامات النبى ﷺ، فلما رآها لم يتردد فى الإسلام.

(**فقال له النبى ﷺ: ارجع إلى قومك فأخبرهم، حتى يأتيك أمرى**) وفى رواية « اكتم هذا الأمر، وارجع إلى قومك، فأخبرهم، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل »، وفى روايتنا الأولى « إنه قد وجهت لى أرض ذات نخل، لا أراها إلا يثرب، فهل أنت مبلغ عنى قومك؟ عسى اللّه أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم؟ ».

(**فقال: والذى نفسى بيده، لأصرخن بها بين ظهرانيهم**) « بها » أى بشهادة - أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه، و « ظهرانيهم » بفتح النون تثنيه ظهر، يقال: أقام بين ظهريهم وظهرانيهم وأظهرهم، أى بينهم، والمراد من الصرخ هنا رفع الصوت.و المعنى واللّه لأرفعن صوتى بالشهادة بينهم، ولا أخفى إسلامى، ولا أخافهم.

(**فخرج حتى أتى المسجد**) الحرام، والمشركون مجتمعون فيه.

(**فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأن محمدا رسول اللّه، وثار القوم**) جماعة المشركين الموجودين فى الحرم.

(**فضربوه حتى أضجعوه**) أى حتى أسقطوه على الأرض، من شدة الضرب والإعياء، وظلوا يضربونه وهو منبطح على الأرض.

(**فأتى العباس، فأكب عليه**) أى انحنى عليه، يفرق بينه وبينهم، ليحول بينهم وبين ضربه، وكان العباس يومئذ مشركا، وإنما حماه خوفا من قومه.

(**فقال: ويلكم. ألستم تعلمون أنه من غفار؟**) الاستفهام إنكارى بمعنى النفى، دخل على نفى، ونفى النفى إثبات، أى اعلموا أنه من غفار.

(**وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليهم**) فاحسبوا حسابا لعصبية قومه له، وتعرضهم فى الطريق لتجارتكم.

(**فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد بمثلها**) عاد أبو ذر فى اليوم الثانى، ففعل مثل ما فعل بالأمس، وثاروا إليه مثل الأمس، وأنقذه منهم العباس كالأمس.

فقه الحديث

نجد أنفسنا أمام روايتين عن إسلام أبى ذر، الأولى وملحقاها عن عبد اللّه بن الصامت، عن أبى ذر، والثانية عن ابن عباس، واقتصر عليها البخارى، وبينهما تعارض و تعارض أو تغاير كثير، قال عنه القرطبى: فى التوفيق بين الروايتين تكلف شديد. وقال الحافظ ابن حجر: حديث عبد اللّه بن الصامت أكثره مغاير لما فى حديث ابن عباس، ويمكن التوفيق بينهما. اهـ

والعلماء إذا صح حديثان ظاهرهما التعارض حاولوا - قدر إمكانهم - التوفيق والجمع بينهما، قبل أن يرجحوا أحدهما على الآخر، لأن فى الجمع بينهما عملا بهما معا بوجه من الوجوه، أما الترجيح فيعمل بأحدهما، ويهمل الآخر، والعمل بهما أولى من إهمال أحدهما. وسنحاول بيان أوجه المغايرة، ونحاول الجمع والتوفيق، واللّه المستعان.

أولا: فى الرواية الأولى أن لقاء أبى ذر رضي الله عنه بالنبى ﷺ، كان بعد قصة المرأتين وبعد أن استلم النبى ﷺ الحجر، وطاف البيت هو وصاحبه، ثم صلى ركعتين خلف المقام.

وهذا لا يلتئم مع ما جاء فى الرواية الثانية، من أن لقاء أبى ذر بالنبى ﷺ كان عن طريق دخوله عليه مع على، بعد ضيافته ثلاثة أيام.

ثانيا: أن الذى استضافه فى الرواية الأولى أبو بكر رضي الله عنه، بإذن من النبى ﷺ، بعد لقائه، وكان الزبيب الذى قدمه له أول طعام أكله بمكة، وهذا لا يلتئم مع ما جاء فى الرواية الثانية، من أن الذى استضافه على رضى اللّه عنه، وكانت ضيافته له قبل لقائه بالنبى ﷺ.

ثالثا: فى الرواية الأولى أن أبا ذر حينما وصل مكة استضعف رجلا، فسأله عن النبى ﷺ، فأغرى به السفهاء، فضربوه، حتى علاه الدم، ثم قضى أياما لا يأكل ولا يشرب إلا ماء زمزم، وهذا لا يلتئم مع ماجاء فى الرواية الثانية من أن أبا ذر حين قدم مكة أتى المسجد، وكره أن يسأل عن النبى ﷺ، حتى أدركه الليل، فاضطجع، فرآه على، فاستضافه.

رابعا: فى الرواية الأولى أن أبا ذر لم يكن له طعام فى الأيام الأولى من وصوله إلى مكة سوى زمزم، وهذا لا يلتئم مع ما جاء فى الرواية الثانية من أن أبا ذر عند سفره إلى مكة حمل معه زاده وقربة ماء، وكان يحمل معه قربته وزاده كلما غدا إلى المسجد فى الصباح، بعد مبيته عند على.

خامسا: ذكرت قصة المرأتين فى الرواية الأولى دون الثانية، وذكرت قصة العباس فى الرواية الثانية دون الأولى.

سادسا: هناك مغايرة بين الرواية الأولى، وفيها « قلت: قد كنت ههنا منذ ثلاثين، بين ليلة ويوم »، وبين ما جاء فى ملحقها الثانى « قلت: منذ خمس عشرة ».

هذا: وإذا سهل الجمع فى بعض هذه المغايرات، بشيء من التأويل، فإنه لا يسهل فى بعض آخر، وأحسن طريق نجمع به بين الحديثين أن نحملهما على سفرين ولقاءين، فقد قلنا: إن منزل أبى ذر وأخيه وأمه كان قريبا من مكة، فى واد من وديانها، فمن المحتمل أن يصل مكة، فيسأل السفيه، فيضرب، فيلتقى بالمرأتين، ثم بالرسول ﷺ فى الحرم، ويستضيفه أبو بكر، بعد أن أمضى أياما على ماء زمزم، حيث لم يأخذ فى رحلته هذه زاداً ولا ماء.

وبعد فترة قد تكون شهراً أو أقل من شهر، يذهب إلى مكة، ويحمل معه زاده وماءه، لئلا يقع فيما وقع فيه فى المرة الأولى ،ويتحرز من سؤال أحد، حيث لم يتحرز فى المرة الأولى، ويدخل المسجد، مترقبا وصول النبى ﷺ، ويكون معنى « ولا يعرفه » أى ولا يعرف وصوله متى يكون؟ فيمر به اليوم، حتى يمسى فيراه على فيستضيفه، فيكاشفه ،فيدخله على النبى ﷺ، فيخرج من عنده، فيشهد الشهادتين فى الحرم فيضرب، فيحميه العباس، والإشكال الخفيف فى هذا فى سؤال النبى ﷺ له: من أنت؟ فى المرة الثانية، والمفروض أنه عرفه فى المرة الأولى، ويمكن أن يجاب عنه بأن الرسول ﷺ كان قد نسى الاسم، فسأله عن اسمه مرة أخرى، وكثيرا ما يحصل مثل هذا مع تعدد اللقاء، ويؤيده ما جاء فى رواية أن الرسول ﷺ قال له: « أنت أبو نملة؟ قال: أبو ذر». والنملة والذرة يلتقيان وتفسر الذرة بالنملة، مما يرشح أن الرسول ﷺ قد سبق له ذكر اسمه.

أما المغايرة بين الرواية الأولى وملحقها، فيحتمل أن المدة فى الحقيقة خمسة عشر يوما بلياليها ومجموعها ثلاثون، بين يوم وليلة، كما نقول: عندى ثلاثون بين ذكر وأنثى، فهذه الثلاثون فيها خمس عشرة ليلة وخمسة عشر يوما. والله أعلم.

ويؤخذ من الحديث فوق ما تقدم

١- من قوله فى الرواية الأولى: « لا أراها إلا يثرب ». جواز تسمية المدينة بيثرب، من غير كراهة، وكره جماعة ذلك، وقالوا: كان ذلك قبل تسميتها « طابة وطيبة » وجاء النهى عن ذلك فى حديث، أو أنه صلى الله عليه وسلم سماها باسمها المعروف عند الناس حينئذ.

٢- من قوله فى الرواية الأولى: « وعليك ورحمة الله ». قال النووى: فيه دلالة لأحد الوجهين لأصحابنا، أنه إذا قال فى رد السلام: وعليك، من غير ذكر السلام يجزئه، والمشهور من أحواله صلى الله عليه وسلم، وأحوال السلف رد السلام بكماله، فيقول: وعليكم السلام ورحمة الله.

٣- فى صلاة أبى ذر رضي الله عنه قبل المبعث فضيلة له، وأن الله هداه إلى الحق.

٤- وفى سبقه إلى الإسلام فضيلة أيضا.

٥- وفى تحمله الأذى فى سبيل الجهر بالدعوة قوة إيمان، وقوة عقيدة، ويؤخذ منه جواز قول الحق، لمن يخشى منه الأذية لمن قاله، وإن كان السكوت جائزا.

قال الحافظ ابن حجر: والتحقيق أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والمقاصد، وبحسب ذلك يترتب الجزاء.

٦- من أمره صلى اللّه عليه وسلم أبا ذر بالكتمان، وقول أبى ذر: والذى نفسى بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، وسكوت النبى ﷺ، دليل على أن المأمور إذا أحس أن الأمر شفقة عليه، وأن به قوة جاز له أن لا يعمل بالأمر.

٧- فيه صورة حية لبدء الدعوة الإسلامية، وما لاقى المسلمون الأوائل، وحكمة الرسول ﷺ فى نشرها.

والله أعلم

(٦٥٧) باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه

٥٥٣٦- ١٣٤/١ عَن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه[١٣٤] قَالَ: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ. وَلا رَآنِي إلا ضَحِكَ.

٥٥٣٧- ١٣٥/٢ عَن جَرِيرٍ رضي الله عنه[١٣٥] قَالَ: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ. وَلا رَآنِي إلا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي. زَادَ ابْنُ نُمَيْرٍ فِي حَدِيثِهِ عَنِ ابْنِ إِدْرِيسَ: وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ. فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ. وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا».

٥٥٣٨- ١٣٦/٣ عَن جَرِيرٍ رضي الله عنه[١٣٦] قَالَ: كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَيْتٌ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخَلَصَةِ. وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَةُ وَالْكَعْبَةُ الشَّامِيَّةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ أَنْتَ مُرِيحِي مِن ذِي الْخَلَصَةِ وَالْكَعْبَةِ الْيَمَانِيَةِ وَالشَّامِيَّةِ؟» فَنَفَرْتُ إِلَيْهِ فِي مِائَةٍ وَخَمْسِينَ مِن أَحْمَسَ. فَكَسَرْنَاهُ وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ. فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ. قَالَ: فَدَعَا لَنَا وَلأَحْمَسَ.

٥٥٣٩- ١٣٧/٤ عَن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه[١٣٧] قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا جَرِيرُ! أَلا تُرِيحُنِي مِن ذِي الْخَلَصَةِ» بَيْتٍ لِخَثْعَمَ كَانَ يُدْعَى كَعْبَةَ الْيَمَانِيَةِ. قَالَ: فَنَفَرْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ. وَكُنْتُ لا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ. فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَضَرَبَ يَدَهُ فِي صَدْرِي فَقَالَ: «اللَّهُمَّ! ثَبِّتْهُ. وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا» قَالَ: فَانْطَلَقَ فَحَرَّقَهَا بِالنَّارِ ثُمَّ بَعَثَ جَرِيرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلا يُبَشِّرُهُ، يُكْنَى أَبَا أَرْطَاةَ، مِنَّا فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْنَاهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ. فَبَرَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا، خَمْسَ مَرَّاتٍ.

٥٥٤٠ - وَفِي رواية عَن إِسْمَعِيلَ، بِهَذَا الإِسْنَادِ. وَقَالَ فِي حَدِيثِ مَرْوَانَ: فَجَاءَ بَشِيرُ جَرِيرٍ، أَبُو أَرْطَاةَ، حُصَيْنُ ابْنُ رَبِيعَةَ، يُبَشِّرُ النَّبِيَّ ﷺ.

---

(١٣٤) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَن بَيَان عَن قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَن جَرِيرِ بْن عَبْدِ اللَّهِ ح و حَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَان حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَن بَيان قَالَ سَمِعْتُ قَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ يَقُولُ قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

(١٣٥) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَأَبُو أُسَامَةَ عَنَ إِسْمَعِيلَ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ عَن قَيْس عَن جَرِير

(١٣٦) حَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَان أَخْبَرَنَا خَالِدٌ عَن بَيَان عَن قَيْسٍ عَن جَرِير

(١٣٧) حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَن إِسْمَعِيلَ بْن أَبِي خَالِدٍ عَن قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَن جَرِير
– حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ح وحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِي الْفَزَارِيَّ ح و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ كُلُّهُمْ عَن إِسْمَعِيلَ

المعنى العام

جرير بن عبد اللّٰه بن جابر بن مالك البجلى، نسبة إلى بجيلة أم قبيلته، وكان سيد قومه، أسلم فى عام الوفود، وقيل: أسلم قبل وفاة النبى ﷺ بأربعين يوما، كان طويلا طولا مفرطا، وكان جميل الخلقة، حتى قال عنه عمر: جرير يوسف هذه الأمة كان رسول اللّٰه ﷺ يهش لقدومه، ويبتسم فى وجهه، ويكرمه، وكان يقول فيه: « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ». روى الإمام أحمد وابن حبان عن جرير قال: « لما دنوت من المدينة أنخت، ثم لبست حلتى، فدخلت، فرمانى الناس بالحدق، فقلت: هل ذكرنى رسول اللّٰه ﷺ؟ قالوا: نعم. ذكرك بأحسن ذكر، فقال: يدخل عليكم رجل من خير ذى يمن، على وجهه مسحة ملك ». وقدمه عمر فى حروب العراق على جميع بجيله.. وكان له أثر عظيم فى فتح القادسية، ثم سكن جرير الكوفة، وأرسله على - رضى اللّٰه عنهما - إلى معاوية رسولا، فحبسه معاوية مدة طويلة، ثم رده بورقة مختومة، غير مكتوب فيها شيء، ويعث معه من يخبر عليا بمنابذة معاوية، ثم اعتزل الفريقين، وسكن قرقيسيا، حتى مات سنة إحدى وخمسين وقد بعثه رسول اللّٰه ﷺ إلى ذى الخلصة، فهدمها بجيشه، كما جاء فى الحديث.

كان حكيما فى إشارته، مهذبا فى قوله، روى أن عمر رضي الله عنه وجد فى مجلسه رائحة من بعض جلسائه، فقال: عزمت على صاحب هذه الرائحة إلا قام فتوضأ، فقال جرير بن عبد الله: علينا كلنا يا أمير المؤمنين فاعزم. قال: عليكم كلكم عزمت. ثم قال: يا جرير: ما زلت سيدا فى الجاهلية والإسلام.

رضى اللّٰه عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(**ما حجبنى رسول اللّٰه ﷺ منذ أسلمت**) أى ما منعنى من الدخول عليه فى بيته، فى وقت من الأوقات، إذا استأذنت عليه، وقيل: إن معنى « ما حجبنى » أى ما منعنى طلبى، وفيه بعد.

وقوله « منذ أسلمت » أى إلى أن توفى صلى اللّٰه عليه وسلم، وكان إسلام جرير سنة تسع من الهجرة على الصحيح.

(**ولا رآنى إلا ضحك**) فى الرواية الثانية « ولا رآنى إلا تبسم فى وجهى » وكان صلى اللّٰه عليه وسلم يفعل ذلك مع جرير تكريما له، ولطفا به، وبشاشه له.

(**ولقد شكوت له أنى لا أثبت على الخيل، فضرب بيده فى صدرى، وقال: اللهم ثبته، واجعله هاديا مهديا**) فى الرواية الرابعة « وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك لرسول اللّٰه ﷺ، فضرب يده فى صدرى، فقال: اللهم ثبته، واجعله هاديا مهديا »، وعند البخارى « وكنت لا أثبت على الخيل، فضرب على صدرى، حتى رأيت أثر أصابعه فى صدرى »، وعند الحاكم « فشكا جرير

إلى رسول الله ﷺ القلع » بفتح القاف واللام، وهو عدم الثبوت على السرج، وقيل: بكسر أوله، قال الجوهرى: رجل قلع القدم بكسر أوله، إذا كانت قدمه لا تثبت عند الحرب، وفلان قلعة بكسر القاف وفتح اللام، إذا كان يتقلع عن سرجه، والمعنى أنه لخفته يرتفع عن السرج كلما ارتفع الحصان، ويهبط بهبوطه « فقال: ادن منى، فدنا منه، فوضع يده على رأسه، ثم أرسلها على وجهه وصدره، حتى بلغ عانته، ثم وضع يده على رأسه » مرة ثانية « وأرسلها إلى ظهره، حتى انتهت إلى إليته ». ولا تعارض فإن اليد ضربت الصدر عند مرورها به، كما جاء فى حديث الحاكم أنه قال فى حالة إمراره يده عليه فى المرتين: « اللهم اجعله هاديا مهديا، وبارك فيه، وفى ذريته » زاد فى رواية البخارى « فما وقعت عن فرس بعد ». قال الحافظ ابن حجر: قوله: « واجعله هاديا مهديا ». فيه تقديم وتأخير، لأنه لا يكون هاديا، حتى يكون مهديا، وقيل: معناه كاملا مكملا. اهـ يعنى أن المطلوب الأول للمسلم أن يكمل نفسه، ثم بعد ذلك يكمل غيره، ويمكن حمل « هاديا » على معنى داعيا نفسه وغيره للهدى، و« مهديا » أى مستجيبا للدعوة بالفعل.

(**كان فى الجاهلية بيت، يقال له: ذو الخلصة**) والخلصة فى الأصل نبات، له حب أحمر، كخرز العقيق، قال النووى: بفتح الخاء واللام. هذا هو المشهور، وحكى القاضى أيضا بضم الخاء مع فتح اللام، وحكى أيضا فتح الخاء وسكون اللام، وهو بيت فى اليمن، كان فيه أصنام يعبدونها. اهـ ومن المعلوم أن الكعبة كانت مظهرًا من مظاهر عزة العرب بصفة عامة، ورفعة قريش بصفة خاصة، وكانت القبائل تحاول أن تتخذ لنفسها بيوتا، تصنع فيها أصناما يعبدونها، لمنافسة قريش فى كعبتها، فكان ذو الخلصة أكبر بيت ينافس الكعبة، وكان بيتا لقبيلة خثعم كما جاء فى الرواية الرابعة، ولقبيلة بجيلة، كما جاء فى رواية البخارى.

(**وكان يقال له: الكعبة اليمانية والكعبة الشامية**) قال النووى: وفى بعض النسخ « الكعبة اليمانية الكعبة الشامية » بغير واو، وهذا اللفظ فيه إيهام، والمراد أن ذا الخلصة كانوا يسمونها الكعبة اليمانية، وكانت الكعبة الكريمة التى بمكة تسمى الكعبة الشامية، ففرقوا بينهما للتمييز. هذا هو المراد، فيتأول اللفظ عليه، وتقديره: يقال له: الكعبة اليمانية، ويقال للتى بمكة: الشامية.

أما من رواه « الكعبة اليمانية. الكعبة الشامية » بحذف الواو فمعناه كأن يقال: هذان اللفظان، أحدهما لموضع، والآخر لموضع آخر.

قال: وأما قوله « هل أنت مريحى من ذى الخلصة، والكعبة اليمانية والشامية » فقال القاضى عياض: ذكر « الشامية » وهم وغلط من بعض الرواة، والصواب حذفه، وقد ذكره البخارى بهذا الإسناد، وليس فيه هذه الزيادة والوهم. هذا كلام القاضى، وليس بجيد، بل يمكن تأويل هذا اللفظ، ويكون التقدير: هل أنت مريحى من قولهم: الكعبة اليمانية والشامية؟ ووجود هذا الموضع الذى يلزم منه هذه التسمية؟ اهـ وقال الحافظ ابن حجر: الذى يظهر لى أن الذى فى الرواية صواب، وأنها كان يقال لها: اليمانية باعتبار كونها باليمن، والشامية باعتبار أنهم جعلوا بابها مقابل الشام، وقال بعضهم:

قوله: « والكعبة الشامية » مبتدأ، محذوف الخبر، تقديره: هى التى بمكة، وقيل: الكعبة مبتدأ، والشامية خبره، والجملة حال، والمعنى: والكعبة هى الشامية لا غير، وحكى السهيلى عن بعض النحويين أن كلمة « له » زائدة، وأن الصواب كان يقال: « الكعبة الشامية »، أى لهذا البيت الجديد، و« الكعبة اليمانية » أى للبيت العتيق - أو بالعكس، قال السهيلى: وليست فيه زيادة، وإنما اللام بمعنى من أجل، أى كان يقال من أجله: الكعبة الشامية، والكعبة اليمانية، أى إحدى الصفتين للعتيق، والأخرى للجديد.

(**هل أنت مريحى من ذى الخلصة؟**) وفى الرواية الرابعة « يا جرير، ألا تريحنى من ذى الخلصة » بتخفيف اللام طلب يتضمن الأمر برفق، وخص جريرا بذلك لأنها كانت فى بلاد قومه، وكان هو من أشرافهم، والمراد من الراحة راحة القلب، وما كان شيء أتعب لقلب رسول اللّه ﷺ من بقاء ما يشرك به من دون اللّه تعالى، وروى الحاكم فى الإكليل، من حديث البراء بن عازب قال: « قدم على النبى ﷺ مائة رجل من بنى بجيلة وبنى قشير، وفيهم جرير بن عبد اللّه، فسأله عن بنى خثعم، فأخبره أنهم أبوا أن يجيبوا إلى الإسلام، فاستعمله على عامة من كان معه، وندب معه ثلاثمائة من الأنصار، وأن يسير إلى خثعم، فيدعوهم ثلاثة أيام، فإن أجابوا إلى الإسلام قبل منهم، وهدم صنمهم ذا الخلصة، وإلا وضع فيهم السيف.

(**فنفرت إليه فى مائة وخمسين من أحمس**) الضمير فى « إليه » يعود على ذى الخلصة، البيت الذى فيه الأصنام، والنفر الخروج للقتال مع السرعة، وفى رواية البخارى « فانطلقت فى خمسين ومائة فارس من أحمس - بفتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الميم - وكانوا أصحاب خيل » وفى رواية ضعيفة للطبرانى أنهم كانوا سبعمائة، وفى كتاب الصحابة لابن السكن أن قيس بن غربة الأحمسى وفد فى خمسمائة وقدم جرير فى قومه، وقدم الحجاج بن ذى الأعين فى مائتين، وضم رسول اللّه ﷺ إليهم ثلاثمائة من الأنصار وغيرهم، فكأن المائة والخمسين هم قوم جرير من قبيلة واحدة.

(**فكسرناه، وقتلنا من وجدناه عنده**) الضمير المذكر للبيت، والضمير المؤنث فى قوله فى الرواية الرابعة « فانطلق فحرقها بالنار» للكعبة، وعند البخارى « فانطلق إليها فكسرها وحرقها » أى بناءها، ورمى النار فيما فيها من الخشب.

(**فأتيته، فأخبرته**) ظاهر هذه الرواية أن الذى بشر النبى ﷺ بنتيجة الغزوة هو جرير، ولكن الرواية الرابعة أن الذى أخبر النبى ﷺ بذلك رسول أرسله جرير من قبيلته، فكأن نسبة الإخبار لجرير مجازية، وفى الرواية الرابعة . قال رسول جرير للنبى ﷺ: « ماجئتك حتى تركناها كأنها جمل أجرب ». كناية عن نزع زينتها، وإذهاب بهجتها، وقال الخطابى: المراد أنها صارت مثل الجمل المطلى بالقطران من جربه، إشارة إلى أنها صارت سوداء، لما وقع فيها من التحريق، وفى رواية « أجوف » بدل « أجرب » أى صارت صورة بغير معنى، والأجوف الخالى الجوف مع كبره فى الظاهر، وأنكره عياض، وقال: هو تصحيف وإفساد للمعنى.

(**فدعا لنا ولأحمس**) « أحمس » على وزن أحمر، وهم إخوة بجيلة، بفتح الباء وكسر الجيم، رهط جرير، وفى الرواية الرابعة « فبرك رسول الله ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات » أى دعا لهم بالبركة وفى رواية « فدعا لأحمس بالبركة ». وقد قيل فى حكمة الخمس أنها مبالغة مع الاحتفاظ بالوتر، وقال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون دعا للخيل والرجال أو لهما معا، ثم أراد التأكيد فى تكرير الدعاء ثلاثا، فدعا للرجال مرتين أخريين، وللخيل مرتين أخريين، ليكمل لكل من الصنفين ثلاثا، فكان مجموع ذلك خمس مرات.

(**يكنى أبا أرطاة**) فى ملحق الرواية « أبو أرطاة حصين بن ربيعة »، « أرطاة » بفتح الهمزة وسكون الراء، وقلبه بعضهم، فقال: ربيعة بن حصين، ومنهم من سماه أرطاة، والصواب أبو أرطاة، ومنهم من سماه حصن، بكسر الحاء وسكون الصاد، وعند بعض الرواة « حسين » بدل « حصين » وهو تصحيف.

(**إضافة**) زاد البخارى فى رواية: قال « ولما قدم جرير اليمن، كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقيل له: إن رسول رسول الله ﷺ ههنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فبينما هو يضربها - أى بالأزلام - إذ وقف عليه جرير، فقال: لتكسرنها - أى الأزلام- ولتشهدن أن لا إله إلا الله، أو لأضربن عنقك، فكسرها، وشهد، ثم بعث جرير رجلا من أحمس يكنى أبا أرطاة إلى النبى ﷺ يبشره بذلك ».

قال الحافظ ابن حجر: هذا يشعر باتحاد قصة غزوة ذى الخلصة بقصة ذهابه إلى اليمن، وكأنه لما فرغ من أمر ذى الخلصة، وأرسل رسوله مبشرا، استمر ذاهبا إلى اليمن.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- فيه مناقب عظيمة لجرير وقومه، ونصرهم للإسلام، ومحاربتهم القوم الذين هم منهم.

٢- وبركة يد رسول الله ﷺ ودعائه.

٣- وأنه كان يدعو وترا، وقد يجاوز الثلاث، فيكون فيه تخصيص لحديث أنس « كان إذا دعا دعا ثلاثا ». فيحمل على الغالب، وكأن الزيادة لمعنى اقتضى ذلك.

٤- وفيه مشروعية إزالة ما يفتتن به الناس، من بناء وغيره، سواء كان إنسانًا أو حيوانًا أو جمادًا.

٥- وفيه استمالة نفوس القوم، بتأمير من هو منهم.

٦- والاستمالة بالدعاء والثناء.

٧- والبشارة فى الفتوح.

٨- وفضل ركوب الخيل فى الحرب.

٩- وقبول خبر الواحد .

١٠- والمبالغة فى نكاية العدو.

١١- وفيه استحباب التلطف والتبسم فى وجه القادم.

١٢- استدل بعضهم بقوله: « ما حجبنى ». على جواز الدخول بدون إذن للخاصة، ولايصح، فعدم الذكر ليس دليل العدم.

والله أعلم

(٦٥٨) باب من فضائل عبد اللَّه بن عباس، رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا

٥٥٤١ ١٣٨/١ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهما[١٣٨] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى الْخَلاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا. فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: «مَنْ وَضَعَ هَذَا؟» فِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ قَالُوا، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ - قُلْتُ: ابْنُ عَبَّاسٍ. قَالَ: «اللَّهُمَّ! فَقِّهْهُ».

المعنى العام

عبد اللَّه بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم النبى ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ولد فى الشعب الذى حوصر فيه بنو هاشم. أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، كان أبيض طويلا جسيما وسيما صبيح الوجه، حج بالناس سنة قتل عثمان، بأمر من عثمان، ولاه على البصرة، وحارب مع على الجمل وصفين والنهروان، وظل واليا على البصرة حتى قتل على، فمضى إلى الحجاز، وكان يغشى الناس فى رمضان، وهو أمير البصرة، فما ينقضى الشهر حتى يفقههم.

وفى سبب نفى ابن الزبير له إلى الطائف روى أن عبد اللَّه بن صفوان بن أمية، مر يوما بدار عبد اللَّه بن عباس بمكة، فرأى فيها جماعة من طالبى الفقه، ومر بدار عبيد اللَّه بن عباس، فرأى فيها جماعة جاءوها للطعام، فدخل على ابن الزبير، فقال له: أصبحت - واللَّه - كما قال الشاعر:

فإن تصبك من الأيام قارعة ∴ لم تبك منك على دنيا ولا دين

قال: وما ذاك يا أعرج؟ قال: هذان ابنا عباس، أحدهما يفقه الناس، والآخر يطعم الناس، فما أبقيا لك مكرمة، فدعا عبد اللَّه بن مطيع، وقال: انطلق إلى ابنى عباس، فقل لهما: يقول لكما أمير المؤمنين: اخرجا عنى - أى اخرجا من مكة إلى بلد آخر - أنتما ومن انضوى إليكما من أهل العراق، وإلا فعلت وفعلت. فقال عبد اللَّه بن عباس لابن الزبير: واللَّه ما يأتينا من الناس إلا رجلان، رجل يطلب فقها، ورجل يطلب فضلا، فأى هذين نمنع؟ فنفاهما ابن الزبير إلى الطائف.

وعمى ابن عباس فى آخر عمره، ومات بالطائف فى أيام ابن الزبير، سنة خمس وستين على المشهور، وصلى عليه ابن الحنفية، وقال: مات واللَّه اليوم حبر هذه الأمة.

رضى اللَّه عنه وأرضاه

---

(١٣٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ قَالا حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ بْنُ عُمَرَ الْيَشْكُرِيُّ قَالَ سَمِعْتُ عُبَيْدَاللَّهِ بْنَ أَبِي يَزِيدَ يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

المباحث العربية

(**أتى الخلاء**) أى موضع البول والغائط.

(**فوضعت له وضوءًا**) بفتح الواو، هو الماء الذى يتوضأ به، وقد فهم ابن عباس أن النبى ﷺ لم يكن معه ماء، وأنه يحتاج إليه، فوضعه له بجواره، دون أن يشعر به صلى الله عليه وسلم.

(**من وضع هذا ؟**) استفهام حقيقى.

(**قالوا - قلت - ابن عباس**) الظاهر أن القائل ابن عباس، وأسند إليهم فى الرواية الأخرى لتقريرهم له، وقولهم ذلك فى أنفسهم، وعند أحمد وابن حبان أن ميمونة - رضى الله عنها - هى التى أخبرته بذلك، وأن ذلك كان فى بيتها ليلا، ولعل ذلك كان فى الليلة التى بات ابن عباس فى بيتها، ليرى صلاة النبى ﷺ، والتى وقف فيها خلف النبى ﷺ فى صلاة الليل، فقال له النبى ﷺ: « ما بالك؟ أجعلك حذائى - أى بجوارى - فتخلفنى - أى فتقف خلفى؟ » فقال: لا ينبغى لأحد أن يصلى حذاءك، وأنت رسول الله، فدعا له أن يزيده الله فهما وعلما.

(**اللهم فقهه**) وعند البخارى « ضمنى رسول الله ﷺ، وقال: اللهم علمه الكتاب »، وعند النسائى والترمذى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: « دعا لى رسول الله ﷺ أن أوتى الحكمة مرتين »، وفى رواية « اللهم فقهه فى الدين، وعلمه التأويل »، وفى رواية « اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب ».

والفقه هو الفهم، قال تعالى ﴿لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] يقال: فقه بفتح الفاء وضم القاف، إذا صار الفقه له سجية، وفقه بالفتح إذا سبق غيره إلى الفهم، وفقه بالكسر إذا فهم. وقال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٧٩] قال: كونوا حكماء فقهاء. ويقال: الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره، ويقال: لايقال للعالم: ربانى حتى يكون عالما معلما عاملا.

فالفقه هو الفهم، والفهم فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول أو فعل. واختلف فى المراد بالحكمة فى دعوة ابن عباس، فقيل: القرآن، وهو المراد بالكتاب الوارد فى بعض الروايات، أى فهم المراد من آياته، وقيل: العمل بالقرآن، وقيل: السنة، وقيل: الإصابة فى القول، وقيل: الخشية، وقيل: الفهم عند الله، وقيل: العقل، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق به بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- فضيلة الفقه، والعلم بالأحكام الشرعية.

٢- واستحباب الدعاء بظهر الغيب.

٣- واستحباب الدعاء لمن عمل خيرا مع الإنسان.

٤- وإجابة دعاء النبى ﷺ، فقد كان ابن عباس فى الفقه بالمحل الأعلى.

والله أعلم

(٦٥٩) باب من فضائل عبد اللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا

٥٥٤٢- ١٣٩/١ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا[١٣٩] قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدِي قِطْعَةَ إِسْتَبْرَقٍ. وَلَيْسَ مَكَانٌ أُرِيدُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلا طَارَتْ إِلَيْهِ. قَالَ: فَقَصَصْتُهُ عَلَى حَفْصَةَ. فَقَصَّتْهُ حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَى عَبْدَ اللَّهِ رَجُلا صَالِحًا».

٥٥٤٣- ١٤٠/٢ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا[١٤٠] قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: وَكُنْتُ غُلامًا شَابًّا عَزَبًا. وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ. فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ. وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ. وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ. فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ. فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ. فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ! لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ، لا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلا قَلِيلا.

٥٥٤٤- وَفِي رِوايةِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ كُنْتُ أَبِيتُ فِي الْمَسْجِدِ. وَلَمْ يَكُنْ لِي أَهْلٌ. فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّمَا انْطُلِقَ بِي إِلَى بِئْرٍ. فَذَكَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، عَن سَالِمٍ، عَن أَبِيهِ.

المعنى العام

عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب بن نوفل القرشى العدوى، يكنى أبا عبد الرحمن، أمه زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحى، وشقيقته حفصة أم المؤمنين، ولد سنة ثلاث من المبعث النبوى، وأسلم صغيرا، وهاجر مع أبيه، عرض على النبى ﷺ يوم بدر، فاستصغره، وكانت سنه ثلاث عشرة، ثم بأحد، فاستصغره، ثم أجازه يوم الخندق، وسنه خمس عشرة سنة، وحضر بيعة الرضوان، وفتح مكة، وكان لا

---

(١٣٩) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَخَلَفُ بْنُ هِشَامٍ وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ كُلُّهُمْ عَن حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَن نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ

(١٤٠) حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَاللَّفْظُ لِعَبْدٍ قَالا أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَن سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ

– حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ خَالِدٍ خَتَنُ الْفِرْيَابِيِّ عَن أَبِي إِسْحَقَ الْفَزَارِيِّ عَن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَن نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ

يتخلف عن السرايا على عهد رسول اللَّه ﷺ، ثم كان بعد موته مولعا بالحج، قبل الفتنة، وفى الفتنة التى اعتزلها، روى أن مروان بن الحكم دخل عليه فى نفر، بعد ما قتل عثمان ﷺ، فعرضوا عليه أن يبايعوا له، قال: وكيف لى بالناس؟ قال: تقاتلهم ونقاتلهم معك- فقال: واللَّه لو اجتمع على أهل الأرض إلا أهل فدك ما قاتلتهم، فخرجوا من عنده، ومروان يقول:

والملك بعد ابن ليلى لمن غلبا.

ويقال إنه ندم بعد ذلك أن لم يقاتل مع على، إذ روى أنه قال حين حضرته الوفاة: ما أجد فى نفسى من أمر الدنيا شيئا إلا أنى لم أقاتل الفئة الباغية، مع على بن أبى طالب ﷺ، وروى أنه كان يقول: كففت يدى، فلم أقدم، والمقاتل على الحق أفضل.

كان رحمه اللَّه تعالى من أهل الورع والعلم والتقوى، وروى عن مالك أنه قال: بلغ عبد اللَّه بن عمر ستا وثمانين سنة، وأفتى فى الإسلام ستين سنة، ونشر نافع عنه علما جما، ويقولون: إنه كان من أعلم الصحابة بمناسك الحج، وكان شديد التوقى فى فتواه، وفى كل ما يأخذ به نفسه، شديد التحرى والتأسى والاقتداء بأفعال النبى ﷺ، حتى إنه كان يتحرى المكان الذى بركت فيه ناقة الرسول ﷺ ليبرك ناقته فيه، وكان يحفظ ما سمع من رسول اللَّه ﷺ، ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله، لذا كان من المكثرين عن النبى ﷺ، وكان فى الحج يتتبع آثار النبى ﷺ، ويتقدم إلى المواقف التى وقف بها صلى اللَّه عليه وسلم، ليقف بها، فكان ذلك يعز على الحجاج، وخطب الحجاج يوما، فأخر الصلاة، فقال له ابن عمر: إن الشمس لا تنتظرك، فقال له الحجاج: لقد هممت أن أضرب الذى فيه عيناك. فقال ابن عمر فى نفسه: قد يفعل، إنه سفيه مسلط.

فأمر الحجاج رجلا، فسم حديدة رمحه، وزحمه فى الطريق، وغرس الحديدة فى ظهر قدمه، وهو على راحلته، فمرض منها أياما، فدخل عليه الحجاج يعوده، فقال له: من فعل بك هذا يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: وما تصنع به؟ قال: قتلنى اللَّه إن لم أقتله. قال: ما أراك فاعلا. أنت الذى أمرت الذى نخسنى بالحربة المسمومة، قال: لا تقل هذا يا أبا عبد الرحمن . ومات بمكة سنة ثلاث وسبعين، بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر أو نحوها ودفن بذى طوى، فى مقبرة المهاجرين. رضى اللَّه عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(رأيت فى المنام كأن فى يدى قطعة إستبرق) الإستبرق ما غلظ من الحرير، أو من الديباج، وفى رواية للبخارى « كأن فى يدى سرقة من حرير» بفتح السين وكسر الراء، أى قطعة، وفى رواية « قطعة من إستبرق » وفى رواية « سرقة من إستبرق » وعبر بلفظ « كأن » بالتشبيه، لأن ما يحصل فى المنام شبيه بالواقع، وليس واقعا بالفعل.

(**وليس مكان أريد من الجنة إلا طارت إليه**) فهى توصلنى إلى أى مكان أريده من الجنة، وفى رواية للبخارى « لا أهوى بها إلى مكان فى الجنة إلا طارت بى إليه »، وفى رواية « فكأنى لا أريد مكانا من الجنة إلا طارت بى إليه ».

(**فقصصته على حفصة**) أى قصصت المنام على حفصة أختى، أم المؤمنين.

(**أرى عبد اللّٰه رجلا صالحا**) « أرى » بفتح الهمزة، أى أعلمه وأعتقده صالحا، والصالح هو القائم بحقوق اللّٰه، وحقوق العباد، وفى رواية للبخارى « إن أخاك رجل صالح، أو إن عبد اللّٰه رجل صالح » بالشك من الراوى، وفى الرواية الثانية « نعم الرجل عبد اللّٰه، لو كان يصلى من الليل ». قال ابن عمر: وكنت إذا نمت لم أقم حتى أصبح.

وزاد فى روايتنا الثانية « قال سالم: فكان عبد اللّٰه - بعد ذلك - لا ينام من الليل إلا قليلا »، وفى رواية « قال الزهرى: وكان عبد اللّٰه - بعد ذلك - يكثر الصلاة من الليل »، وفى رواية « وكان عبد اللّٰه يكثر الرقاد »، وفيها أيضا « إن الملك الذى قال له: لم ترع قال له: لا تدع الصلاة. نعم الرجل أنت، لولا قلة الصلاة ».

(**كان الرجل فى حياة رسول اللّٰه ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول اللّٰه ﷺ**) اللام فى « الرجل » للجنس ولا مفهوم له، والحكم للمرأة كذلك، وإنما ذكر للغالب.

(**فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبى ﷺ**) فى رواية « أنى أرى » وفى رواية للبخارى « فقلت فى نفسى: لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء ».

(**وكنت غلاما شابا عزبا**) بفتح العين والزاى، وهو من لا زوجة له، ويقال له: الأعزب، مع قلة فى الاستعمال.

(**وكنت أنام فى المسجد**) فى ملحق الرواية « كنت أبيت فى المسجد، ولم يكن لى أهل » أى لم يكن لى زوجة، وفى رواية للبخارى « وأنا غلام حديث السن، وبيتى المسجد، قبل أن أنكح ». يعنى أنه كان يأوى إليه، قبل أن يتزوج.

(**فرأيت فى النوم**) فى ملحق الرواية « فرأيت فى المنام » وفى رواية للبخارى « فلما اضطجعت ليلة قلت: اللهم إن كنت تعلم فى خيرا، فأرنى رؤيا، فبينما أنا كذلك إذ ... »

(**كأن ملكين أخذانى**) فى رواية للبخارى « جاءنى ملكان فى يد كل واحد منهما مقمعة من حديد، يقبلان بى إلى جهنم » والمقمعة بكسر الميم الأولى، والجمع مقامع، وهى كالسياط من حديد، رءوسها معوجة.

(**فذهبا بى إلى النار**) فى رواية للبخارى « يقبلان بى إلى جهنم، وأنا بينهما، أدعو الله: اللهم إنى أعوذ بك من جهنم » وفى رواية للبخارى « حتى وقفوا بى على شفير جهنم ».

(**فإذا هى مطوية كطى البئر، وإذا لها قرنان كقرنى البئر**) فى رواية للبخارى « له قرون » البئر المطوية، هى المبنية، والبئر قبل أن تبنى تسمى قليبا، وقرون البئر جوانبها التى تبنى من حجارة، ترتفع، فتوضع عليها الخشبة التى تعلق فيها البكرة، والعادة أن لكل بئر قرنين، وفى رواية للبخارى « بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد ».

(**وإذا فيها ناس قد عرفتهم**) وفى رواية « فإذا فيها ناس عرفت بعضهم » وفى رواية للبخارى « وأرى فيها رجالا معلقين بالسلاسل، رءوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجالا من قريش ». قال الشارحون: لم نقف على اسم أحد منهم.

(**فلقيهما ملك، فقال لى: لم ترع**) بضم التاء وفتح الراء، أى لم تفزع، وفى رواية « لن تراع » فعلى الأول ليس المراد أنه لم يقع له فزع، فقد فزع فعلا، ولكن لما كان الذى فزع منه لن يستمر، فكأنه لم يفزع، أو هو من قبيل تنزيل القليل منزلة العدم، وعلى الثانى فالمراد أنك لا روع عليك بعد ذلك، قال ابن بطال: إنما قال له ذلك لما رأى منه من الفزع، فعند ابن أبى شيبة « فلقيه ملك وهو يرعد، فقال: لم ترع » ووقع عند كثير من الرواة « لن ترع » بحرف « لن » ووجهه ابن مالك بأنه سكن العين للوقف، ثم شبهه بسكون الجزم، فحذف الألف، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف، قيل: ويجوز أن يكون جزمه بلن، وهى لغة قليلة، حكاها الكسائى، وفى رواية للبخارى « فتلقاهما ملك، فقال: لم ترع. خليا عنه » وفى رواية للبخارى « فانصرفوا بى عن ذات اليمين » قال القرطبى: إنما فسر الشارع من رؤيا عبد اللّه ما هو ممدوح، لأنه عرض على النار، ثم عوفى منها، وقيل له: لا روع عليك، وذلك لصلاحه، غير أنه لم يكن يقوم الليل، فحصل له من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقى به النار والدنو منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك، وأشار المهلب إلى أن السر فى ذلك كون عبد اللّه كان ينام فى المسجد، ومن حق المسجد أن يتعبد فيه، فنبه على ذلك بالتخويف بالنار.

(**فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول اللّه ﷺ**) فى الروايتين اللتين ساقهما مسلم هنا رؤيا قطعة الحرير، وفيها « فقصصته على حفصة، فقصته حفصة على النبى ﷺ » ورؤيا جهنم، وفيها « فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول اللّه ﷺ » ولا إشكال فى ذلك، سواء رآهما عبد اللّه فى ليلة، وأخبر بهما معا حفصة، فأخبرت بهما حفصة رسول اللّه ﷺ على مرتين، أو رآهما فى ليلتين، وأخبر بهما حفصة متفرقتين، فأخبرت بهما حفصة متفرقتين، والمستبعد أن تكون حفصة قد أخبرت بهما مجتمعتين، لقوله فى رواية للبخارى « فقصت حفصة على النبى ﷺ إحدى رؤياى » أى قصت إحدى رؤياى أولا، ثم قصت الأخرى.

(**نعم الرجل عبد اللّه، لو كان يصلى من الليل**) « لو » للتمنى، لا للشرط، فلا تحتاج إلى جواب، لأن مدحه لا يتوقف على صلاة الليل.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- فضيلة ظاهرة لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

٢- جواز نوم الرجال فى المسجد، وهو قول الجمهور، وروى عن ابن عباس كراهيته، إلا لمن يريد الصلاة، وعن ابن مسعود كراهيته مطلقا، وعن مالك التفصيل بين من له مسكن، فيكره، وبين من لا مسكن له، فيباح. وحديثنا يدل على إباحته لمن لا مسكن له.

٣- أن أصل التعبير إنما يكون من الأنبياء، ولذلك تمنى ابن عمر أنه يرى رؤيا، فيعبرها له الرسول ﷺ، كما يعبر للناس، وقد صرح الأشعرى بأن أصل التعبير بالتوقيف من قبل الأنبياء، وعلى ألسنتهم، قال ابن بطال: وهو كما قال، لكن الوارد عن الأنبياء فى ذلك وإن كان أصلا، لكنه لا يعم جميع المرائى، فلابد للحاذق فى هذا الفن أن يستدل بحسن نظره، فيرد ما لم ينص عليه إلى ما نص عليه، ويجعل النص أصلا يلحق به غيره، كما يفعل الفقيه فى فروع الفقه. اهـ

٤- وفيه تمنى الخير والعلم.

٥- وأن الرؤيا الصالحة تدل على خير رائيها غالبا.

٦- وفيه مشروعية النيابة فى قص الرؤيا.

٧- وأدب ابن عمر مع النبى ﷺ، ومهابته له، حيث لم يقص رؤياه عليه بنفسه، وكأنه لما هالته الرؤيا لم يؤثر أن يقصها بنفسه، فقصها على أخته، لإدلاله عليها.

٨- وأن بعض الرؤيا لا يحتاج إلى تعبير.

٩- وأن ما فسر فى النوم فهو تفسيره فى اليقظة، لأن النبى ﷺ لم يزد فى تفسيرها على ما فسرها الملك الذى جاء فى بعض الروايات أن الملك وصف ابن عمر بالرجل الصالح.

١٠- وأن المعبر الحاذق يفسر من الرؤيا ما هو ممدوح، ويسكت ويعرض عما هو كريه، فقد رأى الفزع، ولم يفسره.

١١- وفى الحديث الخوف والأمن فى المنام، لكن قال أهل التعبير: من رأى أنه خائف من شىء، أمن منه، ومن رأى أنه قد أمن من شىء، فإنه يخاف منه.

١٢- وفى الرواية الأولى رؤيا الإستبرق فى المنام، وقد يعبر بالحرير عن شرف الدين والعلم، لأن الحرير أشرف ملابس الدنيا، وكذلك العلم بالدين أشرف العلوم.

١٣- ومن قوله فى الرواية الثانية «كأن ملكين أخذانى» يؤخذ منه الجزم بالشىء، وإن كان أصله

الاستدلال، لأن ابن عمر استدل على أنهما ملكان بأنهما وقفا على جهنم، ووعظاه بها، والشيطان لا يعظ، ولا يذكر بالخير.

١٤- وفي الحديث فضل قيام الليل.

١٥- وفيه الوعيد على ترك السنن، وجواز وقوع العذاب على ذلك، قال الحافظ ابن حجر: وهو مشروط بالمواظبة على الترك، رغبة عنها، فالوعيد والتعذيب إنما يقع على المحرم، وهو الترك بقصد الإعراض.

والله أعلم

(٦٦٠) باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه

٥٥٤٥- ١٤١/١ عَن أُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا[١٤١]، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! خَادِمُكَ أَنَسٌ. ادْعُ اللَّهَ لَهُ. فَقَالَ: «اللَّهُمَّ! أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ. وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ».

٥٥٤٦- وَفِي رواية عن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! خَادِمُكَ أَنَسٌ. فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

٥٥٤٧- ١٤٢/٢ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه[١٤٢] قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا. وَمَا هُوَ إِلا أَنَا وَأُمِّي وَأُمُّ حَرَامٍ، خَالَتِي. فَقَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ اللَّهِ! خُوَيْدِمُكَ. ادْعُ اللَّهَ لَهُ. قَالَ: فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ. وَكَانَ فِي آخِرِ مَا دَعَا لِي بِهِ أَنْ قَالَ: «اللَّهُمَّ! أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ. وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ».

٥٥٤٨- ١٤٣/٣ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه[١٤٣] قَالَ: جَاءَتْ بِي أُمِّي، أُمُّ أَنَسٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَقَدْ أَزَّرَتْنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا وَرَدَّتْنِي بِنِصْفِهِ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا أُنَيْسٌ، ابْنِي أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ. فَادْعُ اللَّهَ لَهُ. فَقَالَ: «اللَّهُمَّ! أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ» قَالَ أَنَسٌ: فَوَاللَّهِ! إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ. وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ، الْيَوْمَ.

٥٥٤٩- ١٤٤/٤ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[١٤٤] قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَسَمِعَتْ أُمِّي، أُمُّ سُلَيْمٍ صَوْتَهُ. فَقَالَتْ: بِأَبِي وَأُمِّي! يَا رَسُولَ اللَّهِ! أُنَيْسٌ. فَدَعَا لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاثَ دَعَوَاتٍ. قَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا. وَأَنَا أَرْجُو الثَّالِثَةَ فِي الآخِرَةِ.

٥٥٥٠- ١٤٥/٥ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه[١٤٥] قَالَ: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ. قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ. فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَةٍ قَالَتْ مَا حَاجَتُهُ. قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ. قَالَتْ: لا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا. قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ! لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا، لَحَدَّثْتُكَ، يَا ثَابِتُ!

---

(١٤١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّار قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَر حَدَّثَنَا شُعْبَةُ سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ
– حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ
– حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّار حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَر حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ

(١٤٢) و حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَس

(١٤٣) حَدَّثَنِي أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ حَدَّثَنَا أَنَسٌ

(١٤٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَعْفَرٌ يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ

(١٤٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ حَدَّثَنَا بَهْزٌ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ

٥٥٥١- ١٤٦/٦ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[١٤٦] قَالَ: أَسَرَّ إِلَيَّ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سِرًّا. فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدُ. وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي عَنهُ أُمُّ سُلَيْمٍ. فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ.

المعنى العام

أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام، أنصارى، خزرجى، من بنى النجار، خادم رسول اللّه ﷺ، وأحد المكثرين من الرواية عنه صلى اللّه عليه وسلم.

صح عنه أنه قال: قدم النبى ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وخدمته صلى اللّه عليه وسلم عشر سنين، فما قال لى على شيء فعلته: لم فعلته؟ ولا على شيء لم أفعله: لم لم تفعله؟ وأمه أم سليم - سبق الحديث عنها وعن فضائلها - كان النبى ﷺ يمازحه، ويقول له: يا ذا الأذنين.

خرج مع النبى ﷺ إلى بدر، يخدمه، وهو غلام، ولم يذكر فى البدريين لأنه لم يكن فى سن من يقاتل، وغزا مع النبى ﷺ ثمانى غزوات.

وكانت إقامته بعد النبى ﷺ بالمدينة، ثم شهد الفتوح، ثم قطن البصرة، ومات بها، فى قصره على فرسخين منها، وكان آخر الصحابة موتا بالبصرة سنة ثنتين وتسعين وله من العمر مائة سنة وستة أشهر.

قال ثابت البنانى: قال لى أنس بن مالك: هذه شعرة من شعر رسول اللّه ﷺ، فضعها تحت لسانى عند موتى، فوضعتها تحت لسانه، فدفن وهى تحت لسانه. رضى اللّه عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(**عن أم سليم**) بضم السين وفتح اللام، وقد سبقت فضائلها قبل تسعة أبواب.

(**أنها قالت: يا رسول اللّه، خادمك أنس. ادع اللّه له**) فى الرواية الثانية بيان ظروف قولها ذلك، ففيها « دخل النبى ﷺ - علينا - أى فى بيتنا - وما هو إلا أنا وأمى وأم حرام خالتى، فقالت أمى: يا رسول اللّه، خويدمك - تصغير خادمك - ادع اللّه له »، وفى الرواية الرابعة ما يشبه الثانية فى أن قولها ذلك وطلبها الدعاء لأنس كان فى بيتها، ففيها « مر رسول اللّه ﷺ » -أى على بيتنا - « فسمعت أمى، أم سليم صوته » - أى فدعته، فدخل - « فقالت: بأبى وأمى يا رسول اللّه، أنيس » أى ادع له.

---

(١٤٦) حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا عَارِمُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

لكن فى الرواية الثالثة ما يفيد أن طلب الدعاء لأنس كان فى بيت رسول الله ﷺ، إذ فيها « جاءت بى أمى، أم أنس، إلى رسول الله ﷺ، وقد أزرتنى بنصف خمارها، وردتنى بنصفه » أى جعلت لى نصف خمارها إزارا، ونصفه رداء، والخمار هنا ما كانت تستر به المرأة رأسها، يقرب مما يعرف بالشال الكبير « فقالت: يا رسول الله، هذا أنيس، ابنى، أتيتك به يخدمك، فادع الله له ». ولا مانع من تعدد طلب الدعاء، والاستجابة لهذا الطلب، مرة حين ذهبت به تعرضه عليه خادما له فقبله،، ومرة فى زيارته صلى الله عليه وسلم لها، وقد مر أنه كان كثير الزيارة لها، قبل تسعة أبواب، ويحتمل أن طلب الدعاء حصل مرة واحدة، فى بيتها، وجاءت به من الداخل بإزار ورداء، تعرضه للخدمة، وتطلب له الدعاء.

(فقال: اللَّهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيما أعطيته) وفى الرواية الرابعة « دعا لى رسول الله ﷺ ثلاث دعوات، قد رأيت منها اثنتين فى الدنيا، وأنا أرجو الثالثة فى الآخرة » وفى الرواية الثانية « فدعا لى بكل خير، وكان فى آخر ما دعا لى به، أن قال: اللَّهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيه ». قال العينى: الأولى بكثرة المال، والثانية بكثرة الولد، والثالثة بطول العمر، وهى المقصودة بالبركة له فيما أعطى، ومن أبرك ما أعطى له طول عمره. اهـ.

لكن هذا التفسير لا يتفق مع قوله « وأنا أرجو الثالثة فى الآخرة »، والأولى حملها على ما جاء عنه فى الصحيح « اللَّهم أكثر ماله، وولده، وأدخله الجنة. قال: قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة ». وذكر عدد المدعو به فى رواية لا ينافى ذكر عدد آخر فى رواية أخرى، فالرواية الثانية تشير إلى كثرة ما دعا له به.

(قال أنس: فوالله إن مالى لكثير، وإن ولدى وولد ولدى ليتعادون نحو المائة اليوم) « ليتعادون » بتشديد الدال، يقال: تعاد القوم عد بعضهم بعضا، وثبت عن ماله أنه كان له بستان يحمل الفاكهة فى السنة مرتين، وكان فيه ريحان، يجيء منه ريح المسك لما حوله، وكان من أكثر الأنصار مالا، وعن أولاده روى أنه قال: لقد دفنت من صلبى ومن صلب ولدى مائة وخمسة وعشرين، ويقال: إنه ولد لأنس بن مالك ثمانون ولدا، منهم ثمانية وسبعون ذكرا، وابنتان، إحداهما تسمى حفصة، والثانية تكنى أم عمر، وعن عمره فقد عاش مائة سنة على المشهور.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- فى الحديث فضائل لأنس رضي الله عنه.

٢- وفيه علم من أعلام النبوة، فى إجابة دعوته صلى الله عليه وسلم.

٣- قال النووى: فيه هذا الأدب البديع، وهو أنه إذا دعا بشيء له تعلق بالدنيا ينبغى أن يضم إليه

طلب البركة فيه، وصيانته من الفتنة، بحيث لا يحصل بسببه ضرر، ولا تقصير في حق، ولاغير ذلك من الآفات، التي تتطرق إلى سائر الأغنياء، قال: وكان أنس وولده رحمة وخيرا ونفعا بلا ضرر، بسبب دعائه صلى الله عليه وسلم.

٤- قال النووي: وفيه دليل لمن يفضل الغنى على الفقر.

٥- وفيه حفظ السر وفضيلته.

والله أعلم

(٦٦١) باب من فضائل عبد الله بن سلام ﷺ

٥٥٥٢- ١٤٧/١ عَن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ[١٤٧] قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، لِحَيٍّ يَمْشِي، إِنَّهُ فِي الْجَنَّةِ، إلا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ.

٥٥٥٣- ١٤٨/٢ عَن قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ[١٤٨] قَالَ: كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ فِي نَاسٍ، فِيهِمْ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ. فَجَاءَ رَجُلٌ فِي وَجْهِهِ أَثَرٌ مِن خُشُوعٍ. فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: هَذَا رَجُلٌ مِن أَهْلِ الْجَنَّةِ. هَذَا رَجُلٌ مِن أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ يَتَجَوَّزُ فِيهِمَا. ثُمَّ خَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ. فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ. وَدَخَلْتُ. فَتَحَدَّثْنَا. فَلَمَّا اسْتَأْنَسَ قُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ لَمَّا دَخَلْتَ قَبْلُ، قَالَ رَجُلٌ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لا يَعْلَمُ. وَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ ذَاكَ؟ رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ. رَأَيْتُنِي فِي رَوْضَةٍ -ذَكَرَ سَعَتَهَا وَعُشْبَهَا وَخُضْرَتَهَا- وَوَسْطَ الرَّوْضَةِ عَمُودٌ مِن حَدِيدٍ، أَسْفَلُهُ فِي الأَرْضِ، وَأَعْلاهُ فِي السَّمَاءِ، فِي أَعْلاهُ عُرْوَةٌ. فَقِيلَ لِي: ارْقَهْ. فَقُلْتُ لَهُ: لا أَسْتَطِيعُ. فَجَاءَنِي مِنْصَفٌ (قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: وَالْمِنْصَفُ الْخَادِمُ) فَقَالَ بِثِيَابِي مِن خَلْفِي- وَصَفَ أَنَّهُ رَفَعَهُ مِن خَلْفِهِ بِيَدِهِ- فَرَقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَى الْعَمُودِ فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ. فَقِيلَ لِيَ: اسْتَمْسِكْ. فَلَقَدِ اسْتَيْقَظْتُ وَإِنَّهَا لَفِي يَدِي. فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «تِلْكَ الرَّوْضَةُ الإِسْلامُ. وَذَلِكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الإِسْلامِ. وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ عُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَأَنْتَ عَلَى الإِسْلامِ حَتَّى تَمُوتَ» قَالَ: وَالرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ.

٥٥٥٤- ١٤٩/٣ عَن قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ[١٤٩] قَالَ: كُنْتُ فِي حَلْقَةٍ فِيهَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَابْنُ عُمَرَ فَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ. فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِن أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَقُمْتُ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ. إِنَّمَا رَأَيْتُ كَأَنَّ عَمُودًا وُضِعَ فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فَنُصِبَ فِيهَا، وَفِي رَأْسِهَا عُرْوَةٌ، وَفِي أَسْفَلِهَا مِنْصَفٌ – وَالْمِنْصَفُ الْوَصِيفُ – فَقِيلَ لِيَ: ارْقَهْ. فَرَقِيتُ حَتَّى أَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ. فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَمُوتُ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ آخِذٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى».

---

(١٤٧) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا إِسْحَٰقُ بْنُ عِيسَى حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ أَبِي النَّضْرِ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ

(١٤٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْنٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ

(١٤٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ : قَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ

٥٥٥٥- ١٥٠/٤ عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ[١٥٠] قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي حَلَقَةٍ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ. قَالَ: وَفِيهَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ. قَالَ: فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ حَدِيثًا حَسَنًا. قَالَ: فَلَمَّا قَامَ، قَالَ الْقَوْمُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا. قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ! لأَتْبَعَنَّهُ فَلأَعْلَمَنَّ مَكَانَ بَيْتِهِ. قَالَ: فَتَبِعْتُهُ. فَانْطَلَقَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ. ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ. قَالَ: فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي. فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ! يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: سَمِعْتُ الْقَوْمَ يَقُولُونَ لَكَ، لَمَّا قُمْتَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا. فَأَعْجَبَنِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ. قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ. وَسَأُحَدِّثُكَ مِمَّ قَالُوا ذَاكَ. إِنِّي بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي: قُمْ. فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ. قَالَ: فَإِذَا أَنَا بِجَوَادَّ عَنْ شِمَالِي. قَالَ: فَأَخَذْتُ لآخُذَ فِيهَا. فَقَالَ لِي: لا تَأْخُذْ فِيهَا فَإِنَّهَا طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ. قَالَ: فَإِذَا جَوَادُّ مَنْهَجٌ عَلَى يَمِينِي. فَقَالَ لِي: خُذْ هَاهُنَا. فَأَتَى بِي جَبَلا. فَقَالَ لِي: اصْعَدْ. قَالَ: فَجَعَلْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصْعَدَ خَرَرْتُ عَلَى اسْتِي. قَالَ: حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ مِرَارًا. قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَى بِي عَمُودًا، رَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ، وَأَسْفَلُهُ فِي الأَرْضِ، فِي أَعْلاهُ حَلْقَةٌ. فَقَالَ لِي: اصْعَدْ فَوْقَ هَذَا. قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْعَدُ هَذَا؟ وَرَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَزَجَلَ بِي. قَالَ: فَإِذَا أَنَا مُتَعَلِّقٌ بِالْحَلْقَةِ. قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ الْعَمُودَ فَخَرَّ. قَالَ: وَبَقِيتُ مُتَعَلِّقًا بِالْحَلْقَةِ حَتَّى أَصْبَحْتُ. قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ. فَقَالَ: أَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَسَارِكَ، فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ. قَالَ: وَأَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَمِينِكَ، فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَأَمَّا الْجَبَلُ، فَهُوَ مَنْزِلُ الشُّهَدَاءِ. وَلَنْ تَنَالَهُ. وَأَمَّا الْعَمُودُ، فَهُوَ عَمُودُ الإِسْلامِ. وَأَمَّا الْعُرْوَةُ، فَهِيَ عُرْوَةُ الإِسْلامِ. وَلَنْ تَزَالَ مُتَمَسِّكًا بِهَا حَتَّى تَمُوتَ».

المعنى العام

عبد الله بن سلام بن الحارث، أبو يوسف من ذرية يوسف النبى عليه السلام، حليف الخزرج،

---

(١٥٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُسْهِرٍ عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ قال

الإسرائيلى، ثم الأنصارى، كان حليفا لهم وكان من بنى قينقاع، يقال: كان اسمه الحصين، فغيره النبى ﷺ.

أسلم أول ما قدم النبى ﷺ المدينة، وقد سبق حديثه وقوله: «لما قدم النبى ﷺ المدينة كنت ممن انجفل، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فسمعته يقول: «أفشوا السلام، وأطعموا الطعام...»». وفى البخارى عن أنس «أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبى ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إنى سائلك عن ثلاث، لا يعلمهن إلا نبى، ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرنى به جبريل آنفا. قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإن سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد. قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. قال: يارسول الله، إن اليهود قوم بهت، فاسألهم عنى قبل أن يعلموا بإسلامى، فجاءت اليهود، فقال النبى ﷺ: أى رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا. فقال النبى ﷺ: أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ. قالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله».

وفى البخارى أن قوله تعالى ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠] نزلت فى عبد الله بن سلام، وقد رأى الرؤيا الواردة فى هذا الحديث، وعبرها له رسول الله ﷺ بقوة إيمانه، وإسلامه، وبشره بأنه من أهل الجنة.

توفى بالمدينة فى خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين. رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لحى يمشى: إنه فى الجنة، إلا لعبد الله بن سلام)

نفى السماع لقول ما، لا يلزم منه وقوع هذا القول، فكثير من الأقوال لا نسمعها، ويسمعها غيرنا، وعلى هذا لا يقال: إن هذا يتعارض مع ما ثبت من أن النبى ﷺ قال: «أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلى فى الجنة»، إلى آخر العشرة، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن عكاشة من أهل الجنة، وغير هؤلاء. وقال الحافظ ابن حجر: يظهر أنه قال ذلك بعد موت المبشرين بالجنة، لأن عبد الله بن سلام عاش بعدهم، ولم يتأخر معه من العشرة غير سعد بن أبى وقاص، وسعيد، فكره سعد تزكية نفسه، لأنه أحد العشرة، وحديث عاصم بن مهجع عن مالك عن سعد «يقول لرجل حى» يؤيد ما قلته. وكأن الحافظ ابن حجر جعل اللام بمعنى عن، ويصبح المعنى: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول عن رجل هو حى الآن كذا وكذا إلا عبد الله بن سلام، ثم قال الحافظ: لكن يعكر على هذا التأويل ما جاء عند الدارقطنى بلفظ «سمعت

النبى ﷺ يقول: لا أقول لأحد من الأحياء: إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله ابن سلام » وبلغنى أنه قال « وسلمان الفارسى ». لكن هذا السياق منكر، فإن كان محفوظا حمل على أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك قديما، قبل أن يبشر غيره بالجنة.

وجنح النووى إلى ترجيح أحاديث التبشير بالجنة على حديث نفى سعد، فقال: ولو نفاه سعد كان الإثبات مقدما عليه. اهـ لكن التوجيه أقعد وأكثر قبولا.

(**كنت فى ناس فيهم بعض أصحاب النبى ﷺ**) ذكر بعضهم فى الرواية الثالثة.

(**فجاء رجل فى وجهه أثر من خشوع، فقال بعض القوم: هذا رجل من أهل الجنة**) فى الرواية الثالثة « فمر عبد الله بن سلام فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة » وفى الرواية الرابعة « كنت جالسا فى حلقة، فى مسجد المدينة، وفيه شيخ حسن الهيئة وهو عبد الله بن سلام، فجعل يحدثهم حديثا حسنا، فلما قام قال القوم: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا ». وللجمع بين الروايات يقال: إنه مر على الحلقة فى المسجد، فصلى ركعتين، فجلس فى الحلقة، فجعل يحدثهم، ثم قام، فقالوا ما قالوا.... فذكر بعض الرواة من الأحداث ما لم يذكر الآخر.

(**فصلى ركعتين، يتجوز فيهما، ثم خرج**) قال النووى: « فصلى ركعتين فيها، ثم خرج » وفى بعض النسخ « فصلى ركعتين فيهما، ثم خرج » وفى بعضها « فصلى ركعتين، ثم خرج » فهذه الأخيرة ظاهرة، وأما إثبات « فيها » أو « فيهما » فهو الموجود لمعظم رواة مسلم، وفيه نقص، وتمامه ما ثبت فى البخارى « ركعتين تجوز فيهما ». اهـ والنسخة التى بين يدى لا نقص فيها ولله الحمد.

وفى الرواية الرابعة « فقلت: والله لأتبعنه، فلأعلمن مكان بيته ».

(**فاتبعته**) وسرت خلفه، ثم بجواره، ثم أشعرته، أننى بحاجة إليه، فصحبته، وصحبنى. وفى الرواية الرابعة « فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة ».

(**فدخل منزله**) ودعانى للدخول، ودخلت، وفى الرواية الرابعة « ثم دخل منزله، فاستأذنت عليه، فأذن لى ».

(**فتحدثنا**) فى غير هذا الموضوع.

(**فلما استأنس**) لى، واستعد لإجابتى عما أريد، وفى الرواية الرابعة « قال: ما حاجتك يا ابن أخى »؟.

(**قلت له: إنك لما دخلت**) المسجد، فمررت بالحلقة، فصليت ركعتين، ثم جلست فيها وتكلمت ما تكلمت، ثم خرجت .

(**قبل**) أى قبل قليل.

(**قال رجل كذا وكذا**) « كذا وكذا » كناية عما قاله الرجل فى المسجد، وهو: « هذا رجل من أهل الجنة ».

(**قال: سبحان اللَّه؟**) كلمة تقال عند التعجب، ومعناها الأصلى أنزه اللَّه تعالى عن النقائص.

(**ما ينبغى لأحد أن يقول ما لا يعلم**) أى ما يليق بأحد أن يقول هذا، لأننا لا نعلم الخاتمة والغيب، وفى الرواية الرابعة « اللَّه أعلم بأهل الجنة » وفى الرواية الثالثة « سبحان اللَّه: ما كان ينبغى لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم »، وقد استشكل هذا بأن الصادق المصدوق أخبر به، فهو من المعلوم، وليس مما لا يعلمه المسلمون، وأجاب النووى عن هذا الإشكال باحتمال أن الذين قطعوا له بالجنة سمعوا ما سمع سعد، أو بلغهم خبر سعد بأن ابن سلام من أهل الجنة، ولم يسمع هو الخبر، قال: ويحتمل أنه كره الثناء عليه بذلك، تواضعا، وإيثاراً للخمول، وكراهة للشهرة.

(**وسأحدثك لم ذاك؟**) أى لم قالوا هذا القول؟ وأننى من أهل الجنة، وفى الرواية الرابعة « وسأحدثك مم قالوا ذاك » من أجل أى شيء قالوا هذا القول؟.

(**رأيتنى فى روضة - ذكر سعتها، وعشبها وخضرتها**) أى قال الراوى: ذكر عبد اللَّه بن سلام أوصافها، والجملة معترضة، وهذا عن الجزء الثانى من الرؤيا، أما الجزء الأول، فتتحدث عنه الرواية الرابعة، وتقول:

(**إنى بينما أنا نائم إذ أتانى رجل**) أى ملك فى صورة رجل.

(**فقال لى: قم، فأخذ بيدى، فانطلقت معه، فإذا أنا بجواد عن شمالى**) أى بطرق عن شمالى بينة، مسلوكة، و« جواد » بتشديد الدال، ممنوع من الصرف، جمع جادة، بتشديد الدال، قال القاضى: وقد تخفف الدال.

(**قال: فأخذت لآخذ فيها**) أى فبدأت أتجه نحوها.

(**فقال لى: لا تأخذ فيها، فإنها طرق أصحاب الشمال**) أى فلا تتجه نحوها، ولا تقبل عليها.

(**فإذا جواد منهج على يمينى**) أى فإذا طرق واضحة بينة مستقيمة على جهة يمينى، والمنهج الطريق المستقيم، ونهج الأمر، وأنهج إذا وضح، وطريق منهج ومنهاج ونهج، أى بين واضح.

(**فقال لى: خذ ههنا**) أى اتجه إلى هذا الطريق، فاسلكه، فسلكته معه.

(**فأتى بى جبلا، فقال لى: اصعد**) إلى قمته.

(**فجعلت إذا أردت أن أصعد، خررت على استى**) أى وقعت على عجزى. والإست بهمزة وصل العجز، وقد يراد به حلقة الدبر.

(**حتى فعلت ذلك مرارًا**) كلما حاولت الصعود سقطت على عجزى، فلم أتمكن من الصعود.

(**ثم انطلق بى، حتى أتى بى عمودا، رأسه فى السماء، وأسفله فى الأرض**) هذا العمود هو المذكور فى الرؤيا فى الرواية الثانية، عن جزء الرؤيا الثانى، إذ قال فيها:

(**ووسط الروضة عمود من حديد، أسفله فى الأرض، وأعلاه فى السماء**) وفى الرواية الثالثة « إنما رأيت كأن عمودا وضع فى روضة خضراء، فنصب فيها ».

(**فى أعلاه عروة**) العروة من الثوب مدخل زره، ومن الكوز والكوب مقبضه، ومن الحبل دائرة فى نهايته، يستمسك بها، وفى الرواية الثالثة « فى رأسها عروة - أى فى رأس العمود باعتباره قطعة من حديد طويلة أو باعتباره دعامة، وفى أسفلها منصف ». قال النووى: هو بكسر الميم وفتح الصاد، ويقال بفتح الميم أيضا، وقد فسره الراوى فى الحديث بالخادم والوصيف، وهو صحيح، قالوا: هو الوصيف الصغير المدرك للخدمة.

(**فقيل لى: ارقه**) أى ارق العمود واصعده، وفى رواية البخارى « ارق » وفى رواية « راقه » وفى الرواية الرابعة « فقيل لى: اصعد فوق هذا ».

(**فقلت له: لا أستطيع**) وفى الرواية الرابعة « قلت: كيف أصعد هذا؟ ورأسه فى السماء »؟.

(**فجاءنى منصف، فقال بثيابى من خلفى - وصف أنه رفعه من خلفه بيده**) وعبر عن الفعل بالقول فى الرواية الرابعة.

(**فأخذ بيدى، فزجل بى، فإذا أنا متعلق بالحلقة**) « فزجل بى » أى رمى بى، يقال: زجله، وزجل به، زجلا رفعه ورمى به، والمعنى أن الوصيف أخذه من يده ومن ثوبه من خلفه، وقذف به إلى أعلى العمود، فأمسك بالعروة، وفى الرواية الثانية « فرقيت حتى كنت فى أعلى العمود، فأخذت بالعروة » و« رقيت » بكسر القاف على اللغة المشهورة الصحيحة، وحكى فتحها.

(**فقيل لى: استمسك، فلقد استيقظت وإنها لفى يدى**) فى الرواية الرابعة « ثم ضرب العمود، فخر، قال: وبقيت متعلقا بالحلقة، حتى أصبحت ». قال الحافظ ابن حجر: المعنى أن الاستيقاظ كان حال الأخذ بالحلقة ، من غير فاصل ، ولم يرد أنها بقيت فى يده فى حال يقظته، ولو حمل على ظاهره لم يمتنع فى قدرة اللّه ، لكن الذى يظهر خلاف ذلك ، ويحتمل أن يريد أن أثرها بقى فى يده بعد الاستيقاظ ، كأن يصبح فيرى يده مقبوضة.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- منقبة وفضيلة جليلة لعبد اللّٰه بن سلام ﷺ .

٢- قال القيرواني: الروضة التى لا يعرف نبتها تعبر بالإسلام، لنضارتها، وحسن بهجتها، وتعبر أيضا بكل مكان فاضل، وقد تعبر بالمصحف وكتب العلم والعالم ونحو ذلك.

وقال الكرماني: يحتمل أن يراد بالروضة جميع ما يتعلق بالدين، وبالعمود الأركان الخمسة، وبالعروة الوثقى الإيمان.

٣- و فى الحديث معرفة اختلاف الطرق، طرق أهل اليمين، وطرق أهل الشمال.

٤- تأويل الجبل بأنه الشهادة.

٥- وفيه علم من أعلام النبوة أن عبد اللّٰه بن سلام لا يموت شهيدا، فوقع كذلك ومات على فراشه رضى اللّٰه عنه وأرضاه.

واللّٰه أعلم

(٦٦٢) باب من فضائل حسان بن ثابت ﷺ

٥٥٥٦- ١٥١/١عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٥١]، أَنَّ عُمَرَ مَرَّ بِحَسَّانَ وَهُوَ يُنْشِدُ الشِّعْرَ فِي الْمَسْجِدِ. فَلَحَظَ إِلَيْهِ. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أُنْشِدُ، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ. ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ! أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَجِبْ عَنِّي. اللَّهُمَّ! أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»؟ قَالَ: اللَّهُمَّ! نَعَمْ.

٥٥٥٧- – وَفِي رواية عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ حَسَّانَ قَالَ، فِي حَلْقَةٍ فِيهِمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ! يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ مِثْلَهُ.

٥٥٥٨- ١٥٢/٢عَن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[١٥٢]، أَنَّهُ سَمِعَ حَسَّانَ ابْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ يَسْتَشْهِدُ أَبَا هُرَيْرَةَ! أَنْشُدُكَ اللَّهَ: هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَا حَسَّانُ أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. اللَّهُمَّ! أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: نَعَمْ.

٥٥٥٩- ١٥٣/٣عَن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ[١٥٣] قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ ابْنِ ثَابِتٍ «اهْجُهُمْ، أَوْ هَاجِهِمْ، وَجِبْرِيلُ مَعَكَ».

٥٥٦٠- ١٥٤/٤عَن أَبِيهِ[١٥٤]، أَنَّ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ كَانَ مِمَّنْ كَثَّرَ عَلَى عَائِشَةَ. فَسَبَبْتُهُ. فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي! دَعْهُ. فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٥٥٦١- ١٥٥/٥عَن مَسْرُوقٍ[١٥٥] قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ وَعِنْدَهَا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يُنْشِدُهَا شِعْرًا. يُشَبِّبُ بِأَبْيَاتٍ لَهُ. فَقَالَ:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِن لُحُومِ الْغَوَافِلِ

---

(١٥١) حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ كُلُّهُمْ عَنْ سُفْيَانَ قَالَ عَمْرٌو حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

– حَدَّثَنَاه إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاق أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ

(١٥٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

(١٥٣) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَدِيٍّ وَهُوَ ابْنُ ثَابِتٍ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ قَالَ

– حَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ح وحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ جَعْفَرٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ كُلُّهُمْ عَنْ شُعْبَةَ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

(١٥٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ

– حَدَّثَنَاه عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ

(١٥٥) حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ

فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: لَكِنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ. قَالَ مَسْرُوقٌ: فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَأْذَنِينَ لَهُ يَدْخُلُ عَلَيْكِ؟ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور/١١] فَقَالَتْ: فَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَى؟ إِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ. أَوْ يُهَاجِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٥٥٦٢- - وَفِي رواية عَن شُعْبَةَ(-) فِي هَذَا الإِسْنَادِ. وَقَالَ: قَالَتْ: كَانَ يَذُبُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَلَمْ يَذْكُرْ: حَصَانٌ رَزَانٌ.

٥٥٦٣- ١٥٦/٦ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا(١٥٦) قَالَتْ: قَالَ حَسَّانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ائْذَنْ لِي فِي أَبِي سُفْيَانَ. قَالَ: «كَيْفَ بِقَرَابَتِي مِنْهُ؟» قَالَ: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ! لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْخَمِيرِ. فَقَالَ حَسَّانُ:

وَإِنَّ سَنَامَ الْمَجْدِ مِن آلِ هَاشِمٍ بَنُو بِنْتِ مَخْزُومٍ. وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ

قَصِيدَتَهُ هَذِهِ.

٥٥٦٤- وَفِي رواية عَن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، بِهَذَا الإِسْنَادِ. قَالَت: اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ ابْنُ ثَابِتٍ النَّبِيَّ ﷺ فِي هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ. وَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا سُفْيَانَ. وَقَالَ بَدَلَ -الْخَمِيرِ- الْعَجِينِ.

٥٥٦٥- ١٥٧/٧ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا(١٥٧)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اهْجُوا قُرَيْشًا. فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِن رَشْقٍ بِالنَّبْلِ». فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: «اهْجُهُمْ» فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ. فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ ابْنِ مَالِكٍ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ. فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! لافْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الأَدِيمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَعْجَلْ. فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا. وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي فَأَتَاهُ حَسَّانُ. ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ. وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: «إِنَّ رُوحَ

(-) حَدَّثَنَاه ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ شُعْبَةَ

(١٥٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ
- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ

(١٥٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ ابْنُ أَبِي هِلالٍ عَنْ عُمَارَةَ ابْنِ غَزِيَّةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ

الْقُدُسِ لا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ». وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى». قَالَ حَسَّانُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنهُ ... وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا ... رَسُولَ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
ثَكِلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مِن كَنَفَيْ كَدَاءِ
يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِلا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِن مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا ... وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

المعنى العام

حسان بن ثابت بن المنذر، الأنصارى، الخزرجى، النجارى، وأمه الفريعة بنت خالد بن حبيش، خزرجية أيضا. أدركت الإسلام، فأسلمت وبايعت، ويكنى حسان: أبا المضرب، وأبا الحسام، وأبا عبد الرحمن، فضل على الشعراء بثلاثة، كان شاعر الأنصار فى الجاهلية، وشاعر النبى ﷺ فى أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها فى الإسلام.

قيل: إنه لم يغز مع النبى ﷺ لجبنه، وقصة جبنه مع صفية بنت عبد المطلب، وهى فى حصنه، مشهورة.

قدم رسول الله ﷺ المدينة وعمر حسان ستون سنة، قيل: وعاش فى الإسلام ستين سنة، ومات

وهو ابن مائة وعشرين سنة، توفى فى خلافة على ﷺ، وقيل: توفى سنة خمسين أو أربع وخمسين. رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(**أن عمر مر بحسان، وهو ينشد الشعر فى المسجد**) أى المسجد النبوى فى المدينة، وعمر آنذاك أمير المؤمنين.

(**فلحظ إليه**) أى نظر إليه بمؤخر عينه، من أحد جانبيه، يقال: لحظه بالعين، ولحظ إليه لحظا ولحظانا، وكثيرا ما تستعمل هذه النظر فى مؤاخذة الملحوظ، كما فهم منها حسان، وفى رواية « فقال عمر: أفى مسجد رسول الله ﷺ تنشد الشعر»؟.

(**فقال: قد كنت أنشد، وفيه من هو خير منك**) أى فقال حسان لعمر، ردا على لحظته: لم تؤاخذنى؟ وقد أقرنى على ذلك رسول الله ﷺ؟.

(**ثم التفت إلى أبى هريرة**) أى التفت حسان إلى أبى هريرة - وكان بجواره - يستشهد به.

(**فقال: أنشدك الله. أسمعت رسول الله ﷺ يقول: أجب عنى، اللهم أيده بروح القدس؟ قال: اللهم نعم**) وفى رواية « فسكت عمر». و« أنشدك » بفتح الهمزة وضم الشين، أى أسألك الله، والنشد بفتح النون وسكون الشين التذكر، يقال: نشد فلانا قصده وسأله، ونشد فلانا بكذا، أى ذكره به واستعطفه، يقال: نشدتك الله، وبالله، ونشدتك الرحم، وبالرحم، والمراد بروح القدس هنا جبريل، يدل عليه ما فى الرواية الثالثة « وجبريل معك ». والمراد بالإجابة الرد على الكفار الذين هجوا رسول الله ﷺ وأصحابه، وفى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ ينصب لحسان منبرا فى المسجد، فيقوم عليه، يهجو الكفار».

(**اهجهم، أو هاجهم، وجبريل معك**) يقال: هجا فلانا، يهجوه، هجوا، وهجاء: ذمه، وعدد معايبه، ويقال: هاجاه مهاجاة، إذا هجا كل منهما صاحبه. و« أو» للشك من الراوى فى أية اللفظتين قيلت.

(**عن هشام عن أبيه**) عروة بن الزبير، ابن أخت عائشة.

(**أن حسان بن ثابت كان ممن كثر على عائشة، فسببته**) أى ذكر اسمه فى مجلس عائشة، فسبه عروة، لأنه أكثر من نقل كلام الإفك عن عائشة، وقد صح عن عائشة أنها عدت العصبة التى جاءت وأذاعت الإفك، فعدت عبد الله بن أبى بن سلول، وحمنة بنت جحش، أخت أم المؤمنين زينب رضى الله عنها، وزوجة طلحة بن عبيد الله، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت.

ومن الناس من برأ حسان، وهو خلاف ما فى الصحيح، وما تشير إليه الروايتان الرابعة

الخامسة، والظاهر أنه - رضى اللّه عنه - اعتذر عما نسب إليه فى شأن عائشة فى أبيات سنذكرها، فقبلت اعتذاره، وعطفت عليه بعد أن أصيب بالعمى.

(**فقالت: يا بن أختى، دعه**) أى دع سبه وشتمه.

(**فإنه كان ينافح عن رسول اللّه ﷺ**) أى كان يدافع بشعره عن رسول اللّه ﷺ، وفى الرواية الخامسة « إنه كان ينافح أو يهاجى عن رسول اللّه ﷺ » وفى ملحقها « كان يذب عن رسول اللّه ﷺ ».

(**يشبب بأبيات له، فقال:**

حصان رزان ما تزن بريبة ∴ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل)

« يشبب » يعنى يتغزل، يذكر محاسن النساء، وهو هنا يذكر محاسن عائشة رضى اللّه عنها، ويصفها بأنها « حصان » بفتح الحاء والصاد المخففة، أى محصنة عفيفة، « رزان » بفتح الراء والزاى، أى كاملة العقل، يقال: رجل رزين، و« ما تزن بريبة » أى ما تتهم بريبة، يقال: زننته وأزننته إذا ظننت به خيرا أو شرا، و« غرثى » بفتح الغين وسكون الراء وفتح الثاء، أى جائعة، ورجل غرثان، وامرأة غرثى، معناه لا تغتاب الناس، لأنها لو اغتابتهم شبعت من لحومهم.

والمعنى أن عائشة رضى اللّه عنها محصنة عاقلة، لا تتهم بريبة، ولا تأكل لحوم الناس بالغيبة.

في الرواية الخامسة أنها قالت له، بعد سماعها هذا البيت: « لكنك لست كذلك ».

وبعد هذا البيت قال:

حليلة خير الناس دينا ومنصبا ∴ نبى الهدى ذى المكرمات الفواضل

عقيلة حى من لؤى بن غالب ∴ كرام المساعى، مجدهم غير زائل

مهذبة قد طيب اللّه خيمها ∴ وطهرها من كل سوء وباطل

فإن كنت قد قلت الذى قد زعمتمو ∴ فلا رفعت سوطى إلى أناملى

وكيف وودى ما حييت ونصرتى ∴ لآل رسول اللّه زين المحافل

له رتب عال على الناس كلهم ∴ تقاصر عنه سورة المتطاول

فإن الذى قد قيل ليس بلائط ∴ ولكنه قول امرئ بى ماحل

« قد طيب اللّه خيمها » أى قد طيب ريحها ،« سورة المتطاول » بفتح السين وسكون الواو، أى وثبة مدعى الطول، و« ليس بلائط » أى ليس بلاصق بى على الحقيقة، « بى ماحل » أى بى واش وساع بى إلى ذى السلطان.

(**قال حسان: يا رسول الله، ائذن لي في أبي سفيان**) المراد بأبي سفيان هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهو ابن عم النبي ﷺ وكان يؤذي النبي ﷺ والمسلمين في ذلك الوقت، ثم أسلم وحسن إسلامه.

أي ائذن لي أن أهجوه وأذمه، وفي ملحق الرواية «استأذن حسان بن ثابت النبي ﷺ في هجاء المشركين» ولم يذكر أبا سفيان.

(**قال: كيف بقرابتي منه؟**) أي كيف لا يصيبني الذم، وهو ابن عمي؟ إذا ذممته؟

(**قال: والذي أكرمك لأسلنك منهم، كما تسل الشعرة من الخمير**) المراد من الخمير العجين، وصرح به في الرواية السابعة، لأنه يتخمر غالبا، ومعناه لأتلطفن في تخليص نسبك من هجوه، بحيث لا يبقى جزء من نسبك في نسبهم الذي ناله الهجو، كما أن الشعرة، إذا سلت من العجين، لا يبقى منها شيء فيه، بخلاف ما لو سلت من شيء صلب، فإنها ربما انقطعت، فبقيت منها فيه بقية.

(**فقال حسان:**

وإن سنام المجد من آل هاشم ∴ بنو بنت مخزوم ووالدك العبد)

ولم يذكر مسلم البيت الثاني، وبه تتم الفائدة، وهو المراد المقصود، وهو:

ومن ولدت أبناء زهرة منهمو ∴ كرام، ولم يقرب عجائزك المجد

والمراد ببنت مخزوم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، أم عبد الله والزبير وأبي طالب، وقوله «ومن ولدت أبناء زهرة منهمو» مراده هالة بنت وهب بن عبد مناف، أم حمزة وصفية، وأما قوله «ووالدك العبد» فهو سب لأبي سفيان بن الحارث، ومعناه أن أم الحارث بن عبد المطلب والد أبي سفيان هذا، هي سمية بنت موهب، وموهب غلام لبني عبد مناف، وكذا أم أبي سفيان بن الحارث، كانت كذلك، وهو مراده بقوله: «ولم يقرب عجائزك المجد».

(**قصيدته هذه**) بالنصب، مفعول به لفعل محذوف، أي اقرأ، أو راجع قصيدته هذه.

(**اهجوا قريشا، فإنه أشد عليها من رشق بالنبل**) الخطاب للمسلمين، أو للشعراء المسلمين، وهو رفع للحظر، وإذن بالهجاء، بعد أن اشتد هجاء المشركين للإسلام ورسول الله ﷺ وللمسلمين، فأراد محاربتهم بنفس سلاحهم، وكان الشعر مدحا أو هجاء يرفع القبيلة أو يخفضها، فكان أثره في العرب بعامة أشد من الرمي بالسهام، و«الرشق» بفتح الراء هي الرمي، وأما الرشق بكسرها فهو اسم للنبل التي ترمى دفعة واحدة، وفي بعض النسخ «رشق النبل».

(**فأرسل إلى ابن رواحة، فقال: اهجهم، فهجاهم، فلم يرض**) أي فلم يشف ما في صدر النبي ﷺ وما في صدر أصحابه من الغيظ.

(**فأرسل إلى كعب بن مالك**) فقال له: اهجهم، فهجاهم، فكان شأنه شأن ابن رواحة.

(**ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه**) أى على رسول الله ﷺ، وقد بلغه ما كان من ابن رواحة وكعب.

(**قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه**) يصف نفسه بالأسد بين الشعراء، قال العلماء: ومراد حسان من « ذنبه » لسانه، فشبه نفسه بالأسد فى انتقامه وبطشه إذا اغتاظ، وحينئذ يضرب بذنبه جنبيه.

(**ثم أدلع لسانه، فجعل يحركه**) أى ثم أخرج لسانه عن الشفتين، يحركه يمنة ويسرة، كما يفعل الأسد بذنبه، يقال: دلع لسانه، وأدلع لسانه، ودلع اللسان.

(**فقال: والذى بعثك بالحق لأفرينهم فرى الأديم**) أى لأمزقن أعراضهم تمزيق الجلد. سأسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين. قال: أنت غير عليم بالأنساب، فيخشى من ذم نسب أتصل به، ولكن عليك أولا بأبى بكر.

(**فإن أبابكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لى فيهم نسبا، حتى يلخص لك نسبى**) ويخلصه من أنساب تتناولها بالهجاء.

(**قالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هجاهم حسان، فشفى، واشتفى**) أى فشفى صدرى وشفى صدور المؤمنين، وشفى نفسه، وأذهب غيظنا وغيظه.

(**قال حسان:**

هجوت محمدًا، فأجبت عنه ∴ وعند الله فى ذاك الجزاء)

يخاطب من هجا رسول الله ﷺ، ويتوعده بأنه سيجيب ويدافع عن رسول الله ﷺ، إجابة ودفاعا لا يدافعه مدافع، لأن أجره عند أعظم مجان، وأكرم معط.

(هجوت محمدًا، برًا، تقيا ∴ رسول الله شيمته الوفاء)

وفى بعض النسخ « برا حنيفا » والبر بفتح الباء واسع الخير، وهو مأخوذ من البر، بكسر الباء، وهو الاتساع فى الإحسان، وهو اسم جامع للخير، وقيل: البر هنا بمعنى المتنزه عن المآثم، وأما الحنيف فقيل: هو المستقيم، والأصح أنه المائل إلى الخير، وقيل: الحنيف التابع ملة إبراهيم عليه السلام وقوله « شيمته الوفاء » أى خلقه الوفاء، وكلها منصوبة على الحال.

(**فإن أبى ووالده وعرضى ∴ لعرض محمد منكم وقاء**)

قال النووى: هذا مما احتج به ابن قتيبة لمذهبه، أن عرض الإنسان هو نفسه، لا أسلافه، لأنه ذكر عرضه وأسلافه بالعطف، وقال غيره: عرض الرجل أموره كلها، التى يحمد بها ويذم من نفسه، وأسلافه، وكل ما لحقه نقص بعيبه، وأما قوله « وقاء » فبكسر الواو، وبالمد، وهو ما وقيت به الشئ.

(ثكلت بنيتى إن لم تروها ∴ تثير النقع من كنفى كداء)

« كنفا كداء » جانبا كداء، وهى ثنية على باب مكة، وفى بعض النسخ « غايتها كداء » وفى بعضها « موعدها كداء » يهدد قريشا والمشركين بمكة بأن خيل المسلمين ستثير الغبار فى جبال مكة، فتغزوهم. وتهاجمهم، ويزيد فى وصف الخيل والفرسان، فيقول:

(يبارين الأعنة مصعدات ∴ على أكتافها الأسل الظماء

تظل جيادنا متمطرات ∴ تلطمهن بالخمر النساء)

ويروى « يبارعن الأعنة » وفى رواية « يبارين الأسنة » و« مصعدات » أى مقبلات إليكم ومتوجهات، دون تراجع « على أكتافها الأسل الظماء » أى فوق ظهورها الرماح العطشى إلى الدماء، وفى بعض الروايات « الأسد الظماء » أى الرجال المشبهون للأسد العطاش إلى دمائكم « تظل جيادنا متمطرات » أى تظل خيولنا مسرعات، يسبق بعضها بعضا، كسيل المطر « تلطمهن بالخمر النساء » أى تمسحهن النساء بخمرهن، جمع خمار، أى يزلن عنهن الغبار بخمرهن، لعزتها وكرامتها عندهم، وحكى القاضى أنه روى « بالخمر» بفتح الميم، جمع خمرة، وهو صحيح المعنى، لكن الأول هو المعروف، وهو الأبلغ فى إكرامها.

(فإن أعرضتموا عنا اعتمرنا ∴ وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا لضراب يوم ∴ يعز اللّٰه فيه من يشاء

وقال اللّٰه قد أرسلت عبدًا ∴ يقول الحق ليس به خفاء

وقال اللّٰه قد يسرت جندًا ∴ هم الأنصار، عرضتها اللقاء

يلاقى كل يوم من معد ∴ سباب أو قتال أو هجاء

فمن يهجو رسول اللّٰه منكم ∴ ويمدحه وينصره سواء

وجبريل رسول اللّٰه فينا ∴ وروح القدس ليس له كفاء)

« قد يسرت جندا » أى هيأتهم، وأرصدتهم لقتال المشركين « عرضتها اللقاء » بضم العين، أى مقصودها ومطلوبها « ليس له كفاء » أى ليس له مماثل، ولا مقاوم.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- فضيلة لحسان بن ثابت ﷺ فى دفاعه بشعره عن رسول اللّٰه ﷺ، وعلى الرغم من موقفه من الإفك نرى عائشة رضى اللّٰه عنها تغفر له هذا الموقف، وتقدر له هجاء المشركين، ومدحه لرسول اللّٰه ﷺ، وتكرمه، وتذكره بخير، وتدافع عنه بل كانت تأذن له بالدخول، وتدعو له بالوسادة، وتقول: لا

تؤذوا حسانا، فإنه كان ينصر رسول اللّه ﷺ بلسانه، وتقول: ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان، وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة. ولما قيل لها: تدعين مثل هذا يدخل عليك، وقد أنزل اللّه تعالى ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] قالت: وأى عذاب أشد من العمى، وفى رواية « أليس أصابه عذاب عظيم؟ أليس قد ذهب بصره، وكسع بالسيف »، تعنى ضربة السيف التى ضربه إياها صفوان، حين بلغه أنه يتكلم فى ذلك.

٢- وفى الحديث جواز هجو الكفار، ما لم يكن أمان، ولا غيبة فيه، فقد أمر صلى اللّه عليه وسلم بهجائهم، وطلبه من أصحابه، واحدا بعد واحد، وكان القصد النكاية فى الكفار، وقد أمر اللّه تعالى بالجهاد فى الكفار، والإغلاظ عليهم، وكان هذا الهجو أشد عليهم من الرمى بالنبال، فكان مندوبا لذلك، مع ما فيه من كف أذاهم، وبيان نقصهم، والانتصار للمسلمين بهجائهم.

قال النووى: قال العلماء: ينبغى ألا يبدأ المسلمون المشركين بالسب والهجاء، مخافة من سبهم الإسلام وأهله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ولتنزيه ألسنة المسلمين عن الفحش، إلا أن تدعو إلى ذلك ضرورة لابتدائهم به، ككف أذاهم، كما فعل النبى ﷺ.

٣- قال النووى: وفيه جواز إنشاد الشعر فى المسجد، إذا كان مباحا، واستحبابه إذا كان فى مدح الإسلام وأهله، أو فى هجاء الكفار، والتحريض على قتالهم، أو تحقيرهم ونحو ذلك.

وأما حديث « نهى رسول اللّه ﷺ عن تناشد الأشعار فى المساجد » فهو وإن رواه الترمذى وحسنه فيجمع بينه وبين حديثنا بأن يحمل النهى على تناشد أشعار الجاهلية والمبطلين، والمأذون فيه ما سلم من ذلك، وقيل: المنهى عنه ما إذا كان التناشد غالبا على المسجد، حتى يتشاغل به من فيه. واللّه أعلم.

٤- وفيه استحباب الدعاء لمن قال شعراً من هذا النوع.

٥- وفيه جواز الانتصار من الكفار، ويجوز الانتصار أيضا من غير الكفار بشروطه.

واللّه أعلم

(٦٦٣) باب من فضائل أبي هريرة ﷺ

٥٥٦٦- ١٥٨/١ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(١٥٨) قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ. فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ. فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ! اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ. فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ. فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ. فَقَالَتْ: مَكَانَكَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ. قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَن خِمَارِهَا. فَفَتَحَتِ الْبَابَ. ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ! حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا- يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ- وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ» فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي، وَلا يَرَانِي إِلا أَحَبَّنِي.

٥٥٦٧- ١٥٩/٢ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(١٥٩) قَالَ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ. كُنْتُ رَجُلا مِسْكِينًا. أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي. وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ. وَكَانَتِ الأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَبْسُطْ ثَوْبَهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي». فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَى حَدِيثَهُ. ثُمَّ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ. فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ.

٥٥٦٨- وفي رواية عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، بِهَذَا الْحَدِيثِ. غَيْرَ أَنَّ مَالِكًا انْتَهَى

---

(١٥٨) حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْيَمَامِيُّ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي كَثِيرٍ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ

(١٥٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعًا عَنْ سُفْيَانَ قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الأَعْرَجِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يقول

– حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ أَخْبَرَنَا مَعْنٌ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ ح وحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ كِلاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

حَدِيثُهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِهِ الرِّوَايَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ يَبْسُطْ ثَوْبَهُ» إِلَى آخِرِهِ.

٥٥٦٩- ١٦٠/٣ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا(١٦٠) قَالَتْ: أَلا يُعْجِبُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ! جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِ حُجْرَتِي. يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. يُسْمِعُنِي ذَلِكَ. وَكُنْتُ أُسَبِّحُ. فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي. وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ.

٥٥٧٠- ٠٠/٤ وَفِي رواية عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٠٠) قال: يقولون: إن أبا هريرة قَدْ أَكْثَرَ وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ. وَيَقُولُونَ: مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ لا يَتَحَدَّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ؟ وَسَأُخْبِرُكُمْ عَن ذَلِكَ: إِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَرَضِيهِمْ. وَإِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ. وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي. فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا. وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا. وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا: «أَيُّكُمْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ فَيَأْخُذُ مِن حَدِيثِي هَذَا، ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْسَ شَيْئًا سَمِعَهُ» فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ. حَتَّى فَرَغَ مِن حَدِيثِهِ. ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي. فَمَا نَسِيتُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ شَيْئًا حَدَّثَنِي بِهِ وَلَوْلا آيَتَانِ أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مَا حَدَّثْتُ شَيْئًا أَبَدًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [البقرة/١٥٩، ١٦٠] إِلَى آخِرِ الآيَتَيْنِ.

المعنى العام

أبو هريرة الدوسى، صاحب رسول الله ﷺ، قال النووى: اسمه عبد الرحمن بن صخر على الأصح من ثلاثين قولا، وقال القطب الحلبى: اجتمع فى اسمه واسم أبيه أربعة وأربعون قولا، مذكورة فى الكنى للحاكم وفى الاستيعاب وفى تاريخ ابن عساكر. قال البخارى: روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم، وكان جريئا على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره.

كان إسلامه بين الحديبية وخيبر، قدم المدينة مهاجرا، وسكن الصفة، وصحب النبى ﷺ أربع سنين، وقيل ثلاث سنين، قيل: كان سنه يوم أسلم ثلاثين عاما.

---

(١٦٠) وحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ أَنَّ عَائِشَةَ قالت

(٠٠) قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ يَقُولُونَ
– وحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ عَنْ شُعَيْبٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ ابْنُ الْمُسَيَّبِ وَأَبُو سَلَمَةَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ إِنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ

كان يبتدئ حديثه بقوله: قال رسول اللّه ﷺ الصادق المصدوق أبو القاسم: « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».

استعمل عمر أبا هريرة على البحرين، فقدم بعشرة آلاف ،فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال، فمن أين لك؟ قال: خيل نتجت، وأعطية تتابعت، وخراج رفيق لى، فنظر، فوجدها كما قال، ثم دعاه ليستعمله، فأبى، فقال: لقد طلب العمل من كان خيرا منك، قال: إنه يوسف عليه السلام، نبى اللّه، وابن نبى اللّه، وأنا أبو هريرة ابن أميمة، وأخشى ثلاثا: أن أقول بغير علم، أو أقضى بغير حكم، ويضرب ظهرى، ويشتم عرضى، وينزع مالى.

توفى بقصره بالعقيق، سنة ثمان وخمسين فحمل إلى المدينة، بعد أن عاش ثمانيا وسبعين سنة، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، وكان أميراً يومئذ على المدينة، وكتب الوليد إلى معاوية يخبره بموته، فكتب إليه: انظر من ترك؟ فادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم، وأحسن جوارهم، فإنه كان ممن نصر عثمان يوم الدار، رضى اللّه عنه وأرضاه.

المباحث العربية

. (**فادع اللّه أن يهدى أم أبى هريرة**) كان الأصل أن يقول: أمى، ولكنه آثر التجريد، ليطابق المدعو به، فإنه لن يقول: اللّهم اهد أمك.

(**فلما جئت فصرت إلى الباب**) أى فوصلت إلى باب بيتى.

(**فإذا هو مجاف**) أى مغلق، يقال: أجاف الباب إذا رده، وفى حديث الحج أنه صلى اللّه عليه وسلم دخل البيت، وأجاف الباب.

(**فسمعت أمى خشف قدمى**) بفتح الخاء وسكون الشين، أى صوت قدمى فى الأرض.

(**فقالت: مكانك**) ظرف لفعل محذوف، أى قف مكانك.

(**وسمعت خضخضة الماء**) أى صوت تحريكه وصبه.

(**ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب**) درع المرأة قميصها، وخمارها الثوب الذى تغطى به رأسها، وعجل عن كذا إلى كذا، أى أسرع إلى كذا متجاوزا كذا، والمعنى أنها لبست القميص، وأسرعت إلى الباب تفتحه، تاركة خمارها.

(**فما خلق مؤمن يسمع بى، ولا يرانى إلا أحبنى**) هذا فى اعتقاد أبى هريرة وعلمه، وما يحسه من الناس، وليس بلازم، فحب جميع المؤمنين غاية لا تدرك.

(**إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول اللّه ﷺ**) الزعم مطية الكذب،

وتستعمل المادة - غالبا - فيما ليس له أصل. و « يكثر الحديث » أى يكثر ذكر الأحاديث والتحديث والرواية والخطاب فى « إنكم » لبعض الصحابة، أى إن بعض الصحابة يقولون...، وفى الرواية الرابعة « يقولون: إن أبا هريرة قد أكثر» وفى ملحقها « إنكم تقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ » وفى رواية للبخارى « إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة ».

(**والله الموعد**) بفتح الميم، وفيه حذف، تقديره: وعند الله الموعد، لأن الموعد إما مصدر، وإما ظرف زمان، أو ظرف مكان، وكل ذلك لا يخبر به عن الله تعالى، ومراده أن الله تعالى يحاسبنى إن تعمدت كذبًا، ويحاسب من ظن بى ظن السوء.

(**كنت رجلا مسكينا، أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطنى**) أى ألازمه من أجل قوتى اليومى، ولا أجمع مالا أدخره، وليس المراد الخدمة بالأجرة، و « ملء » بكسر الميم، أى إن السبب الأولى الذى اقتضى له كثرة الحديث عن رسول الله ﷺ أمران، ملازمته له، ليجد مايأكله، لأنه لم يكن له شيء يتجر فيه، ولا أرض يزرعها، ولا يعمل فيها، فكان لا ينقطع عنه، خشية أن يفوته القوت، فحصل له بهذه الملازمة كثرة سماعه الأقوال، ورؤيته الأفعال، مما لا يحصل لغيره، ممن لم يلازمه ملازمته، الأمر الثانى ما سيذكره من دعاء النبى ﷺ له، وفى رواية للبخارى « وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون ».

(**وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم**) « يشغلهم » بفتح الياء، وحكى ضمها، والصفق فى الأسواق كناية عن التبايع، وكانوا يصفقون بالأيدى من المتبايعين، بعضها على بعض، والسوق مؤنثة، وقد تذكر، سميت بذلك لقيام الناس فيها على سوقهم، وفى الرواية الرابعة « ويقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه؟ وسأخبركم عن ذلك. إن إخوانى من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضهم، وإن إخوانى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ».

(**فقال رسول الله ﷺ: من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه منى، فبسطت ثوبى، حتى قضى حديثه، ثم ضممته إلى، فما نسيت شيئا مما سمعته منه**) هذا هو السبب الثانى، وفى الرواية الرابعة « ولقد قال رسول الله ﷺ يوما: أيكم يبسط ثوبه، فيأخذ من حديثى هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم ينس شيئا سمعه، فبسطت بردة على، حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلى صدرى، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا، حدثنى به ».

(**أن عائشة قالت: ألا يعجبك أبو هريرة؟**) الخطاب من عائشة لابن أختها، عروة بن الزبير، والمعنى: تعجب من أبى هريرة، فعند أبى داود « ألا أعجبك من أبى هريرة ».

(**جاء، فجلس إلى جنب حجرتى، يحدث عن النبى ﷺ، يسمعنى ذلك**) أى يسمعنى أحاديث ليأخذ موافقتى على صحتها، أو ليسمع منى اعتراضا على بعضها.

(**وكنت أسبح، فقام قبل أن أقضى سبحتى**) أى كنت أصلى نافلة الضحى.

(**ولو أدركته لرددت عليه: إن رسول اللَّه ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم**) وكأن عائشة لم توافق أبا هريرة على سرعة تحديثه، ومتابعة الحديث للحديث، والاستعجال فى رواية الحديث، وكانت لو لحقته لنصحته أن يروى ما يروى فصلا، فهما، تفهمه القلوب، ولو لحقته لأنكرت عليه الإسراع، وبينت له أن الترتيل فى التحديث أولى من السرد، وأن رسول اللَّه ﷺ لم يكن يسرد الحديث كما يسرده أبو هريرة.

واعتذر بعضهم عن أبى هريرة بأنه كان واسع الرواية، كثير المحفوظ، فكان لا يتمكن من المهل عند إرادة التحديث، من تزاحم المعلومات.

(**لولا آيتان أنزلهما اللَّه فى كتابه، ما حدثت شيئا أبداً**) وفى رواية البخارى « ما حدثت حديثا » أى لولا أن اللَّه ذم الكاتمين للعلم، ما حدث أصلا، لكن لما كان الكتمان حراماً، وجب الإظهار.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- استجابة دعاء الرسول ﷺ على الفور بعين المسئول، بخصوص هداية أم أبى هريرة.

٢- وهو من أعلام نبوته صلى اللَّه عليه وسلم.

٣- واستحباب حمد اللَّه عند حصول النعم.

٤- فضيلة أبى هريرة.

٥- فضيلة حفظ العلم، قالوا: ولم يحدث أبو هريرة بجميع محفوظاته، ومع ذلك فالموجود من حديثه أكثر من الموجود من حديث غيره من المكثرين.

٦- أخذ من قوله فى الرواية الثانية « فما نسيت شيئا سمعته منه » ومن قوله فى الرواية الرابعة « فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا حدثنى به » أن أبا هريرة لم ينس شيئاً من الأحاديث التى سمعها، وأن عدم النسيان عنده خاص بالحديث، فإن قيل: قد أخرج ابن وهب من طريق الحسن بن عمرو ابن أمية، قال: تحدثت عند أبى هريرة بحديث، فأنكره، فقلت: إنى سمعته منك؟ فقال: إن كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى ». فهذا يدل على وقوع نسيانه فى الحديث، ويحمل عدم النسيان على عدم نسيان تلك المقالة، يستأنس لذلك برواية شعيب « فما نسيت من مقالته تلك من شىء » مما يخص عدم النسيان بتلك المقالة، ويلتحق بهذا حديث أبى سلمة عنه « لا عدوى » فإنه قال فيه: إن أبا هريرة أنكره، قال: « فما رأيته نسى شيئا غيره ». قال الحافظ ابن حجر: سند حديث

ابن وهب ضعيف، وعلى تقدير ثبوته فهو نادر، وسياق الكلام فى روايتنا يقتضى ترجيح العموم، لأن أبا هريرة نبه بذلك على كثرة محفوظه من الحديث، والوثوق منها، فلا يصح حمله على تلك المقالة وحدها.

٧- وعدم نسيان أبى هريرة معجزة واضحة، من علامات النبوة، لأن النسيان من لوازم الإنسان، وقد اعترف أبو هريرة بأنه كان يكثر من النسيان، ثم تخلف عنه ببركة دعاء النبى ﷺ، وفى المستدرك للحاكم، من حديث زيد بن ثابت ﷺ قال: « كنت أنا وأبو هريرة وآخر، عند النبى ﷺ، فقال: ادعوا، فدعوت أنا وصاحبى، وأمن النبى ﷺ، ثم دعا أبو هريرة، فقال: اللَّهم إنى أسألك مثل ما سألك صاحباى، وأسألك علما لا ينسى، فأمن النبى ﷺ، فقلنا: ونحن كذلك يا رسول اللَّه. فقال: سبقكما الغلام الدوسى ».

٨- وفى عمل أبى هريرة فضيلة التقليل من الدنيا، وأنه أمكن لحفظ العلم .

٩- وفى انشغال المهاجرين والأنصار وتقريرهم على ذلك فضيلة التكسب لمن له عيال.

١٠- وفيه جواز تحديث الإنسان بما فيه من فضائل، إذا اضطر إلى ذلك، وأمن من الإعجاب.

١١- وفى الحديث دلالة على حرصهم على التوثيق بالرواية، لقولهم: « أكثر أبو هريرة ».

١٢- وأن كثيرا من أكابر الصحابة كان يغيب عنه بعض ما يقوله النبى ﷺ أو يفعله من الأعمال التكليفية.

١٣- وفيه الرد على الرافضة والخوارج الذين يزعمون أن أحكام النبى ﷺ وسننه منقوله.. عنه بالتواتر، وأنه لا يجوز العمل بما لم ينقل متواترا، وقد انعقد الإجماع على القول بالعمل بأخبار الآحاد.

واللَّه أعلم

(٦٦٤) باب من فضائل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

٥٥٧١- ١٦١/١ عَن عَلِيٍّ رضي الله عنه(١٦١) قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ. فَقَالَ: «ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ. فَخُذُوهُ مِنْهَا» فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا. فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ. فَقُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ فَقَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ. فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ. فَأَخْرَجَتْهُ مِن عِقَاصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ: مِن حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِن أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ! مَا هَذَا؟» قَالَ: لا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ (قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ مِن أَنْفُسِهَا) وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ. فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي. وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلا ارْتِدَادًا عَن دِينِي. وَلا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلامِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ» فَقَالَ عُمَرُ. دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة/١] وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ وَزُهَيْرٍ ذِكْرُ الآيَةِ. وَجَعَلَهَا إِسْحَقُ فِي رِوَايَتِهِ، مِن تِلاوَةِ سُفْيَانَ.

٥٥٧٢- وَفِي رِوايَةٍ عَن عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ. وَكُلُّنَا فَارِسٌ. فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ. فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِن حَاطِبٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ» فَذَكَرَ بِمَعْنَى حَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَن عَلِيٍّ.

٥٥٧٣- ١٦٢/٢ عَن جَابِرٍ رضي الله عنه(١٦٢) أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَبْتَ لا يَدْخُلُهَا. فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ».

---

(١٦١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرٌو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ وَاللَّفْظُ لِعَمْرٍو قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا و قَالَ الآخَرُونَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرٍو عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ وَهُوَ كَاتِبُ عَلِيٍّ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا وَهُوَ يَقُولُ

(١٦٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ

المعنى العام

حاطب بن أبى بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمى، حليف بنى أسد بن عبد العزى، وقيل: كان عبدا لعبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد، فكاتبه، فأدى مكاتبته، وقيل: كان رجلا من أهل اليمن، شهد بدرا والحديبية، ومات سنة ثلاثين من الهجرة، وهو ابن خمس وستين سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنه.

وكان رسول الله ﷺ قد بعث حاطب بن أبى بلتعة فى سنة ست من الهجرة إلى المقوقس، صاحب مصر والإسكندرية، فأتاه من عنده بهدية، منها مارية القبطية وسيرين أختها، فاتخذ رسول الله ﷺ مارية لنفسه، فولدت له إبراهيم ابنه، ووهب سيرين لحسان ابن ثابت، فولدت له عبد الرحمن.

وبعث أبو بكر الصديق حاطب بن أبى بلتعة أيضا إلى المقوقس بمصر، فصالحهم، فلم يزالوا كذلك حتى دخلها عمرو بن العاص، وقاتلهم، وافتتح مصر سنة إحدى وعشرين، فى خلافة عمر بن الخطاب، روى عن حاطب بن أبى بلتعة أنه قال: « بعثنى رسول الله ﷺ إلى المقوقس، ملك الإسكندرية، فجئته بكتاب رسول الله ﷺ، فأنزلنى فى منزله، وأقمت عنده ليالى، ثم بعث إلى، وقد جمع بطارقته، فقال: إنى سأكلمك بكلام، أحب أن تفهمه منى. قال: قلت: هلم. قال: أخبرنى عن صاحبك. أليس هو نبى؟ قال: قلت: بلى. هو رسول الله ﷺ. قال: فما له؟ حيث كان هكذا، لم يدع على قومه، حيث أخرجوه من بلدته إلى غيرها؟ فقلت له: فعيسى ابن مريم، أتشهد أنه رسول الله؟ قال: نعم. قال: فما باله؟ حيث أخذه قومه، فأرادوا صلبه، فماله لم يكن دعا عليهم بأن يهلكهم الله، حتى رفعه الله إليه فى سماء الدنيا؟ قال: أحسنت. أنت حكيم، جاء من عند حكيم. هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد، وأرسل معك من يبلغك إلى مأمنك ».

رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(**بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد**) وفى ملحق الرواية عن على رضي الله عنه « بعثنى رسول الله ﷺ وأبا مرثد الغنوى والزبير بن العوام، وكلنا فارس » قال العلماء: لا منافاة، بل بعث الأربعة، عليا والزبير والمقداد وأبا مرثد، فذكر بعض الرواة ما لم يذكره الآخر، بل لم يذكر ابن إسحاق مع على والزبير أحداً، وساق الخبر بالتثنية، قال: « فخرجا حتى أدركاها، فاستنزلاها » ويحتمل سبق اثنين من الأربعة إليها.

(**فقال ائتوا روضة خاخ**) قال النووى: هى بخاءين. هذا هو الصواب الذى قاله العلماء كافة فى جميع الطوائف وفى جميع الروايات، والكتب، ووقع فى البخارى من رواية أبى عوانة « حاج »

بالحاء والجيم، واتفق العلماء على أنه غلط، وإنما اشتبه على أبى عوانة بذات حاج، وهى موضع بين المدينة والشام، على طريق الحجيج، وأما روضة خاخ فبين مكة والمدينة، بقرب المدينة.

(**فإن بها ظعينة، معها كتاب، فخذوه منها**) فى ملحق الرواية « فقال: انطلقوا، حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها امرأة من المشركين، معها كتاب من حاطب إلى المشركين ... » والمراد بالظعينة هنا المرأة وأصلها الراحلة أو الهودج، وذكر ابن إسحاق أن اسمها سارة، وذكر الواقدى أن اسمها كنود، وفى رواية أم سارة، وذكر الواقدى أن حاطبا جعل لها عشرة دنانير على ذلك، وقيل: دينارا واحدا، وهو أقرب، وقيل: إنها كانت مولاة العباس.

(**فانطلقنا تعادى بنا خيلنا**) بفتح التاء وحذف إحدى التاءين، والأصل تتعادى بنا خيلنا، أى تجرى بنا وتتبارى، وتتسابق، يقال: عدا يعدو عدوا، وتعادوا أى تباروا فى العدو.

(**فإذا نحن بالمرأة**) فى رواية للبخارى « فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة، إذا نحن بالظعينة » أى فأنزلوها عن راحلتها، ففى رواية للبخارى « فأدركناها تسير على بعير لها، فأنخناها ».

(**فقلنا: أخرجى الكتاب، فقالت: ما معى كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لتلقين الثياب**) « لتخرجن » بالتاء وكسر الجيم، أمر لها مؤكد بالنون، أو « لتلقين » ضبطت بالتاء خطاب لها، قال الحافظ ابن حجر: والوجه حذف الياء، وضبطت، بالنون وكسر القاف وفتح الياء بعدها نون التوكيد على أنه للمتكلمين، وفى رواية للبخارى « فالتمسنا، فلم نر كتابا، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ، لتخرجن الكتاب، أو لنجردنك، فلما رأت الجد، أهوت إلى حجزتها - وهى محتجزة بكساء - فأخرجته » والحجزة بضم الحاء وسكون الجيم معقد الإزار والسراويل.

(**فأخرجته من عقاصها**) بكسر العين، أى شعرها المضفور، جمع عقصة، بكسر العين وسكون القاف، وهى الخصلة من الشعر معقوصة، والعقاص أيضا بكسر العين خيط تشد به أطراف الذوائب، وجمعه عقص بضم العين والقاف، وجمع بين إخراج الكتاب من عقاصها أو حجزتها، بأنها أخرجته أولا من حجزتها، فأخفته فى عقاصها، ثم اضطرت إلى إخراجه، أو بالعكس، أو بأن تكون عقيصتها طويلة بحيث تصل إلى حجزتها، فربطته فى عقيصتها، وغرزته بحجزتها.

(**فأتينا به رسول الله ﷺ**) ظاهره أنهم رجعوا بالكتاب وتركوها، لكن فى رواية للبخارى فى باب فضل من شهد بدرا « فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ » فيحتمل أنهم أخذوها معهم، فأطلقها رسول الله ﷺ، فهى غير مذنبة إذ لم تكن مسلمة، أو كانت مسلمة ولم تعلم ما فى الكتاب.

(**فإذا فيه: من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين، من أهل مكة**) لم تذكر أسماء المرسل إليهم فى الصحيح، لكن روى الواقدى بسند له مرسل « أن حاطبا كتب إلى سهيل ابن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة: أن رسول الله ﷺ أذن فى الناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببت أن يكون لى عندكم يد ».

(**يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ**) هذا الأمر هو التهيؤ للغزو، ولم يكن يعلم الحقيقة علماء، بل استنبط هو من قبله، فقد كان رسول الله ﷺ يخفى أمر الغزوة لأهميتها، حتى قال لعائشة: جهزينى، ولا تعلمى بذلك أحدا، فدخل عليها أبو بكر، فأنكر بعض شأنها، فقال: ما هذا؟ قالت له. فقال: والله ما انقضت الهدنة بيننا، فذكر ذلك للنبى ﷺ، فذكر له أنهم أول من غدر، ثم أمر بالطرق، فحبست، ليعمى على أهل مكة، لا يأتيهم الخبر، فيستعدون ويجمعون الأحلاف.

وذكر بعض أهل المغازى أن لفظ الكتاب « أما بعد. يا معشر قريش، فإن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله، وأنجز له وعده. انظروا لأنفسكم. والسلام ».

(**فقال رسول الله ﷺ: ياحاطب، ما هذا؟**) معطوف على محذوف، ظهر فى رواية للبخارى وهو « فأرسل إلى حاطب » فجاء، فقال له.... وفى رواية « ما حملك على هذا »؟ وفى رواية للبخارى « ما حملك على ما صنعت »؟.

(**قال: لا تعجل على يا رسول الله، إنى كنت امرأ ملصقا فى قريش**) قال الراوى: « كان حليفا لهم، ولم يكن من أنفسها ».

(**وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات، يحمون بها أهليهم، فأحببت - إذا فاتنى ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يدا، يحمون بها قرابتى**) وفى رواية للبخارى « أردت أن تكون لى عند القوم يد، يدفع الله بها عن أهلى ومالى، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته، من يدفع الله به عن أهله وماله » وفى رواية أخرى للبخارى « كنت امرأ من قريش، ولم أكن من أنفسهم » أى كنت منهم بالحلف، وحليف القوم منهم، وعند أحمد « كنت غريبا » قال السهيلى: كان حاطب حليفا لعبد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى.

وعند ابن إسحاق « وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليه » يقال: كان له بمكة أولاده وإخوته وأمه.

(**ولم أفعله كفرا، ولا ارتدادا عن دينى، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام**) وفى رواية للبخارى « والله ما بى أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله ﷺ ».

(**فقال النبى ﷺ: صدق**) وفى رواية للبخارى « أنه قد صدقكم » بتخفيف الدال، أى قال الصدق، وفى رواية أخرى للبخارى « أما إنه قد صدقكم » وفى أخرى للبخارى أيضًا « صدق، ولا تقولوا له إلا خيرًا » وفى رواية « فصدقه النبى ﷺ ».

(**فقال عمر: دعنى يا رسول الله، أضرب عنق هذا المنافق. فقال: إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ماشئتم، فقد غفرت لكم**) ما سبق من ذنوبكم، وسأغفر لكم ما يلحق منها.

وسيأتى تفصيل لذلك فى فقه الحديث، وفى رواية للبخارى «اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة».

والروايات فى أكثر النسخ بصيغة الترجى «لعل» والترجى من الله واقع.

وإنما قال عمر ذلك، مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به، لما كان عند عمر من القوة فى الدين، وبغض من ينسب إلى النفاق، وظن أن من خالف ما أمره به رسول الله ﷺ استحق القتل، لكنه لم يجزم بذلك، فلذلك استأذن فى قتله، وأطلق عليه منافقا، لكونه أبطن خلاف ما أظهر، وعذر حاطب ما ذكره، فإنه صنع ذلك متأولا أن لا ضرر فيه، وعند الطبرى «فقال: أليس قد شهد بدرا؟ قال: بلى، ولكنه نكث، وظاهر أعداءك عليك» وفى رواية للبخارى «فقال عمر: إنه قد خان الله والمؤمنين، فدعنى فلأضرب عنقه، فقال: أليس من أهل بدر؟ لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم».

(فأنزل الله عزوجل ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾) [الممتحنة: ١].

(أن عبدا لحاطب، جاء رسول الله ﷺ، يشكو حاطباً) كان حاطب ﷺ شديدا على الرقيق، وفى الموطأ أن عمر ﷺ قال لحاطب - حين نحر رقيقه ناقة لرجل من مزينة - أراك تجيعهم، وأضعف عليه القيمة، على جهة الأدب والردع له.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- فضيلة عظيمة لأهل بدر، من قوله: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وقد اتفق العلماء على أن هذا الوعد الكريم يشمل كل ما سبق لهم من ذنوب قبل يوم بدر، والخلاف فيما يحصل منهم من ذنوب بعد بدر، هل تدخل فى هذا الوعد؟ فتقع منهم مغفورة؟ أو يلهمون بعدها التوبة فتغفر؟ أو لا تدخل؟ وشأنهم فى ذنوبهم اللاحقة لبدر شأن غيرهم؟ قولان:

الأول قال ابن الجوزى: ليس هذا على الاستقبال، وإنما هو على الماضى، لأنه لو كان للمستقبل كان جوابه: فسأغفر لكم، ولو كان كذلك لكان إطلاقا فى الذنوب - أى إذنا ودعوة للذنوب - ولا يصح.اهـ ويؤيده اتفاق العلماء على أنهم لا يعفون من الحد، إذا وقع من أحدهم ما يوجب الحد، فلو كانت ذنوبهم مغفورة ما حدوا، فإقامة الحد دليل قيام الذنب، وعدم مغفرته.

الثانى: قول الجمهور، يقول القرطبى: «اعملوا» صيغة أمر، وهى موضوعة للاستقبال، ولم تضعها

العرب صيغة للماضى، لا بقرينة ولا بغيرها، لأنها بمعنى الإنشاء والابتداء، وقوله: «اعملوا ما شئتم» يحمل على طلب الفعل، ولا يصح أن يكون معنى الماضى، ولا يمكن أن يحمل على الإيجاب، فتعين الحمل على الإباحة، قال: وقد ظهر لى أن هذا الخطاب خطاب تشريف وإكرام، تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة، غفرت بها ذنوبهم السالفة، وتأهلوا أن يغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة، ولا يلزم من وجود الصلاحية للشيء وقوعه، وقد ظهر أن الله صدق رسوله فى كل من أخبر عنه بشيء من ذلك، فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة، إلى أن فارقوا الدنيا، ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة، ولازم الطريق المثلى، ويعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم. اهـ

قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن يكون المراد بقوله: «فقد غفرت لكم» أن ذنوبكم تقع مغفورة، لا أن المراد أنه لا يصدر منهم ذنب، وقد شهد مسطح بدرا، ووقع فى إفك عائشة، فكأن الله لكرامتهم عليه، بشرهم على لسان نبيه أنهم مغفور لهم، ولو وقع منهم ما وقع. اهـ

ويجيب الجمهور على شبهة الآخرين بأن التعبير بالماضى قد يكون على المستقبل مبالغة فى تحققه، كما فى قوله تعالى ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١] أى سيأتى أمر الله، فمعنى «غفرت لكم» أى سأغفر لكم، على أن الطبرى أخرجه بلفظ «فإنى غافر لكم» وفى مغازى ابن عائذ، من مرسل عروة «اعملوا ما شئتم فسأغفر لكم».

أما شبهة أن الأمر بقوله: «اعملوا ما شئتم» فيه إطلاق للذنوب، ولا يصح، فإنه معقول مع المكثرين من الذنوب، أما هؤلاء الصفوة الذين وهبوا حياتهم لله، فإن فتح باب المعصية لهم لا يدفع بهم إليها، بل فى ذلك ما يزيد امتناعهم وبعدهم عنها، وكلما قرب الله عبدا منه كلما ازداد خوفه وخشيته وتقواه، ورسول الله ﷺ، حين قيل له :إنك قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «إنما أنا أخشاكم لله وأتقاكم له. أفلا أكون عبدا شكورا؟ ».

أما أنهم لا يعفون من الحد إذا أتوا ما يوجب الحد، فهذا فى حكم الدنيا، وموطن النزاع هو المغفرة فى الآخرة، فلا تعارض.

يضاف إلى ذلك أنه لو كانت البشارة للماضى فقط لما حسن الاستدلال بالبشارة فى قصة حاطب لأنه صلى الله عليه وسلم خاطب به عمر، منكراً عليه ما قال فى أمر حاطب، وهذه القصة كانت بعد بدر بست سنين، فدل هذا الاستدلال على أن المراد مغفرة ما سيأتى والله أعلم.

٢- وقد أثار هذا الحديث حكم الجاسوس، فقد استدل باستئذان عمر لقتل حاطب لمشروعية قتل الجاسوس، ولو كان مسلما وإن تاب، وهو قول بعض المالكية، ومن وافقهم، ووجه الدلالة أنه صلى الله عليه وسلم أقر عمر على إرادة القتل، لولا المانع، وبين أن المانع هو كون حاطب شهد بدرا، وهذا منتفى فى غير حاطب، فلو كان الإسلام مانعا من قتله، لما علل بأخص منه، وقال بعض المالكية: يقتل، إلا أن يتوب، وقال مالك: يجتهد فيه الإمام، ومذهب الشافعى وطائفة أن الجاسوس المسلم يعزر، ولا يجوز قتله.

٣- وفيه معجزة ظاهرة لرسول اللّه ﷺ فى إخباره بالظعينة.

٤- وفيه هتك أستار الجواسيس، بقراءة كتبهم، سواء كان رجلا أو امرأة.

٥- وفيه هتك ستر المفسدة، إذا كان فيه مصلحة، أو كان فى الستر مفسدة، وتحمل الأحاديث الواردة فى الندب إلى الستر على ما إذا لم يكن فيه مفسدة، ولا تفوت به مصلحة.

٦- وفيه أن الجاسوس وغيره من أصحاب الذنوب الكبائر، لا يكفرون بذلك، وهذا التجسس كبيرة قطعا، لأنه يتضمن إيذاء النبى ﷺ، وهو كبيرة ولاشك، لقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ...﴾ [الأحزاب: ٥٧]

٧- وفيه أنه لا يحد العاصى، ولا يعذر إلا بإذن الإمام.

٨- وفيه إشارة جلساء الإمام والحاكم بما يرونه، كما أشاره عمر بضرب عنق حاطب.

٩- وفى الرواية الثانية فضيلة أهل الحديبية، وسيأتى باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان فى الباب التالى.

١٠- وفيها أن لفظة الكذب هى الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو، عمدا كان أو سهوا، سواء كان الإخبار عن ماض أو مستقبل، وخصته المعتزلة بالعمد، وهذا يرد عليهم، وقال بعض أهل اللغة: لا يستعمل الكذب إلا فى الإخبار عن الماضى، بخلاف ما هو مستقبل، وهذا الحديث يرد عليهم.

والله أعلم

(٦٦٥) باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان، ﷺ

٥٥٧٤- ١٦٣/١ عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا(١٦٣)، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ، عِنْدَ حَفْصَةَ: «لا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ، أَحَدٌ. الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» قَالَتْ بَلَى. يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَانْتَهَرَهَا. فَقَالَتْ حَفْصَةُ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾[مريم/٧١] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾» [مريم/٧٢].

المعنى العام

يقول الله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح: ١٨] هذه البيعة تسمى بيعة الرضوان، أو بيعة الشجرة، وقصتها أن النبى ﷺ فى سنة ست من الهجرة رأى فى المنام أنه والمسلمين يدخلون المسجد الحرام آمنين، محلقين رءوسهم، ومقصرين، لا يخافون، فأخبر أصحابه، واستعدوا للعمرة، وفى مستهل ذى القعدة خرج فى ألف وأربعمائة من المسلمين قاصدين العمرة ومعهم الهدى، حتى وصلوا إلى مشارف مكة عند الحديبية، وعندها صدهم المشركون، ومنعوهم من دخول مكة، وبعث رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعى رسولا إلى أهل مكة، وحمله على جمل له، يقال له: الثعلب، يعلمهم أنه ما جاء لقتال، وأنه إنما جاء معتمرا، ثم يعود، فلما أتاهم وكلمهم عقروا جمله، وأرادوا قتله، ثم خلوا سبيله، حتى أتى رسول الله ﷺ، فدعا عمر ليبعثه، فقال: يارسول الله، إن القوم قد عرفوا عداوتى لهم، وغلظتى عليهم، وإنى لا آمن، وليس بمكة أحد من بنى عدى، يغضب لى إن أوذيت، فأرسل عثمان بن عفان، فإن عشيرته بها، وهم يحبونه، فيبلغ ما أردت، فدعا رسول الله ﷺ عثمان، فأرسله إلى قريش، وقال له: أخبرهم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمارا، وادعهم إلى الإسلام، وأمره صلى الله عليه وسلم أن يبشر رجالا بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات، فيبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله تعالى سيظهر دينه بمكة قريبا، فذهب عثمان ﷺ إلى قريش، فأخبرهم، فقالوا له: إن شئت فطف بالبيت، وأما دخولكم علينا فلا سبيل له، فقال رضى الله عنه: ما كنت لأطوف به حتى يطوف به رسول الله ﷺ، فاحتبسوه، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا نبرح حتى نناجز القوم» ونادى مناديه عليه الصلاة والسلام: ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله ﷺ،

---

(١٦٣) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ

فأمره بالبيعة، فاخرجوا على اسم الله تعالى فبايعوه، فثار المسلمون إلى رسول الله ﷺ وبايعوه على أن لا يفروا، وعلى الموت أو النصر، كانت هذه البيعة تحت شجرة، فأنزل الله تعالى فيها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] ونزل ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ ولما علمت قريش بالبيعة خافوا، وأرسلوا عثمان رضي الله عنه. وكان بعد ذلك صلح الحديبية المشهور.

ولما كان الله قد وعد المؤمنين بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، ولما كان هؤلاء المبايعون قد باعوا أنفسهم كانت لهم الجنة، وكان قوله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد، أى الذين بايعوا تحتها ». رضى الله عنهم أجمعين.

المباحث العربية

(**لايدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد**) قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعا، كما صرح به فى حديث حاطب السابق، وإنما قال: « إن شاء الله » للتبرك، لا للشك.

(**قالت حفصة: بلى يارسول الله**) قال أهل اللغة: « بلى » حرف جواب، وتختص بالنفى، وتفيد إبطاله، سواء كان مجردا. نحو ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى﴾ [التغابن: ٧] أو مقرونا بالاستفهام، حقيقيا، أو توبيخا، أو تقديريا.

فمعنى جواب حفصة، رضى الله عنها، هنا أن أصحاب الشجرة يدخلون النار، ولو تحله.. القسم، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

(**فانتهرها**) لأن ظاهر جوابها أنها ترد الخبر، فأبانت أنها لا ترد الخبر، فإنهم لا يدخلونها، وإن وردوها، فبين ﷺ أن ورودهم ليس دخولا، وإنما هو قرب، ينجى عنده من ينجى، لقوله تعالى ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢].

فقه الحديث

١- فيه منقبة عظيمة لأصحاب شجرة الرضوان.

٢- وفيه جواز المناظرة والاعتراض على وجه الاسترشاد.

٣- وفيه أن ورود النار غير دخولها. قال النووى: والصحيح أن المراد بالورود فى الآية المرور على الصراط، وهو جسر منصوب على جهنم، فيقع فيها أهلها، وينجو الآخرون.

والله أعلم

(٦٦٦) باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضى الله عنهما

٥٥٧٥- $\frac{١٦٤}{١}$عَن أَبِي مُوسَى ﵁[١٦٤] قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ. وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجِعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. وَمَعَهُ بِلالٌ. فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ. فَقَالَ: أَلا تُنْجِزُ لِي، يَا مُحَمَّدُ! مَا وَعَدْتَنِي؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبْشِرْ» فَقَالَ لَهُ الأَعْرَابِيُّ: أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِن «أَبْشِرْ» فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلالٍ، كَهَيْئَةِ الْغَضْبَانِ. فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا قَدْ رَدَّ الْبُشْرَى. فَاقْبَلا أَنْتُمَا» فَقَالا: قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ. فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ وَمَجَّ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: «اشْرَبَا مِنْهُ، وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا. وَأَبْشِرَا» فَأَخَذَا الْقَدَحَ. فَفَعَلا مَا أَمَرَهُمَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَنَادَتْهُمَا أُمُّ سَلَمَةَ مِن وَرَاءِ السِّتْرِ: أَفْضِلا لأُمِّكُمَا مِمَّا فِي إِنَائِكُمَا. فَأَفْضَلا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً.

٥٥٧٦- $\frac{١٦٥}{٢}$عَن أَبِي بُرْدَةَ عَن أَبِيهِ[١٦٥] قَالَ: لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِن حُنَيْنٍ، بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ. فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ. فَقُتِلَ دُرَيْدٌ وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ. فَقَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ. قَالَ: فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ. رَمَاهُ رَجُلٌ مِن بَنِي جُشَمٍ بِسَهْمٍ. فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ. فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمِّ! مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ أَبُو عَامِرٍ إِلَى أَبِي مُوسَى. فَقَالَ: إِنَّ ذَاكَ قَاتِلِي. تَرَاهُ ذَلِكَ الَّذِي رَمَانِي. قَالَ أَبُو مُوسَى: فَقَصَدْتُ لَهُ فَاعْتَمَدْتُهُ فَلَحِقْتُهُ. فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى عَنِّي ذَاهِبًا. فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلا تَسْتَحْيِي؟ أَلَسْتَ عَرَبِيًّا؟ أَلا تَثْبُتُ؟ فَكَفَّ. فَالْتَقَيْتُ أَنَا وَهُوَ. فَاخْتَلَفْنَا أَنَا وَهُوَ ضَرْبَتَيْنِ. فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ. ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي عَامِرٍ فَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَ صَاحِبَكَ. قَالَ فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ. فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ: فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي! انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ. وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَبُو عَامِرٍ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: وَاسْتَعْمَلَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ. وَمَكَثَ يَسِيرًا ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ. فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ دَخَلْتُ عَلَيْهِ. وَهُوَ فِي بَيْتٍ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ، وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، وَقَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَنْبَيْهِ. فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ. وَقُلْتُ لَهُ: قَالَ: قُلْ لَهُ:

---

(١٦٤) حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ جَمِيعًا عَنْ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ أَبُو عَامِرٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا بُرَيْدٌ عَنْ جَدِّهِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى

(١٦٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَّادٍ أَبُو عَامِرٍ الأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ وَاللَّفْظُ لأَبِي عَامِرٍ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ

يَسْتَغْفِرْ لِي. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَاءٍ. فَتَوَضَّأَ مِنْهُ. ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ، أَبِي عَامِرٍ» حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ! اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِن خَلْقِكَ، أَوْ مِنَ النَّاسِ» فَقُلْتُ: وَلِي. يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَاسْتَغْفِرْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ. وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلا كَرِيمًا». قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لأَبِي عَامِرٍ. وَالأُخْرَى لأَبِي مُوسَى.

٥٥٧٧- ١٦٦/٣ عَن أَبِي مُوسَى ﷺ(١٦٦) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ، حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِن أَصْوَاتِهِمْ، بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ. وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ. وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ إِذَا لَقِيَ الْخَيْلَ -أَوْ قَالَ الْعَدُوَّ- قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ».

٥٥٧٨- ١٦٧/٤ عَن أَبِي مُوسَى ﷺ(١٦٧) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ، إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ، بِالسَّوِيَّةِ. فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ».

المعنى العام

أراد أبو موسى والأشعريون معه - وكانوا نحو خمسين رجلا - أن يخرجوا من بلادهم باليمن إلى المدينة، فركبوا سفينة فألقتهم الريح إلى الحبشة، فاجتمعوا هناك بجعفر، ثم قدموا المدينة صحبته.

وأبو موسى هو عبد الله بن قيس، مشهور باسمه وكنيته معا، وأمه طيبة بنت وهب. أسلمت وماتت بالمدينة، واستعمله النبي ﷺ على بعض اليمن، واستعمله عمر بن الخطاب على البصرة، والأهواز، ثم أصبهان، ثم استعمله عثمان على الكوفة، إلى أن مات عثمان، فعزله علي عنها، ثم كان أحد الحكمين بصفين، ثم اعتزل الفريقين، ومات بالكوفة في داره بها، وقيل: إنه مات بمكة سنة أربع وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وهو ابن ثلاث وستين.

وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن، قال فيه رسول الله ﷺ: «لقد أوتي أبو موسى مزمارا من

---

(١٦٦) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا بُرَيْدٌ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى

(١٦٧) حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ جَمِيعًا عَنْ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ أَبُو عَامِرٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنِي بُرَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ جَدِّهِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى

مزامير آل داود »، وهو الذى فقه أهل البصرى وأقرأهم، وكان عمر إذا رآه قال له: « ذكرنا بربنا يا أبا موسى »، وفى رواية « شوقنا إلى ربنا » فيقرأ عنده.

أما عمه أبو عامر فقد أسلم معه، وقدم المدينة معه، وقاد حملة أوطاس، واستشهد بها.

أما الأشعريون قبيلة أبى موسى وعمه فلهم فضائل كثيرة، وهم قبيلة من أهل اليمن، وقد قال رسول اللّٰه ﷺ فى وفدهم: « أتاكم أهل اليمن، هم أضعف قلوبا، وأرق أفئدة، الفقه يمان، والحكمة يمانية ». وقد ذكرت أحاديثنا نبذة من فضائلهم، رضى اللّٰه عنهم وأرضاهم.

وسيأتى بعد باب مزيد عن أبى موسى والأشعريين.

المباحث العربية

(**كنت عند النبى ﷺ وهو نازل بالجعرانة**) بكسر الجيم وكسر العين وتشديد الراء، وقد تسكن العين، وهى بين الطائف ومكة، وإلى مكة أقرب، قيل: بينها وبين مكة ثمانية عشر ميلا.

وكان نزوله صلى اللّٰه عليه وسلم الجعرانة مرتين. الأولى بعد أن نصره اللّٰه يوم حنين، وغنم المسلمون الغنائم الكثيرة أودع رسول اللّٰه ﷺ هذه الغنائم فى الجعرانة، ولم يقسمها، حتى يؤدب ثقيفا بالطائف، فلما حاصرهم، قفل راجعا إلى الجعرانة لقسمة الغنائم.

(**فأتى رسول اللّٰه ﷺ رجل أعرابى ،فقال: ألا تنجزلى يا محمد ما وعدتنى؟**) لم يقف العلماء على اسم الأعرابى، جريا على عادتهم فى الستر على المسيئين، والظاهر أن إتيان الأعرابى للرسول ﷺ كان بعد عودته من الطائف، وقد استبطأ حديثو العهد بالإسلام قسمة الغنيمة، ومنهم هذا الأعرابى، والظاهر أن الرسول ﷺ كان قد وعده شيئا من الغنيمة قبل أن يذهب إلى الطائف، فلما رجعوا تعجله وطلب إنجازه، ويحتمل أن يكون قد تعجل الوعد العام بقسمة الغنيمة، وقال: ألا تنجز ما وعدتنى بقسمة الغنيمة، وإعطائى نصيبى منها عقب العودة من الطائف.

(**فقال له رسول اللّٰه ﷺ : أبشر**) بفتح الهمزة وسكون الباء وكسر الشين، أى أبشر بقرب إنجاز وعدك، أو بقرب القسمة، أو بالثواب الجزيل من اللّٰه على الصبر.

(**فقال: قد أكثرت على من أبشر**) « أبشر» هنا مقصود حكايتها فى محل جر بحرف « من » أى قلت لى هذه الكلمة كثيرا، دون إنجاز، وربما كان الأعرابى قد ألح فى الطلب أثناء هذه المدة، وكان الجواب « أبشر» فقال: قد أكثرت على منها، والمعنى أنه لا يقبلها، ويريد العمل، لا البشرى.

والتعبير بالأعرابى لالتماس العذر في خشونته وجفائه ،وبعده عن الأدب، وحسن التعبير.

(**فأقبل رسول اللّٰه ﷺ على أبى موسى وبلال - كهيئة الغضبان - فقال: إن هذا قد رد البشرى، فاقبلا أنتما**) « أقبل الأولى معناها وجه وجهه نحوهما، مجانبا الأعرابى، و « أقبلا »

أى تقبلا البشارة ووعد الخير. وقوله - كهيئة الغضبان - لما رأوا على وجهه صلى اللّه عليه وسلم من أعراض انفعال الغضب، وعبر بالكاف لأن الغضب انفعال داخلى لا يجزم به لمجرد أعراضه.

(ثم دعا رسول اللّه ﷺ بقدح فيه ماء، فغسل يده ووجهه فيه، ومجه فيه، ثم قال: اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما، وأبشرا، فأخذا القدح، ففعلا ما أمرهما به رسول اللّه ﷺ، فنادتهما أم سلمة، من وراء الستر: أفضلا لأمكما مما فى إنائكما، فأفضلا لها منه طائفة) « أم سلمة » زوج النبى ﷺ، أم المؤمنين، ولهذا قالت « لأمكما » وفضلة النبى ﷺ مقصود بها هنا البركة والتبرك، وكأنها عوض عن البشرى بالأمور الدنيوية، أو مضافة إليها.

(لما فرغ النبى ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس) أى لما فرغ من حنين أمر بالغنائم تجمع فى الجعرانة، وكانت هوازن لما انهزموا صارت طائفة منهم إلى الطائف، وطائفة إلى بجيلة، وطائفة إلى أوطاس، فأرسل النبى ﷺ عسكرا إلى من مضى إلى أوطاس، على رأسهم أبو عامر الأشعرى، ثم توجه هو وعساكره إلى الطائف، و« أوطاس » واد قريب من وادى حنين.

(فلقى دريد بن الصمة، فقتل دريد، وهزم اللّه أصحابه) « الصمة » بكسر الصاد وتشديد الميم، من بنى جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، فالصمة لقب لأبيه، واسمه الحارث. قال الحافظ ابن حجر: وقوله: « فقتل » رويناه على البناء للمجهول، واختلف فى قاتله، فقيل: ابن الدغنة، وقيل: الزبير بن العوام، وكان ابن الصمة فى ستمائة نفس على أكمة، وكان من الشعراء الفرسان المشهورين فى الجاهلية. ويقال: إنه يوم قتل كان ابن عشرين ومائة.

(قال أبو موسى: وبعثنى مع أبى عامر) أى إلى من التجأ إلى أوطاس، وقيل: بعثه كمدد لأبى عامر والأول هو المعتمد، فعند الطبرانى فى الأوسط « لما هزم المشركين يوم حنين، بعث رسول اللّه ﷺ على خيل الطلب أبا عامر الأشعرى وأنا معه ».

(فرمى أبو عامر فى ركبته، رماه رجل من بنى جشم بسهم، فأثبته فى ركبته) « جشم » بضم الجيم وفتح الشين، واختلف فى اسم هذا الجشمى، فقال ابن إسحاق: زعموا أن سلمة ابن دريد بن الصمة هو الذى رمى أبا عامر بسهم، فأصاب ركبته، فقتله، وقال ابن هشام: إن الذى رمى أبا عامر أخوان من بنى جشم، وهما أوفى والعلاء ابنا الحارث، فأصاب أحدهما ركبته، وقتلهما أبو موسى الأشعرى، وذكر ابن إسحاق أن أبا عامر لقى يوم أوطاس عشرة من المشركين، إخوة، فقتلهم واحدا واحدا، حتى كان العاشر فحمل عليه، وهو يدعوه إلى الإسلام وهو يقول: اللّهم اشهد عليه فقال الرجل: اللهم لا تشهد على، فكف عنه أبو عامر ظنا منه أنه أسلم، فقتله العاشر ثم أسلم بعد وحسن إسلامه، وكان النبى ﷺ يسميه: شهيد أبى عامر. وهذا يخالف ما فى الصحيح من أن أبا موسى قتل قاتل أبى عامر.

(قال أبو موسى: فانتهيت إليه، فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار أبو عامر إلى أبى

موسى، فقال: إن ذاك قاتلى. تراه ذلك الذى رمانى) أى أشار أبو عامر إلى شخص، وقال لأبى موسى: إنه هو هذا الذى رمانى. وأعتقد أنه هو الذى قتلنى. فقوله «تراه» بفتح التاء.

(**قال أبو موسى: فقصدت له فاعتمدته، فلحقته**) أى وكان يمشى الهوينى، غير خائف، لبعده عن الميدان.

(**فلما رآنى ولى عنى ذاهبا**) مفعول مطلق من معنى الفعل.

(**فاتبعته، وجعلت أقول له: ألا تستحيى؟ ألست عربياً؟**) والعربى غير جبان، لا يجرى؟.

(**ألا تثبت**) وتقاتل؟.

(**فكف**) عن الجرى، ووقف للقتال.

(**فالتقيت أنا وهو**) يضرب كل منا الآخر.

(**فاختلفنا أنا وهو ضربتين فضربته بالسيف، فقتلته**) هو ضربنى ضربة، وضربته ضربة، فقتلته.

(**ثم رجعت إلى أبى عامر. فقلت: إن الله قد قتل صاحبك. قال. فانزع هذا السهم**) من ركبتى، وكان السهم ثابتا فيها، يسد السائل والدم.

(**فنزعته، فنزا منه الماء**) أى ظهر الدم السائل من الجرح، وجرى، ولم ينقطع.

(**واستعملنى أبو عامر على الناس**) أى أعطاه الراية، واستخلفه قائدا على العسكر، فنصره الله.

(**فلما رجعت إلى النبى ﷺ دخلت عليه، وهو فى بيت على سرير مرمل، وعليه فراش، وقد أثر رمال السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبيه**) فى رواية «فلما رآنى رسول الله ﷺ معى اللواء، قال: يا أبا موسى، قتل أبو عامر؟».

السرير المرمل بضم الميم وفتح الراء، وفتح الميم الثانية مشددة، أى معمول بالرمال، وهو حبال الحصر، التى تضفر بها الأسرة، وقوله «عليه فراش» أنكره بعضهم، وقال: الصواب «ما عليه فراش» فسقطت «ما» وتعقبه الحافظ ابن حجر، بأنه لا يلزم من كونه على غير فراش - كما فى قصة عمر - أن لا يكون على سريره دائما فراش. اهـ. وفى هذا التعقيب نظر لأن من أنكر عبارة «عليه فراش» وصوبها بعبارة «ما عليه فراش» لم يقصد مشابهة هذه الحالة بحالة لقاء عمر ﷺ، فى قصة اعتزال الرسول ﷺ نساءه، وإنما قصد أن تأثير السرير المرمل فى الظهر والجنبين إنما يناسبه أن لا يكون بينه وبين الرمال فراش، إذ لو كان هناك فراش ما أثر غالبا، والهدف إظهار تأثير رمال السرير، وعبارة «عليه فراش» تصبح مناقضة للمطلوب، والعبارة المناسبة «ما عليه فراش».

(**فأخبرته بخبرنا**) أى بخبر الجيش والنصر.

(**وخبر أبى عامر**) من إصابته بالسهم، ووصيته عند موته.

(**وقلت له: قال: قل له يستغفر لى**)... اللَّهم اغفر لعبيد أبى عامر.

اختلف فى اسمه، فقيل: إن اسمه هانىء بن قيس، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: عباد، وقيل: عبيد. وهذا الحديث يرجح القول الأخير.

(**حتى رأيت بياض إبطيه**) من شدة رفع اليدين.

(**اللَّهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك - أو من الناس**) أى فى المرتبة، وفى رواية « فى الأكثرين يوم القيامة ».

(**إنى لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن**) الرفقة الجماعة المترافقون، والراء مثلثة، والأشهر ضمها، و « بالقرآن » يتعلق بأصوات.

(**حين يدخلون بالليل**) « يدخلون » بالدال والخاء، لجميع رواة البخارى ومسلم، وحكى عياض عن بعض رواة مسلم « يرحلون » بالراء والحاء، وصوبها الدمياطى فى البخارى، وهو عجيب منه، فإن الرواية بالدال والخاء، والمعنى صحيح، فلا معنى للتغيير، وقد نقل عياض عن بعض الناس اختيار الرواية التى بالراء والحاء، قال النووى: والرواية الأولى صحيحة أو أصح، والمراد يدخلون منازلهم عائدين من المسجد، أو من شغل آخر.

(**ومنهم حكيم**) قيل: هو صفة لرجل منهم، أى ومن الأشعريين رجل حكيم، وقيل: هو اسم على رجل من الأشعريين، أى ومن الأشعريين رجل اسمه حكيم.

(**إذا لقى الخيل - أو قال: العدو- قال لهم: إن أصحابى يأمرونكم أن تنظروهم**) أى تنتظروهم من الانتظار، ومنه قوله تعالى ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] ومعناه أنه لفرط شجاعته كان لا يفر من العدو، بل يواجههم، ويقول لهم - إذا أرادوا الانصراف مثلا - انتظروا الفرسان حتى يأتوكم، ليثبتهم على القتال، فكأنه لايتمنى انصراف العدو، بل يتمنى انتظاره ولقاءه، فهو يحرض العدو على الثبات والبقاء، لا على الانصراف، هذا على رواية « العدو » أما على رواية « الخيل » فيحتمل أن يراد به خيل العدو، فيكون المعنى كالسابق، ويحتمل أن يريد بها خيل المسلمين، ويشير بذلك إلى أن أصحابه كانوا رجالة، فكان هو يأمر بالفرسان أن ينتظروا المشاة، ليسيروا إلى العدو جميعا، قال الحافظ ابن حجر: وهذا أشبه بالصواب، قال ابن التين: معنى كلامه أن أصحابه يحبون القتال فى سبيل اللَّه، ولا يبالون بما يصيبهم.

(**إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة**) « إذا أرملوا » أى فنى زادهم وأصله من الرمل، كأنهم لصقوا بالرمل من القلة، كما قيل فى الرواية « ذا متربة » وقوله

« تربت يداك » وأصل الشركة فى الطعام تكون غالبا فى السفر، لكن قد تتفق رفقة فيقيمونها فى الحضر بالمدينة.

(**جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية**) قال النووى: ليس المراد بهذا القسمة المعروفة فى كتب الفقه بشروطها، حتى تمنع فى الربويات، وإنما المراد هنا إباحة بعضهم بعضا، ومواساتهم بالموجود.

(**فهم منى، وأنا منهم**) « من » هذه تسمى الاتصالية، أى هم متصلون بى، وأنا متصل بهم، أى هم فعلوا فعلى فى هذه المواساة، وأنا أفعل مثل ما يفعلون، وقال النووى: معناه المبالغة فى اتحاد طريقهما، واتفاقهما فى طاعة اللّٰه.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- من الرواية الأولى سماحة النبى ﷺ ورأفته بالأعراب، وتقديره لغلظتهم، حيث لم يعنف الأعرابى على سوء أدبه، واكتفى بالإعراض عنه، والتوجه لغيره، قال القاضى: لو صدر هذا من مسلم - أى غير معذور - كان ردة، لأن فيه تهمة للنبى ﷺ، واستخفافا بصدق وعده، وإنما صدر ممن لم يتمكن الإسلام من قلبه، ممن كان يستألف من أشراف العرب، وجاء أنه من بنى تميم، وهم الذين نادوا الرسول ﷺ من وراء الحجرات، ونزل فيهم ﴿**أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾ [الحجرات: ٤].

٢- وفى الحديث فضيلة ظاهرة لأبى موسى وبلال وأم سلمة رضى اللّٰه عنهم.

٣- وفيه استحباب البشارة.

٤- واستحباب الازدحام فيما يتبرك به، وطلبه ممن هو معه، والمشاركة فيه.

٥- ومن الرواية الثانية فضيلة ظاهرة لأبى عامر الأشعرى، وكفاءته للقيادة، ولم يكن مضى على إسلامه أكثر من عام.

٦- وطلب الدعاء من الصالحين.

٧- واستحباب الدعاء لمن طلبه، بما طلب.

٨- واستحباب التطهر لإرادة الدعاء.

٩- ورفع اليدين عند الدعاء، قال النووى: أما الحديث الذى رواه أنس، وأنه لم يرفع يديه، إلا فى ثلاث مواطن، فهو محمول على أنه لم يره، وإلا فقد ثبت الرفع فى مواطن كثيرة، فوق ثلاثين موطنا.

١٠- وفيه ما كان عليه صلى اللّٰه عليه وسلم من الزهادة فى الدنيا، والعيش الخشن، حتى إن سريره المصنوع من حبال الليف لم يكن عليه فراش، حتى إن الحبال تؤثر فى ظهره وجنبيه.

١١- وفى الرواية الثالثة فضيلة ظاهرة للأشعريين، وجهرهم بالقرآن.

١٢- وفيها أن الجهر بالقرآن فى الليل فضيلة، قال النووى: إذا لم يكن فيه إيذاء لنائم أو لمصل أو غيرهما، ولم يكن هناك رياء.

١٣- ومن الرواية الرابعة فضيلة أخرى للأشعريين.

١٤- وفضيلة الإيثار والمواساة.

١٥- وفضيلة خلط الأزواد فى السفر.

١٦- وفضيلة جمعها فى شيء عند قلتها فى الحضر، ثم تقسم.

١٧- وبوب له البخارى بباب الشركة فى الطعام والنهد - بكسر النون وبفتحها- وهو إخراج القوم نفقاتهم على قدر عدد الرفقة، قال الحافظ ابن حجر: والذى يظهر أن أصله فى السفر، وقد تتفق رفقة، فيضعونه فى الحضر، كفعل الأشعريين. قال وهل يجوز قسمته مجازفة، أو لا بد من الكيل فى المكيل، والوزن فى الموزون؟. وعن الحسن: أخرجوا نهدكم، فإنه أعظم للبركة، وأحسن لأخلاقكم.

١٨- وفى تحديث أبى موسى بهذه الأحاديث جواز تحديث الرجل بمواهبه ومفاخره.

والله أعلم

(٦٦٧) باب من فضائل أبى سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه

٥٥٧٩- ١٦٨/١ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا[١٦٨] قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ لا يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَلا يُقَاعِدُونَهُ. فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! ثَلاثٌ أَعْطِنِيهِنَّ. قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ، أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، أُزَوِّجُكَهَا. قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَمُعَاوِيَةُ، تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ. قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَتُؤَمِّرُنِي حَتَّى أُقَاتِلَ الْكُفَّارَ، كَمَا كُنْتُ أُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: أَبُو زُمَيْلٍ: وَلَوْلا أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ. لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا إِلا قَالَ: «نَعَمْ».

المعنى العام

أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى، مشهور باسمه، وكنيته، وكان يكنى أيضا أبا حنظلة، اسم ابن له قتله على يوم بدر كافرا، وأمه صفية بنت حرب الهلالية، عمة ميمونة بنت الحارث الهلالية، زوجة رسول اللّه ﷺ، وكان أسن من النبى ﷺ بعشر سنين، وهو والد معاوية، أسلم عام الفتح، وشهد حنينا والطائف، وكان من المؤلفة قلوبهم، وكان قبل ذلك رأس المشركين يوم أحد والخندق، وتزوج النبى ﷺ ابنته أم حبيبة، وكانت قد أسلمت قديما وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها الذى مات هناك.

كان أبو سفيان رجلا يحب الفخر، وفى فتح مكة قال رسول اللّه ﷺ: « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن »، وفى يوم الطائف أصيبت عينه، فأصبح بعين واحدة، ويقال: إنه فقد عينه الثانية فى غزوة اليرموك.

أعطاه رسول اللّه ﷺ من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية، كما أعطى سائر المؤلفة قلوبهم، وأعطى ابنيه يزيد ومعاوية، فقال له أبو سفيان: واللّه إنك لكريم، فداك أبى وأمى، واللّه لقد حاربتك، فنعم المحارب كنت، ولقد سالمتك، فنعم المسالم أنت، جزاك اللّه خيرا.

وتوفى بالمدينة سنة ثلاثين، وفى الصحيحين حديثه مع هرقل، يشهد للنبى ﷺ صادقا قبل أن يسلم.

رضى اللّه عنه وأرضاه.

---

(١٦٨) حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمَعْقِرِيُّ قَالا حَدَّثَنَا النَّضْرُ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْيَمَامِيُّ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْلٍ حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ

المباحث العربية

(**كان المسلمون لا ينظرون إلى أبى سفيان**) أى لا ينظرون إليه نظرة رضا، أى بعد إسلامه، لما لابس تاريخه فى الكفر من عداوة للإسلام ورسوله.

(**ولا يقاعدونه**) نفوراً من مجالسته، استصحابا لماضيه.

(**ثلاث أعطنيهن**) أى تكرم على بثلاث مكرمات.

(**قال: نعم**) أى سأتكرم عليك بما تطلب. فاسأل.

(**عندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبى سفيان، أزوجكها. قال: نعم**) كان الأصل أن يقول: وأجملهم، لكن العرب يتكلمون بها مفردا، قال النحويون: معناه: وأجمل من هناك.

قال النووى: اعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال، ووجه الإشكال أن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة، سنة ثمان من الهجرة، وهذا مشهور، لا خلاف فيه، وكان النبى ﷺ قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل، قال الجمهور: تزوجها سنة ست، وقيل: سنة سبع، قال القاضى عياض:واختلفوا أين تزوجها؟ فقيل: بالمدينة، بعد قدومها من الحبشة، وقال الجمهور: بأرض الحبشة، قال: واختلفوا فيمن عقد له عليها هناك، فقيل: عثمان، وقيل: خالد بن سعيد بن العاص بإذنها، وقيل: النجاشى، لأنه كان أمير الموضع وسلطانه، قال القاضى: والذى فى مسلم هنا أنه زوجها أبو سفيان غريب جدا، وخبرها مع أبى سفيان حين ورد المدينة فى حال كفره مشهور.

وقال ابن حزم: هذا الحديث وهم من بعض الرواة، لأنه لا خلاف بين الناس أن النبى ﷺ تزوج أم حبيبة قبل الفتح بدهر، وهى بأرض الحبشة، وأبوها كافر، وفى رواية عن ابن حزم أيضا أنه قال: هذا الحديث موضوع، قال: والآفة فيه عن عكرمه بن عمار الراوى عن أبى زميل، وأنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح - رحمه الله تعالى - هذا على ابن حزم، وبالغ فى الشناعة عليه، قال: وهذا القول من جسارته، فإنه كان هجوما على تخطئة الأئمة الكبار، وإطلاق اللسان فيهم . قال: ولا نعلم أحدا من أئمة الحديث نسب عكرمة بن عمار إلى وضع الحديث، وقد وثقه وكيع و يحيى بن معين وغيرهما، وكان مستجاب الدعوة، قال: وما توهمه ابن حزم من منافاة هذا الحديث لتقدم زواجها غلط منه وغفلة، لأنه يحتمل أنه سأله تجديد عقد النكاح، تطييبا لقلبه، لأنه كان ربما يرى عليها غضاضة من رياسته ونسبه، أن تزوج بنته بغير رضاه، أو أنه ظن أن إسلام الأب فى مثل هذا يقتضى تجديد العقد، وقد خفى أوضح من هذا على من هو أكبر مرتبة من أبى سفيان، ممن كثر علمه، وطالت صحبته. هذا كلام أبى عمرو - رحمه الله - وليس فى الحديث أن النبى ﷺ جدد العقد، ولا قال لأبى سفيان: أنه يحتاج إلى تجديده، فلعله صلى الله عليه وسلم أراد بقوله: نعم. أن مقصودك يحصل، وإن لم يكن بحقيقة عقد. اهـ

والحق أن الدفاع عن الرواية ضعيف وبعيد عن المعقول، سواء فى ذلك توجيه أبى عمرو - رحمه الله - أو توجيه النووى رحمه الله، وتغليط الرواية أخف من تأويل ظاهر التمحل. والله أعلم.

(**قال: ومعاوية، تجعله كاتبا بين يديك**) للوحى وغيره، « قال: نعم ». وجعله فعلا كاتبا له.

(**وتؤمرنى**) بضم التاء وفتح الهمزة وكسر الميم المشددة، أى تعيننى أميرا وقائدا لجيش المسلمين.

(**كما كنت أقاتل المسلمين**) أى كما كنت قائدا لجيش الشرك ضد المسلمين.

(**لأنه لم يكن يسأل شيئا إلا قال: نعم**) أى لأن النبى ﷺ إنما أجاب أبا سفيان لطلبه لأن سجية رسول الله ﷺ نعم، لا يرد أحدا، فأجاب بذلك على سجيته، لا حبا، ولا تقديرا لأبى سفيان.

فقه الحديث

فيه فضيلة لأبى سفيان رضي الله عنه.

وفيه كرم خلقه ﷺ، وعفوه عمن آذاه، بل فيه تكريم من كان يؤذيه. صلى الله عليه وسلم.

والله أعلم

(٦٦٨) باب من فضائل جعفر بن أبى طالب وأسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا

٥٥٨٠- ١٦٩/١ عَن أَبِي مُوسَى ﷺ(١٦٩) قَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ. فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ. أَنَا وَأَخَوَانِ لِي. أَنَا أَصْغَرُهُمَا. أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالآخَرُ أَبُو رُهْمٍ -إِمَّا قَالَ: بِضْعًا وَإِمَّا قَالَ: ثَلاثَةً وَخَمْسِينَ أَوِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلا مِن قَوْمِي- قَالَ: فَرَكِبْنَا سَفِينَةً. فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ. فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ. فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا. وَأَمَرَنَا بِالإِقَامَةِ. فَأَقِيمُوا مَعَنَا فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا. قَالَ: فَوَافَقْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ. فَأَسْهَمَ لَنَا، أَوْ قَالَ أَعْطَانَا مِنْهَا. وَمَا قَسَمَ لأَحَدٍ غَابَ عَن فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا. إِلا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ. إِلا لأَصْحَابِ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ. قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ. قَالَ: فَكَانَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا - يَعْنِي لأَهْلِ السَّفِينَةِ-: نَحْنُ سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ. قَالَ: فَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً. وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ. فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا. فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ. قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ: فَقَالَ عُمَرُ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ. فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ. فَغَضِبَتْ. وَقَالَتْ كَلِمَةً: كَذَبْتَ. يَا عُمَرُ! كَلا. وَاللَّهِ! كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ. وَكُنَّا فِي دَارٍ، أَوْ فِي أَرْضِ، الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ. وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ. وَايْمُ اللَّهِ: لا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ. وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَسْأَلُهُ. وَ وَاللَّهِ! لا أَكْذِبُ وَلا أَزِيغُ وَلا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ. قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ. وَلَهُ وَلأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ. وَلَكُمْ أَنْتُمْ، أَهْلَ السَّفِينَةِ، هِجْرَتَانِ» قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالا. يَسْأَلُونِي عَن هَذَا الْحَدِيثِ. مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى، وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي.

---

(١٦٩) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَّادٍ الأَشْعَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ الْهَمْدَانِيُّ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنِي بُرَيْدٌ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى

المعنى العام

جعفر بن أبى طالب، ابن عم النبى ﷺ، كان أشبه الناس خلقا وخلقا برسول اللّه ﷺ، وكان أكبر من على أخيه بعشر سنين، وكان عقيل أكبر من جعفر بعشر سنين، وكان طالب أكبر من عقيل بعشر سنين. كان جعفر من المهاجرين الأولين، هاجر إلى أرض الحبشة فى الهجرة الثانية، وقدم منها على رسول اللّه ﷺ عقب انتصار خيبر، فتلقاه رسول اللّه ﷺ، واعتنقه، وقال: « ما أدرى بأيهما أنا أشد فرحاً؟ بقدوم جعفر؟ أم بفتح خيبر؟ » ثم غزا غزوة مؤتة قائدا لها، فى سنة ثمان من الهجرة، فقتل. قاتل حتى قطعت يداه، فقال رسول اللّه ﷺ: « إن اللّه أبدله بيديه جناحان يطير بهما فى الجنة، حيث شاء » فمن هنا قيل له: جعفر ذو الجناحين، روى أنه وجد فى صدره تسعون جراحة، ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح، ولما بكى أهله عليه، قال صلى اللّه عليه وسلم: « على مثل جعفر فلتبك البواكى ».

أما أسماء بنت عميس بن معد - على وزن سعد - أسلمت قديما، قبل دخول دار الأرقم، وبايعت وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبى طالب إلى الحبشة، فولدت له هناك عبداللّه ومحمدا وعونا، ثم هاجرت مع زوجها إلى المدينة، فلما استشهد جعفر فى غزوة مؤتة تزوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم حنين، فولدت له محمدا، ثم مات عنها، فتزوجها على بن أبى طالب رضي الله عنه، فولدت له يحيى بن على بن أبى طالب. رضى اللّه عنها.

المباحث العربية

(**بلغنا مخرج رسول اللّه ﷺ، ونحن باليمن**) أى خروجه من مكة إلى المدينة، أى هجرته ﷺ، وليس المراد: بلغنا مبعثه، إذ يبعد كل البعد أن يتأخر علم مبعثه الى مضى نحو عشرين سنة، ومع الحمل على مخرجه إلى المدينة، فلابد من زيادة: واستقراره فيها، وانتصافه ممن عاداه، ونحو ذلك، لأن هجرة أبى موسى المتحدث عنها كانت بعد اطمئنان المهاجرين فى إقامتهم بالمدينة. وبعد ست سنين من هجرته صلى اللّه عليه وسلم، ويبعد أيضا أن يخفى عنهم أحوال المؤمنين فى هذه المدة، وقوله « ونحن باليمن » أى فى ديارنا باليمن.

(**فخرجنا مهاجرين إليه**) الضمير لأبى موسى ومن خرج معه، وأبدل من هذا الضمير.

(**أنا وأخوان لى، أنا أصغرهما، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم**) قال النووى: هكذا هو فى النسخ « أصغرهما » والوجه « أصغر منهما » وفى رواية للبخارى « أنا أصغرهم »، وأبو بردة اسمه عامر، وأبو رهم بضم الراء وسكون الهاء، اسمه مجدى بفتح الميم وسكون الجيم، وقيل: اسمه محمد، وقيل: اسمه مجيلة، بكسر الجيم.

(إما قال: بضعا - وإما قال: ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلا من قومى) شك الراوى فى خبر أبى موسى. هل قال: بضعاً وخمسين رجلا من قومى؟ أو قال: ثلاثة وخمسين؟ أو قال: اثنين وخمسين؟ وفى رواية للبخارى « أنهم كانوا خمسين »، فلعل الزائد على ذلك هو وأخواه، وأخرج البلاذرى أنهم كانوا أربعين رجلا، ويجمع بين الروايات بالحمل على الأصول مرة، وعلى الأصول والأتباع أخرى.

(فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة) الحبشة واليمن متقابلان، بينهما البحر الأحمر، وكانوا يقصدون بسفينتهم « ينبع » أو شاطئا قريبا من المدينة، لكن الرياح والعواصف ألجأت السفينة إلى ساحل الحبشة، على غير رغبة منهم.

(فوافقنا جعفر بن أبى طالب وأصحابه عنده) أى عند النجاشى، فشرحنا له حالنا ومقصودنا.

(فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا ههنا، وأمرنا بالإقامة) هنا، حتى يأذن لنا بالهجرة إلى المدينة.

(فأقيموا معنا فأقمنا معه، حتى قدمنا جميعا) ذكر ابن إسحاق أن النبى ﷺ بعث عمرو ابن أمية إلى النجاشى، يطلب منه أن يجهز إليه جعفر بن أبى طالب، ومن معه، فجهزهم، وأكرمهم، وقدم بهم عمرو بن أمية. وذكر ابن إسحاق أسماء من قدم مع جعفر، وهم ستة عشر، منهم امرأة جعفر، أسماء بنت عميس وخالد ابن سعيد بن العاص وامرأته، وأخوه عمرو بن سعيد، ومعيقيب بن أبى فاطمة.

(فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر) أى وصلوا بعد انتصار المسلمين فى خيبر، وبعد حوز الغنائم، وقبل قسمتها.

(فأسهم لنا، أو قال: أعطانا منها، وما قسم لأحد، غاب عن فتح خيبر، منها شيئا، إلا لمن شهد معه، إلا لأصحاب سفينتنا، مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم) سيأتى فى فقه الحديث بيان كون هذا الإعطاء من الغنيمة، أو من الخمس، بإذن الغانمين، أو بدون إذنهم.

(قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا - يعنى لأهل السفينة - نحن سبقناكم بالهجرة) سمى من الناس فى الرواية نفسها عمر بن الخطاب ﷺ، وفى رواية للبخارى « وكان أناس من الناس ».

(قال: فدخلت أسماء بنت عميس - وهى ممن قدم معنا - على حفصة زوج النبى ﷺ زائرة) لحفصة، أيام أن أكثر الناس من قولهم إننا تأخرنا فى الهجرة، وأنهم سبقونا بالفضل.

(**وقد كانت هاجرت إلى النجاشي، فيمن هاجر إليه**) الهجرة الثانية إلى الحبشة، وكانوا يزيدون على ثمانين رجلا، سوى نسائهم وأبنائهم.

(**فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر - حين رأى أسماء - من هذه؟**) أي قال لابنته، فيما بينه وبينها، وأسماء تسمع: من هذه؟.

(**قالت: أسماء بنت عميس**) وكان يعرفها، ويعرف بعض حياتها.

(**قال عمر: الحبشية هذه؟**) نسبها إلى الحبشة لسكناها فيهم، وفي رواية للبخاري « آلحبشية هذه؟ » بهمزة الاستفهام.

(**البحرية هذه؟**) بهمزة الاستفهام أيضا عند البخاري، ونسبها إلى البحر، لركوبها إياه، وفي رواية « البحيرية هذه »؟ بالتصغير، للتمليح.

(**فقالت أسماء: نعم**) تفخر بأنها هاجرت بدينها إلى الحبشة.

(**فقال عمر: سبقناكم بالهجرة**) إلى المدينة، فلنا فضل السبق. يرد على فخرها بفخر.

(**فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم**) أي فنحن أقرب من رسول الله ﷺ منكم دينا ومكانة في الإسلام.

(**فغضبت، وقالت كلمة**) أي ظهر عليها الغضب والانفعال، والمراد من الكلمة الكلام الكثير الآتي فيما بعد، بداية من قولها:

(**كذبت يا عمر، كلا والله**) قال النووي: « كذبت » أي أخطأت، وقد استعملوا « كذب » بمعنى أخطأ أي أقسم بالله أنكم لستم أحق برسول الله ﷺ منا، وفي رواية « فقالت » أي لعمر، لقد صدقت. كنتم مع رسول الله ﷺ .. » إلخ تقول ذلك على سبيل التهكم، وبدأت تعلل لماذا هي ومن كان معها أحق . فقالت:

(**كنتم مع رسول الله ﷺ، يطعم جائعكم**) وكنا نجوع في سبيل الله، ولانجد من يطعمنا.

(**ويعظ جاهلكم**) وكنا نتشوف لمعرفة ديننا، ونحتاج المواعظ والتشريعات، ونفتقدها في سبيل الله، وكنت متمتعين به، ونحن محرومون من المصدر الإلهي.

(**وكنا في دار - أو في أرض - البعداء البغضاء في الحبشة**) « البعداء » بضم الباء وفتح العين جمع بعيد، و« البغضاء » بضم الباء وفتح الغين، جمع بغيض، وفي رواية « البعداء أو البغضاء » بأو، وفي رواية « البعد » بضم الباء والعين، وفي رواية « وكنا البعداء والطرداء ».

(**وذلك في الله وفي رسوله**) أي في جميع ما تحملنا من مشاق ابتغاء وجه الله تعالى.

(**وايم الله**) الواو للاستئناف، و « ايم » بألف الوصل، وأصلها « ايمن » حذفت النون لغة، وأضيفت إلى لفظ الجلالة. وهو مرفوعة على الابتداء، والخبر محذوف، والتقدير « ايمن الله قسمى » وليست جمع يمين، فذاك همزته همزة قطع.

(**لا أطعم طعاما، ولا أشرب شرابا، حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ**) المقصود بهذه الجملة حتمية تحقيق المقسم عليه، وسرعته.

(**ونحن كنا نؤذى، ونخاف**) بضم النون فيهما، مبنى للمجهول، ولم تقل: وأنتم كنتم فى سلامة وأمن، لأنهم كانوا كذلك يؤذون ويخافون، وكأنها تقول: وشاركناكم الأذى والخوف، بعد أن زدنا عنكم الجوع والجهل والبعد عن مصدر السعادة والعلم.

(**وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ، وأسأله**) عن الحق، أهو فى قولك؟ أو فى قولى؟.

(**والله لا أكذب، ولا أزيغ، ولا أزيد على ذلك**) أى ووالله لن أكذب عليك وأدعى عليك خلاف ما قلت، ولن أحرف ما قلت، ولن أزيد شيئا على ما قلت.

(**فلما جاء النبى ﷺ**) الظاهر أنها ظلت مع حفصة حتى جاءها رسول الله ﷺ فى مروره على كل واحدة من نسائه كل يوم، حتى يصل إلى صاحبة الليلة، فيقيم عندها، أو صادفت زيارة أسماء ليلة حفصة.

(**قالت: يا نبى الله، إن عمر قال كذا وكذا**) الظاهر أن عمر كان قد انصرف، ولم يحضر الشكوى، وفى رواية للبخارى « قال: فما قلت له؟ قالت: قلت له كذا وكذا ».

(**قال: ليس بأحق بى منكم**) لم يقل: كذب، صيانة للسانه من العيب، ونفى الأحقية يحتمل إثباتها لأسماء وأصحابها، أى أنتم أحق بى منهم، ويحتمل المساواة، أى وأنتم وهم فى أحقيتكم بى سواء، لكن ظاهر التعليل أن المراد الأول.

(**له ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان**) « أهل » منصوب على الاختصاص، أو على النداء بحذف أداته، ويجوز جره على البدل من الضمير، والمقصود من « أهل السفينة » ركابها الذين هاجروا من الحبشة إلى المدينة بواسطتها، زاد فى رواية « هاجرتم مرتين، هاجرتم إلى النجاشى، وهاجرتم إلى » وعند ابن سعد « قالت أسماء بنت عميس: يا رسول الله، إن رجالا يفخرون علينا، ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين؟ فقال: بل لكم هجرتان، هاجرتم إلى أرض الحبشة، ثم هاجرتم بعد ذلك ».

(**قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة، يأتونى أرسالا، يسألونى عن هذا الحديث**) قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون هذا من رواية أبى موسى عنها، فيكون من رواية

صحابى عن مثله، ويحتمل أن يكون من رواية أبى بردة عنها. ومعنى « أرسالا » بفتح الهمزة، أى أفواجًا، أى يجيئون إليها ناسًا بعد ناس، يستعيدون منها هذا الحديث، سرورًا به.

(ما من الدنيا شيء هم به أفرح، ولا أعظم فى أنفسهم، مما قال لهم رسول الله ﷺ) أى هذا الحديث كان أعظم شيء فى نفوسهم، لم يعادله شيء يسرهم فى الدنيا.

فقه الحديث

قال ابن المنير: ظاهر الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قسم لهم من أصل الغنيمة، لا من الخمس، إذ لو كان من الخمس لم يكن لهم بذلك خصوصية، والحديث ناطق بها، إذ يجوز للإمام أن يجتهد، وينفذ اجتهاده فى الأخماس الأربعة، المختصة بالغانمين، فيقسم منها لمن لم يشهد الوقعة.

وقال ابن التين: يحتمل أن يكون أعطاهم من الغنيمة برضا بقية الجيش، قال النووى: وفى رواية البيهقى ما يؤيده، إذ فيها التصريح « بأن النبى ﷺ، كلم المسلمين، فشركوهم فى سهمانهم » وقال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن يكون إنما أعطاهم من الخمس، وبهذا جزم أبو عبيد فى كتاب الأموال. ثم قال الحافظ: وأما قول ابن المنير: لو كان من الخمس لم يكن هناك تخصيص فظاهر، لكن يحتمل أن يكون من الخمس، وخصهم بذلك، دون غيرهم، ممن كان من شأنه أن يعطى من الخمس، ويحتمل أن يكون أعطاهم من جميع الغنيمة، لكونهم وصلوا قبل قسمة الغنيمة، وبعد حوزها، وهو أحد القولين للشافعى، وهذا الاحتمال يترجح بقوله « أسهم لنا » لأن الذى يعطى من الخمس، لا يقال فى حقه « أسهم له » إلا تجوزا، ولأن سياق الكلام يقتضى الافتخار، ويستدعى الاختصاص بما لم يقع لغيرهم. والله أعلم.

وفى الحديث مناقب جعفر بن أبى طالب وأسماء بنت عميس وأصحاب هجرة الحبشة وأصحاب السفينة.

وفى الحديث قوة المرأة العربية فى ردها على من ينال منها.

والله أعلم

(٦٦٩) باب من فضائل سلمان وبلال وصهيب رضي الله عنهم

٥٥٨١- ١٧٠/١ عَن عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو[١٧٠]، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلالٍ فِي نَفَرٍ. فَقَالُوا: وَاللَّهِ! مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِن عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا. قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ. لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ». فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ! أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لا. يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي.

المعنى العام

سلمان الفارسي رضي الله عنه، أبو عبد الله، يقال: إنه مولى رسول الله ﷺ، كان ابن ملك من ملوك فارس، وكان من هرمز، وقيل: كان أصله من أصبهان، وكان من صغره يطلب دين الله، ويتبع من يرجو ذلك عنده، فدان بالنصرانية وغيرها، وقرأ الكتب، وصبر في ذلك على مشقات، وخرج من بلاده يطلب الدين الحق ويسأل عنه، انتقل من عابد إلى عابد، حتى وصل المدينة، وأخذ رقيقا، وانتقل من سيد إلى سيد، حتى تداوله بضعة عشر سيدا، واشتراه صلى الله عليه وسلم وأعتقه، وكان ولاؤه لأهل بيت النبي ﷺ، وآخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء، وكان زاهدا، له عباءة، يفترش بعضها، ويلبس بعضها، وكان يعمل الخوص بيده، فيبيعه، فيعيش منه، ولا يقبل من أحد شيئا، وكان عطاؤه في زمن عمر خمسة آلاف، فكان إذا خرج عطاؤه تصدق به كله، وأكل من عمل يده، عمل الخوص الذي تعلمه عن بعض مواليه بالمدينة، وأول مشاهده الخندق، وهو الذي أشار بحفره، وقيل: إنه شهد بدرا وأحدا، إلا أنه كان عبدا يومئذ وكانوا يشبهونه بلقمان، علما وحكمة، ويعرف بسلمان الخير، وكان إذا قيل له: ابن من أنت؟ قال: أنا سلمان ابن الإسلام من بني آدم، وقال النبي ﷺ: «أمرني ربي بحب أربعة، وأخبرني أنه سبحانه يحبهم، علي، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان». توفي بالمدائن في خلافة عثمان. سنة خمس وثلاثين. رضي الله عنه وأرضاه.

أما بلال بن رباح الحبشي، مؤذن رسول الله ﷺ، كان عبدا، فأسلم، يقال: كان أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، كان المشركون - وعلى رأسهم أمية بن خلف، يخرجونه، إذا حميت الظهيرة، فيطرحونه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمرون بالصخرة العظيمة على صدره، ثم يقولون: لا يزال هذا بك حتى تموت أو تكفر بمحمد، فلا يزيد على قوله: أحد. أحد. وكانوا يعطونه للولدان يطوفون به في شعاب مكة والسلسلة في رقبته،

---

(١٧٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا بَهْزٌ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو

فاشتراه أبو بكر بسبع أواق، وأعتقه، ثم كان مؤذن رسول اللّٰه ﷺ، وخازن بيت المال وشهد مع رسول اللّٰه ﷺ المشاهد كلها، ولما مات رسول اللّٰه ﷺ كان مؤذن أبى بكر وخازن بيت ماله، لكنه استأذنه فى أن يخرج للجهاد، وروى لأبى بكر حديث رسول اللّٰه ﷺ، وأنه قال له: « يا بلال، ليس عمل أفضل من الجهاد فى سبيل اللّٰه »، فقال أبو بكر: بل تكون عندى، فقال: إن كنت أعتقتنى لنفسك فاحبسنى، وإن كنت أعتقتنى للّٰه عز وجل، فذرنى أذهب إلى اللّٰه عزوجل، فقال: اذهب، فذهب إلى الشام، وطلبه عمر أن يؤذن له، فاعتذر، فقال له: ما يمنعك أن تؤذن لى؟ قال: إنى أذنت لرسول اللّٰه ﷺ حتى قبض، وأذنت لأبى بكر لأنه ولى نعمتى، وأريد الجهاد فى سبيل اللّٰه، فتركه، وبقى فى الشام حتى مات بها فى طاعون عمواس سنة عشرين، وهو ابن ثلاث وستين سنة، ودفن بحلب.

وأما صهيب بن سنان: من العرب، من النمر بن قاسط، كان أبوه سنان بن مالك عاملا لكسرى على الأيلة، وكانت منازلهم بأرض الموصل، فى قرية على شط الفرات، فأغارت الروم على تلك الناحية، فسبت صهيبا، وهو غلام صغير، فنشأ صهيب بالروم، فصار ألكن، فاشترته منهم قبيلة كلب، ثم قدمت به مكة، فاشتراه عبد اللّٰه بن جدعان، فأعتقه، فأقام معه بمكة، حتى هلك عبد اللّٰه بن جدعان، وبعث النبى ﷺ، فأسلم هو وعمار فى يوم واحد، بعد بضعة وثلاثين رجلا، يروى عن عمار بن ياسر أنه قال: لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم، ورسول اللّٰه ﷺ فيها، فقلت له، ما تريد؟ فقال لى: ما تريد أنت؟ فقلت: أردت الدخول إلى محمد ﷺ، فأسمع كلامه، قال: فأنا أريد ذلك، قال: فدخلنا عليه، فعرض علينا الإسلام، فأسلمنا، ثم مكثنا يومنا، حتى أمسينا، ثم خرجنا مستخفين، ولما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة لحقه صهيب، فتبعه نفر من قريش: ليردوه فقال: يا معشر قريش إنى من أرماكم، ولا تصلون إلى حتى أرميكم بكل سهم معى، ثم أضربكم بسيفى، قالوا: لا تفجعنا بنفسك ومالك. قال: إن كنتم تريدون مالى دللتكم عليه، فرضوا، وتعاهدوا، فدلهم، فرجعوا، فأخذوا ماله، فلما جاء إلى النبى ﷺ، وهو ما زال بقباء، أخبره الخبر، فقال له النبى ﷺ: « ربح البيع أبا يحيى ». فأصبح يكنى أبا يحيى، وأنزل اللّٰه تعالى فى أمره ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٠٧] وقال ﷺ: « صهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة ».

وروى عن صهيب أنه قال: « لم يشهد رسول اللّٰه ﷺ مشهدا قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضره، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزوة إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما جعلت رسول اللّٰه ﷺ بينى وبين العدو قط، حتى توفى ».

وكان عمر رضي الله عنه يحبه، ويداعبه، ولما مات عمر أوصى أن يصلى عليه صهيب، وأن يصلى بالناس، حتى يجتمع الناس على إمام بعده، ومات صهيب بالمدينة، ودفن بالبقيع، فى شوال سنة ثمان وثلاثين، وهو ابن سبعين سنة على المشهور.

المباحث العربية

(**أن أبا سفيان**) صخر بن حرب.

(**أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر**) أى مر بهم، وهم جلوس فى مجلس، وكان هذا المرور، وهو كافر، فقد زار المدينة، وزار ابنته أم حبيبة زوجة الرسول ﷺ بعد صلح الحديبية، أثناء الهدنة.

(**فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها**) أسلوب يفيد التحسر على أن سيوف حزب الله لم تقتل هذا الكافر، ولم تنل منه فى الحروب السابقة بين المسلمين والمشركين، ويحمل التمنى أن تنال هذه السيوف من هذا العدو فى المستقبل.

(**فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟**) الظاهر أن أبا بكر كان جالسا معهم، وإن لم يذكر فى الجالسين، والاستفهام إنكارى توبيخى، أى لا ينبغى أن تقولوا هذا، ووصفه بأوصاف السيادة استنكارا لتمنيهم القتل له، والمؤمن يسأل الله العافية والهداية أولى من أن يسأل للعدو القتل.

(**فأتى النبى ﷺ، فأخبره، فقال: يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم**) وزدت فى الإنكار على هذا القول. آمل أن لا تكون فعلت ذلك.

(**لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**) لأنهم لم يقولوا نكرا ولا هجرا، بل هى منهم كلمة حق وصدق، وفيها تحمس للإسلام وعز أهله، وكبت أعدائه وقد دعا رسول الله ﷺ على صناديد قريش.

(**فأتاهم أبو بكر**) ليتأكد منهم أنه لم يغضبهم، وليستسمحهم إن كانوا قد غضبوا، ولا يلزم من إتيانه إياهم أن يكونوا كما كانوا فى مجلسهم، فقد يأتيهم واحدا واحدا، ويسأله، ويجيب، لكن ظاهر سؤاله وجوابهم أنهم كانوا مجتمعين، فى جلستهم، أو فى جلسة أخرى.

(**يا إخوتاه**) لغة فى: يا إخوتى، قال ابن مالك

واجعل منادى صح إن يضف ليا ∴ كعبد عبدى عبد عبدا عبديا

وناداهم بهذا النداء الرقيق استعطافا لهم أن يتسامحوا.

(**أغضبتكم؟**) بقولى لكم: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟.

(**قالوا: لا. يغفر الله لك**) البلاغة لا تستحسن هذا الأسلوب، لأن صورته صورة نفى الدعاء، حيث لا فاصل بين «لا» وبين الدعاء، وإن كانت «لا» هنا نفى لجملة سابقة، أى لا. لم تغضبنا،

والمستحسن عندهم عدم ذكر « لا » أو ذكر جملتها: لم تغضبنا، أو ذكر واو الاستئناف بينها وبين الدعاء، فيقال: لا . ويغفر الله لك، وتسمى واوات الأصداغ على خدود الملاح، أى هذه الواو فى حسنها تشبه ما تعمله الجميلات من لى شعيرات على الخد تشبه الواو لإبراز جمالهن.

(**يا أخى**) كان المناسب أن يقولوا: يا أخانا، لأنهم جمع، لكن روعى أن كل واحد منهم قال هذا القول على الاستقلال.

قال النووى: « يا أخى » ضبطوه بضم الهمزة على التصغير، وهو تصغير تحبيب وترقيق وملاطفة، وفى بعض النسخ بفتح الهمزة.

فقه الحديث

١- فى الحديث فضيلة ظاهرة لسلمان وصهيب وبلال ورفقتهم هؤلاء.

٢- وفيه مراعاة قلوب الضعفاء وأهل الدين، وإكرامهم، وملاطفتهم.

٣- وفيه رقة قلب أبى بكر، وحرصه على دوام المودة بينه وبين جميع المسلمين.

٤- وفيه التلطف فى النداء، واستخدام لفظ « يا أخى » و« يا إخوتى » تمهيدا للطلب.

٥- وفيه الصفح والتسامح، والرد بالدعاء بالخير.

وقد أخرج البخارى فى مناقب بلال بن رباح قول النبى ﷺ لبلال: « سمعت دف نعليك بين يدى فى الجنة ». وكان عمر يقول: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا - يعنى بلالا.

وقد قدمت فى المعنى العام من فضائل سلمان وصهيب وبلال ما يغنى عن الإعادة .

والله أعلم

(٦٧٠) باب من فضائل الأنصار رضي الله عنهم

٥٥٨٢- ١٧١/١ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا[١٧١] قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران/١٢٢] بَنُو سَلِمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ. وَمَا نُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

٥٥٨٣- ١٧٢/٢ عَن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه[١٧٢] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ، وَلأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ».

٥٥٨٤- ١٧٣/٣ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه[١٧٣] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَغْفَرَ لِلأَنْصَارِ. قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: «وَلِذَرَارِيِّ الأَنْصَارِ، وَلِمَوَالِي الأَنْصَارِ» لا أَشُكُّ فِيهِ.

٥٥٨٥- ١٧٤/٤ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه[١٧٤]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى صِبْيَانًا وَنِسَاءً مُقْبِلِينَ مِن عُرْسٍ. فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مُمْثِلا. فَقَالَ: «اللَّهُمَّ! أَنْتُمْ مِن أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ. اللَّهُمَّ! أَنْتُمْ مِن أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ» يَعْنِي الأَنْصَارَ.

٥٥٨٦- ١٧٥/٥ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[١٧٥] قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَخَلا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ» ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

---

(١٧١) حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ وَاللَّفْظُ لإِسْحَقَ قَالا أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

(١٧٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالا حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ

– وحَدَّثَنِيهِ يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا الإِسْنَادِ

(١٧٣) حَدَّثَنِي أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُ

(١٧٤) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ صُهَيْبٍ عَنْ أَنَسٍ

(١٧٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ جَمِيعًا عَنْ غُنْدَرٍ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ

– وحَدَّثَنِيهِ يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ ح وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالا حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ كِلاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ بِهَذَا الإِسْنَادِ

٥٥٨٧- ١٧٦/٦ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[١٧٦]، أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الأَنْصَارَ كَرِشِي وَعَيْبَتِي. وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقِلُّونَ. فَاقْبَلُوا مِن مُحْسِنِهِمْ، وَاعْفُوا عَن مُسِيئِهِمْ.

٥٥٨٨- ١٧٧/٧ عَن أَبِي أُسَيْدٍ رضي الله عنه[١٧٧] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «خَيْرُ دُورِ الأَنْصَارِ بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ. وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ» فَقَالَ سَعْدٌ: مَا أَرَى رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ إلا قَدْ فَضَّلَ عَلَيْنَا. فَقِيلَ: قَدْ فَضَّلَكُمْ عَلَى كَثِيرٍ.

٥٥٨٩- ١٧٨/٨ عَن إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُسَيْدٍ رضي الله عنه[١٧٨] خَطِيبًا عِنْدَ ابْنِ عُتْبَةَ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «خَيْرُ دُورِ الأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، وَدَارُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، وَدَارُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَدَارُ بَنِي سَاعِدَةَ» وَاللَّـهِ! لَوْ كُنْتُ مُؤْثِرًا بِهَا أَحَدًا لأَثَرْتُ بِهَا عَشِيرَتِي.

٥٥٩٠- ١٧٩/٩ عَن أَبِي أُسَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ[١٧٩] يَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ: خَيْرُ دُورِ الأَنْصَارِ بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ. وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ» قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: أُتَّهَمُ أَنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ لَوْ كُنْتُ كَاذِبًا لَبَدَأْتُ بِقَوْمِي، بَنِي سَاعِدَةَ. وَبَلَغَ ذَلِكَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ. وَقَالَ: خُلِّفْنَا فَكُنَّا آخِرَ الأَرْبَعِ. أَسْرِجُوا لِي حِمَارِي آتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وَكَلَّمَهُ ابْنُ أَخِيهِ، سَهْلٌ، فَقَالَ: أَتَذْهَبُ لِتَرُدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ؟ وَرَسُولُ اللَّـهِ ﷺ أَعْلَمُ. أَوَ لَيْسَ حَسْبُكَ أَنْ تَكُونَ رَابِعَ أَرْبَعٍ. فَرَجَعَ وَقَالَ: اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. وَأَمَرَ بِحِمَارِهِ فَحُلَّ عَنهُ.

---

(١٧٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ جَعْفَرٍ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

(١٧٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ

- حَدَّثَنَاه مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ أَنَسًا يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ وَابْنُ رُمْحٍ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ

- وحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ ح وحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالا حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ كُلُّهُمْ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَذْكُرُ فِي الْحَدِيثِ قَوْلَ سَعْدٍ

(١٧٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ وَاللَّفْظُ لِابْنِ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا حَاتِمٌ وَهُوَ ابْنُ إِسْمَعِيلَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا أُسَيْدٍ

(١٧٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ أَخْبَرَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ قَالَ شَهِدَ أَبُو سَلَمَةَ لَسَمِعَ أَبَا أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ يَشْهَدُ

٥٥٩١- وفي رواية عَن أَبِي أُسَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ(-) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ خَيْرُ الأَنْصَارِ، أَوْ خَيْرُ دُورِ الأَنْصَارِ» بِمِثْلِ حَدِيثِهِمْ. فِي ذِكْرِ الدُّورِ. وَلَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِي اللَّهم عنه.

٥٥٩٢- ١٨٠/١٠ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(١٨٠) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ عَظِيمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: «أُحَدِّثُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الأَنْصَارِ؟» قَالُوا: نَعَمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ» قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «ثُمَّ بَنُو النَّجَّارِ» قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ» قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ» قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «ثُمَّ فِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ». فَقَامَ سَعْدُ ابْنُ عُبَادَةَ مُغْضَبًا. فَقَالَ: أَنَحْنُ آخِرُ الأَرْبَعِ؟ حِينَ سَمَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَارَهُمْ. فَأَرَادَ كَلامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ لَهُ رِجَالٌ مِن قَوْمِهِ: اجْلِسْ أَلا تَرْضَى أَنْ سَمَّى؟ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَارَكُمْ فِي الأَرْبَعِ الدُّورِ الَّتِي سَمَّى. فَمَنْ تَرَكَ فَلَمْ يُسَمِّ أَكْثَرُ مِمَّنْ سَمَّى فَانْتَهَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ عَن كَلامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٥٥٩٣- ١٨١/١١ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(١٨١) قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ فِي سَفَرٍ. فَكَانَ يَخْدُمُنِي. فَقُلْتُ لَهُ: لا تَفْعَلْ. فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا، آلَيْتُ أَنْ لا أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلا خَدَمْتُهُ. زَادَ ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِمَا: وَكَانَ جَرِيرٌ أَكْبَرَ مِن أَنَسٍ. وَقَالَ ابْنُ بَشَّارٍ: أَسَنَّ مِن أَنَسٍ.

المعنى العام

الأنصار اسم للأوس والخزرج من أهل المدينة ومواليهم وحلفائهم، سماهم بهذا اللقب رسول اللَّه ﷺ، لأنهم آووه ونصروه، وهم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ (المدينة) وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

(-) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيِّ بْنِ بَحْرٍ حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ شَدَّادٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا أُسَيْدٍ الأَنْصَارِيَّ حَدَّثَهُ

(١٨٠) و حَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالا حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ سَمِعَا أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ

(١٨١) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عَرْعَرَةَ وَاللَّفْظُ لِلْجَهْضَمِيِّ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ عَرْعَرَةَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

لقد كانوا قبل الإسلام فى فرقة وحروب، وآخر حروبهم قبل قدوم النبى ﷺ إلى مدينتهم بخمس سنين، فيما عرف بيوم بعاث، وكانت معارك ضارية، قتل فيها رؤساء كل من الفريقين وعدد كبير جدا من أشرافهم. فلما هداهم اللّه بالإسلام صاروا أحبة كالجسد الواحد، بل صاروا يؤثرون غيرهم على أنفسهم، وصدق اللّه العظيم إذ يقول ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقد ساق الإمام مسلم مجموعة من الأحاديث فى مناقبهم وفضائلهم، سنعرض لها بالشرح، وساق الإمام البخارى مجموعة أخرى نضمها إلى مجموعة مسلم، لتكتمل صورة الفضائل، أو لنقدم طائفة أكبر منها.

١- أخرج البخارى موقف الأنصار من المهاجرين، وأنهم نزلوا لهم عن نصف أموالهم، قال: «لما قدم المسلمون المدينة آخى النبى ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع، وكان كثير المال، فقال سعد: قد علمت الأنصار أنى من أكثرها مالا، سأقسم مالى بينى وبينك شطرين، ولى امرأتان، فانظر أعجبهما إليك، فسمها لى، فأطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال عبد الرحمن: بارك اللّه لك فى أهلك ومالك. أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بنى قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو» أى حتى صار من الأغنياء.

٢- وعن أنس بن مالك ﷺ قال: «دعا النبى ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، فقالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا المهاجرين مثلها، قال: إما لا، فاصبروا حتى تلقونى وموعدكم الحوض، فإنكم ستلقون بعدى أثرة».

٣- وكانت الأنصار يوم الخندق تقول:

نحن الذين بايعوا محمدا ∴ على الجهاد ما حيينا أبدا

٤- وأخرج قصة رجل من الأنصار انطلق بضيف إلى امرأته، فقال لها: أكرمى ضيف رسول اللّه ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبيانى، فقال: هيئى طعامك، وأصبحى سراجك، ونومى صبيانك إذا أرادوا عشاء، وجعلا يريان الضيف أنهما يأكلان فى الظلام، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول اللّه ﷺ، فقال له: ضحك الله الليلة من فعالكما».

٥- وأخرج قصة توزيع غنائم حنين، وموقف الأنصار، وقول رسول اللّه ﷺ لهم: «لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا - وفى رواية «لو شئتم لقلتم، فصدقتم وصدقتم، أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فواسيناك. قالوا: المنة علينا للّه ورسوله، فقال: ألا ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبى ﷺ إلى رحالكم، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا، لسلكت وادى الأنصار وشعبها، الأنصار شعار، والناس دثار. قالوا: يا رسول اللّه. قد رضينا».

٦- وقال النبى ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار».

٧- وقال صلى اللّه عليه وسلم: « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه اللّه، ومن أبغضهم أبغضه اللّه ». رضى اللّه عنهم أجمعين.

المباحث العربية

(فينا نزلت ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾) هذه الآية (١٢٢) من سورة آل عمران، والطائفتان هم بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحى العسكر يوم أحد، ومعنى ﴿تَفْشَلَا﴾ تجبنا، والفشل فى الرأى العجز، وفى البدن الإعياء، وفى الحرب الجبن، وهمهم بالفشل كان بعد الخروج من المدينة، حين رجع عبد اللّه بن أبى بمن معه من المنافقين، إذ خرج رسول اللّه ﷺ بألف، فرجع عنه عبد اللّه بن أبى بثلاثمائة رجل، مغاضبا، بحجة أنه لم يؤخذ برأيه، حين أشار بالقعود فى المدينة، والقتال فيها إن نهض إليهم العدو، وكان رأيه هذا قد وافق رأى رسول اللّه ﷺ، وأبى ذلك أكثر الأنصار، لما رجع ابن أبى بثلث الجيش، حدث فى نفس الطائفتين، وخطر ببالهم أن يرجعوا، فعصمهم اللّه، وذم بعضهم بعضا، ونهضوا مع النبى ﷺ.

(واللّه وليهما) أى حافظ قلوبهما عن تحقيق هذا الهم.

(بنو سلمة وبنو حارثة) بالرفع، خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: الطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة، وفى رواية « نحن الطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة »، وفى رواية للبخارى « بنى سلمة وبنى حارثة » بالجر على البدلية من الضمير فى « فينا » أى فى قومه، بنى سلمة وفى أقاربهم بنى حارثة.

والأوس والخزرج أمهما واحدة، تدعى قيلة، وأبوهم واحد، يدعى حارثة بن عمرو بن عامر، الذى تجتمع إليه أنساب الأزد، و« سلمة » بفتح السين وكسر اللام.

(وما نحب أنها لم تنزل، لقول اللّه تعالى ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾) ونفى النفى إثبات، أى نحب أنها نزلت، ولا نكره، أن وصفنا بالهم بالفشل، أى إن الآية وإن كان ظاهرها غضا من الطائفتين، لكن فى آخرها غاية الشرف لهما، إذ الولى هنا الناصر، ومن ينصره اللّه، ويدفع عنه ما وقع منه من الهم بالمعصية فهو من حزب اللّه وأوليائه، ولا يضره ما وقع له من وسوسة لم تستقر.

(اللّهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار) وفى الرواية الثالثة « أن رسول اللّه ﷺ استغفر للأنصار، ولذرارى الأنصار، ولموالى الأنصار» وعند البخارى « قالت الأنصار: يا رسول اللّه، لكل نبى أتباع، وإنا قد اتبعناك، فادع اللّه أن يجعل أتباعنا منا، قال النبى ﷺ: اللّهم اجعل أتباعهم منهم » قال العلماء: يدخل فى أتباع الأنصار ذراريهم ومواليهم وحلفاؤهم.

« والأنصار» اسم إسلامى، سمى به النبى ﷺ الأوس والخزرج وحلفاءهم، وفى البخارى عن غيلان ابن جرير « قلت لأنس: أرأيت اسم الأنصار. كنتم تسمون به؟ أم سماكم اللّه؟ قال: بل سمانا اللّه » وهم المقصودون بقوله تعالى **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا.....﴾**.

(**أن النبى ﷺ رأى صبيانا ونساء مقبلين من عرس**) غلب الذكور على الإناث، فقال « مقبلين ».

(**فقام النبى ﷺ ممثلا**) بضم الميم الأولى وسكون الثانية وكسر الثاء من أمثل الرباعى، ومعناه قائما منتصبا، والذى ذكره أهل اللغة: مثل الرجل، بفتح الميم وضم الثاء، ثلاثى، مثولا، إذا انتصب قائما، قال النووى: وبفتح الثاء مع ضم الميم الأولى وسكون الثانية . كذا روى بالوجهين وهما مشهوران. قال القاضى: جمهور الرواة بالفتح، قال: وصححه بعضهم، قال: ولبعضهم هنا وفى البخارى بالكسر، قال: وعند بعضهم « مقبلا » وللبخارى فى كتاب النكاح « ممتنا » بضم الميم الأولى وسكون الثانية وفتح التاء بعدها نون، من المنة، أى متفضلا عليهم، قال: واختار بعضهم هذا، وضبطه بعض المتقنين « ممتنا » بضم الميم الأولى وسكون الثانية وكسر التاء وتخفيف النون، أى قياما طويلا، قال القاضى: والمختار ما قدمناه عن الجمهور.

(**اللهم. أنتم من أحب الناس إلى**) « اللَّهم » منادى قصد به الدعاء، أى يارب. هؤلاء وقومهم من أحب الناس إلى، لما قدموه خدمة للإسلام، فأحبهم.

(**جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول اللَّه ﷺ، فخلا بها**) قال النووى: هذه المرأة إما محرم له، كأم سليم وأختها، وإما المراد من الخلوة خلوة صوت وكلام، بمعنى أنها سألته سؤالا بحضرة ناس، ولم تكن خلوة مطلقة، حتى تشمل الخلوة المنهى عنها. اهـ وقال المهلب: لم يرد أنس أنه خلا بها، بحيث غاب عن أبصار من كان معه، وإنما خلا بها بحيث لا يسمع من حضر شكواها، ولا ما دار بينهما من الكلام، ولهذا سمع أنس آخر الكلام، فنقله، ولم ينقل مادار بينهما، لأنه لم يسمعه.

وفى البخارى « جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول اللَّه ﷺ، ومعها صبى لها » وفى رواية له « معها أولادها » وفى رواية له « معها أولاد لها ».

(**وقال: والذى نفسى بيده. إنكم لأحب الناس إلى**) الظاهر أن « وقال... » معطوف على محذوف، أى أجابها على سؤالها وقال... » والظاهر أن سؤالها كان يستدعى تطييب قلبها، والخطاب فى « إنكم » لها ولقومها الأنصار، وهو على طريق الإجمال، أى مجموعكم أحب إلى من مجموع غيركم، فلا يعارض حديث « من أحب الناس إليك؟ قال: أبو بكر».

(**ثلاث مرات**) معمول لقال، وكررها للتأكيد، ولزيادة التطييب، وفى رواية للبخارى « مرتين ».

(**إن الأنصار كرشى وعيبتى**) الكرش بكسر الكاف وسكون الراء، وبفتح الكاف وكسر الراء، وهو بالأخير فى الرواية، معدة الإنسان، وما هو بمنزلتها لكل مجتر. والعيبة بفتح العين، وعاء من خوص أو جلد، أو نحوهما، منه ما يعد لنقل الزرع والمحصول، ومنه ما يعد لحفظ المتاع النفيس، وهو المراد هنا، قال النووى: قال العلماء: معناه جماعتى وخاصتى الذين أثق بهم، وأعتمدهم فى أمورى،

قال الخطابى: ضرب مثلا بالكرش، لأنه مستقر غذاء الحيوان الذى يكون به بقاؤه، وبالعيبة لأنهم أهل سره وخفى أحواله. اهـ. وقال بعضهم: الكرش أمر باطن، والعيبة أمر ظاهر، فكأنه ضرب المثل بهما فى إرادة اختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة.

وفى البخارى أن رسول اللَّه ﷺ قال ذلك على المنبر فى مرضه الذى مات فيه، وأنه لم يصعد المنبر بعد ذلك اليوم، ولفظه « فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثم قال: أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشى وعيبتى، وقد قضوا الذى عليهم » يشير إلى ما وقع منهم ليلة العقبة من المبايعة، فإنهم بايعوا على أن يؤوا رسول اللَّه ﷺ، وينصروه، فوفوا بذلك « وبقى الذى لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم » وفى رواية له « فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد . أيها الناس. إن الناس يكثرون، وتقل الأنصار، حتى يكونوا كالملح فى الطعام، فمن ولى منكم أمرا، يضر فيه أحدا، أو ينفعه، فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم ».

(**وإن الناس سيكثرون، ويقلون**) فيه عود الضميرين على مرجعين مختلفين، مذكور أحدهما، والمراد من الناس غير الأنصار، أى فإن غير الأنصار سيكثرون، فتدخل قبائل العرب والعجم فى الإسلام، فيكونون أبدا مهما كثر تناسلهم قليلين بالنسبة إلى غيرهم.

(**فاقبلوا من محسنهم، واعفوا عن مسيئهم**) أى فاقبلوا من محسنهم إحسانه، واشكروه عليه، وجازوه الإحسان بالإحسان، واعفوا عن إساءة المسيء منهم، فلا تعاقبوه على إساءته، اللَّهم إلا إذا اقتضت الإساءة حدا من حدود اللَّه.

(**خير دور الأنصار**) أى خير قبائل الأنصار، وكانت كل قبيلة منهم تسكن محلة، فتسمى تلك المحلة دار بنى فلان، ولهذا جاء فى كثير من الروايات بنو فلان، من غير ذكر الدار.

وفى الرواية العاشرة أنه صلى اللَّه عليه وسلم قال ذلك وهو فى مجلس عظيم من المسلمين.

(**بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفى كل دور الأنصار خير**) « بنو النجار » هم من الخزرج، والنجار هو تيم اللَّه، وسمى بذلك لأنه ضرب رجلا، فنجره، فقيل له النجار، وهو ابن ثعلبة بن عمرو من الخزرج، وهم أخوال جد رسول اللَّه ﷺ، لأن والدة عبد المطلب منهم، وعليهم نزل صلى اللَّه عليه وسلم لما قدم المدينة، فلهم مزية على غيرهم.

(**ثم بنو عبد الأشهل**) وهم من الأوس، وهو عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأصفر، ابن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة، وهم رهط سعد بن معاذ.

بهذا الترتيب فى الرواية السابعة والتاسعة، وبالتعبير بـ « ثم » أما فى الرواية الثامنة وفى رواية للبخارى فبالترتيب نفسه، لكن بالواو، فاستنبط منه بعضهم أن الواو قد تأتى للترتيب، والحق أن الترتيب هنا يؤخذ من التقديم والتأخير، لا من الواو، ولا إشكال فى هذه الرواية، لكن الإشكال فى الرواية العاشرة، ولفظها « بنو عبد الأشهل. قالوا: ثم من يارسول اللَّه؟ قال: ثم بنو النجار » وقد رجح

العلماء الرواية السابعة والتاسعة على الرواية العاشرة بأن العاشرة اختلف على ابن أبى سلمة فى إسناده، هل شيخه فيها أبو أسيد أو أبو هريرة، واختلف فى متنه. هل قدم عبد الأشهل على بنى النجار؟ أو بالعكس . قاله الحافظ ابن حجر.

« ثم بنو الحارث بن الخزرج » أى الأكبر، أى ابن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة .

« ثم بنو ساعدة » وهم الخزرج أيضا، وساعدة هو ابن كعب بن الخزرج الأكبر.

« وفى كل دور الأنصار خير» « خير» الأولى، التى فى قوله « خير دور الأنصار» اسم تفضيل بمعنى أفضل، و « خير» الثانية، التى فى قوله « وفى كل دور الأنصار خير» اسم، أى فضل، وتتفاوت مراتبه.

(**فقال سعد**) بن عبادة، كما صرح به فى الرواية التاسعة، وهو من بنى ساعدة.

(**ما أرى رسول الله ﷺ إلا قد فضل علينا**) « أرى » بضم الهمزة، بمعنى أظن، وفى بعض النسخ بفتح الهمزة، من الرأى والفكر، و « فضل » بفتح الفاء، والمفعول محذوف، أى فضل علينا ثلاث قبائل.، وفى الرواية التاسعة « وبلغ ذلك سعد بن عبادة، فوجد فى نفسه » أى غضب فى نفسه « وقال: خلفنا فكنا آخر الأربع؟ أسرجوا لى حمارى، آتى رسول الله ﷺ، وكلمه ابن أخيه سهل، فقال: أتذهب لترد على رسول الله ﷺ؟ ورسول الله ﷺ أعلم؟ أوليس حسبك أن تكون رابع أربع، فرجع، وقال: الله ورسوله أعلم، وأمر بحماره، فحل عنه ».

ومعنى « وجد فى نفسه » بفتح الواو والجيم، يجد بكسر الجيم، وجدا، حزن، و« خلفنا » بضم الخاء وكسر اللام المشددة، مبنى للمجهول، أى جعلنا خلف الناس وآخرهم، وفى الرواية العاشرة « فقام سعد بن عبادة مغضبا » أى قام من مجلسه الذى بلغه الخبر فيه « فقال: أنحن آخر الأربع؟ حين سمى رسول الله ﷺ دارهم »؟ أى دار الأربع؟ والاستفهام إنكارى « فأراد كلام رسول الله ﷺ » فى ذلك، أى أراد الذهاب إليه وكلامه « فقال له رجال من قومه: اجلس. ألا ترضى أن سمى رسول الله ﷺ داركم فى الأربع الدور التى سمى؟ فمن ترك، فلم يسم أكثر ممن سمى » أى فمن ترك ذكرها من دور الأنصار أكثر ممن ذكرهم منها، « فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله ﷺ » أى رجع عن عزيمته التى كان قد عزم عليها، وأمر بحل حماره، ولا تعارض بين ما فى هذه الرواية، من أن الذين ردوه عن عزمه رجال من قومه، وبين ما فى الرواية التاسعة من أن الذى رده سهل ابن أخيه، فقد يضاف القول للحاضرين مع القائل، لرضاهم به، وموافقتهم عليه، لكن الإشكال بين هاتين الروايتين، وفيهما أن سعدا رجع عن كلام رسول الله ﷺ، وبين ما فى البخارى عن أبى حميد، وفى رواية عن أبى حميد أو أبى أسيد قال « فلحقنا سعد بن عبادة، فقال: أبا أسيد. ألم تر أن نبى الله ﷺ خير الأنصار، فجعلنا أخيراً؟ فأدرك سعد النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله . خيرت دور الأنصار، فجعلتنا آخرا؟ فقال: أوليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار»؟ قال الحافظ ابن حجر: ويمكن الجمع بأنه رجع حينئذ عن قصد رسول الله ﷺ لذلك خاصة، ثم إنه لما لقى رسول الله ﷺ فى وقت آخر، ذكر له ذلك، أو الذى رجع عنه أنه كان قد أراد أن يورده مورد الإنكار، والذى صدر منه ورد مورد المعاتبة المتلطفة، ولهذا قال له ابن

أخيه فى الأول: « أترد على رسول اللّٰه أمره؟ » ومعنى « بحسبكم أن تكونوا من الخيار» أى يكفيكم أن تكونوا من الأفاضل، لأنهم بالنسبة لمن دونهم أفضل، وكأن المفاضلة بينهم وقعت بحسب السبق إلى الإسلام، وبحسب مساعيهم فى إعلاء كلمة اللّٰه، ونحو ذلك.

و« أبو حميد » و« أبو أسيد » كلاهما ساعدى من قبيلة سعد بن عبادة، لكنهما لم يغضبا غضبته، بل رويا الحديث على الرغم من أنه يؤخر قبيلتهم، بل يقول أبو أسيد فى الرواية الثامنة: « واللّٰه. لو كنت مؤثرا بها أحدا لآثرت بها عشيرتى ». ويقول فى الرواية التاسعة: « أتهم أنا على رسول اللّٰه ﷺ؟ لو كنت كاذبا لبدأت بقومى، بنى ساعدة ». ولعل سعدا يرى أنه رئيس وزعيم بنى ساعدة، وعليه أولا تقع مسئولية الدفاع عنهم.

(عن أنس بن مالك ﷺ قال: خرجت مع جرير بن عبد اللّٰه البجلى فى سفر) سبق الكلام عن جرير فى باب خاص من فضائله، قبل اثنى عشر بابا، وهو يمنى، وأنس أنصارى، من بنى النجار.

(فكان يخدمنى) حبا فى الأنصار، وتقديرا لهم، لما لهم من فضائل فى الإسلام.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- من الروايات جواز تفضيل القبائل والأشخاص، لكن بغير مجازفة ولا هوى، ولا يكون هذا من قبيل الغيبة المحرمة.

٢- ومن الرواية الأولى أنه لا غضاضة من ذكر تقصير الإنسان فى جانب اللّٰه، ما دام قد عفى عنه.

٣- وأن التقصير لا يمنع من ولاية اللّٰه للمقصر.

٤- وأن القرآن كان ينزل استجابة لبعض الأحداث.

٥- وفيها فضيلة ظاهرة لقبيلتى بنى سلمة وبنى حارثة من الأنصار.

٦- ومن الرواية الثانية أن صلاح الآباء ينفع الذرية والأتباع.

٧- ومن الرواية الرابعة إخبار من تحبه أنك تحبه.

٨- والقيام والاهتمام بمن تحب.

٩- وفى الرواية الخامسة جواز أن يخلو المسلم بالمرأة عن الناس، بحيث لا يسمع كلامهما، إذا كان مما يخافت به، كالشىء الذى تستحى المرأة من ذكره بينهم، وقد سبق عند مسلم عن أنس « أن امرأة كان فى عقلها شيء، قالت: يارسول اللّٰه، إن لى إليك حاجة، فقال: يا أم فلان، انظرى أى السكك شئت، حتى أقضى لك حاجتك ».

١٠- وفيه سعة حلمه وتواضعه صلى اللَّه عليه وسلم ، وصبره على قضاء حوائج الصغير والكبير.

١١- وفيه أن مفاوضة المرأة الأجنبية سرًا لا يقدح في الدين، عند أمن الفتنة، قال الحافظ ابن حجر: يفضل البعد عن ذلك: ولكن الأمر كما قالت عائشة: « وأيكم يملك أربه، كما كان النبي ﷺ يملك أربه ».

١٢- ومن قوله « والذى نفسى بيده » كيف كانت يمين النبي ﷺ ؟.

١٣- وجواز الحلف من غير استحلاف، وقال قوم: يكره، لقوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] ويحمل ما ورد من ذلك على ما إذا كان فى طاعة، أو دعت إليها حاجة، كتأكيد أمر أو تعظيم من يستحق التعظيم.

١٤- وفيه أن حب الأنصار من الدين والإيمان، قال ابن التين: والمراد حب جميعهم، وبغض جميعهم، ومن أبغض بعضهم لمعنى يسوغ البغض له. فليس داخلا فى ذلك.

١٥- وفيه استطابة القلوب.

١٦- وفى الرواية الحادية عشرة تواضع جرير رضي الله عنه وفضيلته.

١٧- وإكرامه للنبي ﷺ.

١٨- وإحسانه إلى من ينتسب إلى من أحسن إليه صلى اللَّه عليه وسلم.

١٩- وفيه إكرام الأنصار.

٢٠- وإكرام المحسن وتكريمه.

واللَّه أعلم

(٦٧١) باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيئ

٥٥٩٤- ١٨٢/١ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ(١٨٢) قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا. وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ».

٥٥٩٥- ١٨٣/٢ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ(١٨٣) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ائْتِ قَوْمَكَ فَقُلْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ. وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا».

٥٥٩٦- ١٨٤/.. عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا(١٨٤) قَالَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ. وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا».

٥٥٩٧- ١٨٥/٣ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(١٨٥) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ. وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا. أَمَا إِنِّي لَمْ أَقُلْهَا. وَلَكِنْ قَالَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

٥٥٩٨- ١٨٦/٤ عَنْ خُفَافِ بْنِ إِيْمَاءَ الْغِفَارِيِّ ﷺ(١٨٦) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي صَلَاةٍ: «اللَّهُمَّ! الْعَنْ بَنِي لِحْيَانَ وَرِعْلا وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، عَصَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا. وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ».

---

(١٨٢) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلال عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : قَالَ أَبُو ذَرٍّ

(١٨٣) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّار جَمِيعًا عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنِي عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ
– حَدَّثَنَاه مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّار قَالا حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ فِي هَذَا الإِسْنَادِ

(١٨٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالُوا حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ح و حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالا حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ح و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا شَبَابَةُ حَدَّثَنِي وَرْقَاءُ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ح و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِي عَاصِمٍ كِلاهُمَا عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ ح و حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ كُلُّهُمْ قَالَ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللَّه عليه وسلم

(١٨٥) و حَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى عَنْ خُثَيْمِ بْنِ عِرَاكٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٨٦) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنِ اللَّيْثِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ أَبِي أَنَسٍ عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ خُفَافِ بْنِ إِيْمَاءَ الْغِفَارِيِّ

٥٥٩٩- ١٨٧/٥ عَن ابْنِ عُمَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا[١٨٧] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا. وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ. وَعُصَيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ».

٥٦٠٠- وفي رواية عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا[-]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. بِمِثْلِهِ. وَفِي حَدِيثِ صَالِحٍ وَأُسَامَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ عَلَى الْمِنْبَرِ.

٥٦٠١- ١٨٨/٦ عَن أَبِي أَيُّوبَ ﷺ[١٨٨] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الأَنْصَارُ وَمُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ وَغِفَارُ وَأَشْجَعُ، وَمَنْ كَانَ مِن بَنِي عَبْدِ اللَّهِ، مَوَالِيَّ دُونَ النَّاسِ. وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ مَوْلاهُمْ».

٥٦٠٢- ١٨٩/٧ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٨٩] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ وَمُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارُ وَأَشْجَعُ، مَوَالِيَّ. لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ».

٥٦٠٣- ١٩٠/٨ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٩٠] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَسْلَمُ وَغِفَارُ وَمُزَيْنَةُ، وَمَنْ كَانَ مِن جُهَيْنَةَ، أَوْ جُهَيْنَةُ، خَيْرٌ مِن بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي عَامِرٍ، وَالْحَلِيفَيْنِ، أَسَدٍ وَغَطَفَانَ».

٥٦٠٤- ١٩١/٩ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٩١] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَغِفَارُ وَأَسْلَمُ وَمُزَيْنَةُ، وَمَنْ كَانَ مِن جُهَيْنَةَ، أَوْ قَالَ جُهَيْنَةُ، وَمَنْ كَانَ مِن مُزَيْنَةَ، خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِن أَسَدٍ وَطَيِّئٍ وَغَطَفَانَ».

---

(١٨٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا و قَالَ الآخَرُونَ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ

- حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ ح وحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ سَوَّادٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي أُسَامَةُ ح وحَدَّثَنِي زُهَيْرُ ابْنُ حَرْبٍ وَالْحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحٍ كُلُّهُمْ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ

- وحَدَّثَنِيهِ حَجَّاجُ ابْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ شَدَّادٍ عَنْ يَحْيَى حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ حَدَّثَنِي ابْنُ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مِثْلَ حَدِيثِ هَؤُلاءِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ.

(١٨٨) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ وَهُوَ ابْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا أَبُو مَالِكٍ الأَشْجَعِيُّ عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ

(١٨٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزَ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّ فِي الْحَدِيثِ قَالَ سَعْدٌ فِي بَعْضِ هَذَا فِيمَا أَعْلَمُ

(١٩٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٩١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي الْحِزَامِيَّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ح و حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ وَحَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدٌ أَخْبَرَنِي و قَالَ الآخَرَانِ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحٍ عَنِ الأَعْرَجِ قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ

٥٦٠٥- ١٩٢/١١ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٩٢] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لأَسْلَمُ وَغِفَارُ، وَشَيْءٌ مِن مُزَيْنَةَ وَجُهَيْنَةَ، أَوْ شَيْءٌ مِن جُهَيْنَةَ وَمُزَيْنَةَ، خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ -قَالَ: أَحْسِبُهُ قَالَ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِن أَسَدٍ وَغَطَفَانَ وَهَوَازِنَ وَتَمِيمٍ».

٥٦٠٦- ١٩٣/١٢ عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ[١٩٣]، عَن أَبِيهِ ﷺ، أَنَّ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: إِنَّمَا بَايَعَكَ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ مِن أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ. وَأَحْسِبُ جُهَيْنَةَ (مُحَمَّدٌ الَّذِي شَكَّ) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَسْلَمُ وَغِفَارُ وَمُزَيْنَةُ - وَأَحْسِبُ جُهَيْنَةُ- خَيْرًا مِن بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي عَامِرٍ وَأَسَدٍ وَغَطَفَانَ، أَخَابُوا وَخَسِرُوا؟» فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّهُمْ لأَخْيَرُ مِنْهُمْ». وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: مُحَمَّدٌ الَّذِي شَكَّ. حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ. حَدَّثَنِي سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ الضَّبِّيُّ. بِهَذَا الإِسْنَادِ، مِثْلَهُ. وَقَالَ: «وَجُهَيْنَةُ» وَلَمْ يَقُلْ: أَحْسِبُ.

٥٦٠٧- ١٩٤/١٢ عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ[١٩٤]، عَن أَبِيهِ ﷺ، عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَسْلَمُ وَغِفَارُ وَمُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ، خَيْرٌ مِن بَنِي تَمِيمٍ وَمِن بَنِي عَامِرٍ، وَالْحَلِيفَيْنِ بَنِي أَسَدٍ وَغَطَفَانَ».

٥٦٠٨- ١٩٥/١٣ عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ[١٩٥]، عَن أَبِيهِ ﷺ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ جُهَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارُ خَيْرًا مِن بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ وَعَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ» وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَدْ خَابُوا وَخَسِرُوا. قَالَ: «فَإِنَّهُمْ خَيْرٌ» وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ «أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ جُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارُ».

---

(١٩٢) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَيَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ قَالا حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ يَعْنِيَان ابْنَ عُلَيَّةَ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(١٩٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ عَنْ شُعْبَةَ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ
(١٩٤) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي بِشْرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ
- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالا حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ ح و حَدَّثَنِيهِ عَمْرٌو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي بِشْرٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ
(١٩٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لأَبِي بَكْرٍ قَالا حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ

٥٦٠٩- ١٩٦/١٤ عَن عَـدِيِّ بْـنِ حَـاتِمٍ ﷺ[١٩٦] قَـالَ: أَتَيْـتُ عُمَـرَ بْـنَ الْخَطَّـابِ فَقَـالَ لِـي: إِنَّ أَوَّلَ صَدَقَـةٍ بَيَّضَـتْ وَجْـهَ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ وَوُجُـوهَ أَصْحَابِـهِ، صَدَقَـةُ طَيِّـئٍ، جِئْـتَ بِهَـا إِلَى رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ.

٥٦١٠- ١٩٧/١٥ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٩٧] قَالَ: قَدِمَ الطُّفَيْـلُ وَأَصْحَابُـهُ فَقَـالُوا: يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ! إِنَّ دَوْسًـا قَـدْ كَفَـرَتْ وَأَبَـتْ. فَـادْعُ اللَّـهَ عَلَيْهَـا. فَقِيـلَ: هَلَكَـتْ دَوْسٌ. فَقَـالَ: «اللَّهُـمَّ اهْـدِ دَوْسًـا وَائْتِ بِهِـمْ».

٥٦١١- ١٩٨/١٦ عَـن أَبِي هُرَيْـرَةَ ﷺ[١٩٨] قَـال: لا أَزَالُ أُحِـبُّ بَنِـي تَمِيـمٍ مِـن ثَـلاثٍ، سَـمِعْتُهُنَّ مِـن رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُـولُ: «هُـمْ أَشَـدُّ أُمَّتِـي عَلَـى الدَّجَّـالِ» قَـالَ: وَجَـاءَتْ صَدَقَـاتُهُمْ فَقَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «هَـذِهِ صَدَقَـاتُ قَوْمِنَـا» قَـالَ: وَكَـانَتْ سَـبِيَّةٌ مِنْهُـمْ عِنْـدَ عَائِشَةَ. فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «أَعْتِقِيهَـا فَإِنَّهَـا مِـن وَلَـدِ إِسْـمَعِيلَ».

٥٦١٢- - وَفِـي روايـة عَـن أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ[-] قَـالَ: لا أَزَالُ أُحِـبُّ بَنِـي تَمِيـمٍ بَعْـدَ ثَـلاثٍ سَمِعْتُهُنَّ مِـن رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ، يَقُولُهَـا فِيهِـمْ. فَذَكَـرَ مِثْلَـهُ.

٥٦١٣- - وَفِـي روايـة عَـن أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ قَـالَ: ثَـلاثُ خِصَـالٍ سَـمِعْتُهُنَّ مِـن رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ فِـي بَنِـي تَمِيـمٍ. لا أَزَالُ أُحِبُّهُـمْ بَعْـدُ. وَسَـاقَ الْحَدِيـثَ بِهَـذَا الْمَعْنَـى. غَـيْرَ أَنَّـهُ قَـالَ: «هُـمْ أَشَـدُّ النَّاسِ قِتَـالا فِـي الْمَلاحِـمِ» وَلَـمْ يَذْكُـرِ الدَّجَّـالَ.

المعنى العام

يقول اللَّه تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

نعم فضل اللَّه بعض القبائل على بعض فى الدنيا، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، لكنه تعالى جعل الفضل الحقيقى للدين ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

---

(١٩٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَقَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ عَامِرٍ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ

(١٩٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٩٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مُغِيرَةَ عَنِ الْحَارِثِ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ

- وحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ عُمَارَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

- وحَدَّثَنَا حَامِدُ بْنُ عُمَرَ الْبَكْرَاوِيُّ حَدَّثَنَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَلْقَمَةَ الْمَازِنِيُّ إِمَامُ مَسْجِدِ دَاوُدَ حَدَّثَنَا دَاوُدُ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

جاء الإسلام ولبعض القبائل رفعة على بعض، بالمال تارة، وبالقوة البدنية أخرى، وبالقوة العقلية والسلوكية ثالثة، وبالأصل والأحساب رابعة، فحول كل هذه الموازين إلى ميزان الإسلام، وصار السبق إلى الإسلام، وبذل النفس والمال فى سبيل إعلاء كلمة اللّه، والجهاد فى سبيل اللّه، هو الميزان الحقيقى، الذى يفاضل به بين القبائل، فارتفعت بهذا الميزان قبائل كانت قبل الإسلام غير رفيعة، وهبطت بهذا الميزان قبائل كانت قبل الإسلام عالية مرموقة.

يؤكد رسول اللّه ﷺ هذا المعنى فى نفوس أصحابه، ويقرره غاية التقرير، فيقول: غفار بسبق إسلامها غفر اللّه لها، وأسلم سالمها اللّه، والأنصار ومزينة وجهينة وأشجع وبنو عبداللّه هم أوليائى قبل الناس، وهم عند اللّه يوم القيامة خير من أسد وغطفان وهوازن وتميم.

ولا ينسى رسول اللّه ﷺ أن يثنى على أهل الفضل من القبائل ما لها من فضل، ولو كانت مفضولة بالنسبة لغيرها، فيذكر لتميم شدتها فى الحروب، وأدائها للصدقات، وانتسابها لإسماعيل عليه السلام، ولا ينسى أن يلعن من القبائل من تستحق اللعن، فيلعن بنى لحيان ورعلاً وذكوان وعصية، لما فعلوه بالمسلمين من غدر وتنكيل وتقتيل. فصلى اللّه وسلم وبارك عليه، ورضى عن صحابته أجمعين.

المباحث العربية

(**غفار غفر اللّه لها**) كذا فى الرواية الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة، وزاد فى الرواية الثالثة « أما إنى لم أقلها، ولكن قالها اللّه عز وجل » كما ذكرت واحدة من قبائل مولاهم اللّه ورسوله فى الرواية السادسة والسابعة، كما ذكرت فى الرواية الثامنة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة واحدة من قبائل، هى خير من بنى تميم وبنى عامر والحليفتين أسد وغطفان، كما ذكرت فى الرواية التاسعة واحدة من قبائل، هى خير عند اللّه يوم القيامة من أسد وطيئ وغطفان، كما ذكرت فى الرواية العاشرة واحدة من قبائل هى خير عند اللّه يوم القيامة من أسد وغطفان، وهوازن وتميم.

ومن مجموع الروايات تكون غفار قد فضلت بأن اللّه غفر لها، وبأن مولاها اللّه ورسوله، وبأنها أفضل من بنى تميم، وبنى عامر وأسد وغطفان وطيئ وهوازن.

والمذكور مع غفار فى الفضل الأنصار ومزينة وأشجع وجهينة وأسلم، وهذه القبائل التى فضلت كانت فى الجاهلية فى القوة والمكانة أقل من القبائل التى فضلت عليها، فلما جاء الإسلام كانوا أسرع دخولا فيه من أولئك، فانقلب الشرف إليهم بسبب ذلك.

واختصت غفار بقوله « غفر اللّه لها » لما اشتهروا به قبل إسلامهم من سرقة الحجيج الذين يمرون بديارهم، كما تشير إلى ذلك الرواية الحادية عشرة، حكى ابن التين أن بنى غفار كانوا يسرقون الحاج فى الجاهلية، فدعا لهم النبى ﷺ، بعد أن أسلموا - ليمحو عنهم ذلك العار، وهى جملة لفظها خبر، ويحتمل أن يكون معناها خبراً أيضاً، إشعاراً بأن ذنبها السابق قد غفر، لأن الإسلام يجب ما قبله،

ويحتمل أن معناها دعاء، أى أسأل اللّه أن يغفر لها ما تقدم وما تأخر، والمراد قطعا من آمن منهم، وفى هذه الرواية من البديع ما يعرف بجناس الاشتقاق.

والمراد بنو غفار - بكسر الغين وتخفيف الفاء، ابن مليل، بضم الميم وفتح اللام مصغرا، ابن صخرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وسبق منهم إلى الإسلام أبو ذر الغفارى وأخوه أنيس، وقد سبق الكلام عن إسلامهما قبل أربعة عشر باباً.

(**وأسلم سالمها اللّه**) وقد شاركت «غفار» فى كل ما فضلت به، وذكرت مصاحبة لها، متقدمة عليها أو تالية لها فى جميع روايات مسلم، عدا الرواية السادسة، ولعل سقوطها من الرواة وفى العبارة جناس الاشتقاق أيضا، واحتمال كونها خبراً لفظا ومعنى، أى جعلها اللّه مسالمة للإسلام فيما مضى، لأنها أسلمت دون اشتراك فى الحروب، واحتمال كونها خبرا لفظا، دعاء معنى، أى صنع اللّه بهم ما يرضيهم، والمراد من « سالم » سلم، كما فى قاتله اللّه.

و« أسلم » بن أفصى، بفتح الهمزة وسكون الفاء بعدها صاد، ابن حارثة بن عمرو بن عامر - أى ابن حارثة ابن امرئ القيس - بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، قال الرشاطى: الأزد جرثومة من جراثيم قطحان، وفيهم قبائل، فمنهم الأنصار وخزاعة وغسان وغيرهم.

ونسب حارثة بن عمرو متصل باليمن، وقد خاطب النبى ﷺ بنى أسلم بأنهم من بنى إسماعيل، كما فى حديث سلمة بن الأكوع.

(**اللّهم العن بنى لحيان، ورعلاً، وذكوان وعصية، عصوا اللّه ورسوله**) «لحيان» بكسر اللام وفتحها، وسكون الحاء، وهو ابن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، وزعم الهمدانى النسابة أن أصل بنى لحيان من بقايا جرهم، دخلوا فى هذيل، فنسبوا إليهم.

و« رعل » بكسر الراء وسكون العين، بطن من بنى سليم، ينسبون إلى رعل بن عوف بن مالك بن امرئ القيس بن لهيعة بن سليم.

و« ذكوان » بطن من بنى سليم أيضا، ينسبون إلى ذكوان بن ثعلبة.

و« عصية » بطن من بنى سليم أيضا، ينسبون إلى « عصية » بضم العين وفتح الصاد، مصغر ابن خفاف، بضم الخاء، ابن امرئ القيس بن بهثة بضم الباء وسكون الهاء بعدها ثاء، ابن سليم.

أما جريمة بنى لحيان فيرويها البخارى تحت باب غزوة الرجيع، عن أبى هريرة ﷺ قال: « بعث النبى ﷺ سرية » وفى رواية أنهم كانوا عشرة، وفى أخرى أنهم كانوا سبعة، بعثهم إلى مكة عيونا يتجسسون على قريش، ويأتونه بأخبارهم، وكان ذلك فى السنة الثالثة « فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة، ذكروا لحى من هذيل، يقال لهم: بنو لحيان، فتبعوهم بنحو مائة رام، فاقتصوا آثارهم، حتى أتوا منزلا نزلوه، فلحقوهم، فهربوا منهم على تل، فجاء القوم فأحاطوا بهم، وقالوا لهم: إنا واللّه ما نريد قتالكم، إنما نريد أن نصيب منكم شيئا من أهل مكة، ولكم العهد والميثاق - إن نزلتم إلينا أن

لا نقتل منكم رجلا، فقال عاصم - قائد المسلمين - أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر، اللَّهم أخبر عنا نبيك، فقاتلوهم، حتى قتلوا عاصماً فى سبعة نفر، بالنبل، وبقى ثلاثة، خبيب وزيد بن الدثنة وعبد اللَّه بن طارق، فأعطوهم العهد والميثاق، فنزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم، فربطوهم بها، فقال عبد اللَّه: هذا أول الغدر، وأبى أن يصحبهم، فجروه، وحاولوا أن يصحبهم، فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد نحو مكة، فباعوهما هناك، فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر ابن نوفل، وكان خبيب قد قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيرا، حتى خرجت الأشهر الحرم، فخرجوا به من الحرم إلى التنعيم ليقتلوه، فقال: دعونى أصلى ركعتين، فلما صلاهما، انصرف إليهم، فقال: لولا أن تروا أن الذى بى جزع من الموت لزدت فى الصلاة، ثم قال: اللَّهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحدا، ثم قال:

ما إن أبالى حين أقتل مسلما ∴ على أى شق كان فى اللَّه مصرعى

وذلك فى ذات الإله، وإن يشأ ∴ يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث، فقتله، فلم يحل الحول، ومنهم أحد حى.

وأما زيد فاشتراه صفوان بن أمية، فقتله بأبيه».

هذه قصة بنى لحيان، وسبب لعنهم والدعاء عليهم. وقد قنت صلى اللَّه عليه وسلم شهرا يدعو عليهم وعلى رعل وذكوان وعصية فى صلاة الصبح.

وأما قصة رعل وذكوان وعصية فيرويها البخارى أيضا، تحت عنوان: غزوة رعل وذكوان وبئر معونة، وتعرف بسرية القراء، ويرويها أصحاب السير بأن رؤساء هذه القبائل كانوا قد جاءوا رسول اللَّه ﷺ، فأسلموا ظاهرا، ثم طلبوا من رسول اللَّه ﷺ أن يمدهم بجماعة من أصحابه رجاء أن يدعوا الناس، فيسلموا، فبعث معهم سبعين رجلا من الأنصار، يقال لهم القراء، كانوا يحتطبون بالنهار، ويبيعون الحطب، ويشترون به الطعام لأهل الصفة، ويتدارسون القرآن بالليل ويصلون، فلما نزلوا بئر معونة استمكنوا منهم، وغدروا بهم، ونقضوا عهدهم مع رسول اللَّه ﷺ، فقتلوهم عن آخرهم، إلا رجلا أعرج، صعد الجبل.

وجملة «عصوا اللَّه ورسوله» مستأنفة استئنافا تعليليا، والضمير فيها يعود على القبائل الأربع، ولا يتعارض هذا مع قوله فى الرواية الخامسة «عصية عصت اللَّه ورسوله» فإن الموصوفين بوصف كل منهم موصوف بهذا الوصف.

(الأنصار ومزينة وجهينة وغفار وأشجع ومن كان من بنى عبد اللَّه، موالى، دون الناس، واللَّه ورسوله مولاهم) زادت الرواية السابعة فى القبائل المفضلة قريشا وأسلم، ونقصت الرواية الثامنة الأنصار، وقريشا، فيؤخذ بالزيادة على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكر الآخر.

وقد سبق الكلام عن قريش والأنصار و غفار وأسلم.

أما مزينة فبضم الميم وفتح الزاى وسكون الياء، وهو اسم امرأة عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس ابن مضر، وهى مزينة بنت كلب بن وبرة، وهى أم أوس وعثمان ابنى عمرو، فولد هذين يقال لهم: بنو مزينة، والمزنيون من قدماء الصحابة منهم عبد الله بن مغفل المزنى، وعمه خزاعى بن عبد نهم، وإياس بن هلال، وابنه قرة بن إياس.

وأما جهينة فهم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم، ومن مشهور الصحابة منهم عقبة ابن عامر الجهنى وغيره.

وأما أشجع بالشين والجيم والعين، على وزن أحمر، وهم بنو أشجع بن ريث بفتح الراء وسكون الياء بعدها ثاء، ابن غطفان بن سعد بن قيس، ومن مشهور الصحابة منهم نعيم بن مسعود بن عامر، وقد سبق القول بأن المقصود المجموع والإجمال، لا الجميع والاستغراق، ولذلك كانت العبارة مع بعضهم « ومن كان من بنى عبد الله » فى الرواية السادسة، أى ومن كان مؤمنا من بنى عبد الله، و« من كان من جهينة » أى ومن كان مؤمنا من جهينة، وفى الرواية الثامنة والتاسعة، « أو شيء من جهينة » فى الرواية العاشرة، و« من كان من مزينة » فى الرواية التاسعة.

ونلاحظ أن من كان من بنى عبد الله ذكروا فى مقام المدح والتفضيل فى الرواية السادسة، وذكروا فى مقام الذم والمفضل عليهم فى الرواية الثالثة عشرة، وفى البخارى، فالأولون من آمنوا، والآخرون من لم يؤمنوا، وبنو عبد الله بن غطفان بفتح الغين والطاء بعدها فاء، أى ابن سعد بن قيس عيلان بن مضر، وكان اسم عبد الله بن غطفان فى الجاهلية عبد العزى، فصيره النبى ﷺ عبد الله، وبنوه يعرفون ببنى المحولة، لتحويل اسم أبيهم.

أما المفضل عليهم فهو بنو تميم وبنو عامر وأسد وغطفان وطيئ وهوازن.

وبنو تميم بن مر، بضم الميم وتشديد الراء، ابن أد، بضم الهمزة وتشديد الدال، ابن طابخة بن إلياس بن مضر، وفيهم بطون كثير، وقد ارتدوا بعد وفاة النبى ﷺ مع سجاح، ولا يتعارض هذا مع مدحهم ببعض الصفات فى بعض الأحوال، كما سيأتى عنهم فى الرواية السادسة عشرة وملحقيها.

وبنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وقد ذكر بنو عامر فى الرواية الثامنة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة، وذكرت بدلها.

هوازن: فى الرواية العاشرة، قال الحافظ ابن حجر: فذكر هوازن أشمل من ذكر بنى عامر، ومن قبائل هوازن - غير بنى عامر - بنو نصر بن معاوية، وبنو سعد بن بكر بن هوازن، وثقيف، وهو قيس ابن منبه بن بكر ابن هوازن، والجميع يجمعهم هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بفتح الخاء وسكون الصاد بعدها فاء.

وأسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وكانوا عددا كثيرا، وكانت منازلهم ظاهر مكة، حتى وقع بينهم وبين خزاعة شجار، فقتل فضالة بن عبادة بن مرارة الأسدى هلال بن أمية الخزاعى، فقتلت خزاعة فضالة بصاحبها، فنشبت الحرب بينهم، فبرحت

بنو أسد عن منازلهم، فحالفوا غطفان، فصار يقال للطائفتين: الحليفان . أسد وغطفان كما فى الرواية الثامنة عشرة.

وطيئ ذكرت فى المفضل عليهم فى الرواية التاسعة، وهى بفتح الطاء وتشديد الياء المكسورة بعدها همزة، وحكى تركها، وهو ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، يقال: كان اسمه جلهمة، فسمى طيئا، لأنه أول من طوى بئراً، وقبيلة طيئ من القبائل التى تأخر إسلامها إلى سنة الوفود، وكان رئيسها عدى بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج، بوزن جعفر، ابن امرئ القيس بن عدى الطائى.

وذكر ابن إسحاق أن خيل النبى ﷺ أصابت أخت عدى، فقالت له: هلك الوالد، وغاب الوافد، قال لها: من وافدك؟ قالت: عدى بن حاتم . قال: الفار من الله ورسوله؟ قالت: امنن من الله عليك. قال: اطلقوا سراحها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، فلما قدمت بنت حاتم على عدى أخيها أشارت عليه بالقدوم على رسول الله ﷺ ، فقدم وأسلم. ويروى الإمام أحمد فى سبب إسلام عدى أنه قال: لما بعث النبى ﷺ كرهته، فانطلقت إلى أقصى الأرض، مما يلى الروم، ثم كرهت مكانى، فقلت: لو أتيته؟ فإن كان كاذبا لم يخف على، فأتيته، فقال: أسلم تسلم. فقلت: إن لى دينا - وكان نصرانياً، فذكر إسلامه.

(**فوالذى نفسى بيده. إنهم لأخير منهم**) كذا فى الرواية الحادية عشرة، قال النووى: هكذا هو فى جميع النسخ « لأخير» وهى لغة قليلة، تكررت فى الأحاديث، وأهل العربية ينكرونها، يقولون: الصواب « خير» و« شر» ولا يقال « أخير» ولا « أشر» ولا يقبل إنكارهم فهى لغة، قليلة الاستعمال.

(**عن عدى بن حاتم ؓ قال: أتيت عمر بن الخطاب**) أى فى خلافته.

(**فقال لى: إن أول صدقة بيضت وجه رسول الله ﷺ، ووجوه أصحابه، صدقة طيئ، جئت بها إلى رسول الله ﷺ**) وجاءت هذه الصدقة فى أخريات أيامه صلى الله عليه وسلم، والمراد من تبيضها الوجوه أنها سرتهم وأفرحتهم، لسرورهم بإسلام طيئ.

وقد روى البخارى عن عدى ؓ قال: « أتينا عمر فى وفد، فجعل يدعو رجلا رجلا، ويسميهم، فقلت: أما تعرفنى يا أمير المؤمنين؟ قال:بلى. أسلمت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وعرفت إذ أنكروا. فقال عدى: فلا أبالى إذن » أى إذا كنت تعرف قدرى فلا أبالى إذا قدمت على غيرى من قومى.

(**قدم الطفيل وأصحابه فقالوا: يا رسول الله، إن دوسا قد كفرت، وأبت، فادع الله عليها. فقيل: هلكت دوس**) حيث طلبوا من الرسول ﷺ أن يدعو عليها بالهلاك، فسكت قليلا، فظنوه دعا عليهم فقالوا: هلكت.

(**فقال: اللهم اهد دوسا، وائت بهم**) و« دوس » بفتح الدال وسكون الواو بعدها

سين مكسورة و« دوس » قبيلة أبى هريرة، وهم ينتسبون إلى دوس بن عدثان بضم العين وسكون الدال بعدها ثاء، ابن عبد اللّه ابن زهران، وينتهى نسبهم إلى الأزد، وكانوا فى الجاهلية يعبدون صنما يقال له: ذو الخلصة.

والطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس، والقائل: « إن دوسا قد كفرت، وأبت، فادع اللّه عليها » هو الطفيل وأصحابه، وكان الطفيل قد أسلم بمكة، ورجع إلى بلاد قومه، ودعا أبويه إلى الإسلام ،فأسلم أبوه، ولم تسلم أمه، ودعا قومه، فأجابه أبو هريرة وحده، ثم وافى النبى ﷺ فى عمرة القضاء، وقيل: قدم مع أبى هريرة بخيبر، فكان هذا القول منه، وكان هذا الدعاء من رسول اللّه ﷺ، وأجاب اللّه الدعاء فجاء حبيب بن عمرو بن حثمة حاكم الدوس، ومعه خمسة وسبعون رجلا من قومه، فأسلم وأسلموا.

(**قال أبو هريرة: لا أزال أحب بنى تميم من ثلاث سمعتهن من رسول اللّه ﷺ**) وفى ملحق الرواية « لا أزال أحب بنى تميم بعد ثلاث ... » وعند البخارى « مازلت أحب بنى تميم منذ ثلاث... » أى من حين سمعت الخصال الثلاث، زاد أحمد « وما كان قوم من الأحياء أبغض إلى منهم، فأحببتهم » وكان ذلك لما كان يقع بينهم وبين قوم أبى هريرة فى الجاهلية من العداوة.

(**هم أشد أمتى على الدجال**) وفى الملحق الثانى للرواية « هم أشد الناس قتالا فى الملاحم» وهى أعم مما فى الرواية الأساسية، ويمكن أن يحمل العام فى ذلك على الخاص، فيكون المراد بالملاحم أكبرها، وهو قتال الدجال، أو ذكر الدجال ليدخل غيره بالطريق الأولى. قاله ابن حجر.

(**وجاءت صدقاتهم، فقال النبى ﷺ: هذه صدقات قومنا**) قال العلماء: إنما نسبهم إليه، لاجتماع نسبهم بنسبه صلى اللّه عليه وسلم فى إلياس بن مضر، وليس هذا القول بذاك، فما أكثر القبائل التى يجتمع نسبها بنسبه، ولم يقل فيهم مثل ذلك، والأولى أن يقال: إنما نسبهم إليه تأليفا لقلوبهم، فقد كانوا قوماً غلاظاً.

(**وكانت سبية منهم عند عائشة**) أى من بطن من بطونهم، وعند الطبرانى أن عائشة كانت نذرت أن تعتق محررًا من بنى إسماعيل، فلما قدم سبى بنى العنبر قال لها صلى اللّه عليه وسلم: ابتاعى منهم، فإنهم ولد إسماعيل، وبنو العنبر بطن من بطون تميم، وفى رواية « نسمة » بدل « سبية ».

فقه الحديث

يؤخذ من الأحاديث

١- جواز التفضيل بين القبائل، بهدف دينى، ولا يعد ذلك من الغيبة.

٢- فيها مناقب للقبائل التى فضلت.

٣- جواز استعمال الجناس، دون تكلف فإنه يلذ على السمع، لسهولته وانسجامه.

٤- أن الشرف يحصل للمجموع، إذا حصل لبعضه.

٥- أخذ بعضهم من قوله « موالى » فى الرواية السادسة والسابعة، النهى عن استرقاقهم، وأنهم لا يدخلون تحت الرق. قال الحافظ ابن حجر: وهذا بعيد.

٦- ومن الرواية الرابعة جواز لعن الكفار جملة، أو لعن طائفة منهم، بخلاف الواحد بعينه.

٧- وجواز ذلك فى القنوت فى الصلاة.

٨- ومن الرواية الحادية عشرة أن الإسلام يجب ما قبله.

٩- وجبر خاطر من وقع فى زلات، ورد اعتباره إليه بالإحسان اللاحق.

١٠- ومن الرواية الرابعة عشرة أن المسلم يسره ويفرحه قيام الآخرين بشعائر الإسلام.

١١- ومن الرواية الخامسة عشرة استحباب الدعاء بالهداية للضالين، وإن طلب الدعاء عليهم.

١٢- ومن الرواية السادسة عشرة أن الخصوصية لا تقتضى الأفضلية، فقد ذكرت خصوصيات لبنى تميم وهم مع ذلك مفضولون.

١٣- وفيها فضيلة ظاهرة لبنى تميم.

١٤- وفيها دليل للجمهور فى صحة تملك العربى، وإن كان الأفضل عتق من يسترق منهم، وفرق بعضهم بين عربى من ولد فاطمة رضى اللَّه عنها، مثلا، فيجب إعتاقه، وبين عربى من ولد إسماعيل عليه السلام فيستحب.

والله أعلم

(٦٧٢) باب خيار الناس

٥٦١٤- ١٩٩/١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(١٩٩)؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ. فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقِهُوا. وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الأَمْرِ، أَكْرَهُهُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ. وَتَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ».

٥٦١٥- وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ» بِمِثْلِ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ. غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ أَبِي زُرْعَةَ وَالأَعْرَجِ: «تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ، أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً، حَتَّى يَقَعَ فِيهِ».

المعنى العام

لاشك أن الناس قديما وحديثا كالمعادن منها النفيس، ومنها الخسيس، منها ما يساوى الفلس، ومنها ما يساوى القنطار، والقبائل قبل الإسلام كانت معروفة الحسب والنسب، موزونة القدر والقيمة، فمن كان منها شريفا قبل إسلامه، فأسلم وتفقه اتصل شرفه وعلا قدره، وبقى فى المسلمين شريفا مرموقا، كما كان بين الكافرين شريفا مرموقا، ومن كان شريفا فى الكفر، فلم يسلم، فليس له بين المسلمين شرف ولا قدر، ومن كان غير شريف فأسلم وتفقه شرف بالإسلام وبالفقه، وكان شرفه أقل من شريف أسلم وتفقه فى الدين، وهكذا يسلم الكافر على ما كان من خير له، ويستصحب معه ما قدم من مكارم الأخلاق، ومن سجايا الفضيلة والمعروف، كمن آمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب، فإنه يؤتى أجره مرتين.

ومن خيار الناس من لا يسأل الإمارة، ولا يحرص عليها، فإن جاءته أعانه اللَّه عليها.

ومن شرار الخلق المنافق، ذو الوجهين الذى يثير الفتنة بين الناس، ويأتى هؤلاء بوجه وقول، وهؤلاء بوجه وقول، والمعدن النفيس لا يجرى وراء الإمارة لئلا يقع فى مسئولياتها التى لا يقدر عليها، ولا يكون أبدًا ذا وجهين ولا من المنافقين.

---

(١٩٩) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ عُمَارَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ح وحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِزَامِيُّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(**تجـدون**) الخطاب لسامعي الكلام من الصحابة، وغيرهم من غير الحاضرين مخاطبون بما خوطبوا به على طريق القياس، ويحتمل أن يكون خطابا لكل من يتأتى خطابه بذلك، في كل زمان ومكان.

(**الناس معادن**) أل في «الناس» وإن صلحت للجنس، لكن الأولى هنا أن تكون للعهد الذهني، والمقصودون الناس الذين جمعوا بين الجاهلية والإسلام، وفي الجملة تشبيه بليغ، حذف منه الوجه والأداة، أي أصول الناس وأحسابها كالمعادن في اختلافها من نفيس إلى خسيس، والمعادن جمع معدن، وهو الشيء المعروف المستقر في الأرض.

(**فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام**) هذا التفريع تشبيه آخر، حذف منه الوجه والأداة والمشبه به، لأن المعدن النفيس، في باطن الأرض نفيس، فإذا استخرج بقيت نفاسته وظهرت، وكذلك الأصول الشريفة في الجاهلية، هي رءوس بالنسبة إلى أهل الجاهلية، فإن أسلم الشريف استمر شرفه، وكان أشرف ممن أسلم من المشروفين في الجاهلية، فالذهب إذا استخرج وصنع سيفا، أشرف وأعظم قيمة من الحديد إذا استخرج وصنع سيفا.

(**إذا فقهوا**) بضم القاف، ويجوز كسرها، وفيه إشارة إلى أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه في الدين، فالتفقه في الدين في جانب المشبه يعدل الصنعة في جانب المشبه به.

قال الحافظ ابن حجر: وعلى هذا فتنقسم الناس إلى أربعة أقسام، مع ما يقابلها:

الأول: شريف في الجاهلية أسلم وتفقه (فهو كالذهب استخرج، وصنع حلية جميلة) ويقابله على النقيض منه مشروف في الجاهلية، لم يسلم، ولم يتفقه (فهو كالحديد الذي لم يستخرج).

الثاني: شريف في الجاهلية، أسلم ولم يتفقه (فهو كالذهب استخرج، ولم يصنع) ويقابله على النقيض مشروف في الجاهلية، لم يسلم، وتفقه.

الثالث: شريف في الجاهلية لم يسلم، ولم يتفقه (فهو كالذهب لم يستخرج) ويقابله مشروف في الجاهلية، أسلم، ثم تفقه (فهو كالحديد، استخرج وصنع صنعة جميلة).

الرابع: شريف في الجاهلية، لم يسلم، وتفقه، ويقابله مشروف في الجاهلية، أسلم، ولم يتفقه (فهو كالحديد، استخرج، ولم يصنع).

قال: فأرفع الأقسام من شرف في الجاهلية، ثم أسلم وتفقه.

ويليه من كان مشروفا، ثم أسلم وتفقه.

ويليه من كان شريفا في الجاهلية، ثم أسلم، ولم يتفقه.

ويليه من كان مشروفا فى الجاهلية، ثم أسلم، ولم يتفقه.

أما من لم يسلم فلا اعتبار به، سواء كان شريفا، أو مشرفا، وسواء تفقه، أو لم يتفقه.

قال: والمراد بالخيار، فى قوله «خيارهم» وبقولنا «شريف» من كان متصفا بمحاسن الأخلاق، من جهة ملاءمة الطبع ومنافرته خصوصا بالانتساب إلى الآباء المتصفين بذلك، كالكرم والعفة والحلم والنجدة، متوقيا لمساويها كالبخل والفجور والظلم والخذلان وغيرها، ثم الشرف فى الإسلام بالخصال المحمودة شرعا.

ولفظ «الخيار» جمع «خير» و«خير» تصلح صفة مطلقة، وتصلح أفعل تفضيل، تقول خير فيحتمل أن المعنى من كان فيه خير فى الجاهلية ففيه خير فى الإسلام، ويحتمل أن المعنى من اتصف بالأخيرية فى الجاهلية، اتصف بها فى الإسلام.

(وتجدون من خير الناس فى هذا الأمر أكرههم له قبل أن يقع فيه) وفى ملحق الرواية «تجدون من خير الناس فى هذا الشأن أشدهم له كراهية، حتى يقع فيه» وعند البخارى «وتجدون خير الناس» وتقدير «من» فى روايته هنا ضرورية، لأن من اتصف بذلك لا يكون خير الناس على الإطلاق.

واختلف فى المراد من الأمر أو الشأن، فقال الحافظ ابن حجر: المراد به الولاية والإمرة، لأن الدخول فى عهدة الإمرة مكروه، من جهة تحمل المشقة فيه، وإنما تشتد الكراهة له ممن يتصف بالعقل والدين، لما فيه من صعوبة العمل بالعدل، وحمل الناس على رفع الظلم، ولما يترتب عليه من مطالبة اللَّه تعالى للقائم به من حقوقه وحقوق عباده، ولا يخفى خيرية من خاف مقام ربه.

ثم قال: وأما قوله «حتى يقع فيه» فاختلف فى مفهومه، فقيل: معناه أن من لم يكن حريصا على الإمرة، غير راغب فيها، إذا حصلت له بغير سؤال، تزول عنه الكراهة فيها، لما يرى من إعانة اللَّه له عليها، فيأمن على دينه مما كان يخاف عليه منها، قبل أن يقع فيها، ومن هنا أحب من أحب استمرار الولاية، من السلف الصالح، حتى قاتل عليها، وصرح بعض من عزل منهم بأنه لم تسره الولاية، بل ساءه العزل.

وقيل: المراد بقوله «حتى يقع فيه» أى فإذا وقع فيه لا يجوز له أن يكرهه، وقيل: معناه أن العادة جرت بذلك، وأن من حرص على الشيء، ورغب فى طلبه قل أن يحصل له، ومن أعرض عن الشيء، وقلت رغبته فيه يحصل غالبا.اهـ.

وللقاضى عياض رأى آخر فى المراد من الأمر والشأن، فيقول: يحتمل أن المراد به الإسلام، كما كان من عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبى جهل، وسهيل بن عمرو، وغيرهم من مسلمة الفتح، وغيرهم ممن كان يكره الإسلام، كراهية شديدة، فلما دخل فيه أخلص وأحبه، وجاهد فيه حق جهاده. اهـ. وما قاله الحافظ ابن حجر أولى بالقبول، وإن كان الترابط بين ما قاله القاضى عياض وبين صدر الحديث قويا، والمناسبة ظاهرة، لكن لا يقال: إن عمرا وعكرمة وسهيلا كانوا فى الإسلام خيرا من أبى بكر رضى اللَّه عنهم أجمعين.

(وتجدون من شرار الناس ذا الوجهين، الذى يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه) وفى رواية للبخارى « تجدون شر الناس » و« من » فيها مقدرة، كما سبق، و« أل » فى « الناس » هنا للجنس، فذو الوجهين من أفحش الناس شرا، ويؤيده رواية « من شر خلق اللّه ذو الوجهين ». قال القرطبى: إنما كان ذو الوجهين شر الناس، لأن حاله حال المنافق، إذ هو متملق بالباطل وبالكذب، مدخل للفساد بين الناس، ويحتمل أن تكون « أل » فى « الناس » للعهد، والمراد بهم أهل الطائفتين المتضادتين، فإن كل طائفة منهما مجانبة للأخرى ظاهرا، فلا يتمكن من الاطلاع على أسرارها إلا بما ذكر من خداعه الفريقين، ليطلع على أسرارهم، فهو شرهم كلهم. قال النووى: هو الذى يأتى كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها، ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق ومحض كذب وخداع، وتحيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين. اهـ وجاء فى رواية الإسماعيلى « الذى يأتى هؤلاء بحديث هؤلاء، وهؤلاء بحديث هؤلاء ». وقال ابن عبد البر: حمله على ظاهره جماعة، وهو أولى، وتأوله قوم على أن المراد به من يرائى بعمله، فيرى الناس خشوعا، واستكانة، ويوهمهم أنه يخشى اللّه، حتى يكرموه، وهو فى الباطن بخلاف ذلك، قال: وهذا محتمل لو اقتصر الحديث على صدره « وتجدون من شرار الناس ذا الوجهين » فإنه داخل فى مطلق ذى الوجهين، لكن بقية الحديث ترد هذا التأويل، وهى قوله « يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه ».

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- أن الحسب له قيمته فى الإسلام.

٢- أن الفقه والعلم بأمور الشريعة ركن متمم للإسلام.

٣- ذم السعى وراء الإمارة، ومدح من يعف عنها، ويزهد فيها.

٤- ذم النفاق والسعى بين الناس بالفساد، ونقل الحديث والأخبار. قال النووى: أما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فهو محمود. وقال بعضهم: الفرق بينهما أن المذموم من يزين لكل طائفة عملها، ويقبحه عند الأخرى، ويذم كل طائفة عند الأخرى، والمحمود أن يأتى لكل طائفة بكلام فيه صلاح الأخرى، ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى، وينقل ما يمكنه من الجميل، ويستر القبيح.

واللّه أعلم

(٦٧٣) باب من فضائل نساء قريش

٥٦١٦- ٢٠٠/١ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢٠٠) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «»خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ (قَالَ أَحَدُهُمَا: صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ. وقَالَ الآخَرُ: نِسَاءُ قُرَيْشٍ) أَحْنَاهُ عَلَى يَتِيمٍ فِي صِغَرِهِ. وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ».

٥٦١٧- – عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ. يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ. وَابْنُ طَاوُسٍ عَن أَبِيهِ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ. بِمِثْلِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «أَرْعَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ» وَلَمْ يَقُلْ: يَتِيمٍ.

٥٦١٨- ٢٠١/٢ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢٠١) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نِسَاءُ قُرَيْشٍ خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ. أَحْنَاهُ عَلَى طِفْلٍ. وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ». قَالَ: يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ: وَلَمْ تَرْكَبْ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ بَعِيرًا قَطُّ.

٥٦١٩- – وَفِي رواية عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ أُمَّ هَانِئٍ، بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ. وَلِي عِيَالٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ» ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ».

٥٦٢٠- ٢٠٢/٣ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢٠٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ، صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ».

المعنى العام

فضل اللّه بعض الأزمنة على بعض، وفضل بعض الأمكنة على بعض، وفضل بعض الناس على

---

(٢٠٠) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَن أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ح وَعَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٢٠١) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَن ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ
– حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدٌ أَخْبَرَنَا وقَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عن أبى هريرة

(٢٠٢) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا و قَالَ عَبْدٌ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ح و حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَن هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ
– حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ الأَوْدِيُّ حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ مَخْلَدٍ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ بِلالٍ حَدَّثَنِي سُهَيْلٌ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ مَعْمَرٍ هَذَا سَوَاءً .

بعض، وفضل بعض الرسل على بعض، وفضل بعض الرجال على بعض، وفضل بعض النساء على بعض، ولكل تفضيل جهة فضل، وليست هناك أفضلية من جميع الجهات.

وهذا الحديث يفضل نساء قريش على نساء العرب من زاوية معينة، هى زاوية العطف على الولد، وحسن رعايته وتربيته إذا فقد أباه، وآية هذا الحنان تظهر عند اشتداد الحاجة إليه، وتشتد الحاجة إليه عند فقد المربى الأول، والراعى الأول للأولاد، وهو الأب، وآية حنان الأم، أن تقيم على أولادها، وتمنحهم كل مشاعرها وعطفها، فإن هى تزوجت رجلا غير أبيهم، فقدت بعض عطفها عليهم، بل قد تفقد كل عطفها عليهم.

كما يفضل الحديث نساء قريش من زاوية أخرى هى زاوية رعاية الزوج فى ماله، وحفظه فى بيته، وحسن تبعله، أما نساء الأنصار، فقد فضلن من زاوية أخرى «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين».

المباحث العربية

(**خير نساء ركبن الإبل نساء قريش**) وفى الرواية الثالثة «صالح نساء قريش» وهذا القيد مراد فى الرواية الأولى، قال النووى: ومعنى «ركبن الإبل» نساء العرب. وقال القرطبى: هذا تفضيل لنساء قريش على نساء العرب خاصة، لأنهم أصحاب الإبل غالبا، وقد عرف أن العرب خير من غيرهم مطلقا فى الجملة، فكأنه قال: خير النساء نساء قريش، أو صالح نساء قريش. وفى رواية «صلح نساء قريش» بضم الصاد وفتح اللام المشددة، بصيغة الجمع، والمراد بالصلاح هنا صلاح الدين وحسن المخالطة مع الزوج ونحو ذلك.

وفى ملحق الرواية الثانية بيان سبب ورود هذا الحديث، وفيه «أن النبى ﷺ خطب أم هانئ بنت أبى طالب فقالت: يا رسول الله، إنى قد كبرت، ولى عيال. فقال رسول الله ﷺ: خير نساء ركبن الإبل...» ويذكر الحافظ ابن حجر فى الإصابة وابن عبد البر فى الاستيعاب أن النبى ﷺ خطب أم هانئ من أبيها عمه أبى طالب، وكان اسمها فاختة، وقيل: فاطمة، وقيل: هند وهى شقيقة على، وخطبها فى الوقت نفسه هبيرة ابن عمرو بن عائذ المخزومى، فزوج هبيرة، واعتذر للنبى ﷺ، ثم فرق الإسلام بين أم هانئ وبين هبيرة، لأن هبيرة لم يسلم، ولما فتحت مكة هرب إلى نجران، وقال معتذرا عن فراره:

لعمرك ما وليت ظهرى محمدا ∴ وأصحابه جبنا ولا خيفة القتل

ولكننى قلبت أمرى فلم أجد ∴ لسيفى غناء -إن ضربت- ولا نبلى

وقفت فلما خفت ضيعة موقفى ∴ رجعت لعود كالهزبر أبى الشبل

ولما علم هبيرة بإسلام أم هانئ قال فيها شعرا، منه قوله يخاطبها:

لئن كنت قد تابعت دين محمد ∴ وعطفت الأرحام منك حبالها
فكونى على أعلى سحيق بهضبة ∴ ممنعة لا تستطاع قلالها
فإنى من قوم إذا جد جدهم ∴ على أى حال أصبح القوم حالها
وإنى لأحمى من وراء عشيرتى ∴ إذا كثرت تحت العوالى مجالها

ولدت أم هانئ لهبيرة عمرا وهانئا ويوسف وجعدة، فلما فرق الإسلام بين أم هانئ وبين هبيرة خطبها النبى ﷺ، فقالت: يا رسول الله. والله، إنى كنت لأحبك فى الجاهلية فكيف فى الإسلام، ولأنت أحب إلى من سمعى وبصرى، وحق الزوج عظيم، وأنا أخشى أن أضيع حق الزوج، وأنا امرأة مصبية، فأكره أن يؤذوك، فقال ﷺ: « خير نساء ركبن الإبل.... » الحديث.

فلما أدرك بنوها عرضت نفسها على النبى ﷺ، فقال: أما الآن فلا، لأن الله أنزل عليه قوله ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] ولم تكن من المهاجرات. عاشت رضى الله عنها بعد على ﷺ.

(**أحناه على يتيم فى صغره، وأرعاه على زوج فى ذات يده**) فى ملحق الرواية « أرعاه على ولد فى صغره » وفى الرواية الثانية « أحناه على طفل » و « أحناه » بسكون الحاء، أى أكثره شفقة، وعطفا من الحنو، يقال: حنا يحنو ويحنى، من الثلاثى، وأحنى يحنى من الرباعى، والحانية التى تقوم بولدها بعد موت الأب، قال ابن التين: وحنت المرأة على ولدها إذا لم تتزوج بعد موت الأب، فإن تزوجت فليست بحانية.

و« أرعاه على زوج » أى أحفظه، وأصونه لماله، بالأمانة فيه، والصيانة له، وترك التبذير فى الإنفاق، من الرعاية، وكان حقه أن يقول: أحناهن، وأرعاهن، أى أحنى النساء، لكن العرب تكلموا بالضمير مفردا مذكرا، على إرادة اللفظ أو الجنس أو الشخص أو الإنسان، وجاء نحو ذلك فى حديث « كان النبى ﷺ أحسن الناس وجها، وأحسنه خلقا » بالإفراد فى « أحسنه » الثانية، أى أحسن الجنس خلقا، ومر علينا قريبا حديث أبى سفيان، وقوله « عندى أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة » بالإفراد والتذكير فى « أجمله » قال أبو حاتم السجستانى: لا يكادون يتكلمون به إلا مفردا.

ومعنى « فى ذات يده » أى فى ماله ومكسبه المضاف إليه، ومنه قولهم: فلان قليل ذات اليد، أى قليل ما ملكت يداه، أى قليل المال، ووضعت المرأة ذات بطنها، أى ولدت، وأصل « ذات » مؤنث « ذو » بمعنى صاحب، فهى صفة لموصوف مؤنث محذوف، وأصل « أرعاه فى ذات يده » أى أرعى النساء فى الأموال صاحبة يده، ووضعت المرأة ذات بطنها، أى وضعت نفسا صاحبة بطنها، وقابلته ذات يوم، أى مقابلة صاحبة يوم، أى فى يوم، وما كلمته ذات شفة، أى ما كلمته كلمة صاحبة شفة، أى خارجة من شفة، وإصلاح ذات البين، أى إصلاح الشأن والحال صاحبة الفرقة، وجلس ذات اليمين، وذات الشمال، أى الجهة صاحبة اليمين والجهة صاحبة الشمال.

(**يقول أبو هريرة على إثر ذلك: ولم تركب مريم بنت عمران بعيراً قط**) يشير بذلك إلى أن « مريم » لم تدخل فى هذا العموم، لأنه قيد أصل الفضل بمن يركبن الإبل، ومريم لم تركب بعيرا قط، وقد اعترض بعضهم، فقال: كأن أبا هريرة ظن أن البعير لا يكون إلا من الإبل، وليس كما ظن، بل يطلق البعير على الحمار، وهذا الاعتراض ساقط، لأنه على فرض إطلاق البعير على الإبل وعلى الحمار، فنفى ركوبه يخرج « مريم » من عموم التفضيل. والظاهر أن أبا هريرة علم ذلك عن طريق النبى ﷺ، فعند أحمد « وقد علم رسول اللّه ﷺ أن مريم لم تركب بعيرا قط ».

فقه الحديث

فهم بعضهم أن أبا هريرة يرى أن مريم أفضل النساء مطلقا، وهذا مقبول على القول بأنها كانت نبية، وقد استدل على أنها كانت نبية بقوله تعالى ﴿**وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٤٢] وأنها ذكرت فى سورة مريم بمثل ما ذكر به الأنبياء، قالوا: ولا يمنع وصفها بأنها صديقة من كونها نبية، فإن يوسف عليه السلام وصف بذلك مع كونه نبيا، وقد نقل الأشعرى أن فى النساء نبيات، وجزم ابن حزم بنبيات ست: حواء، وسارة، وهاجر، وأم موسى وآسية ،ومريم، ولم يذكر القرطبى سارة ولا هاجر، ونقله السهيلى فى آخر الروض عن أكثر الفقهاء، وقال القرطبى: الصحيح أن مريم نبية، وقال عياض: الجمهور على خلافه، وذكر النووى فى الأذكار عن إمام الحرمين أنه نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية، ونسبه فى شرح المهذب لجماعة، وجاء عن الحسن البصرى: ليس فى النساء نبية، ولا فى الجن. وقال السبكى: اختلف فى هذه المسألة، ولم يصح عندى فى ذلك شيء. اهـ. وإخراج أبى هريرة « مريم » من المفاضلة لا يلزم منه أن تكون أفضل النساء مطلقا، لأن المفاضلة بين راكبات الإبل، والكثيرات من النساء لم يركبن الإبل فى سابق العصور ولاحقها، على أن « من » مقدرة، كما ذكرنا سابقا، لأن من اتصفت بذلك فقط لا تكون خير النساء على الإطلاق، فإخراج مريم من المفاضلة لا يمنع من إخراج غيرها، ولا يفيد تفضيل مريم على غيرها من النساء، وقد قالوا فى تفسير قوله تعالى: ﴿**وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ قالوا: على عالمى زمانها، وقد سبقت المسألة فى كتاب فضائل الصحابة أبواب من فضائل خديجة وعائشة وفاطمة رضى اللّه عنهن.

وفى الحديث منقبة لنساء قريش، وأن غير القرشيات لسن كفئا لهن، واستحباب تخير الزوجة، ذكره الحافظ ابن حجر.

وفى الحديث فضل الحنو والشفقة، وحسن التربية والقيام على الأولاد، وحفظ مال الزوج وحسن التدبير فيه، ومشروعية إنفاق الزوج على زوجته.

واللّه أعلم

(٦٧٤) باب مؤاخاة النبى ﷺ بين أصحابه، رضى الله عنهم

٥٦٢١- ٢٠٣/١ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه(٢٠٣) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ آخَى بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَبَيْنَ أَبِي طَلْحَةَ.

٥٦٢٢- ٢٠٤/٢ عَن عَاصِمٍ الأَحْوَلِ(٢٠٤) قَالَ: قِيلَ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: بَلَغَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا حِلْفَ فِي الإِسْلامِ»؟ فَقَالَ أَنَسٌ: قَدْ حَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ، فِي دَارِهِ.

٥٦٢٣- ٢٠٥/٣ عَن أَنَسٍ رضي الله عنه(٢٠٥) قَالَ: حَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ، فِي دَارِهِ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ.

٥٦٢٤- ٢٠٦/٤ عَن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه(٢٠٦) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا حِلْفَ فِي الإِسْلامِ. وَأَيُّمَا حِلْفٍ، كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، لَمْ يَزِدْهُ الإِسْلامُ إِلا شِدَّةً».

المعنى العام

التحالف والتعاهد على الخير عرف قبل الإسلام، وعرفته العرب، قالوا: وأول حلف بمكة حلف الأحابيش، سمى بذلك لتحالفهم عند حبش - جبل على سبعة أميال من مكة، وقيل: لتحبشهم أى تجمعهم، تحالفوا على أن يكونوا يدا على غيرهم مارسى حبش مكانه، ثم كان حلف قريش وثقيف ودوس على أن لا يعتدى بعضهم على بعض، ثم كان حلف المطيبين وأزد، وفى الحديث « ما شهدت من حلف إلا حلف المطيبين، وما أحب أن أنكثه وأن لى حمر النعم» وفى رواية « شهدت وأنا غلام حلفا مع عمومتى المطيبين » ثم كان حلف الفضول - وهم فضل وفضالة ومفضل، وكان حلفهم ألا يعين أحد ظالما، وأن يعان المظلوم، وظهر الإسلام على ذلك، فوقعت المؤاخاة فى الإسلام، وهى أحلاف بين أشخاص، وتعاون على البر والتقوى، وقد ضرب الأنصار فى ذلك المثل الأعلى، حتى نزل فيهم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

---

(٢٠٣) حَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ عَن ثَابِتٍ عَن أَنَسٍ

(٢٠٤) حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ الأَحْوَلُ قَالَ

(٢٠٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ قَالا حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَن عَاصِمٍ عَن أَنَسٍ

(٢٠٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو أُسَامَةَ عَن زَكَرِيَّاءَ عَن سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَن أَبِيهِ عَن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ

المباحث العربية

(**أن رسول الله ﷺ آخى بين أبى عبيدة بن الجراح، وبين أبى طلحة**) المؤاخاة رباط بين طرفين فى حقوق معينة، ليس بينهما أخوة نسب، قال ابن عبد البر: كانت المؤاخاة مرتين، مرة بين المهاجرين خاصة بمكة، ومرة بين المهاجرين والأنصار. اهـ وهى المقصودة هنا، وكان ابتداؤها بعد الهجرة بخمسة أشهر، وقيل: بتسعة أشهر، وقيل: بسنة وثلاثة أشهر، قبل بدر، والتحقيق أن ابتداء المؤاخاة كان أوائل قدومه المدينة، واستمر يجددها بحسب من يدخل فى الإسلام، أو يحضر إلى المدينة، والتحقيق أيضا أن بعض المؤاخاة كانت بين المهاجرين، بعضهم مع بعض، وبين بعضهم والأنصار، فعند الحاكم « آخى رسول الله ﷺ بين أبى بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عبد الرحمن بن عوف وعثمان » وفيه « آخى النبى ﷺ بين الزبير وابن مسعود » وقد ثبت أيضا أن كل واحد من هؤلاء قد آخى النبى ﷺ بينه وبين رجل من الأنصار، ولا مانع فى ذلك، فقد يكون للواحد عدد من الإخوة من النسب، والمقصود من المؤاخاة إرفاق بعضهم ببعض، وتأليف قلوب بعضهم على بعض، وقد يكون البعض أقوى فى المال أو العشيرة أو الجاه، فيستعين الأعلى بالأدنى، ويفيد الأدنى من الأعلى، قال السهيلى: آخى بين أصحابه، ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويأتنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد بعضهم أزر بعض، فلما عز الإسلام، واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة، أبطل الإرث بالأخوة، وجعل المؤمنين كلهم إخوة يعنى فى التواد، وشمول الدعوة اهـ.

وقد ذكر ابن سعد « لما قدم النبى ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين، وآخى بين المهاجرين والأنصار، على المواساة، وكانوا يتوارثون، وكانوا تسعين نفسا، بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار، فلما نزل ﴿**وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ**﴾ [الأحزاب: ٦] بطلت المواريث بالمؤاخاة، وبقى بها المعاونة والمواساة.

وفى البخارى « كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث الأنصارى المهاجرى، دون ذوى رحمه، للأخوة التى آخى النبى ﷺ بينهم... ».

وأبو عبيدة بن الجراح مهاجر، خصص لبعض فضائله باب مستقل، قبل خمسة وثلاثين بابا، وأبو طلحة أنصارى، زوج أم سليم، والدة أنس بن مالك.

(**قيل لأنس: بلغك أن رسول الله ﷺ قال: لا حلف فى الإسلام؟**) الكلام على الاستفهام، مع حذف الأداة، وهى مذكورة فى رواية البخارى، والحلف بكسر الحاء وسكون اللام، العهد، وكأن السائل يشير بذلك السؤال إلى روايتنا الرابعة.

(**فقال أنس: قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار فى داره**) قال ابن عيينة: حالف بينهم، أى آخى بينهم. اهـ فمعنى الحلف فى الجاهلية معنى الأخوة فى الإسلام، لكنه فى الإسلام يجرى على أحكام الدين وحدوده، وحلف الجاهلية كان يجرى على ما كانوا يضعونه بينهم

بآرائهم، فبطل من حلف الجاهلية ما خالف حكم الإسلام، وبقى ما عدا ذلك على حاله، وفى الرواية الثالثة « حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار فى داره التى بالمدينة » وفى بعض النسخ « فى دارى التى بالمدينة » وعند البخارى « بين قريش والأنصار فى دارى » ولا إشكال، فقد تعددت المؤاخاة كما ذكرنا.

وقد جمع العلماء بين إثبات المحالفة هنا، وبين نفيها فى روايتنا الرابعة، بلفظ « لا حلف فى الإسلام » فحملوا الحلف المثبت على حلف التناصر فى الدين، والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق، والحلف المنفى على حلف التوارث، والحلف على ما منع الشرع منه. كذا قيل: لكن الحلف المثبت هنا كان يشمل التوارى، فالأولى القول بالنسخ فيما يخص التوارث، فالنفى يراد به التوارث، أى لاتوارث بالتآخى، وقد نسخ ما كان فى الحلف المثبت.

قال الطبرى: ما استدل به أنس على إثبات الحلف، لا ينافى حديث جبير بن مطعم - روايتنا الرابعة - فى نفيه، فإن الإخاء المذكور كان فى أول الهجرة، وكانوا يتوارثون به، ثم نسخ من ذلك الميراث، وبقى ما لم يبطله القرآن، وهو التعاون على الحق، والنصر، والأخذ على يد الظالم، كما قال ابن عباس: إلا النصر والنصيحة والرفادة، ويوصى له، وقد ذهب الميراث. اهـ.

والمراد من قوله « وأيما حلف كان فى الجاهلية، لم يزده الإسلام إلا قوة » أى ما كان من أحلاف الجاهلية موافقا لشريعة الإسلام.

واختلف الصحابة فى الحد الفاصل بين الحلف الواقع فى الجاهلية، وحلف الإسلام، فقال ابن عباس: ما كان قبل نزول الآية المذكورة جاهلى، وما بعدها إسلامى. وعن على: ما كان قبل نزول ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١] جاهلى. وعن عثمان: كل حلف كان قبل الهجرة جاهلى، وما بعدها إسلامى. وعن عمر: كل حلف كان قبل الحديبية فهو مشدود، وكل حلف بعدها منقوض. قال الحافظ ابن حجر: وأظن قول عمر أقواها.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- استحباب المؤاخاة، والتحالف على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

٢- وفيه منقبة ظاهرة للمهاجرين والأنصار.

٣- وكيف آخى النبى ﷺ بين أصحابه، وقد أنكر ابن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصا مؤاخاة النبى ﷺ لعلى، قال: لأن المؤاخاة شرعت لإرفاق بعضهم بعضا، ولتأليف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبى ﷺ لأحد منهم، ولا لمؤاخاة مهاجرى لمهاجرى، قال الحافظ ابن حجر: وهذا رد للنص بالقياس، وإغفال عن حكمة المؤاخاة، لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض، بالمال والعشيرة والقوى، فآخى بين الأعلى والأدنى، ليرتفق الأدنى بالأعلى، ويستعين

الأعلى بالأدنى، وبهذا تظهر مؤاخاته صلى اللّه عليه وسلم لعلى، لأنه هو الذى كان يقوم به من عهد الصبا، من قبل البعثة، واستمر، وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة، لأن زيداً مولاهم.

٤- استدل به بعضهم إلى أن الكفالة التزام مال بغير عوض تطوعا، فيلزم، كما لزم استحقاق الأخ بالحلف الذى عقد على وجه التطوع.

(إضافة) ذكر ابن إسحق المؤاخاة، فقال: قال رسول اللّه ﷺ لأصحابه - بعد أن هاجر - تآخوا. أخوين. أخوين. فكان هو وعلى أخوين، وحمزة وزيد بن حارثة أخوين، وجعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين، (وتعقبه ابن هشام بأن جعفرا كان يومئذ بالحبشة، ووجهه العماد بن كثير بأنه أرصده لأخوته حتى يقدم، وفى تفسير سنيد: آخى بين معاذ وابن مسعود) وأبو بكر وخارجة بن زيد أخوين وعمر وعتبان بن مالك أخوين، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين، وأبو ذر والمنذر بن عمرو أخوين، وحاطب بن أبى بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين، وسلمان وأبو الدرداء أخوين.

واللّه أعلم

(٦٧٥) باب بيان أن بقاء النبى ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة

٥٦٢٥- ٢٠٧/١ عَن أَبِي بُرْدَةَ(٢٠٧) عَن أَبِيهِ ﷺ قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ! قَالَ: فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا. فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ. ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ. قَالَ: «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ. فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ. فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ. وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي. فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي. فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ».

المعنى العام

يقول اللَّه تعالى ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] سبحانه هيأ الأسباب للمسببات، وجعل للنتائج مقدمات وجعل للساعة أشراطا وعلامات، فانتثار الكواكب، وتكوير الشمس، وانكدار النجوم، كل ذلك من علامات الساعة، وهناك علامات لا نراها، ربطها الإسلام بما نراه، فإذا رأينا النجوم قد ذهبت من السماء فى الليلة المظلمة الخالية من السحاب علمنا أن السماء انفطرت وانشقت، وطالما كانت النجوم موجودة ظاهرة لنا آمنا أن السماء موجودة كذلك، وحصل لنا اطمئنان على الحياة الدنيا.

والصحابة رضوان اللَّه عليهم أجمعين كانوا فى أمن وأمان من وقوع عذاب جماعى بهم، مادام الرسول ﷺ بينهم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] وعلم حذيفة وعمر وبعض الصحابة من رسول اللَّه ﷺ أن وجود أبى بكر وعمر فى حياتهم باب حائل بينهم وبين الفتن التى تموج موج البحر، وقد حصل كل ذلك، وسبحان علام الغيوب.

المباحث العربية

(**فرفع رأسه إلى السماء**) لأنه سيتكلم عنها.

---

(٢٠٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ كُلُّهُمْ عَن حُسَيْنٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا حُسَيْنُ ابْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ عَن مُجَمِّعِ بْنِ يَحْيَى عَن سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَن أَبِي بُرْدَةَ

(**وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء**) فى أصول مسند أحمد «وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء» بدون «من» وهى أظهر، فإن «ما» مصدرية، والمصدر اسم «كان» والتقدير: وكان رفعه رأسه إلى السماء كثيرًا.

(**النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد**) بفتح الهمزة والميم والنون. قال العلماء: الأمنة والأمن والأمان بمعنى يقال: أمن بكسر الميم، يأمن بفتحها، أمنا وأمانا وأمانة، وأمنا بفتح الميم، وإمنا بكسر الهمزة وسكون الميم، وأمنة. اطمأن ولم يخف، والمعنى وجود النجوم فى السماء علامة من علامات بقائها، لأن السماء نفسها غير مرئية، فما دامت النجوم باقية فالسماء باقية، فإذا النجوم انكدرت وتناثرت كشطت السماء وانشقت وانفطرت وذهبت.

(**وأنا أمنة لأصحابى، فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون**) من الفتن والحروب، وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب، ونحو ذلك مما أنذر به صريحا، وقد وقع كل ذلك.

(**وأصحابى أمنة لأمتى، فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون**) من ظهور البدع فى الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة، وهذه كلها من معجزاته صلى الله عليه وسلم، كذا قال النووى. وفيه نظر، لأن كل ما ذكره حصل والصحابة أحياء، لم يذهبوا، ولم يكن وجود الصحابة مانعا من الردة، ولا من قتل عثمان ﷺ، ولا من قتل عشرة آلاف من كبارهم فى معركة الجمل وحدها، ولا من انتهاك مكة والمدينة على يد الحجاج، ولا من ظهور الخوارج.

ولعل المراد من أصحابه أصحاب معينون - أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، كحديث حذيفة عن الفتنة وأن عمر كان الباب الذى يغلقها، وأن هذا الباب ينكسر بموته رضى الله عنه.

فقه الحديث

فى الحديث معجزة ظاهرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم.

وفيه فضيلة لصحابته رضى الله عنهم.

وأن ذهاب النجوم، وانتثار الكواكب، مرتبط بانفطار السماء، وقيام الساعة.

وما كان عليه الصحابة من انتظار الصلاة بعد الصلاة.

واستحباب ذلك، من إقراره صلى الله عليه وسلم لهم، وتحسينه فعلهم.

وأن وجود النبى ﷺ وحياته أمان لأمته، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

والله أعلم

(٦٧٦) باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم

٥٦٢٦- ٢٠٨/١ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ(٢٠٨)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ. يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ. فَيُقَالُ لَهُمْ. فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ: فَيُفْتَحُ لَهُمْ. ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ: فَيُفْتَحُ لَهُمْ. ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ: فَيُفْتَحُ لَهُمْ.

٥٦٢٧- ٢٠٩/٢ عَنْ جَابِرٍ ﷺ(٢٠٩) قَالَ: زَعَمَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ. يُبْعَثُ مِنْهُمُ الْبَعْثُ فَيَقُولُونَ: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ فِيكُمْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ. ثُمَّ يُبْعَثُ الْبَعْثُ الثَّانِي فَيَقُولُونَ: هَلْ فِيهِمْ مَنْ رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ. ثُمَّ يُبْعَثُ الْبَعْثُ الثَّالِثُ فَيُقَالُ: انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ؟ ثُمَّ يَكُونُ الْبَعْثُ الرَّابِعُ فَيُقَالُ: انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ أَحَدًا رَأَى مَنْ رَأَى أَحَدًا رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ».

٥٦٢٨- ٢١٠/٣ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ(٢١٠) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ. وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ» لَمْ يَذْكُرْ هَنَّادٌ الْقَرْنَ فِي حَدِيثِهِ. و قَالَ قُتَيْبَةُ: «ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ».

٥٦٢٩- ٢١١/٤ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ(٢١١) قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «قَرْنِي. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَبْدُرُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَتَبْدُرُ يَمِينُهُ شَهَادَتَهُ». قَالَ إِبْرَاهِيمُ: كَانُوا يَنْهَوْنَنَا، وَنَحْنُ غِلْمَانٌ، عَنِ الْعَهْدِ وَالشَّهَادَاتِ.

---

(٢٠٨) حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ قَالا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ سَمِعَ عَمْرٌو جَابِرًا يُخْبِرُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ

(٢٠٩) حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الأُمَوِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ

(٢١٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَهَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

(٢١١) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا و قَالَ عُثْمَانُ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبِيدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

- وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ح وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ كِلاهُمَا عَنْ مَنْصُورٍ بِإِسْنَادِ أَبِي الأَحْوَصِ وَجَرِيرٍ بِمَعْنَى حَدِيثِهِمَا وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِمَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

٥٦٣٠- ٢١٢/٥ عَن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ(٢١٢)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». فَلا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ: «ثُمَّ يَتَخَلَّفُ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ. تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ».

٥٦٣١- ٢١٣/٦ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢١٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لا. قَالَ: ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السَّمَانَةَ. يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا».

٥٦٣٢- – وَفِي روايةِ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَلا أَدْرِي مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً.

٥٦٣٣- ٢١٤/٧ عَن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ(٢١٤)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» قَالَ عِمْرَانُ: فَلا أَدْرِي أَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بَعْدَ قَرْنِهِ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً: «ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهَدُونَ. وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذِرُونَ وَلا يُوفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ».

٥٦٣٣- وفي رواية عَن شُعْبَةَ. بِهَذَا الإِسْنَادِ. وَفِي حَدِيثِهِمْ: قَالَ: لا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً. وَفِي حَدِيثِ شَبَابَةَ قَالَ: سَمِعْتُ زَهْدَمَ ابْنَ مُضَرِّبٍ، وَجَاءَنِي فِي حَاجَةٍ عَلَى فَرَسٍ، فَحَدَّثَنِي، أَنَّهُ سَمِعَ عِمْرَانَ ابْنَ حُصَيْنٍ: وَفِي حَدِيثِ يَحْيَى وَشَبَابَةَ: «يَنْذُرُونَ وَلا يَفُونَ». وَفِي حَدِيثِ بَهْزٍ: «يُوفُونَ كَمَا قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ».

٥٦٣٥- ٢١٥/٨ عَن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ(٢١٥)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. بِهَذَا الْحَدِيثِ: «خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» زَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ قَالَ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

---

(٢١٢) و حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ حَدَّثَنَا أَزْهَرُ بْنُ سَعْدٍ السَّمَّانُ عَن ابْنِ عَوْنٍ عَن إِبْرَاهِيمَ عَن عَبِيدَةَ عَن عَبْدِ اللَّهِ

(٢١٣) حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ عَن أَبِي بِشْرٍ ح و حَدَّثَنِي إِسْمَعِيلُ بْنُ سَالِمٍ أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنَا أَبُو بِشْرٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

– حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ح وحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ عَن شُعْبَةَ ح و حَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ كِلاهُمَا عَن أَبِي بِشْرٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ

(٢١٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ جَمِيعًا عَن غُنْدَرٍ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ سَمِعْتُ أَبَا جَمْرَةَ حَدَّثَنِي زَهْدَمُ بْنُ مُضَرِّبٍ سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ

– حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ح و حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بِشْرٍ الْعَبْدِيُّ حَدَّثَنَا بَهْزٌ ح و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا شَبَابَةُ كُلُّهُمْ عَن شُعْبَةَ

(٢١٥) وحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الأُمَوِيُّ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا أَبِي كِلاهُمَا عَن قَتَادَةَ عَن زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى عَن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ

أَذَكَـرَ الثَّـالِثَ أَمْ لا. بِمِثْـلِ حَدِيـثِ زَهْـدَمٍ عَـن عِمْـرَانَ. وَزَادَ فِـي حَدِيـثِ هِشَـامٍ عَـن قَتَـادَةَ «وَيَحْلِفُـونَ وَلا يُسْـتَحْلَفُونَ».

٥٦٣٦- ٢١٦/٨ عَـن عَائِشَـةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنهَـا (٢١٦) قَـالَتْ: سَـأَلَ رَجُـلٌ النَّبِـيَّ ﷺ: أَيُّ النَّـاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الْقَرْنُ الَّـذِي أَنَـا فِيـهِ. ثُـمَّ الثَّـانِي. ثُـمَّ الثَّـالِثُ».

المعنى العام

الصحابة رضوان اللّه عليهم أجمعين هم الذين حموا دعوة الإسلام، وحملوها ونشروها، وكان لهم الفضل الأول والأكبر فى تحمل أعبائها وأخطار الدفاع عنها ونشرها، باعوا أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون فى سبيل اللّه، فيقتلون ويقتلون، قاتلوا، وهم قلة، وأنفقوا وبهم خصاصة، والرسول ﷺ يقول: «سبق درهم ألف درهم» فرجل يملك درهمين أنفق أحدهما فى سبيل اللّه يسبق ألف درهم ينفقها فى سبيل اللّه رجل يملك الملايين. والرسول الكريم يقول: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» يعنى ما عادل حفنة من طعام أنفقها أحد الصحابة فى صدر الإسلام، بل ما أنفقوا هم قبل فتح مكة وقتالهم قبل فتح مكة أعظم أجرا ودرجة مما أنفقوه بعد الفتح ومما قاتلوه بعد الفتح، مصداقا لقوله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥] ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠، ٢١].

بهذا فضل اللّه الصحابة على غيرهم، وجعلهم خير القرون فى هذه الأمة، وجعل التابعين يلونهم فى الفضل، وتابعى التابعين يلون التابعين، وهكذا تتوالى الأجيال، وبقدر تمسكها بشريعتها، ودفاعها عن دينها يكون فضلها وسبقها، حتى تصل الأجيال فى ضعفها الدينى إلى أنهم يخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ويعدون ولا يوفون، ويصابون بالنهم والجرى وراء الدنيا وشهواتها، حتى يسمنوا ثم لا يشبعون، ويتسابقون لشهادة الزور والباطل ويحلفون، يأكلون أموالهم بينهم بالباطل ويظلمون، لا يتناهون عن منكر فعلوه، بل يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويصبح المنكر عندهم معروفا، والمعروف منكرًا، وأولئك شرار الخلق، وعليهم تقوم الساعة، والعياذ باللّه رب العالمين.

---

(٢١٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَشُجَاعُ بْنُ مَخْلَدٍ وَاللَّفْظُ لأَبِي بَكْرٍ قَالا حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ وَهُوَ ابْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ عَن زَائِدَةَ عَنِ السُّدِّيِّ عَن عَبْدِ اللَّهِ الْبَهِيِّ عَن عَائِشَةَ

المباحث العربية

(**يأتى على الناس زمان، يغزو فئام من الناس**) بكسر الفاء، ويجوز فتحها، بعدها همزة، ويجوز تسهيلها، والمشهور الأول، أى جماعة من الناس، والفعل « يغزو » منزل منزلة اللازم، أى يحصل منهم الغزو. وفى الرواية الثانية « يبعث منهم البعث » أى الجيش.

(**فيقال لهم: فيكم من رأى رسول اللَّه ﷺ؟**) الكلام على الاستفهام بحذف الأداة، وفى الرواية الثانية « فيقولون: انظروا. هل تجدون فيكم أحدا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ »؟ القائلون بعض أفراد البعث لبعض يسألون ليتبركوا بهم. وذلك عندما يقل، أو يندر الصحابة، ويكون الجيش من التابعين.

(**فيقولون: نعم**) فينا فلان، فيتبركون به.

(**فيفتح لهم**) فى الرواية الثانية « فيفتح لهم به » أى ببركته.

(**ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب رسول اللَّه ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم**) وذلك عندما يقل التابعون، أو يندر وجودهم فى الجيش، ويكون الجيش من أتباع التابعين، فيفتح لهم ببركة التابعى الموجود فى الجيش، وفى الرواية الثانية « ثم يبعث البعث الثانى، فيقولون: هل فيهم (فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة) من رأى أصحاب النبى ﷺ؟ (أى فيقولون: نعم، فيتبركون به) فيفتح لهم به »، أى ببركته.

(**ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول اللَّه ﷺ؟، فيقولون: نعم. فيفتح لهم**) فى الرواية الثانية « ثم يبعث البعث الثالث، فيقال: انظروا. هل ترون فيهم من رأى من رأى أصحاب النبى ﷺ؟ ».

(**ثم يكون البعث الرابع، فيقال: انظروا. هل ترون فيهم أحدا رأى من رأى أحدا رأى أصحاب النبى ﷺ، فيوجد الرجل، فيفتح لهم به**) كذا بالرواية الثانية، مشيرا إلى أتباع أتباع التابعين، وقد اقتصرت الرواية الأولى وروايات البخارى على البعث الثالث، أتباع التابعين.

(**خير أمتى القرن الذين يلونى**) المراد من القرن هنا أهل القرن، ولذلك عاد الضمير فى « يلونى » جمعا مذكرا، والمراد قرنه صلى اللَّه عليه وسلم باعتبارهم أتباعا له صلى اللَّه عليه وسلم، ففى الرواية الرابعة « سئل صلى اللَّه عليه وسلم: أى الناس خير؟ قال: قرنى، ثم الذين يلونهم » وفى الرواية الخامسة « خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم » وفى الرواية السادسة « خير أمتى القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم » وفى الرواية السابعة « إن خيركم قرنى، ثم الذين يلونهم » وفى ملحق الرواية السابعة « خير هذه الأمة القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم » وفى الرواية الثامنة « أى الناس خير؟ قال: القرن الذى أنا فيه، ثم الثانى، ثم الثالث ».

والقرن فى الأصل أهل زمان واحد متقارب، اقترنوا، واشتركوا فى أمر من الأمور المقصودة، وخصه بعضهم بما إذا اجتمعوا فى زمن نبى، أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل.

ويطلق القرن على مدة من الزمان، واختلفوا فى تحديدها، من عشرة أعوام، إلى مائة وعشرين، وذكر الجوهرى أقوالا، بين الثلاثين عاما والثمانين، وذكر صاحب المحكم أقوالا فيما بين العشرة والسبعين، ثم قال: هذا هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن. قال الحافظ ابن حجر: وعند مسلم ما يدل على أن القرن مائة، وهو المشهور - يشير إلى أحاديث الباب التالى.

والمراد من قرنه صلى اللّٰه عليه وسلم فى أحاديث الباب الصحابة، ومن الذين يلونهم التابعون، ومن الذين يلونهم أتباع التابعين، قال شهر: قرنه صلى اللّٰه عليه وسلم: ما بقيت عين رأته، والذين يلونهم ما بقيت عين رأت من رآه، وهكذا. وقال الحافظ ابن حجر: وقد ظهر أن الذى بين بعثته صلى اللّٰه عليه وسلم وآخر من مات من الصحابة مائة وعشرون سنة، أو دونها أو فوقها بقليل، على الاختلاف فى وفاة أبى الطفيل، وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته صلى اللّٰه عليه وسلم، - على ضوء أحاديث الباب التالى - فيكون مائة سنة، أو تسعين، أو سبعا وتسعين.

وأما قرن التابعين، فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين، وأما الذين بعدهم فإن اعتبر منها كان نحوا من خمسين فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان، واتفقوا على أن آخر من كان من أتباع التابعين، ممن يقبل قوله: من عاش إلى حدود العشرين ومائتين، وفى هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رءوسها، وامتحن أهل العلم، ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً، ولم يزل الأمر فى نقص إلى الآن، وظهر قوله صلى اللّٰه عليه وسلم: « ثم يفشو الكذب » ظهوراً بيناً، حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات. واللّٰه المستعان. اهـ.

والمراد من خيرية القرن، خيرية مجموعه وجملته بالنسبة لمجموع غيره وجملته هذا ما نميل إليه، وإن قال الحافظ ابن حجر: لكن هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد محل بحث. وإلى الثانى نحا الجمهور، والأول قول ابن عبد البر، وسنحقق القول فى هذه المسألة فى فقه الحديث.

(**ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**) وفى رواية « ثم يجىء أقوام » وفى الرواية الرابعة « ثم يجىء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته » و « تبدر » بفتح التاء وسكون الباء وضم الدال، بمعنى تسبق. قال الحافظ ابن حجر: أى فى حالين، فى حالة يشهد، ثم يحلف على صحة شهادته، ليقويها، فتسبق الشهادة اليمين، وفى حالة يحلف على صدق شهادته قبل أن يشهد، وليس المراد أن ذلك يقع فى حالة واحدة، لأنه دور، به تصبح الشهادة سابقة ومسبوقة فى وقت واحد، واليمين كذلك. قال: ويحتمل أن يقع ذلك فى حال واحدة عند من يجيز الحلف فى الشهادة، فيريد أن يشهد ويحلف.اهـ وفى هذا الاحتمال نظر، لأن غاية ما فيه الجمع بين الحلف والشهادة، لا سبق كل منهما الآخر.

وقال الطحاوى: أى يكثرون الأيمان فى كل شيء، حتى تصير عادة لهم، والحرص على ذلك، حتى لا يدرى بأيهما يبدأ، لقلة المبالاة باليمين والشهادة.

وفى الرواية الخامسة « ثم يتخلف من بعدهم خلف، تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته » قال النووى: هكذا هو فى معظم النسخ « يتخلف » وفى بعضها « يخلف » بحذف التاء، وكلاهما صحيح، أى يجىء بعدهم خلف - بإسكان اللام، هكذا الرواية، والمراد خلف سوء، قال أهل اللغة: الخلف ما صار عوضا عن غيره، ويستعمل فيمن خلف بخير أو شر، لكن يقال فى الخير بفتح اللام وإسكانها، لغتان، الفتح أشهر وأجود، وفى الشر بإسكانها عند الجمهور، وحكى أيضا فتحها. اهـ.

وفى الرواية السادسة « يشهدون قبل أن يستشهدوا » وفى الرواية السابعة « يشهدون ولا يستشهدون » قال النووى: هذا الحديث فى ظاهره مخالف للحديث الآخر « خير الشهود، الذى يأتى بالشهادة قبل أن يسألها »: قال العلماء: الجمع بينهما أن الذم فى ذلك لمن بادر بالشهادة فى حق الآدمى، هو عالم بها، قبل أن يسألها صاحبها، وأما المدح فهو لمن كانت عنده شهادة لآدمى، ولا يعلم بها صاحبها، فيخبره بها ليستشهد به عند القاضى إن أراد، أو يموت صاحبها العالم بها، ويخلف ورثة، لا يعلمون بها، فيأتى الشاهد إليهم أو إلى من يتحدث عنهم، فيعلمهم بذلك، ويلتحق به من كانت عنده شهادة حسبة، وهى الشهادة بحقوق اللَّه تعالى، أو فيه شائبة من حق اللَّه تعالى كالعتق، والوقف والوصية العامة والعدة والطلاق ونحو ذلك، فيأتى القاضى، فيشهد بها، وهذا ممدوح، إلا إذا كانت الشهادة بحد، ورأى المصلحة فى الستر. قال: وهذا الذى ذكرناه من الجمع بين الحديثين هو مذهب أصحابنا ومالك وجماهير العلماء، وهو الصواب، وقيل فى الجمع أقوال أخرى ضعيفة منها:

١- قول من قال بالذم مطلقا، ونابذ حديث المدح.

٢- وقول من حمل الذم على شهادة الزور، (وأجاز أداء الشهادة قبل السؤال فى غير ذلك).

٣- وقول من حمل الذم على الشهادة بالحدود (وأجاز أداء الشهادة قبل السؤال فى غير ذلك).

قال: وكلها فاسدة. اهـ.

وجنح ابن عبد البر إلى ترجيح حديث المدح « خير الشهداء الذى يأتى بالشهادة قبل أن يسألها » لكونه من رواية أهل المدينة، رواية زيد بن خالد، فقدمه على رواية أهل العراق، وبالغ فزعم أن حديث عمران هذا لا أصل له.

وجنح غيره إلى ترجيح حديث عمران، لاتفاق صاحبى الصحيح عليه، وانفراد مسلم بإخراج حديث زيد ابن خالد، فقال بالذم مطلقا.

ومن العلماء من حمل حديث المدح على الكناية والمبالغة فى الإجابة إلى الأداء، فيكون لشدة استعداده لها كالذى أداها قبل أن يسألها، كما يقال فى وصف الجواد: إنه ليعطى قبل الطلب، أى يعطى سريعا عقب السؤال من غير توقف ولا تردد.

(كانوا ينهوننا - ونحن غلمان - عن العهد والشهادات) عن الجمع بين اليمين والشهادة، وقيل: المراد النهى عن قوله: على عهد اللَّه، أو أشهد باللَّه، والقائل هو إبراهيم النخعى، وفى

رواية للبخارى « ونحن صغار» وفى رواية « كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد » قال ابن عبد البر: معناه عندهم النهى عن مبادرة الرجل بقوله: « أشهد بالله، وعلى عهد الله. لقد كان كذا وكذا ونحو ذلك، وإنما كانوا يضربونهم على ذلك، حتى لا يصير لهم به عادة، فيحلفوا فى كل ما يصلح وما لا يصلح. قال الحافظ ابن حجر:ويحتمل أن يكون المراد النهى عن تعاطى الشهادات، والتصدى لها، لما فى تحملها من الحرج، ولا سيما عند أدائها، لأن الإنسان معرض للنسيان والسهو، ولا سيما وهم - إذ ذاك - غالبا لا يكتبون.

(**ثم يخلف قوم يحبون السمانة**) وفى الرواية السابعة « ويظهر فيهم السمن » قال النووى: السمانة بفتح السين هى السمن، بكسر السين وفتح الميم. قال جمهور العلماء فى معنى هذا الحديث: المراد بالسمن هنا كثرة اللحم، ومعناه أنه يكثر فيهم ذلك، وليس معناه، أن يتمحضوا سمانا، قالوا: والمذموم منه من يستكسبه، وأما من هو فيه خلقة فلا يدخل فى هذا، والمتكسب له هو المتوسع فى المأكول والمشروب، زائدا على المعتاد، وقيل: المراد بالسمن هنا أنهم يتكثرون بما ليس فيهم، ويدعون ما ليس لهم من الشرف، وغيره، وقيل: المراد جمعهم الأموال بحرص وطغيان.

(**ويخونون، ولا يؤتمنون**) قال النووى: معناه خيانة ظاهرة، بحيث لايبقى معها ائتمان، بخلاف من خان بحقير مرة واحدة، فإنه يصدق عليه أنه خان، ولا يخرج به عن الأمانة فى بعض المواطن. اهـ فهم لا يثق الناس بهم، ولا يعتقدونهم أمناء.

(**وينذرون ولا يوفون**) بكسر الذال وضمها لغتان، وفى ملحق الرواية السابعة « ولا يفون » بفتح الياء، وهى صحيحة يقال: وفى، بتخفيف الفاء، وأوفى.

فقه الحديث

فى الحديث فضل الصحابة. فمن هو الصحابى المقصود بهذا الفضل؟ الموصوف بالخيرية على بقية أفراد أمة الإجابة؟.

يقول البخارى: من صحب النبى ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه. اهـ

وهذا الذى ذكره البخارى هو الراجح، لكن تحته صور، فيها خلاف كبير:

إحداها: من رآه غير مميز، وعمل المحدثين على أنه صحابى، فإنهم ذكروا مثل محمد بن أبى بكر الصديق فى الصحابة، مع أنه ولد قبل وفاة النبى ﷺ بثلاثة أشهر وأيام.

ومع ذلك فأحاديث هذا الضرب مراسيل، لكنها ليست من قبيل مراسيل الصحابة المختلف فيها، بل هى غير مقبولة - باتفاق، وهذا مما يلغز به، فيقال: صحابى، حديثه مرسل، لا يقبله من يقبل مراسيل الصحابة.

ثانيها: يدخل فى هذا التعريف من رآه مسلما بالغا لحظة من بعد، ولو لم يحصل بينهما مشافهة، ككثير من الأعراب الذين اجتمعوا به فى حجة الوداع.

ثالثها: من رآه وهو كافر، ثم أسلم بعد موته منهم. قال الحافظ ابن حجر: إن كان قوله: « من المسلمين. حالا خرج من هذه صفته، وهو المعتمد.

رابعها: يدخل فى هذا التعريف من صحبه أو رآه مسلما، ثم ارتد بعد ذلك، ولم يعد إلى الإسلام، فإنه ليس صحابيا اتفاقا، فينبغى أن يزاد فيه « ومات على ذلك » أما لو ارتد ثم عاد إلى الإسلام، لكن لم يره ثانيا بعد عوده فالصحيح أنه معدود فى الصحابة، لإطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس ونحوه، ممن وقع له ذلك فى الصحابة، وإخراجهم أحاديثهم فى المسانيد.

خامسها: أدخل بعضهم فى هذا التعريف من رآه بعد موته، وقبل دفنه، قال الحافظ ابن حجر: والراجح أنه ليس بصحابى، وإلا لعد من اتفق له من يرى جسده المكرم وهو فى قبره المعظم صحابيا، ولو فى هذه الأعصار، وكذلك من كشف له عنه من الأولياء، فرآه كذلك على طريق الكرامة، إذ حجة من أثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه أنه مستمر الحياة، وهذه الحياة ليست دنيوية، وإنما هى أخروية، لا تتعلق بها أحكام الدنيا، فإن الشهداء أحياء، ومع ذلك فإن الأحكام المتعلقة بهم بعد القتل جارية على أحكام غيرهم من الموتى.

أما من رآه فى المنام – وإن كان قد رآه حقا –فذلك مما يرجع إلى الأمور المعنوية، لا الأحكام الدنيوية، فلذلك لا يعد صحابيا، ولا يجب عليه العمل بما أمره به فى تلك الحالة.

ويقابل هذا التعريف تعريف يعنى بالأهلية لهذا اللقب، فيحمل الصحبة على ما هو متعارف، فلا يعد فى الصحابة إلا من صحب صحبة عرفية، وكان مسلما بالغا، ومات على الإسلام، وقد روى عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يعد فى الصحابة إلا من أقام مع النبى ﷺ سنة فصاعدا، أو غزا معه غزوة فصاعدا، ولا يدخل فى الصحابة من له رؤية لكن فارق عن قرب. وقد جاء عن أنس أنه سئل: هل بقى من أصحاب النبى ﷺ أحد غيرك؟ قال: لا. مع أنه كان فى ذلك الوقت عدد كثير ممن لقيه من الأعراب.

ومع أن الحافظ ابن حجر يقول: والذى جزم به البخارى هو قول أحمد والجمهور من المحدثين، ويقول عن القول الآخر: وهو مردود.

والعمل على خلاف هذا القول، فإنى أميل إلى هذا القول من حيث الحكمة فى منح هذا اللقب، واستحقاق هذه الفضائل، واعتمادا على النصوص الكثيرة المشهورة وفى سبيل ذلك أضع الحقائق التالية:

أولا: لا خلاف فى أن مجرد رؤيته صلى اللّٰه عليه وسلم من مسلم، ولو من طفل صغير ميزة وفضيلة لا تنكر لحصول بركة اللقاء، وكذلك من رآه مسلما بالغا لحظات قليلة، لكنها لا يصدق عليها أنها صحبة، لا لغة، ولا عرفا، فلم يقل أحد إن رؤية من فى السوق والمارة فى الشوارع تثبت الصحبة، ذات الآثار الشرعية والعرفية.

ثانيا: النصوص تعلل فضائل الصحابة بعلة لا يتحلى بها، إلا الصاحب اللغوى والعرفى، وسيأتينا حديث « لاتسبوا أصحابى. فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه ». وقد سبق حديث « لعل اللّٰه اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم ».

وحديث الرضا عن أهل بيعة الرضوان تحت الشجرة، والقرآن الكريم يقول ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٨، ٩].

من هنا استحقوا الفضائل، والجزاء الحسن الموعود به، ولا يؤهل مجرد الرؤية لهذا الجزاء، وأحاديث الحوض، وأنه يذاد عنه بعض الصحابة، فيقول صلى الله عليه وسلم: « أصحابى. أصحابى؟ فيقال له: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فيقول صلى الله عليه وسلم: سحقا. سحقا ». لم يغن عنهم أنهم رأوا، وإنما طبقت عليهم قواعد الإسلام، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، يا حمزة بن عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد. اعملوا فلن أغنى عنكم من الله شيئا. وهكذا لا تغنى الرؤية بدون عمل، ولها فضلها، لكنها لا تكفى وحدها، ليتبرك بأصحابها، وليفتح بها على المسلمين، ولقد رأينا فى غزوة أحد أن الصحبة لم تفتح، لمجرد أنهم خالفوا رغبة نبيهم وإشارته، فكيف نتبرك ونطمئن للفتح لمجرد وجود واحد رأى؟ نعم نتبرك ونأمل الفتح إذا كان من رأى صحب صحبة حقيقية، بذل فيها النفس والمال فى سبيل الدعوة إلى الله. والله أعلم.

ويؤخذ من الحديث فوق ما تقدم

١- أن الصحابة فى مجموعهم خير من التابعين فى مجموعهم، وأن التابعين فى مجموعهم خير من أتباع التابعين فى مجموعهم.

٢- ويؤخذ منه جواز المفاضلة بين الصحابة.

٣- استدل به بعضهم على تعديل أهل القرون الثلاثة، وإن تفاوتت منازلهم فى الفضل، وهذا محمول على الغالب، والأكثرية، فقد وجد فى بعض أفرادها من اتصف بصفات مذمومة، لكن بقلة، بخلاف ما بعد القرون الثلاثة، فالموجود من المذمومين أكثر.

٤- استنبط البخارى من الرواية الأولى والثانية الاستعانة بالضعفاء والصالحين فى الحرب، والتبرك بهم وبدعائهم، وقد أخرج أبو نعيم فى الحلية « ينصر المسلمون بدعاء المستضعفين ».

٥- ومن الرواية الثالثة والرابعة ذم من يشهد ويحلف مع شهادته، واحتج به بعض المالكية فى رد شهادة من حلف معها، وجمهور العلماء أنها لا ترد.

٦- وفى الرواية السادسة ذم السمن الناتج عن الإكثار من الطعام والشراب.

٧- وفى الرواية السابعة وملحقاتها ذم الخيانة، وعدم الوفاء بالنذر، قال ابن بطال: سوى بين من يخون أمانته، وبين من لا يفى بنذره، والخيانة مذمومة، فيكون ترك الوفاء بالنذر مذموما، وقال الباجى: ساق ما وصفهم به مساق العيب، والجائز لا يعاب، فدل على أن عدم الوفاء بالنذر غير جائز.

والله أعلم

(٦٧٧) باب معنى قوله صلى الله عليه وسلم:
«على رأس مائة سنة لايبقى نفس منفوسة ممن هو موجود الآن»

٥٦٣٧- ٢١٧/١ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا(٢١٧) قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، صَلاةَ الْعِشَاءِ، فِي آخِرِ حَيَاتِهِ. فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَهَلَ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ، فِيمَا يَتَحَدَّثُونَ مِن هَذِهِ الأَحَادِيثِ، عَن مِائَةِ سَنَةٍ. وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ. يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْخَرِمَ ذَلِكَ الْقَرْنُ.

٥٦٣٨- ٢١٨/٢ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا(٢١٨) قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: «تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟ وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ. وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ! مَا عَلَى الأَرْضِ مِن نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ».

٥٦٣٩- — وَفِي رواية عَن ابْنُ جُرَيْجٍ، بِهَذَا الإِسْنَادِ. وَلَمْ يَذْكُرْ: قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ.

٥٦٤٠- — وَفِي رواية عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ. أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ: «مَا مِن نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، الْيَوْمَ، تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ، وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمَئِذٍ». وَعَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبِ السِّقَايَةِ، عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. بِمِثْلِ ذَلِكَ. وَفَسَّرَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ: نَقْصُ الْعُمُرِ.

---

(٢١٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا و قَالَ عَبْدٌ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ
— حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ وَرَوَاهُ اللَّيْثُ عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ ابْنِ مُسَافِرٍ كِلاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِإِسْنَادِ مَعْمَرٍ كَمِثْلِ حَدِيثِهِ

(٢١٨) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ قَالا حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ
— وحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ
— حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى كِلاهُمَا عَنِ الْمُعْتَمِرِ قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ ابْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو نَضْرَةَ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
— حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ بِالإِسْنَادَيْنِ جَمِيعًا مِثْلَهُ

٥٦٤١- ٢١٩/٣ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه(٢١٩) قَالَ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ تَبُوكَ، سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ، وَعَلَى الأَرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ الْيَوْمَ».

٥٦٤٢- ٢٢٠/٤ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٢٢٠) قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، تَبْلُغُ مِائَةَ سَنَةٍ». فَقَالَ سَالِمٌ: تَذَاكَرْنَا ذَلِكَ عِنْدَهُ. إِنَّمَا هِيَ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ يَوْمَئِذٍ.

المعنى العام

الموت حق، نؤمن بوقوعه لكل مخلوق حى إيمانا بدهيا محسوسا، لكن الذى يخفى علينا وقت وقوعه بنا ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] ولو علم الناس نهاية عمرهم لأهملوا العمل، حتى يقرب الأجل، فأخفى الموعد، ليتوقع الكيس قربه، فيسعى ليل نهار، وليعمل لدنياه، كأنه يعيش أبدا، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا.

ولما كان الإنسان مطبوعا على حب الاستطلاع، ومعرفة المجهول، ويخاف الفجأة القاضية كثر السؤال عن الساعة، وموعدها، من منكريها، ومن المؤمنين بها، وكان الجواب واحدا، ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧] ولكن إذا جاء الأجل لا تستأخرون ساعة ولا تستقدمون، فعيشوا ما تعيشون، ولن يعيش أحد منكم - معشر الصحابة المخاطبين - أكثر من مائة عام أوحى إلى ربى بذلك، وهو علام الغيوب.

المباحث العربية

(**أرأيتكم ليلتكم هذه؟**) أى أخبركم عن ليلتكم هذه؟ وعن آجالكم ابتداء منها؟ ودلالة « أرأيتكم » على « أخبركم » عن طريق مجاز مرسل، علاقته اللازمية، إذ يلزم من الرؤية الإخبار بالمرئى غالبا، وكانت هذه الليلة قبل أن يموت صلى الله عليه وسلم بشهر، كما جاء فى الرواية الثانية، وملحقيها، وكانت هذه المقالة بعد أن صلى بهم العشاء، وكأنه صلى الله عليه وسلم ينعى لهم نفسه، ويبين أن الكل سيموت، طال الأجل أو قصر، وكانت هذه المقالة جوابا عن الساعة، وبعد عودته صلى الله عليه وسلم من تبوك.

(**فإن على رأس مائة سنة منها، لايبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد**) فى الرواية

---

(٢١٩) حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ عَنْ دَاوُدَ وَاللَّفْظُ لَهُ ح و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَيَّانَ عَنْ دَاوُدَ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

(٢٢٠) حَدَّثَنِي إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا أَبُو الْوَلِيدِ أَخْبَرَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ سَالِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

الثانية « تسألونى عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله. ما على الأرض من نفس منفوسة، تأتى عليها مائة سنة » وفى ملحقها « ما من نفس منفوسة اليوم تأتى عليها مائة سنة وهى حية يومئذ » وفى الرواية الثالثة « لا يأتى مائة سنة، وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم » وفى الرواية الرابعة « ما من نفس منفوسة تبلغ مائة سنة » قال الرواى: « إنما هى كل نفس مخلوقة يومئذ » ومعنى « نفس منفوسة » أى مولودة.

(فوهل الناس فى مقالة رسول الله ﷺ تلك، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ: « لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » يريد بذلك أن ينخرم القرن) « وهل » بفتح الهاء، يهل بكسرها، من باب ضرب، أى غلط، وذهب وهمه إلى خلاف الصواب، وهو المراد هنا، أما وهل بكسر الهاء يهل بفتحها، من باب حذر، فمعناه، فزع، والوهل بالفتح الفزع، والمعنى أن الصحابة أخذوا يفسرون هذا الحديث تفسيرات خاطئة فى مجالسهم إذا تناولوا هذه الأحاديث، فمنهم من يظن أنهم سيعيشون مائة سنة، فظن بعضهم أن أعمار من سيولد قد تصل مائة سنة، ولا تزيد عن مائة سنة، وإنما المراد أن كل نفس منفوسة من الآدميين كانت تلك الليلة حية على الأرض، لاتعيش بعد تلك الليلة فوق مائة سنة، سواء كان عمرها فى تلك الليلة قليلا أو كثيرا، وليس فيه نفى عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة.

وقول الراوى: « يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن » معناه أن رسول الله ﷺ يريد بهذا انقضاء الأحياء الموجودين المعاصرين أهل هذا القرن، وذهابهم قبل مائة عام من هذه المقالة، يقال: انخرم العام، أى ذهب وانقضى، وانخرم القوم، أى فنوا وذهبوا.

فقه الحديث

قال النووى: احتج بهذا الحديث من شذ من المحدثين، فقال: الخضر عليه السلام ميت. والجمهور على حياته، كما سبق فى باب فضائله، ويتأولون هذه الأحاديث على أنه كان على البحر، لا على الأرض (وهذا مردود، لأن البحر من الأرض) أو أن هذه الأحاديث من العام المخصوص. اهـ

أو المراد ممن على الأرض من المخاطبين ومن على شاكلتهم، أى الصحابة، أى لا يبقى أحد من الصحابة بعد مائة سنة، ولذلك بحثنا فى الباب السابق، فى نهاية القرن، وآخر الصحابة موتا، ولم نبحث آخر الناس فى جميع بقاع الأرض موتا.

١- وقال النووى: فى الحديث احتراز من الملائكة: فإنهم لا يدخلون فى النفس المنفوسة على ظهر الأرض.

٢- وفيه الأسلوب الحكيم، وهو الجواب على ما ينبغى أن يسأل عنه، لا عما سئل عنه، فإنهم سألوا عن الساعة، متى هى؟ فأجيبوا بأن ساعة كل مخلوق موته، وساعتهم جميعا بوجه عام قبل مائة سنة.

٣- وفيه مناقشة الصحابة بعضهم بعضا فى مجالسهم عن معانى الأحاديث.

٤- وأنهم قد يخطئون فى فهمها.

والله أعلم

(٦٧٨) باب تحريم سب الصحابة

٥٦٤٣- ٢٢١/١ عَـن أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ(٢٢١) قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «لا تَسُـبُّوا أَصْحَـابِي. لا تَسُـبُّوا أَصْحَـابِي: فَوَالَّـذِي نَفْسِـي بِيَـدِهِ! لَـوْ أَنَّ أَحَدَكُـمْ أَنْفَـقَ مِثْـلَ أُحُـدٍ ذَهَبًـا، مَـا أَدْرَكَ مُـدَّ أَحَدِهِـمْ، وَلا نَصِيفَـهُ».

٥٦٤٤- ٢٢٢/٢ عَـن أَبِي سَعِيدٍ ﷺ(٢٢٢) قَالَ: كَـانَ بَيْـنَ خَـالِدِ بْـنِ الْوَلِيـدِ وَبَيْـنَ عَبْـدِ الرَّحْمَـنِ بْـنِ عَـوْفٍ شَـيْءٌ. فَسَبَّهُ خَـالِدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَسُبُّوا أَحَـدًا مِـن أَصْحَابِي. فَـإِنَّ أَحَدَكُـمْ لَـوْ أَنْفَقَ مِثْـلَ أُحُـدٍ ذَهَبًـا، مَـا أَدْرَكَ مُـدَّ أَحَدِهِـمْ وَلا نَصِيفَـهُ».

المعنى العام

إن سب المسلم ولعنه من الكبائر، بل من أكبر الكبائر، بل سب الحيوان ولعنه من الذنوب الكبيرة، وكلما ارتفعت قيمة المسبوب ارتفعت الجريمة وغلظت، لهذا جاء فى الصحيح « إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه، قيل: يا رسول الله. وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويلعن أمه ».

والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أفضل أهل الأرض بعد الأنبياء والرسل، فخير القرون قرنه ﷺ، لما قدموا للإسلام من خدمات يصغر معها ما يقدم من غيرهم، وقد علم ﷺ أن الصحابة سيقع بينهم حروب، وتختلف وجهات النظر فى الحكم على أعمالهم، فحسم المادة، ونهى عن سبهم ولعنهم، وأمام المسلم أمران، إما أن يمدحهم ويذكر أفضالهم، وإما أن يسكت إذا أحس خطأ من أخطائهم. رضى الله عنهم أجمعين.

المباحث العربية

(**لا تسبوا أصحابى. لا تسبوا أصحابى**) كذا بالتكرير فى الرواية الأولى، وفى الرواية الثانية « كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ:

---

(٢٢١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا و قَالَ الآخَرَانِ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٢٢٢) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ
– حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالا حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنِ الأَعْمَشِ ح وحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي ح وحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ جَمِيعًا عَنْ شُعْبَةَ عَنِ الأَعْمَشِ بِإِسْنَادِ جَرِيرٍ وَأَبِي مُعَاوِيَةَ بِمِثْلِ حَدِيثِهِمَا وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ وَوَكِيعٍ ذِكْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ

« لاتسبو أحدًا من أصحابى ». بدون تكرير، وقد وضحت هذه الرواية المخاطب بقوله: « لا تسبوا » وهو وإن كان الضمير فيه جمعا، لكن المقصود به واحد، وهو خالد، وغيره يجرى عليه النهى بطريق القياس، لأنه إذا نهى الصحابى صاحب الفضل عن أن يسب، نهى غير صاحب الفضل من باب أولى، ويحتمل أن يكون الخطاب لكل من يتأتى خطابه، فى أى زمان، وأى مكان، أى لا تسبوا معشر المكلفين من المسلمين أصحابى، وقد روى أن مناقشة دارت فى التفاضل بين السابقين إلى الإسلام وفضلهم، وبين اللاحقين، وكان خالد ممن تأخر إسلامهم، فغضب وسب.

(فوالذى نفسى بيده. لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولانصيفه) قال الحافظ ابن حجر: فيه إشعار بأن المراد بقوله « أصحابى » أصحاب مخصوصون، وإلا فالخطاب كان للصحابة، وقد قال « أحدكم » وهذا كقوله **﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾** [الحديد: ١٠] ومع ذلك فنهى بعض من أدرك النبى ﷺ، وخاطبه بذلك، عن سب من سبقه، يقتضى زجر من لم يدرك النبى ﷺ، ولم يخطابه عن سبه من سبقه من باب أولى، وغفل من قال: إن الخطاب بذلك لغير الصحابة، والمراد به من سيوجد من المسلمين المفروضين فى العقل، تنزيلا لمن سيوجد منزلة الموجود، للقطع بوقوعه، ووجه التعقيب عليه وقوع التصريح فى نفس الخبر بأن المخاطب بذلك، خالد بن الوليد، وهو من الصحابة الموجودين إذ ذاك بالاتفاق.

وفى رواية « لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهباً » وهذه الزيادة حسنة، والمد مكيال يعدل حفنة - بكف الرجل المعتدل، والنصيف بوزن رغيف هو النصف، وقيل: النصيف مكيال دون المد، وحكى الخطابى أنه روى « مد أحدهم » بفتح الميم. قال: والمراد به الفضل والطول.

قال البيضاوى: معنى الحديث: لا ينال أحدكم - بإنفاق مثل أحد ذهباً - من الفضل والأجر، ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية. قال الحافظ ابن حجر: وأعظم من ذلك فى سبب الأفضلية عظم موقع ذلك، لشدة الاحتياج إليه. قلت مع ضيق ذات اليد، ووقوعه فى وقت شدة وعسر.

قال: وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال، كما وقع فى الآية **﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾** [الحديد: ١٠] فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذى ذكرته، وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيما، لشدة الحاجة إليه، وقلة المعتنى به، بخلاف ما وقع بعد ذلك، لأن المسلمين صاروا كثرة بعد الفتح، ودخل الناس فى دين اللّٰه أفواجا، فإنه لا يقع ذلك الموقع المتقدم.

فقه الحديث

قال النووى: واعلم أن سب الصحابة - رضى اللّٰه عنهم - حرام، من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره، لأنهم مجتهدون فى تلك الحروب، متأولون.

قال القاضى: وسب أحدهم من المعاصى الكبائر.

واختلف فى حكم من يسب الصحابة، فذهب الجمهور إلى أنه يعزر، وعن بعض المالكية يقتل،

وخص بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسين، فحكى القاضي حسين في ذلك وجهين وقواه السبكي في حق من كفر الشيخين، وكذا من كفر من صرح النبي ﷺ بإيمانه،أو تبشيره بالجنة، إذا تواتر الخبر بذلك، لما يتضمنه من تكذيب رسول اللّٰه ﷺ.

وفي الحديث فضل إنفاق الصحابة. قال القاضي: وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة، وضيق الحال، بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته صلى الله عليه وسلم وحمايته، وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم، وسائر طاعاتهم. وهذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار، والجهاد في سبيل اللّٰه حق جهاده، وفضيلة الصحبة ولو لحظة، لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، وذلك فضل اللّٰه يؤتيه من يشاء. قال القاضي: ومن أصحاب الحديث من يقول: هذه الفضيلة مختصة بمن طالت صحبته، وقاتل معه، وأنفق وهاجر ونصر، لا لمن رآه مرة، كوفود الأعراب.

واللّٰه أعلم

(٦٧٩) باب من فضائل أويس القرني ﷺ

٥٦٤٥- $\frac{٢٢٣}{١}$عَن أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ(٢٢٣)، أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ. وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ. فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقَرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ رَجُلا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ. لا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ. قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ. فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ. إِلا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ. فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

٥٦٤٦- $\frac{٢٢٤}{٢}$عَن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ(٢٢٤) قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ. وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ. فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

٥٦٤٧- $\frac{٢٢٥}{٣}$عَن أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ(٢٢٥) قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ. فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مِن مُرَادٍ ثُمَّ مِن قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِن مُرَادٍ، ثُمَّ مِن قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ. لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأبَرَّهُ. فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ» فَاسْتَغْفِرْ لِي. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ. قَالَ: أَلا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِن أَشْرَافِهِمْ. فَوَافَقَ عُمَرَ. فَسَأَلَهُ عَن أُوَيْسٍ. قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِن مُرَادٍ ثُمَّ مِن قَرَنٍ. كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ. لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأبَرَّهُ. فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ. فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ

---

(٢٢٣) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنِي سَعِيدٌ الْجُرَيْرِيُّ عَن أَبِي نَضْرَةَ عَن أُسَيْرِ ابْنِ جَابِرٍ

(٢٢٤) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالا حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَهُوَ ابْنُ سَلَمَةَ عَن سَعِيدٍ الْجُرَيْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ عَن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

(٢٢٥) حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا و قَالَ الآخَرَانِ حَدَّثَنَا وَاللَّفْظُ لابْنِ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَن قَتَادَةَ عَن زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى عَن عَن أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ

عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ. فَاسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ. فَاسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ. فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ. قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً. فَكَانَ كُلَّمَا رَآهُ إِنْسَانٌ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ؟

المعنى العام

إذا كان خير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم وصحابته فمن حيث المجموع الكلى، وهذا لايمنع أن يوجد فرد أو أفراد فيمن بعد الصحابة هم أفضل عند الله وأقرب من بعض الصحابة، وكيف لا والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]؟ وكيف لا وموسى عليه السلام أمر أن يتعلم على يد رجل مغمور، وعبد من عباد الله، آتاه الله رحمة من عنده، وعلمه من لدنه علما؟ وكيف لا ورسول الله ﷺ يقول لعمر الفاروق، الذى أعز الله به الإسلام، والذى إذا رآه الشيطان سالكاً فجاً سلك فجا غيره، يقول له: إن فى التابعين رجلا، تحرص على أن يستغفر لك، أنت يا عمر فى حاجة إلى استغفاره لك، إذا لقيته فاطلب منه أن يدعو لك بالمغفرة.. إن اسمه أويس القرنى، ستجده رث الثياب، لا يأبه له الناس ولا يهتمون به، إنه من أهل اليمن، إنه يكون به برص، فيدعو الله، فيبرأ منه، إلا ما يعدل حجم الدرهم، إنه سيكون له أم يبرها، إنه سيأتيك فيمن يأتيك مجاهداً من أهل اليمن، فاطلب منه أن يستغفر لك، وأخذ عمر بعد أن استخلف يسأل وفود اليمن عن أويس، حتى وجده، فنفذ وصية رسول الله ﷺ.

المباحث العربية

(**عن أسير بن جابر**) بضم الهمزة وفتح السين، ويقال: أسير بن عمرو.

(**وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس**) فائدة ذكر هذا الرجل هنا ليعلم قيمة أويس عند عمر.

والمعنى: وجاء أويس فى الوفد مع من يسخر منه، ويحتمل أن أويساً لم يأت مع هذا الوفد، وسأل عنه عمر، وقال عنه ما قال، ليراجع الرجل الذى يسخر منه، ليراجع نفسه، ومعنى « يسخر منه » أى يحتقره، ويستهزئ به، وهذا دليل على أنه كان يخفى حاله وصلاحه، ويكتم السر الذى بينه وبين ربه عز وجل، و لا يظهر منه شيء يدل على ذلك، وهذا طريق العارفين وخواص الأولياء، رضى الله عنهم.

(**فقال عمر: هل ههنا أحد من القرنيين**) أى من بنى قرن، بفتح القاف والراء، وهى بطن من مراد، وهو قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد. هذا هو الصواب، وفى صحاح الجوهرى أنه منسوب إلى قرن المنازل، الجبل المعروف، ميقات الإحرام لأهل نجد، قال النووى: وهذا غلط فاحش.

(**فجاء ذلك الرجل**) الظاهر أنه الرجل الذى يسخر بأويس، وكأن عمر كان قد علم أنه يسخر منه، فقال ذلك ليرجع الرجل عن الاستهزاء به، ولعله أيضا من القرنيين.

(**كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟**) الأمداد جمع مدد، أى الجماعات الغزاة، الذين يمدون جيوش الإسلام فى الغزو. أى يسأل عن أويس فلا يجده فى الأمداد.

(**حتى أتى على أويس**) فى الكلام قلب، والأصل: حتى أتى عليه أويس، أو لا قلب، والمعنى أتى على الأمداد يسألهم فيجيبون بالنفى، حتى أتى فى سؤاله على وفد ردوا بالإيجاب.

(**لو أقسم على الله لأبره**) أى لاستجاب دعاءه.

(**فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**) الخطاب من رسول الله ﷺ لعمر. أى اطلب منه أن يستغفر لك.

(**فقال له عمر: أين تريد؟**) أين تريد أن تقيم؟.

(**قال: الكوفة**) مفعول لفعل محذوف، أى أريد الإقامة فى الكوفة.

(**قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟**) ليجلك ويكرمك كما تستحق؟.

(**قال: أكون فى غبراء الناس أحب إلى**) فلا تكتب لعاملك، ولا تكشف أمرى، وغبراء الناس، بفتح الغين وسكون الباء، أى ضعفائهم وعامتهم الذين لا يؤبه لهم.

(**فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم**) أى من أشراف القرنيين.

(**فوافق عمر**) أى فقابل عمر.

(**فسأله عن أويس**) أى حاله وتصرفاته وسلوكياته.

(**قال: تركته رث البيت**) أى رديئه وبذيئه.

(**قليل المتاع**) حقير المتاع والأثاث.

(**فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**) يحتمل أن يكون هذا من تتمة كلام الرسول ﷺ، يحكيه عمر، ويحتمل أن يراد به وصية من عمر للرجل.

(**فأتى أويسا: فقال: استغفر لى قال: أنت أحدث عهداً بسفر صالح، فاستغفر لى**) أنت قال ذلك أويس تخفيا لحاله، ولم يرفض الاستغفار للرجل، فلما أصر الرجل على طلب استغفار أويس، فهم أويس أنه قابل عمر، وسمع الحديث من عمر، فسأله:

(**لقيت عمر؟ قال: نعم، فاستغفر له، ففطن له الناس**) وأخذوا يطلبون منه الاستغفار.

(**فانطلق على وجهه**) وترك الديار، ومشى على غير قصد مكان، بل حسبما يوجهه وجهه وطريقه.

(**قال أسير: وكسوته بردة**) فقبلها ولبسها على غير عادة.

(**فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردة؟**) استغرابا وتعجبا، حيث لا يملك ثمن بردة، ولم يتعود لبس مثلها.

فقه الحديث

فيه فضيلة أويس القرنى، ومعجزة للنبى ﷺ، واستحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح، وإن كان الطالب أفضل منهم، وفيه أن أويس أفضل التابعين، ولا يتعارض هذا مع قول أحمد بن حنبل وغيره: أفضل التابعين سعيد بن المسيب، إذ مرادهم أن سعيد بن المسيب أفضل فى العلوم الشرعية، وأويس أفضل فى الصلاح والصلة باللّٰه.

وفيه فضيلة إيثار الخمول، وكتم حال الصلاح، وفضيلة بر الوالدين، وفضيلة العزلة.

واللّٰه أعلم

(٦٨٠) باب وصية النبى ﷺ بأهل مصر

٥٦٤٨- ٢٢٦/١ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ(٢٢٦) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ. فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا. فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا. فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا» قَالَ فَمَرَّ بِرَبِيعَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَيْ شُرَحْبِيلَ ابْنِ حَسَنَةَ. يَتَنَازَعَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ. فَخَرَجَ مِنْهَا.

٥٦٤٩- ٢٢٧/٢ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ(٢١٧) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ. وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ. فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا. فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا» أَوْ قَالَ: «ذِمَّةً وَصِهْرًا. فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ، فَاخْرُجْ مِنْهَا» قَالَ: فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ، يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ، فَخَرَجْتُ مِنْهَا.

المعنى العام

من رحمة الرسول ﷺ بأمة الدعوة، وشفقته عليها، ومن وضعه لأصحابه قواعد معاملة غير المسلمين المنبثقة من الإحسان إلى من أساء، والعفو عمن ظلم، والأمر بالمعروف، والإعراض عن الجاهلين.

من هذه السياسة الإسلامية الحكيمة يوصى صلى الله عليه وسلم صحابته بأهل مصر، حين يفتحها المسلمون، ويتلمس علاقة ما ترغب فى الإحسان، وإن كانت لا تدفع إليه عند كثير من الناس. إن لهم عندنا معشر المسلمين حقا وحرمة، فهم آل هاجر أم إسماعيل وأم العرب، وهم أهل مارية التى تسراها رسول اللَّه ﷺ وهى أم إبراهيم ابنه عليه السلام، وصدق اللَّه العظيم إذ يقول فى نبيه ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٢٨].

المباحث العربية

(**إنكم ستفتحون أرضاً**) أى بلداً، وفى الرواية الثانية « إنكم ستفتحون مصر» والخطاب للصحابة، وقد فتحوا مصر فى عهد عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢٢٦) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي حَرْمَلَةُ ح و حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ وَهُوَ ابْنُ عِمْرَانَ التُّجِيبِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ

(٢١٧) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالا حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبِي سَمِعْتُ حَرْمَلَةَ الْمِصْرِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ عَنْ أَبِي بَصْرَةَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ

(**يذكر فيها القيراط**) أى يستعمل فيها لفظ القيراط، وهو معيار فى الوزن والقياس، واختلفت مقاديره باختلاف الأزمنة، وهو اليوم فى الوزن أربع قمحات، وفى وزن الذهب خاصة ثلاث قمحات، وفى القياس جزء من أربعة وعشرين جزءا، ومن الفدان يساوى خمسة وسبعين ومائة متر.

(**فاستوصوا بأهلها خيرا**) السين والتاء للطلب، أى ليطلب بعضكم من بعض الوصية بهم، أو ليطلب كل منكم من نفسه و من غيره الوصية بهم، والإحسان إليهم، وفى الرواية الثانية « فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ».

(**فإن لهم ذمة ورحما**) الجملة تعليلية وفى الرواية الثانية « فإن لهم ذمة ورحماً، أو قال: ذمة وصهراً » والذمة بكسر الذال العهد والأمان والكفالة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: « المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم ». ومنه أهل الذمة، أى المعاهدون من أهل الكتاب، ومن جرى مجراهم، والمعاهد هو الذى أعطى عهدا، يأمن به على نفسه وماله وعرضه ودينه، والمعنى عليه فإنهم سيكون لهم ذمة وعهد، والأولى أن يراد بالذمة هنا الحق والحرمة، ويفسر هذا الحق بحق الرحم وصلته، لكون هاجر أم إسماعيل وأم العرب منهم، والمراد بالصهر فى الرواية الثانية النسب لكون مارية - أم إبراهيم- منهم، وكانت سرية له صلى الله عليه وسلم.

(**فإذا رأيتم رجلين يقتتلان فى موضع لبنة فاخرج منها**) فى الرواية الثانية « فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها » أى فى مصر، والمراد من المقاتلة المخاصمة والتنازع، « فى موضع لبنة فاخرج منها » الخطاب والأمر بالخروج من مصر لأبى ذر، وهو مبنى على رؤيته هو ومن عساه يرى معه خصومة رجلين فى موضع لبنة، وجمعها لبن بفتح اللام وكسر الباء، وهو المضروب من الطين قوالب يبنى بها، دون أن تحرق. والخصومة فى مكانها من الأرض، قريبة من ملك هذا، أو من ملك ذاك. وكان هذا فى ذلك الوقت من الأمور التافهة التى لا يتقاتل عليها لسعة الأرض وضعف قيمتها. وكأن ذلك علامة على فساد الأحوال، وشيوع الخصومات وخص أبو ذر بذلك الخروج، لأن ذلك من نقيض مبادئه التى تقول إن ما زاد على حاجتك ملك وحق لغيرك.

(**قال: فمر بربيعة وعبد الرحمن، ابنى شرحبيل بن حسنة يتنازعان فى موضع لبنة، فخرج منها**) القائل « فمر» عبد الرحمن بن شماسة المهرى، الراوى عن أبى ذر، ويحتمل أنها من كلام أبى ذر على التجريد، أى جرد من نفسه شخصا آخر يتحدث عنه، وصرح بدون تجريد فى الرواية الثانية، ولفظها « فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة، وأخاه ربيعة يختصمان فى موضع لبنة، فخرجت منها ».

فقه الحديث

فيه وصية بأهل مصر والوصية بالخير لكل البلاد مطلوبة، لكنها مطلوبة بدرجة أكبر لأهل مصر لأن لهم عند المسلمين يداً وفضيلة.

وفيه معجزات لرسول الله ﷺ ظاهرة، ومنها:

إخباره بأن الأمة تكون لها قوة وشوكة بعده، بحيث يقهرون العجم والجبابرة.

وأنهم يفتحون مصر.

ومنها تنازع الرجلين فى موضع اللبنة.

ومنها تواجد أبى ذر بمصر، وخروجه منها.

وقد وقع كل ذلك، ولله الحمد والمنة.

والله أعلم

(٦٨١) باب فضل أهل عمان

٥٦٥٠- $\frac{٢٢٨}{١}$ عَن أَبِي بَـرْزَةَ ﷺ[٢٢٨] قَـالَ: بَعَـثَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ رَجُـلا إِلَـى حَـيٍّ مِـن أَحْيَـاءِ الْعَـرَبِ. فَسَبُّوهُ وَضَرَبُوهُ. فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ عُمَانَ أَتَيْتَ، مَا سَبُّوكَ وَلا ضَرَبُوكَ».

المعنى العام

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وتلك فضيلة، لكنها لا تصل في الفضل إلى الإحسان باللسان واليد، لكن حينما يكثر الأذى، ويشيع الظلم، والسب والشتم واللعن والضرب باليد وغيرها، وأكل أموال الناس بالباطل تظهر فضيلة السلامة من اللسان واليد كفضيلة كبرى.

وهكذا كان أهل عمان في هذا الزمن أرق أفئدة، وأنقى لساناً، وأنظف يداً من كثير من أحياء العرب. فأثنى عليهم صلى الله عليه وسلم، ليقتدى بهم من عاصرهم، ومن يسمع بحسن أخلاقهم.

المباحث العربية

(**بعث رسول الله ﷺ رجلاً إلى حي من أحياء العرب**) ليدعوهم إلى الإسلام بالحسنى، وأُبهمَ هذا الحي جريا على عادتهم في عدم التصريح بالمذموم للستر عليه.

(**لو أن أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك**) « عمان » في هذا الحديث بضم العين وتخفيف الميم، وهي عاصمة البحرين، وحكى القاضي عياض أن من العلماء من ضبطه بفتح العين وتشديد الميم، وهذا غلط.

فقه الحديث

فيه منقبة وفضل لأهل عمان بالثناء عليهم.

وفيه فضيلة سلامة المسلمين من الأذى.

وفيه ما لاقى حاملو الدعوة من العنت والأذى.

وما كان عليه بعض أحياء العرب من الغلظة والعنف والإيذاء.

والله أعلم

---

(٢٢٨) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ عَنْ أَبِي الْوَازِعِ جَابِرِ بْنِ عَمْرٍو الرَّاسِبِيِّ سَمِعْتُ أَبَا بَرْزَةَ يَقُولُ

(٦٨٢) باب ذكر كذاب ثقيف

٥٦٥١-٢٢٩/١ عَن أَبِي نَوْفَلٍ[٢٢٩] رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ. قَالَ: فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرُّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ. حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ. فَوَقَفَ عَلَيْهِ. فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ، أَبَا خُبَيْبٍ! السَّلامُ عَلَيْكَ، أَبَا خُبَيْبٍ! السَّلامُ عَلَيْكَ، أَبَا خُبَيْبٍ! أَمَا وَاللَّهِ! لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا. أَمَا وَاللَّهِ! لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَن هَذَا. أَمَا وَاللَّهِ! لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَن هَذَا. أَمَا وَاللَّهِ! إِنْ كُنْتَ، مَا عَلِمْتُ، صَوَّامًا، قَوَّامًا، وَصُولا لِلرَّحِمِ. أَمَا وَاللَّهِ! لأُمَّةٌ أَنْتَ أَشَرُّهَا لأُمَّةٌ خَيْرٌ. ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ. فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَوْقِفُ عَبْدِ اللَّهِ وَقَوْلُهُ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأُنْزِلَ عَن جِذْعِهِ. فَأُلْقِيَ فِي قُبُورِ الْيَهُودِ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ. فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ. فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ: لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكِ مَنْ يَسْحَبُكِ بِقُرُونِكِ. قَالَ فَأَبَتْ وَقَالَتْ: وَاللَّهِ! لا آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي. قَالَ فَقَالَ: أَرُونِي سِبْتَيَّ. فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ. ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَذَّفُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا. فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ. بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ! أَنَا وَاللَّهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ. أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ. وَأَمَّا الآخَرُ فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لا تَسْتَغْنِي عَنْهُ. أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا: «أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا» فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ. وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلا إِخَالُكَ إِلا إِيَّاهُ. قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا.

المعنى العام

عبد الله بن الزبير بن العوام، ابن أسماء بنت أبى بكر، هاجرت أمه وهى حامل به، فولدته بقباء، وكان أول مولود للمهاجرين بالمدينة سنة ثنتين من الهجرة، ففرحوا به فرحاً شديداً، وذلك أنهم قيل لهم: إن اليهود قد سحرتكم، فلا يولد لكم. شهد الجمل مع أبيه وخالته عائشة، وكان شهماً ذا أنفة، بويع له بالخلافة سنة أربع وستين، وكانت بيعته بعد موت معاوية بن يزيد، واجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان، وحج بالناس ثمانى حجج، فلما تولى عبد الملك بن مروان غلب على العراق، ثم جهز الحجاج بن يوسف الثقفى إلى ابن الزبير، فقاتله إلى أن قتل ابن الزبير فى جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، ثم صلبه الحجاج أياماً، وكان هذا الحديث عن الحجاج بن يوسف جبار ثقيف وموقفه من ابن الزبير وأمه.

---

(٢٢٩) حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ إِسْحَقَ الْحَضْرَمِيَّ أَخْبَرَنَا الأَسْوَدُ بْنُ شَيْبَانَ عَن أَبِي نَوْفَلٍ

المباحث العربية

(**رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة**) العقبة المرقى الصعب من الجبال، والمراد من المدينة هنا مكة، أى رآه مصلوبا، منكسا، رأسه إلى أسفل، على قمة جبل فى مكة.

(**فجعلت قريش تمر عليه والناس**) من غير قريش، منهم من يدعو له ويترحم عليه، ومنهم من يرى لحب الاستطلاع.

(**حتى مر عليه عبد الله بن عمر، فوقف عليه**) أى على الأرض القريبة منه.

(**فقال: السلام عليك: أبا خبيب**) بضم الخاء وفتح الباء، مصغر، ناداه بكنيته، كنى بأكبر أبنائه وكانت له كنية أخرى، هى أبو بكر.

(**أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا**) قالها ثلاثا، والمشار إليه أسباب هذا الصلب، وهو مقاتلة الجبارين، والوقوف أمامهم.

(**أما والله إن كنت ما علمت، صواماً، قواماً، وصولاً للرحم**) « إن » مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير محذوف، أى إن الحال والشأن والحقيقة، والجملة خبرها، و « وصولا » اسم مبالغة لاسم الفاعل، أى كثير الوصل للرحم، قال القاضى: وهو أصح من قول بعض الإخباريين، ووصفه بالإمساك. وقد عده صاحب الكتاب الأجود فيهم - أى فى الأجودين، وهو المعروف من أحواله. اهـ. أى هذا الوصف، وأنه وصول للرحم كريم، أصح من وصف بعض المؤرخين له بالبخل، والإمساك، وفى الاستيعاب لابن عبد البر: قال على بن زيد بن الجدعانى: كان عبد الله بن الزبير كثير الصلاة، كثير الصيام، شديد البأس، كريم الجدات، والأمهات والخالات، إلا أنه كانت فيه خلال، لا تصلح معها الخلافة، لأنه كان بخيلا، ضيق العطاء.

(**أما والله لأمة أنت أشرها لأمة خير**) الأفصح أن يقال: شرها، قال النووى: هكذا هو فى كثير من نسخنا « لأمة خير» وكذا نقله القاضى عن جمهور رواة مسلم، وفى أكثر نسخ بلادنا « لأمة سوء »، ونقله القاضى عن رواية السمرقندى. قال: وهو خطأ وتصحيف. اهـ. والمعنى: إن أعداءك يقولون عنك: إنك أكثر الأمة شراً، وحقيقتك أنك من أحسنها، فإذا كنت شرا كانت الأمة كلها خيرا. والمعنى ليس فاسداً على الرواية الأخرى، أى إذا كنت شراً فالأمة كلها شر وسوء، لأنك من أحسنها.

(**ثم نفذ عبد الله بن عمر**) بفتح النون والفاء بعدها ذال، أى مضى وذهب لحاله.

(**فبلغ الحجاج موقف عبد الله بن عمر، وقوله**) فخشى تأثير هذا القول فى المسلمين، وخشى احتمال غضبتهم للمصلوب.

(**فأرسل إليه**) أى إلى ابن الزبير.

(**فأُنْزِلَ عن جذعه**) المصلوب عليه، وفى الاستيعاب لابن عبد البر: قال أبو عمر: رحل عروة ابن الزبير إلى عبد الملك بن مروان، فرغب إليه فى إنزاله من الخشبة، فأسعفه، فأنزل.

(**فألقى فى قبور اليهود**) وفى الاستيعاب عن ابن أبى مليكة، قال: كنت أول من بشر أسماء بنزول ابنها عبد الله بن الزبير من الخشبة، فدعت بمركن وشب يمان، وأمرتنى بغسله، فكنا لا نتناول عضوا إلا جاء معنا، فكنا نغسل العضو، ونضعه فى أكفانه، ونتناول العضو الآخر الذى يليه، فنغسله، ثم نضعه فى أكفانه، حتى فرغنا منه، ثم قامت، فصلت عليه.

(**ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبى بكر، فأبت أن تأتيه، فأعاد عليها الرسول: لتأتينى، أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك - أى يجرك بضفائر شعرك - فأبت، وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث إلى من يسحبنى بقرونى. قال: فقال: أرونى سبتى - بكسر السين وإسكان الباء وفتح التاء وتشديد الياء، تثنية سبت، وهى النعل التى لا شعر عليها، فأخذ نعليه، ثم انطلق يتوذف - بفتح الواو والذال المشددة - أى يسرع، وقيل: يتبختر - حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيتنى فعلت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك. بلغنى أنك تقول له - ساخراً - يا بن ذات النطاقين، أنا والله ذات النطاقين، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبى بكر من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة التى لا تستغنى عنه**) والنطاق - بكسر النون، قال العلماء: النطاق أن تلبس المرأة ثوبها، ثم تشد وسطها بشيء، وترفع وسط ثوبها، وترسله على الأسفل، تفعل ذلك عند معاناة الأشغال، لئلا تعثر فى ذيلها، قيل: سميت أسماء ذات النطاقين، لأنها كانت تطارف نطاقا فوق نطاق، والأصح أنها سميت بذلك لأنها شقت نطاقها الواحد نصفين، فجعلت أحدهما نطاقا صغيرا، واكتفت به، والآخر لسفرة النبى ﷺ، وأبى بكر ﷺ، كما صرحت به فى هذا الحديث هنا، ولفظ البخارى أوضح من لفظ مسلم، ولفظ البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت: « وصنعنا لهما سفرة فى جراب، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين ». وفى رواية « ذات النطاق ».

(**أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن فى ثقيف كذابا ومبيرا**) بضم الميم وكسر الباء، وهو المهلك.

(**فأما الكذاب فرأيناه**) تعنى به المختار بن أبى عبيد الثقفى، وكان شديد الكذب، ومن أقبح كذبه أنه ادعى أن جبريل عليه السلام يأتيه، قال النووى: واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبى عبيد.

(**وأما المبير فلا إخالك إلا إياه**) « إخالك » بفتح الهمزة وكسرها، وهو أشهر، ومعناه أظنك، واتفق العلماء على أن المراد بالمبير هنا الحجاج بن يوسف.

فقه الحديث

١- فى الحديث استحباب السلام على الميت فى قبره وغيره.

٢- وتكرير السلام ثلاثا كما كرر ابن عمر.

٣- وفيه الثناء على الموتى بجميل صفاتهم المعروفة.

٤- وفيه منقبة لابن عمر، لجهره بالحق فى الملأ، وعدم اكتراثه بالحجاج، لأنه يعلم أنه سيبلغه مقامه.

٥- وفى كلام ابن عمر إبطال الإشاعة الكاذبة التى اختلقها الحجاج، بأن عبد اللّه بن الزبير عدو اللّه وظالم.

قال النووى: ومذهب أهل الحق أن ابن الزبير كان مظلوما، وأن الحجاج ورفقته كانوا خوارج عليه.

٦- وفيه شجاعة أسماء وقوة حجتها وكلامها وقوة شخصيتها.

واللّه أعلم

(٦٨٣) باب فضل فارس

٥٦٥٢- ٢٣٠/١ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٢٣٠] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَذَهَبَ بِهِ رَجُلٌ مِن فَارِسَ -أَوْ قَالَ- مِن أَبْنَاءِ فَارِسَ. حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ».

٥٦٥٣- ٢٣١/٢ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٢٣١] قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ. إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ. فَلَمَّا قَرَأَ: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾[الجمعة/٣] قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ ﷺ. حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا. قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ. قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِن هَؤُلاءِ».

المعنى العام

تطلق فارس والفرس على ما يسمى فى هذه الأيام إيران، قيل: إنهم من ولد هدرام بن أرفخشد بن سام ابن نوح، وأنه ولد بضعة عشر رجلا، كلهم كان فارسا شجاعا، فسموا الفرس، للفروسية، وقيل فى نسبهم أقوال أخرى، وفى الطبقات: كان أولهم على دين نوح، ثم دخلوا فى دين الصابئة، فى زمن طمهورث، فداموا على ذلك أكثر من ألف سنة، ثم تمجسوا على يد زرادشت.

واشتهر من مسلميهم سلمان الفارسى، وقد سبقت فضائله قبل ثلاثة عشر بابا، قال القرطبى: وقع ما قاله ﷺ عيانا، فإنه وجد منهم من اشتهر ذكره من حفاظ الآثار والعناية بها، ما لم يشاركهم فيه كثير من غيرهم.

المباحث العربية

(لوكان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس - أوقال: من أبناء فارس، حتى يتناوله) وفى الرواية الثانية «لوكان الإيمان عند الثريا، لناله رجال من هؤلاء» فوضع يده على سلمان الفارسى.

و«الثريا» مجموعة من النجوم البعيدة عن الأرض، وبها يضرب المثل فى البعد، والكلام كناية عن وصول أهل فارس إلى الدين والعلم والإيمان مهما كلفهم هذا الوصول، زاد فى بعض الروايات «برقة قلوبهم».

---

(٢٣٠) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدٌ أَخْبَرَنَا و قَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَن جَعْفَرٍ الْجَزَرِيِّ عَن يَزِيدَ بْنِ الأَصَمِّ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٢٣١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ عَن ثَوْرٍ عَن أَبِي الْغَيْثِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(فلما قرأ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣] قال رجل: من هؤلاء يارسول الله) وفى رواية « من هؤلاء الذين لما يلحقوا بنا؟ » والتعبير بـ « لما » يفيد أنهم سيلحقون.

فقه الحديث

فى الحديث فضيلة ظاهرة لأبناء فارس.
وجواز استعمال المجاز والكناية والمبالغة إذا كانت فى مواضعها.

والله أعلم

(٦٨٤) باب بيان قوله صلى الله عليه وسلم:
« الناس كإبل مائة »

٥٦٥٤- $\frac{٢٣٢}{١}$ عَنِ ابْـنِ عُمَـرَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنهُمَـا(٢٣٢) قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «تَجِـدُونَ النَّاسَ كَـإِبِلٍ مِائَـةٍ. لا يَجِـدُ الرَّجُـلُ فِيهَـا رَاحِلَـةً».

المعنى العام

أكثر الناس لا يعلمون، وأكثر الناس لا يفقهون، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وبعث النار قد يكون من كل مائة تسعة وتسعين، والمؤمنون بالإسلام بالنسبة لأمم بنى آدم فى عصورها السابقة واللاحقة كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض.

وكل مجتمع من مجتمعات بنى آدم، فيهم القوى وفيهم الضعيف، فيهم الجواد وفيهم البخيل، فيهم الشجاع وفيهم الجبان، فيهم العطوف الرحيم، وفيهم الشديد الغليظ المناع للخير المعتدى الأثيم، ولو تجاوزنا بعض المجتمعات الفاضلة فى بعض الأزمنة لوجدنا نسبة الفاسدين للصالحين تصل [٩٩٪] كالإبل المجتمعة لا تجد منها يصلح للركوب المريح إلا [١٪] وباقيها إنما يصلح لحمل الأثقال.

المباحث العربية

(**تجدون الناس كإبل مائة، لا يجد الرجل فيها راحلة**) قال ابن قتيبة: الراحلة، النجيبة، المختارة من الإبل للركوب وغيره، فهى كاملة الأوصاف، فإذا كانت فى إبل عرفت. قال: ومعنى الحديث أن الناس متساوون، ليس لأحد منهم فضل فى النسب، بل هم أشباه الإبل المائة. اهـ

قالوا: والنفى المطلق هنا « لا تجد فيها راحلة » محمول على المبالغة، وعلى أن ذلك نادر، والنادر لا حكم له، فيرجع المعنى إلى رواية البخارى « لا تكاد تجد فيها راحلة ».

وقال الخطابى: الراحلة التى ترحل لتركب، والراحلة فاعلة بمعنى مفعولة، أى كلها حمولة، تصلح للحمل، ولا تصلح للرحل والركوب عليها - لأن الذى يصلح للركوب، ينبغى أن يكون وطيئا سهل الانقياد. - قال: وتأولوا هذا الحديث على وجهين:

أحدهما أن الناس فى أحكام الدين سواء، لا فضل فيها لشريف على مشروف، ولا لرفيع على وضيع، كالإبل المائة، التى لا يكون فيها راحلة (قال الحافظ ابن حجر: وقد أورد البيهقى هذا الحديث فى كتاب القضاء، فى تسوية القاضى بين الخصمين، أخذا بهذا التأويل).

---

(٢٣٢) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَاللَّفْظُ لِمُحَمَّدٍ قَالَ عَبْدٌ أَخْبَرَنَا و قَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ

الثاني: أن أكثر الناس أهل نقص، وأما أهل الفضل فعددهم قليل جداً، فهم بمنزلة الراحلة فى الإبل الحمولة.

وقيل: المعنى أن الزاهد فى الدنيا، الكامل فى الزهد، الراغب فى الآخرة قليل، كقلة الراحلة فى الإبل، وحسنه النووى، قال: وأجود منه قول آخرين: إن المرضى الأحوال من الناس، الكامل الأوصاف قليل. وقال القرطبى: الذى يناسب التمثيل أن الرجل الجواد، الذى يحمل أثقال الناس والحمالات عنهم، ويكشف كربهم، عزيز الوجود، كالراحلة فى الإبل الكثيرة.

وقال ابن بطال: معنى الحديث أن الناس كثير، والمرضى منهم قليل، وإلى هذا المعنى أومأ البخارى بإدخال هذا الحديث فى باب رفع الأمانة.

وقال الخطابى: العرب تقول للمائة من الإبل: إبل، يقولون: لفلان إبل، أى مائة بعير، ولفلان إبلان، أى مائتا بعير.

وقال الراغب: الإبل اسم مائة بعير، فقوله: كإبل مائة - كقولنا: مائة مائة، المراد به عشرة آلاف.

قال الحافظ ابن حجر: والذى يظهر على تسليم قوله، لا يلزم ما قال: إن المراد عشرة آلاف، بل المائة الثانية للتأكيد.

وأشار ابن بطال إلى أن المراد بالناس فى الحديث، من يأتى بعد القرون الثلاثة، الصحابة والتابعين وتابعيهم، حيث يصيرون يخونون ولا يؤتمنون. قال الكرمانى: لا حاجة لهذا التخصيص، لاحتمال أن يراد أن المؤمنين قليل بالنسبة للكفار.

فقه الحديث

هذا الحديث فى نهاية كتاب المناقب يفيد أمرين:

الأول: أن ما مضى من المناقب والفضائل إنما تتعلق بالدين، لا بالنسب.

الثاني: أن ما ذكر من فضائل شرف ومنقبة، وإن قل فى نظر الباحث، فأهل الفضل عددهم قليل جدا، لأن الغثاء كثير.

(إضافة) لم يرتب الإمام مسلم - رحمه اللّه تعالى - أصحاب الفضائل ترتيبا ما، وكأنه ذكرها عفويا تمهيدا لترتيبها فيما بعد، فلم تتهيأ له فرصة الترتيب، كما حصل له فى الغزوات.

أما البخارى فله وجهة نظر فى ترتيبه الغزوات والفضائل، رضى الله عنهما وجزاهما عن الإسلام والحديث النبوى خيرًا.

واللّه أعلم

كتاب

البر والصلة والآداب

(٦٨٥) باب بر الوالدين

٥٦٥٥- ١/١ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁[1] قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ» وَفِي حَدِيثِ قُتَيْبَةَ: مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ وَلَمْ يَذْكُرِ النَّاسَ.

٥٦٥٦- ٢/٢ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁[2] قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: «أُمُّكَ» ثُمَّ أُمُّكَ. ثُمَّ أُمُّكَ. ثُمَّ أَبُوكَ. ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ».

٥٦٥٧- ٣/٣ وَفِي رواية عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁[3] قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ. وَزَادَ: فَقَالَ: «نَعَمْ. وَأَبِيكَ! لَتُنَبَّأَنَّ».

٥٦٥٨- ٤/٤ وَفِي رواية عَنِ ابْنِ شُبْرُمَةَ[4]، بِهَذَا الإِسْنَادِ. فِي حَدِيثِ وُهَيْبٍ: مَنْ أَبَرُّ؟ وَفِي حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ: أَيُّ النَّاسِ أَحَقُّ مِنِّي بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ. ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ.

٥٦٥٩- ٥/٥ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا[5] قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ. فَقَالَ: أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ» حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ.

٥٦٦٠- ٠٠/٤ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا[٠٠] قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى

---

(١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ جَمِيلِ بْنِ طَرِيفٍ الثَّقَفِيُّ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالا حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَن عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ عَن أَبِي زُرْعَةَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٢) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ الْهَمْدَانِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ عَن أَبِيهِ عَن عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ عَن أَبِي زُرْعَةَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَن عُمَارَةَ وَابْنِ شُبْرُمَةَ عَن أَبِي زُرْعَةَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٤) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا شَبَابَةُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ ح وحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ خِرَاشٍ حَدَّثَنَا حَبَّانُ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ كِلاهُمَا عَنِ ابْنِ شُبْرُمَةَ

(٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالا حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَن سُفْيَانَ عَن حَبِيبٍ ح و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا يَحْيَى يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ عَن سُفْيَانَ وَشُعْبَةَ قَالا حَدَّثَنَا حَبِيبٌ عَن أَبِي الْعَبَّاسِ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو
- حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن حَبِيبٍ سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ قَالَ مسلم أَبُو الْعَبَّاسِ اسْمُهُ السَّائِبُ بْنُ فَرُّوخَ الْمَكِّيُّ
- حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ بِشْرٍ عَن مِسْعَرٍ ح و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو عَن أَبِي إِسْحَقَ ح وحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ عَن زَائِدَةَ كِلاهُمَا عَنِ الأَعْمَشِ جَمِيعًا عَن حَبِيبٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ

(٠٠) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ عَن يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ أَنَّ نَاعِمًا مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ

نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ. قَالَ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ. بَلْ كِلاهُمَا. قَالَ: «فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا».

المعنى العام

الوالدان هما المصدر الثاني للوجود بعد اللَّه سبحانه وتعالى، لهذا قرنهما اللَّه تعالى بنفسه في وجوب الشكر، حيث يقول ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] وقرنهما بنفسه سبحانه وتعالى حين أمر بطاعته وعبادته، فقال ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦] وقال ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] وقرن صلى اللَّه عليه وسلم عقوقهما بالإشراك باللَّه، حين سرد أكبر الكبائر، فقال: «الإشراك باللَّه وعقوق الوالدين» وبر الوالدين رمز للوفاء والاعتراف بالحق لصاحب الحق، ورمز للشكر على المنعم بنعمه، والحديث يقول: «لم يشكرني من لم يشكر من أجريت النعمة على يديه». كما جعل صلى اللَّه عليه وسلم كثرة العقوق علامة من علامات آخر الزمان وظهور الفتن وانقلاب الأحوال، وقد رسم القرآن الكريم مظاهر بر الوالدين، بقوله ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وهذا البر مهما بلغ لا يكافئ فضل الآباء على الأبناء، فالرجل الذى حمل أمه ساعات، يمشى بها على الرمال الحارقة التى لو وضعت عليها اللحم لنضجت، يحمى رجليها من الاحتراق، ويعرض رجليه هو للاحتراق، سأل: هل جازيت بذلك أمي؟ فأجيب: لعلك كافأتها بذلك عن طلقة واحدة، ونخسة واحدة من نخساتك لها عند ولادتك وفى الصحيح «لن يجزى ولد والده، حتى يجده مملوكا، فيشتريه، فيعتقه».

وبر الوالدين مقدم على الجهاد تطوعا، وعلى التطوع بالصلاة والصوم، لأنه واجب عينى، والتطوع بالجهاد أصله واجب كفائى.

وستأتى أحاديث كثيرة فى الأبواب الآتية تؤكد حق الوالدين، وفضل رضاهما على الأبناء مما يلزم الأبناء ببرهما، حماية لأنفسهم، ولعقبهم، وابتغاء رضوان اللَّه تعالى وإحسانه.

المباحث العربية

(**كتاب البر**) قال أهل اللغة: بررت والدى، بكسر الراء الأولى، أبره بضمها مع فتح الباء، براً،

بكسر الباء، وأنا بر به، بفتح الباء، وجمعه الأبرار، وبار به، بتشديد الراء، وجمعه بررة، والبر بكسر الباء ضد العقوق، وهو التوسع فى الإحسان إليهما، ووصلهما، وبر حجه يبر بكسر الباء، برا بكسرها، قبل، وبر اليمين، صدقت، وبر فى يمينه صدق، وبر بوعده، وفى به، وبرت السلعة راجت، وبر البيع خلا من الشبهة والكذب والخيانة، وبر فلان ربه، توسع فى طاعته.

(**والصلة**) الإحسان إلى الأقربين، من ذوى النسب والأصهار، والعطف عليهم، والرفق بهم، ومراعاة أحوالهم، يقال: وصل رحمه، بفتح الواو والصاد يصلهم وصلا وصلة.

(**والآداب**) جمع أدب، وهو استعمال ما يحمد قولا، وفعلا، وقيل: الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل: الوقوف مع المستحسنات، وقيل: هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك، وقيل: إنه مأخوذ من المأدبة، وهى الدعوة إلى الطعام، سمى بذلك لأنه يدعى إليه. والمعانى كلها متقاربة، متفرعة عن أصل واحد، وهو إحسان المعاملة.

(**جاء رجل إلى رسول الله ﷺ**) يحتمل أنه معاوية بن عبيدة، فعنه فى الأدب المفرد « قلت: يارسول الله. من أبر»؟ ولعل السائلين بذلك أكثر من واحد.

(**فقال: من أحق الناس بحسن صحابتى؟**) بفتح الصاد، بمعنى الصحبة، وحسن صحابتى من إضافة الصفة إلى الموصوف، أى صحبتى الحسنة، وفى الرواية الثانية « من أحق الناس بحسن الصحبة »؟ وفى ملحقها « أى الناس أحق منى بحسن الصحبة »؟ أى بحسن صحبتى؟ وفى ملحق الرواية الأولى وفى البخارى « من أحق بحسن صحابتى »؟ ولم يذكر « الناس » وهى مرادة، وفى ملحق الرواية الثانية « من أبر»؟ أى من الذى أبره أولا من الناس؟.

(**قال: أمك**) خبر لمبتدأ محذوف، أى أحق الناس بحسن صحابتك أمك.

(**قال: ثم من؟**) مبتدأ، خبره محذوف، أى ثم بعد من بعد الأم، أحق بحسن صحابتى؟

(**قال: ثم أمك**) خبر لمبتدأ محذوف، أى أحق الناس بعد أمك بحسن صحابتك أمك.

(**قال: ثم من؟**) مبتدأ خبره محذوف تقديره: ثم من بعد الأم مرتين أحق بحسن صحابتى؟

(**قال: ثم أمك**) خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: أحق الناس بعد أمك مرتين بحسن صحابتك أمك.

وفى الرواية الثانية « قال: أمك، ثم أمك، ثم أمك » حذف فيها سؤال الرجل، وهو مراد.

(**قال: ثم من؟**) أحق بصحابتى بعد الأم ثلاث مرات؟

(**قال: ثم أبوك**) أحق بصحابتك بعد أمك ثلاثا، وفى رواية الأدب المفرد « ثم أباك » بالنصب، على إضمار فعل، أى بر أباك.

(**نعم: وأبيك – لتنبأن**) بضم التاء، وفتح النون والباء المشددة، ونون التوكيد الثقيلة، أى لأنبئنك بأحق الناس بصحبتك الحسنة، وقد استشكل قوله « وأبيك » مع قوله صلى اللّٰه عليه وسلم « إن اللّٰه ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ».

وأجيب باحتمال أن يكون الحلف هنا قبل النهى، وقيل: إن فى الكلام مضافا محذوفا، والتقدير: ورب أبيك، وقيل: ليس الكلام هنا حلفا، وإنما هى كلمة جرت على ألسنتهم غير مقصود بها الحلف، وهى بمثابة قولهم: تربت يمينك، والنهى فيمن قصد حقيقة الحلف، لما فيه من تعظيم المحلوف به، ومضاهاته به سبحانه وتعالى.

(**ثم أدناك أدناك**) المراد بالدنو القرب إلى البار، وفى لفظ « ثم أدناك فأدناك »، والترتيب تنازلى، أى الأكثر قربا منك، ثم الأقل منه قربا، وهكذا، وفى فقه الحديث تفصيل العلماء لجهات القرب وترتيبها.

(**جاء رجل إلى رسول اللّٰه ﷺ ، يستأذنه فى الجهاد**) قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون هو جاهمة بن العباس بن مرداس، فقد روى النسائى وأحمد « أن جاهمة جاء إلى النبى ﷺ ، فقال: يا رسول اللّٰه. أردت الغزو، وجئت لأستشيرك، فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم. قال: الزمها ». والظاهر أن الاستئذان فى الجهاد تكرر ممن له أبوان، وممن له أم.

(**فقال: أحى والداك؟**) « والداك » فاعل لاسم الفاعل، والاستفهام حقيقى.

(**قال: ففيهما فجاهد**) فى الجملة قصر، طريقه تقديم ما حقه التأخير، والأصل فجاهد فيهما، وهو قصر قلب، أى جاهد فيهما، لا فى ميادين الكفار، والمقصود بالجهاد فيهما، جهاد النفس فى رضاهما، قال الحافظ ابن حجر: ويستفاد منه جواز التعبير عن الشيء بضده، إذا فهم المعنى، لأن صيغة الأمر فى قوله « فجاهد » ظاهرها إيصال الضرر الذى كان يحصل لغيرهما، لهما، وليس ذلك مراداً قطعاً، وإنما المراد إيصال القدر المشترك من كلفة الجهاد، وهو تعب البدن والمال لهما، ويؤخذ منه أن كل شيء يتعب النفس يسمى جهاداً. اهـ.

وفى الرواية الرابعة « أقبل رجل إلى النبى ﷺ، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغى الأجر من اللّٰه، قال: فهل من والديك أحد حى؟ قال: نعم. بل كلاهما، قال: فتبتغى الأجر من اللّٰه؟ قال: نعم. قال: فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتهما ». ولأبى دواد وابن حبان « ارجع، فأضحكهما، كما أبكيتهما ». وعند أبى داود « ارجع، فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما ». وعند ابن حبان « قال: فإن لى والدين، قال: آمرك بوالديك خيرا، فقال: والذى بعثك بالحق نبيا، لأجاهدن، ولأتركنهما، قال: فأنت أعلم ».

وعند أحمد « هاجر رجل، فقال له النبى ﷺ: هل باليمن أبواك؟ قال: نعم. قال: أذنا لك؟ قال: لا. قال: فارجع، فاستأذنهما، فإن أذنا لك، وإلا فبرهما ».

فقه الحديث

هما بابان عند البخارى، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، وباب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين، وقد جعلناهما بابا واحدا مجاراة للنووى رحمه اللّه، وفعل البخارى أولى وأدق، فقد خصص النووى باباً لتقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرهما، فكان حقه أن يخص تقديم الوالدين على الجهاد، بباب.

لهذا نتكلم فى فقه الحديث عن ثلاث نقاط: الفرق بين الأم والأب فى البر، والجهاد بإذن الأب والأم، ثم ما يؤخذ من الأحاديث.

فالرواية الأولى والثانية وملحقاها فى الحث على بر الأقارب، وأن الأم أحقهم بذلك، ثم بعدها الأب، ثم الأقرب فالأقرب، قال العلماء: وسبب تقديم الأم كثرة تعبها على الابن، وشفقتها عليه، وخدمتها له، ومعاناة المشاق فى حمله، ثم وضعه، ثم إرضاعه، ثم تربيته وخدمته وتمريضه وغير ذلك. قلت: واحتياجها إلى بر الابن أكثر من الأب، لضعفها غالبا.

قال النووى: ونقل الحارث المحاسبى إجماع العلماء على أن الأم تفضل فى البر على الأب، وحكى القاضى عياض خلافا فى ذلك، فقال: قال الجمهور بتفضيلها، وقال بعضهم: يكون برهما سواء، قال: ونسب بعضهم هذا إلى مالك، والصواب الأول، لصريح هذه الأحاديث فى المعنى المذكور اهـ

أقول: واقتضت الآيات التى سقناها فى المعنى العام الوصية بالوالدين، والأمر بطاعتهما، ولو كانا كافرين، إلا إذا أمرا بالشرك، فتجب معصيتهما فى ذلك، عملا بقوله تعالى **﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾** [لقمان: ١٥].

وقد أخرج مسلم فى صحيحه عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه قال: حلفت أم سعد، لا تكلمه أبداً، حتى يكفر بدينه، قالت: زعمت أن اللّه أوصاك بوالديك، فأنا أمك، وأنا آمرك بهذا، فنزلت **﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾** [العنكبوت: ٨] وفى رواية « قالت أمه: يا سعد. لن آكل، ولن أشرب حتى أموت، فتعير بى بين العرب، فيقال لك: يا قاتل أمه. فقال سعد: يا أماه. واللّه لقد علم العرب أننى أبر الناس بأمى، ولكن. لو أن لك مائة نفس، فخرجت نفسا نفسا، ما رجعت عن دينى ».

وحديثنا صريح فى أن للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، ويقويه ما جاء فى الصحيح أن رسول اللّه ﷺ قال: « إن اللّه يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم بالأقرب فالأقرب ». ويؤيد القول بتقديم الأم ما أخرجه الحاكم وأبو داود « أن امرأة قالت: يا رسول اللّه. إن ابنى هذا، كان بطنى له وعاء، وثديى له سقاء، وحجرى له حواء، وإن أباه طلقنى،

وأراد أن ينزعه مني؟ فقال: أنت أحق به ما لم تنكحي». فتوصلت لاختصاصها به، باختصاصه بها في الأمور الثلاثة، ويعلل الجمهور ذلك بما تتحمل من مشاق خاصة بها، لا يشاركها فيها الأب، ثم هي تشارك الأب في التربية، وتشير إلى ذلك الآية الكريمة ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] فسوى بينهما في الوصاية، وخص الأم بالأمور الثلاثة.

وحجة غير الجمهور - وهم بعض الشافعية - أن الآيات تجمعهما - دون تفرقة - في طلب الإحسان إليهما ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

ويقولون: إن ما تعانيه الأم من مشاق تقوم به اندفاعا من طبيعتها وخلقتها، فهو لإرضاء نفسها، وإشباع غريزتها، كمن يتعب في الأكل والشرب، لا يبغي بذلك أجرا، فلا يطلب من الابن مكافأتها على ما تمتعت هي به، تمتعا لا تقبل هي بحال أن تتخلى عنه.

أما الحديث فيكرر البر بها، والإحسان إليها، لأنها لضعفها غالبا تكون أحوج من الأب للعطف، والبر لا جزاء على ما قدمت، وهي وإن كانت مسئولة عن الابن فترة ما من الزمن، فالأب مسئول عنها وعن ابنها، وهو المتحمل شرعا لنفقتها ونفقة ابنها، وجميع التكاليف اليومية، مما يجعله - على الأقل - مساويا لها في حقوقه على أولاده.

وما نسب إلى الإمام مالك من أنه يقول: إنهما في البر سواء، أخذ مما روى أنه سأله رجل، قال: طلبني أبي فمنعتني أمي؟ قال مالك: أطع أباك، ولا تعص أمك. قال ابن بطال: هذا يدل على أنه يرى أن برهما سواء، إذ قال الليث - حين سئل عن هذه المسألة بعينها - قال: أطع أمك، فإن لها ثلثي البر. قال الحافظ ابن حجر: والصواب رأي الجمهور.

وأميل إلى التفرقة في البر، بين العطاء، وبين الطاعة، فتعطى الأم من العطف والشفقة والحنان والصلات المادية ثلاثة أمثال ما يعطى الأب، ويطاع الأب في أوامره ونواهيه وتوجيهاته، فهو قائد الأسرة، وله القوامة عليها، وعليها طاعته، فلا معنى لطاعة الابن لها، ما دامت هي مطيعة للأب زوجها، ويبقى الكلام في طاعة الابن لها حيث لا يكون الأب موجودا، وعندي أن ذلك يخضع لظروف وملابسات يختلف معها الحكم، فقد يكون الابن بالغا عاقلا رشيدا حكيما، والأم متخلفة، تحكمها شهوتها وعاطفتها، فتأمره بالزواج بمن لا يهوى مثلا، أو تطليق من يهوى، ومن حاله مستقيمة معها. فكيف نوجب عليه طاعتها؟

وفي ترتيب الأقربين يقول النووي: قال أصحابنا: يستحب أن تقدم في البر الأم، ثم الأب، ثم الأجداد والجدات، ثم الأخوة والأخوات، ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام، كالأعمام والعمات،

والأخوال والخالات، ويقدم الأقرب فالأقرب، ويقدم من أدلى بأبوين على من أدلى بأحدهما، ثم بذى الرحم غير المحرم، كابن العم وبنته، وأولاد الأخوال والخالات وغيرهم، ثم المصاهر، ثم الجار، ويقدم القريب البعيد الدار على الجار غير القريب، وكذا لو كان القريب فى بلد آخر، قدم على الجار الأجنبى، قال: وألحقوا الزوجة والزوج بالمحارم.اهـ وقد أخرج أحمد والنسائى، وصححه الحاكم « أن امرأة سألت النبى ﷺ: أى الناس أعظم حقا على المرأة؟ قال: زوجها، قالت، فعلى الرجل؟ قال: أمه ».

وأما عن النقطة الثانية :فقال جمهور العلماء: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما، بشرط أن يكونا مسلمين، لأن برهما فرض عين، والجهاد فرض كفاية، فإن تعين الجهاد، فلا يحتاج إلى إذن، وإن كانا مشركين لم يشترط إذنهما، عند الشافعى، ومن وافقه، وشرطه الثورى، هذا كله إذا لم يحضر الصف، ويتعين القتال، وإلا فلا إذن، ولهما أن يرجعا فى إذنهما، إذا لم يحضر الصف، ولو منعاه فحضر الصف، فلا إذن، وألحق بعضهم الجد والجدة بالأبوين.

ويؤخذ من الأحاديث فوق ما تقدم

١- الحث على بر الوالدين.

٢- وعلى بر الأقارب.

٣- حرص الصحابة على أمور دينهم، وسؤالهم عما يحتاجون إليه مما يجهلون.

٤- وسعة صدره صلى اللّه عليه وسلم، وإجابته عن السؤال، ثم السؤال، ثم السؤال.

٥- استدل بالرواية الثالثة، والرابعة على تحريم السفر بغير إذن الوالدين، لأن الجهاد إذا منع مع فضيلته فالسفر المباح أولى، نعم. إن كان سفره لتعلم فرض عين، حيث تعين السفر طريقا إليه، فلا منع.

وإن كان فرض كفاية، ففيه خلاف.

هذا وقد سبق فى كتاب الإيمان بعض ما يتعلق بهذا الحديث، وبتحريم عقوق الوالدين.

واللّه أعلم

(٦٨٦) باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة، وغيرها، وفضل بر الوالدين

٥٥٦١- ٧/١ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه(٧) أَنَّهُ قَالَ: كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ. فَجَاءَتْ أُمُّهُ. قَالَ حُمَيْدٌ: فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِي هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُمَّهُ حِينَ دَعَتْهُ. كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا. ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ. فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! أَنَا أُمُّكَ. كَلِّمْنِي. فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي. فَقَالَ: اللَّهُمَّ! أُمِّي وَصَلاتِي. فَاخْتَارَ صَلاتَهُ. فَرَجَعَتْ ثُمَّ عَادَتْ فِي الثَّانِيَةِ. فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! أَنَا أُمُّكَ. فَكَلِّمْنِي. قَالَ: اللَّهُمَّ! أُمِّي وَصَلاتِي. فَاخْتَارَ صَلاتَهُ. فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ! إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ. وَهُوَ ابْنِي. وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي. اللَّهُمَّ! فَلا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ. قَالَ: وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ. قَالَ: وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ. قَالَ: فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ. فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي. فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلامًا. فَقِيلَ لَهَا: مَا هَذَا؟ قَالَتْ: مِن صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ. قَالَ: فَجَاءُوا بِفُؤُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ. فَنَادَوْهُ فَصَادَفُوهُ يُصَلِّي. فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ. قَالَ: فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ. فَقَالُوا لَهُ: سَلْ هَذِهِ. قَالَ: فَتَبَسَّمَ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ. فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِن دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. قَالَ: لا، وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ. ثُمَّ عَلاهُ.

٥٥٦٢- ٨/٢ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه(٨)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلا ثَلاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ. وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ. وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلا عَابِدًا. فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً. فَكَانَ فِيهَا. فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: يَا رَبِّ! أُمِّي وَصَلاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ. فَانْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي. فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: يَا رَبِّ! أُمِّي وَصَلاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ. فَانْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي. فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! أُمِّي وَصَلاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ. فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ! لا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ. وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا. فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ. قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا. فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمْكَنَتْهُ مِن نَفْسِهَا. فَوَقَعَ عَلَيْهَا. فَحَمَلَتْ. فَلَمَّا وَلَدَتْ. قَالَتْ: هُوَ مِن جُرَيْجٍ. فَأَتَوْهُ

---

(٧) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلالٍ عَن أَبِي رَافِعٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

(٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ

فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ. فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ. فَوَلَدَتْ مِنْكَ. فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ. فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ فَصَلَّى. فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ. وَقَالَ: يَا غُلامُ! مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلانٌ الرَّاعِي. قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ. وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: لا. أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ. فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ. فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ! اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا. فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ! لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ. قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ. فَجَعَلَ يَمُصُّهَا. قَالَ: وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ. سَرَقْتِ. وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ! لا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا. فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا. فَقَالَ: اللَّهُمَّ! اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ. فَقَالَتْ: حَلْقَى! مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ! اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ! لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَمَرُّوا بِهَذِهِ الأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ. سَرَقْتِ. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ! لا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ! اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ! لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَنَيْتِ. وَلَمْ تَزْنِ. وَسَرَقْتِ. وَلَمْ تَسْرِقْ. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ! اجْعَلْنِي مِثْلَهَا.

٥٦٦٣- ٩/٣ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٩]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».

٥٦٦٤- ١٠/٤ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١٠] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ» قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».

٥٦٦٥- وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ» ثَلاثًا. ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ.

---

(٩) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٠) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

– حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلالٍ حَدَّثَنِي سُهَيْلٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

المعنى العام

نعم. حقوق اللّٰه تعالى مبنية على تفضله وعفوه ومسامحته، وقد أراد -جل شأنه- أن يقدم حقوق عباده بعضهم مع بعض، وأن يجعل طابعها المشاحة، وأول حقوق العباد حقوق الوالدين على الولد، وإذا تعارض حق اللّٰه مع حق الوالدين، قدمت الشريعة حق الوالدين، وجعلته أهم، لأن فى حقهما حق اللّٰه تعالى، فهو الذى شرع لهما حقهما، فأداؤه أداء لحق اللّٰه وأمره وقضائه.

أمام هذا نجدنا إذا تعارضت الصلاة مع بر الوالدين قدم بر الوالدين. أمام هذا ومع أن الصلاة مناجاة بين العبد وربه، إذا دعت الأم ابنها الذى يصلى، كان عليه أن يقدم إجابتها على الاستمرار فى الصلاة، وهذا ما لم يفعله جريج الراهب، صاحب قصة الحديث، مما دفع أمه إلى الدعاء عليه، وأجاب اللّٰه دعاءها، ولما كان مجتهدًا، كان خطؤه مأجورًا، فتداركته نعمة من ربه، ولحقته رحمة اللّٰه وفضله، فأنقذه بعد غرقه، وخرق له العادة، وكرمه بأن أنطق الطفل فى المهد يشهد له، كما شهد صاحب يوسف ليوسف، وكما تكلم عيسى عليه السلام فى المهد، يبرئ أمه ويشهد لها، وكما تكلم الطفل يرد دعاء أمه.

كرامات ومعجزات، إن دلت على شيء فإنما تدل على قدرة اللّٰه تعالى التى لا تحدها عادة، ولا يحول بينها وبين الإنجاز حائل.

ونعود إلى بر الوالدين وحقوقهما، وقد ذكرنا وذكرت الأحاديث بعضا منها فى البابين السابقين، وهى هنا تربط دخول الجنة برضاهما وبرهما، وتتوعد من يعقهما بالحرمان من الجنة، وتحث من تهيأ له فرصة البر بهما، والإحسان إليهما أن ينتهز هذه الفرصة ولا يضيعها، والفرصة الحقيقية لذلك عند كبرهما وضعفهما وحاجتهما، فيا فوز من انتهزها، فأضحكهما، وسرهما، ولم يقل لهما أف، ولم ينهرهما، وقال لهما قولا كريما، وخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقال رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا.

المباحث العربية

(**كان جريج يتعبد فى صومعة**) بفتح الصاد وسكون الواو، وهى البناء المرتفع المحدد أعلاه، يقال: صمع الشيء دققه وحدده، والصومع والصومعة بيت العبادة عند رهبان النصارى، وهى تشبه الصومعة التى تبنى لخزن الحبوب، يبنيها الرهبان عادة على رأس جبل، لينقطعوا فيها للعبادة، ويصعب وصول الناس إليها، وقد يطلق عليها الدير بفتح الدال، إذا كانت متسعة.

ويبدو أنها كانت هنا كذلك، إذ فى الرواية « وكان راعى ضأن يأوى إلى ديره » أى يأوى إلى دير جريج « قالت: من صاحب هذا الدير» « فأخذوا يهدمون ديره » والظاهر أنه كان بعد عيسى ابن مريم، وأنه كان من أتباعه، لأنهم الذين ابتدعوا الترهب وحبس النفس فى الصوامع، وعند أحمد « كان رجل فى بنى إسرائيل تاجرًا، وكان ينقص مرة، ويزيد مرة، فقال: ما فى هذه التجارة خير، لألتمس تجارة، هى خير من هذه، فبنى صومعة، وترهب فيها، وكان يقال له جريج... ». الحديث، ومعنى « يتعبد »

يصلى، بدلالة ما بعده وفى الرواية الثانية « كان جريج رجلا عابدا، فاتخذ صومعة، فكان فيها » أى يتعبد ويصلى. وعند البخارى « كان فى بنى إسرائيل رجل، يقال له: جريج، كان يصلى.... ».

(**فجاءت أمه تدعوه**) أى تناديه لمصلحة لها أو له، تناديه لينزل إليها، أو يكلمها من أعلى.

(**قال حميد: فوصف لنا أبو رافع صفة أبى هريرة لصفة رسول الله ﷺ أمه حين دعته، كيف جعلت كفها فوق حاجبها، ثم رفعت رأسها إليه، تدعوه**) كان من دقة الرواة وتوثيقهم لروايتهم أن ينقلوا الحركات مع الأقوال، فرسول الله ﷺ وصف أم جريج عند ندائها ابنها، بأنها وضعت كفها فوق حاجبها وعينيها، كى تظلها من الشمس، حين رفعت رأسها من أسفل إلى أعلى، وصف هذه الحالة بالفعل، لا بالقول، فوصف أبو هريرة هذه الحالة لتلميذه أبى رافع، حين تحديثه له بهذا الحديث بالفعل أيضا، فوصف أبو رافع هذه الحالة بالفعل أيضاً حين حدث أبا حميد بهذا الحديث.

(**فقالت: يا جريج، أنا أمك. كلمنى، فصادفته يصلى، فقال: اللَّهم أمى وصلاتى، فاختار صلاته**) واستمر فيها، فلم يجب أمه، وقوله: اللَّهم أمى وصلاتى. قول فى نفسه على الأرجح، أى أيهما أقدم؟. ويحتمل أنه تكلم بذلك، ولم يكن الكلام ممنوعا فى صلاتهم، كما كان الحال فى صدر الإسلام.

(**فرجعت، ثم عادت**) مرتين غير الأولى، وفى الرواية الثانية أن العودة كانت من الغد،لافى اليوم نفسه، ثم اليوم الذى بعد الغد، ثم إن الدعاء عليه كان فى اليوم الثالث.

(**اللَّهم. إن هذا جريج، وهو ابنى، وإنى كلمته فأبى أن يكلمنى**) ذكرت فى هذه الرواية أسباب الدعاء عليه، وهى هنا ثلاثة. إنه موجود يسمعها ويعرفها، وأنه ابنها ولها عليه حقوق، وأنه لم يرد عليها نداءها، ولم تذكر هذه الحيثيات فى الرواية الثانية.

(**فلا تمته حتى تريه المومسات**) بضم الميم الأولى وكسر الثانية، جمع مومسة، وتجمع على ميامس أيضا، وهى الزوانى البغايا، المتجاهرات بذلك، و فى الرواية الثانية « لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات » وفى رواية للبخارى « حتى تريه وجوه المومسات » وفى رواية « حتى تريه المومسة » بالإفراد، وفى رواية « فغضبت، فقالت: اللَّهم. لا يموتن جريج، حتى ينظر فى وجوه المومسات » وفى رواية « أبيت أن تطلع إلى وجهى، لا أماتك اللَّه حتى تنظر فى وجهك زوانى المدينة » والمراد من الرؤية والنظر الابتلاء والادعاء والمواجهة.

(**قال: ولو دعت عليه أن يفتن لفتن**) أى لو دعت عليه أن يقع فى المعصية لوقع فيها.

(**وكان راعى ضأن يأوى إلى ديره**) ليستظل به، ويأنس إلى جواره.

(**فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها الراعى**) بجوار الصومعة، والمراد امرأة زانية معلنة، خرجت من القرية قاصدة فتنة جريج، وإغراءه، وإيقاعه، ففى الرواية الثانية « فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا، وعبادته » يمدحونه، ويثنون عليه « وكانت امرأة بغى، يتمثل بحسنها » « يتمثل » بضم الياء، وفتح التاء والميم وتشديد الثاء، أى يضرب المثل بها فى الحسن والجمال، لانفرادها بذلك،

أى لا مثيل لها. كانت تسمع كلامهم « فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم » وأغوينه، وأوقعنه فى الزنا، وأبطلن ثناءكم عليه، وعلى عبادته، فوافقوها، وحرضوها، وشجعوها، وفى رواية « قالوا: قد شئنا » فذهبت إلى صومعته « فتعرضت له » تمر بفتحات الصومعة، وتناديه، وتغنى، وتتكسر، وتبدى زينتها ومفاتنها « فلم يلتفت إليها » فوجدت الراعى يأوى إلى ظل الصومعة « فأتت راعيا كان يأوى إلى صومعته، فأمكنته من نفسها، فوقع عليها » وهى تبيت النية باتهام الراهب، لتحقق لبنى إسرائيل ما توعدته به، وفى رواية أن هذه المرأة كانت بنت ملك القرية، وفى رواية « وكانت تأوى إلى صومعته راعية ترعى الغنم » قال الحافظ ابن حجر: ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأنها خرجت من دار أبيها، بغير علم أهلها متنكرة، وكانت تعمل الفساد، فاحتالت بأن خرجت فى صورة راعية، ليمكنها أن تأوى إلى ظل الصومعة، لتتوصل إلى فتنته.

(**فحملت، فولدت غلاما، فقيل لها: ما هذا؟ قالت: من صاحب هذا الدير**) فى الرواية الثانية « فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج » وفى رواية « فقيل لها: ممن هذا؟ قالت: من جريج » وفى رواية « فقيل لها: من صاحبك؟ قالت: جريج الراهب، نزل إلى فأصابنى » زاد فى رواية « فذهبوا إلى الملك، فأخبروه، قال: أدركوه، فأتونى به ».

(**فجاءوا بفئوسهم ومساحيهم، فنادوه، فصادفوه يصلى، فلم يكلمهم، قال: فأخذوا يهدمون ديره، فلما رأى ذلك نزل إليهم، فقالوا له: سل هذه**) وفى الرواية الثانية « فأتوه، فاستنزلوه، وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه، قال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغى، فولدت منك ».

وعند البخارى « فأتوه، فكسروا صومعته، وأنزلوه » وفى رواية « فما شعر حتى سمع بالفئوس فى أصل صومعته، فجعل يسألهم: ويلكم ما لكم؟ فلم يجيبوه، فلما رأى ذلك أخذ الحبل فتدلى » وفى رواية « فجعلوا يضربونه، ويقولون: مراء، تخادع الناس بعملك » وفى رواية « فقال له الملك :: ويحك يا جريج، كنا نراك خير الناس، فأحبلت هذه. اذهبوا به، فاصلبوه » وفى رواية « فجعلوا فى عنقه وعنقها حبلا، وجعلوا يطوفون بهما فى الناس » وفى رواية « فلما مروا به نحو بيت الزوانى خرجن ينظرن فتبسم، فقالوا: لم تضحك؟ فقال: ما ضحكت إلا من دعوة دعتها على أمى ».

(**قال: فتبسم، ثم مسح رأس الصبى، فقال: من أبوك؟**) فى الرواية الثانية « فقال: أين الصبى؟ فجاءوا به، فقال: دعونى: حتى أصلى، فصلى، فلما انصرف أتى الصبى، فطعن فى بطنه، وقال: يا غلام. من أبوك » وفى رواية « فطعنه بإصبعه، فقال: بالله يا غلام من أبوك »؟ وفى رواية أنه سألهم أن ينظروه، فأنظروه، فرأى فى المنام من أمره أن يطعن فى بطن المرأة، فيقول أيتها السخلة. من أبوك؟ ففعل » وفى رواية عند أحمد « فوضع إصبعه على بطنها » وفى رواية « ثم انتهى إلى شجرة، أخذ منها غصنا، ثم أتى الغلام وهو فى مهده فضربه بذلك الغصن، فقال: من أبوك »؟ وفى روايه « أنه قال للمرأة أين أصبتك؟ قالت: تحت تلك الشجرة، فأتى الشجرة فقال: يا شجرة. أسألك بالذى خلقك. من زنى بهذه المرأة؟ فقال كل غصن منها راعى الغنم » وفى رواية « فأتى بالمرأة والصبى، وفمه فى ثديها، فقال له جريج: يا غلام. من أبوك؟ فنزع الغلام فاه من الثدى » ولما كان الصبى على

صدرها، أمكن الجمع بين الروايات بأنه طعن الصبى، وطعنها فى بطنها، ومسح رأس الغلام، وذهب إلى الشجرة، وحصل كل ذلك ولا تعارض، والمستبعد القول بتعدد القصة، أو أنه استنطق الغلام فى بطنها مرة، وبعد أن ولد مرة أخرى.

(**قال: أبى راعى الضأن**) فى الرواية الثانية « قال: فلان الراعى » وفى رواية « قال: الراعى » وفى رواية « أنا ابن الراعى » وفى رواية « قال: راعى الغنم ».

وفى رواية « قال: يا بابوس. من أبوك؟ قال: راعى الغنم ». وقوله: « ياباـبوس » بباءين بينهما ألف ساكنة قيل: معناه الصغير، وقيل: معناه الرضيع، وأغرب الأقوال أنه اسم ذلك الولد.

(**فلما سمعوا ذلك منه**) أى من الطفل.

(**قالوا: نبنى ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة، قال: لا**) فى الرواية الثانية « فأقبلوا على جريج يقبلونه، ويتمسحون به، وقالوا: نبنى لك صومعتك من ذهب؟ قال: لا » وفى رواية « فقال له الملك: نبنى صومعتك من ذهب؟ قال: لا. قال: من فضة؟ قال: لا » وفى رواية « فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه » وفى رواية « فسبح الناس وعجبوا » وفى رواية « فأبرأ اللَّه جريجا، وأعظم الناس أمر جريج ».

(**ولكن أعيدوه ترابا ،كما كان**) أى بالطين، وفى الرواية الثانية « أعيدوها من طين كما كانت » وعند البخارى « لا. إلا من طين ». قال ابن مالك: فى هذا شاهد على حذف المجزوم بلا،فإن التقدير: لا تبنوها إلا من طين.

(**لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة**) ذكر مسلم فى هذا الحديث عيسى ابن مريم، وصبى جريج، وصبى المرأة، لكن عند أحمد والبزار وابن حبان والحاكم « لم يتكلم فى المهد إلا أربعة، فلم يذكر الثالث الذى هنا، وذكر شاهد يوسف، والصبى الرضيع الذى قال لأمه - وهى ماشطة فرعون، لما أراد فرعون إلقاء أمه فى النار - « اصبرى يا أمه، فإنا على الحق ». قال الحافظ ابن حجر: فيجتمع من هذا خمسة، وعند مسلم فى قصة أصحاب الأخدود « أن امرأة جىء بها لتلقى فى النار، أو لتكفر، ومعها صبى يرضع، فتقاعست، فقال لها: يا أمه. اصبرى، فإنك على الحق ». وزعم الضحاك فى تفسيره أن يحيى تكلم فى المهد، أخرجه الثعلبى، فإن ثبت صاروا سبعة، وذكر البغوى فى تفسيره أن إبراهيم الخليل عليه السلام تكلم فى المهد، وفى سير الواقدى أن النبى ﷺ تكلم أوائل ما ولد.

قال القرطبى: فى هذا الحصر « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة » نظر، إلا أن يحمل على أنه صلى اللَّه عليه وسلم قال ذلك قبل أن يعلم الزيادة على ذلك. وفيه بعد، قال: ويحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورين مقيدا بالمهد، وكلام غيرهم من الأطفال بغير مهد. اهـ. والمراد من المهد السرير أو الفراش الذى يهيأ للطفل لينام، ويلحق به هنا صدر الأم وحضنها.

(**وبينا صبى يرضع من أمه فمر رجل راكب**) « بين » ظرف زمان زيدت عليه الألف، خافض لشرطه بالإضافة، منصوب بجوابه، والتقدير: مر رجل راكب على دابة وقت رضاعة صبى من أمه.

وفى رواية للبخارى « وكانت امرأة ترضع ابنا لها، من بنى إسرائيل فمر رجل راكب ».

(**على دابة فارهة**) أى نشطة حادة قوية، يقال: فره بضم الراء يفره، فراهة و فروهة جمل وحسن وخف ونشط، وحذق ومهر، فهو فاره، وفى القرآن الكريم ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩].

(**وشارة حسنة**) أى هيئة حسنة، ولباس حسن، وفى رواية للبخارى « فمر بها راكب ذو شارة » أى صاحب هيئة ومنظر وملبس حسن، يتعجب منه، ويشار إليه.

(**فقالت أمه: اللَّهم اجعل ابنى مثل هذا**) وفى رواية للبخارى « اللَّهم اجعل ابنى مثله » وفى رواية أخرى له « فقالت: اللهم لا تمت ابنى حتى يكون مثل هذا ».

(**فترك الثدى، وأقبل إليه، فنظر إليه، فقال: اللَّهم لا تجعلنى مثله**) وفى رواية للبخارى « فترك ثديها، وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلنى مثل هذا ».

(**ثم أقبل على ثديه، فجعل يرتضع - قال: فكأنى أنظر إلى رسول اللَّه ﷺ، وهو يحكى ارتضاعه، بأصبعه السبابة فى فمه، فجعل يمصها**) وفى رواية للبخارى « قال أبو هريرة: كأنى أنظر إلى النبى ﷺ يمص إصبعه » يحكى أبو هريرة أن النبى ﷺ حكى عودة الصبى إلى ثدى أمه يمص، حكى ذلك بأن وضع إصبعه فى فمه يمصها.

(**قال: ومروا بجارية**) فاعل « مروا » للصبى وللأم، ومن معهما، وفى رواية للبخارى « ثم مر بأمة » بضم الميم، مبنى للمجهول.

(**وهم يضربونها، ويقولون: زنيت، سرقت**) بكسر التاء فيهما على الخطاب، أى أنت زنيت. أنت سرقت. وفى رواية للبخارى « يقولون: سرقت ».

فيحتمل أن يكون بسكون التاء وفتح القاف على الغيبة. قال الحافظ ابن حجر: وهو مستبعد، لعدم تناسقه مع « زنيت » وفى رواية لأحمد « يقولون: سرقت، ولم تسرق، زنيت، ولم تزن ».

(**وهى تقول: حسبى اللَّه، ونعم الوكيل**) وفى رواية للبخارى « ولم تفعل » وفى رواية « يقولون لها: تزنى؟ وتقول: حسبى اللَّه، ويقولون لها: تسرق، تقول: حسبى اللَّه » وفى رواية أنها كانت حبشية أو زنجية، وأنها ماتت من الضرب فجروها، حتى ألقوها.

(**فقالت أمه: اللَّهم لا تجعل ابنى مثلها**) تظنها جانية، سارقة، زانية حقيقة.

(**فترك الرضاع، ونظر إليها، فقال: اللَّهم اجعلنى مثلها**) أى ترك الرضاع، ونظر إلى الجارية. وقال: اللَّهم اجعلنى مثلها أى فى طهرها، وعفتها، ونقائها، لا مثلها فى الاتهام بالباطل والضرب.

(**فهناك تراجعا الحديث**) أى راجعت الأم وابنها الحديث، وأقبلت على الطفل تحدثه، وتسأله وكانت أولا، لا تراه أهلا للكلام، فلما تكرر منه الكلام علمت أنه أهل له، فسألته وراجعته.

(**فقالت: حلقى**) بفتح الحاء وسكون اللام وفتح القاف، قال النووى: يرويه المحدثون بالألف،

التى هى ألف التأنيث، ويكتبونه بالياء، ولا ينونونه، وهو صحيح فصيح، وقال أبو عبيد: أصحاب الحديث يروونه « حلقى » وإنما هو « حلقا » قال شمر: قلت لأبى عبيد: لم لا تجيز « حلقى »؟ فقال: لأن فعلى تجىء نعتا، ولم تجئ فى الدعاء. اهـ ومعنى « حلقى » هنا أى حلق الله شعرى، وقيل: معناه جعلنى الله شؤما على أهلى، هذا أصلها، ثم اتسعت العرب فى استعمالها، فصارت تطلقها، ولا تريد حقيقة الدعاء، ولا حقيقة ما وضعت له أولا، كقولهم: تربت يمينه، اهـ.

كأنها تتأسف على دعائها السابق لابنها، حيث أصبح أعلم منها بالنتائج، فقالت تسأله:

(**مر رجل حسن الهيئة، فقلت: اللَّهم اجعل ابنى مثله. فقلت: اللَّهم لا تجعلنى مثله. ومروا بهذه الأمة، وهم يضربونها، ويقولون: زنيت. سرقت. فقلت: اللَّهم لا تجعل ابنى مثلها. فقلت: اللَّهم اجعلنى مثلها**) فما السر؟ وماذا تعلم؟ ولا أعلم؟.

(**قال: إن ذاك الرجل كان جباراً، فقلت: اللَّهم لا تجعلنى مثله، وإن هذه يقولون لها: زنيت، ولم تزن، وسرقت، ولم تسرق. فقلت: اللَّهم اجعلنى مثلها**) فى السلامة من المعاصى.

(**رغم أنف. ثم رغم أنف، ثم رغم أنف**) الرغم بضم الراء وفتحها وكسرها مع سكون الغين، وأصله لصق أنفه بالرغام، وهو تراب مختلط برمل، وقيل: الرغم كل ما أصاب الأنف مما يؤذيه، والمراد من « رغم أنفه » أى ذل وخزى. و« أنف » فاعل « رغم » ولم ينون على نية الإضافة، والأصل: رغم أنف من أدرك، والجملة خبرية لفظا ومعنى، أو خبرية لفظا دعائية معنى.

(**من أدرك أبوه عند الكبر - أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة**) معناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة، أو النفقة، أو غير ذلك، سبب لدخول الجنة، فمن قصر فى ذلك فاته دخول الجنة، وذل فى الآخرة، والمراد من إدراكهما إدراكهما أحياء، و« أحدهما أو كليهما » بالنصب بدل من « أبويه » وفى الرواية الرابعة وملحقها « رغم أنفه ».

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- من الرواية الأولى والثانية قال النووى: هذا دليل على أنه كان الصواب فى حقه إجابتها لأنه كان فى صلاة نفل، والاستمرار فيها تطوع، لا واجب، وإجابة الأم وبرها واجب، وعقوقها حرام، وكان يمكنه أن يخفف الصلاة، ويجيبها، ثم يعود لصلاته، فلعله خشى أن تدعوه إلى مفارقة صومعته، والعود إلى الدنيا ومتعلقاتها وحظوظها، وتضعف عزمه فيما نواه، وعاهد عليه. اهـ وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال: فيه نظر، لأنها كانت تأتيه، فيكلمها، والظاهر أنها كانت تشتاق إليه، فتزوره، وتقتنع برؤيته وتكليمه، وكأنه إنما لم يخفف، ثم يجيبها، لأنه خشى أن ينقطع خشوعه.اهـ أقول: إن الحديث صريح فى أنه آثر الاستمرار فى الصلاة دون قطعها، ودون تخفيفها على إجابة أمه، وليست هناك إشارة إلى أنه خشى أن تدعوه إلى مفارقة صومعته، والعود إلى الدنيا ومتعلقاتها،

وهذا سر خطئه، وإجابة دعاء أمه، وكان الأولى به أن يقطع صلاته، ويبرها، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لو كان جريج عالما لعلم أن إجابته أمه، أولى من عبادته ربه».

وقد استنبط منه بعض العلماء جواز قطع الصلاة لإجابة نداء الأم مطلقا، نفلا أو فرضا، لأنه لم تحدد صلاة جريج، وهو وجه فى مذهب الشافعية، ومنعه بعضهم نفلا وفرضا، وحملوا هذا الحديث على أن قطع الصلاة كان مباحا عندهم فى شرعهم، والأصح عند الشافعية أن الصلاة إن كانت نفلا، وعلم تأذى الوالد بالترك، وجبت الإجابة، وإلا فلا، وإن كانت فرضا، وضاق الوقت لم تجب الإجابة، وإن لم يضق وجبت، وعند المالكية أن إجابة الوالد فى النافلة أفضل من التمادى فيها، وحكى بعضهم أن ذلك يختص بالأم، دون الأب، ورد بأنه لم يقل به أحد من السلف.

٢- واستدل به على إجابة دعاء الأم، ولو كان بالضرر للابن.

٣- ولو كان الابن معذورًا.

٤- قال بعضهم: وفيه الرفق بالتابع، إذا جرى منه ما يقتضى التأديب، لأن أم جريج مع غضبها منه، لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة، ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل. قاله الحافظ ابن حجر. وفيه نظر، إذ العقوبة التى دعت عليه بها أفظع بكثير من الجناية التى اقترفها، فلا رفق فيها، وتظهر فظاعتها فيما حصل له، وما كان يمكن أن يحصل لولا لطف اللّٰه به، وما كان لها أن تدعو عليه بوقوع الفاحشة، فذاك دعاء بالفحش، ولا بالقتل، لأنه يؤلمها هى بالدرجة الأولى، ولو قيل: فيه قسوة الأم على ابنها عند الغضب، لكان أولى.

٥- وفيه أن صاحب الصدق مع اللّٰه لا تضره الفتن غالبًا.

٦- وفيه قوة يقين جريج وصحة رجائه، لأنه استنطق المولود، مع كون العادة أنه لا ينطق، ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه. قاله الحافظ ابن حجر. وأميل إلى أن اللّٰه تعالى ألهمه، مناماً أو بغير منام أن ذلك سيقع، ففعل ما فعل مطمئنا للكرامة.

٧- وفيه أن اللّٰه تعالى يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخرجا، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم فى بعض الأوقات، تهذيبا وزيادة لهم فى الثواب.

٨- وفيه إثبات كرامات الأولياء.

٩- ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم، وقال ابن بطال: يحتمل أن يكون جريج كان نبيا، فتكون معجزة، لكن هذا المأخذ يمكن أخذه من المرأة التى كلمها ولدها المرضع.

١٠- وفيه جواز الأخذ بالأشد فى العبادة، لمن علم من نفسه قوة على ذلك.

١١- وفيه أن مرتكب الفاحشة لا تبقى له حرمة، حتى فى العصور السابقة على الإسلام.

١٢- واستدل به بعضهم على أن بنى إسرائيل كان من شرعهم أن المرأة تصدق، ويقبل قولها فيما تدعيه على الرجال، من الوطء، ويلحق به الولد، وأنه لاينفعه جحد ذلك، إلا بحجة تدفع قولها.

١٣- استدل به بعضهم على نسبة ابن الزانى للزانى، فمن زنى بامرأة، فولدت بنتا، لا يجوز

له التزوج بتلك البنت، خلافا للشافعية، فى أن ماء الزنا هدر، لايثبت نسبا، ووجهة دلالة الحديث على المدعى، أن جريجا نسب ابن الزنا للزانى، فى قوله: من أبوك؟ وصدق اللَّه نسبته بما خرق له من العادة فى نطق المولود، بشهادته له بذلك، فى قوله: أبى فلان الراعى، فكانت تلك النسبة صحيحة، فيلزم أن يجرى بينهما أحكام الأبوة والبنوة، وإنما خرج التوارث والولاء بدليل آخر، فبقى ما عدا ذلك على حكمه، ويرد المخالفون بأن هذا قد يكون شرع من قبلنا، ولم يرد فى شرعنا ما يؤيده.

١٤- ومن روايتنا الثانية من أن جريجا طلب منهم أن يصلى قبل أن يسأل الطفل أن المفزع فى الأمور المهمة إلى اللَّه تعالى، يكون بالصلاة.

١٥- ومن الرواية التى توضأ فيها أن الوضوء لا يختص بهذه الأمة، خلافا لمن زعم ذلك، وإنما الذى يختص بها الغرة والتحجيل فى الآخرة.

١٦- وأن من هدم حائطاً بنى مثله، وذهب مالك إلى وجوب القيمة الناجزة، أما البنيان فقد يتأخر.

١٧- ومن الرواية الثانية من قصة المرأة وطفلها أن نفوس أهل الدنيا، تقف مع الخيال الظاهر، فتخاف سوء الحال، بخلاف أهل التحقيق، فوقوفهم مع الحقيقة الباطنة، فلا يبالون بذلك مع حسن السريرة، كما قال تعالى، حكاية عن أصحاب قارون، حيث خرج عليهم **﴿يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾** و **﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾** [القصص: ٧٩، ٨٠].

١٨- وفيها أن البشر طبعوا على إيثار الأولاد على الأنفس بالخير، لطلب المرأة الخير لابنها، ودفع الشر عنه، ولم تذكر نفسها.

١٩- من الرواية الثالثة والرابعة الحث على بر الوالدين، وعظم ثوابه.

٢٠- وأنه سبب فى دخول الجنة.

والله أعلم

(٦٨٧) باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم، ونحوهما

٥٦٦٦- ١١/١ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا(١١)، أَنَّ رَجُلا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ. فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! إِنَّهُمُ الأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ».

٥٦٦٧- ١٢/٢ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا(١٢)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبَرُّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ».

٥٦٦٨- ١٣/٣ عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا(١٣)، أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ، إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ. وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ. فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ. إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ. فَقَالَ: أَلَسْتَ ابْنَ فُلانِ بْنِ فُلانٍ؟ قَالَ: بَلَى. فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ وَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا. وَالْعِمَامَةَ، قَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ! أَعْطَيْتَ هَذَا الأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ! فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِن أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ، بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ» وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ.

المعنى العام

كان ابن عمر - رضى الله عنهما - معنيا بالتصدق بأحب الأشياء لديه، حتى روى أنه كان يشترى السكر، ويتصدق به، فقيل له: ولم السكر؟ قال: لأنى أحبه، والله تعالى يقول: **﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** [آل عمران: ٩٢] وها هو فى هذا الحديث يتصدق على أهل ود أبيه بأعز ما معه، حماره الذى يركبه، ويستروح به، حين يمل أو يتعب من ركوبه ناقته، وكان يستصحبه مع ناقته فى

(١١) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ

(١٢) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ عَنِ ابْنِ الْهَادِ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ

(١٣) حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ جَمِيعًا عَن يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أُسَامَةَ بْنِ الْهَادِ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَن ابْنِ عُمَرَ

سفره، ينتقل منها إليه فى بعض الطريق. ومرة استصحبه معه من المدينة إلى مكة، وركبه فى طريق من طرقها، فرأى رجلا من أهل البادية يمشى على رجليه كان والده يزور أباه عمر بن الخطاب، وكان عمر يحبه، فوقف، وناداه، وسلم عليه، وسأله عن حاله، ونزل عن الحمار، وأعطاه له، وقال له: اركب، فهو لك، وخلع ابن عمر عمامة كان يلفها حول رأسه، من أجمل ما يملك، كانت تحفظ له هيبته، وتحميه من الشمس، خلعها ووهبها للأعرابى، فعجب مرافقوه، واستكثروا ما أعطاه للأعرابى، فقالوا له: إنه أعرابى من أهل البادية، والقليل من الصلة تكفيهم، وهذا عطاء عليه كثير؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن من أبر البر، وإن خير ما تبر به أباك بعد أن يولى أن تصل أهل من كان يوده فى حياته » وقد كان والد هذا الأعرابى صديقا لعمر بن الخطاب.

المباحث العربية

(**أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلم عليه عبد اللَّه، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه**) فى الرواية الثالثة عن ابن عمر -رضى اللَّه عنهما « أنه كان إذا خرج إلى مكة » من المدينة « كان له حمار » يستصحبه معه « يتروح عليه، إذا مل ركوب الراحلة، وعمامة يشد بها رأسه، فبينا هو يوماً على ذلك الحمار، إذ مر به أعرابى، فقال: ألست ابن فلان بن فلان؟ قال: بلى: فأعطاه الحمار، وقال: اركب هذا، والعمامة، قال: اشدد بها على رأسك ».

(**فقال ابن دينار**) الراوى عن ابن عمر، والمرافق له فى هذه الرحلة.

(**فقلنا له: أصلحك اللَّه: إنهم الأعراب، وأنهم يرضون باليسير**) وما أعطيته كثير. والقائل ابن دينار، وأسند القول لنفسه ولأصحابه، لموافقتهم إياه، وفى الرواية الثالثة « فقال له بعض أصحابه: غفر اللَّه لك. أعطيت هذا الأعرابى حمارا كنت تروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك »؟ وهذا كثير.

(**فقال عبد اللَّه: إن أبا هذا كان ودا لعمر**) قال القاضى: رويناه بضم الواو، وكسرها، أى صديقا من أهل مودته، وهى محبته.

(**وإنى سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه**) فى الرواية الثانية « أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه » و« من » فيها مقدرة، وفى الرواية الثالثة « إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه، بعد أن يولى، وإن أباه كان صديقا لعمر » قال النووى: الواو هنا فى « ود أبيه » مضمومة. اهـ. فهو مصدر.

فقه الحديث

١- فى الحديث فضل صلة أصدقاء الأب، والإحسان إليهم، وإكرامهم، وهو متضمن لبر الأب، وإكرامه، لكونه بسببه، ويلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج والزوجة.

٢- وفيه قوة ودقة عمل ابن عمر بالسنة.

٣- وفيه أن بر أقارب الميت ينفع الميت، وقد روى أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه « أن رجلا من بنى سلمة جاء النبى ﷺ، فقال: يارسول اللّٰه، هل بقى على من بر أبوى شيء، أبرهما بعد وفاتهما؟ قال: نعم. الصلاة عليهما » أى الدعاء لهما « والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ».

وقد ضرب رسول اللّٰه ﷺ المثل الأعلى فى بر أصدقاء خديجة بعد وفاتها، رضى اللّٰه عنها.

والله أعلم

(٦٨٨) باب تفسير البر والإثم

٥٦٦٩- ١٤/١عَـنِ النَّـوَّاسِ بْـنِ سِـمْعَانَ الأَنْصَـارِيِّ ﷺ(١٤) قَـالَ: سَـأَلْتُ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ عَـنِ الْـبِرِّ وَالإِثْـمِ؟ فَقَـالَ: «الْـبِرُّ حُسْـنُ الْخُلُـقِ. وَالإِثْـمُ مَـا حَـاكَ فِـي صَـدْرِكَ. وَكَرِهْـتَ أَنْ يَطَّلِـعَ عَلَيْـهِ النَّـاسُ».

٥٦٧٠- ١٥/٢عَـن نَـوَّاسِ بْـنِ سِـمْعَانَ ﷺ(١٥) قَـالَ: أَقَمْـتُ مَـعَ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ بِالْمَدِينَـةِ سَـنَةً. مَـا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهِجْـرَةِ إِلا الْمَسْـأَلَةُ. كَـانَ أَحَدُنَـا إِذَا هَـاجَرَ لَـمْ يَسْـأَلْ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ عَـن شَـيْءٍ. قَـالَ: فَسَـأَلْتُهُ عَـنِ الْـبِرِّ وَالإِثْـمِ؟ فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «الْـبِرُّ حُسْـنُ الْخُلُـقِ. وَالإِثْـمُ مَـا حَـاكَ فِـي نَفْسِـكَ، وَكَرِهْـتَ أَنْ يَطَّلِـعَ عَلَيْـهِ النَّـاسُ».

المعنى العام

ما أجمل أن يسأل الرجل عما يجهل من أمور دينه، وما أحسن ما يسأل عن إيضاح ما خفى فهمه من نصوص شريعته، وقد سمع النواس كلمة البر وكلمة الإثم، وللكلمتين ماصدقات كثيرة، ومن الصعب حصر ما هو بر من الآداب، ومن العسير حصر ما هو إثم وذنب من المعاصى، فسأل رسول الله ﷺ عن مضمون الكلمتين، وكيف يعرف المسلم ما هو بر؟ ليفعله، وما هو إثم ليتجنبه؟ مما لا نص فيه، أو فيه نص مجمل أو مشكل، فوكله صلى الله عليه وسلم إلى قلبه، ليستفتيه حين يشك، فما ضاق به صدرا، وخاف من الناس وعيبهم عليه إذا علموه قد فعله، فهو الإثم، وما اطمأنت إليه النفس، ولم يخش فيه نقد الناس فهو البر، وهو من حسن الخلق.

المباحث العربية

(**عن النواس بن سمعان الأنصارى**) قال النووى: هكذا وقع فى نسخ صحيح مسلم «الأنصارى» قال أبو على الجبائى: هذا وهم، وصوابه الكلابى، فإن النواس كلابى مشهور. قال المازرى والقاضى عياض: المشهور أنه كلابى، ولعله حليف للأنصار، قالا: وهو النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب، كذا نسبه العلائى عن يحيى بن معين، و« سمعان » بفتح السين وكسرها.

---

(١٤) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ ابْنِ نُفَيْرٍ عَـن أَبِيهِ عَـنِ النَّوَّاسِ

(١٥) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الأَيْلِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ يَعْنِي ابْنَ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ نَوَّاسٍ

(**سألت رسول الله ﷺ عن البر**) بكسر الباء، وتشديد الراء، أى عن معناه المراد شرعا، فى مثل قولنا: بر الوالدين.

(**البر حسن الخلق**) قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف والمبرة، وبمعنى حسن الصحبة، والعشرة وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هى مجامع حسن الخلق. وانظر أول المباحث العربية فى باب بر الوالدين.

(**والإثم**) فى اللغة الذنب الذى يستحق العقوبة، وجمعه آثام، يقال: أثم بكسر الثاء، يأثم بفتحها، إذا وقع فى الإثم، فهو أثم و آثم. والسؤال ليس عن أنواع الإثم، وإنما عن الأوصاف التى يعرف بها الإثم، لتجتنب.

(**الإثم ما حاك فى صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس**) أى ما تحرك وتردد فى صدرك، ولم تنشرح لفعله، وحصل منه الشك فى القلب، وخشيت أن يعرفه عنك الناس، لاحتمال كونه ذنبا، وهذا المقياس خاص بصفوة المؤمنين، فغيرهم قد ينشرح صدره للآثام.

(**أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة**) هو معدود فى الشاميين، والمعنى أنه أقام بالمدينة، كالزائر والضيف سنة، من غير أن ينتقل إليها استيطانا وإقامة وهجرة.

(**ما يمنعنى من الهجرة إلا المسألة، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل رسول الله ﷺ عن شيء**) كان رسول الله ﷺ فى أول أمره بالمدينة يطلب من الصحابة أن يسألوا، ويشجعهم على السؤال، فلما أكثروا، وسألوه عما يفيد وعما لا يفيد، حتى سأل بعضهم عن أبيه الذى مات، أهو فى الجنة أم فى النار؟ فنزل قوله تعالى ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] فكان خوفهم من الوقوع فى المحاذير بسؤالهم مانعا من سؤالهم، وكان يعجبهم أن يجيء الرجل العاقل من البادية، لا يعلم النهى عن السؤال، فيسأل، فيستفيدون من السؤال والجواب، علم سمعان أنه يسمح بالسؤال للطارئين، دون المهاجرين المقيمين، فكانت رغبته فى السؤال عن أمور دينه باعثاً له على عدم نية الإقامة والهجرة.

فقه الحديث

١- فيه فضيلة للنواس بن سمعان.

٢- وفيه استفتاء القلب فيما لا نص فيه.

٣- والبعد عن كل ما يخاف أن يطلع الناس عليه.

والله أعلم

محتويات الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة
فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث	٢٤٠
(٦٣٠) باب من فضائل إبراهيم الخليل ، ولوط ، عليهما السلام، ومسلسل أحاديثه من ٥٣٤٥-٥٣٤٩ وللمعجم من ١٥٠-١٥٤	٢٤٢
المعنى العام	٢٤٣
المباحث العربية	٢٤٤
فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث	٢٥١
(٦٣١) باب من فضائل موسى عليه السلام ، ويونس ، ويوسف ، وزكريا ، والخضر عليهم السلام، ومسلسل أحاديثه من ٥٣٥٠-٥٣٧٠ وللمعجم من ١٥٥-١٧٥	٢٥٤
المعنى العام	٢٦١
المباحث العربية	٢٦٢
فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث	٢٧٣
كتاب فضائل الصحابة	
(٦٣٢) باب من فضائل أبى بكر الصديق ﷺ ، ومسلسل أحاديثه من ٥٣٧١-٥٣٨٧ وللمعجم من ١-١٣	٢٧٩
المعنى العام	٢٨٢
المباحث العربية	٢٨٣
فقه الحديث	٢٨٧
الصحابى من هو؟ وما حقوقه ؟	٢٨٧
التفاضل بين الصحابة	٢٩١
من فضائل أبى بكر ﷺ	٢٩٢
ويؤخذ من الحديث	٢٩٣
(٦٣٣) باب من فضائل عمر ﷺ ، ومسلسل أحاديثه ٥٣٨٨-٥٤٠٢ وللمعجم من ١٤-٢٥	٢٩٦
المعنى العام	٢٩٩
المباحث العربية	٣٠٠
فقه الحديث	٣٠٩
وفاة عمر	٣٠٩
إسلام عمر ﷺ	٣١٢
من فضائل عمر ﷺ	٣١٣
ما يؤخذ من الأحاديث	٣١٤
(٦٣٤) باب من فضائل عثمان ﷺ ، ومسلسل أحاديثه من ٥٤٠٣-٥٤١٠ وللمعجم من ٢٦-٢٩	٣١٧
المعنى العام	٣١٩
المباحث العربية	٣٢٠
فقه الحديث	٣٢٣

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة
المعنى العام	٦٠٠
المباحث العربية	٦٠١
فقه الحديث	٦٠٢
(٦٨٣) باب فضل فارس، ومسلسل أحاديثه من ٥٦٥٢-٥٦٥٣ وللمعجم من ٢٣٠-٢٣١	٦٠٤
المعنى العام	٦٠٤
المباحث العربية	٦٠٤
فقه الحديث	٦٠٥
(٦٨٤) باب بيان قوله صلى الله عليه وسلم «الناس كإبل مائة»، ومسلسل حديثه ٥٦٥٤ وللمعجم ٢٣٢	٦٠٦
المعنى العام	٦٠٦
المباحث العربية	٦٠٦
فقه الحديث	٦٠٧
كتاب البر والصلة والآداب	
(٦٨٥) باب بر الوالدين، ومسلسل أحاديثه من ٥٦٥٥-٥٦٦٠ وللمعجم من ١-٥	٦١١
المعنى العام	٦١٢
المباحث العربية	٦١٢
فقه الحديث	٦١٥
ما يؤخذ من الأحاديث	٦١٧
(٦٨٦) باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها وفضل بر الوالدين، ومسلسل أحاديثه من ٥٥٦١-٥٦٦٥ وللمعجم من ٧-١٠	٦١٨
المعنى العام	٦٢٠
المباحث العربية	٦٢٠
فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث	٦٢٥
(٦٨٧) باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، ومسلسل أحاديثه من ٥٦٦-٥٦٦٨ وللمعجم من ١١-١٣	٦٢٨
المعنى العام	٦٢٨
المباحث العربية	٦٢٩
فقه الحديث	٦٢٩
(٦٨٨) باب تفسير البر والإثم، ومسلسل أحاديثه من ٥٦٦٩-٥٦٧٠ وللمعجم من ١٤-١٥	٦٣١
المعنى العام	٦٣١
المباحث العربية	٦٣١
فقه الحديث	٦٣٢

رقم الإيداع ١٦٦٨١ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى 7 - 0767 - 09 - 977

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

